وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

موسوعة

# السياسة والحرب في بلاد الشام

تقديم: العماد علي حبيب

اللواء الركن المجاز
أ. الدكتور
إبراهيم مصطفى المحمود

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

موسوعة

# السياسة والحرب في بلاد الشام

## الجزء الأول

تقديم: العماد علي حبيب

اللواء الركن المجاز
أ. الدكتور
إبراهيم مصطفى المحمود



# موسوعة
# السياسة والحرب
# في بلاد الشام
## الجزء الأول


الهيئة العامة
السورية للكتاب

اللواء الركن المجاز
أ. الدكتـور
**إبراهيم مصطفى المحمود**

# موسوعـة
# السياسة والحرب
# في بلاد الشام
## الجزء الأول

**تقديم : العماد علي حبيب**

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١١م

موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام / إبراهيم مصطفى المحمود ؛ تقديم علي حبيب .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م.- ج١ (٥١٢ ص) ؛ ٢٤ سم .

(تاريخ سورية. دراسات ونصوص؛ ٨)

١- ٣٥٥,٤ م ح م    م    ٢- ٩٥٦ م ح م    م

٣- العنوان    ٤- المحمود    ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

**تاريخ سورية (دراسات ونصوص)**

«٨»

# إهـداء

إلى الشهداء الذين رووا بدمائهـم تراب الوطن

وإلى الأبطال الذين يذودون عن حياض البلاد . .



# تقديم

العماد علي حبيب

إن تاريخ الشعوب مرآة تعكس مناهج الأسلاف، لتعليل الأحداث الماضية. وإبراز أسبابها، وبيان الطرائق والوسائط التي استخدمها الأجداد لتحقيق إرادتهم في امتلاك أسباب الوجود والتطور ؛ فتاريخ الشعوب سر وجودها، وأحداثه منبع آلامها وآمالها، أما فهمه ودراسة تجاربه واستنباط قوانينها وأحكامها، فهو الذي يحدد نجاحها مستقبلاً أو إخفاقها.

وتأسيساً على ما سبق ينبلج النبراس، وتخلق القدوة لمن يريد أن يعتبر من الأجيال الصاعدة، وفي تاريخ الشعب العربي ملاحم خالدة ينبثق منها ومض الإبداع وشذى البطولة، مما يجعلها معيناً لا ينضب لكل ذي بصر وبصيرة، لأنه مرآة الأحداث الجسيمة التي غيرت الكثير من مجريات الأحداث منذ وجد هذا الشعب إلى يومنا هذا.

إن مسارح الأعمال الحربية الرئيسة في العالم بقيت هي نفسها في أيامنا هذه، مع بعض التعديلات التي استوجبها تطور وسائط الصراع المسلح، وتطور طرائقه التي أحدثت ثورة في قدرات الجيوش الحديثة، ولا غرو في أن مسارح الأعمال الحربية بما فيها من جبال وتلال وهضاب ووديان وسهول وأنهار وبحيرات وغابات وصحارى، هي عوامل دائمة التأثير على طرائق خوض الصراع المسلح ووسائطه.

لقد بقيت لفلسطين استراتيجيتها التي كانت لها زمن خالد بن الوليد ضمن مسرح أعمال بلاد الشام الحربية، وبقيت لهذا المسرح الرقعة نفسها التي كانت له في أيام صلاح الدين الأيوبي أيضاً... لقد أعدنا تجربة صلاح الدين الأيوبي، عندما هيأ مصر والشام، ووحد قيادتها، للقضاء على غزو الفرنجة، عندما خضنا حرب تشرين التحريرية، لأن مسرح الأعمال الحربية هو نفسه، وتوحيد القيادة الاستراتيجية هي نفسها أيضاً، من هذا ينبثق البرهان، وتولد الحجة على أهمية دراسة التاريخ السياسي والعسكري.

عندما قصدني المؤلف عارضاً علي مخطوطة موسوعته / السياسة والحرب في بلاد الشام / خشيت من أمور قد تكون عائقاً أمام الباحث، وهي ثقل المهمة وجلالها، وقلة المراجع وندرتها، وما تتطلبه من الصبر والقدرة، لكن معرفتي بالمؤلف طالباً متميزاً في الكلية الحربية، وضابطاً في القوات المسلحة، ولاسيما لقاءنا ليلاً في معركة السلطان يعقوب في لبنان، وهو ما شرحه المؤلف في موسوعته. كما استأذنني في اعتماد كتابي معركة السلطان يعقوب ليكون مرجعاً أساساً لمعركة السلطان يعقوب عام ١٩٨٢م، فلبيت له ذلك.

لقد قرأت (موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام) بإمعان فوجدتها سفراً جامعاً لموضوع بحثه، كما وجدت فيه بعثاً لعظمة الأسلاف الميامين الذين وقفوا في أحلك الظروف ليذودوا عن حياض الوطن، وشاملاً للحروب القديمة والحديثة والمعاصرة في بلاد الشام، ولشد ما كان إعجابي في عودة المؤلف إلى مخطوطات العيني والذهبي والنويري والسرخسي، وابن الفرات، وابن محزمة، وابن منكلي وغيرهم الكثير، ودراسته للأسفار القديمة لابن الأثير الجزري، وابن كثير القرشي، وابن خلدون، وابن العديم، وابن خلِّكان، وابن واصل، وتمحيصه لمؤلفات (أبو الفداء، والمقريزي، والديار بكَري، والأصفهاني، والبغدادي، والهرثمي).

ولم يغب عن المؤلف العودة إلى مراجع استدلالية من أمهات الموسوعات، ومنها الموسوعة السوفييتية الكبرى، وموسوعة المعرفة السويسرية، وموسوعة قصة الحضارة، والموسوعة العسكرية، وموسوعة تاريخ الحضارات العام وغيرها، إضافة إلى زهاء ثلاثمئة مصدرٍ ومرجعٍ قديمٍ وحديثٍ ومعاصرٍ.

إن أكثر ما يميز هذا السِفْر هو منهجيته العلمية، التي أظهر بها الترتيب الزمني للأعمال القتالية العربية ضد الغزاة عبر القرون، كما أظهر البنية التنظيمية للقوات العربية المسلحة، ثم جلا المؤلف وأوضح الطرائق والوسائط التي استخدمها العرب والغزاة في كل حرب أو معركة قديماً وحديثاً، فظهر من كل ذلك الخصائص التي ميزت استراتيجية العرب وتكتيكهم، مُظهراً الدروس والاستنتاجات والعبر التي تهم شعبنا وقواتنا المسلحة حاضراً ومستقبلاً.

كتب علي الهروي في كتابه (التذكرة الهروية في الحيل الحربية) مايلي:

«يُستحب للقائد أن يُكثر من قراءة كتب الحروب والغزواتِ، والوقائع، ومقاتل الفرسان وَحيل القتال»[1].

كذلك قال نابليون بونابرت: «إن معرفة الأجزاء العليا من الحرب لا تكتسب إلا بالخبرة، وبدراسة تاريخ الحروب، ومعارك كبار القادة...»

أعد قراءة معاركهم الثمانية والتسعين واحذُ حذوهم.. تلك هي الوسيلة لتغدو قائداً عظيماً.

---

(١) علي بن أبي بكر الهروي المكنى (أبي الحسن) - أصله من هراة في أفغانستان ولكنه ولد في الموصل، وتوفي في حلب سنة ٦١١ للهجرة الموافق سنة ١٢١٥م - التذكرة الهروية في الحيل الحربية - تحقيق مطيع المرابط - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٧٢م - ص٩٤

وهكذا تنبثق أهيمة هذا السفر، فبدراسته تكتسب خبرات حروب وعمليات ومعارك، ولاسيما أنها جرت في مسرح عمليات بلاد الشام، الذي هو مسرح عملياتنا، لنصبح أكثر قدرة وخبرة للذود عن حياض الوطن.

إن الحرب التي تشنها علينا قوى البغي والعدوان، هي حرب عدوانية استعمارية، تهدف إلى احتلال الأوطان، وسرقة خيراتها، واستنزاف مواردها بذريعة مكافحة الإرهاب، وتحقيق الديمقراطية وذرائع واهية باطلة أخرى.

لقد وجدت أن الباحث قد ذلل الصعاب في هذه الموسوعة، كي يأخذ هذا السفر مكانه المرموق في المكتبة العربية فهو بذلك لاجرم جدير.

**العماد**

**علي حبيب**

# مُقَدَّمة

**إن نشأة التاريخ العربي علماً مدوناً**، ومجموعاً من مصادره الشفوية والكتابية، بجاهليته وإسلامه، **ترجع إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي**، وهو في نشأته هذه كان عربياً أصيلاً، وجديداً بفكره، وبتقويمه الزمني، وبأهدافه.

**وكان هذا التاريخ في مطالعه التدوينية الأولى، يحوي نوعين من الأخبار:**

**أولهما: أخبار الجاهلية، أو تاريخ العرب قبل الإسلام**، وغيرهم من الأقوام المعاصرة **لهم**.

**وثانيهما: الأخبار المدَّونة في التاريخ العربي الإسلامي الأول**، وإلى هذه الأخبار بالذات ترجع بدايات التاريخ العربي الأصيل.

**وزبدة القول**: لم يصل القرن الثالث للهجرة إلى نهايته، حتى كانت الأبواب الرئيسة للتاريخ العربي قد رُسِمَتْ فانطلقَ في دروب فسيحة فيما تلا ذلك من قرون.

**وإذا ما** جرت موازنة خطوات المنهج العلمي للبحث التاريخي الحديث، مع ما كان يقوم به المؤرخون العرب، يتضح المنهج الذي ساروا عليه، ومدى علميته، **وليُبدأ بالخطوة الأولى** وهي اختيار موضوع الدراسة أو البحث، ويجب أن يكون جديداً، ومسألةً هامةً لُمجمل سَيْر التاريخ العام، وللأجيال المتوالية.

**والخطوة الثانية في المنهجية التاريخية العلمية، هي جمع المصادر**، ولابُدَّ من التأكيد هنا على أن عدداً من المؤرخين العرب **قد أولوا المكان في دراساتهم** التاريخية اهتماماً كبيراً، فربطوا بذلك بين الجغرافية والتاريخ، على غرار ما

يجري اليوم. ومن الأمثلة على ذلك **المسعودي** في كتابيه « **مُروج الذهب ومعادن الجوهر**»، و«**التنبيه والإشراف**»، **وابن العديم** في كتابه «**زبدة الحلب في تاريخ حلب**»، **وابن خلدون**، وغيرهم وعندما انتظمت دواوين الدولة العربية، اعتمد المؤرخون على وثائقها، مثل **اليعقوبي** (٩٠٥م)، والعماد **الأصفهاني** (١٢٠١م) في **كتابه «البرق الشامي»**.

**والخطوة الثالثة هي النقد التاريخي**،حيث تعد الطريقة النقدية العماد الأول في المنهجية العلمية للبحث التاريخي المعاصر.

**ولم يقتصر المؤرخون العرب** في نقدهم للخبر على التجريح والتعديل فقط، وإنما اعتمدوا أيضاً المحاكمة المنطقية، أو طريقة الموازنة بين مصدرين للمعلومات، والموازنة الزمنية بين خبرين، وتمكنوا بذلك من إظهار زيف بعض الوثائق والأخبار.

**وقد أكد ابن خلدون** ضرورة النقد وأهميته في التاريخ، عندما أوضح الأسباب التي تجعل الكذب يتطرق إلى الخبر.

**أما الخطوة الرابعة فهي التركيب في المنهجية التاريخية العربية**

**وفي الحقيقة، يتفاوت المؤرخون العرب في تقصِّيهم للأسباب، وفي تفسيرهم للحوادث**، إلا أنهم أدركوا في الجملة أهمية العوامل الاقتصادية، والجغرافية، والنفسية، والاجتماعية، والفكرية في دفع الأحداث، وسعى بعض المؤرخين لتكوين تركيب فلسفي لمعنى التاريخ ككُل، ومن هؤلاء **المُطَّهر بن طاهر المقدسي** (٩٦٦ م) في مقدمة كتابه «البدء والتاريخ»، **وأبو طالب عبد الجبار الأندلسي** (١١٣٤ م) في أرجوزته التاريخية، **وابن خلدون** في مقدمته التي قال عنها الفيلسوف **توينبي** (١٩٧٥ م): **«إنها أعظم عمل من نوعه أبدعه العقل البشري»**.

**والخطوة الخامسة هي أسلوب المؤرخين العرب في الصياغة والأداء**، حيث كتب معظم المؤرخين العرب مؤلفاتهم بلغة عربية بيّنة وبليغة.

**وإن الصناعة البديعية في الأسلوب التاريخي تسيء للتاريخ**، إذ تبعد صاحبه عن الحقيقة والدقة، وتوقعه في التكرار، ويصبح «المقصود مغموراً في تضاعيف ضمائر الأسجاع»، كما جاء في «نقد الفتح البنداري» (ت ٦٤٣هـ /١٢٤٥ م) **للعماد الأصفهاني**.

**ونحن لا نتعصب للغة العربية إذا قلنا إنها تعتبر الآن تراثاً للإنسانية جمعاء،** فهي اللغة الوحيدة بين جميع لغات العالم التي ما تزال حية منذ أكثر من ١٥٠٠ سنة، ولقد استطاعت في فترة زمنية مهمة (٤٠٠ عام) أن تستوعب حضارات الأمم القديمة في فترة كان العالم تائهاً في دياجير الظلمة ودهارير الجهل[١].

**كما أننا لا نبالغ إذا قلنا إن المصادر التاريخية العربية هي أكثر المصادر التاريخية العالمية دقة وإيضاحاً على الإطلاق،** إذ إنَّ مدلولات مفرداتها ما تزال تُعطي المعاني نفسها التي كانت تعطيها لحظة كتابتها، فالمصادر التاريخية الإنكليزية - مثلاً - لا يستطيع الإنكليزي المعاصر أن يفهمها بل هو بحاجة إلى ترجمتها ! بينما المصادر التاريخية العربية فيستطيع أي عربي الآن فهمها مباشرة، بل حتى الشعر العربي القديم والذي كان ديوان العرب - أي مادة التأريخ الأساسية لهم - ما يزال في متناول فهم القارئ العربي المعاصر.

**وهكذا فهم أول من وضع وأبدع أُصول منهج البحث العلمي الحديث،** وأول من أدرك الصلة الوثيقة بين علم التاريخ والعلوم الأخرى ولاسيَّما علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد.

**واليوم وبعد زهاء ألف سنة من الحوادث التي تضمنتها تلك الكتب التاريخية يُطلُّ القرن الواحد والعشرون، والعرب تذروهم رياح الفرقة، وتجتاحهم عواصف الغزاة في عالم أصبح كثور جريح هائج في قارب صغير في لُجَّةِ إعصار.**

**والسبب في ذلك يكمن** في ابتعاد بعض الشعوب عن مبادئ الحق والخير والجمال، وفي تمسكها بتعصبٍ أعمى لدين أو مذهب، بما يخرجها عن جوهر هذا الدين أو ذاك من مبادئ سامية. مثل (المحافظون الجدد).

**والسبب الآخر هو انسياق شعب وراء إيديولوجية ظاهرها براق، وجوهرها إجرام،** مثل انحراف الألمان والطليان وانقيادهم خلف الإيديولوجيتين النازية

---

(١) دهارير: جمع دهر.

والفاشية، وظهور زعيمين أرعنين هما **هتلر وموسيليني**، اللذين وصل بهما الغرور إلى إعماء البصر وضلال البصيرة، مما كان سبباً أولاً في نشوب الحرب العالمية الثانية. أو وصول زعيم أخرق إلى حكم دولة كبرى، مثل الرئيس **جورج بوش الابن**، ومعه المحافظون الجدد الذين قادوا الولايات المتحدة الأمريكية، إلى تنفيذ أبشع ما وصلت إليه البشرية من قتل وتدمير وفتنة بين الناس،**[ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ]** (١).

**إنَّ نظرة شمولية إلى ما تعيشه البشرية الآن لتدل على أن الأمم كافة تسير بسرعات متفاوتة،** لكسب قصب السبق في ميادين الحضارة كلها، ففي نهاية الحرب العالمية الثانية كانت **اليابان وألمانيا** خرائب مدمرة، وكانتا تبدوان وكأنهما لن تقوم لهما قائمة، حيث كانتا في واقع اقتصادي واجتماعي مرير مقيد باتفاقات استسلامية مهينة، تمنعهما من مجرد التفكير في البناء والتطور.

**وها هي اليابان وبعد أقل من نصف قرن تسير بسرعة مذهلة في ميادين العلوم والحضارة كافة،** لتغدوَ دولة ذات فتوح علمية كبرى، فمن المعروف الآن أنها الدولة الأولى في العالم في ميادين الإلكترونيات، وبعد (٦٥) عاماً من استسلام اليابان من دون قيد أو شرط، استثمرت فيها اليابان الزمن للتطور الذي أحرزته، فاستغلت الظروف الدولية لتعديل دستورها الذي فرضه الأمريكيون عليها، والذي ينص في مادته التاسعة على: **(تخلي اليابان إلى الأبد عن شن الحرب)،** وأصبحت اليابان قادرة على المشاركة في العمليات العسكرية في الخارج حتى أصبحت إحدى المهمات الرئيسة لقوات الدفاع الذاتي، وهو الاسم الرسمي لجيش اليابان، وتم تعديل اسم وكالة الدفاع إلى وزارة الدفاع، وهكذا خلعت اليابان بذلك مسوح « الدستور السلمي»، لتبدأ في مطلع عام ٢٠٠٧م ميدان الصراع الدولي المسلح، **أما ألمانيا وبعد تحطيمها وتقسيمها، فقد توحدت بشطريها،** لتصبح قوة اقتصادية كبرى متينة البنيان، ولها فتوحها الخاصة في ميادين العلوم أيضاً.

**بعد الحرب العالمية الثانية شهد القرن العشرون تحولات كبرى في الخرائط السياسية العالمية،** وفي البنى الاقتصادية الدولية، **فالصين الشعبية**

---

(١) سورة البقرة - آية ١٩١.

انتقلت من شعب خدّره **المستعمر البريطاني بالأفيون**، مترنح بين جائحاتِ الجوع والموت، وكل عوامل التخلف فقراً وجهلاً ومرضاً، إلى أمة تقف لتنضو عنها أسمالها الخَلِقَة فقد بنت اقتصادها،حتى صارت القوة الاقتصادية الثانية في العالم وهي المرشحة الأولى كي تتبوأ وتحتل عرش العالم اقتصادياً،في غضون بضع سنين، وأصبحت قوة يحسب لها ألف حساب، بامتلاكها وسائط التدمير الشامل، وبتطورها في ميادين العلوم الأخرى.

**ويبدو من نظرة شاملة إلى خارطة العالم أن أكثر المناطق تخلفاً وفقراً وعدم قدرة على التحكم في مسار مستقبلها، هي المناطق التي تكثر فيها الكيانات والحدود والأنظمة،** وينضوي في ذلك جنوب شرق آسيا، والوطن العربي، وباقي قارة أفريقيا، وأمريكا الجنوبية بمعظم دولها.

**ويبدو لنا أنه إن شاءت القوى العظمى الحالية أم لم تشأ فإن ذُرا الحضارة ستنتقل حتماً إلى بقاع أخرى،** نأمل أن يكون وطننا العربي منها، ولعلَّ بضع عقود قادمة ستكون خير مصداق ودليل إلى ما ذهبنا إليه.

**ودليلنا على ذلك أنه عندما ارتد التيار المغولي الدموي**، خلَّف وراءه في بلاد إيران وما حولها، وفي بلاد الرافدين وبلاد الشام اقتصاداً مضطرباً، وقنوات للري مطمورة، ومدارس ودوراً للكتب رماداً تذروه الرياح، وحكومات معدمة ضعيفة ومنقسمة على نفسها، كما هلك أكثر من نصف سكانها.

**فتحولت هذه البلاد إلى الانغماس الأبيقوري في الملذات**، والهزال الجسمي والعقلي، وخور العزيمة والعجز الحربي والانقسام الديني، والالتجاء إلى المراسم الغامضة، والفساد السياسي والفوضى الشاملة.

**وهكذا انقلبت آسيا الغربية من زعيمة للعالم قوة وعلماً إلى الفقر المدقع والخراب الشامل. وها هي آسيا اليوم تتقدم بخطى واثقة وحثيثة** بقواها البشرية والاقتصادية الهائلة، لتتربع على عرش حضارة العالم، وبهكذا تَحوُّلٍ تتهيأ الظروف الدولية الملائمة لوحدة العرب، كما تهيأت لغيرهم مثل الألمان والطليان والصينيين.

**وللرد على كل المشككين والأعداء للوحدة العربية نقول:** إن هناك علاقة مابين الحامل والمحمول في الفلسفة، ومابين الضرورة والإمكان في المنطق، فإذا اعتبرنا أن

الوحدة ضرورة، وأن الظروف المحلية والدولية لا تسمح بقيامها، نقول: إن انتفاء الإمكان آنياً لا ينفي الضرورة، وأكبر مثال على ذلك إذا كان شخص ما مصاباً بمرض السكري فهو بحاجة إلى الأنسولين إن توفر أو لم يتوفر.

**وقد ترافق أفول نجم القرن التاسع عشر، وإطلالة القرن العشرين،** بظهور تيارات رئيسة ثلاثة في الوطن العربي وهي: التيار القومي، والتيار الديني، والتيار الأممي.

**وقد عملت القُوى الطامعة من الغزاة والمستعمرين على اختلاق الشقاق لاستمرار الفراق بين هذه التيارات،** فزادت فيما يفرق وحاولت أن تقتل ما يجمع مع أننا نجد مؤمناً بالديانة الإسلامية، أو المسيحية، وهو في الوقت نفسه ينتمي إلى الأمة العربية؛ لأن القومية العربية هي هوية الإنسان العربي، بما يميزه عن أبناء الأمم الأخرى.

**إنَّ التنوع في الانتماء الديني يجب أن يكون مصدراً للاعتزاز بقدسية الأرض العربية،** التي انتقاها الخالق لتكون مهبط الرسالات ومهد الأنبياء، وأمام هذا الواقع الديني والحضاري تكون الأمة العربية هي الحاضنة لجميع أبنائها على تنوع انتماءاتهم الدينية.

**ولا غرو في أن أرض السياسة هي الجغرافية، وأن سماءها التاريخ**، ومن هذين المنطلقين المتكاملين يمكن فهم الأحداث، ووضعها في زمانها ومكانها الصحيحين، ومع ذلك ما زالت التيارات السياسية في الوطن العربي تذروها رياح الفرقة، بعوامل بعضها واقعي (مرفوض)، ومعظمها خارجي (مفروض)، مع أن التهديد الخارجي واقع بالقوة المسلحة، الذي لن يستثني أحداً.

**ولحرف الرأي العام العالمي عمَّا يرتكب من جرائم إبادة، لجأت أمريكا وإسرائيل وغيرها إلى طرائق خبيثة منها:**

**١- إثارة النعرات الإثنية والطائفية بكل الوسائل والطرائق.**

**٢- إنشاء وسائل إعلام مرئية ومقروءة ومسموعة مأجورة.**

**٣- اللجوء إلى الاغتيالات.**

**٤- طريقة اختلاق الشروخ بين الأنظمة والشعوب، وبين الطوائف والأعراق.**

٥- **رشوة السياسيين العملاء من العرب وغيرهم.**

٦- **صَرَف الرأي العام العالمي إلى جوائح صحية خطيرة** مثل جائحة سارس ثم جائحة أنفلونزا الطيور، وانفلونزا الخنازير، وجنون البقر.

٧- **لجأت أمريكا وإسرائيل إلى تحويل الغضب العربي** ضد دول أخرى مثل الدنمارك، وذلك بعد أن قام اليهودي الصهيوني (دانيال بابيس) بالتخطيط والتمويل لنشر رسوم تسيء إلى الرسول (e).

٨- **ثم اعتمد العدو على الفتنة بين الأديان والمذاهب .**

٩- **خلق البلابل الاقتصادية عالمياً وإقليمياً.**

**إنَّ معظم الصراعات التي يشهدها كوكبنا هذا إنما مردها إلى الانحرافات التي أصابت المعتقدات السياسية، والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.**

**وأطل القرن الواحد والعشرون حاملاً سرعةً مذهلةً في تطور العلوم المادية وغيرها،** مترافقة مع تفاوت مذهل في مستويات البنى التحتية والفوقية بين الأمم، لأنه مازال هناك أكثر من ثلث البشرية أميين، ومعظمهم عراة جياع ومرضى، فكأنهم قد حكموا بالإعدام دون ذنبٍ قبل آجالهم.

**إن وجود (إسرائيل) هو وجود بالغير وليس وجوداً بالذات، أي أنها أداة وليست ذاتاً،** وعلى الرغم من إظهار كثير من الباحثين إن إسرائيل هي التي تتحكم في الدول الكبرى ولاسيّما أمريكا، لكن الحقيقة **[أنها وجود بغيره وليست وجوداً بذاته].**

**وما سلوك بعض الدول الكبرى لصالح إسرائيل إلا انعكاس لمصالح متلاقية مشتركة،** والبرهان هو نشوءها وأسبابه ثم حروب ١٩٤٨م، ١٩٥٦م، ١٩٦٧م، ١٩٨٢م، ١٩٩٠م، ١٩٩١م، وغزو أمريكا العراق عام ٢٠٠٣م، والعدوان على لبنان عام ٢٠٠٦م.

**إن التاريخ السياسي العسكري تجربة ناضجة،** نستطيع به دراسة مقدمات الحرب، ومجرياتها، وطرائق ووسائط خوضها، ونتائجها، بهدوء ورصانة كي نستمد منها الدروس والعبر.

**لقد استحوذ الوطن العربي وعلى امتداد تاريخ الحضارة وحقبها اهتماماً كبيراً،** بسبب موقعه الجغرافي الاستراتيجي، وإمكاناته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد عانى الشعب العربي الكثير من ألوان العذاب نتيجة للحروب، والغزوات التي تعرض لها، والتي كان دافعها الأساس، وسببها الأول الأطماع الاستعمارية في خيرات هذا الوطن.

**ولا جرم في أن الوطن العربي كان وما يزال مثار أطماع الغزاة،** التي نراها ماثلةً للعيان، في فلسطين والعراق والصومال والسودان وغيرها، وفي الوقت نفسه مازال الشعب العربي يَدُقُّ بابَ الحرية ويدكُّ معاقل الاحتلالِ بسواعد الأبطالِ وبدماءِ الشهداءِ التي تُبذل فداءً للوطن.

**ولا بد لأية أمةٍ تُريد التحكمَ بمسارِ مستقبلها، من أن تقرأ وتتفهم ماضيها،** وأن تدرس الخبرات التاريخية الثمينة، لأنها كنزٌ صاغه الأجداد بعبقرياتهم و بدمائهم، ومنه تُستكشف القوانين التي تتحكم في الحاضر والمستقبل.

**إن دراسة التاريخ السياسي والحربي للعرب، يجعل الأجيال الحاضرة والقادمة، أكثر قُدرة على وضعِ الخُططِ المُحكمةِ للحاضرِ والمستقبل أيضاً،** ومنه يُحدد الشعبُ نوعَ التربيةَ التي يختارها لأبنائه، ليُوجِّهوا التوجيه الصحيحَ لتحقيقِ الأهدافِ الوطنيةِ والقوميةِ، لأننا في التاريخِ الحربي للوطنِ ننفذُ إلى أعماقِ الأحداثِ، ونصلُ إلى إدراكِ العواملِ الأساسيةِ التي غَيرَّتَ وتغير مجرى التاريخ، وإن إدراكنا لكل ما مر ذكره يجعلنا أكثر قدرة على التحكم في مسار مستقبلنا.

**ومهما تشابهت أحداث الماضي بأحداث الحاضر، فإنها ليست تكراراً معاصراً،** وحديثاً لوقائع التاريخ القديم، **إلا أن صراعات الحياة البشرية محكومة بقوانين عامة،** لذلك كان الوعي بهذه القوانين أمراً ضرورياً، لفهم واقع الصراعات المعاصرة والمستقبلية، وتقدير احتياجاتها، وضروراتها، مما يخلق البصيرة النافذة لمستقبلها وتطورها، ومن ثم تكون إرادة الشعبِ مُحققةً علمياً وعملياً، في خلق الأدوات والوسائط واختراعها، وفي إبداع الطرائق الناجعة

لخوض الصراع المسلح، ذوداً عن حياض الوطن، لجعل نهاية هذه الصراعات في مصلحة الشعب المتقدم لنيل حقه تحت الشمس.

**والشعبُ العربيُّ من أكثر شعوبِ الأرضِ عراقةً** وفي الوقت نفسه أكثرها حاجةً لنفضِ غبارِ الزمنِ عن تاريخهِ، وإعادةِ دراستهِ وتدوينهِ، بالطرائق العلمية والعملية الحديثة الجدية والمجدية.

**ولاشك أن جذور التقاليد السياسية العسكرية عند العرب تمتد عميقاً في التاريخ**، ومن هُنا تَأتي أَهميةُ بحثِ هذهِ المسائل المطروحةِ، بالإضافةِ إلى أهميتها من الناحية الإدراكية والعملية البحتة على حد سواء، فقبل كل شيء لا بد من الإشارة إلى أن العديد من الدول العربية [ **وعلى سبيل المثال سورية] حافظت على موقعها الاستراتيجي، الذي احتلته في عهد صلاح الدين الأيوبي**، على مسرح الأعمال القتالية في بلاد الشام، **ويتميز هذا المسرح من حيث الجوهر بالخصائص نفسها، التي تُعَدُ ضَرورية في أثناءِ تخطيط الأعمال القتالية، وتنفيذها في الظروف الحديثة.**

**وقد أَولى القائدُ العربيُّ خالد بن الوليد أهميةً كبيرةً لدراسةِ مسرح الأعمال القتالية ومعرفته، واصفاً ذلك على النحو التالي: «قَتَلَتْ أرضٌ جاهلَها وقَتَلَ أرضاً عالمها».**

**كما أنَّ معرفةَ التاريخ العسكري، وفهم كيف كانت تقاتل الأجيال السالفة** من وجهة نظر إعداد الكوادر العسكرية الحديثة مهم جداً، إذ من المعروف [ على سبيل المثال ] أن **نابليون بونابرت كانَ يصطحب معهُ دائماً كتباً تتعلق بالتاريخ العسكري**، كما أنه أشار إلى أن معرفة أفضل نماذج الفن العسكري لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال دراسة الخبرة الماضية للحروب والمعارك.

**ومن المؤكد أن القوات العربية المسلحة تحتاج**، كما يبين التطبيق العسكري، ودراسةُ خبرة الإعداد القتالي لعدد من الدول العربية، إلى مثل هذه المراجع.

**ويسمحُ بحثُ واستقصاءُ فن الحرب** لهذه الحقبة أو تلك بالتحديد الصحيح للقوانين، والاتجاهات الأساسية لفن الحرب، وتحقيق البناء العسكري، مع الأخذ بعين الاعتبار الخبرة التاريخية، والتقاليد العسكرية.

لقد أسمينا هذا السفر (**موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام**)، وذلك بإطلاق اسم الكل على الجزء مجازاً، فهذا المجلد هو الجزء الثالث من موسوعة تتناول موضوعات، وقد صدر منها حتى الآن ثلاثة أجزاء هي؛ موسوعة [السياسة والحرب عند العرب] و[موسوعة المرأة في التراث العربي والإسلامي]، [موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام]، ونحن في صدد إصدار الأجزاء التالية:

**١- الجزء الثاني من موسوعة المرأة في التراث العربي والإسلامي.**

**٢- موسوعة الأمن المائي والغذائي.**

**٣- موسوعات جغرافية أخرى.**

ونحن قد قسّمنا الموسوعة إلى **أبواب سبعة** حيث بحثنا في **الباب الأول**، السياسة والحرب عبر فتوح بلاد الشام، وبحثنا في **الباب الثاني** السياسة والحرب في بلاد الشام في حروب الفرنجة والمغول، أما **الباب الثالث** فقد بحثنا به السياسة والحرب في بلاد الشام في فترة ما بين الحربين العالميتين، ثم جاء **الباب الرابع** الذي يدرس المرحلة من النكبة إلى الاستنزاف، وأفردنا **الباب الخامس** لحرب تشرين التحريرية، وكذلك **الباب السادس** فقد بحث ثمانينيات القرن العشرين، **والباب السابع** خصص لدراسة العقدين الأخيرين.

وختاماً لابد من توجيه الشكر الجزيل إلى كل من ساهم في أن ترى هذه الموسوعة الجديدة النور.

**والله وليُّ التّوفيق**

الشآم ٢٠١١ م

**اللواء الركن المجاز**

أ. **الدكتور**

**إبراهيم مصطفى المحمود**



# البَابُ الأوَّلُ

## السياسة والحرب

## في فتح بلاد الشام


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الفَصْلُ الأَوَّل

# المعارك الأولى

## أولاً - إمبراطورية الروم قبل الإسلام وبعده:

لقد اعتمدنا مصطلح (**إمبراطورية الروم**) بدلاً من الإمبراطورية البيزنطية، لأنها التسمية الأولى التي أطلقها العرب على تلك الإمبراطورية قبل الإسلام وبعده، والتي حلا لسكان تلك الإمبراطورية وأباطرتها استخدامها للتعريف بأنفسهم كذلك. أما (الإمبراطورية البيزنطية) فهي تسمية لا يميل إليها إلا نفر من الكتاب الأوربيين المحدثين على حين نادى فريق آخر منهم باستخدام الإمبراطورية الرومانية الشرقية، بدلاً من البيزنطية، **إن المصطلح العربي (إمبراطورية الروم)** أكثر سلامة من حيث المنظور التاريخي في العصور الوسطى، وأشد بعداً من مظاهر الخلاف والاعتراض في التسميات الحديثة[1] كمعارضة **الدكتور محمد مصطفى زيادة إذ يقول**: (إن لفظ الروم وصاحب الروم خطأ). إن دراسة الفتوح العربية دراسة علمية وموضوعية شاملة، تدلنا على أن المدينة «يثرب» كانت بعد الإسلام مقراً تصدر منه الأوامر لجميع القادة الفاتحين في العراق والشام ومصر وغير ذلك. إذاً «فالقيادة العليا» كانت الخليفة والصحابة وذوو الرأي، ولا غرو في أنه يحق أن نعتبر الخليفة (قائداً أعلى للقوات) في جميع الجبهات.

---

(١) إبراهيم أحمد العدوي - الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم - نشر مطبعة الأنجلو المصرية ط٢ - ١٩٥٢، ص٢٨.

أما عن تسمية: جبهات، فقد كانت الجيوش العربية تقاتل على أكثر من جبهة واحدة في وقت واحد محققة اختراقاً مذهلاً، فسمينا كل اتجاه جبهة، بالنسبة إلى جهته من المدينة، ولا بُدَّ للباحث في حروب العرب في الجبهة الشمالية من الإلمام بلمحة عن إمبراطورية الروم، ولاسيَّما الجانب العسكري منها، ثم الانتقال إلى بحث فتح الشام وعملية عملية معركة معركة، من أول العمليات في المسرح الشمالي حتى نهايتها، وإن من يود الإطلاع الأعمق على التاريخ العسكري البيزنطي، يمكنه الرجوع إلى المصادر التي سنذكرها مباشرة في الفقرة التالية:

### أ - حركة التأليف العسكري في إمبراطورية الروم:

**اهتمت إمبراطورية الروم، بدراسة أدوات القتال ووسائل تنظيم الجيش والفنون الاستراتيجية** بعناية واتزان طوال القرون الوسطى، وقد ظهر منها سلسلة متصلة الحلقات من الكتاب العسكريين، كما أن كثيراً من مؤرخيها كانوا يأخذون، بطرف من الاهتمام، الشؤون العسكرية، ومن كتاباتهم نستطيع أن نتعقب على كر الأيام تطور تاريخ العسكرية الرومية. مع وجود بضع ثغرات معينة ففي القرون البواكر، نجد الإيطالي (**فيجينوس**) الذي ظهر في القرن الرابع، كما نجد الباحث النظري المتحذلق (**أوربيكوس**) الذي ظهر في أواخر القرن الخامس. ثم (**بروكوبيتوس**) في القرن السادس، وهو قبل كل شيء مؤرخ عسكري. كما أن الإمبراطور (**موريقوس**) كتب بعد ذلك في بضع عشرات من السنين بحثاً بعنوان (Strategican) وهو دراسة قيمة في أحوال جيش ذلك الزمان.

وحوالي عام (٩٠٠) قدّم الإمبراطور (لاوون السادس)، أحد الأباطرة القلائل الذين لم يتولوا قط قيادة الجند بأنفسهم، بحثاً مستفيضاً في جميع الشؤون العسكرية أسماه (التاكتيكا) Tactica أي فنون الحرب[١].

---

(١) ستيفن رنسيمان - الحضارة البيزنطية ت: عبد العزيز جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨م، ص٥٨.

**ويقول الأستاذ أومان في** كتابه «الإمبراطورية البيزنطية»: «كتب ليو كتاباً مختصراً عن فن الحرب وبعض الرسائل الدينية، وكتاباً عن التنبؤات، وهو مجموعة من الألغاز السياسية، كانت محل حيرة الشرق وإعجابه زمناً طويلاً. والكتاب الأول المشار إليه يتناول تاريخ النظام الحربي والأساليب الحربية وفن الحرب النظري زمن ليو. **وحوالي عام ٩٦٠ أهدى أحد قواد (نيقور فوروس فوقاس)** إلى مليكه كتيباً يعالج شؤون الحرب على الجبهة الشرقية، ثم أُردف بكتاب آخرَ عن نفس الموضوع لمؤلف غير معروف. وفي القرن الحادي عشر دوّن **الجندي العجوز (كيكومينوس)** كتاباً لابنه، بأسلوب استطرادي غير مركز، وضع فيه ثمرة خبراته، ويعتبر (نورمان بينز) كتاب كيكومينوس أنه كتاب تعاليم موجه إلى ابن الكاتب، صدر في القرن الثاني عشر، ومن جملة الكتب السابقة وغيرها، نستطيع أن نستنتج أن الانحلال كانَ قدْ دبَّ آنذاك فعلاً في أوصال الجيش الرومي.

**ب - تنظيم الجيش الرومي:**

**قبل القرن السادس:**

**كان الحرس البريتوري (الإمبراطوري) ينصِّب الأباطرة ويخلعهم في القرن الثالث للميلاد**، كما أن الولاة الكبار للمقاطعات، والذين كانت تحت أمرتهم فيالق بأكملها كانوا في حالة توازن دائم يكاد لا ينتهي وحاول كل من «**دقلديانوس**» ومن بعده **قسطنطين** إدخال بعض الإصلاحات، فأقاموا قوة نظامية للثغور من جند وراثيين يتناولون أجورهم أيضاً، وهم يمثلون قوة الحدود (Limitanei)، ثم أنشؤوا جيشاً مركزياً سريع الحركة، وهو جيش الردفاء (comitatenses) بقيادة الإمبراطور. وهو جيش كان يستطاع دفعه عاجلاً إلى أية نقطة. وقد عمت البلاد مظاهر الإكراه التي توسل بها الاستبداد الشديد، للحصول على المواد اللازمة لبقاء الدولة، أمثال ذلك إكراه الرجل من أصحاب الأطيان على أن يقوم بجمع الجند وجباية الضرائب للدولة بدون

مقابل في النواحي المجاورة له، وإكراه الفلاح على أن يعيش قناً مربوطاً إلى الأرض التي يعمل بها[(١)]. بيد أن ذلك الجيش تقاعس عن مبتكرات زمانه في المعدات وفنون الحرب، فجندي الكتيبة الثقيلة لم يعد نداً صالحاً لملاقاة الفارس البربري، وكان انتصار يوليانوس على الجرمان عند استراسبورج في ٣٥٧م آخر انتصار أحرزته المشاة الرومانية.... وبعد ذلك بإحدى وعشرين سنة حدثت كارثة قرب أدرنة، أظهر فيها المشاة الرومان ضعفهم وقلة حيلتهم إزاء خيالة (القوط). فظهرت ضرورة الفرسان فعلاً، وزيِد سلاح الفرسان، وعندئذ صارت الحاجة والطلب أعظم من العرض.

**أعاد (ثيودسيوس الأول) بناء الإمبراطورية، بأسرع ما يمكن،** صمم على استدعاء فرسان من البرابرة، أو قبائل بأجمعها كانوا ينضوون في الحرب مع الرومان تحت سيطرة أمرائهم، لكن ذلك السلاح الإضافي كان ذا حدّين، إذ سرعان ما قضى عليهم كما قضى على إمبراطورية فارس من قبل......
أجل إن القوات الحليفة ربما تصدُّ أتيلاً، على أن زعماءهم وقد أصبحوا قواداً رومانيين عظماء كانوا على قوة لا قبل للدولة بها، فكانوا برابرة من أمثال **ريكير وأدواكر** يتصرفون بالتاج الإمبراطوري بملء هواهم، حتى قرروا أنه من الأيسر لهم ألا يكون هناك أي إمبراطور في إيطاليا. أما في الشرق فبعد إخفاق **(جانياس)** القوطي، لم تعد قوة الأسرة الإمبراطورية تتجاوز مجرد إيقاف الجند المخالفين عند حدهم حتى جاء الأوان الذي تمكن فيه **(لاوون الأول)** و**(زينون)** من التحكم بالبلاد عبر استدعاء جند من قبائل الإمبراطورية الأشد ضراوة لموازنتهم والاستعانة بأيزوريين وأرمنيين من التلال الآسيوية[(٢)].

---

(١) هـ. أ. ل فشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى - ت: محمد مصطفى زيادة والباز العريني - دار المعارف - مصر - ١٩٥٤، ص١٢٢.

(٢) رينسمان: ستيف - الحضارة البيزنطية - ت: عبد العزيز توفيق جاويد، مصدر سابق، ص١٥٦.

**ويقول أومان:** لقد كان ليو الأول إمبراطوراً استفاد من مزايا الأيزوريين الحربية وهم سكان آسية الصغرى الجبليون، فقد أضاف عدة فرق منهم إلى جيش الشرق، ولكن صهره وخليفته (زينو) وهو أيزوري المولد سار قدماً في تنفيذ هدف الخطة، فاتخذ جنده من الأرمن وغيرهم من سكان الحدود الرومانية الشرقية، بالإضافة إلى أنه ترك لخليفته (**أناستاسيوس**) جيشاً كانت العناصر الوطنية فيه تتفوق عددياً على الخلفاء البرابرة الذين كانوا يتألفون حينها من أعداد متساوية من التيوتون والهون(١).

**جـ - إمبراطورية الروم في القرن السادس:**

**أصبح جند المحالفين يلتزمون نطاقاً محدداً بما يمليه العقل والمصلحة في القرن السادس،** فقد كان يوازنهم آنذاك الخيالة الثقيلة من آسيا الصغرى، وهم الكاتافراكي (catcpharaci) الذين أبدا **بروكوبيوس** عظيم إعجابه بهم، وكانت هذه الجند الراكبة (cuirassiers) المسلحة بالقسي هي التي ظفرت بكل انتصارات (**يوستيناس**). بيد أن جند المحالفين تركت ورائهم نظاماً سيئاً للتجنيد انتشر في الجيش بأكمله، ذلك أن القائد هو الذي كان يجمع جنده ويعولهم، وليست الحكومة المركزية، أما الفرق أو الكتائب التي تحمل أسماء نظامية فكانت مجهولة آنذاك، فكان كل جيش يسمى باسم قائده وكانوا جميعاً يسمون باسم مرتزقة الجرايات أو التموين:(bucellarac) بوكلاري(٢).

**إن عدم إناطة أي قدر كبير** من السلطة أو مقدار ضخم من المال بأي قائد من القواد. **زاد النظام سوءاً ولا سيما ما جرت به عادة (يوستيناس)** وكانت نتيجة ذلك أن حروبه كان يعرقلها على الدوام التمرد والتذمر. كما أن انتصاراته كانت راجعة إلى عبقرية قائديه: (بليساريوس)، والخصي

---

(١) أومان - الامبراطورية البيزنطية، ت مصطفى طه بدر، القاهرة، دار الفكر العربي عام ١٩٥٣م ط١، ص٤٩.

(٢) ستيفن - رنسيمان - الحضارة البيزنطية، مصدر سابق، ص١٦١.

(نارسيس) ثم تمخض العسر المالي الذي لزم السنوات الأخيرة لحكم يوستينانوس وعهد يوستبنوس الثاني عن نقص في عدد المرتزقة الأجانب، فلم تعد مالية الدولة تستطيع القيام بنفقات الجند المحالفين وربما أدى ذلك إلى إنقاص عدد الجيش الإمبراطوري، إلاّ أنّ الإمبراطورين الذين جاءا بعدهما وهما: طيريوس، وموريقوس، تمكنا من إلغاء نظام مرتزقة الجرايات.

**وفي البحث المسمى (strategi) وصف لنظام الجيش الجديد، وكانت الوحدة هي السرية** التي يعبّرون عنها بأسماء mumerus, arithmas, tagma حيث لم يكن التحويل من اللاتينية إلى اليونانية تاماً حتى ذلك العهد. كما أن نداءات التدريب كانت مختلطة بوجه خاص، وكانت السرية مكونة من ثلاثمئة أو أربعمئة جندي يقودهم رائد (cames) أو تربيون (tribune) فإذا اجتمعت ست سرايا أو سبع أو ثمان تكونت منها كتيبة (Mairx) بقيادة قائد كتيبة (Marak) أو دوق (Dux) وكانوا يحتفظون بسر الأعداد قصداً، حتى لا يستطيع الأعداء تقدير حجم الجيش، وكان تجميع السرايا من اختصاص القائد العام عندما تدور رحى الحرب، ولم تكن هناك فرق مستديمة، إلا فرق مرتزقة الجرايات (البوكلاري) والجند المحالفين (Faderati) والجند المختارين (Dptimti) وهم بقايا المرتزقة الأجانب الذين كانوا - يشكلون جزءاً من الحرس الإمبراطوري. وفضلاً عن ذلك فقد فكر موريقيوس في خطة لإنشاء قوة محلية مرابطة تقتضي أن يتعلم كل رجل حر الرماية، وأن يمتلك قوساً ورمحاً حتى يستطيع الدفاع عن إقليمه وقت الغزو، ويستطيع أحدنا أن يقول: إلى أي حدٍ نفذت هذه الخطة؟. ولكن الذي لا شك فيه أن المواطنين كانوا يستدعون للخدمة في قلاع الثغور ليقوموا بواجب الدفاع وكان الجيش الذي أعاد تنظيمه (**قيبريوس، وموريقيوس**)، هو الذي اقتاد هرقل إلى ساحات النصر في حروبه الطويلة مع فارس، وهو الذي اجترفه اندفاع العرب[1].

---

(١) د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، ط١، مؤسسة النوري، دمشق ص١٥٧.

**اشتد ساعد الفرس لما أطل القرن السادس فبدؤوا يقتطعون أجزاء الدولة الرومية فقطعوا** معظم آسيا الصغرى بالإضافة إلى الشام ومصر، وأخذوا يستعدون للمضي إلى شمال إفريقية. فلم يكن للإمبراطورية الرومانية بد من أن تبذل ما تبقي في كيانها الواهن من قوة لتدفع خطرهم، حتى إذا تمكنت من ذلك على يد **هرقل،** لم يبق لها بعد ذلك من القوة ما يقيمها على أرجلها، إذ كانت الحروب قد كلفتها الثمن الغالي، فبدأت تعتصر دماء من بقي لها من الرعايا حتى كادت توردهم موارد التلف فبدؤوا يحتجون ويعترضون، فلجأ الحكام إلى العنف يقضون به على ما بدا لهم من بوادر الاضطراب، فاشتد الحقد وتأصلت الكراهية بين الحاكم والمحكوم، حتى تناول كل مرافق الحياة، فشبَّت الفتنة وأهوى الحاكم على رأس المحكوم سياط الظلم، وأبى المحكوم أن يجيب أو يطيع، فعظم الاضطهاد وسالت الدماء، واشتعلت بعض نواحي الدولة كمصر وإفريقية بهذه النار الحامية، فأتت على ما فيها وحققت إفريقيا ما قاله **(كوريبوس)** فيها عندما وصفها بقوله: «إن إفريقية التي كان يتصاعد منها الدخان كانت تختفي بين ألسنة النيران».

### د - الإمبراطورية الرومية في النصف الأول من القرن السابع للميلاد :

**أعمال هراكلوس (هرقل) التنظيمية: حين اعتلى هرقل العرش كانت الدولة في حالة خراب تام (٦٤١ - ٦١٠) وهو أحد كبار أباطرة بيزنطة. فالخزينة فارغة والأوضاع الاقتصادية سيئة إلى أبعد الحدود، والجهاز الإداري تنخره أمراض كثيرة، والى جانب هذا كان الجيش الذي يعتمد على الجنود المرتزقة غير قادر على القيام بمهامه لعدم وجود المال اللازم ولعدم توفر عناصر المرتزقة التي تقبل الانخراط فيه. وكانت المقاطعات المركزية والهامة خاضعة لحكم الأعداء، فالسلاف والآفاريون كانوا قد استقروا في البلقان، والفرس يتمتعون بمراكز قوية في قلب آسية الصغرى، ولم يكن ينقذ الإمبراطورية من الهلاك إلا جبهة داخلية منظمة متماسكة قوية. كانت عناصر التجديد من سياسية واجتماعية وثقافية متوفرة في بيزنطة نفسها، وقد رأى هيراكلوس أول الأمر**

**أنه من الخير أن ينقل مركز حكمه من القسطنطينية إلى قرطاجة لكي يتمكّن من مواجهة أعدائه الجدد، ولكنه لم يتمكن من تنفيذ فكرته بسبب معارضة البطريرك سرجيوس لها من جهة. والأثر السيء الذي تركته هذه الفكرة في نفوس سكان القسطنطينية من جهة أخرى.**

**- الحرب مع السلاف والآفاريين:**

**بدأت تستقر في البلقان جماعات من السلاف في نهاية القرن السادس،** وحيث فشل الإمبراطور (موريس) في حملاته على الدانوب، في مطلع القرن السابع، بدأ الاحتلال السلافي للبلقان يأخذ شكلاً واسعاً. فأخذت أعداد كبيرة جداً من قبائل السلاف والآفاريين تزحف على شبه جزيرة البلقان، وتنتشر من شواطئ الأدرياتيك في الغرب حتى بحر إيجة في الجنوب والشرق. وبعد غارات عنيفة وعمليات سلب ونهب واسعة النطاق، عاد الآفاريون إلى المنطقة الواقعة شمال الدانوب، ولكن السلاف كانوا قد استقروا في البلقان وتملكوا أراضيه وأقصوا النفوذ البيزنطي عنه. وقد احتل هؤلاء السلاف جميع مكدونيا كما احتلوا مويزيا (Moesia) ودقوا بأيديهم أسوار القسطنطينية نفسها وقد قاموا بهجمات عنيفة على تيسالونيكا (Thessalanicx)، هذه المنطقة التي طالما تعرضت لهجمات السلاف والآفاريين واعتداءاتهم. واستمرت الموجة السلافية في سيرها حتى وصلت إلى بلاد اليونان الوسطى ومنطقة البيلوبونيز (pelopanes) التي تليها، وانتقلت منهما إلى بعض الجزر اليونانية وصولاً إلى كريت.... كانت الموجة السلافية عارمة أيضاً في زحفها باتجاه دالماسيا (Dalmatia). وقد تمكن السلافيون عام ٦١٤ من تخريب سالونا (Salonx) عاصمة دالماسيا، خراباً تاماً، مما هدد بزوال النفوذ البيزنطي عن الأقسام الغربية من شبه جزيرة البلقان أيضاً، وقد سقطت بيد السلاف مدن أخرى كثيرة[١] إلى جانب

---

(١) د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص١٧٧.

سالونا كالمدن التي تعرف حالياً باسم بلغراد وصوفيا وغيرهما، ولم يبق لبيزنطة في البلقان إلا بعض المراكز القليلة. وقد تبع الغزو السلافي للبلقان قيام تغيرات هامة فيها. وظهرت آثار الغزو هذه في جميع أنحاء شبه الجزيرة البلقانية. أما في المقاطعات اليونانية التي وقعت تحت سيطرة السلاف كمنطقة البليوبونيز، والتي ظلت تحت نفوذ السلاف لمدة مئتي سنة، فإن التأثير السلافي لم يكن قوياً ولمْ يُتح له أن يُصبِغَ اليونان بصبغته، وقد تمكنت السلطات البيزنطية في اليونان من أن تسترجع بالتدريج ما وقع تحت حكم السلاف، كما استطاعت أن تحتفظ بالطابع القومي للأرض اليونانية، لقد ظل الجزء الأكبر من البلقان سلافياً، ولم تستطع الدولة الرومية أن تعيده، على الرغم من كل ما بذلته من جهود.

**- الحرب مع الفرس (هجوم فارس):**

إن الهجمات البيزنطية المعاكسة في سورية وأرمينية انتهت بالفشل. **على الرغم مما حققته بيزنطة من فوز على الفرس عام ٦١١ إذ أجبرتهم على الانسحاب من (قيسارية)**، ولم تحقق ما عُلِّقَ عليها من آمال. وقد منيت الجيوش الإمبراطورية بهزيمة كبيرة **عام ٦١٣** أمام الفرس في موقعة قرب أنطاكية مما شد الفرس على تقوية مركزهم في أغلب الجبهات التي كانوا يحاربون فيها ضد البيزنطيين، فتقدموا باتجاه الجنوب واحتلوا **دمشق** ثم ساروا شمالاً إلى **كيليكيا** واحتلوا قلعة **طرطوس** الحصينة كما تمكنوا من طرد البيزنطيين من أرمينية. ولعل أقسى الضربات المعنوية الموجهة إلى الروم هي احتلال الفرس لمدينة **القدس** بعد أن حاصروها لمدة ثلاثة أسابيع. **وفي سنة ٦١٥** عاود الفرس هجماتهم على آسيا الصغرى وتوالت هجمات بعض فرق جيشهم حتى وصلت حدود البوسفور..... وهكذا أطبق أعداء بيزنطة على العاصمة من جهتين، فقد سار الفرس باتجاه القسطنطينية من جهة الشرق، بينما سار الأفاريون والسلاف من جهة الشمال، وكاد في هذه الفترة أن يقع الإمبراطور نفسه ضحية مؤامرة دبرها الأفاريون حين كان مجتمعاً

مع رئيسهم[1] للمفاوضة مع هيراكليا **وذلك سنة ٦١٧. وفي ربيع عام ٦١٩ بدأ غزو الفرس** لمصر التي كانت أغنى مقاطعات الإمبراطورية البيزنطية. وقد أدى هذا الغزو إلى إنقاص مؤن العاصمة ولاسيَّما الذرة التي كانت تُستورد من مصر في الغالب. وبدا أن الفرس سيسترجعون أمجاد الإمبراطورية الأخمينية، وهكذا أصبح معظم الشرق في قبضة الفرس.

**الإعداد للحرب مع الفرس:** أراد **هيراكليوس، بعد هذا، أن يتفرغ لحروبه في آسيا فوقع معاهدة صلح مع الآفاريين ودفع لهم أتاوة كبيرة وذلك لكي يتمكن من نقل جنوده من الميادين الأوربية إلى الميدان الآسيوي، وفي الخامس من نيسان عام ٦٢٢م، وبعد أن أقيم له حفل ديني كبير غادر هيراكليوس العاصمة إلى آسيا الصغرى، حيث بقي الصيف بكامله يدرب جنوده، ويقوم هو بدراسة التكتيك العسكري ويقوي معلوماته العسكرية بتقوية خيالته التي كانت تزداد شأناً في الجيش البيزنطي، كما أنشأ قوة من الرماة راكبة الخيول.**

**القتال في أرمينية:** **وقد بدأ القتال الفعلي في خريف عام ٦٢٢م حين تمكن هيراكليوس بمناورة عسكرية بارعة من أن يشق طريقه إلى أرمينية وقد أجبر هذا، الفرس على ترك مواقعهم في الممرات الجبلية في آسيا الصغرى ليلحقوا بالجيش الإمبراطوري وقد تقابل الجيشان البيزنطي والفارسي على أرض أرمينية، وجرت بينهما معركة كبيرة انتهت بفوز كبير للبيزنطيين على خصومهم الفرس الذين كانوا بقيادة القائد الفارسي المشهور (شهر - براز). وهكذا حقق هيراكليوس أول أهدافه وحرر آسية الصغرى من الفرس الذين كانوا يحتلون بعض مقاطعاتها.**

**حاول خان الآفاريين أن ينقض الصلح، في أثناء غياب الإمبراطور عن العاصمة،** فعاد **هيراكليوس** بسرعة إلى العاصمة وزاد في الجزية التي كان يدفعها للآفاريين، وأرسل بعض أمرائه كرهائن عندهم، حتى يتمكن من متابعة

---

(١) كان رئيس الآفار يعرف بلقب خان.

حروبه ضد أعدائه الفرس. وقد استطاع في آذار عام ٦٢٣ أن يعاود حروبه ضد فارس، بعد أن رتب أموره مع الآفاريين. وعلى الرغم من أن الفرس كانوا قد كُسروا أمام بيزنطة في السنة الفائتة. فقد رفض **كسرى فارس** أن يقبل بتوقيع هدنة مع البيزنطيين، وأرسل رسالة كلها شتائم **لهيراكليوس،** كما ضمنها أبشع السباب للديانة النصرانية، قطع **هيراكليوس** (كابادوكيا) في طريقه إلى أرمينية مرة أخرى واحتل مدينة (دفين) Dvin، وهدمها بكاملها كما هدم مدناً أخرى، وهكذا تقدم هرقل طارداً جيوش كسرى في أذربيجان وأرمينية، واستولى **عام ٦٢٣ - ٦٢٤** على مدينة «**غنزك**»[(١)] Gonzak **عاصمة أول إمبراطور ساساني (أردشير)** والمركز الديني الهام بالنسبة للفرس. واضطر كسرى للهرب من (**غنزك**) وسقطت المدينة بأيدي البيزنطيين، فهدموا معبد النار، أهم معابد الديانة الزرداشتية، انتقاماً لما فعله الفرس حينما هاجموا القدس فنهبوها. بعد هذا انسحب هيراكليوس بعد أن أسر أعداداً كبيرة من الفرس ليقضي الشتاء وراء منطقة الأراكس، وفي هذه المنطقة اتصل هيراكليوس ببعض القبائل القوقازية النصرانية وتمكن من أن يقنع الكثيرين من أفراد هذه القبائل بالانضمام إلى جيشه. وفي السنة التالية قضى هيراكليوس معظم وقته في أرمينية يرد على الهجمات الضارية التي شنها ضده الفرس من جديد، وقد حاول أن يخترق الحدود الفارسية مرة أخرى ولكنه فشل في ذلك. فحاول عام ٦٢٥ م، ولكنه لم يتمكن أيضاً في هذه المرة من أن يصل إلى أرض عدوه من جهة كيليكيا، فلم يحقق نصراً حاسماً يفتح لجيوشه أبواب فارس مرة أخرى[(٢)].

---

(١) آرثر كريستنسن - إيران في عهد الساسانيين (تعريب يحيى الخشاب + عبد الوهاب عزام) ط١، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤١٣.

(٢) د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص١٧٩.

- **هجوم فارسي معاكس فاشل:**

**قويت معنويات الفرس بعد هذه المحاولة الرومية الفاشلة فعادوا للهجوم على بيزنطة. وفي عام ٦٢٦** واجهت القسطنطينية خطراً مزدوجاً بهجوم الفرس والآفار عليها، وكان هذا جل ما يخشاه هيراكليوس، لذلك كان يحاول دوماً أن يشتري ود الآفاريين بدفع الأتاوة لهم حتى لا يضطر أن يخوض حرباً مزدوجة ضد خصمين في وقت واحد.

سار القائد الفارسي (**شهر - براز**) على رأس جيش قوي عبر آسيا الصغرى **واحتل (خلقدونية)** وعسكر بجنوده على ضفاف البوسفور. وبعد هذا بقليل سار (**خان الآفاريين**) على رأس قوة من القبائل الآفارية والسلاف والبلغار واتجهوا صوب القسطنطينية من جهة البر والبحر. حاول البطريرك (سرجيوس)، بطريرك القسطنطينية، أن يلهب حماسة الشعب الدينية، فأخذ يلقي المواعظ الدينية ويقيم المواكب والصلوات، بينما كانت حامية القسطنطينية تقوم بدور بطولي في الدفاع عن العاصمة. وقد ساعد البيزنطيين في هذه المعركة قوة أسطولهم البحري. وفي العاشر من آب سنة **٦٢٦م** تمكن الأسطول البيزنطي من كسر أسطول السلاف مما أدى إلى إصابة جنودهم البريين بهزيمة منكرة أمام القوى البيزنطية. وقد انتهت المعركة بقتل عدد كبير من جنود الآفاريين وحلفائهم، وتراجعت قواتهم تراجعاً فوضوياً زاد في خسائرهم، وقد ساعد انكسار الآفاريين على فشل الهجوم الفارسي، فاضطر (**شهر - براز**) للجلاء عن (خلقدونيا) وتراجع بقسم من الجيش إلى سورية تاركاً وراءه مساعده في القيادة (**شاهين**) الذي كسر على يد أخ الإمبراطور هيراكليوس المسمى بـــ (ثيودور). **واستعد البيزنطيون مرة أخرى لشن هجماتهم المعاكسة**. وهكذا انتهت الأيام الحرجة من حياة بيزنطة.

**أولاً - معركة نينوى:**

**كان الإمبراطور هيراكليوس مع جيشه بعيداً في (لازيكا)** Lazica، **حين كانت العاصمة محاصرة ومهددة**، فعقد تحالفاً مع الخزر، كما فعل في الماضي

مع القبائل القوقازية، وأصبح التحالف البيزنطي - الخزري مظهراً أساسياً من مظاهر السياسة الإمبراطورية في الشرق، وحين أصبح الخزر حلفاء بيزنطة، حاربوا الفرس إلى جانبها في الجبهة الأرمنية والقوقازية. وفي خريف عام ٦٢٧ بدأ **هيراكليوس** زحفه نحو الجنوب باتجاه أراضي أعدائه، وكان عليه في هذا الزحف أن يعتمد على قواته الخاصة، لا على مساعدة الخزر الذين لم يتحملوا مشاق المعارك السابقة، فانسحبوا إلى بلادهم، ولكن بالرغم من هذا ففي مطلع شهر كانون الأول، كان هيراكليوس على أبواب «**نينوى**». وفي هذا الموقع خاض جيشا بيزنطة وفارس موقعة كبيرة قررت مصير الصراع بينهما فقد قضى البيزنطيون على معظم الجيش الفارسي، وسجلوا انتصاراً ضخماً على أعدائهم. وتابع **هيراكليوس،** بعد هذا النصر، زحفه فاحتل في مطلع عام ٦٢٨ مدينة (داستا غيرد Dastagerd)، المدينة المحببة جداً إلى كسرى الفارسي. وفر **كسرى** من المدينة، وفي ربيع **٦٢٨** تطورت الحوادث داخل فارس تطوراً جعل القتال أمراً غير ضروري. فقد خلع كسرى وقُتِل وأُجْلِسَ على العرش ابنه (كافاز شيرو - Shiro Javaze) (قباذ).

عقد كسرى الجديد معاهدة مع البيزنطيين قبل فيها بما أملوه عليه من شروط. وهذه المعاهدة ضمنت لبيزنطة عودة ما كان يخصها من أراض كأرمينيا والجزء الروماني من منطقة ما بين النهرين وسورية ومصر، التي عادت جميعاً تتبع بيزنطة، كما كان الحال في السابق. وبعد شهور قليلة وحين كان الملك الفارسي (**شيرو**) على فراش موته عُيِّنَ الإمبراطور البيزنطي وصياً على ولده الصغير. وهكذا انقلبت الحال فبعد أن كان كسرى يدعو هيراكليوس بعبده، أعلن شيرو أن هيراكليوس هو سيد ابنه وسيد فارس. وبعد غياب ست سنوات عن العاصمة عاد **هيراكليوس** إلى القسطنطينية، فاستقبله رجال الدين وأعضاء مجلس الشيوخ، والشعب الذين كانوا حاملين أغصان الزيتون والشموع المضاءة ومنشدين له أناشيد النصر. وساروا إلى شاطئ آسيا الصغرى ليشاركوا في موكب الإمبراطور عند دخوله العاصمة. وبعد استراحة قصيرة في العاصمة ذهب **هيراكليوس** إلى القدس، ووسط مظاهر

الاحتفال، أعاد تنصيب الصليب المقدس الذي استرجعه من الفرس، وأضفى بهذا الشكل الصيغة الدينية على حروبه ضد الفرس.

- **انتصار بيزنطة:**

**وهكذا، حطمت بيزنطة العدوين اللذين ارتعدت منهما لفترة من الزمن.** بعد حروب طاحنة ضد الفرس والآفاريين فقد حطمت معركة نينوى قوة فارس[١] وتهاوى جبروت الآفاريين بعد فشلهم في حصار القسطنطينية وهزيمتهم التي أعقبت فشل هذا الحصار. وقد كان لهزيمة الآفاريين أثر كبير تجاوز نطاق حدود بيزنطة، إذ إن القبائل التي كانت خاضعة لحكمهم أخذت تتمرد عليهم ولاسيَّما السلاف الذين ثاروا ضد الآفاريين وأسسوا لأنفسهم مملكة تحت حكم زعيمهم سامو (Sami).

**ثارت القبائل البلغارية التي كانت تسكن شمال البحر الأسود وبحر الخزر،** على الآفاريين أيضاً، وبعد ثورة السلاف ببضع سنوات، وسلموا أمر قيادتهم في ثورتهم هذه إلى زعيم منهم اسمه (كورفات) Kurvat وقد ساعد البيزنطيون كورفات في نضاله ضد الآفاريين وعقد هيراكليوس تحالفاً معه، وأعطاه لقب (قائد بيزنطي) وعمده عضواً في الكنيسة النصرانية[٢] وهكذا فقد دفعت فارس ثمن أحلامها في منفذ على البحر المتوسط تكمل به سيطرتها التجارية، بسيطرة رومية شبه كاملة عليها بعد أن أوشكت أن تثبت قدمها الأولى على ساحل المتوسط[٣].

---

(١) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية - ترجمة د. حسين مؤنس + د. محمد يوسف زايد - القاهرة - ١٩٥٠. ص١٢٢.

(٢) د. نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص٩٣.، مصدر سابق + د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص١٨١.

(٣) إبراهيم العدوي - الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، نشر المطبعة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٥٢م، ص٣١.

**هـ - دومة الجندل وذات أطلاح:**

**تقع دومة الجندل في الطرف الشمالي الغربي للجزيرة العربية** مما يلي الشام وعلى بعد ست عشرة ليلة من المدينة وخمس ليال من دمشق وسبب هذه الغزوة أن استخبارات الرسول العربي (e) حصلت على معلومات مفادها أن قبائل دومة الجندل قد أخذت في التجمع لغزو المدينة وأنها تخيف الناس وتقطع الطرقات وتظلم من يمر فيها. فقرر الرسول القائد (e) تأديبهم وجرد حملة قوامها ألف مقاتل وسار بهم إلى دومة الجندل بعد أن استخلف (سباع بن عُرًفطة الغفاري) على المدينة حتى عودته. سار الجيش الإسلامي وعلى رأسه الرسول القائد بأقصى سرعة لكي يأخذ الأعداء على حين غرة، وزيادة في التمويه العملياتي، كان يسير في الليل ويعسكر متخفياً في النهار، وعندما علم الأعراب المتحشدون بقرب وصول الجيش الإسلامي إلى مكان تجمعهم. انتابهم الرعب، فتفرقوا بسرعة تاركين منازلهم ومواشيهم قبل يوم واحد من وصول الجيش الإسلامي إليهم. عسكر الجيش الإسلامي في دومة الجندل وأرسل الدوريات الاستطلاعية لاقتفاء أثر الأعراب الذين كانوا محتشدين، فلم يعثر لهم على أثر، ولم تجد هذه الدوريات إلا رجلاً واحد أتوا به إلى الرسول العربي، فسأله عن قومه فأخبره خبرهم، وعرض عليه الإسلام، فأسلم وانضوى تحت راية الثورة الإسلامية[١].

**وهكذا حققت غزوة دومة الجندل أهدافها**، وعاد الرسول العربي إلى المدينة بعد غياب دام خمسين يوماً. وقد حدثت الغزوة في المحرم من السنة الرابعة للهجرة[٢]. ويقول العماد أول مصطفى طلاس: (لا شك في أن الرسول القائد قد

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين ط١٩٥٧م، نشر الدكتور صلاح المنجد، ص٨٢ - ٨٤.

(٢) ذكر الواقدي أنها في ربيع الأول على رأس ٤٩ شهراً أي في السنة الخامسة في شهر ربيع الأول ، وكذلك ذكر الطبري نقلاً عن الواقدي ، وكذلك ابن الأثير في الكامل ج٢/٦٤- الطبري ٥٦٤/٢ ، المغازي للواقدي ٤٠٢/١.

هدف من هذه الغزوة الاقتراب من الشام لكي يرهب قيصر، ويخيف الرومان الذين كانوا يحتلون سورية). وتعتبر دومة الجندل أول إطلالات العرب المسلمين العسكرية على فلسطين لتحريرها من الاحتلال الروماني.

**يذكر الواقدي في (مغازي رسول الله)** أن سرية كعب بن عمير التي سارت إلى (ذات أطلاح) من أراضي الشام، كانت عبارة عن دورية قوامها خمسة عشر رجلاً مهمتها الأساسية الدعوة إلى الدين الجديد ثم استطلاع أوضاع العدو، ولما وصلوا إلى «ذات أطلاح» وجدوا أن عدد الأعداء كبير، ومع ذلك فقد اشتبكوا وثبتوا في لقاء العدو حتى استشهدوا جميعاً إلا واحداً استطاع أن يعود إلى المدينة ويخبر الرسول القائد بأخبار الدورية. وأراد الرسول العربي أن يجهز حملة كبيرة بعد ذلك لكنه عرف بهروب الأعداء واختفائهم فعدل عن رأيه.

## ثانياً - معركة مؤتـة ٥ هـ:

**لقد تدرج العرب المسلمون في أعمالهم العسكرية التحريرية** في مناطق الحدود بين الشام والحجاز، عاملين على نشر دينهم ونفوذهم السياسي والعسكري، لا يدخرون في ذلك وسعاً، ولا تفوتهم فرصة. وكانت الحملة التي سيروها إلى مؤتة، في شهر جمادى الأول للسنة الثامنة للهجرة (أيلول عام ٦٢٩م)، الحملة الثالثة التي طرقت ديار الروم، ولئن وقفت الحملتان الأوليتان في منطقة الحدود، ولم تتوغلا في الأراضي المعمورة، فقد بزتهما هذه الحملة، وواصلت تقدمها حتى بلغت قرية مؤتة، والمعروف أنها كانت تقصدها بالذات[١].

**وصف مؤتة: مؤتة، اسم قرية، ما تزال قائمة في جنوب شرقي الأردن الغربي، وتقع شرقي البحر الميت وجنوبي الكرك وتبعد عنها ١١كم، وعلى مقربة**

---

(١) راجع أسباب الفتوح - باب الحرب عند العرب في الجبهة الشمالية. في موسوعة السياسة والحرب عند العرب، للمؤلف، ص١٨٣.

من قرية مؤتة الحاضرة إلى شرقيها، المزار، ويبعد عنها نحو (١كم)، وفي المزار قبور الشهداء الذين سقطوا في معركة مؤتة، وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، وقبورهم معروفة تزار حتى الآن، ولم يبق من المشهد المؤسس لهذه الأضرحة سوى قوس كبير تحيط به جدران فيها محراب من الجنوب وعلى بعض حجارة الجدران المتساقطة كتابة عربية تقرأ بعض حروفها بصعوبة، ويظهر أنها البسملة وبعض آيات الكتاب الكريم، ويُظن أن هذا البناء أقيم في مكان المعركة تذكاراً لها، ويقال إنه أنشى في عهد الملك الظاهر بيبرس أو في عهد صلاح الدين بن أيوب، أي في بعض مراحل الحروب الصليبية، وقد جاس الصليبيون تلك الجهات[١].

### أ - أسباب حملة مؤتة:

ويقول بعض رواة السيرة أن السبب في بعث مؤتة هو قتل شرحبيل بن عمرو الغساني، عامل بني غسان في مؤتة، رسولاً للمسلمين اسمه الحارث بن عمير الأزدي، أوفده النبي بكتاب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب بصرى، خلافاً للأصول والقواعد المتبعة في احترام الرسل وكان الحارث بن عمير (أي رسول النبي) يحمل كتاباً خاصاً، فلما نزل مؤتة أخذه شرحبيل وضرب عنقه ولم يقتل من رسل النبي غيره - ولم يشر المؤرخون إلى ما انطوى عليه هذا الكتاب ولم يذكروا شيئاً مما تضمنه خلافاً لعادتهم، يضاف إلى هذا، أن ابن هشام لم يورد سبباً لبعث هذه الحملة، وليس من عادته أن يغفل ذكر الأسباب، وكذلك فعل ابن اسحق.

### ب - قوة الحملة وطريقها:

تألفت الحملة من ثلاثة آلاف مقاتل، ولّى النبي مولاه (زيداً بن حارثة) قيادتها، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب، فعبد الله بن

---

(١) أمين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية - مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر - ١٩٣٥، ط١، ص٤٦.

**رواحة،** فإن أصيب فليرتض الناس رجلاً من بينهم يولونه عليهم[1] أي أنه كان يعرف صعوبة العمل الذي يقدم عليه وخطورته، وكان في هذه الحملة عدد من أقطاب الصحابة وكبارهم، وأمر النبي زيداً حين سفره، أن يقصد المكان الذي قتل فيه الحارس بن عمير (أي مؤتة) ليدعو من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوه فهو المقصود، وإن أبوا فليستعين بالله وليقاتلهم. **وقال له:** (أوصيك بتقوى الله وبمن معك خيراً. اغزوا باسم الله، في سبيل الله من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً ولا فانياً ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناءً)[2].

**غادرت الحملة سالكة طريق القوافل، الطريق السلطاني،** بين الشام والحجاز، فاجتازت (تبوك) حتى نزلوا (معان) فنزلت الحملة فيها، وتبعد عن المدينة ٨٤٣ كم من جهة الشمال وهي أول بلاد الشراة.

### جـ - استعدادات الروم وحلفائهم:

**جمع شرحبيل بن عمرو الغساني،** عامل مؤتة القوى للقاء، وهو الذي قتل الرسول الحارث بن عمير الأزدي، وأوقد هذه الحرب، قد جمع. ويقدر بعض المؤرخين القوى التي اجتمعت في مؤتة لقتال المسلمين بمئتي ألف مِن الروم ومَن حالفهم مِن العرب ونرى في هذا الرقم كثيراً من المبالغة، لأن جمعَ هذا الجيش لا يتيسر في أسبوع أو أسبوعين، بل لابُدَّ من شهر، يضاف إلى هذا، أنه ما كانت هنالك ضرورة تقتضي بحشد مثل هذه القوى الكبرى، ويلوح لنا أن الجيش الذي احتشد بمؤتة ما كان

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٣٩ ج٢ - ص٣١٩.

(٢) أمين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٥، ص٤٨.

يزيد عن بضعة آلاف، ويؤيد هذا قلة عدد قتلى المسلمين في تلك المعركة، فما زاد عن[1] ١٢ قتيلاً، ولو كان هناك مئتا ألف يقاتلونهم لما سلم منهم إلا القليل فعلم قائد الحملة وهو في معان.

**ولكن مما لاشك فيه أن قوة الخصم كانت تعادل أضعاف عدد العرب المسلمين** في هذه المعركة. حار العرب المسلمون فيما يفعلونه **فكانوا بين رأيين**: رأي يقول بالتوكل على الله والمضي في القتال ورأي يقول بالتريث، ومكاتبة المدينة وإبلاغها خبر العدو وما أعده من قوى ومعدات وانتظار تعليماتها والسير بمقتضى هذه التعليمات عند وصولها[2] وتشاوروا وأطالوا، وأخيراً اتفقت كلمتهم على مواصلة التقدم والزحف من دون استشارة المدينة أو طلب نجدات منها، فساروا من معان إلى مؤتة ولا تقل المسافة عن ٨٠٠ كيلومتر، فالتقوا بالعدو في قرية مشارف (ولم نعثر على أثر لهذه القرية في الوقت الحاضر، وربما كانوا يعتبرون تلك الجهات منتهى الحدود بين الحجاز والشام فأطلقوا اسم مشارف على المرتفعات البسيطة هناك. وربما أبدل اسمها بالمزار، بعد من دفن فيها من الصحابة، إذ كان لابُدَّ من وجود قرية هناك بهذا الاسم وإلا فلا يعقل أن يطلق اسم المزار على هذه القرية قبل أن تشاد فيها أضرحة القواد).

**والعرب يطلقون اسم المزار على القرى التي فيها أضرحة مقدسة**. مثال ذلك قرية في جبل عجلون يطلق عليها اسم (المزار) وتعرف أيضاً بمزار أبي عبيدة عامر بن الجراح بطل الفتوحات الكبرى في الشام، وليس من شك في أن هذا الاسم أطلق على هذه القرية أيضاً بعد أن دفن أبو عبيدة في الثغور على بعد غير قليل منها.

---

(١) أمين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، مطبعة عيسى البـــابي الحلبـــي، مصر سنة ١٩٣٥،ص٥١.

(٢) محمد كرد علي - خطط الشام ١٩٦٩م، ج١، ص٧٣.

### د - المعركة :

**لا جرم في أن الموقف الذي فرض على العرب في هذه الموقعة كان من أخطر المواقف العسكرية،** إذ كانت موازين القوى تميل بشكل هائل لصالح العدو بالإضافة إلى عامل الأرض والزمن، مع العلم أنه لم يصل، حتى ذلك الوقت، جواب القائد الأعلى (الرسول) عن الرسالة المبعوثة نظراً لطول المسافة ووسائل نقل ذلك الزمن التي يقدر الخبراء حاجتها إلى ستة أيام على أسرع الخيول.

**وأيقن القائد زيد أنه أمام معركة لا محالة،** ولكنه قرر الدخول في القتال، وهدفه ليس تدمير العدو، ولكنه هدف استراتيجي يرفع مكانة العرب المسلمين في الجزيرة العربية عبر تجرئهم على إمبراطورية الروم. لذلك أمر القائد زيد بأن ينحاز العرب المسلمون إلى قرية مؤتة، ثم اتخذ العرب ترتيباً قتالياً مناسباً بأن قسم الجيش إلى خمسة أقسام هي (المقدمة والقلب والميمنة) بقيادة قطبة بن قتادة. (والميسرة) بقيادة عبابة بن مالك (والساقة)[(1)].

**كان القائد زيد بن حارثة من أعظم** أولئك الشباب قيادة فقد كان الرسول لا يخرجه إلى القتال في سرية إلا جعله أميراً عليها.

**زيد بن حارثة قائد مجرب،** فباختياره موقع مؤتة، ومضة عبقرية، لأن تضاريس مؤتة الوعرة تؤمن للقوات العربية القليلة حصناً طبيعياً بالإضافة إلى قربها من الصحراء إن اقتضى الموقف الانسحاب. فلهذين السببين اختار زيد مؤتة مسرحاً لأعماله الحربية في غزوته هذه. بعد أن قام العدو بالهجوم بكل قواته، اتخذ زيد قراره بالهجوم أيضاً، وهو على رأس المقدمة، وقاتل القائد مع جيشه قتال الأبطال حتى استشهد، فتسلم القيادة خلفه **جعفر بن أبي طالب** فعمد هذا القائد العربي إلى شيء يبث الشجاعة في نفوس جنده، فاقتحم على فرس له شقراء، فعقرها ثم قاتل حتى استشهد، وبهذه الطريقة أثار

---

(١) ريزنيتشكنو - التكتيك ترجمة العميد عبد الرزاق الدردري، ط٢ - وزارة الدفاع، دمشق، ١٩٦٧م، ص٥١٩.

مشاعر جنده الذين كانوا يعيشون معركة من أصعب المعارك في تاريخ العرب، ثم تسلم القيادة **عبد الله بن رواحة**، فأخذ الراية ثم تقدم بها وهو على فرس يستنزل نفسه بالشعر قائلاً:

| | |
|---|---|
| **يا نفس إن لم تقتلي تموتي** | **هذا حمام الموت قد صليت** |
| **وما تمنيت فقد أعطيت** | **إن تفعلي فعلهما هديت** |

**وقاد هجمة ثالثة على العدو حتى استشهد**، فأخذ القيادة (ثابت بن أرقم) بتسلمه الراية، ثم صاح: يا معشر المسلمين: اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا أنت، فقال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد.

**حين تسلم خالد بن الوليد القيادة**، قدر الموقف تقديراً دقيقاً ووجد أن الغزوة قد حققت هدفها وأن الاستمرار في القتال معناه هلاك المقاتلين العرب فقرر الانسحاب، فكأنه منذ ألف وثلاثمئة سنة ونيف قد أوحى بمفهوم الانسحاب لمجموعة فرق، فالانسحاب في أحدث التعاريف العسكرية المعاصرة هو: (نوع من الأعمال القتالية تلجأ إليه القوات بغرض إعادة تجميع خطوط ملائمة أو احتلالها أو للتخلص من ضربات العدو المتحملة)[١].

**وبدأ العرب بالانسحاب بعد أن نظموا أنفسهم مع حلول الظلام** فقسم خالد القوات إلى قسمين: القسم المنسحب وهو القسم الرئيس من القوات، وقسم الحماية وهو المؤخرة القوية، ونشبت اشتباكات الإعاقة لإحباط مطاردة العدو، وإنقاذ القسم الأكبر من قوات العرب المسلمين من التطويق وقد أفلح خالد حين نشر مؤخرة الجيش على جبهة عريضة وأحدث ضجة هائلة وأوهم العدو بقدوم إمدادات جديدة للمسلمين وجازت الخدعة على العدو، وبذلك تمكن خالد

---

(١) ريزنيتشكنو، التكتيك ت: الدردري، وزارة الدفاع، دمشق، ١٩٦٧م، مصدر سابق، ص٥١٩.

من تنفيذ عملية الانسحاب والتملص من المعركة بنجاح ومن دون أن يكبد قوات الثورة الإسلامية خسائر تذكر[1].

إن تحليل هذه الغزوة تحليلاً علمياً يؤكد أنها حققت أهدافها الرئيسية وهي: **أولاً**: رفع روح العرب المسلمين المعنوية وجرأتهم على الروم. **ثانياً**: استطلاع العرب قتال العدو وطرق تنظيمه لقواته وأسلحته. **وثالثاً**: تدريب القوات العربية وفرسانهم على الاشتباك مع هذه القوات عملياً. وفعلاً فقد كان فاتح الشام، خالد، من قادة هذه الحملة. أما خسائر العرب البشرية فقد كانت اثنتي عشر شهيداً يقابلها أكثر من ذلك بقليل من قتلى العدو.

## ثالثاً - معركة تبـوك ٩ هـ:

### آ - الموقف السياسي العسكري قبل المعركة:

**سيطرت الثورة الإسلامية، بعد فتح مكة وإخضاع هوازن، على الجزيرة العربية كلها** حتى حدود الشام والعراق، وأصبح الرسول العربي مسؤولاً عن إدارة هذه المناطق وتنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية فيها. وعندما أطمأن الرسول القائد إلى متانة جبهته الداخلية أخذ يتطلع إلى تحرير عرب الشام من سيطرة الإمبراطورية الرومانية، كانت أحوال الإمبراطورية مضطربة، ولاسيَّما في بلاد الشام، فقد كثر تذمر الناس من ظلم حكام الرومان، وإرهاقهم بالضرائب. فأقبل كثير من القبائل العربية على اعتناق الإسلام. وقد أسلم (فروة بن عمرو الحذامي) قائد إحدى الفرق الرومانية التي قاتلت المسلمين في غزوة مؤتة، فقبض عليه بأمر من هرقل بتهمة الخيانة، وكان هرقل على استعداد للإفراج عنه إن هو عاد إلى المسيحية، ولكن فروة أصر على إسلامه، فقتله هرقل.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، الرسول العربي وفن الحرب، إصدار الإدارة السياسية السورية سنة ١٩٧٢م. ط١، ص١١٢.

**خشي هرقل من قيام المسلمين بحملة لمقتل (فروة)**، فالدين الجديد وانتشاره بين نصارى العرب أخذ يقض مضاجع الدولة الرومانية، فراح يفكر بالقضاء على هذا الدين الجديد قبل أن يستفحل أمره، فقام بحشد قواته على حدود الشام الجنوبية استعداداً لمهاجمة المسلمين. كما قام بتوزيع رواتب سنة كاملة على قواته النظامية، ووزع كثيراً من المال على القبائل العربية الواقعة تحت سيطرته، تشجيعاً لها على مساعدة جيشه، وبعد أن أعد لذلك عدته، وجه طلائعه إلى البلقاء ليحول الأنظار عن التحشد الذي تم بعد ذلك في منطقة تبوك.

**بلغ الرسول العربي** أن هرقل ومن عنده من مناصريه العرب قد عزموا على قصده، وأنهم قد حشدوا الحشود على حدوده الشمالية فقرر أن يبادرهم القتال قبل أن يبدؤوا بمهاجمة المناطق التي تسيطر عليها الثورة الإسلامية، ولم يخف نواياه في هذه الغزوة كما كان يفعل في الغزوات السابقة[١] لأن المسافة طويلة ولا بُدَّ من تأمين النواحي الإدارية للجيش الإسلامي، لئلاً يؤدي نقصان المواد التموينية إلى إخفاق الحملة[٢] وعلى الرغم من أن السنة كانت سنة جدب[٣] والناس لا تحب أن تترك ديارها في وقت جني الثمار، فإن الرسول القائد أصر على القتال، وعلى مناجزة الروم، وأمر المسلمين بالاستعداد والتأهب للمعركة وحث الأغنياء منهم على البذل في سبيل الله لتجهيز الحملة فلم يبخلوا على المسلمين بأموالهم، ينفقونها من أجل المجهود العربي، وجادت النساء المسلمات بأقراطهن وأساورهن وحليهن، وضرب عثمان بن عفان المثل في الإنفاق على جيش العسرة (سمي جيش العسرة لأن المسلمين وعامة الناس

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ط١ عام ١٣٥١هـ -١٩٣٢م، المطبعة السلفية+ السعادة + خانجي، ج٥، ص٣.

(٢) العماد أول مصطفى طلاس، الرسول العربي وفن الحرب، إصدار الإدارة السياسية السورية سنة ١٩٧٢م، ط٢، ص١١٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ط١ عام ١٣٥١هـ -١٩٣٢م، المطبعة السلفية+ السعادة + خانجي ج٥، ص٤.

كانوا في ضيق وقتذاك) في غزوة تبوك، إذ دفع ألف دينار ذهبي. وعندما أصبح الجيش على أهبة المسير، غادر الرسول القائد المدينة بعد أن استخلف عليها (سباعاً بن عرفطة)[1] أخا بني غفار، كما كلف علياً بن أبي طالب أن يبقى في المدينة لرعاية أهله، وهي المرة الوحيدة التي لم يسهم فيها عليّ بن أبي طالب في الحرب مع الرسول العربي.

**ب - تعبئة المسلمين العسكرية:**

**نظم الرسول جيشه حينما أزمع السير إلى تبوك.** فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق ورايته العظمى للزبير، وسلم راية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للمنذر بن حباب.

سير الأعمال القتالية: **ترك جيش المسلمين المدينة في شهر رجب** من السنة التاسعة للهجرة. وقد قارب قوامه القتالي ثلاثين ألفاً[2] وراح يقطع الصحراء القاحلة في الحر الشديد حتى وصل إلى تبوك، فلم يجد جموع الروم هناك لأنهم عندما علموا بضخامة جيش الثورة الإسلامية، وما يتمتع به من روح معنوية عالية، آثروا السلامة وانسحبوا بقواتهم إلى الشمال. فقرر الرسول العربي أن يعسكر بقواته الرئيسة في المنطقة، واتخذها قاعدة له يوجه منها السرايا والبعوث.

**وجَّه الرسول القائد رسالة إلى يوحنا بن رؤبة، صاحب (أيلة)** يطلب إليه أن ينضوي تحت راية الثورة الإسلامية أو يغزوه، فأقبل يوحنا بنفسه إلى الرسول العربي، وقدم له الطاعة واتفق الطرفان على أن يدفع صاحب أيلة جزية للمسلمين قدرها ثلاثمئة دينار ذهبي كل عام، كما تم الصلح بين المسلمين وأهل الجرباء (والجرباء قرية في منطقة عمان بالبلقاء من أرض الشام) واتفق الطرفان على أن يدفع أهل الجرباء جزية قدرها مئة دينار

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٢.

(٢) المرجع السابق ص٢.

ذهبي كل عام. كذلك وجه الرسول العربي خالد بن الوليد على رأس كتيبة قوامها خمسمئة فارس إلى دومة الجندل، ففاجأ خالد مليكها الأكيدر وأخاه حساناً وهما يطاردان بقر الوحش، فقتل حساناً وأسر الأكيدر، وفتح دومة الجندل. وعندما عاد خالد إلى الرسول العربي بالأكيدر والغنائم، أمر الرسول القائد بإطلاق سراح ملك دومة الجندل وصالحه على دفع الجزية وتركه يعود إلى قومه[1] بقي الرسول العربي وجيشه عشرين يوماً مرابطين في منطقة تبوك. بانتظار قدوم الجيش الروماني (الذي آثر السلامة كما نعلم) تدعيماً لهيبة الثورة الإسلامية في نفوس القبائل العربية في المنطقة، ومن أجل الدعوة الإسلامية في تلك الأرجاء. وعندما أنجز كل ذلك قفل عائداً بجيشه إلى المدينة.

**جـ - استنتاجات غزوة تبوك:**

**طبق الرسول القائد، في غزوة تبوك لأول مرة في التاريخ**، مبدأ الحرب الشاملة. إذ عبأ كل قادر على حمل السلاح من المسلمين وتوجه إلى ميدان المعركة، ولم يتخلف بدون أوامر الرسول القائد سوى ثلاثة رجال فقط، باستثناء المنافقين الذين رفض الرسول العربي اصطحابهم. برهنت غزوة تبوك على اللياقة البدنية العالية التي كان يتمتع بها الجيش الإسلامي لأن قطع المسافة من المدينة إلى تبوك يعتبر أمراً عسيراً حتى في أيامنا هذه. فإذا أضفنا إلى ذلك تنظيم مسير الأرتال وانضباطها بدون وجود وسائل مواصلات متطورة، أدركنا القدرة العظيمة في التنظيم والخبرة الواسعة في فن قيادة الرجال التي كان يتمتع بها الرسول العربي (نستطيع أن نعتبر أن غزوة تبوك هي تطبيق رائع لاستراتيجية الهجوم غير المباشر التي طبقها الرسول القائد لأنه ربح المعركة بالمناورة لا بالقتال).

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، الرسول العربي وفن الحرب، إصدار الإدارة السياسية السورية سنة ١٩٧٢م، ط١، ص١٨٦.

**أدت النتائج التي أسفرت عنها غزوة تبوك** إلى ارتفاع معنويات العرب المسلمين لأنهم لم يكونوا سابقاً يستطيعون صد اعتداء الروم عليهم في عقر دارهم، فأصبحوا بعد معركة تبوك واثقين كل الثقة بأن المستقبل هو لهذه الأمة المجاهدة التي ستحرر أراضيها من الغزاة وتهزم في مستقبل قريب، الروم والفرس على السواء.

**أدى انتصار الرسول العربي على أعدائه في غزوة تبوك** إلى القضاء على تردد المتخلفين عن الالتحاق في صفوف الثورة الإسلامية من القبائل العربية، فقد أيقنوا بعد هذه الغزوة، أنهم عاجزون عن مواجهة الرسول القائد الذي يثبت سلطة الثورة الإسلامية على كل الجزيرة والذي لم تتمكن جيوش هرقل من مواجهته، لذلك أقبلت وفود القبائل العربية إلى المدينة بعد عودة الرسول العربي إليها معلنة إسلامها، ولهذا سمي هذا العام - التاسع للهجرة - بعام الوفود. استطاع الرسول القائد أن ينظم عدداً من نقاط الارتكاز على الحدود الشمالية للجزيرة التي تربطها ببلاد الشام، وذلك بعقد التحالفات مع سكان تلك المنطقة، وانضمام بعضهم إلى الثورة الإسلامية. وقد سهلت نقاط الارتكاز هذه مهمة الفتح الإسلامي على عهد الخلفاء الراشدين في صدر الإسلام. فمنها انطلقت إلى الشمال، وعليها استندت لتحقيق هدفها العظيم(١).

**د - بعث أسامة بن زيد :**

**تقديم :**

**علم الرسول القائد بوجود تحشدات على الحدود الشمالية** بعد غزوة تبوك، فعقد لواء جديداً **لأسامة بن زيد** الذي سبق أن أمره ببعض الغزوات قبل أن يؤّمره على الجيش الذي أعده لمهاجمة الروم قبل وفاته إن هذه الإمرة مع تولية أسامة القيادة تعني إعداد أسامة ليوم قريب لا ريب فيه يلقى فيه الخصوم. فبعد عودة الرسول من حجة الوداع ومقامه بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم

---

(١) اللواء الركن محمود شيث خطاب - قادة فتح بلاد الشام - ص٢٨.

وصفر من السنة الحادية عشرة للهجرة (عام ٦٣٢)م، أمر بتجهيز جيش ضخم كان فيه أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح، وجعل هذا الجيش بإمرة أسامة بن زيد، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون (أي خرجوا جميعاً للغزو). ولكن مرض الرسول أخَّرَ خروج هذا الجيش فأتى الرسول إلى منبر **ثم قال**: «يا أيها الناس انفذوا بعث أسامة». وفعلاً تم خروج الجيش حتى نزلوا الجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة - باتجاه الشمال[١] فعسكر الجيش هناك ينتظرون، نتيجة لخطورة مرض الرسول، مما أعاد الجيش بعد ذلك حين وفاة الرسول ومن ثم بُعِثَ مرة أخرى حين استُخْلِفَ أبو بكر. ويجمع المؤرخون أن معظم القبائل العربية قد ارتدت بعد وفاة الرسول، وأن جيش **أسامة** قد عاد، أما الفرس والروم فقد كانتا تستعدان لانتهاز هذه الفرصة للقضاء على الثورة الإسلامية[٢] فاجتمع القائد الأعلى الخليفة أبو بكر بقيادته وأركانه وشرح لهم الموقف بدقة، وأبدى رأيه بقوله: (ليتم بعث أسامة). وبعد دراسة عميقة وافقت القيادة على الرأي بالإجماع.

### ١- أمر قتال القائد الأعلى للقائد أسامة:

**خرج القائد الأعلى ليعطي الجيش توجيهاته، وقائد الجيش أوامره بينما جيش أسامة بن زيد** لا يزال في منطقة التحشد، في الجرف تأهباً للانطلاق إلى هدفه. بينما وبعد وصوله وقف بهم خطيباً قال: (يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة...، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا **بعيرا** إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ولسوف

---

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان، ط. دار السعادة في مصر عام ١٣٢٣هـ، ص٨٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك،مصر، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٩٣٩م، ج٢، ص٤٦١.

تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً" بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً...... اندفعوا باسم الله).

**ثم أعطى أبو بكر أمر القتال للقائد أسامة حيث حدد له الطريق والهدف إذ قال له**: ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبل[1] ثم أوطئ الخيل تخوم البقاء والداروم. وكذلك حدد القائد الأعلى وقت الهجوم بقوله: في عماية الصبح، وهو الوقت الذي يسمى حديثاً أول الضوء[2]، ويجمع المؤرخون على أن أسامة بن زيد قد سار من الجرف إلى ذي المروة فالوادي ثم وصل مشارف منطقة الهدف بعد عشرين يوماً من المسير..... وأيقن أسامة أن مهمته التي يحملها هي غاية كبرى، وأيقن أيضاً أن لهذه العمليات التي سيخوضها ما بعدها..... فلجأ إلى كل طريقة يستطيع بها أن يباغت العدو باختياره الزمان وطريقة الهجوم، بينما فُرضت عليه أمور أخرى، مثل المكان وبعد مواصلاته عن قواعده وفعلاً استطاع بإغارات مفاجئة ومباغتة، سريعة وخاطفة، أن ينجز مهمته كاملة فعاد إلى قواعده بعد أربعين يوماً، بينما يقول أبو زيد البلخي في كتابه (البدء والتاريخ): «عاد أسامة بعد سبعين يوماً ممتطياً الجواد الذي استشهد عليه أبوه - زيد بن حارثة - في غزوة مؤتة، فما رئي جيش كان أسلم من ذلك الجيش».

### ٢ - التحليل العسكري لهذه الهجمات المباغتة:

**لا بُدَّ للباحث من الوقوف بدهشة أمام هذا التفوق المعادي في كل أمر،** وإقدام العرب المسلمين على الهجوم بثلاثة آلاف مقاتل على مسافة أكثر من (٧٠٠كلم) عن قواعدهم (المدينة)، والجزيرة العربية بشكل عام. إن انقلاب

---

(١) تسمى آبل وهي مدينة بالأردن من مشارف الشام (معجم البلدان) - ج١ - ص٥٢.

(٢) إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص١٩٢.

غالبية القبائل في الردة، في الوقت نفسه الذي أُرسل فيه أسامة بن زيد إلى الشمال يعطي تساؤلاً آخر، حيث لم يبق في المدينة إلا قلة يسيرة من الشيوخ والنساء لحمايتها، أو بعض الفرسان ممن استبقاهم أبو بكر الخليفة - القائد الأعلى - من كل ذلك نجد أنفسنا أمام التساؤل التالي، لماذا أرسل أبو بكر أسامة؟ وما الذي حققه هذا البعث من نتائج وأهداف في المجالات الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية... وغير ذلك؟ لا غرو في أن بعث هذا الجيش للقيام بهذه الإغارات المباغتة يحمل هدفاً نفسياً، وهو أن يحول دون تفكير الروم بغزو العرب المسلمين في ديارهم، ومنه تحقيق تأكيد رهبة العرب المسلمين في نفوس المرتدين.

**ومما زادني قناعة في ذلك رواية (ابن كثير) إذ يقول:** (كان خروج أسامة من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منه وقالوا: ما خرج هؤلاء إلا وبهم منعة شديدة). ويتابع في مكان آخر: (إن المرتدين قالوا: فلندعهم حتى يلقوا الروم. فكان أن فاجأ أسامة الروم وهزمهم)[1]. والأرجح أن أسامة قد شن مجموعات من الإغارات الخاطفة الهامة على معسكرات الروم وحلفائهم في مشارف الشام. لقد حاول بعض المؤرخين من المستشرقين التقليل من شأن هذه الغارات الخاطفة فقد جاء في (دائرة المعارف الإسلامية). وقد جاء في فصل أسامة الذي حرره المستشرق (فكا) قوله: وقد بعث انتصار أسامة البِشْر في نفوس أهل المدينة بعد أن أحزنتهم حروب الردة، وأصبح الانتصار من الخطر ما لا يتفق مع قيمته الحقيقية، بل عد فيما بعد فاتحة للحملة التي وجهت لغزو الشام[2]. ولكن إلقاء نظرة شاملة على الأحداث في تلك الفترة وطبيعة نفسية الإنسان منذ أكثر

---

(١) إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص١٩٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - فصل أسامة بن زيد.

من ألف وثلاثمئة سنة يجعلنا نؤكد على أن هذه الغزوات الخاطفة قد حققت ثلاثة أمور: أولها ارتداع الروم عن مهاجمة الجزيرة العربية وارتداع أحلافهم أيضاً، وثانيهما خوف أهل الردة بالرغم من ردتهم، لأن مثل هذا الغزو لا يصدر إلا عن قوة وثالثهما زيادة ثقة العرب المسلمين بالنصر بعد تجرئهم على الإمبراطورية الرومية مرة أخرى.

**هـ - بعث خالد بن سعيد بن العاص:**

خلت حدود الدولة العربية الفتية، **بعد عودة أسامة بن زيد** وانشغال العرب المسلمين بالمرتدين، مما جعل الروم والفرس يظنون بالعرب الظنون، ويعدون العدة للهجوم عليهم، ولكن القائد الأعلى للقوات العربية أبا بكر الصديق فوت عليهم الفرصة، حين عقد، بسرعة وكتمان فائقين، للقائد العربي **خالد بن سعيد بن العاص** اللواء على جيش عربي بمهمة دفاعية، وكان نص الأمر الذي أعطاه أبو بكر لخالد أن لا يتخطى حدود تيماء (وهي لا تزال قائمة حتى الآن وآثار الأبلق - حصن السموءل - فيها كما يؤكد بعضهم وهي في الجنوب الشرقي من تبوك، وقد حررها العرب المسلمون في غزوة خيبر سنة (سبع) بمصالحتها على الجزية، وعينوا يزيد بن أبي سفيان والياً عليها، وأمره الرسول (e) أن يدعو مَنْ حوله من العرب إلى الإسلام والانضمام إليه، وأن لا يقاتل إلا من قاتله انتظاراً لأمر آخر يصدر إليه[١]).

أن إرسال جيش خالد بن سعيد بن العاص، لم يكن تقديره وقيمته في حجم المعركة التي سيخوضها، ولا الانتصارات التي سيحققها، وإنما كانت هذه القوات بمثابة قرني استشعار طويلين جداً مهمتهما استطلاع المعلومات عن العدو، ثم نقلها، وقتال العدو إن أجبرت هذه القوات على ذلك هذا **كهدف أولي، هذا ما يتضح من المقارنات بين كل الروايات التاريخية وتحليلها، أما الهدف**

(١) إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص١٩٣.

الأكبر فهو هدف نفسي أيضاً في تثبيط وإحباط فكرة هجوم الروم على العرب فور ولادتها. وفعلاً فقد استطاعت هذه القوات، تحقيق مهامها، بعد أن قطعت مسافة تزيد على ثمانمئة كيلو متر، وقد حاول القائد العربي أن يستميل كل القبائل العربية إلى جانبه وقد حقق ذلك[١]. أما عن المهمة الاستطلاعية الموكلة إلى هذا القائد فقد أرسل مجموعات عديدة من الدوريات الاستطلاعية في كل الاتجاهات المحتملة لوجود العدو، فكان أن حصل على معلومات مفصلة على العدو، وكان من أهم ما وصله عن العدو أن جيشاً رومياً يشد أزره مجموعة من حلفائهم يتجمع في عمان بقيادة البطريق (باهان) قائد الروم في البلقاء لمهاجمة تيماء - مركز إقامة القوات العربية. أما عن الهدف النفسي من هذه الحملة فقد أتى أكله في ضمان الجبهة الشمالية من هجوم رومي مفاجئ وعدم وصول هذا الهجوم إلى المدينة إلا بعد قتال تأخيري..... ومن جهة أخرى فإن الروم لزموا الدفاع لا الهجوم، حتى استعد باهان للهجوم.

**أرسل القائد خالد بن سعيد بن العاص معلماً أبا بكر** بالمعلومات المتوفرة كافة، فأجابه أبو بكر: (أقدم ولا تقتحمن) أي أن يشن عليهم هجوماً عنيفاً دون أن يطاردهم. وقام القائد خالد بالهجوم، فانسحبت القوات الرومية ونزل في مواقعهم ثم أرسل ثانية يعلم القائد الأعلى أبا بكر بالموقف العسكري، فكان قراره: (أن أقدم بحيث لا تؤتى من خلفك). أي لا تتجاوز كثيراً في عمق العدو خوفاً من حركة التفاف معادية من خلفه[٢].

**هجم العرب بقيادة خالد بن سعيد** على الروم فأخذتهم غرة النصر بانسحاب الروم فتجاوزا معان ودخلوا ديرة البلقاء حتى وصلوا (الزيزاء[٣] أو الجيزة كما

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢،مصدر سابق، ص٦٠٢.

(٢) أبو الحسن بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير - الكامل في التاريخ، طبعة ليدن + طبعة أوبسالا، تحقيق كارل يوهان، الطبعة المصرية الأزهرية عام ١٣٠١هـ، ص١٩٦ + الطبري ج٢ ص٥٨٧.

(٣) بركة الزيزاء هي بحيرة المزيريب.

يسمونها اليوم: إحدى محطات سكة حديد الحجاز بين عمان ومعان، وتبعد عن الأولى نحو ٦٢كم. من أعمال حكومة شرقي الأردن وفيها بركتها المشهورة والى جانبها حصن صغير ربما أقيم على أنقاض مسلحة من مسالح الرومان).

**ولما وصل خالد بن سعيد واصل** زحفه نحو عمان - قاعدة الروم العسكرية في البلقاء - لمهاجمتهم في قواعدهم(١). واستطاع العرب أن يحققوا نصراً قد انتزعوه من بين براثن الموت في معركة غير متكافئة بينهم وبين الروم. فكتب خالد إلى أبي بكر ثانية يعلمه بتفصيلات الموقف العسكري في الشمال ويطلب السماح له بالتوغل في أراضي الشام ويطلب إمداده بالقوات، فوافق أبو بكر على ألا يتوغل حتى تصله الإمدادات، ولكن خالداً أسرع في مطاردة العدو دون حفظ لخط رجعته، ودون انتظار للإمدادات، فوقع في الفخ المعد، حيث استمرت المطاردات حتى (مرج الصفر)، وهناك أطبقت عليه القوات الرومية القادمة من فلسطين والقوات القادمة من حوران، فوقع في معركة التطويق(٢).

**وبينما قوات خالد بن سعيد بن العاص** في حالة التطويق، وصلت قوات عربية أخرى بقيادة القائد العربي عكرمة بن أبي جهل على رأس قوات جديدة٣. وبدأ القائد **عكرمة** يخوض، بعد أن فك الحصار عن قوات خالد، معركة الانسحاب، ويذكرنا هذا الانسحاب، بخطة انسحاب خالد بن الوليد، الذي خرج بقيادة زيد بن حارثة فقد أخذت قوات عكرمة وضعية القتال كمجموعات تغطية في حين كانت قوات خالد بن سعيد تقوم بالانسحاب. وكان لواء خالد بن سعيد أول لواء عقده أبو بكر في الإسلام (مع العلم أن الذي عقد لأسامة بن زيد هو الرسول العربي القائد)، وقد قتل في هذه المعركة ابن خالد بن سعيد وإخوته(٤).

---

(١) أمين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، الطبعة الأولى عام ١٩٣٥م، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ص٦٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج١ - ص٦٠٢.

(٣) محمد حسين هيكل أبو بكر، مطبعة مصر، القاهرة، ص٣٧٣.

(٤) عبد المتعال الصعيدي، شباب قريش في العهد السري للإسلام، نشر دار الفكر العربي، ص١٥١.

## رابعاً - توجيه الجيوش الأربعة وأعمالها:

**لقد وجهت أربعة جيوش إلى الشام،** سنرى كلا منها، ثم نحلل وندرس أسباب توجيه هذه الجيوش متتابعة، وعلى أكثر من طريق ووجهة.

**١- جيش يزيد بن أبي سفيان:**

**بعد أن بترت الردة وقصمت، اجتمعت القيادة العربية العليا في المدينة برئاسة أبي بكر** الذي افتتح الاجتماع قائلاً: «أيها الناس رحمكم الله تعالى..... اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه، ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم»(١) فتداول أركان دولة العرب الفكرة، وقرروا بالإجماع ضرورة تحرير الشام بقولهم: يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك، ووجهنا حيث شئت.

**فوجه القائد الأعلى للقوات العربية - أبو بكر** - أوامره إلى اليمن وأهل مكة والطائف وجميع العرب بنجد، وكان نص الأوامر واحداً وهو: (قد عزمت أن أوجهكم إلى بلاد الشام، انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم). فأقبلت قبائل العرب ملبية. وكانت قبيلة (حمير) أول قبيلة في سرعة الوصول، بقيادة ذي الكلاع الحميري، ثم أقبلت كتائب مذحج بقيادة قيس بن هبيرة المرادي، وتقدمت من بعده قبائل طيء بقيادة حارث بن سعد الطائي، ثم جاء من بعدهم «بنو عبس» يتقدمهم الأمير ميسرة بن مسروق العبسي، وأقبلت من بعدهم «بنو كنانة» بقيادة غيثم بن أسلم الكناني، وتابعت قبائل اليمن يتلوا بعضها بعضها الآخر، ومعم نساؤهم وأموالهم، وبذلك اكتمل الحشد العربي.

**توجه القائد الأعلى، يرافقه ثلاثة هم أكبر أركانه:** علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، بعد اجتماع قصير عقدته القيادة العربية

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، نشر مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠م، ص٨٢.

العليا، حتى أشرف على القوات.... فدعا **يزيد بن أبي سفيان فعقد له**، ودعا **ربيعة بن الأسود بن عامرمن بني عامر** بن لؤي فعقد له، ثم قال له: أنت مع يزيد بن **أبي سفيان**، فلا تعصه، ولا تخالف أمره. وقال ليزيد: إن رأيت أن توليه مقدمك فافعل، فإنه من فرسان العرب وصلحاء قومك، فقال يزيد: لقد زاده إلي حبّاً حسن ظنك به، ورجاؤك فيه. ثم إنه خرج يمشي معه. فقال يزيد: يا خليفة رسول الله: إما أن تركب وإما أن تاذن لي فأمشي معك، فإني أكره أن أركب وأن تمشي. فقال له أبو بكر: ما أنا براكب ولا أنت بنازل، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله. وهكذا كان يزيد بن أبي سفيان أول القادة العرب اللذين وجههم أبو بكر بعد خالد بن سعيد بن العاص، لقتال الروم، من قواد أربعة سيذكرون بالتتالي...... وكان العقد في بدء الأمر على ثلاثة آلاف رجل، فلم يزل أبو بكر يتبعهم المدد، حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمئة رجل، ثم تتام جمعهم بعد ذلك فكان أربعة وعشرين ألفاً.

**المهمة وتفصيل القيادة:**

قِدَمُ القواد: **حين أوشك أبو بكر** على إرسال القوات إلى الشام، جمع قواده وقال لهم: إن اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري، وإلا فيزيد بن أبي سفيان، وإذا كان بكم قتال، فأميركم الذي تقاتلون في عمله - أي المنطقة المحددة له.

**تحديد محاور الطرق:**

أمر القائد الأعلى أبو بكر يزيداً أن يتحرك سالكاً طريق (تبوك) وأمر عمرواً بن العاص أن يسلك طريق (أيلة). وأمر شرحبيل أن يسلك طريق تبوك أيضاً، كما حدد لقادته هدف كل منهم. فجعل هدف يزيد الشام، وهدف عمرو بن العاص فلسطين، وهدف شرحبيل بصرى. وأمرهم أن يكتبوا إليه بالمواقف القتالية كي يصدر إليهم الأوامر المناسبة في حينها وعلى ضوئها،

وبحسب ما يستجد من أمور.

**وصية القائد:**

**حين شيع القائد الأعلى يزيد بن أبي سفيان، أوصاه قائلاً:** «لقد وليتك لأبلوك، وأجربك وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك.... وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وأبدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم، حتى يخرجوا من عسكرك من قبلك، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك، وإذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تحزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار وأكثر حرسك، وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف عن عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعاً، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العابثين، وجالس أهل الصدق والعرفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجد أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له». وهذا رد شامل على كل من أنقص العرب حقهم في المجال العسكري. فهذه الوصية تكاد تعتبر دستوراً عسكرياً.

**- معركة تبوك:**

**اتخذ يزيد بن أبي سفيان ترتيباً للمسير حركياً إلى الشام،** بأن جعل **ربيعة بن عامر** على مقدمته في ألف، وجعل باقي قواته - وهما - ألفان - قلباً للقوات. وأرسل يزيد طلائعه باتجاهات مختلفة. أما الروم فقد علموا بقدوم

العرب فاجتمعت هيئات أركان القيادة العسكرية الرومية في الشام لبحث الموقف بقيادة الملك هرقل وقرروا الهجوم وتدمير الدولة العربية، فجهز الملك **هرقل** ثمانية آلاف من أشجعهم بقيادة خمسة من كبارة قواده، وهم البطاريق - جرجيش، صاحب الشرطة، لوقا بن سمعان، فيليب بن حنا، صاحب غزة، وكان هؤلاء مضرب المثل في الشجاعة والبراعة ثم انطلقوا باتجاه تبوك. أما قوات العرب، فقد كانت قد وصلت إلى تبوك قبل وصول الروم بثلاثة أيام، ولما علم يزيد بقدوم الروم، أمر قائد مقدمته **ربيعة بن عامر**، أن يكمن بمن تحت إمرته، وهم ألف، في مكان خفي، ثم جمع يزيد قواته وقال: (الجنة تحت ظلال السيوف، فكأنكم بجنود الشام، وأياكم أن تطمعوا العدو فيكم). ولما أقبلت قوات الروم، شنوا على العرب هجوماً عنيفاً، ولما التحمت القوتان نفر ربيعة بن عامر من مكمنه، واستطاع بحركة التفاف خاطفة الانقضاض على العدو من الخلف، فكان هذا الالتفاف من أهم عوامل النصر الذي أحرزه العرب، ثم وجهوا كتاباً إلى أبي بكر.

**- معركة داثن ووادي عربة:**

**أعلمت وحدة الاستطلاع العربية يزيداً بوجود حشود رومية،** بعد فتح تبوك فقررت القيادة العامة برئاسة يزيد أن يدمروا قوات الروم الموجودة في غزة، حتى لا تكون هذه القوات عاملاً من عوامل قطع خط الرجعة على العرب أو على إمداداتهم، أو الالتفاف عليهم من الخلف..... وفي الطريق إلى هذه القوات أخبرت قوات الاستطلاع العربية أن هناك بالعربة، من أرض فلسطين، ثلاثة آلاف مقاتل رومي بقيادة ستة من أشهر قادة الروم، وقررت القيادة العربية إرسال **أبي أمامة** بن عجلان الباهلي إليهم لسحقهم، ومتابعة يزيد لتدمير قوات بطريق غزة التي كانت في طريقها إلى قوات الروم مدداً، وفي الواقع جرت معركتان في وقت متقارب، ففي وادي عربة، انتصر العرب بقيادة **أبي أمامة**. أما يزيد فقد التقى في معركة تصادمية مع قوات

الروم في داثن في شباط عام ٦٣٤ واستطاع أن يحقق النصر بعد قتال مرير. إن الخطة الحربية التي اتبعها يزيد بن أبي سفيان تنم عن حنكة عسكرية وخبرة حربية. فلو ترك القوات المعادية في وادي عربة، وهاجم قوات غزة، لكانت قوات وادي عربة سبباً في تدمير قوات العرب، إذا داهمتها من خلف، والعكس الصحيح، إذاً فقد كان القرار عسكرياً حكيماً[1].

**ب - جيش شرحبيل بن حسنة:**

**هو شرحبيل بن حسنة بن عبد الله بن المطاع بن عمرو بن كنده**، يمني المولد والنشأة[2]. بعد أن تلقاه فارساً مغواراً في غزوات الرسول، تجده قائداً في حروب الردة أيضاً... قاد هذا البطل قوات العرب المسلمين الأولى التي اصطدمت بقوات مسيلمة في عقرباء، ثم لا نلبث أن نعجب لبطولاته في عين التمر مع خالد بن الوليد. لم يركن مغوار الحرب إلى السكينة ويخلد إلى الراحة بعد ذلك فها هو يفد على أبي بكر، ولا يلبث أن يطلب من الخليفة بعثه لقتال الروم، فيجيبه أبو بكر: أنت أحد أمرائي، فإذا سار يزيد بن أبي سفيان، فأقم ثلاثاً، ثم تيسر للمسير..... وبعد أن أمر قائد القوات العربية الأعلى أبو بكر شرحبيل ندب معه الناس، حتى وضع تحت قيادته سبعة آلاف مقاتل، وكانت مهمة شرحبيل ما يلي: ١- سلوك طريق معان - الكرك - مأدبا - البلقاء. يجتاز هذا الطريق منطقة الشراة ويشقها شقاً، مبتدئاً من معان ويمر بإذرح، ولا تزال بقاياها قائمة وفيها ماء الجرباء الكبيرة - الجرباء الصغيرة - الشوبك - الطفيلة - الكرك - كورة بني

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، إصدار المطبعة السلفية والسعادة، والخانجي، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٣٢م، ج٧، ص٤.

(٢) ابن عساكر، تهذيب ابن عساكر، ط. روضة الشام، ١٣٢٩هـ.+ ورد في موسوعة السياسة والحرب عند العرب، للمؤلف، ص١٩٩.

حميديات - مأدبة - الجيزة - عمان[١].

**وبعد ذلك أوصى أبو بكر شرحبيل بقوله**: ألم تسمع وصيتي ليزيد بن أبي سفيان؟ قال: بلى. قال: فإني أوصيك بمثلها وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهن ليزيد.... أوصيك بالصبر يوم اليأس حتى تظفر، أو تقتل. وبعيادة المرضى، وبحضور الجنائز، وذكر الله كثيراً على كل حال[٢]. ولم يزل أبو بكر يتبعهم المدد حتى صار مع شرحبيل سبعة آلاف وخمسمئة مقاتل.

**- أعمال الجيش الثاني العسكرية:**

**لقد كانت مهمة هذا الجيش**، منازلة الجيش الرومي في البلقاء، وهي تقارب الجزء الجنوبي الغربي من إمارة شرقي الأردن الحاضرة، وتضم مقاطعة عمان والسلط وما بينهما حتى ضفة الأردن الشرقية، وتنتهي حدودها الجنوبية عند ابتداء حدود مقاطعة الكرك التي كانوا يسمونها «مؤاب». أما حدودها الشمالية فكانت تنتهي على مقربة من الزرقاء، وهي المرحلة الثانية بعد عمان للتوجه إلى دمشق، والحد الفاصل بين البلقاء وجبل عجلون، وفيها نهر الزرقاء المعلوم الذي يصب في الأردن بعد أن يفصل بين جبال البلقاء وجبال عجلون، في نحو منتصف الطريق بين عمان وجرش (جرش من أعمال جبل عجلون لا من البلقاء) ولم يلق هذا الجيش مقاومة كبيرة في تقدمه وكان يسير على الجناح الأيسر من جيش أبي عبيدة والأيمن من جيش فلسطين فأوغل في البلقاء حتى بلغ بصرى وكانت من مراكز الروم الكبرى، محصنة وذات أسوار، تدافع عنها قوة كبيرة من الروم والعرب الغسانيين، فحاصر شرحبيل هذه المدينة، ولكنه لم يوفق إلى فتحها، إلى أن تمَّ ذلك على يد خالد بن الوليد، حينما قدم من العراق.

---

(١) امين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٥ ص٧١.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، نشر مؤسسة سجل العرب، سنة ١٩٧٠م. ص٥.

**جـ - جيش أبي عبيدة بن الجراح:**

**هو أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري**، أحد العشرة السابقين في الإسلام، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم إلى المدينة، كما شهد بدراً[(١)] وشهد أحداً، حيث نزع حلقتي المغفر اللتين دخلتا في وجنتي الرسول (ص) بثنيتيه فسقطتا، وكان أبو عبيدة بين الناس أثراً، بعثه الرسول القائد مع أربعين رجلاً فأغار بهم على المشركين (في القصة). وشهد **أبو عبيدة** فتح مكة، وكان في مقدمة موكب الرسول العربي المؤلف من المهاجرين، كما شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. أسماه الرسول أمين الأمة، هذا القائد هو **قائد الجيش الرابع** الذي وجهه القائد الأعلى أبو بكر لقتال الروم فاتبع طريق الطفيلة - الكرك - مأدبة، وحين اتجه أبو عبيدة من معان إلى مؤاب، التقى على طريق الشوبك - الطفيلة بقوة العدو فهاجمها وهزمها فخضعت له المقاطعة وصالحه أهلها، وواصل تقدمه حتى الجابية، ويطلق اسم الجابية على تل في أراضي الجيدور، من أعمال حوران. وهو اليوم في منطقة ناحية نوى وآثار الأنقاض ظاهرة على التل، وقد كانت الجابية عاصمة الجيدور. وكان يدعى يومئذ أيطور، وقد سُمّي أحد أبواب دمشق بباب الجابية لأنه الباب الذي يخرج منه من يقصد الجابية. واحتل أبو عبيدة الجابية بدون مقاومة تذكر. وتقدم منها إلى حمص سالكاً الطريق الواقع شرقي دمشق، وكان ذلك عندما انتشر جيشا يزيد وشرحبيل في حوران والغوطة، فحاصر حمص وغلبها. فدخلت في طاعة العرب المسلمين وهي أول مدينة كبيرة في سورية الوسطى دخلت في حوزتهم[(٢)].

---

(١) د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٢١٠.

(٢) أمين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٥، ص٩٣.

**د - جيش عمرو بن العاص:**

**هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، يكنى أبا عبد الله،** أبوه العاص بن وائل، أحد أشراف قريش في الجاهلية، وزعيم بني سهم، وقائدهم في يوم (الفجار) الثاني قبل بعثة النبي e **وهو قائد الجيش الثالث** الذي وجهه القائد الأعلى أبو بكر لفتح الشام. كان هذا القائد جزاراً في الجاهلية وكان يحترف التجارة أيضاً، كما شهد غزوة أحد مع المشركين[1]. أسلم عمرو سنة ثمان للهجرة، فقد قدم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو وصاحبيه، **قال:** ألقت إليكم مكة أفلاذ أكبادها، يعني أنهم وجوه أهل مكة، اشترك بعد إسلامه في غزوة (ذات السلاسل) (ماء بأرض جذام يقال له: السلسل، وهي وراء وادي القرى، وبينهما وبين المدينة عشرة أيام). ولاه الرسول قيادة سرية مؤلفة من ثلاثمئة رجل من أشراف المهاجرين والأنصار، لصد جمع قبائل قضاعة الذين أرادوا مهاجمة أطراف المدينة المنورة، كما بعثه الرسول إلى سواع صنم هذيل ليهدمه، كما بعثه الرسول إلى جيفر، وعبدي بني الجلندي وهما من الأزد يدعوهما إلى الإسلام، فأجاباه إلى ذلك[2] ولما وصل عمرو إلى المدينة، بعد وفاة الرسول، عقد أبو بكر أحد عشر لواء لحرب أهل الردة وعقد لعمرو فأرسله إلى قضاعة فعادوا إلى الإسلام، وعاد هو إلى المدينة حاملاً لواء النصر.

**لما أراد القائد الأعلى للقوات العربية، أبو بكر الصديق، إرسال الجيوش لفتح أرض الشام،** كتب أبو بكر لعمرو: إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة، ووعدك به

---

(١) د. حسن إبراهيم حسن - تاريخ عمرو بن العاص - ص١١٠.

(٢) ابن حزم، جوامع السيرة، مطبعة دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٤هـ، ص٢٠.

أخرى، إنجازاً لما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته. وقد أحببت أن أفرغنك لما هو خير لك من الدنيا وأن لا يكون الذي أنت فيه أحب إليك: فكتب إليه عمرو: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها، فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي). فعقد أبو بكر لعمرو وحدد له الطريق بقوله: (وإذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وأبو عبيدة، فإن كانا ظافرين بعدوهما فكن أنت لقتال من في فلسطين، وإن كانا يريدان عسكراً فأنفذ إليهما جيشاً في إثر جيش وقُدْ سَهْلَ بنَ عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد وإياك أن تكون وانياً عما ندبتك إليه، وإياك والوهن وأن تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة بي له، وقد رأبت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي من جموع المشركين، ونحن قلة من عددنا ثم رأيت يوم حنين من نصرنا الله عليهم[1].

**ويروي الواقدي أن عمرو بن العاص قد بعث عبد الله بن عمر بن الخطاب أميراً** على ألف فارس وأمرهم قتال طلائع قوات الروم التي وصلت أخبارها إلى عمرو بن العاص وكانت أن دارت معركة حامية الوطيس بين ألف من العرب المسلمين وعشرة آلاف من الروم وانتهت المعركة بنصر العرب وأسر ستمئة أسير. قام عمرو بن العاص باستجوابهم للحصول على المعلومات. ويعد أن قدر الموقف قرر ألا يلقى قوى العدو الرئيسية، فانسحب إلى الغور، غور الأردن، متجنباً لقاء الروم في معركة فاصلة، حتى انضم إلى القوات الأخرى.

---

(١) د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٢٠٢.

**- التحليل:**

**لقد قدمنا وصفاً موجزاً للأعمال العسكرية التي عملها العرب في المرحلة الأولى**، أي توجيه **الجيوش الأربعة** قبل معركة أجنادين، وقد امتدت هذه المرحلة شهر ذي الحجة سنة ١٢ فبراير عام **٦٣٤** إلى شهر رجب ١٣ سبتمبر (أيلول) **عام ٦٣٥ أو ما يقاربه**، وانتهت بتحريرهم المقاطعات التالية: من الجنوب إلى الشمال: الشراة ومؤاب والبلقاء والجابية والغوطة. ثم محاصرة مدينة دمشق نفسها وبصرى. واحتلال حمص والتقدم في شمالها وهي نتائج لا يستهان بها. وكذلك أدرك جيش فلسطين نتائج جديرة بالذكر، فبسط نفوذه على معظم أجزاء هذا الأقليم، الجنوبية والشرقية، وكاد يحتله لولا أن عجل الروم بحشد قواتهم، وعزموا على منازلته في معركة فاصلة. ورأى قادة الجيش الرومي بعدما وصلت الحالة إلى هذا الحد، وبعد أن فقدوا القسم الجنوبي من بلاد الشام ما عدا دمشق وبصرى، وبعدما كادوا يفقدون فلسطين أن يبدأوا العمل، فزحفت قوات كبرى إلى حمص من أنطاكية بقيادة **تيودور** شقيق هيركليوس، والظاهر أنه ترك قيادة جيش فلسطين بعدما أكمل تجهيزه للبطريق **أريطبون** وجاء إلى أنطاكية طبقاً لأوامر أخيه فتولى قيادة جيشها وسار إلى حمص، وكانت خطته تقوم على ضرب جيوش العرب واحداً بعد الآخر وطردها إلى ما وراء الحدود. ومتى عرفنا أن حركة هذا الجيش بدأت وحركات جيش فلسطين في وقت واحد، أدركنا أن الروم كانوا يسيرون على خطة منظمة محكمة ترمي إلى سحق الجيوش العربية والقضاء عليها، وقد عهدوا بتنفيذها إلى جيش عظيم ما خامرهم شك في أنه سينيلهم أغراضهم، ويقضي على كل محاولة العرب لفتح الشام.

**هـ - خالد بن الوليد قائداً عاماً:**

وضع هرقل خطة مضادة حين نميت إليه أنباء تقدم الجيوش العربية الإسلامية على أربعة محاور أدت إلى فشل كل ما رسمه أبو بكر في خطته،

فقد استغل هرقل تفوقه العددي الهائل لشغل كل جيش من الجيوش العربية بقوات تفوقه. وهكذا وقف ثيودروس (تذارق) على رأس تسعين ألفاً إزاء عمرو بن العاص. ووقف **(الفيقار بن نسطوس)** على رأس ستين ألفاً إزاء أبي عبيدة. أما شرحبيل بن حسنة فاستقبله الدراقسي على رأس أربعين ألفاً واستقبل (جرجه بن تدرا) جيش يزيد بن أبي سفيان، وقد أدت خطة هرقل إلى تثبيت جيوش المسلمين في مواضعها المتفرقة، في جنوب الشام، وبالرغم من نجاحها في إحداث الاختراقات الأولى، فقد عجزت عن القيام بعمليات التطويق الواسعة التي رسمتها. تبادل القواد العرب الرسائل والمشورة،فاتفقوا على الاجتماع كجيش واحد، وعلى أن يعلموا القائد الأعلى بالمواقف ليتخذوا قراراً بسرعة، واجتمعت القيادة العليا. وقد تداولت القيادة العربية العليا الموقف، فوجدت أنه من الصعب في تلك اللحظة تعبئة جيش جديد لأن ذلك يحتاج لدعوة المقاتلين من جميع أرجاء شبه الجزيرة وهذا بلا شك يستغرق وقتاً طويلاً. والجيوش العربية في الشام في أمس الحاجة للوقت.

**لذلك قررت القيادة العليا أن أفضل الحلول هو اتخاذ وضع دفاعي** في الجبهة الشمالية، فكتب القائد الأعلى أبو بكر إلى **خالد بن الوليد** يأمره بالسير بنصف قواته إلى الشام للانضمام إلى الجيوش العربية واثقاً من أن خفة حركة خالد كفيلة بوصوله بقواته إلى ميدان المعركة قبل حلول الساعة الحاسمة، وبعد انصراف خالد من الحج إلى الحيرة: كتب إليه أبو بكر رسالة جاء فيها: «..... أنْ سر بنصف الناس حتى تأتي جمع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا وأشجوا (تعبوا وأتعبوا)،...[1]. دع أهل العراق واخلف أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه، ثم امضِ مخففاً من أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة، وصحبوك من الطريق، وقدموا عليك من الحجاز،

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، إصدار مطبعة الاستقامة، مصر، القــاهرة، ١٩٣٩م، الطبعة الأولى، ج٢، ص٥٨٤.

حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين. وإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة. واستخلف على العراق **المثنى بن حارثة** في النصف الباقي. ولا تأخذن نجداً إلا خلفت له نجداً. فإذا فتح الله عليكم، فارددهم إلى العراق وأنت معهم، ثم أنت على عملك. والسلام عليكم ورحمة الله».

**كتبه في صفر ١٣هـ أبريل (نيسان) ٦٣٤. كان الوضع في الجبهة الشمالية** (الشام) بحاجة إلى **خالد بن الوليد**. ففي الجبهة الشرقية سارت العمليات من نصر إلى نصر..... لم يخسر العرب معركة واحدة. واستتب لهم الأمر ما بين مدينة الرسول إلى ما يقترب من مدائن كسرى. أما في الجبهة الشمالية فالموقف جد مرتبك وليس لجيوش العرب المسلمين فيه حيلة. وإذاً فإن الجبهة الشمالية بحاجة إلى مدد جديد وإلى عقل جديد....... في حاجة إلى ذي فكر وعلم بالحرب. إذ ذاك قال أبو بكر: «**والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد**». وكتب إلى **أبي عبيدة بن الجراح**، قائد عام الجبهة الشمالية: «سلام الله عليك. أما بعد: فقد وليت خالداً قتال العدو فلا تخالفه، واسمع له وأطع، فإني لم أبعثك عليك ألا تكون عندي خيراً منه، ولكني ظننت أن له فطنة في الحرب، ليست لك. أراد الله بنا وبك خيراً، والسلام»[1].

**شطر خالد الجيش العربي بينه وبين المثنى وانطلق من العراق في صفر سنة ثلاث وعشر للهجرة**، وبتحديد أدق إنه كان في أوائل صفر، وقد أخذنا بذلك لما يؤيده من **رواية أخرى تقول**: إن خالداً حين بلغ الشام أتى مرج راهط، فأغار على غسان في يوم فصحهم، وبالبحث عن ذلك الفصح وجدنا أنه كان يوم الأحد يوم ٢٤ أبريل (نيسان) ٦٣٤ الموافق ١٩ صفر ١٣هـ، وإذاً فقد خرج خالد في صفر ١٣هـ.

**خرج المثنى مع خالد** يشيعه من الحيرة حتى قراقر، حيث قال له خالد:«ارجع رحمك الله، الى سلطانك غير مقصر ولا ملوم ولا وان» فعاد.

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، نشر مؤسسة سجل العرب، سنة ١٩٧٠م. ص٨٦.

**و - طريق خالد:**

**ما زالت الطريق التي سلكها خالد مثار اختلاف** الكتاب والمؤرخين والعسكريين، ولكن الواضح أنه كانت هناك طرق أربع، لابُدَّ له من سلوك إحداها في هذه المرحلة الشاقة، المحفوفة بالأخطار، **وهذا بيان عنها**:

- طريق الحيرة - عين التمر (العراق) - قراقر - سوى - أرك - تدمر - القريتين - الغوطة - بصرى.
- طريق الفلوجة - هيت - دير الزور - تدمر - حمص - النبك - القطيفة - دمشق - بصرى.
- طريق عين التمر - قراقر - هيت - كبيسه - بئر الملوحة - أبو الشامات - الضمير - عدرا - الغوطة - بصرى.
- طريق الحيرة - وادي حوران - الجوف - الزرقاء - البلقاء - اليرموك.

**تلك هي الطرق التي كان على خالد أن يختار إحداها لجيشه وقد رجحنا الطريق الأولى للاعتبارات التالية:**

**كان خالد على عجل من أمره لنجدة** قوات العرب المسلمين بالشام لذلك اختار هذه الطريق الصعبة والقصيرة. ولعله رفض الطريق الثانية على الرغم من كونها الأسهل، لوجود مراكز عسكرية معادية فيها مما يسبب له تأخيراً لا مصلحة له فيه، وإن انتصر عليها.

**كما أنَّ خالداً رفض الطريق الثالثة**، لأنها كانت طريق البريد الرسمي، وبالتالي فهي محشوة بالجند. ويستبعد سلوكه الطريق الرابعة لأن قطعها يحتاج إلى أيام أطول، مع أنه أسهلها وأقلها خطراً لعدم وجود قوات رومية في أنحائها. إن خالد بن الوليد لو اتبع إحدى الطرق الثلاث الأخيرة لما أتى من التعليقات ما أتى. وإن خالداً، عرف بالجرأة والجسارة دائماً.

**كل هذه الاعتبارات، مع غيرها، تجعلنا نرجح سلوك خالد الطريق الأولى.** ونرى أن القائلين بسلوك خالد طريق دومة الجندل، قد استندوا إلى رواية الطبري التي تقول: «ودَعَا خالد الأدلة، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة، ثم طعن في البر إلى قراقر، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيها من وراء جموع الروم، فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين...... ثم ركبوا من قراقر مفوزين إلى (سوى) وهي على جانبها الآخر من جبهة الشام».

**ساروا أربعة أيام، وبعض الخامس، وفي اليوم مسيرة يومين (٤×٢×٤٥)= ٣٦٠ كيلو متراً**، من قراقر إلى سوى هذه الرواية المعتمدة التي أدت إلى القول بسلوك خالد طريق دومة الجندل، ونحن لا نرى هذه الرواية حجة في هذا الشأن بل نراها على العكس من ذلك. فهي تقول: «ارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة»، ولم تقل إلى دومة الجندل، والفارق بين دومة الجندل ودومة كبير، فدومة الجندل هي القرية ذات الحصون، على خط عرض ٣٠ شمالاً، وحوالي خط طول ٤٠ شرقاً، والتي تشرف على ملتقى طرق الحجاز إلى الشام بطرق العراق إلى الشام، والتي كان الرسول القائد قد بعث خالداً إليها من تبوك، وهي التي أعاد فتحها في أثناء في حروبه في العراق، فدومة الجندل، ذات شهرة في التاريخ الإسلامي، وهي التي انصرفت إليها الأذهان خطأ في طريق خالد من العراق إلى الشام، فحولته من الشمال إلى الجنوب، أما دومة فهي مكان آخر بصحراء العراق، وننقل هنا عبارة بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب صفحة ٢١١، وفي وصفه لبقاع بلاد العرب، قال: «ومنها دومة الجندل، كان رجل اسمه الأكيدر في بلدة قرب عين التمر في العراق تسمى دومة، وكان يزور أخوالاً له من بني كلب في أطراف الشام، فبينما هو يسير في بعض الطريق، إذ ظهرت له مدينة منهدمة لم يبق منها إلا بعض حيطانها، وكانت مبنية بأرض تسمى دومة الجندل، فأعاد الأكيدر بناءها وغرس فيها الشجر، وسماها دومة الجندل تفرقة بينها

وبين دومة العراق وكان بنو كلس ينزلون فيها وفي دومة الجندل من المباني العظيمة، «مارد»، وهو حصن كان مبنياً من حجارة سود....... الخ».

**وحين فتح خالد دومة الجندل في غضون** فتوحه في العراق عام ١٢هـ وقع الأكيدر بن عبد الملك في أسره فضرب عنقه. وفي رواية أخرى أن خالداً أرسله إلى المدينة، فظل بها أسيراً حتى أطلق سراحه، في خلافة عمر، فذهب إلى العراق، وأقام على مقربة من عين التمر بمكان اسمه دومة. نخلص من هذا كله إلى أنه كان هناك مكان اسمه دومة بنواحي عين التمر خلاف دومة الجندل المشهورة في التاريخ الإسلامي. دومة هذه هي التي عناها الرواة القدماء بلا ريب في سير خالد من العراق إلى الشام وليست دومة الجندل. إن دومة الجندل تقع على الطريق الطبيعي المألوف إلى الشام، ومن المعقول أن خالداً قد تجنب ذلك الطريق[1].

**كما أن من يريد أن يتخذ طريقه من الحيرة إلى دومة الجندل لا يتجه شمالاً** إلى عين التمر ثم إلى قراقر، وهو وادٍ بالشمال من ناحية العراق. قال السكوني: «قراقر، وحنو ذي قار، وذات العجرم والبطحات - كلها حول ذي قار». ومن المؤكد أن «ذي قار» بنواحي العراق، وليست بنواحي دومة الجندل. ونقدر الموقع التقريبي لقراقر على خط طول ٤٢ وخط عرض ٣٣. إن خط السير من الحيرة إلى عين التمر، إلى دومة الجندل، إلى تدمر..... هذه الطريق حتى تدمر تزيد عن ألف ومئتي كيلو متر طولاً. ولا خلاف في أن خالداً بلغ نواحي تدمر في خمسة أيام، بمعنى أنه سار في اليوم الواحد مئتين وأربعين كيلو متراً على هذه الرواية، وهو رقم لا يقبله عقل، إذ إن مسيرة الإبل في اليوم أربعة وأربعون كيلو متراً. وقد ورد أن خالداً سار في اليوم قدر يومين، يعني زهاء ثمانية وثمانين كيلو متراً. وهذا أقصى ما يمكن

---

(١) ذكر ياقوت الحموي أن خالداً مرّ بدومة الجندل في طريقه من العراق الى الشام، معجم البلدان ٢/٥٥٥.

للعقل أن يقبله. كانت طريق جيوش العرب المسلمين بالشام إلى جزيرة العرب وإلى دومة الجندل طريقاً مفتوحةً متصلة. ولو أخذ بها خالد لما قال: «كيف لي بطريق أخرج فيها من وراء جموع الروم، فإني أن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين.....»[1] وإنما يدلنا هذا القول على أن خالداً سلك الطريق الشمالية إذ كانت الجزيرة تابعة للروم، وفيها حصون لهم وقواعد.

**لقد مر بنا سابقاً اشتراكهم في معركة الفراض،** وكانت الطريق المألوفة من الشمال، بين العراق والشام، تحاذي نهر الفرات، وتصعد معه إلى قرقيسيا، ثم تتجه إلى تدمر فأراد خالد أن يتلافى أي التحام بالروم قد يخرجه من هدفه، ويؤخره عن بلوغ المسلمين في الجبهة الشمالية قبل المعركة المرتقبة، ولذلك قرر الابتعاد عن طريق الفرات واجتياز المفازة.

**يقول الطبري:** «**إن محرز بن حريش المحاربي - أحد أدلة خالد - قال له:** «**اجعل كوكب الصبح على جانبك الأيمن ثم أمه (اتخذه إماماً لك في سيرك، ودليلك)، تفض إلى سوى». فكان أولهم. ويقول ابن الأثير: إن محرز بن حريش، قال لخالد لما أراد أن يسلك المفازة من العراق إلى الشام: (اجعل كوكب الصبح على جانبك الأيمن ثم أمه تصبح). فجرب ذلك فوجده حقاً. ما هو كوكب الصبح هذا؟ وهل نستطيع اليوم أن نعرف أي كوكب كان؟ وإذا عرفناه فهل نستطيع أن نعرف وقت شروقه، واتجاهه في سماء العراق، بالنسبة لمن يراه من قراقر، بنواحي عين التمر، عندما انطلق خالد منها بجيشه؟ إذا عرفنا ذلك فسوف نستطيع الإفادة منه، وأن نبني عليه الكثير. يقول أحمد عادل كمال: كتبنا في ذلك إلى دائرة المعارف البريطانية نسألها، فأجابتنا مشكورة بالآتي: «إن كوكب الصبح هو كوكب الزهرة. وإنه في عام ٦٣٤م كان يرى في اتجاه الشرق، في برج الثور، لمدة ساعتين قبل**

---

(١) د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٢٠٧.

**شروق الشمس، وإنهم حصلوا على هذه المعلومات المختصين بمرصد أدلر بشيكاغو لعدم وجود أي شيء عن هذا الموضوع في مراجعهم». ويقول أيضاً: وأردنا المزيد من التفصيلات، فاتصلنا بالمسؤولين في مرصد حلوان، فتفضل السادة المختصون به: الدكتور محمد خيري مدير المرصد، والدكتور حسن عبد الرحيم، والدكتور بليغ، بمقابلتنا، وشغلنا من وقتنا أكثر من ساعة، في تفاهم وتدارس، كانت حصيلته أنهم يؤيدون ما جاء في خطاب دائرة المعارف البريطانية، ثم أضافوا إليه التفاصيل الآتية:**

**إذا افترضنا أن خالداً بدأ رحلته، من قراقر، في الثالث عشر من إبريل (نيسان) سنة ٦٣٤م** الموافق ٨ صفر ١٣هـ فإن كوكب الصبح الذي هو الزهرة، يشرق من نقطة تقع شمالي مشرق الشمس بما يقارب سبع درجات. وإن الشمس تشرق في ذلك اليوم في اتجاه يقع شمالي الشرق الجغرافي، بما يقارب ست درجات (إذا علمنا أن اتجاه الشمال الجغرافي هو زاوية صفر وتنطبق على ٣٦٠ درجة. وأن اتجاه الشرق هو ٩٠ درجة، والجنوب ١٨٠ درجة، والغرب ٢٠درجة، فإن شروق الشمس بناء على ما ذكرناه أعلاه يكون في اتجاه زاوية ٨٤ درجة، وشروق الزهرة في اتجاه زاوية ٧٧ درجة وذلك قبل أن نأخذ في اعتبارنا حساب تغير موضع القطب السماوي). إذ لفت الأساتذة - علماء مرصد حلوان - نظرنا إلى عامل له أثره على تلك الاتجاهات عبر الزمن الطويل، وينبغي أخذه بعين الاعتبار، وهو تغير موضع القطب السماوي، الأمر الذي تتغير معه زاوية شروق الشمس وجميع الكواكب، ولما قمنا بحساب ذلك[1] وجدنا أنه يضيف إلى الزوايا السابقة قرابة ٢٤ درجة في اتجاه شمال الشرق، بمعنى أن يكون شروق كوكب الصبح في ذلك التاريخ على حوالي زاوية ٥٣ في اتجاه الشمال الشرقي (الشمال الشرقي الجغرافي ٤٥ درجة)، بناء على ذلك، إذا أخذنا برواية ابن الأثير التي تجعل

---

(١) مجلة المعرفة العدد الثامن.

(الزهرة) على الجانب الأيمن، يكون خالد قد سار متجهاً إلى غرب الشمال بنحو سبع وثلاثين درجة، يعني في الاتجاه الذي تقيسه البوصلة المغناطيسية اليوم برقم ٣٢٣ إلى الشمال الغربي. وهو اتجاه معقول يطابق المسار الذي حددناه سابقاً ورسمناه على الخريطة[١].

**هذا الدليل الفلكي الذي أورده أحمد عادل كمال جعلنا نميل إلى تحديد موقع قراقر داخل الصحراء**، شرقي خط طول ٤٢ درجة بجهة ذي قار (كما ذكر السكوني) ويؤيدنا في ذلك قول الرواة كالطبري مثلاً..... «ثم طعن في البر إلى قراقر»، وهو تعبير فيه معنى الإيغال داخل الصحراء من عين التمر إلى قراقر. ويتفق هذا مع بعض أجزاء رواية الواقدي التي ذكرناها سابقاً، إذ يقرر أن خالداً خرج من سوى إلى الكواثل، ثم أتى إلى قريسياء، فخرج إليه صاحبها في خلق، فتركه وانحاز إلى البر، ومضى لوجهه وأتى أرك..... الخ، إذاً فإن الاستدلال السابق بكوكب الصبح يقودنا إلى ناحية قرقيسياء. أما إذا أخذنا برواية الطبري التي تجعل كوكب الصبح على الجانب الأيمن فإن هذا يقودنا إلى أن خالداً قد سار متجهاً إلى شرقي الشمال بزاوية قدرها ٥٤ درجة، وهذا يقود إلى داخل العراق، وليس إلى الشام. ولذلك نرى إلزاماً أن نستبعد هذه الرواية، وأن نعتبر روبية (الجانب الأيمن) هي الصحيحة. وهناك شاهد آخر لا يرقى إلى درجة الدليل، ولكنه قرينة، لها دلالتها في هذه الرواية، وهي أن محرز بن حريش، ينتسب إلى بني محارب، وهم من بني ربيعة، وقد كانت منازل بني ربيعة بشرقي شبه الجزيرة من سواحل الخليج جنوباً إلى نحو حيت بشاطئ الفرات شمالاً. فإذا كان الدليل - محرز بن حريش - من أهل تلك المنطقة فهو أمر طبيعي ومنطقي ويساير ما ذهبنا إليه. ولكنه من غير الطبيعي أو المنطقي أن يستخدم خالداً دليلاً من ربيعة في مرحلة تمر بدومة الجندل.

---

(١) أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، الطبعة الأولى، إصدار دار النفائس، بيـــروت عام١٩٧٢م، ص٢٠١.

**إن ما أثبتناه. في البحث يتطابق في الرأي مع ما أورده أحمد عادل كمال في كتابه الطريق إلى المدائن**، كما يتشابه مع ما أورده أمين سعيد في كتابه (حروب الإسلام مع الإمبراطورية الرومية)، ويختلف كلياً مع ما أورده كل من الجنرال كلوب في كتابه الفتوحات العربية الكبرى، واللواء خطاب في كتابه خالد بن الوليد، وما صمت عنه الدكتور شكري فيصل في كتابه حركة الفتح الإسلامي، كما اختلفنا في خط سير خالد بن الوليد مع الدكتور محمد أسعد طلس في كتابه (الخلفاء الراشدون) وهو القسم الثاني من كتابه تاريخ الأمة العربية، وإلا فماذا يعني إهماله لموقع دومة، في ذكر خط سير القائد خالد مع وجوده في الطبري، وهو مرجعه في كتابه.

## خامساً - معركة أجنـــاديـــن:

**كانت الجيوش العربية موزعة في مناطق أعمالها قبل معركة أجنادين**، فأبو عبيدة في حمص، بعد أن حررها، وكذلك بقية القواد. كانت جيوش الروم تتقدم إلى بلاد الشام، فبعد أن تكاتب القواد وتشاوروا، وصلوا إلى القرار، وهو الانسحاب من مناطقهم والالتقاء في اليرموك، في حين أعادت القوات الرومية احتلال حمص ودمشق. تولى خالد بن الوليد قيادة القوات العربية في الجبهة الشمالية وقام بتقدير الموقف بناء على المعلومات المتوفرة لديه عن العدو. فهذا سيرجيوس يتعقب عمرو بن العاص الذي انسحب على محاذاة ضفة نهر الأردن الغربية قاصداً غور الأردن، وهذه جيوش الروم قادمة من الشمال.

### آ- تقدير الموقف واتخاذ القرار:

**أدرك خالد - القائد العام للجبهة الشمالية - أنه أمام قوتين معاديتين: قوة قادمة من الشمال، وقوة قادمة من الجنوب**، فأصبح أمام إحدى خطتين:

فإما أن يسرع فينحدر من جبال حوران وينضم إلى جيش عمرو بن العاص ويخوض وإياه معركة فاصلة بلقاء جيش سرجيوس والقضاء عليه. فيعزز بذلك مركز جناح الجيش العربي الأسير ويصون خط رجعته، ويوطد مركز العرب المسلمين في فلسطين وحوران وإما أن يجمع الجيوش العربية، ويوعز إلى عمرو بالانضمام إليه ويقف في مكانه بانتظار قدوم الروم فينازلهم مجتمعين. ويبذل جهده في التفوق عليهم، لكن خالداً قرر الأخذ بالخطة الأولى، لأن التغلب على جيش الروم في فلسطين وتشتيته يحفظ للعرب خط رجعتهم، ويعزز مركزهم وفي آن واحد يجعلهم في موقف يستطيعون فيه أن يهددوا جناح الروم الأيمن. وقد انحدر خالد من اليرموك إلى الجنوب بعدما أصدر أمراً إلى عمرو بن العاص، بأن يعدل خط مسيره، ويستدرج جيش الروم في فلسطين، ثم يأتيه من الخلف فيحمل عليه ويشتركان في النزال. ونفذ عمرو الخطة بإحكام، إذ ارتد نحو أجنادين.

**التقت جموع العرب في أجنادين،** فاتخذ قائد الجبهة الشمالية ترتيباً قتالياً وفق ما يتطلبه الموقف، وما لديه من إمكانات، فجعل معاذ بن جبل قائداً للميمنة، وسعيد بن عامر بن جزيم القرشي على المسيرة، وسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل على الخيل، وجعل أبا الدرداء على الساقة[1]. وأمر خالد نساء العرب أن يحتركن (أي حرمن على الرجال ما كان مباحاً لهم معهن) ويقمن يدعين الله ويستغثنه، فلما مر بهن رجل من المسلمين دفعن أولادهن إليه، وقلن له قاتلوا دون أولادكم ونسائكم.

**فعلاً فقد شمست خيل العرب من النشاب،** إلى أن صدرت الأوامر من القائد العام للجبهة الشمالية بالهجوم بوساطة الخيالة على شكل سهم على العدو، وقيام المشاة العرب باستغلال الفرجة التي سيفتحها الخيالة. وفعلاً

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، نشر مؤسسة سجل العرب، سنة ١٩٧٠م. ص٩٠.

انتصر العرب بتقديرهم الصحيح للأمور، وبخططهم العسكرية الناجحة، وبشجاعتهم الأسطورية، وعقولهم الراجحة، وعبقرياتهم الفذة.

**ب -آراء بعض المفكرين في أجنادين:**

**يقول «روم لاندو» في كتاب (الإسلام والعرب)**: وبعد معركة أجنادين الدموية في الثلاثين من تموز عام ٦٣٤، فتحت أبواب فلسطين كلها في وجه الغزاة، وفي أيلول من عام ٦٣٥، وبعد حصار دام ستة أشهر، سقطت العاصمة السورية - دمشق - في أيديهم، وبذلك أمسى أول انتصار من انتصارات العرب على البيزنطيين حقيقة واقعة. ويقول «جون باجوت كلوب» في كتابه (الفتوحات العربية الكبرى): وقعت معركة عظيمة في شهر تموز من عام ٦٣٤ في أجنادين التي تقع بين الرمثة وبين بيت جبرين، ومني الروم بهزيمة كاملة، هكذا طاش سهم هرقل في معركة أجنادين، وتحطمت خطته السوقية لشن هجوم معاكس.

**أما رأي الدكتور (شكري فيصل) في كتابه «حركة الفتح الإسلامي»** فيتضح في قوله: «كان اللقاء الثاني في تموز من عام ٦٣٤ في أجنادين، وقد انتصر فيها المسلمون على قوات بيزنطة، والتي يقودها «أرطبون»، واضطروها إلى التراجع إلى القدس ويقول البلاذري في كتابه (فتوح البلدان): ولما انتهى خبر هذه الوقعة إلى هرقل، نخب قلبه وسقط في يده، وملئ رعباً، فهرب من حمص إلى إنطاكيا أمّا الدكتور (نبيه عاقل) فيقول في كتابه «الإمبراطورية البيزنطية»: ولم تأت سنة ٦٣٤م حتى كان العرب يشقون طريقهم في قلب ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، هذه الممتلكات المسترجعة حديثاً من أيدي الفرس.

**جـ -أسباب توجيه جيوش أربعة:**

وزع القائد الأعلى للقوات العربية قواته على أربع فرق، ولم يجعلها في بادئ الأمر جيشاً واحداً لاعتبارات عدة أهمها: ضرورة تموينية: فقد

كان كل جيش يقوم بمؤونة نفسه من المنطقة التي يتجه إليها، فلم يشأ القائد الأعلى أبو بكر أن يزحمهم في منطقة واحدة، كي لا يحرجهم مدة طويلة في تموينهم[1].

**- تشتيت جموع الروم:**

**إن الهجوم على أكثر من اتجاه** يجعل العدو مجبراً على توزيع قواته إلى أكثر من جيش وبحركة سريعة تستطيع قوات العرب أن تجتمع لتقضي على العدو متفرقاً، أو تكون قوات العدو قد أنهكت من تنقلاتها الصعبة، بينما لن تغير هذه الحركات من العرب شيئاً، فهم خفاف ثقال بوقت واحد، ولا سيَّما والصحراء، سرهم، خلفهم.

**- منع العدو من تطويق العرب:**

**فلو كان العرب منذ توجههم إلى الشام،** جيشاً واحداً، لكان بوسع القيادة الرومية أن تقوم بحركة التفاف وتطويق فتستطيع بذلك القضاء على الجيش العربي. ولو كان، منذ تحركه، جيشاً واحداً لما أضحت تحركات الروم كمن يخبط خبط عشواء، ولأغناهم وضوح خط سير الجيش العربي الواحد والكبير، مع صعوبة إخفاء تحركاته، عن كثير من التحركات التي اضطروا إلى القيام بها في منطقة العمليات.

**- سهولة تصعيد القتال في المكان المحدد:**

**وفي توزيع القوات العربية إلى أربعة أقسام** يكون القائد الأعلى أبو بكر أكثر قدرة على المناورة بهذه الأقسام الأربعة، بالإضافة إلى منع الالتفاف عليها، إذ تستطيع الجيوش العربية أن يمد بعضها بعضها الآخر.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، ط١، دمشق ٢٠٠٨،ص٢١٢.

- **توزيع العمل وسرعته**:

**يتيح هذا التوزيع للقوات العربية سرعة أكبر**، لقلة أعدادها إذ ما قورنت بقوات الروم، بالإضافة إلى وضوح المهام وتعددها وتحقيقها في وقت واحد.

- **تدمير حاميات العدو**:

**والهدف الكبير هو تدمير حاميات الروم** في كل من فلسطين والأردن في نفس الزمن قبل وصول جيش الروم من قواعده في الشمال. فبعد القضاء على هذه الحاميات لن تكون عاملاً من عوامل الالتفاف والضرب من الخلف على القوات العربية.



# الفَصْلُ الثّانِي

# العمليات الحربية الكبرى في بلاد الشام
# اليرموك وعمورية

## آ - تنظيم معركة اليرموك

**تفرغ العرب، بعد معركة أجنادين،** لحرب الجيش الأكبر القادم من الشمال بقيادة (تيودور). فقد كانت أجنادين معركة فاصلة، إذ تشتت بعدها جموع الروم في الجنوب، ولم يبق للروم ما يعلقون عليه آمالهم إلا أكبر جيوشهم وهو جيش (تيودور).

### ١ - خالد يقدر الموقف:

**لقد كان قرار خالد نابعاً عن تصور وتقدير سابقين للموقف،** فقد رأيناه في الفصل السابق، يقرر مهاجمة جيش الجنوب، وقد شتته في أجنادين كي يتفرغ لجيش الشمال، بعد أن أصبح مطمئناً لطرق تموينه وانسحابه إذا اقتضى الأمر، كما أصبح مطمئناً إلى عدم الغدر به على حين غرة من الخلف أو الجنب. إذاً فالقائد العام للجبهة الشمالية - خالد بن الوليد - لم يكن قراره وليد صدفة أو تسرع، بل كان قراراً مدروساً باللقاء الحاسم فهو يعلم أنه أمام جيش معاد متفوق عليه بالقوى والوسائل، ولكنه يعلم أنه قادر على الانتصار

عليه، فقد سبق له أن دحر جيوشاً أكبر من جيشه وبتفاوت كبير. كما يدرك أن قواته مؤهلة بعد أن تمرست بالقتال، تمرسها الطبيعي على شظف العيش، فهي ربيبة المعارك في ميادين العراق وميادين فلسطين. أما الأرض فهي عامل مساعد له، فالصحراء - حبيبة العرب - حامية لظهره وانسحابه وإمداده، وقد أمن المؤخرة والأجناب. من كل هذا نبع قراره باللقاء في اليرموك.

**٢ - تيودور يقدر الموقف ويتخذ القرار:**

**إن المهمة الملقاة على عاتق تيودور، قد حددت** له صفة مكان اللقاء، كما حددت ترتيب القتال، إذ كتب له هرقل: (أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع الطعن واسع المطرد ضعيف المهرب). وهكذا لم يجد تيودور مكاناً يحقق هذه الشروط أفضل من اليرموك والواقوصة. لقد علم تيودور أنه أمام عدو أقل منه عدداً، ولكن أخباره انتصارات دائمة، وهو يعلم أن لديه جيشاً كبيراً، كثيفاً مدرباً، وذا خبرات عالية، فهو الجيش المنتصر على جيوش كسرى منذ سنوات، ولكن تيودور أراد أن يتخذ الاحتياطات.

**٣ - ترتيب قتال القوات الرومية والعربية:**

**لقد حدد ترتيب القتال في أمر المهمة، التي بعث** بها هرقل إلى تيودور إذ قال له: على الناس: (التذارق - تيودور) وعل المقدمة (جرجه) وعلى مجنبتيه (باهان والدارقص)، وعلى الحرب (الفيقار) وأبشروا فإن (باهان) في الأثر مداداً لكم، ففعلوا[١]. والحقيقة أن اختيار المكان (اليرموك) كان من الجانبين معاً. إذ تثبت الروايات التاريخية أن قادة العرب قد تواعدوا اللقاء فيه مسبقاً، كما أمر هرقل قائده أن يقبع فيه. وقدبقي الروم نحو خمسة أسابيع باليرموك ينظمون صفوفهم ويعبئون قواعدهم، ويأخذون أهبتهم.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩، ج٢، ص٥٩٠ س السطور ٢٢، ٢٣، ٢٤.

**من المعروف، أن خالداً قد أبدع نظام الكراديس** في فن الحرب عند العرب، إذ يقول الطبري: وخرج خالد في تعبئة لم تعبئها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين[1] وجعل أبا عبيدة قائداً لكراديس القلب، وعمرو بن العاص قائداً لكراديس الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان قائداً لكراديس الميسرة، وقباث بن أشيم على الطلائع. أما خالد نفسه فقد بقي في الوسط تحت راية العقاب، راية رسول الله، وحشد الرماة على الجناحين. وجعل أبا الدرداء قاضياً وأبا سفيان قاصاً، وعبد الله بن مسعود على الأقباض، والمقداد بن الأسود الكندي قارئاً[2] (سورة الأنفال) كما جعل القائد العام النساء في الخلف وأمرهن أن يضربن من ينوي الفرار بأعمدة الخيام. والطبري يفصل أسماء قادة الكراديس.

**- المفاوضات:**

**يذكر الطبري أن العرب قد فاوضوا الروم** بحسب الشريعة الإسلامية، وهي عرض ثلاثة أمور هي:

الدخول في الإسلام - دفع الجزية في حالة الرفض - القتال في حالة رفض المطلبين. وقد ترأس وفد العرب أبو عبيدة وصحبه يزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام، وضرار بن الأزور، وأبو جندل بن سهيل. وكان من جانب الروم تيودور أخو الملك، وهو القائد العام الرومي، وأركانه، وكان قد أعد لهم ثلاثين سرادقاً من الحرير والديباج، فرفضوا الدخول، واكتفوا بعرض شروطهم.. فرفضها تيودور، فاستعدوا للقتال حتى جاءهم الفتح.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩،ج٢، ص ٥٩٣ + البلاذري، فتوح البلدان، نشر الدكتور صلاح الدين المنجد. القسم الثاني ص١٨٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩، ج٢، ص٥٩٢ + ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط١٣٠١هـ المطبعة الأزهرية ص٢٠٠ - ٢٠١.

- **وصف وادي اليرموك:**

**وادي اليرموك هو أحد أودية حوران،** يسير فيه ماء من أراضي الثريان - أراضي قرية إنخل - ويسمى بنهر السهرير ويمر بين شيخ مسكين ونوى، ثم بأراضي داعل، فطفس، ثم بجانب قرية قديمة تدعى تل الأشعري، وهناك ينحدر ماء نهر السهرير في وادٍ يقرب عمقه من ٥٠م ويزداد انخفاضه بالتدريج، مشكلاً شلالاً يُعرف بشلال اليرموك، يسير في هذا الوادي إلى جسر سكة حديد الحجاز بين محطتي زيزون والمقارن، وهو إلى المقارن أقرب. ويلتقي في جانب المقارن بمياه شلالي زيزون، وتل شهاب وبمياه وادي الشلال المنحدرة من أراضي ناحية (الرمثا) في الأردن. وهذا هو سر تسمية المحطة بمحطة المقارن، ويتابع نهر اليرموك سيره في هذا الوادي الذي يطلق عليه من محطة المقارن اسم اليرموك، أما من تل شهاب إلى المقارن فيسمى وادي تل شهاب، فوادي زيزون أو وادي الذهب، ويمر اليرموك بمحطتي وادي خالد ثم بأراضي سمخ إلى أن يصل إلى جسر المجامع فيصب هناك في نهر الأردن. وهناك المكان الذي أقيم فيه مشروع روتمبرلنغ الصهيوني لتنوير فلسطين[١]. والوادي الآخذ من تل شهاب إلى سمخ يبلغ طوله نحو ٥٨ كم ويقطع نهر اليرموك في محطة المقارن إلى جسر المجامع نحو٦٢ كم. أما من تل الأشعري حيث شلال اليرموك إلى جسر الدورة فلا يزيد طوله على ٨كم، وفي وادي اليرموك الآن محطة اسمها وادي خالد، تقع على بعد ١٨٠ كيلو متر من دمشق. يقولون إنها قد تكون أضيفت إلى خالد لأسباب لم نستطع كشفها بعد، ولا يمكن أن يحشد في جهات المحطة إلا بعض السرايا القليلة تتراوح بين خمسين ومئة وخمسين جندياً أو أكثر بقليل، وفيه آثار أحراش صغيرة،

---

(١) أمين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، إصدار مطبعة عيسة البابي الحلبي، مصر، الثاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٥م، ص١١١.

وجبال وادي اليرموك، وتلاله صغيرة. والوادي ضيق، لا يمكن أن تجري فيه حركات عسكرية وهو لايصلح إلا لحرب العصابات والأفراد،(وقد كانت الحكومة العثمانية تعجز عن تعقب الجناة الذين يلجؤون إلى هذا الوادي). ويتصل بشماليه بأراضي الزاوية، ولا تزيد المسافة بين الوادي وغوطة دمشق في خط مستقيم عن ٨٠كم، وليس في الوادي سكان لضيقه، ومعظم القرى على طرفيه، ولا نذكر أن فيه مزرعة عامرة إلا المخيبة الواقعة على محطة الحمة. وفي جوار الوادي عرب يدعون المناظرة، ولعلهم أقيموا للمناظرة على الأمن والمحافظة على الطريق. والوادي من تل شهاب إلى سمخ يؤلف الحد الفاصل بين سورية وشرقي الأردن في هذه الأيام، فالأراضي الواقعة على ضفته اليمنى لسورية والأراضي الواقعة على ضفته اليسرى لشرقي الأردن[١].

## - توزيع المهام القتالية لقوات العرب:

**نستطيع أن نعتبر كل كردوس كتيبة وكل عشرة كراديس فرقة،** وفقاً لمعطيات العلم العسكري الحديث، من هذا المنطلق أعط القائد العام المهام لفرق جيشه إذ جعل مهمة فرقة القلب التي يقودها أبو عبيدة قتال قلب العدو، ومهمة فرقة الجناح الأيمن التي يقودها عمرو بن العاص قتال جناح العدو الأيسر، كما أوكل لها مهمة الالتفاف حوله. ومهمة الفرقة اليسرى التي يقودها يزيد بن أبي سفيان قتال جناح العدو الأيمن. كما أعطى المهام لبقية الشخصيات الأخرى وهم: سعيد بن زيد وهو في المؤخرة، ومهمته حماية الظعن بخمسمئة مقاتل، والقصاص أبو سفيان والقاضي أبو الدرداء - وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود، والقارئ المقداد بن الأسود الكندي.

---

(١) أمين سعيد - حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، مصدر سابق، ص١١١.

## ب - سير الأعمال القتالية:

**عبر مقارنات تشْمل** جميع أسفار التاريخ التي كتبت عن معركة اليرموك، نستطيع أن نرجح أنها امتازت بخمس مراحل رئيسية:

### ١ - الهجوم العربي الأول وهجوم الروم المعاكس:

**يجمع أغلب المؤرخين أنه لما عاد وفد أبي عبيدة من معسكر تيودور يحمل جوابه برفض الروم** لما قدمه العرب من شروط، وفشل المفاوضات قام خالد بتوزيع المهام على الوحدات، وأعطى تعليمات قتالية مفصلة ملخصها أن يبدأ العرب الهجوم على محورين متباعدين من اليمين واليسار فيقوم الروم بهجوم معاكس شامل حيث يُفْسَح لهم في المجال قليلاً بينما تقوم فرقة عمرو بن العاص بمعركة التفاف على جناح العدو الأيسر يزداد معها تصعيد الهجوم على الجناح المعادي الأيمن. في هذه الأثناء تزداد المسافة بين مشاة العدو وخيالتهم فيختل عامل تفوق الروم الرئيسي حيث يتم سحقهم. تقوم مجموعات المشاة العربية بمعركة تطهير ومطاردة المشاة، وفي الوقت ذاته، تقوم فرق الخيالة بمطاردة خيالة العدو وهكذا أعطى خالد إشراة البدء لكتيبتي الاقتحام وهما كتيبة عكرمة بن أبي جهل وكتيبة القعقاع بن عمر التميمي (كردوسين) واستطاعا أن يتقدما في جناحي العدو، وهكذا تحققت الخطوة الأولى من الخطة العامة.

**بعد فترة وجيزة من الوقت أعطيت** إشارات الهجوم الرومي على قلب القوات العربية،وكان تقدير الروم أن القلب قد انكشف، واستطاعوا أن يحققوا شيئاً من التقدم حتى كادوا أن يصلوا إلى مقر القيادة العربية العامة، كما استطاع الروم أن يردوا هجوم كتيبة الاقتحام التي يقودها **عكرمة بن أبي جهل** حتى قلب القوات العربية. عند ذاك تحولت هذه الكتيبة مع مشاهير مقاتلي العرب إلى كتيبة استشهادية، إذ بايع ٤٠٠ فارس عكرمة على الموت واستطاعت الكتيبة الاستشهادية أن تغير مجرى القتال بعد أن سقط معظم فرسانها، وعلى رأسهم عكرمة.

### ٢ - حركة الالتفاف العربي وفصل المشاة عن الخيالة:

**في هذا الوقت، وبالتزامن مع انكسار حدة هجمات الروم المعاكسة،** قامت فرقة عمرو بن العاص بحركة التفافية عميقة في الجناح الأيسر، وفي الوقت ذاته صعدت هجمات العرب على الجناح الأيمن للعدو. فكان أن تفاعلت مبادئ الحرب وهي تخلق للعرب انتصاراتهم بعد أن ضربوا في المناورة والحركية العالية مثلاً يحتذى، كما فوجئ العدو بإبداع طرق عربية جديدة للقتال. كما استطاع العرب أن يحققوا وبشكل ممتاز مبدأ الاقتصاد بالقوى والوسائط ومبدأ الحشد.

**إن العلم العسكري الحديث حين يدرس الحربين العالميتين الأولى والثانية،** وبعض الحروب الصغرى، يركز على عملية فصل المشاة عن الدبابات، ولكن هذه الظاهرة قديمة في الحروب، وقد طبقها العرب في اليرموك، حيث أفسحوا في المجال لخيل الروم والتفوا على مشاتهم، فتحقق الفصل بين المشاة والخيالة، فأسقط في يد العدو.

### ٣ - المطاردة والانسحاب:

**إن نجاح حركة الالتفاف، ونجاح حركة الهجوم العنيف على الجناح الأيمن بالإضافة إلى النجاح في فصل مشاة الروم عن خيالتهم،** رفع من معنويات العرب، فبدؤوا هجومهم الحاسم، ففر خيالة الروم وطاردتهم خيالة **خالد** وفي الوقت ذاته هاجمت مشاة العرب من الجانبين مشاة الروم المقترنين بالسلاسل. فكان قرن المقاتلين وبالاً عليهم. **ويصف الطبري** عملية الفصل هذه وعملية المطاردة بالتالي: (ولما رأى المسلمون خيل الروم مقبلة، أفرجوا لها ولم يحرجوها، فذهبت، فتفرقت، وأقبل خالد والمسلمون على الرجّل ففضوهم، فكأنما هدم بهم حائط فاقتحموا في خندقهم، فاقتحم عليهم، فعمدوا إلى الواقوصة حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من جشعت نفسه، فيهوى الواحد بالعشرة لا يطيقونه كلما هوى اثنان

كانت البقية أضعف، فتهافت في **الواقوصة** عشرون ومئة ألف مقترن، وأربعون ألف مطلق سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجّل[١].

**٤ - نظرة تحليلية:**

**لا شك في أن التفوق في العدد والعدة كانت موازينه لصالح الروم**، فقد كان مجمل عدد الجيش العربي **ستة وأربعين** ألف فارس وفق أعلى أرقام المؤرخين، بينما كانت جيوش الروم تفوق العرب بخمسة أضعاف، فقد كانوا أكثر من مئتي ألف مقاتل بين فارس وراجل، ولكن العرب استطاعوا أن يربحوا المعركة بمجموعة من العوامل أهمها تفوقهم الساحق بالقدرة على المناورة والحركية العالية، بالإضافة إلى الروح المعنوية العالية جداً. إن المقاتل العربي قد امتاز عن المقاتل الرومي بميزات أهمها التعود على شظف العيش، فهم أبناء الصحراء، كما أن العربي يدفعه إيمان مطلق بفراديس النعيم بعد الشهادة كما أن العرب قد فاجؤوا الروم باختراع الركاب وبوساطته كان الفارس العربي أكثر قدرة على الثبات والحركة بوقت واحد.

**كما أن الفرق ظاهر في العدة، إذ كان تجهيز الروم أكثر ثقلاً مما جعله عاملاً في التقليل من قدرتهم على الحركة** وبالتالي حد من قدرة جيوش الروم على المناورة أيضاً **وكان للمرأة العربية دور كبير في هذه الحرب التحريرية**، فقد قامت بالعناية بالجرحى والمرضى، بالإضافة إلى توزيع الماء وإنشاد الأناشيد لإثارة حمية الفرسان العرب، كما كن يشتركن في القتال أخيراً، ولا نعرف بالضبط عدد نساء العرب اللواتي شهدن اليرموك وإنما نقول في مقدمتهن أسماء بنت أبي بكر الصديق وزوجة الزبير بن العوام وهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان ووالدة معاوية وأم أبان زوجة عكرمة بن أبي

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩، ج٢، ص ٥٩٦ السطور السبعة الأخيرة.

جهل، ونسيبة بنت كعب، وغرة بنت عامر بن عاصم العمزي، ورملة بنت طلحة الزبيري، وإمامة، وزينب، وهند، ويعمر، وسمية بنت عاصم الخولاني، وعفيرة بنت غفار وغيرهن.

**٥ - عمر قائد أعلى وأبو عبيدة قائد عام لجبهة بلاد الشام:**

**توفي القائد الأعلى أبو بكر الصديق ليلة الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخر عام ١٣هـ الموافق ٢٣ آب عام ٦٣٤م** بين المغرب والعشاء وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان قد سمه اليهود في أرز، وقيل في حريرة وهي الحساء فأكل هو والحارث بن كندة وقال لأبي بكر أكلنا طعاماً مسموماً بسم سنة، فمات بعد سنة ومرض خمسة عشر يوماً، فقيل له: لو أرسلت إلى الطبيب. فقال: قد رآني، قالوا: فما قال لك؟ قال لي: إني أفعل ما أشاء[1].

**استخلف أبو بكر عمر بن الخطاب وبهذا أصبح عمر قائداً أعلى لقوات العرب** وكان تاريخ تولية عمر هو تاريخ وفاة أبي بكر ذاته. ويقول الطبري: كان أول كتاب كتبه عمر حين ولي إلى أبي عبيدة يوليه على جند خالد: «أوصيك بتقوى الله الذي يبقى، ويفنى ما سواه الذي هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق عليك. ولا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيفما أتاه، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس وإياك إلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك، فاغمض بصرك عن الدنيا وأله قلبك عنها، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من قبلك، فقد رأيت مصارعهم»[2] وقد قدم بوفاة أبي بكر إلى الشام (شداد بن

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩، ج٣، ص٦١١، ٦١٢، + ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط١، ١٣٠١هـ، ج٢، ص٢٠٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩، ج٢، ص٦٢٢ + الأزدي، فتوح الشام ط١٩٧٠م نشر دار سجل العرب ص١٠٣.

أوس بن ثابت الأنصاري). ونرى أن عمراً قد عين أبا عبيدة لقناعته بقدرته وأسبقيته في الإسلام، ويؤكد بعض المؤرخين على خوف عمر من افتتان الناس بخالد بن الوليد.

### جـ - خطة العرب العامة بعد اليرموك:

كتب القائد الأعلى إلى أبي عبيدة: أما بعد فابدؤوا بدمشق فانهدوا لها، فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، وأشغلوا عنكم أهل فحلٍ بخيل تكون في نحورهم، وأهل فلسطين، وأهل حمص، فإن فتحها الله قبل دمشق، فذاك الذي نحب وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل في دمشق من يمسك بها ودعوها. وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل، فإن فتح الله عليكم فانصرف وخالد إلى حمص، ودع شرحبيل وعمرو، وأخلهما بالأردن وفلسطين، وأمِّر كل بلد، وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته[1].

**نستنتج من كتاب عمر بن الخطاب - القائد الأعلى - أن الخطة تتضمن النقاط التالية:**

- البدء بمهاجمة دمشق لتحريرها. إرسال قوة حربية لمشاغلة الروم في فحل حين مهاجمة دمشق.
- إرسال قوة حربية لمشاغلة الروم في حمص زمن محاصرته لدمشق.
- في حال تأخر تحرير دمشق وامتداد زمن الحصار، يدع أبو عبيدة حولها قوة كافية ويقصد فحل فينجز أمرها بالاشتراك مع الجيش الذي يحاصرها - يقصد بعد تحرير فحل مع خالد وسائر القادة، حمص لتحريرها ويدع عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة في فلسطين والأردن.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩، ج٢، ص٦٢٥.

- إقامة نظام الإدارة في كل بلد، ويقيم فيه حامية عسكرية.

**١ - معركتا فحل ومرج الصفر:**

**فحل إحدى المدن العشر التي بناها الإسكندر المقدوني،** مثلها مثل فلادلفيا التي أصبحت الآن عمان، وفحل على مقربة من بيسان، وهذه واقعة على القرب من شاطئ البحيرة الجنوبي الغربي، ويؤيد ذلك ما رواه المؤرخون، وهو أن المسلمين ساروا من فحل إلى بيسان ففتحت لهم. نرجح أنَّ قسماً من الجيش العربي، قد توجه وفقاً للخطة الحربية العامة السابقة إلى فحل لتحريرها، أو شل القوات الموجودة فيها لحماية طرق الإمداد العربية، وقطع احتمالات إمداد الروم عن الطريق نفسه لاسيَّما من جهة البحر. قام الروم ببثق المياه، فأصبحت الأرض مستنقعاً. والقصد من ذلك عرقلة حركات العرب في هذا الميدان، إن لم يكن الهدف إيقاع العرب في هذا المستنقع.

**وتجدر الإشارة هنا إلى أن المارشال «هند برج» قد طبق هذه الخطة في بطاح مازوريا (بروسيا الشرقية)** حينما غزى الروس تلك البقاع في الحرب العظمى في شهر آب عام ١٩١٥، فقد ظل يستدرجهم، حتى أوقعهم فيها، ثم أعمل في رقابهم السيف، وتسمى هذه المعركة معركة **تانبرج الكبرى.** أما العرب فقد وصلت خيولهم حين طرقوا المستنقعات ولقوا فيها عناء ولكنهم سلموا وحتى الروم فإنهم لم يقوموا بالهجوم على العرب في أثناء معاناتهم، وإنما اكتفوا بالاختفاء وراء حصونهم. ضرب العرب المسلمون الحصار على فحل، ونزلوا حولها حتى حرروها في شباط ٦٣٥م.

**عندما غزا الجيش البريطاني دمشق عام ١٩٤١** قام الجنرال فيشي بمحاولة لإنقاذها، فدارت معركة مرج الصفر على بعد عشرين ميلاً إلى الجنوب من دمشق. كذلك لما تقدم العرب نحو دمشق حاول الروم الدفاع عنها

في مرج الصفر في شباط عام ٦٣٥ وانهزم الروم، واستمر العرب في تقدمهم نحو دمشق حتى وصلوها في أواسط آذار عام ٦٣٥[١].

**٢ - تحرير دمشق:**

**لقد فتح النصر في معركة مرج الصفر طريق دمشق في وجه العرب،** فزحفوا ولكنهم واجهوا تفوقاً رومياً في الهندسة العسكرية وبناء الحصون، في حين لم يكن العرب قد ألموا بمعدات الحصار إلماماً يتيح لهم فتح الدن الكبيرة مثل دمشق وهكذا كانوا أمام عائقين الفيلة في الشرق في حروبهم ضد الفرس، والحصون في الشمال والغرب في حروبهم ضد الرّوم. وقد واصل العرب الزحف إلى الغوطة عن طريق المزة، أي عن طريق الجنوب الغربي، فاكتسحوها حتى بلغوا، في تقدمهم، المدينة في أواسط **آذار عام ٦٣٥**، فضربوا نطاقاً حولها، فحاصروها وأقاموا القوى حول خمسة من أبوابها، وهي **الباب الشرقي - باب توما** (في الشمال الشرقي) **باب الفراديس** (الشمالي) - **باب الجابية** (حوران) - **الباب الصغير** (الجنوبي) **ويقول ابن عساكر**: إن أبا عبيدة نزل حول باب الجابية، وإن خالداً نزل حول الباب الشرقي، ومعه خمسة آلاف مقاتل، وإن أبا الدرداء كان ببرزه (أي أنه كان قرب حي الأكراد الحالي من أعلى دمشق) وإن المقاتلين العرب كانوا منتشرين حول أبوابها.

**دام حصار دمشق زهاء ستة أشهر (محرم - رجب) حتى استطاع خالد** أن يعبر خندق الماء وأن يرتقي الأسوار بوساطة السلالم مع مجموعة اقتحام، كان على مقدمتها **القعقاع بن عمرو التميمي ومذعور بن عدي**، ثم تسللت مجموعة الاقتحام الأبواب ففتحتها أمام قوات العرب. فلما أيقن الروم

---

(١) أمين سعيد، حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، مطبعة عيسى البـــابي الحلبـــي، ط١، مصر ١٩٣٥، ص١١٣.

أن لا مفر من الاستسلام فتحو الباب أمام **عبيدة بن الجراح** صلحاً، بينما كان دخول خالد بن الوليد عنوة. التقى القائدان في سوق النحاسين في وسط المدينة. حيث أبلغ أبو عبيدة خالداً أن قراره هو وقف القتال نظراً لتوقيعه عهداً لأهل المدينة بالصلح. وقد استسلمت المدينة على الغالب في شهر **آب وأيلول من عام ٦٣٥م**.

**٣ - تحرير حمص:**

**لم يكن أمام قوات الروم إلا طريقان للانسحاب: الأول وهو سلوك طريق حمص شمالاً، والثاني وهو سلوك طريق (وادي بردى - البقاع) غرباً**. وفعلاً فقد انسحبت قواتهم في هذين الاتجاهين. وبعد أن تم تحرير دمشق ولى أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان إدارتها. وكتب القائد العام للجبهة الشمالية إلى القائد الأعلى للقوات العربية عمر بن الخطاب يعلمه بتحقيق تحرير دمشق، وهو الهدف المحدد له سابقاً، ويطلب منه تعليمات جديدة عما تقتضيه خطة القيادة العربية العليا، فأمره الخليفة أن يمضي إلى الشمال ويواصل فتح البلاد ومطاردة الروم وأن يعيد الفرقة التي قدمت من الجبهة الشرقية إلى الجبهة الشمالية، نظراً لاحتياج تلك الجبهة لها، فقد أوشكت معركة القادسية على الوقوع. **ويؤكد الطبري وابن كثير القرشي** أن قوات العرب قد تابعت التقدم إلى حمص وفقاً لتعليمات القائد الأعلى، ووصلتها **في خريف ٦٣٦م** الموافق ١٥ هـ . وقد دام حولها الحصار طوال الشتاء حتى استسلمت صيفاً[(١)]. **وينفرد الواقدي** بذكر قتال أبي عبيدة إذ يقول: فلما اقترب من حمص من موضع يقال له الزراعة، وجه على مقدمة جيشه **ميسرة بن**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩م، ج٣، ص٩٧ +ابن كثير القرشي، البداية والنهاية في التاريخ، ط مطبعة السعادة، ج٧، ص٢٤١ +محمد كرد علي، خطط الشام، ط١٩٦٩م، ص٨٨ + الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص١٣٠، ١٣٤.

**مسروق العبسي**، وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض، وضم إليه خمسة آلاف فارس...... وأرسل بعده **ضراراً بن الأزور** في خمسة آلاف فارس، وبعث بعده **عمرو بن معد يكرب الزبيدي**، وقدم أبو عبيدة ببقية الجيش (هذا في ص١٣٠).

**ويقول في صفحة ١٣١: وقسم الأمير أبو عبيدة عسكر المسلمين إلى أربع فرق**، فبعث فرقة مع المسيب بن نجية الغزاوي فنزل بهم على باب الجبل مما يلي الصغير، وبعث فرقة أخرى مع المرقال بن هشام بن عقبة بن أبي وقاص، فنزل بهم على باب الرستن، وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبي سفيان، فنزل على باب الشام، ونزل الأمير أبو عبيدة وخالد على باب الصغير.

**٤ - تحرير الرستن:**

**بعد أن فتحت حمص، سار الأمير أبو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصناً منيعاً**، وفيها ماء غزير، وهي مشحونة بالرجال والعدد العديد، فبعث إليهم رسولاً رفضوا شروطه[(١)] عند ذلك دعا أبو عبيدة أهل الرأي والمشورة، واتفقوا أن ليس لهم من سبيل لفتح الرستن إلا بالحيلة والخديعة. ورسم قائد الجبهة الشمالية خطة، ملخصها أن أبا عبيدة طلب من بطريق الرستن (**نقيطاس**) أن يستودعه أحمالاً فوافق، فجعل من فرسانه عشرين فارساً في عشرين صندوقاً، وجعل أقفال الصناديق من الداخل، وأمرهم بالانقضاض من أماكنهم، وفتح الأبواب ليلاً، وكان أول من دخل الصناديق: ضرار بن الأزور - المسيب بن نجيبة - وذو الكلاع الحميري - وعمرو بن معد يكرب الزبيدي - والمرقال - وهاشم بن نجعة - وقيس بن هبيرة - وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - ومالك بن الأشتر - وعوف بن سالم - وصابر بن كلكل - ومازن بن عامر - والأصيد بن سلمة -

---

(١) الواقدي،فتوح الشام، ص١٣٢ - ١٣٥.

وربيعة بن عامر..... وغيرهم. وارتحل الأمير أبو عبيدة وسار حتى نزل قرية يقال لها: (السودية)، فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد بجيش الزحف إلى الرستن، وسار على رأسه، فكان أن نجحت الخطة، وتم تحرير الرستن.

**٥ - تحرير قنسرين وحلب:**

**قنسرين هي من قواعد الروم العسكرية الكبرى في الشمال، ويبدو أن قوات الروم العسكرية قد حشدت بشكل كبير فيها استعداداً** لمعركة كبيرة قرروا خوضها مع العرب. لأن خالداً كان قد انفصل عن أبي عبيدة وسار إلى قنسرين فالتقى في (الحاضر)، وهو مكان بجوار قنسرين، بجند كبير للروم بقيادة **ميناس**، من كبار رجالهم العسكريين، وكان الروم يطمعون أن يصدوا العرب في هذا الميدان، ويمنعوهم من الاستيلاء على قنسرين لأنَّ الاستيلاء عليها معناه فتح طريق إنطاكيا وهي في غرب حلب الشمالي، وفتح المنطقة الشرقية الواسعة حولها (منطقة الفرات)، والمنطقة الساحلية[١] وقد دارت معركة عنيفة بين الفريقين انتهت بانتصار العرب[٢] فاستولوا على الحاضر وقنسرين وحلب وذلك عام ١٧هـ، وصالحتهم على مثل صلح دمشق وحمص، ودانت لهم قواعد الشمال الكبرى، كما أصبح في استطاعتهم أن يتصلوا بجيشهم في جنوبي العراق من هذه الناحية.

**٦ - فتح ساحل الشام:**

**تقدمت القوات العربية لتحرير ساحل الشام** من إسكندرون وحتى صور تمشياً مع الخطة العامة للجبهة الشمالية وأوامر القائد الأعلى، على محورين وهما:

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة عام ١٩٣٩، ج٣، ص٩٨.

(٢) الجنرال جون باجوت كلوب - الفتوحات العربية الكبرى، تعريب خيري حمّاد، الطبعة الأولى، العراق. مكتبة المثنى، بغداد عام ١٩٦٣، ص٣١٤.

**محور الطريق الرومي القديم** الممتد بين حلب وطرطوس، ويبلغ طوله ٢٩٨كم، ماراً بالمناطق التالية: معرة مصرين - سرمين - بوقا - جبلة - بانياس - الخراب - طرطوس. وهذا هو الطريق الذي اتبعه أبو عبيدة بن الجراح.

**المحور الثاني**: ويبدأ من دمشق - بيروت - صيدا - صور، وهذا هو الطريق الذي اتبعه يزيد بن أبي سفيان الذي عاد أيضاً باتجاه الشمال حتى وصل بيروت ثانية، ثم تابع شمالاً حتى فتح طرابلس أما إنطاكية التي بناها سلوقس عام ٣٠٠ق.م في سفح جبل سيليبوس إحياء لاسم أبيه أنطيوخس. والتي تقع في شمال حلب الغربي وتبتعد عنها حوالي ١١٢كم. فقد فتحها أبو عبيدة بعد فتح حلب وقنسرين. فاستولى عليها صلحاً بعد حصار لم يدم طويلاً. بين جبل أمانوس وجبل قزل طاع - الجبل الأحمر - أمّا مضيق بيلان أو (بفراس) وهو يبتعد عن إسكندرونة نحو ١٣كم وعن إنطاكية ٥١كم. فلم يلق العرب مشقة في احتلاله، وهزموا القوات التي رابطت فيه، وبذلك تم فتح شمالي بلاد الشام.

٧- **فتح كيليكيا**:

**تقع هذه المنطقة في السهل القائم بين جبل اللكام (أمانوس) وجبال طوروس**، ويحدها المتوسط من الجنوب. ومن أشهر مدنها «أذنة» و«مصيصة» و«حاجيل» و«أياس» وسكانها العرب - الآن - ممنوعون من التخاطب بلغتهم. فتح العرب كيليكيا عام ٢١هجرية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إذ يروي الواقدي أنه قد أرسل مسيرة بن مسروق العبسي، وقد اتبع الطريق التالية:

(حلب - عمورية - أذنة). كما تابع فتحها هاشم بن عتبة عام ٢١هـ.

٨ - **تحرير كامل فلسطين:**

**لقد أوضحنا سابقاً أن القائد العام للجبهة الشمالية،** أبا عبيدة بن الجراح، قد وجه الجناح الرئيس لجيشه إلى الشمال لتحرير دمشق - حمص - حلب..... وغيرها، كما وجه الجناح الآخر إلى الجنوب لتحرير فلسطين بقيادة عمرو بن العاص وقد عبأ **عمرو بن العاص قواته على المنوال التالي:**

- معاوية بن أبي سفيان، الذي كان في جيش أخيه يزيد، كلِّف بقيادة حملة لمحاصرة قيسارية لمنازلة حاميتها، وقتالها ومنعها من إنجاد حصون أجنادين.
- علقمة بن حكيم ومسروق بن فلاك العكي كلفا بمهمة حصار القدس.
- أيوب بن المالكي كلف بمهمة حصار الرملة.
- علقمة بن محرز كلف بقيادة الحملة إلى غزة.
- عمرو بن العاص، قائد الجناح الجنوبي من الجيش العربي، وقد تولى محاصرة أجنادين.

**ودارت بين العرب والروم معارك طاحنة في المناطق التي نزلوها.** فقد قاومت حامية أجنادين بالدفاع عنها بقيادة «أريطيون» حتى استسلمت في منتصف السنة الخامسة عشرة، حيث انسحب قائد الحامية، وانضم للقوات الرومية في القدس، وتولى عمرو بن العاص القيادة من علقمة بن حكيم ومسروق بن فلاك العكي، ودام الحصار حتى جنح الروم إلى السلم ولكنهم اشترطوا أن يتم على يد القائد الأعلى الخليفة عمر بن الخطاب.... وكان ذلك.

أما أيوب المالكي فقد استمر في حصار الرملة حتى جنحت للسلم على يد عمر بن الخطاب فكان ذلك أيضاً. أما قيسارية مع عسقلان فقد بقيتا تقاومان حتى استسلمت قيسارية عام ٢٢هجرية. وفي عام ٢٣هجرية فتحت

عسقلان. ولقد كان فتح عسقلان خاتمة فتح فلسطين وانتهاء الأعمال الحربية في الجبهة الشمالية في تلك الفترة.

### ٩ - حملة عمورية في القرن التاسع للميلاد ٢٢٣ هـ الموافق ٨٣٧ م:

**حين انتهى المعتصم من محق بابك، عزم على قصد إمبراطور الروم بكل قواته، ليثأر لهزيمة السنة الماضية. وكان الغرض الأول غزو عمورية، ويروي مؤرخو العرب أن المعتصم سأل، حين انتصر على بابك، أي حصون الروم أمنع وأقوى. فقيل له: عمورية، فإنه لم يقصدها مسلم منذ ظهور الإسلام، وهي عين الروم، وهي عند الروم أشهر من قسطنطينية. وتنبأ المنجمون أن وضع الكواكب ينبئ بفشل الحملة، ولكن الخليفة لم يعر ذلك اهتماماً أو أي إصغاء، وغادر المعتصم عاصمته سامراء أول إبريل عام ٨٣٨ على رأس قوات كبيرة لم يجتمع لخليفة من قبل مثلها - فيما يروي الطبري - ولا مثل سلاحها ومؤونتها ومساقيها المستقلة وبغالها ودوابها وقربها المختلفة والآلات الحديدية والنفط، ويتراوح تقدير الجيش بين مئتي ألف فارس وخمسمئة ألف.**

**كان على مقدمة الجيش أشناس وهو تركي**، ومحمد بن مصعب، وعلى الميمنة **أيتاخ** التركي، وعلى الميسرة **جعفر بن دينار** بن عبد الله الخياط، وعلى القلب **عجيف بن عنبسة**، ونقش المعتصم الألوية والتروس: «عمورية». ووقف الجيش على مسيرة يوم من طرسوس على نهر اللامس، وكان هذا النهر موضع تبادل الأسرى عادة بين الروم والعرب. وفي أثناء ذلك كان تيوفيل قد غادر قسطنطينية ووقف عند دروليه على مسيرة ثلاثة أيام من عمورية، وبلغته الأنباء بعظمة الجيش العربي، فحمل ذلك كثيراً من كبار الموظفين والقواد على نصح الإمبراطور بإخلاء عمورية من سكانها إلى مكان آخر منعاً لسفك الدماء، ولكن **تيوفيل** رأى في ذلك جُبناً لا يليق به، وآثر أن يحصن عمورية وأن يعهد حمايتها إلى قائد مجرب وهو **أيتيوس**،

وكان حينئذ البطريرك الاستراتيج لجند أناطولية، وبعث إلى عمورية أمداداً جعل عليها الخصي **تيودور كراتيروس**[١].

**وقرر المعتصم غزو أرض الروم من جهات مختلفة، فبعث الأفشين حيدر بن كاوس مع قسم من الجيش نحو مدينة سروج الواقعة على ثلاثة عشر فرسخاً من سميساط وأمره أن يدخل من ناحيتها أرض الروم، في يوم محدد، عن طريق درب الحدث، ويظهر أن انضم لهذا الجيش جند من الأرمن وأمير ملطية، وكان الترك أكثر مَنْ مع أشناس، واجتمعت كل هذه الجنود وعسكرت عند سهل داسيموس الخصب - وهو اليوم (كازا أوفا) - قرب طرخال على نهر إيريس.**

**أما الخليفة فكان يتهيأ في الوقت نفسه للسير إلى أنقرة. فإذا أخذها اتجه إلى عمورية، وفي يوم الأربعاء ٢٢ رجب سنة ٢٢٣ هـ (١٩ يونيو ٨٣٨)** أمر الخليفة أشناس أن يتقدم في درب طرسوس إلى مدينة الصفاف الواقعة قرب لؤلؤة - على الطريق الموصل بين أبواب كيليكيا والطوانة. ثم سار المعتصم، يوم الجمعة ٢٤ رجب (٢١يونيو)، وبلغه وقتئذ أن جيش الروم قرب الهليس - ويقول الطبري: قرب اللامس - على أهبة عبور هذا النهر ومفاجأة العرب. فبعث المعتصم خطاباً إلى أشناس، وكان وقتئد قد بلغ مرج الأسقف يبلغه عن جيش الروم، ويأمره أن يتقدم (يعني ألا يعبر الهليس ما دامت الساقة وقافلة الأمتعة والبالست والمؤن لم تلحق به) ولم تكن الساقة ومن معها قد خرجت من الدرب بعد. ومضت ثلاثة أيام ثم تسلم أشناس كتاباً من المعتصم وجيشه. فبعث أشناس لذلك عمر الفرغاني على رأس مئتي ألف فارس جابوا حول حصن قره، الذي عرفناه، ولكن قائد الحصن علم بالأمر فاستقر بفرسانه على جبل عال محيط برستاق قره ودره، وترقب فيه العرب،

---

(١) الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ٢٢٦.

وعلم عمر الفرغاني في الوقت المناسب بالكمين الذي وضع له، فقصد دره. فلما جاء الفجر قسم جيشه ثلاثة أقسام، جعل لكل قسم دليلين وأمرهم بتصيد أسرى من الروم ففعلوا ما أمرهم به، وأخذوا كثيراً من جند الروم وسكان الناحية، وعلموا منهم أخباراً هامة أدلى بها فارس رومي. عبر اعترافه بأن الإمبراطور معسكر بجيشه فيما وراء الهليس على أربعة فراسخ منه، وأن قائده قره يتهيأ في هذه الليلة لإعداد كمين في الجبل ليفاجئ به العرب. وخشي عمر أن تقع بعوث الطلائع في هذا الكمين، فأنزل أدلاء لإنذارهم بما يتهددهم، وأمرهم بالقفول إليه. فاجتمعت البعوث وعادت نحو أشناش، بعد أن أخذت عدداً كبيراً من أسرى الروم فأفضت إليه بما جمعت من المعلومات، وفيما يلي مضمونها:

**إن الإمبراطور معسكر منذ ٣٠ يوماً وراء الهليس يترقب مرور المعتصم للوثوب عليه.** وأنه علم حديثاً أن تيوفيل بلغه أن جيشاً عربياً دخل أرض الروم من ناحية جند أرميناك وهو الجيش الذي كان قد اتجه إلى سروج - كما عرفنا - ولذلك عين الإمبراطور أحد قرابته على الجيش المعسكر على الهليس، وسار بنفسه بجزء من الجيش للقاء الأفشين. ولما بلغ أشناس هذا الخبر الهام، أسرع فأداه إلى المعتصم، وأراد المعتصم أن ينذر الأفشين بسير إمبراطور الروم إليه. فأرسل لذلك طلائع من جيشه، وأمر أشناس أن يفعل مثل ذلك. وجعل عشرة آلاف درهم لمن يبلغ الأفشين خطاب الخليفة الذي ينذر فيه الأفشين بسير جيش تيوفيل، ويأمره أن يتوقف حيث هو لا يتحول.

**ولكن الأفشين كان قد توغل في أرض الروم فلم يبلغه أي كتاب.** وفي أثناء ذلك أمر الخليفة أشناس أن يتقدم بعد أن ضم إليه ما وعده من مدد. وسار الخليفة وراءه، وبينهما مسيرة يوم، ولم يكن عندهما أي خبر عن مصير الأفشين. وكان جيش الخليفة لا يجد ما يكفيه من الماء؟ تقول رواية

انفرد بها ميشيل السوري إن أشناس استولى على (نيسيا) المتهدمة، فهدم قلعتها، وهي بين الصفاف وأنقرة، والمقصود كما يقول بيوري هي مدينة نيسا الواقعة جنوبي الهليس. فلنا أن نفرض أن نيسا كانت المرحلة الأولى.

**وقصد أشناس بعد ذلك أنقرة، فلما كان على ثلاثة أيام منها جاء شيخ من بين الأسرى كان يتوقع القتل، فقال له**: (ما تنتفع بقتلي وأنت وعسكرك في ضيق، ومعنا قوم قد هربوا من أنقرة خوفاً من أن يحاصرها ملك العرب، وهم بالقرب منا، معهم الطعام والشعير وغيرهما، فوجه معي قوماً لأسلمهم إليهم وخل سبيلي). فسير معه خمسمئة فارس من أهل القوة، ودفع الشيخ إلى مالك بن كيدر وقال له: متى أراك هذا الشيخ سبباً كثيراً أو غنيمة كثيرة فخل سبيله، وسار هو بعد ذلك إلى أنقرة وكان بها موعده مع مالك بن كيدر وكانت أنقرة في ذلك الوقت حصناً قوياً. وسار بهم الشيخ فأوردهم في الماء على واد سرح فيه الجند دوابهم وأكلوا وشربوا، وقادهم الشيخ في جبل ليلاً، فأوجس الجند خيفة، وظنوا أن الشيخ يضللهم، وقالوا ذلك لمالك بن كيدر، فسأل ابن كيدر الشيخ، **فأجابه**: «هم على حق فإن من نسعى للقائهم ليسوا في الجبل، ولكني أخشى إن خرجنا من الجبل ليلاً أن يسمع العدو وقع حوافر الخيل في الصخر فيهربوا، فإذا خرجنا من الجبل ولم نجد أحداً فلك أن تقتلني ولكني سأقود الناس إلى الجبل حتى الصبح، فإذا كان الفجر قصدناهم ودللتك عليهم، وأمنت القتل».

**وقر الرأي على الراحة في الجبل ليلاً وفي الصباح أرسلوا الشيخ مع أربعة رجال يصعدون الجبل فوجدوا رجلاً وامرأة**. سألوهما عن أهل أنقرة وأين قضوا ليلهم؟ فأجابوا طلب الشيخ شرط أن يطلقهما. وأسرع جند مالك قاصدين مناجم الملح القريبة بعد أن عرفوا أن سكان أنقرة يختبئون فيها، فلما رأى رجال أنقرة قرب الجيش منهم، أمروا الأطفال والنساء بالاختباء في المناجم، وتقدموا بأنفسهم للقتال فهزمهم العرب واستخرجوا من أسراهم

معلومات هامة. فعلموا أن كثيراً من أهل أنقرة اشترك في معركة نشبت بين الإمبراطور والأفشين.... وكانت أخبار الأفشين منقطعة منذ زمن طويل. أما وقعته مع الإمبراطور فقد وقعت كما يأتي:

**كان الإمبراطور على أربعة فراسخ من الهليس إذ بلغه أن جيشاً عربياً دخل أرض الروم من ناحية جند أرميناك. فجعل على قيادة جيشه - كما رأينا من قبل - أحد قرابته وأمره ألا يتحول وألا يجهد نفسه ليوقف تقدم العرب إلا إذا دعا ذلك إلى شيء وأن يتجنب إنشاب معركة نظامية. وسار الإمبراطور بنفسه على رأس جيش من الروم والفرس، وقصد لقاء الأفشين في جند أرميناك. وكان مع توفيل، منويل، وكان معه أيضاً تيوفوب الفارسي. ووقف جيشه غير بعيد من دازيمون، وهي درمانا القريبة من ترخال اليوم، على كثب من جبل يسميه جينزيوس وصاحب الصلة (أنزن).وفي اليوم السابق على الاشتباك استشار أصحابه في أي الأمرين أحسن: إنشاب المعركة ليلاً أم نهاراً وانقسمت الآراء وكان منويل وتيوفيل يفضلان الليل، ومع ذلك انتصر الرأي المعاكس، وابتدأت المعركة في أولى ساعات الصبح من يوم الخميس ٢٥ شعبان (٢٢يوليو) وهبت ريح النصر أول الأمر على الروم، فأوقعوا برجال العرب المسلمين خسائر كبيرة حتى هربوا، ولكن ما إن حل الظهر حتى حول فرسان العرب الموقف، فانهزم الروم وهربوا وانقطع نظامهم، وطالت المعركة حتى الليل وكان أكثر الروم لا يعلمون أين كان الإمبراطور، وافتقده بعضهم في المعسكر فلم يجدوه. فارتد قسم من الجيش نحو الهليس، وهناك علموا بنبأ محزن، وهو أن الجيش الذي تركه تيوفيل هناك لم يطع قائده قريب الإمبراطور، وتفرق[١].**

---

(١) الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ٢٢٨.

**أما تيوفيل فإنه مكث في ميدان القتال زمناً بعد هرب جنده، ولم يكن معه إلا رؤساء جيشه وعلى رأسهم منويل والحلفاء الفرس** - ولم يوقف العرب هجومهم، مع أنهم لم يكونوا لينالوا من وراء الهجوم شيئاً، وذلك أن المطر أرخى أوتار سهام المطاردين من الترك - وعلم **تيوفوب** آخر المفاوضات بين الفرس والعرب، وكان الغرض منها أن يخذُل الفُرس **تيوفيل،** فلما سمعها دعاه وفاؤه إلى جمع جماعة ممن تمّ إخلاصهم للإمبراطور فأقنعوه بالهرب. فأفسح الإمبراطور لنفسه طريقاً بين جند العدو، وسار حتى بلغ (خليوكومن) وهو سهل شمالي أمازيا، فجمع به فلول جيشه الهارب، وتروي بعض التواريخ الرومية أن القواد الذين هربوا من المعركة سجدوا عند قدمي تيوفيل وتجردوا من سيوفهم وحكموا على أنفسهم بالموت. ولكن الإمبراطور كان يحس أنه - نفسه - لم ينج من الخطر إلا برحمة ربانية فرحمهم وعفا عنهم.

**ثم عاد الإمبراطور مع جنده ليسير إلى موضع جيشه الذي تفرق،** فأمر بقتل قائده، وأرسل أمره إلى المدن والحصون أن يقبضوا على الهاربين ويجلدوهم ويبعثوا بهم لحرب العرب وأرسل خصياً من خصيانه إلى أنقرة لحماية أهلها إذ جاءها المعتصم محاصراً. ولكن الخصي وصل متأخراً وذلك بعد فوات الفرصة وبعد أن خرج أهل أنقرة من مدينتهم والتجؤوا إلى الجبال.

**فلما سمع الإمبراطور ذلك أمر الخصي بقصد عمورية.** أما هو فارتد إلى درولية (ويروي جنزيوس أنه ارتد إلى نيقيه) وأمر أن تأتيه الأنباء عن مدينته التي ولد بها (**عمورية**). كانت تلك الأنباء هي ما سمعه مالك ممن أسر من أهل أنقرة، فلما علمها أطلق سراحهم وسراح نسائهم وأطفالهم، وأطلق سراح الشيخ كذلك.

**ويضيف ميشيل - المؤرخ السرياني - واقعة دقيقة وهي أن نبأ موت الإمبراطور ذاع في القسطنطينية، بعد أن هزم الأفشين توفيل فهمَّ الشعب**

**لاختيار ملك جديد، وجاء تيوفيل نذير من أمه، فعاد مسرعاً إلى قسطنطينية فنكل بمن اشترك في هذه المكيدة. وهذه الرواية في رأينا قريبة القبول، ويرجح ذاك عندنا إذا تذكرنا رواية جينزيوس التي تقول إن تيوفيل ارتد بعد هزيمته بقليل إلى نيقيه، يعني أنه كان يقترب من العاصمة. ونحن نفترض أن هذه الثورة التي أوشكت على الظهور، إنما كانت ثورة جند الفرس - وهم الذي أرادوا تتويج تيوفوب - بحسب رواية رومية. والواقع أن صاحب صلة تيوفان يروي أن تيوفيل أوجس خيفة من تيوفوب بعد معركة أنزن.**

**ويضيف جنزيوس إلى ذلك شيئاً ذا خطر، وهو أن الفرس** ثاروا فعلاً حين عاد الإمبراطور إلى العاصمة وساروا عندئذ إلى سينوب في بفلاجونية، أو إلى أماستريس في قول آخر، وتوجوا **تيوفوب** على كره منه. ويروي جنزيوس هذه الواقعة بعد معركة أنزن، ولكن ذلك لا يعتبر مخالفاً للروايات الأخرى لأن **جنزيوس** روى كل ما يخص تيوفوب مرة واحدة من دون انقطاع ومن دون النظر في التوقيت. أما صاحب الصلة فيراعي التوقيت، فلا شك إذاً أن الواقعة كانت بعد هزيمة أنزن. ويؤيد ذلك قول اللوجوتيت وهو خير مصدر رومي. كما أن ذلك لا يتعارض مع رواية **ميشيل السوري ويضيف جنزيوس** أن تيوفوب أقنع الإمبراطور ببراءته ونال حظوته من جديد، وهو قول لا يتعارض مع رواية ميشيل السوري: وهي رواية تقول إن الثورة لم تتم.

**أما جنزيوس وصاحب صلة تيوفان فيقولان** إن شكوك تيوفيل في أمر تيوفوب إنما قامت بعد ذلك في آخر أيام تيوفيل، فأمر في آخر لحظة بقتل تيوفوب، وهو قول نظنه أسطورة خلقها الحقد، ولا يتفق مع ما نعرفه من سلوك تيوفيل، وأغلب الظن أن تيوفوب مات بعد عمورية في حرب مع أبي سعيد وبشير [١] كما يروي ميشيل السوري.

---

(١) انظر الأصل الفرنسي ص١٧٦.

**ولقي مالك بن كيدر في أنقرة أشناس وأخبره** ما فعل الشيخ وما سمعه من الأسرى، ثم وصل المعتصم في اليوم التالي إلى المدينة نفسها. وفي اليوم الثالث جاءت أنباء من الأفشين تخبر بقدومه نحو أمير المؤمنين. وفي اليوم التالي وصل هازم بابل إلى أنقرة منضماً إلى المعتصم فحرروا تلك المدينة، وأثر نصر الأفشين وكارثة الجيش الرومي بالإمبراطور أثراً بالغاً بطبيعة الحال فانكسرت شجاعته، ونسي حملته الظافرة في العام الماضي وبعث إلى المعتصم رسلاً وأمرهم بالشرح، وبذل الوعود المذلة. وادّعى تيوفيل أن قواده تجاوزوا أوامره عند أخذ زبطرة، ووعد ببناء المدينة المخربة على نفقته وأن يعيد إلى الخليفة سكان زبطرة مضافاً إليهم كل مَنْ كان عنده يومئذ مِنْ أسرى الحرب. وأن يسلم البطارقة الذين سلكوا سلوكاً مخزياً عند أخْذ زبطرة فلم يصغ المعتصم لتوسلات الإمبراطور وهزئ برسله وأتهم الروم بالجبن وحجز الرسل إلى أن أخذ عمورية.

**وكان الخليفة قد قصد عمورية بعد تحرير أنقرة.** وقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام وجعل بين كل قسم وآخر فرسخين. وجعل نفسه بالقسم الأوسط، وجعل أشناس على الميسرة، والأفشين على الميمنة. وأمرهم أن يأخذوا كل الناس من دون نظر إلى سنهم أو جنسهم. وكانت عمورية يومئذ في أزهر أيامها. وكانت موطن الأسرة الحاكمة في القسطنطينية، والراجح أن ميشيل الثاني كان قد رفع بلده إلى أسقفية رئيسية مستقلة، ثم رفعت بعد عام ٨٨٦ إلى مطرانية، وكانت عمورية إلى ذلك حصناً منيعاً. فإن سورها كان يشمل أربعة وأربعين برجاً. واستغرق السير إلى عمورية سبعة أيام. وكان أشناس أول من وصل فنزل على بُعد ميلين من المدينة ووصل بعده المعتصم، ثم وصل الأفشين في اليوم الثالث، وجعل لكل قائد جزءاً معيناً من سور المدينة يهاجمه من ناحية ويروي الطبري أن كل واحد أصابه من برجين إلى عشرين.

**بدأ الحصار أول أغسطس، وكان العرب قد أحسنوا الاستعداد له.** أما أهل عمورية فعقدوا العزم على المقاومة، وأبلوا أحسن بلاء في دفع جند الخليفة. فظل الخليفة وقتاً طويلاً لا ينال منهم شيئاً. ويقول ميشيل السوري إن الملك حين رأى مناعتها حفر عندها خنادق يحتمي بها. ابتدأ الهجوم بأن قذف المهاجمون من مجانيقهم أحجاراً ضخمة، وحجبت ظلال سهامهم الشمس، وقتلوا جميع من كانوا على الأسوار. وكان رماة آخرون يرمون من عجلات مغطاة، تحمي الموكَّلين بالنقب تحت السور. وكذلك كان أهل المدينة يقذفون المحاصرين بأحجار مقاليعهم ومجانيقهم وسهامهم فيقتلونهم، ويهدمون عليهم الأحجار، فتدركهم وتقتل من يقترب من السور، ويثيرون عليهم بما يلقون من التراب سحاباً كثيفاً. فمات من الجانبين آلاف من الناس في الأيام الثلاثة الأولى من القتال. ولعل العرب تشاوروا حينئذ في رفع الحصار والارتداد لولا أن وجد من أهل عمورية مواطن أسلم المدينة إلى الخليفة. وقد كان مسلماً أسره الروم فدخل المسيحية وتزوج رومية. فلما كان الحصار غادر المدينة سراً ولحق بالخليفة ودله على مكان من السور يسهل دكه بسهولة.

**وذلك أن المطر أحدث سيلاً هبطت منه الأرض فوقع قسمٌ من السور،** فلما سمع الإمبراطور الخبر أمر قائد عمورية ببنائه، فأهمل القائد أوامر الإمبراطور، حتى علم أن تيوفيل غادر القسطنطينية، فخاف غضبه، فبنى الثغر بناء غير متين، وجعل على السور أسناناً شبيهة بالأسنان الأولى. فلم يكد المعتصم يجمع مجانيقه في هذه الناحية حتى وقع قسم من الحائط. فلما رأى الروم الثغرة أرادوا سدها بالخشب وبطنوه بالجير لتخفيف دفع الأحجار.

**وظلوا على ذلك زمناً حتى أحدث تكرار الضرب المتواصل كسراً في الخشب فتداعى السور من هذه الناحية.** فعزم قائد عمورية **أيتيوس**، والخصي الذي كان **تيوفيل** قد أرسله أن يكتبا إلى الإمبراطور كتاباً يخبرانه فيه بتهدم السور وموقف الروم الخطير وبقوة الجيش العربي المحاصر وبعزم

**أيتيوس** على الخروج ليلاً، وافتتاح طريق بين الأعداء للاتصال بالإمبراطور، وأضاف أيتيوس في الكتاب: ليكن ما يكن، ولينج من يستطيع النجاة، ويهلك من يلقاه الهلاك. وسلموا خطاب تيوفيل إلى رجلين، أحدهما عبد رومي والآخر رجل يتقن العربية، فخرجا من المدينة وما كادا أن يتجاوزا الخندق حتى وقعا على جند عمرو الفرغاني فسألوهما من أين جاءا؟ فأجابا: نحن من رفاقكم، ولكنهما عجزا عن ذكر شيء من أسماء قواد العرب وعجزا عن الإجابة على السؤال الثاني وهو: من أي كتيبة هما؟ فعرفوا أنهما جاسوسان. وأمر عمرو الفرغاني بإرسالهما إلى المعتصم، ففتشهما، ووجد خطاب أيتيوس.

**فلما قرأ الخليفة الكتاب أهدى لرسولي الروم هدايا**، فدخلا في الإسلام. ثم ألبسهما في اليوم الثاني أغلى الثياب وأمر بعرضهما على طول الأسوار، وتقريبهما من البرج الذي ظن أن فيه أيتيوس. وسير أمامهما رجلين يحملان المال وفي يديهما الكتاب. فلما رأى أيتيوس ومن معه من الروم المنظر غير المتوقع، تعالت أصواتهم حنقاً وحزناً وكدراً.

**وعمد المعتصم، بعد ذلك، إلى الجد في الحرب ليحرم على المحاصرين أية فرصة للخروج من المدينة**، وجعل عسكره حرساً دائماً من الخيالة. وخصص جماعة لا ينامون إلا على خيولهم. وكان المعتصم حين اقترب من عمورية عاين اتساع خندقها، وعلو أسوارها، فعزم على المدينة بالطريقة الآتية: أمر ببناء عرادات عالية على الأسوار يديرها أربعة رجال. ثم اتخذ العدة لردم الخندق، وإنما أمر بهذا ليمتلئ الخندق إلى حافته حتى إذا استوت الأرض قربت الأبراج السيارة من الأسوار ليسهل بذلك الاستيلاء على المدينة، وذلك بعد أن وضع العرادات على منصات محمولة على عجلات، وجعل مع العرادات أبراجاً تتحرك على عجل وتتسع لعشرة رجال. ولكن الروم قذفوا أحجارهم فالقى العرب الجلود كيفما اتفق، ولم يمتلئ الخندق، فأمر المعتصم بإلقاء التراب فوق الجلود، وقرب برجاً من الأسوار، ولكنه

فسد عند منتصف الخندق، لم يجاوزه، وكاد يهلك من فيه من الجند. وهكذا انتهت بالفشل التام محاولة بذلها المعتصم للاستيلاء على عمورية.

**وفي اليوم التالي أمر المعتصم بالهجوم. وكان أشناس وجنده أول مهاجم. فلم ينل أي نصر ظاهر،** لأن اللقاء كان غير ممكن إلا على مسافة الثغرة الصغيرة. أمر المعتصم بإحضار المجانيق وجعل يقذف بها أطراف الثغرة،،مضى اليوم الأول من الهجوم من دون الوصول إلى نتيجة حاسمة. وفي اليوم التالي هاجم الأفشين وجنوده، فأبلوا في القتال وتقدمهم المعتصم يرقبهم من أعلى فرسه وحوله أشناس وقواد آخرون على خيولهم، وترجل حوله من دونهم من القواد. فقال المعتصم مظهراً رضاه: ما أجمل القتال اليوم. وكان عمرو الفرغاني غير بعيد فأضاف: هو خير منه بالأمس[1].

**فلما سمع أشناس هذا الكلام، وكان قائد الأمس، أحس بأنه المقصود بالإهانة ولكنه كظم غيظه،** فلما كان الظهر تفرق المعتصم وقواده ليأكل كل منهم في خيامه، فجرى عند خيمة أشناس حديث ذو مغزى، لأنه كما يرويه **الطبري** يكشف عن مؤامرة دُبرت حينئذ بين عدد من القواد لاغتيال المعتصم والمقربين منه لصالح العباس بن المأمون الخليفة السابق. فلما اتجه أشناس إلى خيمته، قال بصوت الحانق لمن كان يمشي أمامه من القواد، وكان منهم عمرو الفرغاني وأحمد بن هشام: (يا أولاد الإماء ما مشيكم أمامي؟ أما كان عليكم أن تحسنوا القتال أمس، فلما وجدتم أمام الخليفة قلتم ما أحسن القتال اليوم، كما لو كان غيركم الذي قاتل بالأمس. اذهبوا إلى خيامكم). فلما ابتعد عنه عمرو الفرغاني وأحمد بن هشام، دار بينهما الحديث التالي: قال أحمد: (ما ترى هذا العبد ابن الفاعلة - يعني أشناس - ما صنع بنا اليوم. أليس الدخول إلى بلاد الروم أهون من هذا الذي سمعناه). قال عمرو الفرغاني

---

(١) الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ٢٣٣.

لأحمد بن هشام الخليلي، وكان عند عمرو: (يا أبا العباس سيكفيك الله أمره عن قريب، أبشر). فأوهم أحمد أن عنده خبراً، فألح عليه أحمد يسأله، فأخبره بما هم فيه. قال إنَّ العباس بن المأمون قد تم أمره، وسنبايع له ظاهراً ونقتل المعتصم وأشناس وغيرهما عن قريب، ثم قال له أشير عليك أن تأتي العباس، فتقدم، فتكون في عداد من مال إليه.

**واقتنع أحمد**، فأرشده عمرو الفرغاني إلى الحارث السمرقندي قرابة ابن عبيد الله بن الوضاح، وكان المتولي لإيصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم. فقال له أحمد: أنا معكم، إن كان يتم هذا الأمر فيما بيننا وبين عشرة أيام، وإن جاوز ذلك، فليس بيني وبينكم عمل. ولكن **العباس نفسه قال**: (ما كنت أحب أن يطلع الخليلي على شيء من أمرنا. أمسكوا عنه ولا تشركوه في شيء من أمركم). فأمسك أصحاب العباس عنه. فلما كان في اليوم الثالث كانت الحرب على المعتصم وأصحابه.، وكانت مهمتهم ثقيلة، وكان معهم المغاربة والأتراك. وتحولت الحرب لصالح العرب. ولم يزل الأمر كذلك والروم يدافعون عن الثغرة وهي تتسع يوماً بعد يوم، وهم يفقدون كثيراً من رجالهم، وكان الموكل، بالموضع المنثلم من السور، رجلاً اسمه: (وندو) وقد أثقله الهجوم، حتى أصبح غير قادر على الاستمرار في صد اندفاع العدو عليه بما بقي معه من الجند ولم يمده أحد بمدد من الروم. فطلب منهم **المدد وقال لهم**: (إن الحرب علي وعلى أصحابي، ولم يبق معي أحد إلا جرح، فصيروا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلاً وإلا افتضحتم وذهبت المدينة).

**فلم يدهشه إلا رفضهم فقد أغلظوا الرفض، وقالوا**: سلم السور من ناحيتنا، ولسنا نسألك أن تمدنا، فشأنك وناحيتك، فليس لك عندنا مدد. فقلَّب الأمر هو وأصحابه بعد هذا الرد، ولم يجد مخرجاً إلا أن يعزم الخروج إلى المعتصم ويسأل الأمان لذريته على أن يسلمه الحصن بما فيه من السلاح والمتاع وغيره، فلما أصبح خرج حتى وصل إلى المعتصم، وقال لأصحابه ألا يحاربوا حتى يعود.

**ولكن العرب اتبعوا عندئذ خطة الخديعة الحربية. فبينما (ويندو)** يكلم المعتصم بدأ الجند المسلمون يتقدمون من الأسوار شيئاً فشيئاً حتى بلغوا الثلمة، على حين أمسك الروم عن الحرب طاعة لأمر رئيسهم، ولم يتحركوا للدفاع، بل اقتصروا على الإشارة إلى المتقدمين أن يكفوا. وخرج المعتصم وودو حينئذ من الخيام وقد انتهى الحديث. وإذ عبد الوهاب بن علي - أحد أخصاء الخليفة - يومئ إلى الناس فجأة بيده أن ادخلوا المدينة، فدخل العرب مدينة عمورية من دون مقاومة، ولجأت طائفة من المنهزمين إلى الكنيسة الكبيرة من دير عمورية، فقاتلوا قتالاً شديداً أمداً طويلاً إلى أن انهزموا في نهاية الأمر.

**واجتمع آخرون في برج ياطس. فركب المعتصم عند ذلك حتى جاء فوقف حذاء برج ياطس، فصاح العرب**: يا ياطس هذا أمير المؤمنين، فصاح الروم من فوق البرج: ليس ياطس ها هنا. فمضى المعتصم في طريقه وقد ملأه الغيظ، وإذا الروم يصيحون من فوق البرج: هذا ياطس هذا ياطس، فرجع المعتصم إلى حيال البرج، ثم أمر بسلم وصعد عليه الحسن الرومي وهو غلام لأبي سعيد محمد بن يوسف، ليفاوض ياطس، فأقنعه أن ينزل على حكم الخليفة، فقبل يأطس أن ينزل، وخرج متقلداً سيفاً حتى وقف على البرج، فخلع سيفه من عنقه ودفعه إلى الحسن، ثم نزل ياطس فوقف بين يدي المعتصم وهو محنق وأمر أن يوتى به إلى خيمته.

**أخذت عمورية على الأرجح في ١٢ أغسطس ٨٣٧م الموافق ٢٥ شعبان ٢٢٣هـ، ثم استولى الجيش الفاتح على عدد كبير من الأسرى من النساء** والأطفال والغنائم المختلفة. وقد وقع في الأسر من الأشراف غير ياطس، تيوفيل، والبطريرك الاستراتيج وتيودور الخصي الأسباطير الأول الملقب بلقب كراتيروس، يعني القوي، وقسطنطين الدرنجار السباق، وباسيوس وغيرهم. ثم أسر بعد ذلك والي تورما قلونية واسمه كالتوس مليسوس[١].

---

(١) راجع ابن الأثير ٤٤/٦+ ابن الأثير ٢٥٩/١٤.

**وكان ملك الروم قد وجه رسلاً إلى المعتصم**، كما رأينا حين انتصر الأفشين، فحجزهم المعتصم حتى أخذ عمورية ثم سرحهم بالازدراء والمهانة. ولم ير المعتصم أن الحملة انتهت بعد أن أخذ **عمورية** وذلك أنه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج في إثره، أو يريد العبث بالعسكر على الأقل. ولذلك مضى حتى لم يُبْقِ عدواً. فرجع إلى عمورية. وهدّم أسوارها وأبوابها. ثم أمر بترميم زبطرة وتحصينها وإقامة حصون أخرى حولها هي طبارجي، والحسينية، وبنو المؤمن، وابن رحوان أو رجوان. وقد زار هذه الأماكن الجغرافي المشهور أبو الفدا عام ١٣١٥ وكانت زبطرة أيامه خراباً ليس فيهل إلا أثر التحصينات القديمة. وقد استقى الرحالة الإنكليزي وليم هاملتون حوالي عام ١٨٣٠، من مدينة شفري، بعض المعلومات عن خرائب هرجان - قلعة، وهو اسم زبطرة عند الترك، وهي خرائب قريبة من قرية حاجي حمزة، فلما رأى خرائبها ورأى فيها الأكربول وبقايا أسوار الأبراج، وآثار المدينة التي كانت تمتد قديماً حول الأكربول - أعتقد أنها مدينة عمورية أو أموريا القديمة.

**وذاع رأيه وأيدته الأبحاث التي أجريت في آسية الصغرى** من بعد. و يعرف أهل الإقليم اليوم باسم هرجان قلعة. وفي صيف عام ١٨٩٩م زار مؤلف «الروم والعرب» هذه الخرائب، ولم يكن معه حينئذ ما شاء من المعلومات الضرورية، وكان كتابه على وشك الظهور فأجل وصف رحلته، ثم لم ينشر هذا الوصف.

ويسمي أهل الإقليم خرائب عمورية: أسار لا (أسار قلعة) كما يزعم دليل موراي للسفر..


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# البَابُ الثَّانِي

## السياسة والحرب في بلاد الشام

## حروب الفرنجة والمغول


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الفصل الأول

# السياسة والحرب في بلاد الشام في حروب الفرنجة والمغول

## أولاً - العرب والعالم في القرن الثاني عشر:

### أ - في المشرق العربي:

يكاد القرن الثاني عشر أن يغرب، والعرب أشتات مفرقة، بين دويلات وإمارات وبقايا حكم الخلفاء العباسيين في بغداد، والفاطميين في مصر ففي العراق: كانت بغداد تنوء بحكم المستضيء، الخليفة العباسي الضائع، وقد بدأت الموصل في انسلاخ جديد، بتأسيس الدولة الزنكية بقيادة عماد الدين زنكي[1] الذي استطاع في سنة ١١٤٤م أن يحرر شمال العراق وسورية من الاحتلال الصليبي وأن يزيل (كونتيه الرها)[2] الصليبية من الوجود، ثم أعقبه ابنه نورالدين سنة (١١٤٦)م الذي جعل عاصمته حلب، ثم انضمت إليه دمشق في عام ١١٥٤م فكانت إمارة الموصل أولى دول

---

(١) محمد عمارة - معارك العرب ضد الغزاة، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر د.ت، ص٢٩ س١٤.

(٢) المصدر السابق ص٣٠، س٧.

الأتابكة[١]. وفي سورية: كان الأمير إسماعيل يحكم حلب. سنة ١١٧٦م في العقد السابع من القرن الثاني عشر الميلادي، بينما كان معين الدين أُنر أحد خلفاء طغتكين يحكم دمشق التي استسلمت من دون قتال في عام (١١٥٤م) للأمير نور الدين زنكي[٢] فكان ذلك بداية حكم الدولة الزنكية في سورية التي بدأت في أطراف وشمال سورية، وتلا حكمَ الدولة الزنكية النورية الدولةُ الأيوبية، التي تربى رجالها في كنف الدولة الزنكية[٣]. وفي مصر: العبيدية مملكة الخلافة الفاطمية في مصر، بؤرة الخلاف والصراع على السلطة، بين الخلافة ممثلة بالعاضد والوزراء والخليفة وهو في دوامة الضعف والانجراف. وحين تناهت أخبار ثور العرب في سورية إلى المصريين ضغطت الجماهير العربية في مصر - ولاسيَّما فرسانها - على العاضد كي يتعاضد مع نور الدين زنكي لرد الصليبيين الذي ما فتئوا يتدخلون في شؤون مصر ويهمون باحتلالها مما حدا بالخليفة إلى إرساله رسالة إلى نور الدين زنكي يطلب فيها أن يرسل جيشه الذي يقوده (أسد الدين شيركوه) وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، وأرفق رسالته بخصلات من شعر نسائه قائلاً: (هذا شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج[٤]. وفي اليمن: كانت الدولة الحمدانية تحكم اليمن، وهي تصطرع من دعي جديد هو (عبد النبي بن

---

(١) الدكتور فيليب حتي + الدكتور أدوار جرجي + الدكتور جبرائيل جبور، تاريخ العرب (مطول)، نشر دار الكشاف، الطبعة الثانية، لبنان، ط، ٢ بيروت سنة ١٩٥٣، الصفحة ٧٦٢ س ٢١.

(٢) المصدر السابق، ص٧٦٣، السطر الرابع عشر.

(٣) الدكتور نظير حسان السعداوي - التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧، الصفحة الثانية، السطر الأول.

(٤) محمد عمارة - معارك ضد الغزاة، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ص٢١، س١٠ - ١٤.

المهدي)[١] الذي ادعى النبوة واستطاع أخيراً القضاء على الدولة الحمدانية واحتلال صنعاء[٢] عام ١١٧٣م. كما كانت الدولة النجاحية في زبيد، وقد قضى عليها هذا المدعي، أما عدن فقد كانت إمارة قائمة بحد ذاتها. وقد استطاع (توران شاه) شمس الدولة أن يفتح كل هذه الدويلات وأن يلحقها بركب الوحدة الجديد في عام ١١٧٣م ٥٦٩هـ. ومن القلاقل الكثيرة في هذا القرن، أن منطقة اليمن ما كانت تعاهد صلاح الدين حتى ينقض العهد أمراء انفصاليون، فيعود ليخضعها مرة أخرى. فقد كانت اليمن مع صلاح الدين مع مد وجزر[٣].

## مناطق تحت الاحتلال الصليبي:

### ١- الرها:

تمركزت الحملة الصليبية الأولى في القسطنطينية، ثم سارت عبر آسية الصغرى واحتل الصليبيون (نيقية) عاصمة السلاجقة في حزيران عام (١٠٩٧) واجتازوا جبال طوروس، وانقسم الزحف الصليبي إلى قسمين: قسم اتجه شرقاً برئاسة (بلدوين) ابن كانت بولونيا واحتل مدينة (الرها) في مطلع عام (١٠٩٨)م فكانت الرها المستعمرة الصليبية الأولى في بلاد العرب. والقسم الثاني اتجه إلى أنطاكية. وقد انفصل بلدوين عن الجيش الرئيسي[٤].

---

(١) ابن شداد القاضي بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، نشر جمال الدين الشيّال، إصدار دار المؤيد، مصر، القاهر، عام ١٩٦٤م، الطبعة الأولى، ص٢٦٧-٢٨٠.

(٢) شمس الدين أبو العباس أحمد المعروف بابن خالكان (٦٨١هـ)، كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط١، القاهرة مصر، ١٩٦٢م، الجزء الأول ص٢٧٣.

(٣) عبد العزيز سيد الأهل - أيام صلاح الدين، نشر المكتب التجاري بيروت، طبعة آب ١٩٦١ ص٨٣، س١١.

(٢) ستيفن رنسمان - تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. الباز العريني - ط دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٧م، ص٢٨٦، السطر الأخير.

**٢ - أنطاكية:**

حوصرت أنطاكية حصاراً طويلاً مستمراً من (٢١ تشرين الأولى حتى ٣ حزيران ١٠٩٨) وسقطت بعد مقاومة شعبنا العربي وقد حاول الأمير (رضوان) أن يزحف ليسعف أنطاكية فلم يتح له ذلك. كما حاول أمير الموصل (كربوقا) أن ينقذها في ٢٣ حزيران سنة ١٠٩٨ فأخفق وأصبحت أنطاكية المستعمرة الصليبية الثانية، وقد تآمر عليها (بوهمند) وبقيت بعد ذلك قرابة مئة وخمسين سنة تحت سيطرة الاستعمار الصليبي.

**٣ - المعرة وقلعة الحصن وطرطوس:**

احتل مسقط رأس أبي العلا القائد الصليبي (ريموندده تولوز)، أغنى إقطاعيي فرنسة في أخلاها في ١٣ كانون الثاني من عام من عام ١٠٩٩ بعد أن قتل ما يزيد على مئة ألف من أهلها وسلموا للنار، ثم تابع ريمون غرباً فاحتل حصن الأكراد (قلعة الحصن حالياً)[١] ثم احتل طرطوس كذلك.

**٤ - القدس:**

كانت الرملة أول مستعمرة لاتينية في فلسطين[٢] وقد استُخدِمت كقاعدة للانطلاق إلى القدس وفي ٧ حزيران عام ١٠٩٩م توجه الصليبيون إلى بيت المقدس وعددهم نحو ٤٠ ألفاً، ولقد صمد العرب، رغم قلة عددهم في القدس ثلاثين يوماً حتى انتهى الأمر بمذبحة غريبة، قليل مثلها في التاريخ.

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، الطبعة المصرية الأزهرية، القاهرة، ١٣٠١هـ، ج١٠، ص١٩٠.

(٢) أبو يعلى حمزة (بن القلانسي)، تاريخ دمشق، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى النيل عام ١٩٥٦م. ص١٣٦ + حتي تاريخ العرب، ص٧٥٦.

**٥ -طرابلس وبنت جبيل:**

تقع طرابلس - رئة سورية آنذاك - على البحر الأبيض المتوسط، وقد تجنبها الكونت (ريموند) بعملية مراوغة بزحفه الطويل من أنطاكية إلى القدس. وبعد أن سقطت القدس عاد إلى حصارها عام ١١٠٩ وصمد العرب في طرابلس أيضاً صموداً أذهل العدو فقد استمر ثباتهم البطولي ثماني سنوات من عام (١١٠١ حتى ١٢تموز من عام ١١٠٩) وحتى بعد أن سقطت بنت جبيل في سنة ١١٠٤. وفي عام ١١٠٤ على الأرجح تمركزت قوات الغزاة الصليبين في أربع مستعمرات هي مستعمرة الرها ومستعمرة أنطاكية مع اللاذقية والمعرة ومستعمرة طرابلس ومعها طرطوس والمرقب وجبيل ومستعمرة القدس هي أهمها وتمتد من ميناء أم الرشراش (إيلات حالياً) والكرك والقدس ويافا وقيسارية ونابلس وعكا وصور وصيدا[١].

## الاستعمار النورماندي:

في هذا التردي الذي انتهى إليه وطننا العربي في القرن الثاني عشر كشر المتربصون بناعن أنياب أطماع دفينة، فإذا الوطن العربي تجتاحه الغزوات المريعة خلال هذا القرن، فالصليبيون من الشمال والنورمنديون يستغلون حالة المغرب العربي من التفرق والضعف وينزلون على ساحل تونس غزاة في عهد الحسن الذي تولى في عام ١١٢١م، واستمروا في استعمارهم حتى طردهم منها الموحدون بعد ذلك، وهكذا أصبح الوطن مهيض الجناحين مشرقه ومغربه[٢].

---

(١) العماد - الكاتب الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تقـديم وشـرح، محمـد محمود صبح، مصر، القاهرة، الدار القومية للطباعـة والنـشر والتوزيـع، مطبعـة الموسوعات، عام ١٩٦٥م، مقدمة المحقق، ص١٨، س١٧ وما بعد.

(٢) شفيق غربال الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق،ص ٥٦٥.

## جـ - العالم الأجنبي في القرن الثاني عشر

### ١ - الغرب:

كانت أوربا منهمكة في صراعات داخلية، ففي فرنسا دار صراع مرير بين ملوك أسرة (كابيه) وبين طبقة الإقطاعيين واللصوص حتى جاءت الحروب الصليبية. وحكم الأباطرة الدوقيات الألمانية الكبرى إلا أن الإمارات الصغيرة والمدن الحرة كانت تجعل من ألمانيا دولة مفككة يحكمها الأباطرة بدرجات متفاوتة من القوة، ويختلط تاريخ هذه الفترة بتاريخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة، أما إيطاليا فكانت في القرن الثاني عشر للميلاد من ولايات الإمبراطورية المقدسة كذلك. ورومانيا الحالية كانت عبارة عن مقاطعة داسيا القديمة، التي كانت بدورها ولاية من ولايات الإمبراطورية الرومانية، أما روسيا فكانت تحكمها (الكييفية) التي انقسمت إلى إمارات عديدة في عام ١١٥٤م.

### ٢ - الشرق:

كانت أفغانستان والبنجاب في القرن الثاني عشر مملكة للغزنويين وقد استمر حكمهم من عام ٩٩٧ حتى ١١١٩م وكانت الإمبراطورية السلجوقية في هذا القرن تتفتت بفعل الأطماع الشخصية بعد المنعة، وخلفتها دول متفرقة منها الدولة الزنكية المجاهدة ضد الغزو الصليبي والتي انتهت أيضاً في القرن الذي تلا وهو القرن الثالث عشر[١] بعد أن اجتاحها هولاكو. أما في بورما فقد وحد (أناوراشا) بورما وجعل عاصمته في باجان في القرن الثاني عشر وظلت موحدة حتى القرن الثالث عشر. أما أفغانستان في هذا القرن فقد كانت تابعة للدولة الغزنوية المذكورة.

---

(١) الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود - عين جالوت، مجلة جيش الشعب السورية ص٤٢ حتى ٤٥.

- **ظهور صلاح الدين الأيوبي:**

كانت تكريت بلدة قديمة أقرب إلى بغداد منها إلى الموصل، وقد قامت في طرفها الأعلى قلعة حصينة تشرف على دجلة، بناها ملوك الفرس منذ القديم على حجر عظيم، وجعلوها مخازن الذخيرة ومراقب تكون بينهم وبين الروم لئلا يدهمهم، من جهة الروم، أمر على حين غرّة..... ثم فتحها العرب في السنة السادسة عشرة للهجرة أيام الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب[١]. تلك المدينة شهدت ولادة غيرت مسار التاريخ في عام ١١٣٨[٢]. فقد ولد في هذا العام، البطل صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، ثم ارتحل محمولاً في رحل والديه من قلعة (تكريت) إلى مدينة الموصل في الليلة التي ولد فيها[٣]، وهل لوليد القلاع وربيب الترحال أن يركن إلى الدعة ويستسلم لملذة؟ وها هو صلاح الدين ينتقل ثانية إلى دمشق حين أسند إليه منصب قائد الشرطة الذي كان يسمى آنذاك منصب (الشحنة). ومما زاد صلاح الدين شهرة سفره - على كره منه[٤] - في حملة عمه الأولى على مصر في عام ١١٤٧م حيث أسندت إليه الوزارة بمصر، فقوض خلال عامين

---

(١) أبو عبد الله الملقب بشهاب الدين المعروف بياقوت الحموي الرومي (٦٢٦هـ) - كتابة معجم البلدان، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، دار السعادة، ١٣٢٣هـ،الجزء الثاني، الصفحة، ٣٨، ويقول: عبد العزيز سيد الأهل: إنَّ صلاح الدين قد ولد سنة (٥٣٢هـ - ١١٣٧م) في كتابه أيام صلاح الدين ص٣٢ - س١٣.

(٢) د. فيليب حتي + د. أدوار جرجي + د. جبرائيل جبور، تاريخ العرب المطول، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٣م، طبع دار الكشاف، بيروت. الجزء الثالث، الصفحة، ٥٤٤، السطر، ١٢

(٣) أيام صلاح الدين، ص٩، س٩، ١١.

(٤) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) الروضتين في أخبار الدولتين، مصر، القاهرة، مطبعة وادي النيل، ١٣٨٧هـ، ج١، ص١٥٥، ورد نفس كتاب النجوم الزاهرة لأبي الفداء، ج٣، ص٤٧.

خلافة (الفاطميين) ثم وحّد مصر وسورية بعد معركة (قرون حماه). كذلك ضم أخوه (توران شاه) اليمن كما ضمَّ بلاد الحجاز بعد عشر سنوات، فحقق الهدف الأول في محاصرة العدو. ثم حاصر البطل صلاح الدين الأيوبي قلعة مصياد معقل (راشد الدين سنان) ولكنه ارتد عنها بعد عهد قطعه له الشيخ راشد شيخ الجبل في أن لا يتعرض له فيما بعد.

## ثانياً - أسباب الحروب الصليبية وإعداد البلاد للحرب:

### آ - أسباب حروب الفرنجة:

يرجع المؤرخون والباحثون حروب الفرنجة إلى أسباب اختلفت فيها آراؤهم باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم وجنسياتهم فمن المؤرخين من يرجعها إلى أسباب دينية، وآخرون إلى المطامع الفردية والغرور الشخصي، وغيرهم إلى أسباب اقتصادية فقط، والأرجح أن الدين استغل ليخدم المطامع الاقتصادية والثانوية التي نتجت عنها حروب الفرنجة، ويبدو لي أن هناك هدفاً رئيسياً واحداً هو الاستعمار الذي ليس وراءه سوى الدوافع والأسباب الاقتصادية. فقد كانت التجارة العالمية قائمة بين آسيا وأوربا، وكانت جميع طرق هذه التجارة تمر عبر العالم العربي، من الصين وجزر الهند إلى الخليج العربي، فأرض العراق وسورية وحتى ساحل البحر الأبيض المتوسط، أو من هذه البلاد عبر البحر الأحمر فخليج السويس فالنيل ثم البحر المتوسط وفي كل الحالات كانت هذه التجارة بيد العرب تدر عليهم الأرباح، وتجعل لهم ثقلهم في الموازين الدولية، وتشد طرقها وقوافلها خيوط وحدة هذا الوطن الكبير، وهذا ما أثار المطامع البرجوازية التجارة الأوربية ورأسماليتها التي كانت قد أقامت المدن التجارية المزدهرة في أوربا، مثل: «جنوة، نابولي، بيزا، البندقية»..... الخ نتج عن هذا الوضع تعاضد البرجوازية التجارية الأوربية مع أمراء الإقطاع. وينضوي في ذلك الحلف الذي أقامه البابا لغزو الشرق وتقديم القروض

لتمويل وتسليح جيوش الفرنجة الغازية. ولي على وجهة نظري هذه عديد من الأدلة أهمها:

**الدليل الأول**: **استهدفت الإمارات الصليبية أول ما استهدفت احتلال منافذ التجارة العالمية التي كانت تمر عبر أراضي هذا الوطن، ففي الشمال «كونتيه الرها» وعلى الساحل السوري الفلسطيني تمتد إمارات (أنطاكية وطرابلس والقدس) من لبنان حتى ميناء إيلات على خليج العقبة، والتي حكمها (جون فري) تحت لقب (بارون القبر المقدس وحاميه) فانقسم بذلك الوطن العربي إلى مشرق ومغرب في هذا (الأسفين الغريب).**

**الدليل الثاني: الاستغلال البشع لبلادنا أثناء الاحتلال، فقد فرضت مملكة بيت المقدس الضرائب على قوافل التجارة العربية بين كل من مصر وسورية والحجاز. وكذلك فعلت إمارات أخرى.**

**الدليل الثالث: أن المؤرخين الذين أرجعوا الحروب الصليبية إلى أسباب دينية فقط قد ضلوا عن جادة الصواب لأنه لو كانت الأسباب دينية فقط في الاحتلال الاستعماري الصليبي لفلسطين فبماذا نفسر غزوات (١١٦٣ - ١١٦٦ - ١١٦٨) ميلادية على مصر؟ وماذا يعني اغتصاب الغزاة لمبلغ مليون دينار مصري لقاء ارتدادهم عن احتلال مصر؟ مستغلين شيخوخة نظامها وانجرافه في صراعات مريرة بين الوزراء والأمراء والخليفة العاضد.**

**الدليل الرابع: لم يكتف الغزاة في فرض الضرائب على التجارة وغيرها، بل فرضوا (الجزية والأتاوة) على شعبنا ويقول أبو شامة، مؤرخ تلك الفترة، شارحاً كيفية إحصاء أرض مصر وقراها وأعداد الفرنجة ذاكراً خصبها وغلاتها وكيفية توزيع هذه الغلات على الجنود عندما ذهبوا إليها غزاة عام ١١٦٨م. فيقول: «كان ملكهم - لعنه الله - لما دخل ديار مصر قد أقام من أصحابه من كتب قرى أسماء مصر جميعها ويعرف له خبر ارتفاعها (دخلها).... وأحضر وزيره، وأمره بإقطاع بلاد مصر لخيالته وفرق قراها على أجناده[1]».**

---

(١) أبو شامة - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النووية والصلاحية، مصدر سابق، ج١ ص٤٣٠.

**الدليل الخامس: جاء في كتاب (تاريخ حرب الصليب[1]) - الجزء الثاني -: كانت خزائن مصر تحت تصرفنا، وسلطنة أورشليم كانت آمنة من جهة البر المصري، ومسلك البحر كان حراً، كما أن موانئ أقاليم مصر كلها كانت مفتوحة لقبول مراكبنا. وتجارها كانوا ينقلون إلى موانئ بلادنا غلات أراضيها، وهذه المتاجر كانت كلية الفوائد لنا..... وكانت الجزية والخراجات توفى لنا بانتظام.**

ونلمس بجلاء أن بعض المؤرخين الأجانب يقرون ببعض الحقائق ويكشفون عن الأسباب الحقيقية الرئيسية معترفين بأنها المطامع الاقتصادية واستغلال خيرات البلاد، والتي لا سبيل لتحقيقها آنذاك إلا بالاحتلال والاستعمار.

**- استنتاجات:**

تدلنا الدراسات التاريخية العلمية. إذا ما قورنت بمعظم أسفار التاريخ متوخية وضع حروب الفرنجة في مكانها الصحيح، على أن لهذه الحروب جذوراً تاريخية أكثر عمقاً، وأن لها اتصالاً ما بتلك الحروب التي سبقتها بين الشرق والغرب في الصراع على الثروات والمكاسب كما أن لها اتصالاً تاريخياً بتاريخ الحضارة. وما دفعني إلى هذا، هو أخبار حروب طروادة ثم حروب الفرنجة ثم الغزو الاستعماري الحديث. إننا نلمس بلا شك وجود تشابه بين أسباب هذه الحروب ونتائجها ونهاياتها، فليس كل من حمل شارة الصليب قد دفعته إلى ذلك عوامل روحية فقط. فالزعيم (بوهمند) قد قصد من غزوه أن يفتح أراضي جديدة له كما فعل غيره من الأمراء.

وقد دفع تجار (بيزا والبندقية وجنوة) إلى هذه المغامرة فهو مصالحهم التجارية وهكذا فقد تضاعف أكثر من عامل ثانوي مع العامل الاقتصادي مثل أطماع المغامرين بالإضافة إلى بعض المتعصبين دينياً. والشيء الأفدح هو وجود عدد كبير من المجرمين مثل الذين أرادوا أن ينخرطوا في هذا التيار لأسباب إجرامية وللكسب الشخصي.

---

(١) تاريخ حرب الصليب، ج٢، ص٧٦.

**يقول الدكتور فيليب حتي**: وفي أثناء إقامة الإفرنج في بلاد الشرق اكتسبوا أسواقاً جديدة أهمها ما يتعلق بالروائح والتوابل والحلويات وسواها من حاصلات البلاد الحارة التي تمتاز بها بلاد العرب والهند، والتي كانت أسواق سورية زاخرة بها. ثم إن هذه الأسواق الجديدة أدت فيما بعد إلى إنعاش التجارة في المدن الإيطالية ومدن البحر المتوسط. فراجت أنواع البخور وسواها من صموغ الجزيرة العربية الزكية الرائحة وماء الورد الدمشقي والروائح العطرية التي امتازت بها دمشق وأنواع من الزيوت والعطور الخفيفة الزكية الرائحة التي اشتهرت بها فارس واستطيبت كلها، ومن العقاقير الجديدة التي أخذوا يعرفونها حجر الشب والند، وعند الاستيلاء على **قيسارية في عام ١١٠١م** استلب الجنويون - **فيما يروي** - أكثر من ستة عشر ألف ليبرة من الفلفل كحصة من الغنائم التي أصابتهم، وقد أخذ يشيع استعمال كبش القرنفل بأنواعه التوابل الزكية والطيوب وسواها من التوابل في الغرب خلال القرن الثاني عشر، ومنذ ذلك العهد أصبحت ألوان الطعام لا تستقيم في أية مأدبة دون أن يكون بينها مأكولات دخلت فيها التوابل. وعلى ساحل سورية تعرف الإفرنج على نبات قصب السكر الذي أخذ منذ ذلك الحين دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية وفي تركيب الوصفات الطبية[(١)]. نقل الغزاة عنا كثيراً من العلوم والاختراعات، ومن الأمثلة على ذلك أن (قيصر بن مسافر تعاسيق) المخترع العربي المصري قد طور اختراع النواعير لحاكم حماه، كما اخترع أو صنع كرة سماوية، وهي الآن في المتحف الوطني بنابولي[(٢)]، كما نقلو عنا (الحك) وهو الإبرة المغناطيسية - البوصلة حالياً. العالمية عبر بلاد العرب، كما فرضت الضرائب على التجارة العربية الداخلية والخارجية، واغتصب مليون دينار مصري عبر التهديد بالاحتلال، ولم يكتفوا بكل هذا بل

---

(١) د. حتي - تاريخ العرب المطول، مصدر سابق، ج٣، ط٢، سنة ١٩٥٣ ص٧٨٨، ٧٨٩.

(٢) يشير بن بطوطة إلى وجود النواعير في مدينة (كانتون) جمهورية الصين الشعبية حالياً، ج٤، ص ٢٥٥، وقد ورد هذا في حاشية تاريخ العرب المطول للدكتور حتي ص٧٨٩.

فرضوا الضرائب والأتاوات على شعبنا. استعمروا بلادنا ونهبوا خيراتنا بأساليب متعددة ومتنوعة كالديون والربا.... الخ.

**ب - إعداد البلاد للحرب**

ظلت القاهرة عاصمةَ الحكومة الأيوبية ثماني سنوات، قبل انضمام الشام وليبيا، ثم انتقلت عاصمة صلاح الدين إلى دمشق، ويبدو أن هذا الانتقال كان لضرورات الحرب[1]، ومما يدل على انصراف صلاح الدين الأيوبي لتقوية مصر علمياً واقتصادياً وعسكرياً منجزاتٌ أهمها:

**١ - سور القاهرة:**

تكونت القاهرة من أربع مدن هي (الفسطاط) التي أنشأها عمرو بن العاص والعسكر التي بناها صالح بن علي العباسي (والقطائع) التي أنشأها (أحمد بن طولون) (والقاهرة) التي أنشأها جوهر الصقلي وقد أمر صلاح الدين أن يشاد سور حول المدن الأربع (القاهرة اليوم) ووكل أمور الإشراف على البناء إلى صاحبه بهاء الدين قراقوش - ويجدر بنا أن ننوه إلى أن بدر الجمالي بنى سوراً آخر قبل صلاح الدين - ولكن هذا السور (سور صلاح الدين) لم يتم في عهده، ولما تم كان طوله سبعة أميال ونصف الميل، كما شيدت له أبراج مستديرة ليرمى منها بالقذائف ولتتخذ منافض للمراقبة، ولا تزال بقاياه شاهدة على عظمته.

**٢ - قلعة صلاح الدين الأيوبي:**

المقطم، جبل متوسط الارتفاع، مشرف على القاهرة القديمة، بحيث يستطيع أن يحميها بحامية إن وجدت فيه[2]. وصلاح الدين الأيوبي وليد

---

(١) عبد العزيز سعيد الأهل - أيام صلاح الدين، إصدار المكتب التجاري، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٦١م، ص١٣.

(٢) يضم المقطم (قبر ومسجد بدر الجمالي، في سفحه) تاريخ العرب المطول د. حتي ص٧٤٧، س ٧ + وقد بنى الحاكم الشغوف بحسابات المنجمين مرصداً في الجبل وكان يركب بغلته الشهباء إليه ، فيخلو بنفسه للرصد والتنجيم ، المرجع السابق =

القلاع وربيب الترحال، وقد رأى القلاع على ربى الشام تتحكم في المدن والأقاليم والطرق[١]، ولم يكن هذا معروفاً في مصر. وقد اختار لها المهندسون العرب مكاناً بارزاً من المقطم. وقد استخدم محاجر الإهرامات الخالدة. وقد بنى قلعة أخرى تحمل الاسم نفسه وتقع على بعد (٣٣) كم شرقي اللاذقية - بلدة الحفة.

**بناء الأسطول والموانئ**

في تموز عام ١١٦٩م قام الفرنج بحملة على دمياط[٢] ، وكان هذا كافياً لإقناع صلاح الدين بضرورة أسطول قوي، على بقايا (عشر قطع بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل) على عهد العاضد ومن سبقه[٣].

وكان لها ديوان عرف بديوان الأسطول ويقال له أحياناً (ديوان الجهاد، أو ديوان العماير)[٤]. الحاجب الشيخ (حسام الدين لؤلؤ) رئيس عارف بالريح

---

= ص٧٤٧، س٨ وعلى هذا الجبل قتل الحاكم الذي قال بألوهيته، وكان قتله في (١٣ شباط سنة ١٠٢١). ويقال إن أخته (ست الملوك). دست عليه من يقتله وكان الخليفة الحاكم قد اتهمها بسوء السيرة، المرجع السابق، ص٧٣٦.

(١) ستانلي لينبول - سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، نشر مكتبة النهضة في القاهرة، سنة ١٩٥١، ص١٥٣.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٣٥٠/٩ ومصادره الكثيرة.

(٣) تقي الدين أحمد بن علي - المعروف بالمقريزي (٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، طبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤هـ.الجزء الأول، ص١٥٢

(٤) ناصر الدين بن عبد الرحيم علي (٨٠٧هـ) المعروف بابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، وهو مخطوط مصور من خزانة فيينا سنة ١٣٤٣هـ، بدار الكتب المصرية الجزء السابع، ص٥٦٧، وهذا ما يخالف قول (مفلح علي) في كتابه (حطين) بأن صلاح الدين هو الذي أنشأه في ص٣٨ س٨ وقول ابن الفرات وارد في كتاب (التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي) تأليف الدكتور نظير السعداوي، طبعة عام ١٩٥٧م ص٢٤ - ٢٥.

والمجاذيف والإساء والدراية بمسالك البحر ومجاريه[1]، اصطفاه صلاح الدين أميراً للبحار ولقبه (مقدم الأسطول). وكان من المقدمين عبد السلام المغربي وبدران الفارسي، وعلى أسطول بيروت يعقوب الحلبي وزوده بمخصصات من موارد فريضة الزكاة، وموارد القرظ والمراكب الديوانية واشنا وطنطدي. استخدم صلاح الدين في الأسطول عرب المغرب نظراً لخبرتهم بسواحل العدو وموانئه ومهارتهم البحرية.

**غزوات الأسطول العربي:**

غزا الأسطول العربي ميناء عكا في يوم ١٨ تشرين الأول عام ١١٧٩. استولى على عدد من مراكب العدو وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً، وقد وصف صلاح الدين هذا النصر في كتابه إلى دار الخلافة في بغداد قائلاً: إنه لم يعهد من الأسطول الإسلامي مثله في سالف الدهر[2] وقد سبق في ذلك في أيار من سنة ١١٧٠ أن أغار على طرطوس التي كانت تحت سيطرة الاستعمار الصليبي على الساحل العربي السوري، مما أجبر (بلدوين) ملك القدس على طلب الصلح، فاضطر رايموند، أمير طرابلس إلى مهادنة صلاح الدين أيضاً.

**ميناء المقس:**

(باب البحر) هو اليوم مساكن مزدحمة وأسواق للتجارة قريبة من باب الحديد عند محطة القاهرة العسكرية. في هذا المكان، ومنذ ثمانية قرون أنشئ ميناء (المقس)، الذي طمره النيل في الأزمنة المتعاقبة وانحرف عنه. والمقس اسم لميناء (نيلي) الذي كان حوضاً للأسطول

---

(١) عبد الرحمن بن عمر المعروف بابن خلدون - المقدمة، ٨٦٠هـ، ط الأزهرية سنة ١٩٣٠، ص٢١٢.

(٢) أبو شامة - الروضتين، مصدر سابق، ج٢، ص١٤.

الفاطمي. وقد فضل على الإسكندرية ودمياط لسبب هام في ذلك العصر، وهو وجود الميناء في مكان بعيد حيث تدفع الأخشاب إلى النيل ثم باب البحر «ميناء المقس» كي تعد فيه السفن الحربية والتجارية ثم تدفع إلى النيل تسير إلى البحر. (وكان المقس ميناء القاهرة النهري)[١]. اهتم صلاح الدين بهذا المكان فجعله مصنعاً للسفن لبعده ومأمنه، كما فعلت الدولة الفاطمية سابقاً[٢].

**النهضة العلمية والتربوية:**

تأثر صلاح الدين بطراز المدارس النظامية وأنظمتها التي أنشأها نظام الملك للدولة السلجوقية. فأدخل هذا الطراز وهذه الأنظمة إلى دولته حتى أصبحت منارة في تاريخ التربية. وقد أنشئت هذه المدارس في أرجاء البلاد كلها لاسيَّما في حلب والقدس والإسكندرية وبعلبك ودمشق والقاهرة. وقد أشار بن جبير إلى وجود عشرين مدرسة في دمشق عام ١١٨٤م وفيها مرستانان (المرستان النوري والمرستان الدقاقي) ورباطات أو خوانق عديدة[٣] (مفرده خانقاه في العربية)، وأصلها في الفارسية (خامكاه)[٤]. وهكذا لم تنقض الدولة الأيوبية حتى تركت في أرجاء البلاد ومدنها آثاراً علمية لا تعد ولا تحصى.

---

(١) فيليب حتي وصاحباه - تاريخ العرب المطول، مصدر سابق، ص٧٣٧.

(٢) عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين ـــ، ط آب ١٩٦١م - ص١٠٧، ١٠٨ نشر المكتب التجاري، طبع مطابع دار الكتب ببيروت. ص١٠٧، ١٠٨.

(٣) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي - المعروف بابن جبير، ٦١٤هـ، رحلة ابن جبير، طبعة السعادة ١٣٣٦هـ.، ص٢٨٣.

(٤) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن - المعروف بالسيوطي، ٩١١هـ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج٢، مصر، القاهرة، إصدار مطبعة الخانجي، الطبعة الأولى، عام ١٩٤٢م، ص١٥٨.

## النهضة الاقتصادية

**آ- الزراعة والتجارة:**

اشتهرت بلاد العرب بمنتجاتها الزراعية من الحبوب والخضار والفاكهة وبالإنتاج الحيواني والطيور والأسماك وأثرت الحروب الصليبية على الزراعة في بلاد الشام لقلة اليد العاملة وندرة الناس في بعض المناطق بسبب هذه الحروب، اعتنى الأيوبيون، ولاسيَّما صلاح الدين (بنظام الري) عناية فائقة، لا تقل عن عنايتهم بغيرها من المرافق الاقتصادية، وقد خلت تدوينات المقريزي في كتابه (كشف الغمة) من الإشارة: إلى أي جدب أو قحط في عهده فظلت الأمطار تسكب في شتاء الشام، وظل النيل معتدل القياس في مصر. وكم نامت أجيال حموية (نسبة إلى حماه) على أنين النواعير التي طورها ابن مسافر تعاسيف المتوفى سنة (١٢٥١م). وكانت عنوان أنظمة الري في شمال الدولة الأيوبية[١].

على الرغم من قيام الحروب الصليبية استمرت التجارةبين البلاد العربية والجمهوريات الإيطالية، وبعض دول الساحل الشمالي للبحر المتوسط وبلاد الروم، ولم يؤد اشتعال الحروب بين العرب والفرنجة إلى انقطاع هذه التجارة انقطاعاً تاماً. إلا حينما كانت تشتد المحن وتشتعل الخصومات. وكانت أثمان السكر والأسلحة والأزياء والمصنوعات تدر على الشرق أموالاً طائلة[٢].

**ب- الصناعة:**

ازدهرت صناعات الحديد والنحاس والأصباغ والأنسجة في كثير من

---

(١) تاريخ العرب المطول، ص٧٨٩، ٧٩٠، ج٣. تاريخ العرب المطول، ص٧٨٩، ٧٩٠، ج٣.

(٢) عبد العزيز سيد الأهل - أيام صلاح الدين، ص١١٥، بعد السطر السادس، مصدر سابق.

(مدن الشام) والزجاج الملون في (صور) وأنواع الزيوت والبخور والطيب. أما معاصر السكر وطواحينه، فقد كانت صناعة متقدمة في بلادنا في القرن الثاني عشر ولاسيَّما في عهد الدولة الأيوبية. لأن مزارعه كانت واسعة، ولاسيَّما عند طرابلس الشام، وقد كان الفرنجة قبل اتصالهم بالمشرق في الحروب لا يعرفون السكر. وقد أنشأ صلاح الدين معاصر السكر التي كلف بها الأمير (يزكوج) الناصري في بلدة على ساحل النيل الشرقي اسمها (بيج) والعرب هم الذين ركبوا بالسكر الأشربة والجلاب ومربيات الأعشاب والفواكه[1].

**صناعة الأسلحة:**

ليست الدبابات والمنجنيقات أسلحة حديثة لا جذور تاريخية لها، فقد حارب بها العرب والعجم في الجاهلية، وظلت بعد تقويتها وتحسينها من أسلحة الحروب الصليبية وهما لحروب الأسوار والقلاع، وينصب منها على المدينة بحسب اتساعها ومنعة أسوارها، وتنصب في الليل، وتعمل المنجنيقات في البر والبحر. واهتم صلاح الدين في مهاجمة الأسوار والقلاع بتفقد نصبها بنفسه، فإذا لم يخرج، واصلته الرسل بأخبارها - حارب النبي أهل الطائف بالدبابات - وكانت الدبابات عبر التاريخ تتألف من طبقة أو اثنتين أو عدة طبقات، ويقربونها من الأسوار ثم يقذفون منها النفط الملتهب والأحجار الضخمة، وهي تندفع، أو ربما كان اندفاعها على دواليب، فتدق جدران الأسوار والقلاع لتثقبها بحركتها وتوهي بناءها، ولكن هنالك طرق أخرى

---

(١) حيدر بامات - مجالي الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، سنة ١٩٥٦م + ياقوت الحموي - معجم البلدان، ج١، ص٢٥٣ + زكي النقاش - العلاقات بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، ط مطبعة الكتاب اللبناني ص١٨٢.

لحركتها بوساطة الأعمدة الأسطوانية الخشبية التي توضع بالتناوب أمامها بعد دفعها عليها. وقد ورد عن الأسطول البحري العربي كسلاح ثقيل، الكثير من المراجع المذكورة سابقاً.

ولكن يجب علينا أن ننوه بالاختلاف الشاسع بين البحرية العربية في المتوسط والبحرية العربية في البحر الأحمر، لأن بحرية البحر الأحمر كانت تخاط بحبال الليف، ولا يستعمل فيها مسمار البتة، لكثرة الشعاب المغناطيسية المعترضة في هذا البحر(١)، ويشرح النويري كيفية عملها الخاص. ويجدر بنا أن ننوه إلى ذلك الخبير العربي السوري في النحاس والكيمياء واسمه علي حيث اخترع سلاحاً دمر به أبراج الفرنجة.

(الزيارات) أقواس ترمي أشد السهام رمياً وأعظمها جرماً. وكانت تنصب على الأبراج وتحتاج في قذفها إلى عدد من الرجال، ولا يكاد يثبت أحد أمامها. وهذه الأقواس تستخدم في البر. أما الأقواس البحرية فكانت تسمى (الزمبوركات) وهي سهام تختص بالبحر لأنها طويلة ثقيلة، لتكون أكثر ثباتاً عند انطلاقها. فإذا نفذ النشاب والنبال. التحم الطرفان بالأحجار، ثم بالرماح والسيوف والمدي أو تشابكوا بالأيدي. أحكم وأجود التراس والرماح في القرن الثاني عشر التراس والرماح الموصلية. وكانت تصل من الموصل أيضاً أحمال من النفط الأبيض(٢). أما مصانع

---

(١) محمد بن قاسم بن محمد المالكي - الإسكندري المعروف بالنويري (٧٦٧هـ) الإلمام بما جرت بها الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية الواقع بها سنة ٧٦٧هـ، وهذا الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية، ج١، رقم ١٤٤٩، تاريخ ١٠، ص٣٧٦.

(٢) ابن واصل، ٦٩٧هـ، مفرج الكروب، ط القاهرة ١٩٥٧ الأميرية، ج٢، ص١٥٠، ٢٤٣، ٢٦٢، ٣٠٧.

السيوف فكانت في القاهرة ودمشق[1]. لقد وصلت البلاد العربية الموحدة في القرن الثاني عشر إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي في صناعة الأسلحة، فقد كانت تستخرج الحديد من جبال لبنان[2].

**جـ - قناطر الجيزة:**

أفردت لمشروع القناطر فقرة خاصة لأهميته، رغم قصر عمره، فمكانه الطبيعي في فقرة (الزراعة والثروة الحيوانية). إن قناطر الجيزة مرتبطة، كعمل، ببناء السور حول القاهرة، لأن هذا المشروع استهدف غرضاً جماهيرياً وزراعياً وعسكرياً في آن واحد وهو الاستفادة من الماء المحجوز أمام السور في ري أراضي الجيزة، وآية ذلك أن تصميم بهاء الدين قراقوش أسفر عن إقامة ما ينوف على أربعين قنطرة على الحائط[3]. وفي عام ١١٩٣ قدم ابن جبير القاهرة زائراً فشهد العمل جارياً، فوصف هذا المشروع بقوله: (إن صلاح الدين كان له في ذلك تدبير عجيب من تدابير الملوك الحازمة إعداداً لحادثة تطرأ من عدو يدهم جهة ثغر الإسكندرية عند فيض النيل وانغمار الأرض به، وامتناع سلوك العساكر بسببه، فأعد ذلك مسلكاً في كل وقت إن احتيج إلى ذلك[4] وقيل إن قراقوش عندما شرع في بناء هذه القناطر بنى رصيفاً من الحجارة، ابتدأ به من جنب النيل بإزاء مدينة مصر (الفسطاط) كأنه جبل ممتد على الأرض مسيرة

---

(١) حسن حبيشي - نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، عام ١٩٤٨م، ص١٥٥.

(٢) زكي النقاش - العلاقات بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت ١٩٥٨، ص٩٦.

(٣) إبراهيم بن محمد بن إيدمر المعروف بابن دقماق - الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٥٢٢، تاريخ ص٨٠٩ + تاريخ مصر الحربي، ص١٥٧.

(٤) ابن جبير - رحلة بن جبير، طبعة مصر، ص٢٢.

ستة أميال حتى يتصل بالقناطر التي اتخذ حجارتها من أهرام الجيزة المتهدمة[١]. ثم حدث أن تولى أمر تلك القناطر ما بين سنتي (١٢٠٠ – ١٢٠٢م) مهندس قصير النظر، دائم الإهمال. فسدها رجاء أن يحبس الماء لري الجيزة فقويت عليها جرية الماء وزلزلت منها ثلاث قناطر فانشقت ولم تعد صالحة لوقف الماء الجاري على قول السائح البغدادي[٢].

- **الاستنتاج**:

وهكذا نجد أن البلاد قد أعدت في الجبهة الداخلية، أمام العدو وخطره المدلهم، وعلى الصعيد الاقتصادي أعدت البلاد زراعياً وصناعياً وتجارياً، فقد أنشئ الأسطول ببنائه الجديد، وزيدت صناعة الأسلحة الثقيلة والخفيفة، كما شُيِّدتْ قلعة صلاح الدين وميناء المقس بالإضافة إلى إنشاء المدارس النظامية والنورية، كما كوفئ المخترعون فأصبحت البلاد مستعدة لخوض القتال، بعد أن أعد جيش قوي، في تسليحه وتدريبه، فتهيأ بكل ذلك، الظرف المناسب لخوض معركة من معارك التاريخ الفاصلة هي حطين.

## جـ - بعث الطاقات العسكرية للأمة العربية في القرن الثاني عشر:

### ١ - تنظيم الجيش العربي وتسليحه في العهد الأيوبي:

لقد شمل تنظيم الجيش العربي إعداده فرقاً وأطلاباً ووحدات أدنى وأعلى اختلفت باختلاف نوعيتها من حيث الخدمة والتسليح. فمنها العسكر والجند والقبائل الرحل والأحداث المتطوعون، وفرق النشابين والنفاطين والمنجنيقيين، كما كان

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخط والآثار، مصر، القاهرة، مطبعة النيل، الطبعة الأولى عام ١٣٢٤هـ + طبعة ١٩٢٨م، ص٣٦٨.

(٢) موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف المعروف بالبغدادي (٦٢٩هـ) كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور والمشاهدة والحوادث المعانية في أرض مصر، طبع مطبعة المجلة الجديدة بمصر، عام ١٩٥٨م، ص٣٦.

هنالك أدوار مشرفة لنساء العرب. أما من الناحية التنظيمية العليا، فقد أوجد ديوان للجيش وشكلت قيادة عامة لوضع الخطط القتالية سنبحثها مفصلاً.

هي الهيئة الممثلة للأركان العامة حالياً، إذ هي التي تعد خطط العمليات الحربية وتشرف على تنفيذها وقد أطلق عليها (مجلس الشورى[1])، وقوامه: صلاح الدين الأيوبي - رئيساً - والملك العادل أبو بكر (أخو صلاح الدين)، والقاضي الفاضل - العماد الكاتب الأصفهاني - بهاء الدين بن شداد وأعضاء من كبار القواد الآخرين، وتجب الإشارة هنا إلى أن الملك العادل كان نائباً للرئيس (صلاح الدين)، بينما كان العماد الكاتب الأصفهاني بمثابة (رئيس مكتب صلاح الدين أو أمين سره).

**٢ - الاجتماعات الرئيسية للقيادة العامة - مجلس الشورى:**

**الاجتماعات الثلاثة الأولى:**

وقد تمَّ هذا الاجتماع بتاريخ الجمعة الأول من محرم ٥٦٧هـ (١١٧١م) وكان موضوع الاجتماع، بحث رغبة (الخليفة العباسي) ونور الدين محمود - سلطان دمشق - في القبض على آخر الخلفاء الفاطمين، وهو العاضد وأهله، والخطبة للخليفة العباسي المستضيء[2].

وقد تمَّ في الشهر والسنة ذاتهما وبحثت فيه الحيلولة بين نور الدين ووصوله إلى مصر.

تاريخ هذا الاجتماع هو شوال ٥٨٣هـ (١١٨٧م). وكان سبب الاجتماع استعصاء مدينة صور (المحتلة) على صلاح الدين، وقد افتتحه بقوله: (هذا بلد حصين، في البحر ثلاثة أرباعها، ومن أحكام العزل تكميل الآلات وتركيب الأبراج والدبابات واستحضار كل ما يراد للحصار[3].

---

(١) عبد العزيز سيد الأهل - أيام صلاح الدين، ص١٦٠، س٧.

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، ج١١، ص٢٤٢.

(٣) العماد الكاتب الاصفهاني (٥٩٧هـ) كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي مطبعة الموسوعات ص٦٠، وللكتاب طبعة أخرى حققها محمد محمود صبح، نشر الدار القومية للطباعة، تاريخ ١٩٦٥/٨/١.

**الاجتماعات الثلاثة الأخيرة:**

الخميس ١٢ أكتوبر سنة ١١٨٩ - رمضان ٥٨٥. وقد بدأ صلاح الدين الاجتماع بقوله: «بسم الله والحمد لله وحده والصلاة على رسوله، اعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد نزل في بلدنا... إلى أن يقول: والرأي عندي مناجزة العدو قبل أن يفتح البحر، فليخبرنا كل منكم بما عنده»(١) وقد بحث في الاجتماع حصار الفرنجة (لعكا) وتراجع العرب عن حصارهم.

**الاجتماع الخامس:**

في الثلاثاء ١٠ أيلول سنة ١١٩١. وبحث فيه إقرار تخريب (عسقلان) أو عدم إقراره قبل الانسحاب منها. وقد عقب صلاح الدين الأيوبي على موافقته على تخريبها بقوله: (والله لئن أفقد أولادي بأسرهم أحب إلي من أهدم منها حجراً واحداً)(٢).

**الاجتماع السادس:**

مساء الأربعاء أول يوليو سنة ١١٩٢ (٥٨٨هـ). وقد بحث فيه عزم الصليبين على قصد القدس. وقد جرت العادة، إذا عقد صلاح الدين مشورة واتخذ قراراً سياسياً أو عسكرياً أو إصلاحياً، أن يكلف سكرتيره الخاص (القاضي ابن شداد) بتبليغه، إلى الجهات التي يعنيها الأمر لتقوم بتنفيذه. وفي هذا يقول ابن شداد: (فكتبت الرقاع وسيرت إلى الأمراء)(٣).

## ٣ - ديوان الجيش

ويسمى أحياناً (ديوان الإقطاع)(٤). وهو الديوان المشرف على شؤون الجيش من تجنيد وعتاد في العهد الأيوبي في القرن الثاني عشر، وفي هذا

---

(١) الدكتور نظير حسن السعداوي - جيش مصر أيام صلاح الدين، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، عام ١٩٥٧م، ص٣٦.

(٢) عبد العزيز سيد الأهل - أيام صلاح الدين، مصدر سابق، ص١٦٠، س٧.

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١١، صر٢٤٢.

(٤) القاضي بهاء الدين - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص١٧٩، ط المؤيد ١٣١٧هـ.

القرن سمّى الفاطميون هذا الديوان المستوفى، كما سمي فيما بعد: ديوان ناظر الجيش في عهد المماليك.

**صاحب الجيش وكاتبه:**

يمتاز بصلاحيات وواجبات عديدة فعليه الانتقال من صف إلى صف للتأكد من سلامة الخيل وجودة السلاح، وعدد الجنود واستعراض ملابسهم وزينتهم، وأنهم جميعاً في حالٍ مُرض[١].

**أما كاتب الجيش تشمل اختصاصاته، تنظيم أرباب الإقطاعات، والنقود والمكيلات من الأفراد على اختلاف رتبهم، ويضع لذلك جريدة مقفاة على حروف المعجم، ويثبت بها أسماءهم، ويخصص الجريدة الجيشية. ويبسط جريدة ثانية خاصة بالإقطاع وصاحبه ونوعه وقدره. ويخصص جريدة ثالثة لأسماء أرباب النقود والمكيلات وقيمتها[٢]. وقد اشتهر خبير عربي في شؤون الجيوش هو القاضي ضياء الدين بن أبي الحجاج الذي وصفه أبو شامة بأنه أعلم الناس بشؤون الأخبار (وكان متولياً وظائف الدولة زمن صلاح الدين)، وقد عاش حتى صاحب ديوان الجيش، في أواخر دولة الأيوبيين، وقد استشهد في موقعة المنصورة عام ١٢٤٨م، ٦٤٧هـ.**

**العسكر والجند:**

العسكر هم الجيش النظامي. وطريقتهم في القتال أن يحمل كل منهم جزداناً وجراوة وصولق جراب أو كيس من جلد يربط على الجانب الأيمن من الحياصة، وتوضع به حاجات السفر من الزاد[٣] وبقجة (وهي كلمة فارسية الأصل وتجمع على بِقَج، وهي الصرة من القماش، توضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة). وتركاش (وهو لفظ فارسي أيضاً ومعناه الكنانة أو الجعبة

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٧.

(٢) النويري - نهاية الأرب، ط دار الكتب، مصر، ١٩٢٨م، ج٦، ص٢٠٠،

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، قسم ٢٧١ + قسم ٣ ص٧٨٩.

التي يوضع فيها النشاب) والجيش النظامي يخدم أفراده بصفة دائمة، ويتقاضون راتباً منتظماً، وعدد الجيش النظامي في عهد صلاح الدين لم يزد عن أربعة عشر ألفاً كما ذكر وزيره القاضي الفاضل عام ٥٦٧هـ ١١٧١م. وكان هذا الجيش مقسماً إلى مواكب وأطلاب (والأطلاب مفردها طلب وهو الأمير المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب وعدة ٢٠٠ أو ١٠٠ أو ٧٠ فارساً)[١] كما نظم الجيش إلى كتائب، تضم كل كتيبة زهاء ألف ومئة فارس، يقودها قائد كبير من أكابر الأمراء، أو النواب في ذلك العصر. أما السرايا فكانت تضم ما بين الأربعين إلى السبعين فارساً وقائدها يسمى (أمير البلطخانة) والفصيلة كانت تضم أربعين نفراً، منهم مقدم (وكانت تسمى الحلقة). أما الجماعة فتضم عشرين فارساً وسمي قادة الجماعات (أمراء العشرات).

أما الجند هم الجيش الاحتياطي أو الجيش الإقليمي، أي عساكر الأمراء أو أجنادهم، وعلى كل أمير إعداد ما يتطلبه حال ولايته، فإذا ذهب الأمير بجنده إلى الميدان، وإذا انتهت الحرب، عادوا أدراجهم إلى مراعيهم وخيامهم، ولا يتناولون أجراً منتظماً، ويمتاز البدو منهم بخفة الحركة ورمي السهام. وتشاهد مثل تلك الاحتياطية في مصر في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، على حين يرجح مشاهدتها في سورية منذ بداية القرن الثاني عشر.

**تمييز الرتب:**

لقد ميزت الرتب بين العسكر والجند في الجيش الأيوبي بأسماء غير واضحة في المراجع إلا كلمة (أمير) التي كان يقصد بها (رئيس القوات الحربية) و(والي) وكان يقصد بها الحاكم المدني للأقليم. ويحدث أن تجتمع الوظيفتان في شخص واحد على قول ابن الأثير والمقريزي[٢]. أما أمير

---

(١) المقريزي - الخطط، مصدر سابق، ج١، ص١٣٩.

(٢) ابن الأثير - الكامل، مصدر سابق،ج١٢، ص٣٤ + السلوك، ج١، قسم ١، ص٧٦، ٨٢.

الجيوش فهو القائد العام وقد يسمى (صاحب الجيش) أو (عارض الجيش) ويليه (قائد القواد) وهو رئيس القواد[1].

**القبائل العربية الرّحل:**

القبائل العربية البدوية جيش قائم بذاته، على الرغم من انتظام عدد من فرسانهم في جيش صلاح الدين ومنهم (بنو منقذ) أصحاب شيزر (والكنانية) وينسبون إلى قبيلة (كنانة) المهاجرة من عسقلان بعد سقوطها في أيدي الصليبين سنة (١١٥٣) والتي حلت بعد رحيلها في (دمياط) وهي القبيلة التي دلت (صلاح الدين الأيوبي) على المسالك والطرق في غزوته لغزة وعسقلان عام ١١٧٧م[2].

**الأحداث (المتطوعون):**

الأحداث فرق حربية حديثة العهد في التكوين، ورئيس الأحداث يلقب بـــ (المقدم)[3] وقد استعان صلاح الدين بأحداث مدينة (دمشق) للاستيلاء عليها عام ١١٥٤م فما كاد يحاصر البلد حتى ثار الأحداث على قائد الحامية، واضطروه إلى التسليم[4]، وسمي الأحداث بالمتطوعة في بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر، واختفت كلمة أحداث من المصادر التاريخية وحل محلها كلمة: (متطوعون). والأحداث والمتطوعون كلمتان

---

(١) النويري، ج٦، نهاية الأرب، مصدر سابق، ص٥٧ + ابن الأثير، الكامل ف يالتاريخ، مصدر سابق، ج١، ص٣٨١ + ج١١، ص٩٢.

(٢) نظير حسان السعداوي - جيش مصر، ط٢، مكتبــة النهــضة المــصرية، القــاهرة، ١٩٥٩م، ص١٣.

(٣) ابن الأثير - الكامل، ج١٠، ص١٠٨، ١٧٨.

(٤) ابن القلانسي - ذيل تاريخ دمشق، ص٣١٥، ٣٢٧ + تاريخ الدولة الأتابكية ص١٩١ + جيش مصر، ص١٤.

تدلان على أن أفراد تلك الفرقة لم يكونوا قوة نظامية دائمة، بل كان في استطاعتهم العودة إلى أوطانهم أينما كانوا وحيثما شاؤوا، وعرف هؤلاء المتطوعة بالأحداث نظراً لحداثة عهدهم بالجندية، وقدر (ابن الجوزي)[١] الذين حضروا فتح بيت المقدس مع صلاح الدين عام ١١٨٧ من المتطوعين، زهاء عشرة آلاف من جميع البلاد. ولهؤلاء واقعة في تاريخنا مشهورة كثيرة الشبه بواقعة (حصن تهوده) في المغرب العربي هي واقعة (الغزاة المتطوعة)[٢].

**فرقة النشابين والنفاطين والمنجنيقيين والعيارين:**

النشابون هم رماة النشاب، أما النفاطون فهم رماة النفط لإحراق حصون الأعداء، بينما المنجنيقيون هم رماة المنجنيق أي آباء مدفعية هذه الأيام، والعيارون هم رماة الحجارة، وكانوا يملؤون مخالي الخيل[٣] بها، ويلحق هؤلاء وأولئك أتباع العسكر ويسمون سوقة.

**دور النساء في الحرب:**

على الرغم من خضوع المرأة العربية للتقاليد، وإرغام هذه التقاليد للكثير من المؤرخين على تجاهل الأدوار العظيمة التي أدتها المرأة العربية في ذلك العصر، فقد تناهت إلينا أسماء ومواقف مشرفة، في ميادين السياسة والإدارة والخدمات الطبية والاجتماعية في الصفوف الخلفية للجيوش العربية. فالسيدة (عصمت خاتون بنت معين الدين بن أنر) أرملة السلطان (نور الدين محمود) وزوجة صلاح الدين الأيوبي من بعده، قد وصفها المؤرخ المعاصر بحدة الذكاء ونفاذ البصيرة، وأن صلاح الدين كان يصدق

---

(١) مخطوط بن الجوزي - مرآة الزمان، ص٢٥٢.

(٢) ابن الأثير - الكامل، ج١٢، ص١٨.

(٣) جرجي زيدان.... تاريخ التمدن الإسلامي، ط الهلال سنة ١٩٠٢، ج١، ص١٢٠،

على رأيها، فلما بلغته وفاتها عام ١١٨٤م ٥٨٠هـ، وهو مريض بمدينة (حران) تزايد مرضه. وهذه المرأة هي صاحبة الفضل في بناء مدرسة (للحنفية) في دمشق وإقامة رباط (للصوفية)، و(خانقاه) معروفة باسمها على نهر بانياس[١]، وبنت تربة بقاسيون على نهر بردى بدمشق وبها دفنت، وأوقفت على هذه الأماكن أوقافاً كثيرة[٢]. أما(ست الشام)، بنت أيوب وأخت صلاح الدين، فقد عرف عنها صناعتها للأشربة والأدوية والمعاجين والعقاقير في كل سنة بألوف الدنانير، وقد فرقتها على الجرحى والمرضى من المدنيين والعسكريين[٣]. و(أم علي - تقية بنت أبي الفرج غيث بن عبد السلام بن محمد بن جعفر السلمي الأرمنازي)[٤]، الأدبية الخطيبة. والتي كانت تثير حماسة الجند في القتال واشتهر عنها نظمها لقصيدة حربية وصفت بها الحرب وما يتعلق بها أحسن وصف وأهدتها للملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين عام ١١٨٣م. (وأم سلمة) التي وزعت السلاح وألبست ابنتها الخف والإزار، وأجلستها على سطح بيت مشرف على الوادي عند مهاجمة الإسماعيلية لمدينة (شيزر) أثناء غياب رجالها. فلما قدم المهاجمون دفعت بابنتها إلى الوادي لتقاتلهم، وظلت البنت تدفعهم بكل قواها حتى سقطت ميتة[٥]. وهكذا نجد خليفات خولة بنت الأزور والخنساء تماضر يسطرن في القرن الثاني عشر مفخرة

---

(١) ابن الجوزي - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ص٢٤٥ + العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مصر، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، مخطوط مصوّر، تاريخ ١٠، ج١، ص٢٤ + ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص١٧٨.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص٦٩.

(٣) النويري - مخطوطة نهاية الأرب،ص٢٠.

(٤) نسبة إلى قرية أرمناز من نواحي حلب، النجوم الزاهرة، ج٦ ص٦٩.

(٥) مؤيد الدين أبو المظفر (بن منقذ) الشيزري المعروف بأسامة (٦٨٤هـ) كتابه الاعتبار، نشر الدكتور، حتي، سنة ١٩٣٠ م (المقدمة).

للعرب. مما سيبقى حافزاً لنساء العرب على أخذ دورهن النضالي في سبيل التحرير فكأني بجميلة بوحيرد وليلى خالد تمثلان صرخة الرفض لواقع المجتمع العربي الحالي المتخلف الذي يحول دون مشاركة ملايين من رجالنا ونسائنا على طول الأرض العربية وعرضها في معركة التحرير.

## ثالثاً - فن الحرب في بلاد الشام في القرن الثاني عشر:

فن الحرب فرع أساسي في العلم العسكري، يدرس أساليب إجراء الأعمال العسكرية الحربية، ويشمل الفن العسكري، الإستراتيجية وفن العمليات التعبوي (والتكتيك). والفن العسكري عندنا مستمد من تجارب التاريخ العسكري العربي في الماضي والحاضر، كما أنه يستقي الأساليب الحديثة الناجحة من أي مصدر كان في سبيل تطويره والاستفادة من تجارب الآخرين. وفن الحرب العربي جهاز متكامل بجميع حلقاته السوقية (الإستراتيجية) - فن العمليات التعبوي (التكتيك) - يزيد من قواتها ارتباط وتعاون وثيقان[1]. وقد تطرقت إلى مواضيع هي - بشكل أو بآخر - أجزاء من فن الحرب تحت عنوان (تنظيم الجيش العربي وتسليحه في العهد الأيوبي، القرن الثاني عشر). والمواضيع التي سنبحثها في قسم التكتيك **هي المواضيع التالية**:

### أ - تراتيب القتال وتنظيم التعاون:

إن تراتيب القتال في الجيش العربي في القرن الثاني عشر، ولاسيَّما في عهد صلاح الدين، كانت تتكون من المقدمة والميمنة والميسرة والساقة (الخلف) والقلب به السلطان. وتقسم الميمنة إلى جناحين: اليد اليمنى للجناح الأيمن، واليد اليسرى للجناح الأيمن. وكذا الميسرة تنقسم إلى الذراع الأيمن

---

(١) راجع المعجم المختصر - هيئة التديب السورية دمشق ١٩٦٣ - السطر السادس حتى الثاني عشر من الصفحة ١٨٥.

للقلب والذراع الأيسر للقلب. والتعبئة أن يقف كل عسكري في موضعه[١] وتتكون المؤخرة من المطبخ والخزينة وأدوات القتال والدواليب، والفائض من الخيول والمال، والأسرى والجرحى. وتنطبق هذه النظرية على ما جاء في الروايات المعاصرة عن التعبئة الصلاحية في إحدى المعارك الكبرى بعكا التي وقعت يوم الأربعاء (٤) أكتوبر عام ١١٨٩م ٢١شعبان عام ٥٨٥هـ.

عند بدء المعركة يكتفي بمنازلة العدو بأحد الجناحين، ويظل الآخر في مكانه لا يتحرك إلا إذا أصاب الأول الوهن (أي نزلت به خسائر كبيرة) أو أعياه الضعف. ووظيفة القلب أن يمد جناحيه بالأطلاب إذا أصابهما الضعف[٢].

لم يقتصر دور القائد في المعركة، في هذه الفترة، على القلب بل كان يطوف على الأطلاب جميعاً (السرايا)، أو أكثر من سرية بقليل يحثهم على القتال ويدعوهم إلى النزال ويحببهم إلى الاستشهاد فإذا ما اشتد القتال، طاف بين الصفوف من الميمنة إلى الميسرة، ويأمر الأطلاب بالتقدم والوقوف في مواضع يراها، وعليه أن يطوف كذلك حول العدو في كل يوم مرة أو مرتين إذا كان قريباً منه، وهو يسير ساعة وثم ينزل ليستريح، ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفاً[٣]. وكان صلاح الدين يتلو على الجنود، بوساطة قرائه، آيات من سورة الأنفال والصف والأحزاب لتذكيرهم أن الفرار إحدى الكبائر الخمس - ما دام عدد المؤمنين مثل نصف عدد العدو على الأقل - وكان العرب يتخذون من التهليل والتكبير أسلوباً لتقوية الروح المعنوية عند المجاهدين ويشترط عدم الإسراف فيه، لأن كثرته عند مقاتلة العدو تعتبر فشلاً[٤]، وفي حصار صلاح

---

(١) مقدمة بن خلدون، ط، المطبعة الأزهرية، ١٩٣٠م، ص٢٢٧، ٢٩٤.

(٢) جيش مصر في أيام صلاح الدين ص٤٢.

(٣) ابن واصل، ص٤٢٢ + ابن شداد، ص١٤، ١٩.

(٤) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى الأزهرية عام ١٩٣٦م + طبعة دار الكتب المصرية، عام ١٩٣٦م، الجزء الخامس، الصفحة ٣١٤. تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٣١٤.

الدين لقلعة برزيه عام ١١٨٨م ٥٨٤هـ. كان تكبير المهاجمين (مع من معهم م الأسرى) عاملاً مهماً من عوامل المفاجأة، وإضعاف الرّوح المعنوية لدى المدافعين، إذ ضلل حجم التكبير العدو، فاستسلم، وسقطت القلعة.

**ب - اختيار الوقت والحرب الخاطفة:**

كانت المعركة تجري في أي وقت، ولكن صلاح الدين، كان يؤثر الربيع أوائل الصيف في بلاد الشام مستغلاً ظروفها الجوية وجعلها سلاحاً في يده على عدوه[١] وجرت العادة أن تبدأ المعركة صباحاً (ما يسمى حديثاً أول الضوء) باكراً، وتنتهي عادة في المساء، وإذا كان الجيشان وجهاً لوجه، ولابُدَّمن الحرب فإن المعركة قد تدور ليلاً. وقد استخدم العرب في القرن الثاني عشر القتال الليلي وآثروه أحياناً لأنه يؤمن لهم التغطية لإغارتهم من رصد العدو كما يؤمن لهم ستر الانسحاب أما قبل المعركة النهارية، فتعطى الأوامر بدق الطبول حربياً، ثم ينفخ في البوق، ويكبر عند الضربة الثانية للطبول، فيأخذون أهبتهم ويمتطون جيادهم عند الضربة الثالثة[٢].

وقد استخدم صلاح الدين أسلوب الحرب الخاطفة حين اتجه إلى المدن الساحلية بعد فوزه بحطين في عام ١١٨٧م إذ هاجم عكا وصفورية وقيسارية وغزة ونابلس.... وغيرها. حتى إذا استعصت عليه (صور) فضل تركها والعودة إلى الاستيلاء على بيت المقدس وما بقي من مدن. ولا شك في أن المباغتة التي كان يهيء صلاح الدين عواملها كانت أسلوباً جديداً في الحرب أثَّر تأثيراً كبيراً في القتال[٣].

---

(١) ابن واصل، القاضي جمال الدين، مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب، تحقيق الدكتور جمال الشيال، مصر، القاهرة.، المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى، عام ١٩٥٧، الجزء الثاني، ص١٥٧.

(٢) السعداوي - جيش مصر، ص٤٦، س، ٥، ٨.

(٣) المرجع السابق ص٤٨.

**جـ - الاستمرار (القتال المتتابع) والإمداد:**

وعندما لم تسعف خطة الحرب الخاطفة صلاح الدين في الاستيلاء على صور لمنعتها ابتكر أسلوباً جديداً في التكتيك، بأن قسم القوات إلى ثلاثة أقسام وقسم عليها الوقت بساعات صفر مختلفة، فما تنتهي الأولى إلا وتكون المجموعة الثانية قد هجمت، فيتصل بذلك القتال على المحتلين في صور. وهذه هي طريقة (التناوب) التي ابتدعها صلاح الدين، غير أنها لم تفلح في الاستيلاء على صور لسبب رئيسي هو وصول تموينها عن طريق البحر ومناعة المدينة، وتردد وتذمر بعض قادة جيش صلاح الدين ورغبتهم في الرحيل ورفع الحصار.

كان صلاح الدين قد نظم جيشه (أطلاباً) كما ذكرنا، ويضم كل طلب بين (٧١ - ٢٠٠) مقاتل تحت إمرة أمير. توزع عليهم الملابس والأسلحة (من الدرخانة) قبل خروجهم إلى الميدان. ويعطى كل واحد مبلغاً معيناً من المال لشراء ما يلزمه من ضروريات المعركة، ويحمل كل رجل إمداداته المقررة الثابتة من المؤن والعلف، وقد يشتريها على حسابه الخاص مع المواد الإضافية الأخرى من التجار (السابلة) المقيمين في سوق العسكر وقد شهدت أيام الحروب ارتفاعاً في الأسعار وانخفاضاً، بتأثير النشرات الواردة من الميدان ولم يمكن تموين العدو أحسن حالاً. بلغت غرارة الحنطة أكثر من مئة دينار صوري في سنة ١١٨٨[١]، والبيضة الواحدة ستة دنانير أي ما يعادل أكثر من خمس ليرات في هذه الأيام.

**د - الاتصالات (سلاح الإشارة) والاستطلاع:**

لقد استخدم العرب في القرن الثاني عشر وسائل عديدة للاتصال في ظروف القتال، ومنها وسائل البريد المعروفة في عصرهم، من جوية

---

(١) ابن الأثير - الكامل، مصدر سابق، ج١٢، ص٣٥.

وبرية وبحرية وجاسوسية، وأضافوا إليها الحمام الزاجل (الهوادي) منذ عام ١١٧١. وقد وضع صلاح الدين مع رجاله في كل ثغر حماماً بحيث إذا نازل الفرنجة أحد الثغور أتاه الحمام بالخبر ليومه[١]. كما استخدم البريد المائي - بوساطة أمهر السباحين، وأشهرهم عيسى العوام. وقد انتصر العرب بفعل يقظة السباحين وسرعتهم في حمل الأنباء إلى صلاح الدين. أما الجاسوسية فقد استخدم العرب طريقتين: الأولى الاستفادة من الأسرى الصليبين ليمدوهم بالتفاصيل عن حالة جيوشهم المعنوية والمادية. والطريقة الثانية هي (بث العيون) من الفلاحين بين الوحدات الصليبية في صورة باعة متجولين للفاكهة واللحوم. وكذاك استخدم صلاح الدين أسلوباً للاتصال هو الاتصال بالإشارات النارية، كما استخدم العرب البوق في الحل والترحال، وفي أثناء اختراقهم الإمارات الصليبية بين الوديان والتلال[٢].

**الاستطلاع:**

الاستطلاع في العصر الحديث هو من أهم أنواع تدابير الأمن في نشاط القوات القتالي ويتضمن جمع المعلومات عن العدو ودراستها، يوزع الاستطلاع - بحسب وسائطه وتنفيذه - إلى استطلاع القوات، والاستطلاع الجوي، والاستطلاع بوسائط الاتصال، والاستطلاع السياسي، واستطلاع خاص (مدفعية، هندسية... الخ). ويعتبر التجسس النوع الرئيسي من استطلاع القوات. ومهمة الاستطلاع الرئيسية: تحديد تجمعات قوى العدو وكشف القناع عن فكرته. والمبادئ الأساسية في تنفيذ الاستطلاع هي الاستمرار والفعالية الآنية والتأكد من المعلومات المستلمة. والاستطلاع هو

---

(١) ابن شداد - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،مصدر سابق، ص١٦٨، ١٧٠.

(٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، نشر الدكتور حتي، سورية، دمشق، ١٩٦١م، ص٩، ١٠ + الدكتور السعداوي، البريد، ص٤٨.

أهم واجب يقع على عاتق جميع القادة وهيئات الأركان وتعميم المعلومات المستقاة عن العدو على هيئات الأركان المرؤوسة والقوات المجاورة والأركان الأعلى[١]. وقد تطور الاستطلاع حديثاً وتفرع بتطور العلوم فأصبح يتضمن حديثاً: سطع أرض - سطع إشعاعي - سطع أجهزة بصرية - سطع بأدوات المدفعية - سطع بوسائط الاتصال - سطع تعبوي - سطع تلفزيوني - سطع جرثومي - سطع جوي - سطع دبابات - سطع راداري - سطع لاسلكي - سطع لا سكي فني - سطع مائي (بنسبة الرطوبة) - سطع مدفعية - سطع منطقة الأعمال المقبلة - سطع هندسي - سطع قتالي.

## العرب واستطلاع القوات في القرن الثاني عشر:

### آ - استطلاع القوات:

إن اللفظة الفارسية (اليزك)[٢] هي مصطلح الدولة الأيوبية الذي يعني الطلائع، إذ كانت أنظمة القتال الأيوبية بأن يسبق المعركة حركة استكشاف الفرقة أو المقدمة (الطلائع) المكلفة بحراسة الطرق أو عملية الاستطلاع، ويدرب أفرادها تدريباً خاصاً على استجلاب الأخبار من معسكر العدو[٣] وقد حالف النجاح الاستطلاع العربي في أداء مهمته الإخبارية والاستكشافية في أكثر من مناسبة، ولاسيَّما في أثناء حصار الصليبيين لعكا (سنة ١١٨٩ - ١١٩١)م. وفي أثناء عزمهم على مهاجمة (بيت المقدس) بعد استقرار الجيوش الأيوبية المصرية فيها سنة ١١٩٢، استطاع صلاح الدين أن يعد نفسه وجيشه لكل الاحتمالات التعبوية المتوقعة والتلاؤم معها في الدفاع عن

---

(١) المعجم المختصر للتعابير والمصطلحات العسكرية مصدر سابق، ص١٦، س ٣، ١٢.

(٢) اليزك لفظ فارسي - راجع السلوك للمقريزي،مصدر سابق، ج١، قسم ١، ص١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١ قسم١، هامش، ص١٠٥.

بيت المقدس، على ضوء التقارير التي أرسلها إليه الأمير (جورديك) رئيس (اليزك) أي الطلائع.

**ب - استطلاع قتالي:**

وقد يسند إلى (اليزك) الطلائع مهمة مناوشة العدو بالنشاب لجذبه واستدراجه إلى معسكر العرب، وإذ ما أصدر صلاح الدين أمراً من خلال المعركة، ينقله الطواشي لجميع وحدات الجيش. ومن عمل الطواشي كذلك ملاحظة كل فردفي مكانه ومعاقبة المخالف بالموت. ويشاركه في هذا العمل الجاويش فضلاً عن الصياح والمناداة كأداة اتصال نفخاً في البوق، إيذاناً ببدء المعركة، أو لجمع العسكر حول خيمة السلطان لغرض معين[1].

**ج - العمل خلف خطوط العدو:**

قام العرب بعمليات خلف خطوط العدو بوساطة الجماعات التي تقوم بالإغارة على معسكر العدو للتخريب ونشر الرعب في قلوب الأعداء. وقد اختار صلاح الدين أبطال هذه المهام ممن يتصفون بالخفة، وغالباً ما تحدث هذه الهجمات في الصباح الباكر. وكان الصليبيون ينتصرون حتى نصف النهار في إغارتهم على العرب، فإذا ما عادوا إلى معسكرهم وجدوه (خراباً ونهباً لعسكر العرب)[2]. أما حرب العصابات والإغارات الليلية والكمائن، فقد أبلى العرب فيها بلاء حسناً في كل المعارك تقريباً. إذ اشتهرت الإغارات العربية الليلية على العدو مستهدفة خطف أسير أو الحصول على سلاح أو أسرار. كما كان العرب البدو يعملون كأدلاء لجيش العرب لأنهم أدرى باختراق الصحارى ومسالكها ومعرفة الدروب والمسالك المطروقة، وقد عملوا مع صلاح الدين في أماكن كثيرة واستعان بخبرتهم في كشف الوديان والطرق.

---

(١) ابن شداد، ص١٣٢، نظير سعداوي ص٤٥.

(٢) ابن شداد - النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص١٢٥.

**د – الكمين :**

المعنى الحديث لكلمة (الكمين) هو: إحدى طرائق العمل التعبوي للقيام بإغارة مفاجئة على العدو من مخابئ تقع على محاور تحركه. يستخدم الكمين في عمل الوحدات في الاستطلاع وأثناء المطاردة بغية إلحاق خسائر بالعدو وخطف الأسرى وتدمير الدبابات وغيرها(١)... وسندرس كمينين نفذا في حروب صلاح الدين هما كمين (جبل تبنين) وكمين لـ (ريتشارد قلب الأسد).

**كمين جبل تينين:**

الحرب خدعة - وقد استخدم صلاح الدين هذا السلاح ما استطاع إليه سبيلاً. فقد علم في عام ١١٨٨م ٥٨٥هـ. أن الصليبيين اعتادوا الخروج إلى جبل تبنين للاحتشاش والاحتطاب(٢) في حراسة خيل منهم فأعد لهم كميناً بقوة تفوق قوة حراستهم. وأبلغ عسكر جبل (تبنين) بالخروج في نفر يسير من العربان، فإذا تبعهم الفرنجة ينهزمون أمامهم إلى جهة عينها لهم. وأرسل إلى قوات في عكا أن يكونوا على أهبة الاستعداد، فإذا تحرك الصليبيون في نصرة أصحابهم الواقعين في (الكمين) البعيد هجمت قوات عكا على معسكر العود. وكان أن رتب القوات ثمانية أطلاب (الطلب من ٧٠ - ٢٠٠فارس) واستخرج من كل طلب عشرين فارساً وأمرهم أن يناوشوا أمام العدو ويتظاهروا بالهزيمة بين أيديهم حتى يصل العدو إلى الكمين، وفعلوا ذلك. ووقع العدو في الكمين. وحقق العرب النصر بفنهم العسكري وانضباطهم في تنفيذه(٣).

---

(١) هيئة التدريب دمشق ١٩٦٣، المعجم المختصر للتعابير والمصطلحات العسكرية ص٢١٤.

(٢) الفيروز أبادي، قاموس المحيط، لبنان بيروت، ط١ ١٩٣٣م، ج١، ص٥٦ بعير حطاب، يرعى.

(٣) أبو شامة الروضتين، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٤١ + ابن شداد، النوادر، مصدر سابق، ص٤٢.

**كمين لـ (ريتشارد قلب الأسد):**

بعد معركة أرسوف (أيلول عام ١١٩١)، خرج ريتشارد إلى الصيد والاحتطاب فنصب له صلاح الدين كميناً في تشرين الأول من تلك السنة (رمضان عام ٥٨٧هـ) وكاد ريتشارد يقع فيه ويؤسر لولا أن فداه أحد خواصه الفرنسيين حين أظهر حسنُ لباسه على أنه الملك ريتشارد، وقادوه إلى صلاح الدين، فرحله إلى معتقل دمشق، وظل فيه حتى افتداه ريتشارد بإطلاق عشرة أسرى من أمراء العرب(١). ويبدو أن الكمائن العربية قد كبدت ريتشارد خسائر فادحة إذ أرسل مرة إلى الملك العادل يعاتبه على الكمين الذي نصب له في الرملة(٢).

**هـ -الإقامة :**

حين يشاء القادة الإقامة في مكان ما، فإنهم يسعون لتوفير شروط أولها توفير المياه والحصول على الزاد والكلأ، ولم يكن من المستحب الاقتراب من الأنهر ليلاً لأنها تعرض الصورة للعدو، كما أن الصحراء ليلاً تحدث قلقلة، وهذا ما يفسر تسابق كل من العرب والفرنجة على احتلال أماكن المياه والنزول على مقربة منها والسيطرة على الوديان من تبة عالية، وبلغ هذا التسابق أشده في المعارك الدائرة حول مدينة عكا عام (١١٨٩ - ١١٩١) فقد شهدت تلك المدينة قيام معسكرين خارج أسوارها: أحدهما عربي والآخر إفرنجي يسير فيهما النشاط التجاري والصناعي حثيثاً جنباً إلى جنب مع النشاط الحربي وقعقعة السلاح. وعند إقرار مكان ما للإقامة، فأول ما كانوا يفعلونه هو ضرب فسطاط السلطان أي المركز الذي كانت تضرب حوله خيم سائر المحاربين، ثم بيوت أمراء الجيش ورباط خيل النوبة. ثم خيام الوحدات أو أماكنها.

---

(١) أبو شامة، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٢.

(٢) بكتوت الرماح - السؤال والأمنية، ص ١٩ + فهرست الكتب، ص٥٨.

و - الحصار:

لقد لجأ العرب إلى الحصار الاقتصادي على موارد العدو البرية والبحرية ليضطروهم إلى التسليم. ومن أمثلة ذلك حصار صور وبيروت وعكا والقدس - وغيرها[١].

## رابعاً - الكمائن والإغارات في بلاد الشام في القرن الثاني عشر:

### آ - تمهيد:

يمكن أن نتلمس نماذج حرب العصابات في صفحات التاريخ القديم والحديث.... فالتغلل والتخريب موصوفان في التوراة وفي التاريخ اليوناني القديم. هنالك مثالان قبل الميلاد هما: (حصان طروادة) عام ١٠٠٠ق.م، و(سبعة ضد طيبة) الحروب البيلوبونيزية عام ٤٣١ - ٤٠٤ق.م. ومن الأمثلة الأحدث والأقرب: عمليات المقاومة السرية ضد القوات النازية عام ١٩٤٢ - ١٩٤٥ إبان الحرب العالمية الثانية وحرب التحرير الوطنية في فيتنام الجنوبية.

..... ولكن حرب العصابات لم تدخل القاموس العسكري إلا عندما اجتاح نابليون إسبانيا عام (١٨٠٧ - ١٨٠٨). وتفكك الجيش الإسباني ثم أعيد بناؤه وتنظيمه فيما بعد على شكل وحدات صغيرة مستقلة قادرة على العمل في مجالات محدودة ومن هنا كانت التسمية (Gurilla) أي حرب صغيرة. وأستطيع القول بأن العالم بدأ يهتم جدياً بهذا اللون الجديد من طرائق القتال، لاسيَّما بعد انتصار معظم الحركات الثورية التي جاءت في أعقاب الحرب العالمية الثانية والتي اعتمدت على حرب العصابات أسلوباً وحيداً في العمل[٢].

---

(١) راجع العقيد مفلح علي - حطين، ص٢٨، ٢٩.

(٢) العماد أول مصطفى طلاس - حرب العصابات نشر دار الطليعة، ط الأولى أيلول ١٩٦٩م، ص٩، ١٠.

### ب - أسباب حرب العصابات:

**السبب الأول:** انهيار الجبهة وتوغل قوات العدو في أرض الوطن توغلاً يصبح فيه قتال القوات النظامية التقليدي من العبث الذي لا طائل منه، ولا يمكنه أن يؤدي إلا إلى المزيد من الكوارث المفجعة التي لا مبرر لها. وهنا لابد من اللجوء إلى استخدام أسلوب حرب العصابات لإنهاك العدو وإضعاف معنوياته وذلك بشن الهجمات الجريئة والإغارات الحاسمة على مواقعه ونصب الكمائن لقوافل تموينه وأرتاله المتحركة آناء الليل وأطراف النهار مع الأخذ بعين الاعتبار عدم التورط معه بمعارك فاصلة (اضرب واهرب) حتى يحين الوقت للقيام بهجوم معاكس شامل يستهدف في النهاية القضاء على العدو المهاجم وإعادة حدود الدولة إلى ما كانت عليه. وهذه الحالة ذاتها لا تشابه حالة أمتنا العربية في القرن الثاني عشر حين لجأ العرب إلى حرب العصابات فحسب، بل تطابقها أيضاً، ولاسيَّما في الإغارات منها[1].

**السبب الثاني:** هو شعور فئة من الناس تتكون منهم الطليعة الرائدة في أمة خاضعة للاستعمار القديم أو الحديث يحكمها المستعمرون بأن الوقت قد حان لإعلان الكفاح المسلح للقضاء على الأوضاع الفاسدة وتحرير أرض الوطن من المستعمرين وأعوانهم. وهنا أيضاً لابد من استخدام أسلوب حرب العصابات، فتعلن الثورة في منطقة مناسبة، ثم يبدأ العمل لتوسيع المنطقة التي يسيطر عليها الثوار حتى تشمل أرض الوطن بكامله.

### جـ - إغارات الكرك والشوبك:

الكرك اليوم إقليم في الأردن في مكان يقع جنوبي القدس إلى الشرق، خلف بحيرة لوط، بينما كان الكرك قديماً حصناً منيعاً يشرف على الطريق

---

(١) نفس المصدر ص١٠.

ذاته وكانت به الحج والتجارة. والشوبك في جنوب الكرك عن طريق الحج والتجارة. والشوبك في جنوبي الكرك على الطريق ذاته وكانت به قلعة حصينة كذلك، ومواضعها من الطريق يدل على قدرة تحكمها في الطريق، بين مصر والحجاز من ناحية، والشام من الناحية الأخرى(١).

تكررت اعتداءات الفرنجة على قوافل العرب، مما حدا بصلاح الدين لمرافقة هذه القوافل، وفي هذا يقول أبو شامة: « وكان لا يمكن لقافلة المرور حتى يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو(٢)». ويعبر أبو المحاسن عن نفس الحادث بقوله: (وكان على صلاح الدين نفسه أن يترك دمشق أو يترك القاهرة ليرافق كل قافلة يريد لها أن تمر من هناك(٣)). وكان على الكرك والشوبك فرنجي عنيد اسمه البرنس (أرنولد) أو (إرناط) كما سماه العرب. والحق أن نور الدين محمود كان له السبق في مناوشة صاحب الكرك فقد حاصرها سنة (٥٦٥هـ - ١١٦٩م) ونصب على قلعته المنجنيق وطلب إلى صلاح الدين أن يوافيه عندها فامتنع خوفاً من أن تضطرب مصر عليه، فبقي واعتذر لنور الدين(٤).

**-أسباب الغارات:**

**السبب الأول: هو إبعاد جميع البدو المقيمين حول قلعة الكرك والشوبك ليحرم الفرنجة من وجود أدلاء يرشدونهم إلى السبل الصحراوية المؤدية إلى مصر حتى انقض ملك الفرنجة لمهاجمة مصر (لا يجد بين يديه دليلاً(٥) يرشده إلى معالم الطرق الصحراوية). وفعل ذلك.**

---

(١) سيد الأهل - أيام صلاح الدين، ط١، ص١٨٧، س٨، ١٢.

(٢) أبو شامة - الروضتين في أخبار الدولتين، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٦.

(٣) جمال الدين يوسف بن تغري بردى - المعروف بأبي المحاسن، ٨٤٧هـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية ط١، عام ١٩٢٩م، ج٦، ص٢٣.

(٤) الحافظ شمس الدين - دول الإسلام، نشر دار المعارف بالهند، الدكن، سنة ١٣٣٧هـ ج٢، ص٥٦.

(٥) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، ج١١، ص١٣٧.

**السبب الثاني: هو توسيع الطريق وتسهيله لوصل البلد بعضها مع بعض[(١)]، وذلك لتأمين المواصلات التي تحرسها القلاع والمخافر بين سورية ومصر كما سيتضح من سياق البحث.**

-**الإغارات:**

في سنة ٥٧٢هـ - ١١٧٦م، انحدر صلاح الدين مسرعاً من حلب إلى دمشق وبيسان ولحق بإمداد الكرك والشوبك المتجه إلى منطقة (عين جالوت) حيث بيَّتَ الفرنجة أمر مهاجمة العرب المجتمعين في تلك المنطقة. وكان أن التقى بها صلاح الدين فنازلها من فوره فقتل منها مقتلة عظيمة، وأسر زهاء مئة من رجالها. ويقول مؤرخو العرب إن صلاح الدين لم يفقد في هذا الاشتباك غير رجل اسمه (بهرام الشاويش) فإذا كان الأمر كذلك فقد أخذ صلاح الدين عدوه على حين غرة وأوهن قوة خصمه اللدود (أرناط)[(٢)]، وفي عام (١١٨٢م) عاد صلاح الدين من مصر إلى دمشق واسترجع حلب وتعززت جبهته الداخلية في مصر والشام، وقرر الغارة على (الكرك) لإزالتها من خط مواصلاته بين سورية ومصر. وفي آب عام (١١٨٣م) غادر صلاح الدين حلب إلى دمشق، وكتب إلى نائبه العادل في مصر يأمره بالاستعداد لموافاته على (حصن الكرك) ولما تقابل صلاح الدين والعادل على الحصن في تشرين الأول (١١٨٣) نصب عليه سبعة منجنيقات لقذفه ليلاً نهاراً. غير أن صلاح الدين أدرك قلة ما معه من آلات الحصار، كما علم بتحشدات الفرنج لطرده من الكرك. وقبل أن يصلوا إليه، فك صلاح الدين الحصار عن الكرك، كي لا يشتبك مع الفرنجة في معركة حاسمة لم يستعد لها بعد، فعاد إلى دمشق[(٣)].

---

(١) الروضتين، ج١، ص٢٦.

(٢) أيام صلاح الدين، مصدر سابق، ص١٨٨، ١٨٩.

(٣) مفلح علي - حطين، مصدر سابق، ص ٣٦، س، ٥، ١٣.

وفي أيلول عام (١١٨٤م) توجه صلاح الدين بجيش من دمشق قاصداً الكرك والشوبك من الشام وكان ابنه (المظفر) قد أطبق عليها من الجنوب، وضرب الحصار على حصن الكرك في يوم (١٣ آب من نفس السنة). وكان بجانب السور خندق عمقه ستون ذراعاً، وقرر صلاح الدين ردم هذا الخندق. فأمر بصنع اللبن وجمع الأخشاب لبناء قنطرة على الخندق، وتم إنشاء ثلاث قناطر على الخندق من هذا القبيل، مسقفة بالخشب من أعلى لتكون طرقاً آمنة يسير الجنود من تحتها، إلى السور لنقبه، وبهذه الطريقة تمكن من ثقب السور، وهدمه. ولكن زوجة (رينودي شاتيون) أرسلت رسالة إلى صلاح الدين ترجوه فيها هدنة قصيرة حتى تتم حفلات زفاف ابنها وأشفعت طلبها بهدية إلى صلاح الدين[١]. وقد أمر صلاح الدين على الفور بوقف الهجوم فانتهز (رينودي شاتيون) الفرصة وأرسل رسالة إلى القدس يطلب فيها نجدات لدفع صلاح الدين عن الكرك، ولما علم صلاح الدين بقرب وصول هذه النجدات التي كانت بقيادة (رايموند) أمير طرابلس و(بلدوين) - ملك القدس، قرر أن لا يشتبك مع الفرنجة بمعركة فاصلة، لذلك انسحب عن الحصن قبل الإجهاز عليه[٢]. وهكذا فقد بقي (رينولد) أمير الكرك يهاجم القوافل مع أنه خسر في عملياته في معظم كتائبه[٣].

## د - غارة مرجعيون وحصن بيت الأحزان والرملة:

### ١ - غارة مرجعيون:

في المحرم سنة (٥٧٥هـ - ١١٧٩م) حدث أن رأى السلطان ومستشاروه أن يقتحموا على الفرنجة مواقعهم، ويستوعبوا في وثبة واحدة ما

---

(١) إبراهيم الحنبلي - شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، وهو مخطوط مصور عن مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٢، ص٣١.

(٢) lamb th Flam of islam – p50.

(٣) سيديو - تاريخ العرب، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة ١٩٤٨م. ترجمة عادل زعيتر ص٢٦٣.

بأيديهم من الغلات، فرحلوا صوب إقليم (البقاع) شرقي (جبل لبنان)، فالتقى بهم الفرجة عند (مرجعيون) في عشرة آلاف مقاتل، وما إن التقى الجمعان حتى أسفر اللقاء الأول عن هزيمة مشاة الفرنجة ثم تبعهم الفرسان الشجعان يقعون قتلى وأسرى (في يوم ١٥ يونيو عام ١١٧٩ الأحد، محرم عام ٥٧٥) حتى حال الليل بينهم، ووقع في الأسر أيضاً مقدم (الداوية) أو الهيكليين (فرسان المعبد)، كما وقع في الأسر (ريموند) صاحب طرابلس، و(هوج القيصري) أمير طبرية وأمير (الرملة) ثم أصحاب (جبيل وجنين ويافا) وابن صاحب (مرقبة) وعدد كبير من خيالة (القدس وعكا) وقد بعث صلاح الدين إلى بغداد بجماعة من أسرى (مرجعيون) وبتحف ونفائس فوصلت قبل أن يموت الخليفة المستضيئ بقليل من الأيام[١]. ثم انصرف صلاح الدين عن (مرجعيون) مفرقاً جيشه إلى فرق تغزو الفرنجة من بقاع الشام وخارج حدودها[٢].

**٢ - الإغارة على حصن بيت الأحزان:**

كتب صلاح الدين إلى الصليبيين يطلب إليهم هدم (حصن بيت الأحزان)، فأبوا فراجعهم مرة ثانية فطلبوا إليه أن يدفع لهم ما صرفوا عليه، فقبل، وأخذ في مفاوضتهم لتحديد المبلغ حتى وعد بدفع (مئة ألف دينار) فلم يقبلوا، فاعتبر صلاح الدين أنه في حل من وعده، ويستطيع مهاجمة الحصن، فأغار عليه مرتين، وعاد منه بالغنائم والأسرى، ثم كتب إلى أجناد البلاد الشامية وعشائرهم وقبائل التركمان يستدعيهم وحمل إليهم الأموال والخيول والتشاريف، واكتمل لدى صلاح الدين جيش كبير فسار به إلى المخاضة وخيم بالقرب منهم يوم[٣] ٢٥ أغسطس عام ١١٧٩م السبت ١٩ ربيع الأول عام ٥٧٥هـ.

---

(١) الحافظ شمس الدين - دول الإسلام، نشر المعارف بالهند، الدكن، سنة ١٣٣٧هـ ج٢، ص٦٥.

(٢) أيام صلاح الدين، ص١٩١، ١٩٢، ١٩٣.

(٣) تاريخ مصر الحربي،مصدر سابق، ص١١٨، س١٠، ١٩.

**- التمويه: وفي يوم الأحد ٢٦ آب من العام نفسه ركب صلاح الدين إلى ضياع (صفد) وكانت قلعتها يومئذ تحت الاحتلال الصليبي (الداوية). وبغية تمويه أسلحة العرب ومعداتهم، قاموا بقطع العديد من أشجار الكرمة وصنعوا منها ستائر للمنجنيقات العربية، كما استخدم العرب بالإضافة إلى أشجار الكرمة الكثير من الزرجون والأخشاب وتذكرنا هذه الطريقة العربية منذ ثمانية قرون بطرائق التمويه الحديثة ففي الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٣٩-١٩٤٥) اعتنى الحلفاء ودول المحور بالتمويه عناية كبيرة ولجؤوا إليه كثيراً لاسيَّما في اليابان وبورما، حتى كان الجند يحملون فوق رؤوسهم فروع الأشجار ليختلط الأمر على العدو كل الاختلاط[١].**

**- طرائق القتال:**

في يوم الأحد (٢٦) آب عام١١٧٩ عاد صلاح الدين إلى المخاضة وقرر قتال الحصن بتكتيك جديد. فكان أن جمع القائد صلاح الدين هيئة أركانه وشرح لهم الموقف العام والموقف الخاص بدقة وطلب إبداء آرائهم، فأشار القائد (جاولي الأسدي)، مقدم الفرقة الأسدية، بالقتال زحفاً. كما قاتل العرب في سابق تاريخهم في عدة حوادث[٢] ثم نقب الأسوار بحيث تصبح الأسوار محمولة على قوائم خشبية يرقها النقابون بعد دهنها بالنفط[٣]، ثم تملأ المسافة بين القوائم بالقش والحطب ونشارة الخشب، وتشعل فيها النيران، فتأكل النيران القوائم الخشبية ويتداعى السور على الفور ويجد المهاجمون طريقهم إلى الحصن. (ولم يحسن

---

(١) راجع حاشية المصدر السابق ص١١٨.

(٢) ابن خلدون المقدمة - ط الأزهرية سنة ١٩٣٠م، مصدر سابق، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) مجهول المؤلف - فهرست الكتب التي نرغب أن نبتاعها، والمسائل التي توضح جنس الكتب التي نرغب الحصول عليها إنما نجهل أسمائها - مكتبة جامعة القاهرة، رقم ب ٧٧٠، عن لندن سنة ١٨٤٠+ راجع كتاب الرتب والنياشين، ص٢٧ لعبد الرحمن زكي.

العسكريون إجادة تلك العملية كما ينبغي إلا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[١] وفعلاً كان اتخاذ القائد صلاح الدين للقرار بعد إجماع هيئة الأركان على رأي الأسدي، المذكور، في عصر ذلك اليوم (الأحد ٢٦ آب عام ١١٧٩) أمر صلاح الدين بالقتال زحفاً، (ويلمس الإنسان العسكري سرعة البت في القرار وتنفيذه)، وصعد أحد المقاتلين العرب إلى باشورة الحصن وتبعه غيره من أتباعه فلحق به الجند حتى ملكوا الباشورة، ولم ير الصليبيون بداً من النجاة بأنفسهم إلى أسوار الحصن ليحموا أنفسهم وحصنهم بانتظار المدد من طبرية، غير أن العرب ألحوا في القتال رغبة في الوصول إلى نتيجة حاسمة.- قبل وصول المدد - وأدرك الليل المهاجمين قبل أن تتضح النتيجة، فأمر صلاح الدين بالمبيت في الباشورة إلى الغد، وفي الصباح تقدم النقابون داخل الأبراج الخشبية (وهي ستار واقٍ أسماه الغربيون Testudo) بينما عرف عند الشرقيين بأسماء مختلفة: المتراسة والحملوتات والجنوية والطوارق والدبابة والأبراج الخشبية المجلدة. وتستخدم خوفاً من وقوع السور على النقابين فيطحنهم، ونظراً لتعرض النقابين لسهام الحامية المدافعة ونيرانها بقصد إيقاف عمليات النقب[٢]. لقد تقدم النقابون داخل الأبراج الخشبية إلى أسوار الحصن. وهي بالغة الضخامة إذ كان سمكها خمسة عشر ذراعاً بالبخارى، واستعمل في بنائها ما يزيد على عشرين ألف حجر، ويكلف بناء الحجر أربعة دنانير فما فوقها[٣] وعلى الرغم من كل هذا التخطيط والدقة في التنفيذ لم يفلح الهجوم، إذ لم يتم الاختراق فأطفأ العرب النار المشتعلة على الأسوار كي يستمر النقب، فنقب السور ووسع النقب فيه، ثم أشعل

---

(١) تاريخ مصر الحربي،مصدر سابق، ص١٢٩.

(٢) مجهول المؤلف - فهرست الكتب، ص٧٢.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٣.

ثانية فسقط السور لساعته يوم الخميس ٣٠ آب عام ١١٧٩ (٢٤ ربيع الأول عام ٥٧٥) فدخل الجيش العربي وغنم ما بداخل السور وحرر الأسرى ثم قاموا بهدم الحصن، وردموا البئر الذي فيه بأن جُعِلَ مقبرة، ثم عاد صلاح الدين إلى دمشق منصوراً، فمدحه عدد من الأمراء والشعراء وباركوا له بالفتح[١].

**٣ - غارة الرملة:**

خرج صلاح الدين من القاهرة في نهاية أكتوبر عام ١١٧٧ (٣ جمادى الأولى عام (٥٧٣هـ) بعد الصلاة، حتى خيم بظاهر بلبيس أمر بالمنادة في العسكر بأخذ زاد عشرين يوماً أخرى للاستظهار. ثم سار صلاح الدين شمالاً حتى اقترب من الساحل على رأس قوة من عسكره الثابت. قدرها المؤرخون بأربعة عشر ألف فارس[٢]، وستة وعشرين ألف راجل، منهم ألف باللباس الرسمي للجيش المصري (سروال أصفر) وفي نهاية نوفمبر عام ١١٧٧ (الأربعاء ٢٩ جمادى الثاني عام ٥٧٣هـ) أشرف صلاح الدين على عسقلان واكتسح حصونها، وغنم، وأسر، ثم تقدم نحو الرملة فاعترضه نهر (تل الصافية) ولم يتيسر للعسكر الاحتفاظ بنظامهم استعداداً للقتال المفاجئ[*]. وبينما هم على تلك الحال أشرف عليهم الصليبيون في الأول من كانون الأول عام ١١٧٧ (الجمعة ثاني جمادى ثاني عام ٥٧٣) ومقدمهم البرنس (أرناط) صاحب الكرك - واسمه الأصلي قبل أن يأتي الشرق (Renaudchatillon) في جموع كثيرة ومعه (بلدوين) الثالث ملك (بيت المقدس) يحمي ظهره (٣٦٥) فارساً، ولم يكن

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١ ص ٣٠١، ٣٠٣+ العيني، ج٢١، قسم ٣، ص٦١٤، ٦١٥+ السلوك ج١ قسم١ ص٦٩+ ابن واصل، ص٢١٢. مصادر سابقة.

(٢) يجب الانتباه إلى أن صلاح الدين في هذا بالذات لم يكن قد بقي معه من الجيش سوى عدد من الأفراد فقط كلن قد انقسم إلى وحدات عصابات صغيرة.

(*) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله المعروف (بالذهبي)، ٧٤٨هـ، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم، ٣٩٦،

مع صلاح الدين غير بعض العسكر لأن أكثرهم افترق في السرايا طلباً للغنيمة فلما رآهم صلاح الدين وقف لهم في من معه وتقدم بين يديه (محمد بن تقي الدين عمر) فحمل على العدو وقاتلهم وعاد سالماً بعد أن أثر فيهم أثراً كبيراً، وعاد إليهم ثانية فقاتلهم حتى قتل شهيداً. ثم برز الفقيه عيسى الهكاري، وصمدت الوحدات إلى أن رأى القادة أن الانسحاب هو الحل الأفضل، فانسحبوا باتجاه الصحراء وتاه صلاح الدين فيها حتى أسعفه القاضي وأدلاء بما كان معهم من الزاد والعلف[١]. وتابع الجيش انسحابه إلى مصر وقد لقوا في طريقهم مشقة شديدة.

## خامساً - الخطط والمناورات قُبيل معركة حطين:

### . طبوغرافية حطين:

**يقول ياقوت الحموي**: (حطين قرية بين طبرية وعكا، بينها وبين طبرية فرسخان، ويقع بالقرب منها - في قرية (جبارة) - قبر، (يقال إنه قبر النبي شعيب عليه السلام[٢]). دارت رحى معركة حطين في المنطقة الواقعة ما بين طبرية شرقاً حتى صفورية غرباً في مساحة تزيد على ٤٠ ميلاً مربعاً. تتصف هذه المساحة بالوعورة والجفاف لاسيَّما المنطقة التي احتدم فيها القتال ما بين قرية (ترعان) وطبرية، وهذه المنطقة آهلة بسكان قرى (لوبية وترعان

---

(١) أبو محمد الطيب ابن عبد الله بن أحمد المشهور - بابن محزمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج٢، المجلد الثاني، وهو مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ وشاهدنا من الصفحة ٨٧٣+ ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ص٢٠٠+ ابن الجوزي، مرآة الزمان، مصدر سابق، ص٢١٧.

(٢) أبو عبد الله الملقب بشهاب الدين، ٦٢٦هـ، ياقوت الحموي الرومي، معجم البلدان، طبعة بيروت، الجزء السابع، الصفحة ٢٧٣، ٢٧٤.

وحطين وكفر سبت والشجرة) ويؤمن السكان ماء للشرب عن طريق الآبار وبعض الينابيع المحلية النادرة. و(ترعان) جبال وعرة، ويلي هذه الجبال قمم حطين الست يطلق عليها (قرون حطين) وحول قرون حطين والأراضي المحيطة بها كانت تكثر الأدغال والحشائش القابلة للاشتعال في فصل الصيف[١]. أما تل حطين فيقع شمال الطريق بين طبرية والناصرة، والسفح الجنوبي لهذا التل منحدرٌ جداً، حتى إن الانحدار يصل في بعض الأحيان إلى ٤٥ درجة، وأرض التل ترابية هشة غير صخرية عدا القمة التي بها بعض الصخور. وقمة تل حطين مقسومة من الوسط إلى قمتين حادتين، بينهما انخفاض منبسط يمتد من الشمال إلى الجنوب. وفي وسط هذا الانخفاض صخرتان منبستطان بسمك ٣٠سم ومساحة كل منهما تقارب ٢×٢م. والصخرتان موضوعتان بشكل خيمة صغيرة يقول السكان هناك إن الملك (غي) أمر بوضع الصخرتين على هذا الشكل كي يحتمي بها من نبال العرب وحر الشمس، وسفح التل الشمالي منحدر على شكل قائم تقريباً يتعذر تسلقه، وإذا نظر الواقف على التل إلى الجنوب يرى الأراضي المتموجة تقطعها وديان عديدة متقاربة، والرؤية إلى قعر هذه الوديان محجوبة. والناظر إلى الشرق يرى بحيرة طبرية كأنها بجانبه وتحت أقدامه. وفي الصباح تعكس البحيرة أشعة الشمس كأنها مرآة ضخمة فتبدو للشاهد منظراً مهيباً خلاباً. وإذا نظر الواقف على تل حطين (الذي يرتفع عن سطح البحر ٣١٦م) إلى الشمال يرى تحته وادياً سحيقاً ينتهي بأرض منبسطة بعرض يبلغ زهاء كيلو مترين يمتد من الغرب إلى الشرق وهو يلاصق تل حطين وينتهي إلى بحيرة طبرية[٢].

---

(١) راجع العماد - الكاتب الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح محمد محمود صبح، نشر الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥.

(٢) العقيد مفلح علي، التاريخ الحربية للأمة العربية، الجزء الثاني، منشورات الفرع الثقافي العسكري، ١٩٥٩/٥/٣٠م، ص٧٦، ٧٧.

## أولاً - السبب المباشر لنشوب حطين والإعداد لها:

مرت خلال سنة ٥٨٢هـ (١١٨٦م) قافلة غنية من قوافل العرب بالقرب من الكرك، فانقض[(١)] عليها (رينودي شاتيون) الذي سماه العرب (أرناط) على الرغم مما هو مقيد به من العهود وشروط الهدنة المعقودة في عام (١١٨٤م) بين الغزاة والعرب، واستولى على بضاعتها ومتاعها وسجن رجالها ونساءها.[(٢)] وتقول بعض المصادر الأجنبية إن أخت صلاح الدين كانت في القافلة (ويكذب أبو شامة وابن الأثير هذا الادعاء، إذ يجمعان على أن أخت صلاح الدين كانت في القافلة الثانية). ولما وقعت في قبضته استهان أرناط بالنبي محمد إذ قال لهم (إن كنتم تعتقدون في محمد فادعوه الآن يفك أسراكم ويخلصكم من شر ما وقعتم فيه). وقد ورد المعنى نفسه في كتاب الجنرال ج. ف. ث. فوللر[(٣)] إذ يقول: إن صلاح الدين أرسل إلى البرنس أرناط[(*)] وفداً يذكره بنصوص الهدنة ويطلب منه إطلاق سراح رجال القافلة، ولكن أرناط قال لرجال الوفد أن يقولوا (لصلاح الدين) على لسانه (أن اسأل محمداً أن يعيدها إليك) وورد في الصفحة ذاتها أنه أوصاهم أن يبلغوا صلاح الدين أنه (سوف يرجع إلى طريق العسكر العربي ليصدهم عن الوصول إلى صلاح الدين). أي أنه سوف يقطع الاتصال بين سورية ومصر بوساطة قلعتي الشوبك والكرك ولما نمي ذلك إلى صلاح الدين أقسم لئن أسره ليقتلنه بيده وبر بقسمه فيما بعد[(٤)]. كان هذا سبباً مباشراً لنشوب القتال. فأخذ

---

(١) د. أحمد بيلي - حياة صلاح الدين الأيوبي، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٦ط٢ ص١٥٥، س، ٧، ١٠.

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ،مصدر سابق، ط١ ص٣٣٨، بعد السطر ٢٠.

(٣) المعارك الحاسمة في العالم الغربي ص٤٢٢.

(*) أينما ورد اسم أمير الكرك فهو (Renaud de chatillon) رينودي شاتيون.

(٤) مفلح علي - حطين، ص٤٠ س١١+ الدكتور أحمد بيلي، حياة صلاح الدين الأيوبي، ص١٥٥، س١٦. مصدران سابقان.

الطرفان يستعدان للحرب. إلا أن رايموند صاحب طبرية بقي على علاقاته الطيبة مع صلاح الدين نظراً لخلافاته مع جوي وسيبل زوجته[١]، كما طلب المساعد من صلاح الدين ضد أتباع الملك (غي) ومستشاره (جيرارد فورد) فلبى صلاح الدين الاستنجاد وجاء صلاح الدين شخصياً إلى بانياس للمراقبة[٢].

**- الإعداد للمعركة:**

اجتمع صلاح الدين بقواده ومستشاريه وخرجوا بقرار (الحرب لتحرير الأرض العربية كلها) فأعلن صلاح الدين في بداية عام ١١٨٧ الجهاد في سائر أنحاء البلاد العربية. فكتب إلى مصر وسائر بلاد الشام[٣]، كما كتب إلى العراق (الموصل وديار بكر وأربيل)[٤] يستنفرهم إلى القتال، ويأمرهم بالتجهيز له فكان بذلك قد أعلن النفير العام أو التعبئة العامة في سائر بلاد العرب لطرد الغزاة.

وكان ضمن القرار اتخاذ «رأس الماء» منطقة تحشد رئيسية. إذ يقول العماد الكاتب الأصفهاني في كتابه (الفتح القسي في الفتح القدسي): وانتظر السلطان وصول العسكر المصري المستدعى ورعى منه حصول العدد المستدعى، فأبطأ عليه وروده، واختلفت في الإسراع وعوده، فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل (نور الدين عليا)[٥] وهو أبو الحسن بن صلاح الدين ولم يزل مكانه عنده علياً، أن يقيم

---

(١) حياة صلاح الدين الأيوبي،مصدر سابق، ص١٥٤.

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج١١، ص٢٣٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ط١٣٠١، ج١١، ص٢٣٩، س١٣.

(٤) رينيه كروسيه - تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٧٩+ ابن الأثير، ج١١ ص٢٣٩.

(٥) هو الملك الأفضل نور الدين علي: أبو الحسن ابن صلاح الدين، ولد بمصر سنة ٥٦٥هـ كان ملك الشام في حياة أبيه ثم من بعده، اختلف مع أخيه العزيز وعمه العادل وتقلبت به الأحوال إلى أن صار صاحب سميساط وبقي بها إلى أن مات سنة ٦٢٢هـ (راجع النجوم الزاهرة) ج٦ ص٦٢٢، ٦٢٣ طبعة دار الكتب.

على رأس الأمراء برأس الماء[1] وتجتمع العساكر الواصلة منه تحت اللواء[2]. وبعد أن وصلت الفيالق العربية من كل الأقطار، استعرضها صلاح الدين يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر سنة ٨٥٣ (٢٥ يونيو ١١٨٧)[3] بوجود الجيش المصري. إن اختيار صلاح الدين لمنطقة (رأس الماء القريبة من منطقة طبرية للتحشد جعلت رايموند يشعر بالطمأنينة لوجود الجيش العربي بقربه.

**ـ كسب الوقت:**

إن اختيار (رأس الماء) الواقعة جنوب دمشق وعلى بعد (١٥كم) غرب بلدة (الصنمين) والتي تعرف اليوم باسم قرية (المال) جعل الملك (غي) يرعوي عن مهاجمة (رايموند)، مما أبقى رايموند إلى جانب العرب طوال المدة التي سبقت (حطين) وهذا مما ساعد العرب على كسب الوقت، بغية وصول الجيوش العربية إلى منطقة الحشد الرئيسية. وكان صلاح الدين قد قرر تحرير فلسطين عن طريق طبرية، إذ بوجود صديقه رايموند يستطيع التقدم بدون كبير عناء. كما أن اختيار (رأس الماء) على طريق الحج الذي كان على وشك العودة في تلك الفترة كان عملية خداع ذكية من (صلاح الدين) لحمل العدو على الظن أن هذه الجيوش، إنما أتت لحماية الحجيج، فتحقق المفاجأة. توجه صلاح الدين إلى (قصر السلامة) بجزء آخر من الجيش حيث حاصر الكرك حتى (١١ أيار عام ١١٨٧) وقفل راجعاً بعد وصول الجيش المصري بقيادة العادل نائبه في مصر ومنع رينودي شاتيون

---

(١) رأس الماء: ميدان فسيح للحرب في حوران على بعد نحو عشرين ميلاً شمالي درعا.

(٢) الفتح القسي في الفتح القدسي - العماد الكاتب الأصفهاني، طبعة الدار القومية سنة ١٩٦٥ ص ٥٩ س٧، ١١.

(٣) أيام صلاح الدين الأيوبي،مصدر سابق، ص١٥٧.

من اعتراض الجيش المصري[1]. وبعد وصولهم عاد الملك العادل إلى مصر بعد أن اتفق مع أخيه صلاح الدين على مشروع تحرير فلسطين[2].

## ثانياً - الخصائص الاستراتيجية عند الصليبيين وعند العرب:

إن الاطلاع على أغلب المراجع التاريخية ومقارنتها يعطينا هذه الخصائص بوضوح وأهمها:

**آ - الحصون للدفاع والبحر للتموين:**

إن الصليبيين، منذ البداية حتى النهاية، لم يحتلوا الأجزاء العربية الداخلية بل كان كل ما قاموا به هو احتلال الأجزاء التي تعتمد على البحر لضمان التموين من الخارج على سلسلة من القلاع الضخمة للحماية والدفاع ضد أي هجوم. فاستراتيجيتهم تنحصر في الحصون للدفاع. والبحر للتموين والإمداد.

**ب - الصحراء حد فاصل:**

لقد جعل الصليبيون الصحراء حداً فاصلاً لمملكة بيت المقدس من البحر المتوسط إلى البحر الميت، فأرادوا بذلك الاستفادة من الخصائص الطبيعية في حالتهم القتالية.

**ج - بناء خطين من القلاع والحصون:**

بنى الدخلاء العديد من القلاع على طول حدودهم - يشمل الخط الأول منها قلاع (ذعيرة) الواقعة على الطرف الجنوبي لبحرية طبرية،

---

(١) مفلح علي - حطين ص٤٤.

(٢) الدكتور نظير حسان السعداوي - التاريخ الحربي المصري في أيام صلاح الدين ط١٩٥٧ النهضة المصرية ص١٧٧ س١٦، ١٧.

ثم (كرك المعاب) وقلعة مونتريال، وسامو، والكرمل، وبيت جبريل، وداروم. وشمل الخط الثاني بناء قلاع بورفورت، وشطنوف، وصفد، والقسطل، وغيرها. وهي تحمل وديان بحيرة طبرية. وفي الشمال توجد حصون عكا، وحصن الكرك، وحصن باترين التي تشرف على جبال لبنان وقد خططت هذه القلاع بحيث لا تزيد المسافة بينهما عن مسيرة يوم على الدابة.[1] أما الدفاع الساحلي: فقد اتخذ صفة المدن الساحلية المجهزة للدفاع مثل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وطرطوس والمرقب وبيروت وعسقلان وغيره، وهي أطراف القوى الصليبية من ناحية الغرب والبحر.

**د - الدفاع البري بوساطة المدن:**

أقام الغزاة تحصينات للمدن التي تقع على الحدود بينهم وبين العرب. فكانت النقاط الرئيسية هي مرج عيون، وبانياس الداخل، وجسر يعقوب، وبيسان وطبرية[2].

**هـ - طبيعة بناء القلاع والحصون والمدن:**

كانت أغلب هذه القلاع دائرية، وسورها كان حائطاً ذا برج مربع[3]، وامتازت بالجمع بين خصائص العمارة الحربية الغربية والشرقية[4] من حيث ازدواج الأسوار وتعدد الأبراج ذات الطابقين وكل مستلزمات الحامية من ذخيرة وتموين ووسائل دينية وصحية. فعلى سبيل المثال: إن حصن

---

(١) المرجع السابق ص١٧٢، س١٧.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) من يريد التوسع في هذا المجال يراجع المرجع السابق، ص١٠٧.

(المرقب). كان بداخله كنيسة وحمامات وصهريج للمياه، ومخازن مؤونة تكفي الحامية خمس سنوات، ومساكن كبيرة ارتفاعها تسعة وعشرون متراً يتألف كل منها من طابقين يسعان ألف رجل[١]. على حين وسع حصن الكرك، مركز قيادة الداوية، حتى أصبح يضم خمسة آلاف مقاتل، وحظيرة لألف حصان[٢]. وبلغت مساحة سور أنطاكية اثني عشر ميلاً مربعاً. كما بلغ عدد أبراجه مئة وستة وثلاثين برجاً. وعدد شرفاته أربعة وعشرين ألفاً (على قول ابن الجيعان)[٣].

**و-طبيعة التجنيد عند الصليبيين:**

ألزمت مملكة (بيت المقدس) كل قطاع كبير في جغرافيتها بتقديم مئة فارس للخدمة، أما الإقطاعات الصغيرة مثل (مارون) فكان نصابها خمسة عشر فارساً، والأصغر منها مثل (داروم) فارسين فقط. ويبدو أن هذه الأنصبة تتفاوت بتفاوت الإقطاعات فكان نصاب (بيت المقدس) أربعين فارساً و(عكا) ثمانين فارساً، فضلاً عن تقديم عدد معين من الرجالة عددهم خمسمئة رجل من عكا، خمسون رجلاً لكلٍ من (قيصرية وحيفا) ويضاف إلى تلك القوات جميعها ما يأتي إليها من أوربة في كل ربيع وخريف من قوات صليبية وأوربية للقتال من أجل الصليب[٤] كما يزعمون. ويبدو أن إمارة

---

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٢) لامب - قصة الإسلام Lamb the Flame of Islam.

(٣) شرف الدين يحيى بن المقر المعروف بابن الجيعان (٨٥٥هـ) القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف وهو مخطوط موجود بالمعهد الفرنسي بالقاهرة ص١٠ من المخطوط وهو ورد في تاريخ مصر الحربي ص١٧٢.

(٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(طرابلس) الصليبية التي تملكت على مالا يقل عن عشرين إقطاعية كان نصابها مئة فارس مثلها في ذلك مثل إمارة أنطاكية[١].

**ز -فرص الدفاع والهجوم لدى الصليبيين:**

يقول المارشال (اللورد ويفل)[٢] كان أمام الصليبيين احتمالان أولهما القيام بحرب دفاعية طويلة يعتمدون فيها على قلاعهم وهو احتمال يتفق مع طبيعة الأماكن الإستراتيجية المنيعة التي تمتاز بها منطقة القتال، إذ إن الدولة الصليبية لم تستطع البقاء في الأرض المقدسة إلا بفضل هذه القلاع الحصينة وكان في وسعهم أن يصدوا هجوم العرب بفضل القلاع على أن يقوموا بهجوم معاكس يكمل حلقة هزيمة العدو، وكان في وسع قلعة طبرية أن تصمد أمام قوات صلاح الدين بعض الوقت. يضاف إلى ذلك أنه كان في شمال طبريا وجنوبها حصنان آخران منيعان، فإذا ما اضطرت قوات المسلمين إلى قتال حصن بعد الآخر، فإن ذلك يؤدي إلى انتقال زمام المبادرة إلى أيدي الصليبيين، ولكن القيادة الصليبية سحبت القوات الموجودة في هذه القلاع وجمعتها لتقابل القوات الإسلامية في العراء.

أما الاحتمال الثاني: **فهو حل قضية الدفاع الإقليمي الإستراتيجي عن طريق القيام بعملية هجومية، والشيء الذي أثار الصليبيين وشجعهم على ذلك هو الوضع الذي كان فيه جيش صلاح الدين إذ كانت بحيرة طبريا خلفه ولذلك كان باستطاعتهم ضربه ضربة ساحقة وهناك ناحية أخرى هي أن الصليبيين كانوا يريدون الإسراع في إنقاذ عائلة رايموند أمير طرابلس والجليل إذ كانت هذه العائلة محاصرة في قلعة طبريا. إلا أنه كانت هناك**

---

(١) المرجع السابق في تاريخ مصر الحربي ص١٧٣.

(٢) المارشال ويفل - ترجمة محمد عطية، المجلة العسكرية السورية العدد الثالث، السنة السادسة تشرين أول ١٩٥٥ ص١٢.

**نقطة أخرى لا تشجع على القيام بعمل هجومي هي أنه كان يجب على جيش الصليبيين أن يقطع مسافة طويلة في أرض جرداء في حر الصيف دون أن يكون هناك تنظيم في تموين الجيش بالماء. وقد دارت مناقشات عنيفة بين أمراء الصليبيين والفرسان وأخيراً، أصدر مليكهم أمراً بالزحف. وهكذا تحول الجيش الذي كان يفترض فيه أن يدافع وينتصر، إلى جيش مهاجم في ظروف سيئة جداً**(١).

## الخصائص الإستراتيجية العربية

### أ - الخصائص الطبوغرافية:

لقد امتازت بلاد العرب باتساع رقعتها وطول خطوط مواصلاتها المتصلة شرقاً وغرباً بقواعد آمنة للتموين السريع، ففي الشمال (حلب وحماة) وإلى الشرق منها الموصل وقلاع الجزيرة وكلها مدن حصينة، وفي الغرب مصر وما وراءها من بلاد المغرب والنوبة واليمن.

### ب - قواعد التدريب:

غدت القاهرة منذ غادرها صلاح الدين في مايو (أيار) سنة ١١٨٢ قاعدة لتدريب الجند وإعداده وتموينه، وإليها يرسل الجرحى والأسرى، ومنها يطلب الإمداد لسد النقص في ميادين القتال، على حين غدت (دمشق) منذ أن استقر بها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٢م مسرحاً لنشاط سياسي، وساحة لحركات عسكرية مستمرة وقت ذاك. فلم يتخذ منذ ذلك الحين داراً سواها حتى (يقضي الله بيننا وبين الفرنج وهو خير الحاكمين)(٢).

---

(١) المرجع نفسه ص١٣.

(٢) أبو شامة - الروضتين في أخبار الدولتين طبعة وادي النيل بمصر سنة ١٢٨٧هـ الجزء الثاني ص٧.

**ج - التجهيز عند العرب:**

لم يكن معروفاً على وجه التحديد عدد الفرسان والرجالة التي يقدمها كل أمير إلى صلاح الدين للخدمة الحربية، ولا نوع التنظيمات العسكرية في الإقطاع العربي الشرقي، ومرجع ذلك أن أحداً من المؤرخين المعاصرين لم يفرد الجيوش العسكرية بتأليف خاص على حد قول المقريزي[1] وكان من المعروف أن شؤون الجيش من تجنيد وعتاد على عهد الأيوبيين، أشرفت عليها إدارة اسمها إدارة (ديوان الجيش) وأحياناً (ديوان الإقطاع)[2].

**د - فرص الهجوم أمام العرب:**

يقول المارشال (ويفل): كان أمام المسلمين عدة احتمالات منها:

**١ــ الهجوم على العدو في مكان احتشاده،** بدلاً من البقاء أمام بحيرة طبرية التي تؤلف طرف كماشة تساعد هجوم العدو، ولكن القيادة الإسلامية وجدت أن تقدم المسلمين من مكان احتشاد العدو في صفورية يجعل عدة عوامل عامة تعمل ضدهم وأهم هذه العوامل طول خطوط التموين وقطع مسافات من الأراضي الجرداء، كما أن المسلمين كانوا يخشون أن يتراجع العدو إلى عكا ويحتمي فيها وعند ذلك فإن القوى الإسلامية تضطر إلى اللحاق بالعدو وتصبح وسط قلاع صليبية محصنة تستطيع أن تناوشها وتقضي عليها وأهم هذه القلاع هي كوكب الهوا، صفد، بيسان، مونت فورت وغيرها[3].

---

(١) المقريزي - المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، النيل بمصر ١٣٢٤هـ الجزء الأول ص١٤٧.

(٢) ابن فضل الله: التعريف ص٨٩+ نظير حسان العدادي تاريخ مصر الحربي ص١٧٤.

(٣) المارشال اللورد ويفل - حطين، ترجمة محمد عطية، المجلة العسكرية السورية العدد الثالث، السنة السادسة، تشرين أول سنة ١٩٥٥، ص١٣.

**٢ــ إن صلاح الدين قارن بين نواحي القوة ونواحي الضعف في قوة العدوفالحرب قد عجمت عوده وأكسبته خبرة وتجربة ومراساً. هذا القائد الفذ يدرك أن تفوق الصليبيين التعبوي، لن يتحقق لهم إلا بالتعاون المجدي بين المشاة والفرسان، لأن المشاة كانوا يؤلفون محور أمان للفرسان إذ كان المشاة يحمون الفرسان من سهام المسلمين وما دام الفرسان يستندون على المشاة فإن المسلمين كانوا لا يستطيعون الاصطدام بالفرسان أما نواحي الضعف الأخرى في جيش الصليبيين فهي عدم اهتمامهم بوضع الخطط وتنظيم التموين والإدارة.**

لذلك كان الاحتمال الثاني أمام المسلمين أن يستغلوا مواطن الضعف لدى العدو وأن يوهنوا نواحي القوى ومعنى هذا أنه يجب على العدو أن يتجشم مشاق الرحلة في أرض جرداء وهي مشاق تضعف قدرته وتوهن قوى مشاته[١] وتفت في عضدها، فتصبح عاجزة عن الصبر والجلد.

هذه الخطة التي لجأ إليها المسلمون كانت تعتمد على افتراض قوي هو أن جيش المسلمين الذي يحاصر قلعة طبرية ويخيم في (كفر سبت) أصبح في وضع عسكري إستراتيجي، يغري العدو ويثير مطامعه في حصره والتغلب عليه، وهكذا فإن جيش المسلمين قد تحول الآن من الهجوم إلى حالة الدفاع مستغلاً المساحات التي تفصله عن جيش العدو ليقوم فيها بمناوراته الدفاعية. وفي الوقت نفسه فقد احتفظ جيش المسلمين لنفسه باستعمال خطة الهجوم عند الضرورة[٢].

## سادساً - خطط الحرب العربية والصليبية:

### أولاً - خطط الحرب - خطة الحرب العربية

#### الاجتماع الأول:

اجتمع صلاح الدين بقيادته العامة في (عشترى) وفي هذا المجلس عرض صلاح الدين عزمه على غزو فلسطين والساحل من ناحية طبرية على قاعدة

(١) المرجع السابق ص١٤.

(٢) الصفحة نفسها.

البدء بالهجوم، وشرح خططه العسكرية التي تكفل تحقيق هذا الفرض وأقرت القيادة الهجوم إذ من الأرجح عسكرياً أن القيام بالهجوم قبل العدو يجعله منقاداً لرغبات المهاجم ويجعل مصائب الحرب تتصب على بلاد العدو[١].

**الاجتماع الثاني:**

جرى هذا الاجتماع بعد أن احتشد الصليبيون في صفورية فأشارت الأكثرية عليه بترك اللقاء واتباع (خطة الإغارات) المتكررة حتى تضعف مقاومة العدو٢ أولاً ثم يضرب العرب الضربة القاضية. وأشار فريق الأقلية بالدخول سريعاً في معركة فاصلة لأن الأخذ بالخطة الأولى قد يزعزع ثقة الجند بالدخول سريعاً في معركة، فاتخذ صلاح الدين قراره حيث قال: (الرأي عندي أن نلقى بجمع المسلمين جمع الكفار، فإن الأمور لا تجري بحكم الإنسان ولا نعلم قدر الباقي من أعمارنا ولا ينبغي أن نفرق هذا الجمع إلا بعد الجد بالجهاد[٣].

**أ - الخطة الإستراتيجية:**

تم وضع هذه الخطة بعد أن دمر الجيشان العربيان السوري والمصري المرافق التي تعتمد عليها قلعة الكرك والشوبك، وإن المتقصي لأغلب المراجع يستطيع أن يتبين الخطة الإستراتيجية التالية عند العرب:

**ب - القيادة وتوزيع القوات:**

يقول (رينيه كروسيه) في كتابه تاريخ الحروب الصليبية:

---

(١) الجغرافيا العسكرية، بغداد، الطبعة الثالثة سنة ١٩٣٨ ص١٦.

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٠١هـ، ج١١، ص٢٤٠ س٢٦.

(٣) المرجع السابق ص٢٤٠، ٢٤١.

تقرر أن يكون صلاح الدين القائد العام للجيوش العربية بأسرها، المصرية والسورية والعراقية وقد فرضت طبيعة الأقاليم تَكَوَّن الجيش العربي من محورين هما:

١ــ المحور الجنوبي (المصري): بقيادة العادل بحراً وبراً.

٢ــ المحور الشمالي (السوري والعراقي والجيش المصري الذي وصل بعد عملية الكرك). بقيادة الأفضل رافقه صلاح الدين[١].

**ج - توزيع الأهداف:**

قسم صلاح الدين الأهداف على الجيشين على الشكل التالي:

**أ - المحور الجنوبي** القادم من مصر بالهجوم على العدو براً وبحراً فإن دخل الجيش البري من جهة (العريش) فسيلتقي بالأسطول المصري في ميناء عسقلان قرب يافا، وبذلك يعزل مدينة القدس عن البحر[٢].

**ب - المحور الشمالي**: يهاجم المحور الشمالي العدو من منطقة طبرية ويقوم بمعركة فاصلة في (حطين) ثم يطارد العدو ليستولي على (عكا) ليشطر دولة العدو إلى شطرين ثم يقول بالتوجه إلى الشمال ليحرر باقي الموانئ بين (عكا وبيروت) ثم يعود المحور الشمالي ليلتقي بالمحور الجنوبي في عسقلان كي تتوجه كل الجيوش لمحاصرة القدس وفتحها[٣].

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠١هـــ، ج١١، ص٢٣٩ س١٥+ العماد الكاتب الأصفهاني الفتح القسي في الفتح القدسسي ص٥٩ س١٩ الدار القومية والنشر سنة ١٩٦٥ ميلادية.

(٢) مفلح علي - حطين، ص٤٧، س١، ٣.

(٣) المرجع السابق مفلح علي - حطين، ص٤٧.

**د - الخطة العربية التكتيكية لحطين:**

**١ - الأسس الرئيسية للخطة العربية:**

يقول العماد الكاتب الأصفهاني في كتابه (الفتح القسي في الفتح القدسي) وتحت عنوان (ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالعسكر إلى ديار الفرنج)[١].

وقرر لكل كمين مكاناً، ولكلّ قرن قراناً[٢] ولكلّ جمر مطفئاً، ولكل جمع مكفئاً، ولكل زند مورياً ولكل حد ممهياً[٣]، ولكل قضية حكماً ولكلّ حنية[٤] سهماً، ولكل يمين مقبضاً[٥] ولكل يمان مقبضاً.

ويجب الانتباه إلى أن تعبير (العماد الكاتب الأصفهاني) لا يقصد به أن صلاح الدين قد حدد لكل كمين مكاناً في (حطين) وإنما في معسكره وفقاً لتصور سابق للمعركة، يدل على ذلك قوله بعد ذلك: (ورحل يوم الجمعة، السابع عشر من ربيع الآخر والتوفيق مسايره، والتأييد موازره، والتمكين مضافره، والسعد مظاهره والجد مكاثره.... (إلى أن يقول) وخيم على خسفين[٦] وقد أدنى الله الخسف بالعدو وخسوفه، وكسف الكفر وكسوفه، وبات والوجوه سافرة، والعيون في سبيل الله ساهرة، والأيدي لسيوف الأيد شاهرة)[٧].

---

(١) العماد الكاتب الأصفهاني - الفتح القسي في الفتح القدسي، عام ١٩٦٥ نشر الدار القومية ص٦٩، ٧٠.

(٢) القرن: الكفء في الشجاعة. والقرآن: حبل من سلك يشد في العنق والمقصود أنه جعل لكل سيد شجاع من الأعداء حبلاً يشد عنقه.

(٣) أمهى الحديدة: إحداها وسقاها.

(٤) حنية: أي القوس وتجمع حنية على حنايا وحني.

(٥) مقضب: قاطع من الأغصان للسهام.

(٦) خسفين: قرية من أعمال حوران في الطريق إلى مصر بين نوى والأردن (راجع ياقوت الحموي) ج٧، ص٣٨١، ط بيروت.

(٧) العماد الكاتب الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، طبعة عام ١٩٦٥ ص٧١، ٧٢.

أدركت القيادة العربية أن النصر حليف الإبداع والابتكار اللذين يحفظان المفاجأة، وعلى هذا الأساس تركزت الخطة التكتيكية العربية على النقاط الثلاث التالية:

١ـــ استدراج قوات العدو بإغرائها لترك قلاعها في صفورية وقتالها في أرض مكشوفة بعيداً عن تلك القلاع والحصون.

٢ـــ الهجوم على العدو من أماكن غير متوقعة وذلك بنصب الكمائن في (حطين) بين صفورية وطبرية، وهي أرض خالية من الماء في حر الصيف، فيرغمهم على الاستسلام أو الهلاك عطشاً.

٣ـــ المطاردة: بعد الانتصار تقوم القوات بالمطاردة حتى عكا ومن ثم بتنفيذ سائر المراحل المحددة في الخطة المذكورة في الخطة الإستراتيجية التي سبق ذكرها أيضاً(١).

**هـ - التحرك من عشترى إلى الصنبرة:**

في يوم ٢٦ حزيران عام ١١٧٨ تحرك صلاح الدين بجيشه من معسكره في (تل عشترى) في أشد فصول السنة حراً. وعبر نهر الأردن وعسكر في (الصنبرة)(٢) في منطقة الأقحوانة(٣) إذ يقول العماد: ثم أصبح سائراً ونزل على الأردن بثغر الأقحوانة، بعزم الصيال(٤) وعز الصيانة، وأحاط ببحيرة طبرية بحيرة المحيط وضاق ببسائط خيامه ذلك البسيط،

---

(١) مفلح علي - حطين، ص٦٥، ٦٦.

(٢) يقول ياقوت الحموي الصنبرة (مقابل عقبة فيق بينها وبين طبرية ثلاث أميال) معجم البلدان، مصدر سابق، ج٣ ص٤١٩.

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ،مصدر سابق، الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠١هـــ،ج١١،ـــ ص٢٤٠ س١٢.

(٤) الصيال: الذي يسطو ويستطيل على خصمه.

وبرزت الأرض في قشب أثوابها[١]، وتفتحت السماء لتنزل الملائكة من أبوابها، ورست سفن المضارب على تلك الأثباج[٢+٣].

ويقول ابن الأثير[٤]: (وعرف كل منهم موضعه وموقفه وأمره بملازمته، وسار على تعبية فنزل بالأقحوانة بقرب طبرية ويقول الدكتور أحمد بيلي: في كتابه حياة صلاح الدين الأيوبي (وعبر يوم السبت نهر الأردن جنوبي بحيرة طبرية، وإنما اختار هذه الجهة لما كان بينه وبين صاحبها من الرابطة كما سبق، وأقام جنده الليلة الأولى هذه، عند الأقحوانة[٥].

**الاستطلاع:**

خطط صلاح الدين لاستطلاع منطقة حطين وكفر سبت ولوبية، وهي ما يفصل بين جيشه وجيش العدو من الأرض، بين طبرية وعكا، وحدد على جوانب الطريق قرب لوبية مواضع الكمائن، وقد نفذت مرحلة الاستطلاع بمجملها، ولاسيَّما توجيه قوات الملك الأفضل ووصولها.

**ز -الاستدراج بالمناوشات:**

يقول العماد: والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير إليهم، ويشرف عليهم، ويراميهم وينكل فيهم ويتعرض لهم ليتعرضوا له، ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله. فربضوا وما نبضوا، وقعدوا وما نهضوا. فلو برزوا

---

(١) قشب وأثوابها: أي جديدها. وسلاح قشيب: مجلو.

(٢) الأثباج: جمع ثبج وهو وسط الشيء ومعظمه.

(٣) العماد الكاتب الأصفهاني - الفتح القسي في الفتح القدسي، طبعة عام ١٩٦٥م، نشر الدار القومية ص٧٢ س٨، ١١.

(٤) ابن الأثير - الكامل في التاريخ،مصدر سابق، ط ١٣٠١هـ، ص٢٤٠ س١١، ١٣.

(٥) الدكتور أحمد بيلي - حياة صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ الطبعة الرحمانية بالخرنفش بمصر رقم ٣٥ ص٥٧ س٥، ٧.

لبرز إليهم القتل في مضاجعهم[1] وعاينوا مقام صارعهم في سوقهم إلى مصارعهم. وفزعوا مما فيه وقعوا، وجبنوا عماله تشجعوا. ويقول العماد في مكان آخر. ووصل الخبر بأن الفرنج ركبوا، وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبوا، وعبوا وعبوا، ودبوا حتى يذبوا، وشبوا النار، ولبوا الثار، وقدموا للنزول بالدار البدار، وذلك في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر. فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه، بما سبق به حكمه، وسر حين أحاط بمسيرهم علمه. وقال: (قد حصل المطلوب وكمل المخطوب. وجاءنا ما نريد. ولنا بحمد الله الجد والجديد، والحد والحديد، والبأس والشديد، والنصر والعتيد، وإذا صحت كسرتهم[2] وقتلت وأسرت أسرتهم، فطبرية وجميع الساحل وما دونها مانع، ولا عن فتحها وازع).

ويقول ابن الأثير: (فرحلوا من معسكرهم الذي لزموه، وقربوا من عساكر الإسلام، فلما سمع صلاح الدين، بذلك عاد عن طبرية إلى عسكره وكان قريباً منه وإنما كان قصده بمحاصرة طبرية أن يفارق الفرنج ليتمكن من قتالهم)[3].

يتبين لنا من كل هذه المراجع أن صلاح الدين، قد قرر ونفذ إرسال مفارز قوية من معسكره للتحرش بجيش الفرنج المرابط في صفورية بالإضافة إلى هجومه على طبرية، فكان يقصد بذلك استدراج العدو إلى الأرض التي يريد.

**ح - سبق العدو ونصب الكمائن:**

وضع صلاح الدين في خطته التكتيكية لمعركة حطين احتمال تحرك الفرنج من صفورية بعد هذه التحرشات وتوجههم لقتاله، فإن أقدموا على ذلك

---

(١) أي لكتب عليهم الموت، يعني المؤلف قول الله تعالى: (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) (آل عمران ١٥٤).

(٢) العماد الكاتب الأصفهاني - (الفتح القسي في الفتح القدسي)، طبعة ١٩٥٦ ص٧٤ س١٠، ١٣+ ص٧٧، س١٨، ٢٠.

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، طبعة ١٢٣١هـ الطبعة الأولى المطبعة الأزهرية المصرية ص١٤١ س١٨، ٢٠.

حرك صلاح الدين جيشه من الصنبرة وسبق جيش الفرنج إلى منطقة لوبية (ويحصل بعسكره وقدامهم)(١) ويحتل مواضع الكمائن بعد أن يكون جنود صلاح الدين قد (أفنوا ما هنالك من ماء الصهاريج)(٢).

### ط - تحقيق المفاجأة بالكمائن:

تقرر أن تقوم الكمائن العربية بمفاجأة جيش الفرنج وهو في ترتيب المسير وترغمه على الوقوف والقتال بدون ماء وقت الظهيرة، في أشد فصول السنة حراً. عند وصول الفرنج مواضع الكمائن في طريقهم إلى الجيش العربي، وقد تركوا الآبار العذبة وراءهم ودخلوا التلال الجرداء اللافحة (لجبل ترعان) الذي يبعد (٢٠ميلاً) عن بحيرة طبرية. وبعد تنفيذ هذا الجزء من الخطة سيرغم العدو على تغيير خططه، واتخاذ وضع في غير صالحه للإخلال بتوازنه ويضطره إلى إجراء تغيير شامل في ترتيب قواته للمعركة، وبذلك تتاح الفرصة للإجهاز عليه إما بالهلاك عطشاً أو التسليم، وتربح المعركة(٣).

## ثانياً - خطة الحرب الصليبية

### الخطة الاستراتيجية

### آ - اجتماع القيادة الصليبية في تموز

يقول «ج.ف.س.فوللر» في كتابه (المعارك الحاسمة في العالم الغربي) الجزء الأول من الصفحة٤٢٥: في ٢ تموز دخل «رايموند» على

---

(١) الروضتين، مصدر سابق، ص٧٦.

(٢) محمد فريد أبو حديد - صلاح الدين وعصره، مصر القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٤.

(٣) مفلح علي - حطين، مصدر سابق، ص٦٧.

الملك «غي» وقال له: (يجب التمسك بالعدول عن السفر إلى طبرية لأن سقوطها أهون بكثير من ضياع المملكة. فبيننا وبينها لا يوجد إلا عين ماء واحدة صغيرة، وهي لا تكفي لأي جيش مهما كان صغيراً وحالما تغادر هذا المكان سوف يزعجك المسلمون ويرغمونك على الوقوف فإذا هاجمتهم لجؤوا إلى التلال حيث لا يمكنك مطاردتهم، وإذا أرغمت أنت على التوقف، ماذا سيعمل جنودك وخيولك من دون ماء؟ كما أن كثيراً منهم سيموتون من العطش وفي اليوم التالي سيقومون بتطويقك).

وقد وافق الملك على هذا الرأي وتمَّ القرار على إلغاء الزحف إلى طبرية[1]، ولكن في منتصف الليل دخل «جيرارد» سراً على الملك في خيمته وكان يكره «رايموند» وقال له: (سيدي لا تصدق ما قاله رايموند لأنه خائن ويريد إذلالك). وقد نجح في إقناعه بتغيير رأيه وذلك لأن الملك لم يستطع مخالفة من ساعده على تنصيبه ملكاً وهكذا تم اتخاذ القرار بالتوجه إلى صفورية[2].

### ب - إقرار الخطة الهجومية:

كان الصليبيون وقتذاك حيال إحدى خطتين هما:

**- الخطة الدفاعية:**

وصاحبها «رايموند» المشكوك بولائه كما أسلفنا للصليبيين، وخلاصتها:

الاجتماع في صفورية حتى يزحف صلاح الدين نحوهم إذا شاء وتنتاب جيوشه متاعب الطريق وقلة الماء في البادية ما بين طبرية وصفورية وطوله

---

(١) عبد اللطيف حمزة - أدب الحروب الصليبية، دار الفكر العربي ط١ ١٩٤٨م، ص١٧ س١٩-٢٠.

(٢) مفلح علي - حطين،مصدر سابق، ص٧٣-٧٤.

١٥ ميلاً. والواضح أن هذا الرأي لم تُشِبْهُ في الظاهر شائبة من الريب أو الخديعة، فقد قال به «رايموند» وهو عالم أن طبرية ستذهب إلى صلاح الدين وأن الحكمة تتطلب الانتظار حتى يزحف العرب. ومالت الأغلبية إلى هذا الرأي.

**ـ الخطة الهجومية:**

طرح هذه الخطة «أرناط» و«جيرارد» مقدم (الداوية). وخلاصتها: أن يتقدم الصليبيون من صفورية لمقابلة صلاح الدين، وحجتهم في ذلك أن رأي «رايموند» فاسد لعدم إخلاصه للفكرة الصليبية وهنا يذكر (العيني) في كتابه (عقد الجمان في تارخ أهل الزمان) بعض ما قاله أرناط إلى رايموند في صدد خطته ونصه (قد أطلت في التخويف من المسلمين، ولا شك في أنك تريدهم وتميل إليهم وقولك إنهم كثيرون فإن النار لا يضرها كثرة الحطب)[١].

ويقول في المعنى نفسه (ابن كثير القرشي) في كتابه (البداية والنهاية في التاريخ). اعترض عليه البرنس صاحب الكرك (المقصود رايموند) فقال له: لا شك في أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم وسترى غب ما أقرن لك[٢].

---

(١) بدر الدين محمود المعروف (باليمني) ٨٥٥ هـ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان الجزء الأول - القسم الأول ص٣٣، تاريخ مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٧٤. وقد ورد هذا في تاريخ مصر الحربي ص١٨١. + أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشبياني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة المصرية الأزهرية١٣٠١ هـ،ج١١، ص٢٤١ س١٣-١٥.

(١) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمير بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٤هـ البداية والنهاية في التاريخ الطبعة الأولى، سنة ١٣٥١هـ سنة ١٩٣٢م، بنفقة المطبعة السلفية ومطبعة السعادة ومكتبة الخانجي،ج١٢، ص٣٢٠ ي١٩-٢٠.

ويؤيد ويفصل ما أوردناه ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ حيث يقول: (فلما سمع الفرنج بنزول صلاح الدين إلى طبرية وملكه المدينة وأخذ ما فيها وإحراقها وإحراق ما تخلف مما لا يحمل اجتمعوا لمشورة فأشار بعضهم بالتقدم إلى المسلمين وقتالهم ومنعهم عن طبرية فقال القمص إن طبرية لي ولزوجتي وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقيت القلعة وفيها زوجتي وقد رضيت أن يأخذ القلعة وزوجتي ومالنا فيها ويعود فوالله لقد رأيت عساكر الإسلام قديماً وحديثاً، وما رأيت مثل هذا العسكر الذي مع صلاح الدين كثرة وقوة وإذا أخذ طبرية لا يمكنه المقام بها فمتى فارقها وعاد عنها أخذناها وإن أقام فيها لا يقدر على المقام فيها إلا بجميع عساكره ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن أوطانهم وأهليهم فيضطرون إلى تركها ونفك من أسر منها[(١)].

**جـ - الخطة التكتيكية**

وتتلخص الخطة التكتيكية بالنقطتين التاليتين:

١- الحركة من صفورية على الطريق الإستراتيجي الذي كان بين ميناء عكا وصفورية. والاعتماد على صهاريج الماء الموجودة في قرية ترعان وقرية لوبية وحطين لسد حاجة الجيش من الماء منها. فلما أقبل الفرنجة لم يقدروا على بلوغ الماء، الذي وراء المسلمين ولم يجدوا في الصهاريج التي دونهم ماء[(٢)].

٢- مواصلة السير على الطريق الذي يؤدي إلى نهر الأردن جنوب بحيرة طبرية وذلك لقطع خط مواصلات جيش صلاح الدين وحصره في بلادهم والقضاء عليه (خصوصاً بعد أن علموا أنه

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج١١، ص٢٤١، س٦-١٥.

(٢) محمد فريد أبو حديد، صلاح الدين الأيوبي وعصره، مصر، القاهرة ١٩٦٢م، ص١٣٤.

ترك الأقحوانة إلى طبرية)، ثم تخليص مدينة طبرية وإنقاذ الملكة وأولادها المحصورين في قلعتها ولذلك.... تحرك جيش الفرنج من صفورية قاصداً طبرية لتخليصها وما درى أن السلطان وجنده قد أضرموا النار فيها فأصبحت رماداً تذروه الرياح.

حاول الفرنجة في هجومهم هذا أن ينفذوا الخطط التي رسموها لأنفسهم ويقطعوا الطريق على السلطان وجيشه ويستولوا على ينابيع المياه، فكان من أمرهم أنهم كانوا كلما تقدموا خطوة وقعوا تحت نيران عدوهم فلم يثبتوا[١].

**ترتيب التحرك أثناء المسير:**

يقول: ج. ف. س. فوللر في كتابه (المعارك الحاسمة في العالم الغربي) وضعت المقدمة من الخيالة بقيادة (رايموند) أمير طرابلس. القسم الأكبر من المشاة بقيادة الملك (غي) ملك بيت المقدس. ضمن الخطة التكتيكية بشكل محدد لترتيب القتال وتوزيع القيادات.

وقد قال العماد الكاتب الأصفهاني يصف جيش الفرنجة أثناء مسيره وهم كالجبال السائرة والبحار الزاخرة، وأمواجها ملتطمة، وأفواجها مزدحمة، وفجاجها محتدمة وأعجلاجها[٢] مصطلمة[٣]، وقد جوى الجو، وضوى الضو، ودوى الدو، والفضاء منفض، والقضاء منقض[٤]، بينما يصفهم «فوللر» في المعارك الحاسمة كما يلي:

---

(١) أحمد بيلي: حياة صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الثانية ١٩٢٦م، القاهرة، المطبعة الرحمانية ص١٥٩ س٤-٩.

(٢) أعلاج: واحدها علج وهو الرجل الضخم من كفار العجم، ويطلق على الكافر عموماً كما يطلق على الحمار الوحشي.

(٣) اصطلم: استأثر.

(٤) العماد الكاتب الأصفاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، طبعة عام ١٩٦٥، نشر دار القومية للطباعة والنشر، ص٧٧، س١٤-١٧.

تحرك الصليبيون نحو الشرق وهم مثقلون بالمخاوف والشكوك، حيث تركوا الآبار العذبة وراءهم ودخلوا الجبال الجرداء اللافحة لجبل ترعان الذي يبعد ٢٠ ميلاً عن طبرية أرض هلاكهم[١].

### د - القوات العربية

يقول أبو شامة في الروضتين:

ثم أخذ صلاح الدين في عرض عساكره النظامية وعددها اثنا عشر ألف فارس من أصحاب الإقطاعات والرواتب، على حين بلغ مشاته ثلاثة عشر ألفاً عدا جيشه الاحتياطي والمتطوعة وهم كثيرون[٢] بينما لايفصل ابن كثير سوى عدد الجيش النظامي إذ يقول: (فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعين)[٣]. ويؤيد مفلح علي رأي ابن كثير في جمعه للمتطوعين والنظاميين فيصبح عدد الجيش العربي ٢٥ ألف مقاتل ويؤيد ابن الأثير أبا شامة في العدد إذ يقول: (فبلغت عدتهم اثني عشر ألف فارس)[٤]. كما يؤيد ستانلي لين بول هذا الرقم في كتابه صلاح الدين ص٢٠٤.

---

(١) الجنرال ج.ف.س.فوللر - المعارك الحاسمة، الجزء الأول، ص٤٢٥ + مفلح علي، حطين، ص٧٥.

(٢) شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية، القاهرة، وادي النيل بمصر، ١٣٨٧هـ الجزء٢، ص٧٦.

(٣) ابن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ،ج١٢، ص٣٢٠، س١٥-١٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، طبعة عام ١٣٠١هـ، ج١١، ص٢٤٠، ي١٠.

(٥) ستيفين رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٧٣٤، س١٥-١٨ يقدر العدد بألف ومئتي ألف فارس، وما يزيد على هذا العدد من الخيالة التركبولية، ونحو عشرة آلاف من الرجالة.

## هـ - القوات الصليبية[1]:

يحدّد فوللر في كتابه «المعارك الحاسمة » عدد الجيوش الفرنجة بما يلي:

٢٠٠٠ فارس ثقيل - ١٢٠٠ فارس خفيف - ٢٠,٠٠٠ ألفاً من المشاة، فيكون المجموع ٢٣,٢٠٠ مقاتل[2]، بينما تجمع المصادر العربية أن عدد القوات الصليبية كان ٥٠,٠٠٠ مقاتل[3]، ويحتمل العيني في كتابه (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) أن عدد القوات الصليبية ربما وصل إلى (ثلاثة وستين ألفاً). بينما يقدر عددهم ابن كثير القرشي في كتابه البداية والنهاية في التاريخ (مطبعة السعادة) بخمسين ألفاً إلى ثلاثة وستين ألف مقاتل[4].

## و - الاستطلاع:

لم يقدم العرب على هذه المعركة إلا بعد أن علموا ما يريدون علمه عن الأرض والعدو، فقد أرسل العرب ليلة (١ مايس) أيار من عام ١١٨٧م مفرزة استطلاع عربية بقيادة (مظفر الدين) قائد خيل الجزيرة الذي لقبه الفرنجة (الذئب الأزرق)، وقد بلغ مجموع هذه المفرزة (٧٠٠٠) خيال كما يقول فوللر[5]، انطلقت هذ المفرزة من (بانياس) وعبرت (الأردن) ليلاً ومرت تحت أسوار طبرية وتوجهت باتجاه الناصرة - صفورية - وعكا، فمرت بكفر سبت ولوبية وترعان وتجولت في منطقة حطين إلى أن وصلت منابع

---

(١) فوللر - المعارك الحاسمة، ج ١١، ص٤١٢.

(٢) أبو شامة - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والإصلاحية، مصدر سابق، ج٢، ص٧٦.

(٣) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج١، فصل التاريخ، مخطوط مصوّر، رقم ١٥٨٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١٢، ص٣٢.

(٥) الجنرال ج.ف.س.فوللر - المعارك الحاسمة في العالم الغربي، الجزء١١، ص٤١٢.

مياه صفورية، وقد اعترض المفرزة (جيرارد) بمجموعة من (١٥٠) فارساً مع مجموعة من المشاة المتطوعين، وكان أن احتدم القتال في (عين كريسون) التي تبعد (٦) كيلومترات جنوب (كفر كنة) (وقد كانت نتيجة المعركة قطع رؤوس جميع الفرسان عدا ثلاثة بسبب هربهم)، وقد كان من قادة العرب في هذه المعركة بالإضافة إلى (مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين) صاحب حران والرها، والقائد العربي (النجمي) والقائد (الياقوي) وهما من أكابر الأمراء[١]، ويضيف ابن الأثير واصفاً المعركة قائلاً (فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود)[٢]، ويقول ستيفن رنسيمان في كتابه تاريخ الحروب الصليبية: (والراجح أن الخونة تسللوا من المعسكر المسيحي، وتوجهوا إلى صلاح الدين، فأخطروه أن الملك (غي) أخذ يتحرك من صفورية، على امتداد الطريق الشمالي، وعندئذٍ قاد صلاح الدين جيشه نحو خمسة أميال عبر التلال حتى بلغ حطين، حيث كان الطريق يهبط نحو البحيرة[٣]. نستنتج من قول هذا المؤرخ الإنكليزي أن العرب قد أحسنوا التجسس في هذه المعركة ووضعوا له خطة محكمة وفعّالة كطريقة من طرائق الاستطلاع.

**ز - مفاجأة الكمائن العربية لقوات الفرنجة في قريتي ترعان ولوبية:**

في ظهيرة يوم (٣ تموز ١١٨٧م) وصل القسم الأكبر من جيش الفرنج قرية ترعان وقرية لوبية بعد اجتياز المقدمة لها ففاجأتها الكمائن العربية على

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط عام ١٣٠١هـ، ج١١، ص٢٣٩، س٢٤- ٢٥.

(٢) المرجع السابق نفسه ص٤١٢، السطر الأخير.

(٣) ستيفين رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور الباز العريني، إصدار دار الثقافة بيروت لبنان ج٢ ص٧٣٧، س١١-١٤.

جوانب الطريق وأوقفتها عن التقدم في أرض خالية من الماء[١]. يقول الدكتور أحمد بيلي في كتابه (حياة صلاح الدين الأيوبي):

(في هذا اليوم (٣ تموز) تحرك جيش الفرنج من صفورية قاصداً طبرية لتخليصها، ومادرى أن السلطان وجنده قد أضرموا النار فيها، فأصبحت رماداً تذروه الرياح، حاول الإفرنج في هجومهم هذا أن ينفذوا الخطط التي رسموها لأنفسهم، ويقطعوا الطريق على السلطان وجيشه، ويستولوا على ينابيع المياه، فكان من أمرمم أنهم كانوا كلما تقدموا خطوة وقعوا تحت نيران عدوهم، فلم يثبتوا، أو تحيط فرق ببعض فرقهم وتسوقها إلى حيث المعتقلات وحظائر الأسرى[٢]. لقد كانت هذه المفاجأة تطويراً جديداً في الحرب وبعثاً جديداً لطريقة الكرِّ والفرِّ العربية فقد قال عنها المؤرخ الإنكليزي (ستيفن رنسيمان) في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية).

(دأب رماة المسلمين على مهاجمة مقدمة الجيش المسيحي ومؤخرته معاً، وأمطروا قلب الجيش بالسهام، وأسرعوا إلى الابتعاد، قبل أن يبادر الفرنج إلى رد الهجوم)[٣].

### ح - إرغام الفرنجة على تغيير هدفهم الاستراتيجي

يقول الدكتور أحمد بيلي:

كانت عناية الإفرنج متوجهة إلى قطع خط الرجعة على السلطان وجيشه حتى يحولوا بينه وبين مراكز قوته ومنابع المياه لعلمهم أن ميدان

---

(١) مفلح علي، حطين، سلسلة من التاريخ الحربي للأمم العربية، ج٢، طبع سنة ١٩٥٩، ص٧٧، س١٧ــ٢١.

(٢) أحمد بيلي، حياة صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الثانية ١٩٢٦م، القاهرة، المطبعة الرحمانية ص١٥٩ س٤-١٠.

(٣) ستيفين رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور الباز العريني، إصدار دار الثقافة بيروت لبنان ج٢ ص٧٣٨، س٤-٦.

القتال يقع في أرض قفراء لا يقوم ماتخرجه بمطالب جيش المسلمين كله[١]. إذاً فقد كان هدف القوات الدخيلة الرئيسي شطر القوات العربية إلى شطرين ثم الحيلولة بينها وبين الماء ثم القضاء عليها بعد تخليص الملكة ومدينة طبرية. وسلك الغزاة لذلك طريقاً كان مرسوماً بالانطلاق من صفورية حتى ترعان ثم لوبية ثم السير على الطريق الروماني القديم شمالي كفر سبت حتى الأقحوانة، وهكذا يحتلون منابع الماء ويقطعون طريق مواصلات العرب، ولكنهم بعد اصطدامهم بالكمائن العربية المنتشرة بين ترعان ولوبية (لم يقدروا على بلوغ الماء) الذي وراء المسلمين[٢].

طلب بعض البارونات من الملك (غي) إصدار الأوامر إلى الجيش بالإسراع وأن يشق طريقه إلى البحيرة غير أن الملك (غي)، قرر التوقف بعد أن اشتد تأثره لما حلّ برجاله من التعب والإرهاق[٣] ويقول الجنرال ج. ف. س فوللر في كتابه (المعارك الحاسمة في العالم الغربي). الجزء الأول من الصفحة ٤٢٦، أن رايموند اقترح على الملك (غي) محاولة التملص من الكمائن (والوصول بالجيش إلى نهر الأردن أو بحيرة طبرية وإلا فالجيش هالك). وهكذا تجمع المراجع التاريخية على أن الفرنجة أُجبروا على تغيير هدفهم الإستراتيجي وهو شطر القوات العربية وقطع خطوط مواصلاتها والحيلولة بينها وبين الماء وتدميرها إلى هدف ثانٍ ملحٍ وهو الوصول إلى الماء بأي طريق وطريقة.

---

(١) أحمد بيلي، حياة صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الثانية ١٩٢٦م، القاهرة، المطبعة الرحمانية ص١٥٨ س١٣-١٦.

(٢) محمد فريد أبو حديد، حياة صلاح الدين الأيوبي وعصره، مصر، القاهرة، ص١٣٥.

(٣) ستيفين رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور الباز العريني، نشر دار الثقافة بيروت، طبعة عام ١٩٦٩م ج٢، ص٧٣٨، س١١-١٣.

ويقول مفلح علي: (وهكذا نجح صلاح الدين في إرغام الفرنج على تغيير هدفهم الاستراتيجي)[١] ويصف العماد الكاتب الأصفهاني أحداث يوم ٣ تموز عام ١١٨٧، وبالتالي: فرتب السلطان في مقابلتهم أطلابه، وقصر على مقابلتهم آرابه، وحصل بعسكره قدامهم، ورتّب على الحملة أقدامهم، وحجز بينهم وبين الماء، ومنع ذمامهم[٢] على الذماء[٣] وحلاهم[٤] عن الورود، وصدعهم بالصد، ذاك واليوم قيظ وللقوم غيظ، وقد وقدت الهاجرة، فوقدتها غير هاجرة وشربت ما كان في أدواتها[٥]، فهي على الظمأ غير صابرة وحجز الليل بين الفريقين[٦].

## ط - تعزيز القوات العربية في ليلة (٤ تموز عام ١١٨٧م)

يقول (ستانلي لين بول) في كتابه صلاح الدين، صفحة ٢٠٩، إن (رايموند) قائد المقدمة بعد أن رأى ما وصل إليه حال قواته صرخ بحرقة قائلاً:

(... يا إلهي، سيدي الرب، لقد انتهت الحرب، نحن في عدد الأموات لقد اندثرت المملكة). وهكذا انتهى يوم (٣ تموز ١١٨٧) وبات الفرنج بدون أن يتمكنوا من الوصول إلى الماء[٧].

---

(١) مفلح علي، حطين، مصدر سابق، الصفحة ٧٨، س١٢-١٤.

(٢) ذمام: الحق.

(٣) الذماء: أي بقية الروح.

(٤) حلا: طرد ومنع عن ورود الماء.

(٥) الأدواة: إناء صغير من الجلد.

(٦) العماد الكاتب الأصفاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، طبعة عام ١٩٦٥، نشر دار القومية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٧٨، س٤-٩.

(٧) مفلح علي، حطين، الصفحة ٨١، س ٧-١٠. + ستيفين رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور الباز العريني، نشر دار الثقافة بيروت، طبعة عام ١٩٦٩م ج٢، ص٧٣٨، جاء فيه (يالله، انتهت الحرب، لقد هلكنا، وزالت المملكة)- س١٥-١٦.

لم يخلد العرب إلى الراحة أو السكينة في هذه الليلة، وإنما زاد طمعهم وجرأتهم فأكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم، ورتَّب السلطان تلك الليلة الجاليشية وفرق فيهم النشاب(١).

يقول العماد الكاتب الأصفهاني في كتابه (الفتح والبرق) واصفاً حال القائد والجند العرب، وسهر السلطان تك الليلة حتى عين الجاليشية من كل طلب، وملأ جعابها وكنائنها بالنبال، وكان ما فرقه من النشاب أربعمئة حمل، ووقف سبعين جمازة في حومة الوغى، يأخذ منها من خلت جعابه وفرغ نشابه.

ويقول أيضاً: (وأما عساكرنا، فإنها اجترأت، ومن كل ما يعوق برئت، فهذا لسنانه شاحذ، وهذا لعنانه آخذ، وهذا شهم موفق، وهذا مكثر للتكبير ومنتظر التبكير، وهذا تاج للسعادة وهذا رأي للشهادة)(٢).

فقد أمضى العرب قادة وجنداً ليلهم في الاستعداد وتفقد السلاح وتوزيع السهام واستقدام أسلحة جديدة بينما حُرِمَ الفرنج من النوم في تلك الليلة فهم بين نار العطش ونار الهجمات المستمرة مما زاد في حيرتهم وشل حركتهم ولامناص مما هم فيه ولا أمَرَّ مما هم عليه.

## سابعاً: المعركة الفاصلة

## حطين

### أ- فصل الخيالة عن المشاة ومنع الماء:

يقول الدكتور نظير حسان السعداوي: ثم جاء الغد (السبت ٤يوليو تموز - ٢٥ربيع الثاني) ونشب القتال وصبر الفريقان، وحاول الصليبيون

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الحادي عشر طبعة عام ١٣٠١هـ، طبع المطبعة الأزهرية،ج١١، ص٢٤١، س٢٦-٢٧.

(٢) راجع العماد الكاتب الأصفهاني في كتابه الفتح والبرق الوارد في كتاب (أبو شامة) الروضتين ج٢ ص٧٨-٧٩ الوارد في كتاب تاريخ الحروب الصليبية لستيفن رنسيمان ص٨٠٤- ٨٠٥- ج٢.

التقدم للوصول إلى ماء البحيرة وينابيع المياه الموجودة بوادي حمام حول قرية حطين على مسافة ثلاثة أميال من الميدان فمنعهم صلاح الدين وحاصرهم.وأحدث ارتباكاً بين فرسانهم ومشاتهم وفصل مؤخرتهم عن بقية الجيش(١).

وبعد زهاء ثمانمئة سنة، تأتي الحربان العالمية الأولى والثانية لتؤكدا صحة هذا المبدأ وهو فصل المشاة عن المدرعات. فالعرب استمروا في معركة حطين بالإضافة إلى إزعاج عدوهم وإرباكه، في الالتحام مع خيالته في الأمام مع الالتحام القاصم مع القوة الصليبية الرئيسية الراجلة مما وسع الفجوة بين مشاة العدو وخيالته فكانت خطيئة تعبوية قاتلة اقترفها الغزاة الصليبيون.

يقول ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية في التاريخ):

(فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيماً، وكان ذلك عليهم مشؤوماً، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط فرموه فتأجج ناراً تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار والسلاح وحر رشق النبال)(٢).

---

(١) الدكتور نظير حسان السعداوي - تاريخ مصر الحربي، طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧، ص١٨٢، س٨، ١١.

(٢) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ. الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٢م مطبعة السعادة في مصر الجزء الثاني عشر ص٣٢١، س٢، ٥.

ويؤيد ابن منكلي في كتابه (الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية) هذا الرأي بقوله:(وأمر صلاح الدين الزراقين[١] فزرقوا هشيم الحشيش بالنار فتأججت تحت أقدام حوافر الخيل)[٢]. بينما يخالف أبوشامة في كتابه (الروضتين) هذا الرأي بقوله: (وقيل إن بعض المتطوعة ألقى النار على الحشيش)[٣].

ويحصر العيني أمر إشعال النار بمظفر الدين صاحب أربيل[٤] وهكذا أحسن العرب استثمار الخصائص والتضاريس الجغرافية الطبيعية لصالحهم وجعلها حرباً على عدوهم. فالعشب اليابس ليس في الأصل مع طرف على آخر، ولكن العبقرية الحربية هي التي تحول كل شيء لصالحها ضمن خطة متناهية الدقة آخذة بكل الاحتمالات. وعلى الرغم من لهيب الأرض والسماء، استمر العرب في منع الماء عن العدو فزادوا عوامل النصر عاملاً جديداً.

---

(١) المزراق عود خشب مجوف أو ليطة وهي القصب الفارسي، ووصفه صاحب كتاب التدبيرات السلطانية في الصناعة الحربية، وهو مخطوط مصور عن المتحف البريطاني بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٣٧ مخطوط (مجهول المؤلف) ص١٦ بقوله: وهذا المزراق يمكن أن يكون من قنا يجعل بطول الرمح، وفيه سنان فيكون كهيئة رمح لكن مجوف وفيه الماء المهلك، وهذا الرمح يمكن أن يطعن به ويزرق بما فيه وهو من خدع الحرب، وإذا زرق به الزراق فلا يقصد إلا العينان ويكون الزرق كافراً. وارد في حاشية تاريخ مصر الحربي ص١٨٢.

(٢) الأمير محمد المعروف (بابن منكلي) ٧٧٨هـ، الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية، مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٣ فروسية تيمورية ص٥٤.

(٣) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف (بأبي شامة) كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) طبعة وادي النيل بمصر سنة ١٣٨٧هـ، الجزء الثاني، ص٧٧.

(٤) بدر الدين محمود المعروف (بالعيني) ٨٥٥هـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان الجزء الأول القسم الأول ص٣٣ مخطوط مصور رقم ١٥٨٤ تاريخ بدار الكتب المصرية.

**ب - انسحاب الفرنجة إلى القرون وتطويقهم**

بات الفرنجة بين نار الحريق، ورمي السهام، وحرقة الظمأ، وهجوم عربي هائل فدَّبَ الارتباك في صفوفهم، وأخذ بهم كل مأخذ. ففسد تنظيم تعاونهم، وأصبحوا كتلاً من الفوضى، (فوهنوا لذلك وهناً عظيماً، فأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقطرها، فارتفع من بقي من الفرنج إلى تل بناحية حطين، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ويحموا أنفسهم به فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ومنعهم عما أرادوا، ولم يتمكنوا إلا من نصب خيمة ملكهم لا غير)[١].

**ويصفهم ابن شداد بقوله:**

وانهزمت منهم طائفة، فتبعها أبطال المسلمين، فلم ينج منهم واحد، واعتصمت الطائفة الأخرى بتل يقال له حطين[٢].

أراد الفرنجة من هذا الانسحاب أمرين، أولهما محاولة استغلال وعورة الأرض وارتفاعها لدرء هجوم العرب، أملاً بأن يتاح لهم مخرج.

والثاني محاولتهم، إعادة تنظيمهم وخرق الطوق العربي، إذا ما استطاعوا الاعتصام بتل حطين. ومن الأرجح أن يكون هذا الانسحاب غير المنظم استجابة عامة لغريزة حب البقاء وليس استجابة لنداء الملك (غي) بالثبات والصمود! فقد ترك الجنود تشكيلاتهم القتالية وتسلقوا التل خلف ذلك الجندي الذي سبقهم وهو يصرخ بهلع Suvonsmous suvonsmous أي (لننقذ أنفسنا)[٣].

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، الجزء الحادي عشر، طبعة سنة ١٣٠١ المطبعة الأزهرية. ص٢٤٢، س١٥، ١٨

(٢) ابن شداد - النوادر السلطانية والمحاسن واليوسفية، نشر جمال الدين الشيال القاهرة سنة ١٩٦٤، ص٧٧.

(٣) ج. ف. س فوللر، المعارك الحاسمة في العالم الغربي ج١، ص٤٢٧، وارد في حطين لمفلح علي ص٨٥، س ٣، ٦.

ويصف العماد الكاتب الأصفهاني وبعده ابن الأثير ذلك بما يلي:

بعد أن اعتصم الفرنجة بقرون حطين، حاولوا على الرغم من احتدام القتال، واصطلام[1] الرجال نصب ما معهم من الخيام، فلم يمكنهم العرب من ذلك وكل ما قاموا به هو نصب خيمة الملك[2]. انتهز صلاح الدين ما حل بالصليبيين (اضطرموا واضطربوا، والتهفوا والتهبوا) فأمر بتطويق جيش الفرنجة فوق التل[3] (وأحيط بالفرنج من حواليهم بما حووا إليهم)[4] وقد أكمل العرب الطوق (إحاطة الدائرة بقطرها)[5]. إن هذا التطويق المحكم قد أدى بالفرنج إلى أشد حالات القنوط فقد (أشهر آلاف من جنود الفرنج أسلحتهم وأخذوا يصلون ويبتهلون كي تحل معجزة تنقذهم فارتفعت معنوياتهم بعض الشيء)[6].

**جـ - محاولة الملوك الهرب**

يقول العماد الأصفهاني في كتابه (الفتح القسي في الفتح القدسي):

(لما أحس القومص بالكسرة، حسر عن ذراع الحسرة، والقتال من العزيمة، واحتال في الهزيمة. وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام الجمر، واحتداد الحرب واحتدام الحر. فخرج بطلبه الخروج، واعوج إلى

---

(١) الإصطلام: الإبادة الجماعية.

(٢) الدكتور أحمد بيلي - حياة صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ الطبعة الرحمانية، ص٦٠، س١٣.

(٣) العماد الكاتب الأصفهاني - الفتح القسي في الفتح القدسي، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٥، ص٧٩، س٨.

(٤) المرجع السابق ص٨٠ س الأول.

(٥) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، طبعة مطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢هـ، ج١١، ص٢٤٢ س١٥.

(٦) ج. ف. س. فوللر المعارك الحاسمة في العالم الغربي، الجزء الأول ص٤٢٨.

الوادي، وماود أن يعوج[1]. ومضى كومض البرق، ووسع خطا خرقه قبل اتساع الخرق. وأفلت في عدة معدودة، ولم يلتفت إلى ردة مردودة. وغاب حالة حضور الوغى، ونابه الرعب الذي نوى الهزيمة به وما ونى)[2].

ويؤكد ابن كثير القرشي هروب القومص صاحب طرابلس بقوله:

(وكان من جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومص صاحب طرابلس فإنه انهزم في أول المعركة[3]. كما هرب رايموند بفريق من قواته إلى طرابلس حيث مات بعد ذلك بثلاثة شهور[4] ولم يلبث باليان إبلين ورينالد سيد صيدا أن شقا لهما بعد فترة قصيرة، طريقاً إلى خارج أرض المعركة فكانا آخر من هرب[5].

ومن هذه المراجع نجد أن الملوك والقواد الذين هربوا من ساحة الوغى هم القومص صاحب طرابلس ورايموند صاحب طبريا، وباليان إبلين، ورينالد سيد صيدا.

---

(١) يعوج: يعود.

(٢) أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله القرشي الأصفهاني، المعروف بـ (آلة) و(آلة اسم أعجمي معناه العقاب وهو الطائر المعروف)، وقد اشتهر (بالعماد الأصفهاني) - الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٦٥، ص٧٩، س١٤، ٢٠.

(٣) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ، البداية والنهاية في التاريخ، الطبعة الأولى، سنة ١٩٣٢م، مطبعة السعادة مصر الجزء ١١، ص٣٢١، س٧، ٨+ ابن الأثير - الكامل في التاريخ، المطبعة الأزهرية، ج١١، ص٢٤٢، س١٢.

(٤) ستيفن رنسيمان - تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثاني، الدكتور الباز لعريني نشر دار الثقافة ببيروت ص٧٤٠، س ٤،٦ +الدكتور أحمد بيلي - حياة صلاح الدين - ص ١٦٠، س ٨.

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة، س٦، ٨.

**د - فصل مشاة الفرنجة عن خيالتهم مرة ثانية:**

يقول فوللر في المعارك الحاسمة في العالم المغربي:

(وبعدئذ اتجه الملك (غي) إلى رايموند طالباً منه إنقاذه والنجاة فجمع رايموند كونت طرابلس فرسانه الذين لا يزالون ثابتين على صهوات خيولهم، وحمل على طوق المسلمين شاقاً طريقه إلى الخارج)(١). وقد هجمت خيالة رايموند باتجاه بحيرة طبرية. (وحملوا على من يليهم من تلك الناحية: المقدم تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين) فلما رأى حملة الفرنج حملة مكروب، علم أنه لا سبب إلى الوقوف في وجوههم فأمر أصحابه أن يفتحوا لهم طريقاً يخرجون منه(٢). بينما يشرح المارشال اللورد ويغل طريقة فصل المشاة عن الفرسان قائلاً: (أما القوات الصليبية فإن مشاتها بدأت تتراجع نحو الجبل تاركة سلاح الفرسان الثقيل ولذلك فإن تشكيل الجبهة الصليبية قد تحطم بانقطاع الاتصال بين الفرسان والمشاة)(٣).

وهكذا فصلت مشاة الفرنج عن خيالتهم مرة أخرى(٤).

- **محاولة الفرنج فك طوق الحصار:**

بعد أن طوق العرب الفرنجة في القرون (ذاك واليوم قيظ، وللقوم غيظ. وقد وقدت الهاجرة. فوقدتها غير هاجرة، وشربت ما كان أدواتها فهي على الظمأ غير صابرة)(٥) فقام الفرنجة بهجمات عديدة(٦) على العرب لفك

---

(١) ج. ف. س. فوللر - المعارك الحاسمة في العالم الغربي، ج١، ص٤٢٨.

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، الطبعة الأزهرية ج١١، ص٢٤٢، س٧، ١٠.

(٣) المارشال اللورد ويفل - حطين، ترجمة محمد عطية المنشور في المجلة العسكرية السورية العدد الثالث السنة السادسة، تشرين أول ١٩٥٥، ص١٥.

(٤) العقيد مفلح علي - حطين، ص٨٦، س٩.

(٥) هذا وصف ليوم ٣ تموز فكيف بالفرنجة في يوم ٤ تموز من القيظ والغيظ والظمأ - العماد= الفتح القسي في الفتح القدسي طبعة عام ١٩٦٥ نشر الدار القومية مصر، ص٧٨، س٧، ٩.

(٦) وهذا ما يخالف قول مفلح علي، (قام الفرنج بحملتين) حطين، ص٨٦ س١١.

الحصار. كان العرب يصدونها بهجمات معاكسة (وكان الفرنج لما حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشاً وقد كانوا يرجون الخلاص في بعض تلك الحملات مما هم فيه فلم يجدوا إلى الخلاص طريقاً)[١] (لأنهم كلما حملوا ردوا وأردوا، وكلما ساروا وشدوا أسروا وشدوا)[*].

وقد وصل حال الفرنجة مما نالهم من العطش وشدة الحر والتعب إلى حد أن فريقاً من أتباع رايموند ذهب إلى السلطان في خيمته وقال له (... أيها السلطان ما الذي يدعوك إلى التأخر؟ انهض إلى القوم وانقض عليهم فإنهم لا يستطيعون الدفاع، إنهم أموات)[٢+٣].

**هـ - الهجوم العربي الفاصل:**

حين أتت الفرصة المواتية أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة[٤] فاطاحت بحطين بوارق البوار. ورشفتهم الظبة[٥]، وفرشتهم على الربا، ورشقتهم الحنايا، وقشرتهم المنايا وقرشتهم البلايا، ورشقتهم[٦] الرزايا،

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، الطبعة الأزهرية سنة ١٣٠١، ج١١،ص٢٤٣ السطران الأخيران.

(*) العماد الكاتب الأصفهاني - الفتح القسي في الفتح القدسي، طبعة عام ١٩٦٥ ص٧٩، س٧.

(٢) الدكتور أحمد بيلي حياة صلاح الدين الأيوبي= الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦م المطبعة الرحمانية، ص١٦٠، ١٦١، السطران الأخير والأول.

(٣) يقول ستيفن رينسمان أن الفرنجة قاموا بهجوم واحد لفك الطوق بينما يقول مفلح علي هجمتين في حين ابن الأثير هجمات. والأرجح أنهم قاموا بهجمات.

(٤) ابن كثير القرشي - البداية والنهاية في التاريخ، الجزء الثاني عشر الطبعة الأولى ١٩٢٢ مطبعة السعادة مصر، ص٣٢١، س٥.

(٥) الظبا: جمع ظبية بضم الظاء وسكون الباء، وهي حد السيف أو السنان.

(٦) رقش: نقش، ورقش الكلام، وكتبه وزينه.

وصاروا للردى درايا، وللقضايا رمايا[1]. وقد استخدم العرب في هذه الملحمة أروع فنون القتال وأبدع ومضات العبقرية. فقد تم قبل الهجوم الرئيسي قتال تأخيري بين لوبية وترعان أجبر العدو على تغيير هدفه الإستراتيجي ثم فصلت مشاة العدو عن خيالته للمرة الثانية، بالإضافة إلى إشعال النفاطين للنار في الأعشاب اليابسة في المنطقة مما هيأ كل الظروف المواتية لنجاحه.

وقد شهد الأفضل، من أبناء صلاح الدين الصغار، أول معركة في حياته، وهو واقف إلى جانب والده، وبعد انقضاء سنوات عديدة، أشاد الأفضل بشجاعة الفرنج إذ قال: حينما انسحب الملك إلى قمة التل، قام فرسانه بهجوم رائع وردوا المسلمين على أبي؟! وقد شهدت اضطرابه إذ تغير لونه وصار يمسك بلحيته، ثم انطلق صائحاً: «فلتشدوا على الشيطان الكاذب» وعندئذ انقض رجالنا على العدو، الذي ارتد إلى التل، وحينما رأيت الفرنج يفرّون، صرخت فرحاً مسروراً (لقد هزمناهم). غير أنهم حملوا مرة أخرى، وردوا رجالنا، مرة ثانية، إلى حيث يقف والدي، وحث والدي الرجال للمرة الثانية، على أن ينطلقوا لقتالهم، فدفعوا العدو إلى أعلى التل، فصحت مرة أخرى: (لقد هزمناهم) غير أن والدي التفت إلي وقال: فلتلتزم السكون، إذ لم نهزمهم طالما ظلت خيمة الملك قائمة بأعلى التل. وفي تلك اللحظة، هوت خيمة الملك، وعندئذ ترجل والدي عن فرسه وسجد على الأرض وقد امتلأت عيناه بالدموع فرحاً جذلاً، وأخذ يشكر الله ويحمده[2].

---

(١) العماد الكاتب الأصفهاني - الفتح القسي في الفتح القدسي، طبعة عام ١٩٦٥= الدار القومية، ص٧٩، س١١، ١٣.

(٢) ستيفن رينسمان - تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور الباز العريني، نشر دار الثقافة بيروت الجزء الثاني الصفحة ٧٤٠، ٧٤١، وما بعد مقارنة هذا الكتاب مع الكامل لابن الأثير ج١١ تبين لدي أن ستيفن قد أخذ عن ابن الأثير مع إضافة ما وضعت تحته خط.

لقد كانت هذه الهزيمة المنكرة سبباً في سقوط الإمارات اللاتينية من أساسها، وكان يوم ٢٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٣ (٤ يوليو تموز سنة ١١٨٧) يوم مشؤوم على الإفرنج في الشام[١].

وكان من جملة الأسرى الملك (غي) وأمير الكرك (أرناط) وأخو الملك جفري، وصاحب جبيل (أوك)[٢] وهنفري بن هنفري وابن صاحب إسكندرونة، وصاحب (مرقية)، كما أسر قسم عظيم من فرسان الداوية[٣] والإسبيتارية[٤] والبرونية ومقدميهم[٥+*].

**و - النصر**

لما بلغ العرب خيمة الملك الحمراء على قمة التل، وجدوا أن الفرسان، وبينهم الملك، قد نزلوا عن دوابهم وجلسوا على الأرض[٦] وبلغ بهم التعب والإرهاق أشده فأصبحوا عاجزين عن القتال، بل لم يكن لديهم من القوة ما تجعلهم يسلمون سيوفهم، للدلالة على الإذعان، وجرى حمل قادتهم إلى الخيمة

---

(١) الدكتور أحمد بيلي - حياة صلاح الدين الأيوبي، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ ص١٦١، س٣، ٥.

(٢) أوك: اسمه Hunphrey LV, Lord of taron.

(٣) الداويه: هم فرسان المعبد tenplars.

(٤) الاسبيتارية: هم جماعة من الصليبيين يطلق عليهم باللغة الفرنسية Hospitaliers.

(٥) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي المتوفي سنة ٦٩٧هـ المعروف (ابن واصل) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال. طبع الجزء الأول في القاهرة سنة ١٩٥٣م الجزء الثاني المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧م. وشاهدنا من الجزء الثاني الصفحة ١٣٢.

(*) راجع التفصيلات عند أبو شامة القدسي= في كتابه - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. وطبع مطبعة وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هجرية. الجزء الثاني من الصفحة ٧٥، ٨٠.

(٦) الروضتين ج٢ ص٧٦. مصدر سابق.

التي تقرر إقامتها للسلطان على ساحة المعركة[١] أما باقي العسكر فكان من يرى القتلى منهم لا يظن أنهم أسروا واحداً ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا واحداً[٢].

حتى إن ابن الأثير قد اجتاز أرض المعركة بعد حدوثها بنحو سنة فرأى الأرض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها، المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول وأخذته السباع في تلك الأكام والوهاد[٣].

أما السلطان صلاح الدين فقد استقبل في الخيمة المذكورة، الملك جاي (غي)، وشقيقه ألكسندريل أملريك، ورينالد شاتيون، وابن زوجته، همفري سيد تبنين، فضلاً عن عدد كبير من صغار بارونات المملكة. فحياهم صلاح الدين في لطف وبشاشة، وأجلس الملك جاي إلى جانبه، وإذ شهد ما حل به من الظمأ، ناوله كأساً امتلأ بالجلاب، الذي أثلجه ما وضع به من قطع الثلج الوارد من جبال الثلج (الحرمون) فشرب منه جاي ثم سلمه إلى رينالد الذي كان يجلس إلى جانبه. ووفقاً لقوانين الضيافة العربية، متى أجري بذل الطعام أو الشراب للأسير، فإن ذلك معناه، الإبقاء على حياته، ولذا بادر صلاح الدين بأن قال للمترجم:

(فلتخطر الملك أنه هو الذي أعطى ذلك الرجل الشراب، ولم أناوله أنا الشراب) ثم التفت إلى رينالد، الذي لم يغفر له ما ارتكبه من أعمال النهب

---

(١) ستيفن رينسمان - تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور الباز العريني، نشر دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٦٩م ص٧٤١، س٥، ١١.

(٢) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، الطبعة الأزهرية سنة ١٣٠١هـ، ج١١ ص٢٤٣، س٥، ٦ رجع أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، طبعة وادي النيل بمصر سنة ١٢٨٧هـ الجزء الثاني ص٧٥، ٨٠.

(٣) ابن الأثير الطبعة الأزهرية ج١١ ص٢٤٣ س٢٦، ٢٧.

والسلب المنافية للدين، وأخذ يذكره بجرائمه وخيانته، وغدره وعدم التزامه بقواعد الدين، فضلاً عن نهمه وشراهته، ولما رد رينالد شاتيون في خشونة وقسوة، سل صلاح الدين سيفه وأطاح برأسه، فارتعد (جاي)، وظن أنه سوف يحل دوره، غير أن صلاح الدين طمأنه حين قال: (إن الملك لا يقتل ملكاً)، غير أن ما ارتكبه ذلك الرجل من الخيانة تجاوز كل حدّ، ثم أصدر صلاح الدين الأوامر بأن لا يتعرض للأذى البارونات العلمانيون، بل ينبغي أن يلقوا في أسرهم الاحترام والمروءة، غير أنه لم يود أن يبقي على حياة أحد من الفرسان الرهبان، باستثناء مقدم الداوية، والمعروف أنه كان في جيش صلاح الدين جماعة من المتصوفة الزهاد، تعهد إليهم صلاح الدين بالإجهاز على الأسرى من الداوية والإسبتارية، فاغتبطوا للقيام بهذا العمل. فلما تم ذلك تحرك صلاح الدين بجيشه من حطين، وما تناثر في ساحة القتال من جثث القتلى هرع إليها الضباع وابن آوى.

وجرى حمل الأسرى إلى دمشق حيث تهيأت للبارونات أسباب الراحة في معتقلهم بينما تقرر بيع باقي الأسرى في سوق الرقيق[1] وكان أعظم انتصار له على الفرنج في حطين والساحل الشامي يوم حطين[2].

**ز - التحليل والخاتمة:**

إن استيعاب معركة حطين بكامل أبعادها بعد مقارنة كل المصادر والأسفار التاريخية، يحمل القارئ على استنتاج ما يلي:

١ - إن باستطاعة القوة المهاجمة الصليبية التحول إلى الدفاع بدون أن تفقد شيئاً من قوتها مادامت مواصلاتها مستمرة لتأمين شؤون الإمداد

---

(١) ستيفن رينسمان - تاريخ الحروب الصليبية، طبعة دار الثقافة، سنة ١٩٦٩م الجزء الثاني ص٧٤١، ٧٤٢، ترجمة الدكتور الباز العريني.

(٢) خير الدين الزركلي - الأعلام، الجزء التاسع، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧ مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ص٢٩٢، س١٧، ١٩.

والتموين كاملة. ولكن بعد انقطاع مواصلاتها وانتهاء التأمين من كل نواحيه للجيش يصبح التحولُ إلى الدفاع وقوعاً في الفخ.

٢- إن الاتكال على عامل واحد من عوامل النصر أو مبدأ واحد وإهمال بقية مبادئ الحرب يؤدي إلى الهزيمة.

٣- إن الخطة التي اتبعها صلاح الدين تعتبر من أبدع الخطط الحربية ومن الواضح أنه كان مستعداً لها فهو قد هاجم مستعمرة هامة من مستعمرات الصليبيين وأطبق عليها وهددها بالهجوم بدون أن يحاول احتلالها إذ إنه لو احتلها لما وقعت معركة حطين بل إنه سمح لهذه المستعمرة أن تصمد وأظهر أنه ضعيف أمامها مما أوقع الصليبيين في الفخ فاندفعوا إلى إنقاذها وتأهب لاستقبالهم في المكان المناسب، كما أن صلاح الدين، وضع نفسه في مكان يشجع الصليبيين على الزحف نحوه، وبذلك أرغمهم على ترك حصونهم وخوض المعركة في العراء[١].

٤- لقد نجح صلاح الدين في محاولة الإنهاك واستطاع أن يدغدغ أعصاب جيش العدو إلى أن حطم معنوياته وجعل كل فريق من جيش العدو يحاول الدفاع عن نفسه ومع أن جيش صلاح الدين كان يحارب في أرض العدو إلا أنه قد نفذ خطة الإنهاك؛ تنفيذاً دقيقاً.

٥- نجحت خطّة (الأرض المحروقة) إذ أرغم صلاح الدين العدو على أن يتحمل العطش والجوع[٢] (وليس مع العطش صبر ولا حرب)[٣].

---

(١) المارشال اللورد ويفل - حطين، ترجمة الأستاذ محمد عطية المجلة العسكرية السورية عدد تشرين الأول ١٩٥٥ ص١٦.

(٢) - نفس المصدر.

(٣) الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (حوالي القرن ٨ هجري)، آثار الأول في ترتيب الدول طبعة بولاق ١٣٩٥هـ، ص١٧٥.

كما أن ما اشتهر به العرب ولاسيَّما صلاح الدين من مروءة وشهامة جعلت (شامب دور) يقول في ترجمته لصلاح الدين:

(إن صلاح الدين كان أنقى قادة العرب وإليه يرجع الفضل لنهضة الإسلام السياسية، وإنه كان على الصليبيين أن يواجهوا في صلاح الدين حاكماً ذكياً ماهراً قوياً مرهوب الجانب، عرف كيف يفرض على خصومه التقدير والاحترام لشجاعته ونزاهته وأمانته وسمو خلقه، تلك الخصائص الخلقية التي كان الشرق قد فقدها في قادته منذ زمن بعيد).

ثم يعجب المؤرخ (شامب دور) من أن صلاح الدين الذي كان سيداً للشرق والقائم على كل ما فيه من ثروات وخيرات، قد مات فقيراً معدماً إلى حد أن أهله اضطروا إلى اقتراض المال الذي أعدوا به شؤون جنازته يوم وفاته.

**ويقول المؤرخ (سوبر هاييم):**

(إن صلاح الدين لم يكن متعصباً ولم يكن ليحمل ضغينة أو بغضاء للصليبيين باعتبارهم بشراً ولا للمسيحيين الخاضعين لحكمه لذلك لم يضرب الصليبيين كمسيحيين بل كان يضربهم كأعداء بادؤوا العرب العداء وجاؤوا ليضربوا الإسلام في دياره[(١)].

بينما يقول (غليوم دي تير) الذي أرخ للحروب الصليبية: (إن الصليبي كان يرى في الشرقي - فحسب - عدوه اللدود - مسلماً كان الشرقي أم مسيحياً يضرب هذا المؤرخ مثلاً على مذابح الصليبيين بغزوة الفرسان القساوسة لمدينة بلبيس، حيث كانت مجزرة للأقباط لاقوا فيها حتفهم على أبشع صور القسوة دون أن يرحم الفرسان القساوسة أو الشيوخ من الضحايا والأطفال الرضع والنساء الضعيفات[(٢)].

---

(١) محمد علي الغثيث - الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، الدار القومية للطباعة والنشر، ص٥٠، ٥١.

(٢) المرجع السابق ص٥٧.

ليست حطين معركة عادية وإنما معركة كبرى من معارك التاريخ الفاصلة التي غيرت مصائر الخلق وحددت معالم الدول[1].

### ثامناً - الخصائص المميزة لإستراتيجية القوات المسلحة:

**أثرت العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والطبيعية الجغرافية والقومية تأثيراً حاسماً على تطور استراتيجية القوات العربية المسلحة في الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر**، ومن الأسباب الأساسية التي حددت مسبقاً التطور البطيء للاستراتيجية وحالتها الأولية من حيث الجوهر الانقسام الإقطاعي للدول العربية الذي أدى إلى لا مركزية القوات المسلحة والإمكانيات الاقتصادية التي كانت غير كافية لتشكيل جيش كثير العدد وجيد التجهيز، واتساع الأراضي والمسارح التي تشكل صعوبة في تنفيذ الأعمال القتالية والمناخ الحار وطرق المواصلات الضعيفة بين بعض الأقاليم التي كانت تسب إعاقة تعبئة القوات والوسائط لصد العدوان.

**ويسمح التحليل الذي أجري بالتوصل إلى استنتاج مفاده** أنه تم حل بعض مسائل المهام المتعلقة بالإستراتيجية العسكرية في الحروب الصليبية خلال القرن الثاني عشر، ومن بين هذه المسائل - وقبل أي شيء - استخدام الإمكانيات العسكرية والاقتصادية للدول العربية من أجل إحراز النصر في الحرب لتنظيم وتحقيق القيادة العسكرية للقوى الاستراتيجية، وإقامة جيش قادر على تجسيد الهدف الاستراتيجي لتحرير الأراضي المحتلة من قبل العدو، وإعداد مسارح الأعمال القتالية وتجهيزها، وتحديد طرائق وأشكال الصراع المسلح الأكثر فعالية وفقاً للموقف المتشكل، والإعداد لخوض

---

(١) السيد فرج، قادة الحرب العرب، الطبعة الأولى شباط ١٩٥٨، دار الفكر العربي، ص٨٨، س١٧، ١٨.

الأعمال القتالية ذات البعد الاستراتيجي، وتنظيم التعاون الاستراتيجي بين القوات البرية والأسطول، وتأمين القوات.

**فقد كانت المنطقة العربية مع بداية القرن الثاني عشر مقسمة ومجزأة إلى حد كبير**، حيث تواجد على الأرض العربية ثلاث دول: مملكة القدس اللاتينية التي كانت نتيجة للحملة الصليبية الأولى، ودولة مصر الفاطمية التي قامت في نهاية القرن الحادي عشر بضم جزء كبير من الشريط الساحلي، أما الدولة الثالثة فقد كانت ذلك الجزء من دولة السلاجقة الذي يضم القسم الأكبر من سورية إضافة إلى فلسطين ولبنان والأردن، لكن هذا التقسيم كان شكلياً، فمن حيث الجوهر كانت تتألف كل دولة من الدول المذكورة من الكثير من الملكيات الإقطاعية الصغيرة.

**فملك القدس لم يتمتع بأي تفوق أمام الأمراء الثلاثة الآخرين** الحاكمين في طرابلس وأنتوهيا وأوديسيا الذين كانت ملكياتهم أيضاً مقسمة إلى بارونات إقطاعية صغيرة، كما أن السلجوقيين الذين كانوا يبسطون نفوذهم على أراض شاسعة، محتلة من قبلهم لم يشكلوا دولة مركزية، فالدولة السلجوقية لم تكن موجودة إلا بالاسم، وفي حقيقة الأمر لم تكن إلا عبارة عن ملكيات شبه إقطاعية متحدة بين بعضها بشكل ضعيف، وفي مصر كان هنالك صراع داخلي هدفه القضاء على الحكم الفاطمي.

**وقد ترك هذا النظام السياسي بصماته على الموقف العسكري الاستراتيجي** وطرائق وأشكال الأعمال القتالية التي كانت تنفذ بشكل دائم ومستمر بين مصر والسلاجقة، وعلى حدود القرن الثاني عشر شهدت الدولة العربية نهضة اقتصادية إذ انتشرت على أراضيها زراعة الحبوب والقطن والفواكه والثمار المختلفة وقصب السكر وغير ذلك، وانتشرت في كل مكان تربية دودة القز لصناعة الحرير، وبهذا احتلت الدول العربية المكان الأول في إنتاج زيت الزيتون، فكانت فلسطين لوحدها تقدم سنوياً

ثلاثمئة ألف ليتر[١] من زيت الزيتون في العام كضرائب[٢]، وكانت تربية الماشية والخيول متطورة بشكل جيد.

**وتعود أسباب النجاحات الكبيرة في الميدان الزراعي إلى حد كبير إلى تطور نظام الري**، فخلال القرن الثاني عشر لم يكن على أراضي الدول العربية قحط قط،، ولم تكن الزراعة بحاجة إلى الماء وخاصة في عهد الأيوبيين عندما كان مستوى ماء نهر النيل، الذي يعد المصدر الرئيسي للزراعة، ثابتاً دائماً وذلك بفضل الإنشاءات الهندسية[٣].

**وخلافاً لأوروبا الغربية كان العرب يمتلكون شبكة واسعة من المدن** التي كانت تشكل مراكز إنتاج مهني ومراكز تجارية سواء أكانت محلية أم للمرور (ترانزيت)، كما كان الإنتاج في ميادين التعدين وصناعة النسيج والصناعات التحويلية متطور بشكل جيد، فبالقرب من بيروت استخرجت فلزات الحديد، وبالقرب من حلب كان يتم استخراج المواد النفطية، وفي منطقة البيجا بنيت معامل السكر[٤].

**وإضافة إلى ذلك كان العرب يصنعون الأسلحة والذخائر ذات المواصفات**

---

(١) واحد ليتر = ٤٤٠ غرام، الباحث.

(٢) التاريخ العالمي، يقع في عشرة مجلدات رئيس التحرير العام ي. م جوكوف، إصدار دار المنشورات السياسية الحكومية، موسكو ١٩٥٧، ص ٣٣٠.

(٣) فيليب حتي وجورجي جبور، تاريخ العرب المطول، بيروت دار الكشاف ١٩٥٢ مجلد ٣ صفحة ٧٨٩.

(٤) لا بد من التنويه بأن العرب هم أول من اكتشف إنتاج السكر واستخدمه. وهم السباقون في تحضير الشرابات والخشاف المحلاة بالسكر.

انظر زكي النقاش، العلاقات بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٥٨ ص ٩٦.

**العالية**، وقد انتشرت في كل من دمشق والقاهرة ورشات لتصنيع السيوف التي اشتهرت بسمعتها العالمية.

كما اشتهرت مدينة الموصل في العراق بصناعة التروس والرماح، ومن هذه المدينة كان يورد للقوات العربية النفط الأبيض الذي استخدم كمواد حارقة[١]، وفي تلك الورشات المذكورة وغيرها من المدن الأخرى كان يتم تصنيع أدوات الحصار الثقيلة مثل المنجنيقات والدبابات، وكانت السفن تصنع في المدن الساحلية (الموانئ)، ونشطت الأعمال التجارية في الموانئ السورية وبيروت وطرابلس وصيدا وصور وعكا وقيسارية وغزة وعسقلان التي كانت تقوم بتجارة نشيطة مع موانئ إفريقيا الشمالية وبيزنطة وصقلية وإيطاليا، خاصة أن الحرب بين العرب والأوروبيين لم تؤدِّ إلى الانقطاع الكامل في العلاقات التجارية، فلم تكن هذه العلاقات تنقطع إلا أثناء الصدامات ذات المدى الواسع، وكانت تجارة السكر، والأسلحة والدبابات والغزول ومصنوعات الزينة اليدوية والمجوهرات تعطي الشرق إيرادات كبيرة[٢].

**وقد سمحت هذه الإيرادات**، بالإضافة إلى الوسائط التي كان يتم الحصول عليها من الضرائب المفروضة على منتجي السلع، بتغطية وتأمين وتمويل قوات مسلحة كبيرة العدد في تلك الفترة، وكان يصل تعدادها إلى ٥٠٠ فارس وجندي مشاة، فالعديد من المدن كانت الحاميات تمول فيها على حسابها الخاص.

**وقد كان يعمل بهذا الأمر** وفقاً لاتفاقية متبادلة بين المدن مع حكام المقاطعات الذين خفضوا نسبة الضرائب على المدن مقابل ذلك[٣].

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة، مكتبة الأميرية ١٩٥٧، مجلد ٢ صفحات ٢٤٣، ٢٦٣، ٧٠٧.

(٢) عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين الأيوبي، بيروت، دار الكتاب ١٩٦١، ص ١٥.

(٣) ي.م. جوكوف، التاريخ العالمي، إصدار دار المنشورات السياسية الحكومية، موسكو ١٩٥٧م ج٤، ص٣٣٠.

**ومن السمات المميزة لأعمال القيادة العليا وحكام الدول العربية السعي لاستخدام الإمكانيات المتوفرة كافة** في الموقف الديناميكي لتجهيز الجيش والأسطول وتشكيل الاحتياطات الضرورية واللازمة لخوض الحروب الطويلة، خاصة أن العرب فقدوا في أثناء الغزوات الصليبية جزءاً كبيراً من الأراضي والكثير من المدن.

**كما أن أعداداً كبيرة من السكان العرب** القاطنين في المدن والأرياف تعرضت في أثناء غزو الصليبيين لسورية وفلسطين للإبادة الكاملة، وتحول قسم منهم إلى عبيد، ولذلك كان صعباً للغاية إعداد القوات المسلحة من أجل تنفيذ مهام استراتيجية في مثل تلك الظروف، فقد نفذت الأعمال العسكرية بشكل رئيسي على أراضي سورية وفلسطين.

**لذا يمكن القول عند تقييم الحالة المتشكلة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر إن المناطق الأكثر أمناً وهدوءاً،** أصبحت تحتل أهمية كبيرة في إعداد القوات المسلحة، ففي عام ١١٨٢م جعل صلاح الدين الأيوبي من القاهرة قاعدة أساسية لإعداد وإمداد القوات العربية وتدريبها، إذ كان يرسل إليها الجرحى والأسرى، ومن حيث الجوهر أصبحت مدينة القاهرة قاعدة أساسية في إعداد الاحتياطات الإستراتيجية وتحضيرها، كما أصبحت جميع الطلبات الخاصة بتقديم الدعم وتعويض الخسائر التي كانت تتكبدها القوات العربية في ساحات القتال توجه إليها(١).

**وقد استفاد صلاح الدين عند استلامه للسلطة من خبرة السلاجقة** الذين شكلوا في دولتهم نظام المدارس العاملة الدائمة والمستمرة التي كانت تقوم بتدريس مختلف العلوم حيث قام بتأسيس وتوسيع شبكة من المدارس

---

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة، وادي النيل ١٢٨٧هـ، مجلد ٢، ص ٧.

كمؤسسات رئيسية لتدريب وتربية الشبان، وقد انتشرت تلك المدارس في أصقاع الدولة كافة، وكان عدد تلك المدارس كبيراً في كل من دمشق وبعلبك والقاهرة والإسكندرية، ويشير ابن جبير إلى أنه في عام ١١٨٤م كان في دمشق أكثر من ٢٠ مدرسة[١]، وكان الشبان بعد تخرجهم من تلك المدارس يشكلون الاحتياط الأساسي لتشكيل القوات النظامية.

**ونتيجة لاحتلال الصليبيين للقسم الأكبر من الموانئ والمدن الساحلية** وتهديدهم الدائم للمدن الساحلية العربية فارضين إعاقة تعزيز الأسطول العربي وتجهيزه اتخذ صلاح الدين الأيوبي قراراً **ببناء مرفأ لتصنيع السفن الحربية وإعدادها** لتنفيذ الأعمال القتالية بعيداً عن العدو، وقد اختار منطقة حي البحص الواقع في ضواحي القاهرة على شاطئ نهر النيل[٢] ليكون مكاناً لبناء هذا المرفأ، وقد أطلق عليه تسمية (مقس)[٣] وبذلك أصبح هذا الميناء قاعدة لقوى الأسطول إضافة إلى موانئ دمياط والإسكندرية، كما أصبح أحد الأجنحة الهامة في تجهيز مسرح الأعمال القتالية.

**وقد بينت أعمال العرب القتالية ضد الصليبيين أن النجاح في الحرب يتعلق إلى درجة كبيرة بتوفر القلاع المحصنة بشكل جيد**، والمتوضعة في المرتفعات المسيطرة على أهم طرق القوافل، لذا كان العرب يتخذون الإجراءات والتدابير المناسبة لتعزيز قلاعهم القديمة وبناء قلاع جديدة بغية تأمين تنفيذ الأعمال القتالية لتحرير الأراضي المحتلة، وقد أخذ هذا العمل مدى كبيراً، وبشكل خاص في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي بنى إحدى أفضل القلاع على جبل المُقَطَّمْ، كما أمر بترميم قلعة في سورية على بعد ٣٣ كم إلى

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، القاهرة، السعادة ١٣٣٦ هـ، ص ١٨٣.

(٢) في الوقت الراهن يوجد في هذا المكان في القاهرة محطة للسكك الحديدية وسوق محلي لأنه ومع مرور الزمن غير نهر النيل مجراه.

(٣) عبد العزيز سيد الأهل، مصدر سابق ص ١٠٧، ١٠٨.

جهة الشرق من مدينة اللاذقية في منطقة الحفة التي كانت تحت إمرته، وهذه القلعة تحمل اسمه في الوقت الحاضر(١).

**وفي ذلك الوقت أيضاً تم اتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز مدينة القاهرة،** إذ كانت هذه المدينة تتألف من أربع مدن: "الفسطاط" التي بناها عمرو بن العاص، و"اسكار" التي شيدها صلاح بن علي العباس، و"قاطس" التي بناها أحمد بن طولون، والقاهرة التي بناها جوهر الصقلي.

**حيث أعطى صلاح الدين الأيوبي أوامره لبناء سور حول هذه المدن المذكورة،** وقام بتوحيدها في منطقة محصنة واحدة، كما ألقى السلطان صلاح الدين الأيوبي مسؤولية الإشراف المباشر والمراقبة على عاتق بهاء الدين قرقوش، وقد بلغ طول سور القاهرة ٧،٥ أميال، وكان هذا السور مجهزاً بأبراج دائرية الشكل مخصصة للمراقبة وإلقاء الحجارة والمواد الحارقة في أثناء صد أي هجوم، ولا بد من الإشارة إلى أن بناء السور حول القاهرة قد اكتمل بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي(٢).

**كما اكتسب بناء المنشآت المائية الفنية الخاصة التي سميت بـقناطر الجيزة أهمية إستراتيجية،** حيث بدأ السلطان صلاح الدين الأيوبي ببناء هذه المنشآت التي كانت تعمل على حجز مياه النيل بشكل جزئي، مما يسمح برفع منسوب الماء الذي كان يؤدي إلى إفاضة المياه إلى المناطق المتاخمة وغمرها، مما يشكل عوائق طبيعية يصعب على العدو اجتيازها، بالإضافة إلى الدور الذي كانت تقدمه في عملية الدفاع، وعلاوة على ذلك كان لبناء قناطر الجيزة أهمية اقتصادية كبيرة إذ أصبح بالإمكان تنظيم الاستخدام العقلاني للمياه من أجل ري الحقول وادخارها للاستفادة منها في أثناء حصار

---

(١) فيليب حتي، جوجي ي، جبور مصدر سابق ص ٧٤٧ + س. لينبول سيرة القاهرة، مكتبة النهضة ١٩٥١.

(٢) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، مصدر سابق مجلد ٢ ص ١٧.

المدينة من قبل العدو، وفي عام ١١٩٣م قام الكاتب المشهور ابن جبير بزيارة بناء قناطر الجيزة، ومما كتبه عن تلك القناطر: "لقد اتخذ صلاح الدين الأيوبي ذلك الملك الذكي، تدابير مدهشة لصد هجوم العدو المحتمل من جهة الإسكندرية عن طريق تطويف نهر النيل الذي كان يغمر الحقول مما يمنع تقدم قوات العدو في أي وقت"(١).

**وقد بدأ بناء قناطر الجيزة ببناء الطريق المرصوفة بالحجارة التي تبدأ من شاطئ النيل قرب القاهرة** وباتجاه مدينة مصر وبطول ستة أميال واتصلت بقناطر الجيزة، وقد بنيت القناطر من حجارة أهرامات الجيزة، وقام بتنفيذ البناء المهندس قرقوش في الفترة ١٢٠٠م - ١٢٠٢م، وقبل الانتهاء من البناء تم استبدال قرقوش بمهندس ليس لديه خبرة كافية، ولذلك اتخذ قراراً بإغلاق القناطر التي لم يكتمل بناؤها بعد من أجل تأمين مدينة الجيزة بالماء، ونتيجة للتخزين الكبير للماء وغير المراقب تهدمت ثلاث قناطر، وبذلك فقدت هذه المنشأة أهميتها الإستراتيجية(٢).

**وكان شق طرق المواصلات بين المراكز الأساسية التي تفصل فيما بينها مسافات كبيرة والمناطق المنفصلة أمراً مهماً** وملحاً في إعداد الأعمال الإستراتيجية للعرب، فكما هو معروف كانت سورية تحتل شريطاً ضيقاً بين البحر والصحراء، وكانت تقوم عملياً بتنفيذ دور جسر يصل حضارة حوض الفرات بحضارة حوض النيل، وكان احتلال سورية بالكامل يسمح بقطع طرق المواصلات بين السلجوقيين والفاطميين وبين بغداد والقاهرة.

**إلا أنه لم يتسنَّ للصليبيين** احتلال الكثير من المدن السورية مثل دمشق وحلب وحماة التي اعتبرت مراكز رئيسية تقع على طرق المواصلات

---

(١) ابن جبير، مصدر سابق ص٢٢.

(٢) البغدادي، كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر. القاهرة دار النشر المجلة الجديدة عام ١٩٢٨م ص٣٦.

الأساسية، وعندئذ احتل الصليبيون قلعة الرها التي كانت تقع على الطريق الواصلة بين دمشق وحلب وإيران، كما احتلوا قلعة الكرك الواقعة على الطريق بين دمشق إلى مصر.

**غير أنه لم يتسنَّ للصليبيين عزل المدن السورية التابعة للعرب،** فقد أوجد حكام العرب طرقاً جديدة للقوافل التي كانت تصل أراضيهم بإيران عن طريق مدن الباب وبوزو ومنبج ودمشق بأراضي حوض الفرات عن طريق مدينة الرها - الميادين حالياً - بالإضافة إلى طريق آخر عبر الصحراء، وقد استخدمت هذه الطرق لمرور القوافل المدنية والقيام بالحملات العسكرية على حد سواء.

**ويذكر ابن القلانسي أنه في عام ١١٠٠م نظم الأمير العربي دقاق حملة من دمشق إلى ديار بكر عن طريق مدينة الرها**(١)، ومع ذلك تبين دراسة الكتب القديمة والمخطوطات أن القوات العربية استخدمت الطرق الممتدة عبر الممالك الصليبية، فعلى سبيل المثال قامت قوة عربية تحت إمرة الأمير أرسلان في ١١٠٦م باجتياز منطقة الرها التي كان يسيطر عليها الصليبيون عدة مرات.

**كما قام القادة العسكريون العرب** (شيركوه وصلاح الدين الأيوبي) أكثر من مرة بحملات عبر الأردن الذي كان خاضعاً للصليبيين، وقد تمت الحملة الأولى في عام ١١٦٥م - ١١٦٩م والثانية عام ١١٧٤ - ١١٧٦م، ١١٧٨م - ١١٨١م وعام ١١٨٢م، وهناك العديد من الباحثين الذين يؤكدون هذه الحقائق(٢).

**وكانت المركزية المتدرجة لقيادة القوات المسلحة السمة المميزة للإستراتيجية العسكرية** عند العرب، ففي القرن الثاني عشر حصل الإقطاعيون السلاجقة في الأراضي العربية على حق جمع الضرائب في ممالكهم كمكافأة

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، الحروب الصليبية، القاهرة، النيل ١٩٥٦ مجلد٢، ص٥٩.

(٢) موسوعة المعرفة السويسرية، بيروت ١٩٧١م مجلد ١٢ ص٢٠٣٤، ٢٠٣٥.

لهم لقاء التزامهم بالخدمة في جيش السلطان، فوفقاً لأمر السلطان كان يتوجب عليهم إعداد قواتهم ووضعها تحت رايته.

**وكان جيش السلطان الذي يتألف من قوات الأمراء التابعين قد بدأ حملته من مناطق الجزيرة وديار بكر**، ولم يقم شخصياً بقيادة القوات مطلقاً ففي أغلب الأحيان كان يعين أمير الموصل قائداً للقوات العربية، وهنا لابد من التنويه إلى أن هذا التنظيم لقيادة الجيش لم يتجاوب ومتطلبات الصراع المسلح، لأن الأمراء الآخرين لم ينفذوا بقدر كاف أوامر أمير الموصل، إذ كانوا يعملون في أغلب الأحيان بشكل مستقل، مما أدى إلى انتشار الفوضى.

**ومن حيث الجوهر** تسنى للحكام السلاجقة خلال السنوات العشرين الأولى من القرن الثاني عشر جمع جيش كبير العدد، غير أن عدم وجود القيادة الفعالة لهذه القوات لم يسمح لها بتنفيذ المهام المسندة إليها بالشكل المطلوب(١).

**وقد تحسنت قيادة القوات بعض الشيء** بعد أن ضم عماد الدين الزنكي مدينة حلب في عام ١١٢٨م، وبعد أن أخضع لنفوذه عدداً من الممالك السلجوقية في بلاد ما بين النهرين العراق حالياً وشمال سورية مستخدماً القوة تارة والدبلوماسية تارة أخرى.

**غير أن القيادة الإستراتيجية في عهد صلاح الدين الأيوبي أصبحت أكثر مركزية ووضوحاً**، إذ كانت قادرة على إخضاع مصر وجزء كبير من بلاد ما بين النهرين وسورية بعد أن تم ضم دمشق وحماة وحلب... وغيرها، بالإضافة إلى إمارة الموصل التي أعلن أميرها الزنكي الثاني في عام ١١٨٦م ولاءه للسلطان وأصبح تابعاً له(٢)، وبالتالي لم يعد صلاح الدين الأيوبي يقود

---

(١) ار. سي سميل، فن الحرب عند الصليبيين، دمشق، مركز الدراسات العسكرية ١٩٨٢ ص١٢٧.

(٢) م. أ. زابوروف، الصليبيون في الشرق، موسكو دار العلم ١٩٨٠، ص١٥٢، ١٦٨.

القوات العربية شكلياً كما فعل الحكام الذين سبقوه، وإنما أصبح على رأس الجيش منفذاً واجبات القائد العام.

**وعلاوة على الجهود المبذولة لتوحيد الدول العربية على حساب إخضاعها لنفوذهم،** قام الحكام العرب بمحاولات منفصلة لإنشاء تحالف للصراع ضد الصليبيين، وأوضح مثال على ذلك التحالف مع الحكام السلاجقة في عام ١١٠١م لصد الحملة الصليبية، حيث اشترك كل من سلطان أقونيا "قلج أرسلان الأول"، والأمير "مالك غازي" والملك "رضوان" من حلب في جبهة واحدة، وعلى مسافة ٢٥٠ ميلاً من "تيكسار" قرب "ميرزقان" هزموا الغزاة الصليبيين.

ومن الجدير بالذكر أن الأمراء العرب كانوا يلجؤون في أثناء صراعاتهم الداخلية في عهد السلاجقة إلى مساعدة ملك القدس، فعلى سبيل المثال، قدم الصليبيون الدعم لعماد الدين الزنكي في حربه ضد دمشق وذلك عندما أجبر الملك "فولكا" الصليبي قوات الموصل على الانسحاب بشكل خاص(١).

**وتؤكد الأبحاث والدراسات** أن الدفاع كان الشكل الأساسي للنشاط العسكري عند العرب في بداية القرن الثاني عشر، إذ لم يتسنَّ للعرب نتيجة انقسامهم الإقطاعي تشكيل جبهة واحدة لصد الغزو الصليبي، حيث كان العالم الإسلامي مشتتاً، ولم يجابه الصليبيون في تلك الفترة كتلة موحدة وكاملة، وإنما جابهوا خليطاً من الإمارات الصغيرة والكبيرة التي كانت على عداء فيما بينها في بعض الأحيان.

**كما كان للانقسام الديني أثر في ذلك، فالسلاجقة السنّة لم يجدوا** لغة مشتركة مع المصريين الشيعة في مصر بسبب صراع المذاهب والتيارات الدينية، لذا أصبح الدفاع عن المدن والقلاع الطريقة الأساسية لتنفيذ الأعمال القتالية، ولم يكن باستطاعة الكثير من الحاميات المعزولة مجابهة قوى الصليبيين، ولذلك كانت تمنى بالهزائم الواحدة تلو الأخرى.

---

(١) م. أ. زابوروف الصليبيون في الشرق، موسكو، دار العلم ١٩٨٠، ص١٥٢.

**وهكذا فقد احتل الصليبيون في عام ١١٠١م مدينة حيفا و"ارسوف" و"قيسارية"**، وفي عام ١١٠٤م احتلوا عكا وفي عام ١١٠٩ احتلوا طرابلس التي صمدت في وجه الحصار الصليبي قرابة سبع سنوات، كما احتلوا صيدا وبيروت، وفي عام ١١٢٤م احتلوا مدينة صور، وقد ساعد أسطولا جنوى والبندقية في احتلال هذه المدن حيث قطع هذان الأسطولان المراسي الواقعة على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، عن أسطول مصر الذي كان يقدم العون للمدن السورية والفلسطينية، وفي الوقت نفسه وبفضل هذا العون وبفضل اقتراح الحكام العرب دفع الفدية للحكام الصليبيين بقيت بعض المدن الساحلية العربية من دون احتلالها، ففي هذه الفترة لم يقم عملياً سوى الجيش الفاطمي في مصر بتنفيذ الأعمال الهجومية ضد الصليبيين.

**وقد أحبط احتلال الصليبيين للمدن الساحلية السورية والفلسطينية مخطط مصر الهادف إلى إخضاع تلك المدن لها**، ولهذا بدأت مصر بشن الأعمال القتالية ضد الصليبيين، إذ كانت مصر حتى عام ١١٢١م تقع تحت سلطة "الأفدال" الذي قام شخصياً بقيادة البلاد، مما جعلها الركيزة الهامة لتنظيم الحملات السنوية التي كانت تنفذ عن طريق السهل الساحلي وطريق عسقلان إلى سورية وفلسطين، إلا أن جميع حملات القوات المصرية باءت بالفشل باستثناء حملة عام ١١٠٢م التي لم تستطع القوات المصرية الاستفادة من نتائجها رغم إحراز النصر فيها، حيث أجبرت الأعمال الهجومية الفاشلة للمصريين الأفدال بدءاً من عام ١١٠٧م على اختصار عدد الحملات العسكرية الهجومية ضد قوات الصليبيين.

**وقد اقتصرت الأعمال الهجومية الفعالة ضد الصليبيين على فترة عهد صلاح الدين الأيوبي**، ففي فترة حكمه أصبح الهجوم الشكل الأساسي للأعمال القتالية وأصبحت التغييرات الإستراتيجية ممكنة بفضل إقامة صلاح الدين الأيوبي دولة قوية ذات إمكانيات اقتصادية كافية لتشكيل جيش كبير العدد ومسلح ويتمتع بقيادة مركزية صارمة.

**وقد كانت الصفة العامة للأعمال الهجومية للعرب أنها نظمت على شكل** حملات عسكرية، وأصبح المدى الكبير سمة مميزة للحملات العسكرية عند العرب التي نفذت على مسافات تصل حتى مئات الكيلومترات، أما من حيث الزمن فكانت تستغرق الحملة الواحدة من بضعة أيام وحتى ثلاثة أشهر، وكانت تنفذ بشكل عام في جميع فصول السنة باستثناء فصل الشتاء بسبب صعوبة تحرك القوات فيه، مع العلم أن الحملات التي نفذت شتاءً لم تعطِ النتائج المرجوة، وقد أكد العديد من الباحثين أن أكبر الحملات العسكرية الشتوية التي نظمت في الفترة من ١١٢٩و١١٧٠م كانت فاشلة(١).

**ولكن هذا لا يعني أن ظروف الطقس الصعبة هي وحدها السبب في العزوف عن تنظيم الحملات العسكرية في أثناء الشتاء،** فقد كان القسم الأعظم من أفراد القوات العربية شبه العسكرية يُدعَون بشكل مؤقت للخدمة، إذ كان من غير الممكن الاحتفاظ بهؤلاء على مدار السنة، ومع قدوم الخريف كان هؤلاء الجنود يسعون للعودة إلى بيوتهم، كما أن محاولات الاحتفاظ بهم كانت تؤدي إلى انخفاض مستوى الانضباط والقدرة القتالية لديهم، وقد انعكس ذلك في التعب من المعارك التي نُفذت في وقت الشتاء، فالقوات كانت بحاجة إلى الراحة واستكمال التأمينات.

**كما أن الأعمال القتالية لم تكن مرغوبة شتاءً نظراً لضعف سيطرة الأمراء أصحاب الملكيات الصغيرة،** ففي حال غياب الأمير لمدة طويلة في الحملة كان باستطاعة السلطان أن يهدي أو ينقل ملكية الأمير إلى ملكية شخص آخر إذا كانت معرضة لأن يستولي عليها شخص آخر، لذا كان الأمراء يسعون كي لا يبتعدوا مدة طويلة عن ملكيتهم(٢)، وإضافة إلى ما

---

(١) ابن شداد، النواد السلطانية والمحاسن اليوسفية، القاهرة، ط المؤيد عام ١٣١٧ه، ص١٦٨، ١٧٠.

(٢) ابن القلانسي، مصدر سبق ذكره صفحة ٦١٧.

سبق فإن عودة الأمير إلى بيته كانت ضرورية لنقل الغنائم التي يستولي عليها في المعارك إلى ملكيته(١).

**كما كانت الحملات العسكرية مختلفة الأهداف، إذ غالباً ما كانت توجه هذه الحملات لتحرير الأراضي التي احتلها الصليبيون**، أو لتوسيع طرق المواصلات وتوفير الأمن لمرور القوافل التجارية، ومن أجل تحقيق الأهداف والمهام المذكورة كانت تنظم الحملات العسكرية لتدمير حاميات الصليبيين في المدن والقلاع الموجودة في المناطق القريبة من طرق القوافل، كذلك كان البدو يشنون حملات عسكرية مهمتها الأساسية إبعاد البدو القاطنين حول الحاميات الصليبية الذين كانوا يعيقون مهاجمة الصليبيين في الملكيات المصرية، وذلك لأن الصليبيين كان ينقصهم أولاً ذوو الخبرة بالطرق الصحراوية المؤدية إلى مصر ولذلك كانوا يعتمدون في ذلك على بعض البدو(٢).

**ومن بين أكبر الحملات العسكرية الأولى حملة شهاب الدين محمود(٣) أمير دمشق الذي اقتحم إمارة طرابلس عام ١١٣٧م**، ودمّر الفرسان الموجودين هناك، وبعد أن أسر أميرها بونتيا قام بقتله، وبعد ذلك وفي نفس العام اجتاحت قوات أمير الموصل عماد الدين الزنكي إمارة طرابلس.

**وفي هذه المرة سحق السلاجقة الأمير رايموند الثاني** والكثير من فرسانه، وبعد أن وطد عماد الدين الزنكي سلطته قام في تشرين الأول عام ١١٤٤م بحملة عسكرية ضد إمارة أديسيا.

**وفي السادس والعشرين من تشرين الثاني فرض حصاراً حولها**، وبعد الحصار مباشرة هبت قوات من الفرسان الصليبيين من مملكة القدس لتقديم

---

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ، القاهرة مكتبة الأزهرية ١٩٦٤، المجلد ١١، صفحة ١٣٧.
+ أبو شامة، الروضتين في أخيار الدولتين، مجلد١، صفحة ٢٠٦.

(٢) آ. رسي سميل، فن الحرب عند الصليبيين مصدر سبق ذكره، صفحة ١٢٨.

(٣) القلانسي ص٤٠٧.

المساعدة للمدينة المحاصرة وفك الحصار عنها وتحركت هذه القوات بناء على أمر من وصية العرش ميليزا نيدا التي كانت تترأس مملكة القدس لعدم بلوغ بلدوين الثالث سن الحكم، لكن هذه القوات وصلت متأخرة، وفي الرابع والعشرين من كانون الأول من نفس العام احتل عماد الدين الزنكي المدينة ودمرها، وانتقل فيما بعد لاحتلال الكثير من مناطق الإمارة، وقد أصبح سقوط مدينة أديسيا دافعاً لعماد الدين الزنكي لتنظيم الحملة الصليبية الثانية.

**واستمر تحرير الأرض من الفرنجة على يد نور الدين محمود بن الزنكي بن حاكم الموصل** الذي نفذ أعمالاً هجومية ضد الفرنجة وبالتالي تمكن من تحرير سهل الفرات(١)، أما الأعمال الهجومية الحاسمة التي نفذت ضد الصليبيين فكانت مرتبطة باسم السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي وجّه جهود قواته الأولى لاحتلال قلعتي الكرك والشوبك اللتين كان لهما أهمية إستراتيجية كبيرة، غير أن حملته الأولى التي قام بها في عام ١١٧٥م باءت بالفشل، وفي عام ١١٧٦م جهز حملة جديدة وجهها ضد القلعتين المذكورتين مستخدماً طريق حلب دمشق - بيسان، وفي طريقه إلى هدفه تلقى معلومات تفيد بأن قوات صليبية تتحرك في منطقة عين جالوت بهدف تنفيذ هجوم على العرب في تلك المنطقة، فقرر تغيير خط سير حملته، وشن هجوماً باغتاً وحاسماً ضد تلك القوات سحق من خلاله قوات الفرسان بشكل كامل، حيث قتل أغلبية الفرسان وأسر أكثر من مئة فارس صليبي.

**وقد أشار المؤرخون العرب إلى أن صلاح الدين الأيوبي لم يخسر في هذه المعركة** سوى فارس واحد كان يسمّى فرهاد الشاويش(٢)، لكن الهدف الأساسي لهذه الحملة والمتمثل بتدمير أو طرد الصليبيين من قلعتي الكرك والشوبك لم يتحقق.

---

(١) م. ي. زابوروف، الصليبيون في الشرق، روسيا الاتحادية، موسكو، دار العلم، ط ١٩٨٠م، ص ١٥٢.

(٢) عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين، صفحة ١٨٨، ١٨٩.

**وفي نهاية تشرين الأول عام ١١٧٧م وصل صلاح الدين الأيوبي بقواته إلى منطقة ظهر بلبيس حيث أمر قواته بوضع احتياطات من الماء والطعام والعلف**، وبعد ذلك ترأس قوة قوامها أربعة عشر ألف جندي مشاة وستة وعشرون ألف فارس، وتوجه بها في حملة عسكرية باتجاه الشمال على طول الساحل، وفي نهاية تشرين الثاني هاجم عسقلان واحتل جميع القلاع الصليبية الموجودة في تلك المنطقة، وتحرك فيما بعد باتجاه الرملة، لكن نهر تل الصافي اعترض طريقه وعرقل سيره، وعندها قرر إنهاء حملته والعودة إلى الخلف من دون المحافظة على نظام الحملة العام مستخدماً فصائل القوات بشكل مستقل.

**وفي كانون الأول عام ١١٧٧م هاجم القادة العسكريون الصليبيون بجيش عرمرم صلاحَ الدين الأيوبي** وما تبقى معه من فصائل قليلة العدد في قلعة الكرك، وكان ذلك بالتعاون مع ملك القدس بلدوين الثالث، وقد خاضت القوات العربية ببسالة تلك المعركة غير المتكافئة، ففي البداية هاجم فصيل عربي تحت قيادة محمود بن تقي الدين عمر الصليبيين مستخدماً المناورة السريعة موجهاً ضربته إلى مؤخرة العدو وأنزل بها خسائر فادحة.

**وفي الهجمة الثانية استشهد القائد محمود بن تقي الدين عمر، وخلف الفصيل المذكور قام فصيل عربي آخر تحت قيادة عيسى الحكري** بمهمة إعياء العدو وتكبيده أكبر ما يمكن من خسائر، وقد أظهر المقاتلون العرب رغم عدم التكافؤ في القوى شجاعة وبسالة نادرتين، وبعد تقييم الموقف توصل الأمراء بقيادة صلاح الدين الأيوبي إلى رأي واحد، ألا وهو أنه في مثل هذا التوزيع للقوات يكون قرار سحب القوات هو القرار الصائب، وفي أثناء الانسحاب باتجاه الصحراء تاهت قوات صلاح الدين، إلا أن البدو قدموا لها المساعدة ومن ثم رجعت القوات إلى مصر[١].

---

(١) ابن محزمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، مخطوط مصور دار الكتب المصرية، التاريخ رقم ١٦٧، الجزء ٢ صفحة ٨٧٣.

**وفي عام ١١٧٩م قرر صلاح الدين الأيوبي القيام بحملة على بلاد الشام سورية**، فلسطين، لبنان، الأردن، وكان على القوات العربية أن تقوم بالمعركة الرئيسية ضد الصليبيين في منطقة مدينة مرجعيون، وبما أنه لم يكن من السهل إخراج الصليبيين من القلاع والمدن المحصنة، استخدم صلاح الدين الأيوبي الخدعة العسكرية لتنفيذ هذه المهمة، لذا وجه في مقدمة القوى الرئيسية المشاركة في الحملة مفارز غير كبيرة ذات قدرة على المناورة باتجاه مدينتي صيدا ومرجعيون، وأوكل إلى هذه المفارز مهمة الإقامة في ضواحي هاتين المدينتين والقيام بغارات دائمة على القرى بغية إفقارها وتفريغها من السكان، الأمر الذي أجبر الصليبيين الذين لم يستطيعوا أن يسمحوا بإفقار وتفريغ الأرض التي يستعمرونها على إرسال قوة تعدادها ١٠٠٠٠ من المشاة والخيالة للقتال[1].

**والأمر الملاحظ هنا أن الصليبيين لم يراعوا تراتيب القتال لدى ملاحقة القوات العربية**، ففي ١٥ تموز عام ١١٧٩م هاجمت قوات صلاح الدين الأيوبي - التي كانت قد وصلت إلى المنطقة - الصليبيين بشكل مفاجئ وأنزلت الهزيمة بالمشاة أولاً ومن ثم بالخيالة ثم قامت بأسر القادة العسكريين لمدن طرابلس والرملة ويافا وجرايا وجنين وجبيل وغيرهم من الشخصيات الهامة، وبعد هذا الانتصار قسَّم صلاح الدين الأيوبي قواته إلى تشكيلات منفصلة دخلت إلى بلاد الشام من مختلف الجهات وقامت بمهاجمة الحاميات غير الكبيرة[2].

**وقد سمح النصر الذي أحرزه صلاح الدين بوضع شروط للصليبيين: حيث اشترط عليهم تدمير قلعة بيت الأحزان**، إلا أن الصليبيين رفضوا ذلك، وللمرة الثانية أرسل صلاح الدين الأيوبي رسالة تتضمن إنذاراً نهائياً بتدمير القلعة،

---

(١) انظر الملاحق.

(٢) الحافظ شمس الدين، دول الإسلام، نشر دار المعارف بالهند، الدكن سنة ١٣٣٧هـ، المجلد ٢ ص٥٦.

وفي هذه المرة حصل على رد إيجابي بشرط تعويض الخسائر، وبعد ذلك بدأ بإجراء مباحثات مع الصليبيين وعدهم خلالها بتقديم مئة ألف دينار، غير أن الصليبيين طلبوا مبلغاً يفوق هذا بكثير، عندئذٍ تمَّ اتخاذ قرار بالقيام بحملة جديدة واحتلال القلعة بالقوة، وهذا ما تمَّ بالفعل.

**وبعد ذلك فكّر صلاح الدين بتطوير نجاحه، فوجه** كُتباً حاملة أوامره إلى أمراء القوات والقبائل بتعبئة القوات، فتوجهت الآلاف المؤلفة من القوات التي جمعها في ٢٤ آب عام ١١٧٩م إلى المخاضة، وقد استغرق وصول القوات حوالي يوم[١].

**وفي ٢٦ آب عقد صلاح الدين الأيوبي مع الأمراء اجتماعاً وطلب منهم إبداء رأيهم حول طرائق احتلال القلعة،** وقد اقترح القائد العسكري جاولي الأسدي الاقتراب من أسوار القلعة زحفاً، ومن ثم يتوجب على المقاتلين فتح ثغرات فيها، وعوضاً عن الحجارة التي تنزع من الأسوار يتم وضع دعامات خشبية في الفتحات التي تتشكل ومن ثم طليها بالنفط وإشعالها، مما يؤدي إلى انهيار السور، وعندئذٍ سيكون باستطاعة المقاتلين المهاجمة من خلال الفتحات التي تشكلت، وبعد مناقشة هذا الاقتراح تمّ قبوله، وفي ذلك اليوم وبعد الغداء أعطى صلاح الدين الأيوبي أمره بالبدء بالأعمال القتالية، حيث اقترب المقاتلون العرب بشكل متخفٍ من أسوار القلعة، وصعد أحد المقاتلين إلى باشورة[٢] القلعة ومن ثم تبعه آخرون إلى أن احتلوها.

**أرسل الصليبيون إشارة الإنذار وأرسلوا رسلهم إلى طبريا لطلب العون وخرجوا** إلى أسوار القلعة لخوض المعركة الدفاعية بعد أن انتهت الأعمال

---

(١) السعداوي، التاريخ الحربي المصري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧ ص١١٨.

(٢) باشورة القلعة: هي الساحة مع المنارة، كانت تستخدم لجميع الناس في أثناء السلم، أما في وقت الحرب فكانت تستخدم كمنطقة مراقبة، وكقاعدة كانت الباشورة تبرز عن خط السور.

القتالية، ومع بزوغ الفجر أمر صلاح الدين بتحريك عتاد الحصار إلى باشورة القلعة، وباستخدامهم للأبراج الخشبية بدأ العرب بفتح ثغرات في سور القلعة الذي كانت تبلغ سماكة جدرانه ١٩،٥ متراً(١) وباءت المحاولة الأولى بالفشل جرَّاء عدم احتراق الدعامات الخشبية بشكل كافٍ، واستمر العرب في محاولتهم توسيع الفتحات، وأدت المحاولات إلى انهيار السور فتوغل آلاف المقاتلين من خلال الممرات التي تشكلت، وفي ٣٠ آب احتلوا القلعة.

**وتؤكد الدراسات والكتب والمخطوطات العربية القديمة أن العرب لم يبلغوا أهدافهم المنشودة في جميع الأعمال الهجومية،** حيث انتهى العديد من هذه الحملات من دون أن تحقق أية نتيجة على الرغم من تنظيمها الجيد والكافي، ولكن هذا لا ينفي أن العدو تكبد خسائر كبيرة، بالإضافة إلى الاستيلاء على الغنائم المتنوعة، وتعود تلك النهاية السيئة للأعمال الهجومية للقوات العربية إلى الأسباب التالية:

أولاً: التنظيم الدفاعي الماهر للمدن الهامة والقلاع من الناحية الاستراتيجية من قبل الصليبيين، حيث كانت محصنة بشكل قوي وكانت لها حاميات كبيرة مؤلفة من عدة آلاف(٢).

---

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، مصدر سابق المجلد ٢، ص١٣.

(٢) كان العديد من القلاع مجهزة للحصار. لأمد طويل. على سبيل المثال: كان يوجد في قلعة المرقب كنيسة وحمام وبرك ماء، ومستودعات للأغذية - تكفي احتياطاتها خمس سنوات للحامية - ومبانٍ كبيرة ذات طابقين بارتفاع ٣٠ م، وكان يعيش في كل واحد منها حتى ١٠٠٠ رجل، وكانت حامية قلعة الكرك تتألف من ٥٠٠٠ آلاف مقاتل، وفيها اسطبل يتسع لألف جواد، كانت مساحة سور إنطاكية ١٢ ميلاً مربعاً تقريباً، وكان له ١٣٦ برجاً و ٢٤٠٠٠ تراس (انظر ابن الجيعان، شرف الدين ابن المقر ٨٥٥هـ) القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، القاهرة، المعهد الفرنسي، مخطوطة ص١٠.

ثانياً: نقص القوى والوسائط، وخصوصاً عتاد الحصار الثقيل لاقتحام القلاع.

ثالثاً: عدم إمكانية خوض حصار طويل على المدن، بسبب ابتعاد القوات العربية عن قواعدها، والخطر الكائن في شن العدو لهجمات معاكسة من الأراضي المجاورة لمكان المعركة، فقد استخدم الصليبيون في بعض الأحيان ظروفاً أخرى للمحافظة على خطوطهم في حالة عدم التماس.

**فقد كانت أعمال الصليبيين في الدفاع عن قلعة الكرك** - التي سبق وذكرناها - واضحة من حيث هذا المعنى، حيث استمرت حامية هذه القلعة التي كانت تحت إمرة القائد رينولد شاتيون في تكبيد القوافل العربية التي كانت تحميها فصائل من الخيالة خسائر ملموسة، وفي عام ١١٨٣م اتخذ صلاح الدين الأيوبي مرة أخرى قراراً بتنظيم حملة على هذه القلعة، ففي آب من ذلك العام جمع في دمشق القوى الضرورية، وأرسل إلى مصر رسالة يلزم فيها القوات المصرية بالدخول إلى الكرك، وفي تشرين الثاني عام ١١٨٣م اتحد القسمان من القوات العربية عند أسوار قلعة الكرك، وكان لدى العرب سبعة منجنيقات، وتم ضرب القلعة بوساطتها ليل نهار، غير أن وسائط الحصار لم تكن كافية للتحضير للاقتحام الحاسم، وخلال ذلك وصلت أنباء تفيد بأن الصليبيين يحشدون قواتهم في المناطق المتاخمة للكرك، فرفع صلاح الدين الحصار عن القلعة وتحركت القوات إلى دمشق.

**وفي آب عام ١١٨٤م جهز صلاح الدين مرة أخرى حملة جديدة على الكرك والشوبك،** وقد نصبت القوات التي يقودها صلاح الدين الأيوبي وابنه مظفر عدة جسور على خندق واسع وعميق حوالي ٦٠ ذراعاً[١] أمام أسوار القلعة، وقد استخدمت هذه الجسور كمخابئ أيضاً، حيث كان باستطاعة المقاتلين أن يقتربوا

---

(١) الذراع = ٠,٧ من المتر.

من سور القلعة، وخطوة بخطوة فتحوا ثغرات فيها، ومع اقتراب فك الحصار وجهت زوجة ريتوشا تينسكي رسالة لصلاح الدين الأيوبي تتوسل فيها بإعطائها هدنة قصيرة لإتمام زواج ابنها، وسلمت مع هذه الرسالة هدية إلى صلاح الدين، فأمر صلاح الدين بإيقاف الأعمال القتالية، وفي ذلك الوقت أرسل البارون الفرنجي مبعوثاً إلى القدس لتقديم المساعدة العسكرية، وبعد أن أعلم صلاح الدين باقتراب وصول القوات الصليبية بقيادة رايموند الطرابلسي وملك القدس، رفع صلاح الدين الأيوبي الحصار وأمر قواته بالانسحاب[١].

**وقد اعتبر عام ١١٨٧م عاماً حاسماً في نشر الأعمال الهجومية الفعالة للعرب،** بعد أن توغل صلاح الدين الأيوبي مع مقاتليه إلى المناطق الداخلية في مملكة القدس، وكان الدافع المباشر لبدء الحملة مهاجمة قطاع الطرق في عام ١١٨٦م ونهب قوات حامية قلعة الكرك بقيادة رينودي شاتيون للقافلة المتوجهة من القاهرة إلى دمشق، والإخلال بشروط الهدنة التي كانت سارية المفعول آنذاك بين مصر ومملكة القدس، وتؤكد المصادر الأوروبية أن أخت صلاح الدين الأيوبي كانت في تلك القافلة.

**أما المصادر العربية فلم تكشف أية إشارات لتأكيد تلك الحقيقة،** ومع كل ذلك أرسل صلاح الدين الأيوبي وفداً إلى قلعة الكرك من أجل تذكير حاكمها رينودي شاتيون بشروط الهدنة المنعقدة بينهم ومطالبته بإعادة المعدات والأموال والمعدات المنهوبة وإطلاق سراح الأسرى، لكن البارون الفرنجي رد بالجواب التالي: "بلغوا صلاح الدين الأيوبي عن لساني حرفياً، أن يدعو ربه محمداً أن يعيد له القافلة)[٢].

**وعندما أبلغ الوفد العربي صلاح الدين الأيوبي بهذا الرد أقسم صلاح الدين الأيوبي بأن يقطع رأسه،** وتوجه صلاح الدين الأيوبي إلى ملك القدس غي

---

(١) سيديو، تاريخ العرب، القاهرة، ط عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٨، صفحة ٢٦٣.

(٢) ج. ف. فولر، المعارك الحاسمة في العالم الغربي بيروت ١٩٥٨ ص ٤٢٢.

لوزيان مطالباً إياه بتعويض الخسائر التي لحقت بالقافلة وإطلاق سراح الأسرى ومعاقبة الفاعلين، لكن ملك القدس لم يجازف بالقضاء على بارونه العنصري المتعصب والانتقاص من هيبته، فما كان من صلاح الدين إلا أن استغل هذا الرفض وانتقل إلى أعمال قتالية حاسمة على امتداد الجبهة،حيث ترأس حملة عسكرية حاصر من خلالها قلعة الكرك والمشارف المتاخمة لها وأفرغ المناطق المجاورة من سكانها، وبعد ذلك اتخذ قراراً بخوض الحرب حتى التحرير الكامل للأرض العربية، حيث أعلن الجهاد في جميع الأراضي العربية، وأرسلت الرسائل إلى مصر وسورية وفلسطين والعراق مطالبة بإعلان التعبئة العامة وإعداد القوات لخوض الحرب.

**وقد حدد خلال اجتماع موسع عقده صلاح الدين مع الأمراء العرب منطقة التحشد الرئيسية للقوات العربية المتحدة في منطقة رأس الماء**[١]، وقد عين ابنه الأمير نور الدين أميراً عاماً للقوات العربية في منطقة التحشد، وأسندت إليه مهمة استقبال القوات وإعدادها للأعمال القتالية، وفي الخامس والعشرين من أيار لعام ١١٨٧م قام بإجراء تفتيش عام على القوات العربية في منطقة التحشد[٢].

**ولم يكن اختيار منطقة رأس الماء كمنطقة لتحشد القوات العربية من قبيل الصدفة**، وهذا ما تبينه دراسة المصادر القديمة، فالصليبيون لم يعطوا في بادئ الأمر أهمية لتقدم القوات العربية إلى المنطقة المذكورة، وذلك لأن علاقات طيبة كانت سائدة بين رايموند الثالث حاكم حامية طبريا وبين صلاح الدين، إذ كان الصليبيون يستبعدون تحقيق هدف معين من وراء تحشيد القوات في المنطقة المذكورة.

**وقد قسم صلاح الدين قواته إلى جيشين**، وكلف الجيش الأول بالعمل على الاتجاه الجنوبي، وكان قوامه الأساسي يتألف من التشكيلات المسلحة

---

(١) منطقة سهلية تقع في سهل حوران على بعد عشرين ميلاً شمالي مدينة درعا.

(٢) أحمد بيلي، حياة صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٦.

المصرية تحت قيادة العادل، أما الجيش الآخر والذي يتألف أساسه من القوات السورية والعراقية فكان عليه تركيز جهوده الأساسية على الاتجاه الشمالي، وكانت هذه القوات تحت قيادة الأفضل، أما صلاح الدين الأيوبي فقد كان مع قواته على الاتجاه الشمالي [١]، وقد أسندت للجيشين المهام التالية: كلف الجيش المصري العامل على الاتجاه الجنوبي بشن الهجوم من البر والبحر، حيث تهاجم القوات البرية من اتجاه العريش وتندمج مع القوات البحرية في ميناء عسقلان، وتحاصر مدينة القدس من ناحية البحر.

**أما القوات العربية المهاجمة على الاتجاه الشمالي فعليها تنفيذ المعارك الحاسمة في منطقة طبريا،** وفيما بعد احتلال عكا وتحرير المدن الساحلية بين عكا وبيروت، ومن ثم التوجه إلى عسقلان من أجل الانضمام مع الجيش المصري من أجل فتح القدس[٢]، وفي السادس والعشرين من حزيران تقدمت قوات الاتجاه الشمالي إلى منطقة الانتظار الواقعة حول بحيرة طبريا[٣]، وفي نفس الفترة حشد الصليبيون قوات كبيرة في منطقة الصفورية المحصنة بشكل جيد، وكان صلاح الدين الأيوبي يدرك أن احتلال قلعة الصفورية والمدينة المعززتين بشكل جيد يعني وضع نجاح الحرب على كف عفريت، لذلك كانت فكرته الأساسية تتلخص في تنفيذ المعارك اليومية الاستفزازية والهجمات السريعة الخاطفة على الصليبيين الأمر الذي من شأنه إجبار القوات الصليبية الرئيسية المتحصنة في قلعة الصفورية على الخروج من مناطق تحصنها إلى أراضٍ مكشوفة تنقصها التحصينات، وبالتالي يصبح من السهل تنفيذ المعركة الحاسمة وإنهاك العدو من خلال اشتباكات ومعارك صغيرة ونصب الكمائن.

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق مجلد ١١، صفحة ٣٤٠، العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي. القاهرة، دار القومية ١٩٦٥ ص ٦٩.

(٢) مفلح علي، حطين، دمشق، التوجيه المعنوي، ١٩٥٩، ص ٤٧.

(٣) العماد الكاتب الأصفهاني، الفتح القدسي، المصدر السابق ص ٧٢.

**وهنا عقد صلاح الدين الأيوبي اجتماعاً ثانياً للقيادة العسكرية استمع خلاله إلى آراء الأمراء**، وخلال الاجتماع اقترح أغلبية الأمراء وقف الهجوم والانتقال إلى إضعاف العدو استراتيجياً عن طريق الحملات ضد حامياته من دون الدخول في معركة حاسمة، على أن تخوض القوات العربية المعركة الحاسمة حسب آرائهم بعد أن يسيطر العرب على الجزء الأكبر من أراضي تلك المنطقة، في حين اقترحت أقلية من الأمراء الاستمرار بالهجوم والإسراع بخوض المعركة الحاسمة، حيث كانوا يرون أن عدم تنفيذ الخطة المتخذة سابقاً قد يؤدي إلى فقدان القوات للثقة بالسلطان ونسف الثقة بالنصر، وكان صلاح الدين الأيوبي مع رأي الأقلية فاتخذ قراراً بمتابعة بالهجوم مبرراً قراره بالقول: "إن رأيي هو ملاقاة الصليبيين، فالأحداث لا تجري بحكم البشر، ونحن لا نعلم كم سنعيش، ومن واجبنا تدمير تحشد العدو لا تشتيته"(١).

**وبدورهم كان الصليبيون يناقشون خطط أعمالهم القتالية**، وقد اقترح الأمير رايموند أمير طرابلس خطة دفاعية تعتمد مبدأ البقاء في الصفورية وانتظار هجوم العرب الذين يتوجب عليهم تنفيذ انتقال مضنٍ ومتعب عبر الصحراء إلى الصفورية مما يضعف قدرتهم القتالية، في حين طرح البارون رينيه شاتيون خطة ثانية تتلخص في أن تقوم القوات الصليبية من الصفورية بتقديم المساعدة إلى تلك القوات الموجودة في طبريا سالكة الطريق الذي يصل الصفورية بعكا، والاعتماد على خزانات المياه الموجودة في قرى ترعان ولوبيا وحطين، حيث كان الصليبيون لا يعلمون أن الأراضي الموجودة حول هذه الخزانات كانت تحت سيطرة العرب، كما تعتمد الخطة على مهاجمة مؤخرة القوات العربية وتقسيمها إلى جزئين، ومن ثم تطويقها وتدميرها(٢).

---

(١) ابن الأثير،الكامل في التاريخ، المصدر السابق، المجلد ١١ صفحة٣٤٠، ٣٤١.

(٢) ستفين رينسمان، تاريخ الحرب الصليبية، بيروت ط ١٩٦٧م دار الثقافة، مجلد ٢ صفحة ٧٣٢.

**وفي الثاني من تموز عام ١١٨٧م دخل رايموند أمير إمارة طرابلس إلى ملك القدس غي لويزيان واقترح عليه تغيير التفكير بإرسال الجيش إلى طبريا،** لأنه من الأفضل خسارة طبريا على خسارة كامل المملكة، لاسيما أن المحور الذي سيتحرك عليه الجيش لا يوجد فيه إلا نبع ماء واحد صغير، وهو لا يكفي أصغر جيش، حيث قال الأمير رايموند: "إذا تركتم هذا المكان فسيقوم المسلمون بإعاقتكم وإيقافكم، وإذا قام جيشكم بمهاجمتهم فإنهم سيصعدون إلى الجبال، حيث من المستحيل مطاردتهم، وإذا أجبرتكم القوات العربية على التوقف ماذا ستعمل قواتكم بدون ماء؟ وكيف ستحارب ضد العرب؟ وبكل تأكيد سيموت الكثير منا عطشاً، وفي اليوم التالي سيكون من السهل على القوات العربية تطويقنا ومحاصرتنا)[١]، فوافقه الملك رأيه، غير أن المقربين من الملك أقنعوه فيما بعد بتغيير قراره استناداً إلى عدم الثقة بـــرايموند الميال إلى العرب[٢].

**وكان رد رينيه شاتيون لـــرايموند: "لطالما أخفتنا بالمسلمين، وليس هناك شك في أنك تقف إلى جانبهم وتجعلهم إنسانيين،** أنت تقول إنهم كثر ولكن الحطب لا يضر النار)[٣]، وبأمر من الملك توجه الصليبيون باتجاه طبريا، وكان تعداد تلك القوات حوالي ٥٠ ألف رجل[٤]، في حين كان تعداد قوات صلاح الدين حوالي ٢٥ ألف رجل، منها ١٢ألف فارس و١٣ألف رجل مشاة[٥].

---

(١) ج. ف فولر، المصدر السابق الصفحة ٤٢٥.

(٢) عبد اللطيف حمزة، الحروب الصليبية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٩ صفحة ١٧.

(٣) العيني عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، دار الكتــب المــصرية، فــصل التاريخ دورية ١٥٨٤ صفحة ١٨١.

(٤) أبو شامة، الروضتين المصدر السابق، المجلد ٢ صفحة ٧٦.

+ ابن الكثير، البداية والنهاية في التاريخ القاهرة ١٩٣٢ الجزء ١٢ ص ١٨١.

(٥) أبو شامه، الروضتين المصدر السابق، الجزء الثاني، الصفحة ٧٦. ســتانلي لينبــول، تاريخ مصر القاهرة، الصفحة ١٩٥١ ص٢٠٤.

**وقد قرر صلاح الدين إجبار الصليبيين على تغيير خطتهم الإستراتيجية،** لذلك قام بعزلهم عن مصادر الماء، ونصب كميناً لهم في كل من ترعان ولوبيا مما أدى إلى إنهاكهم وإجبارهم على الاتجاه نحو طبريا، وقد جرى كل شيء كما أراد صلاح الدين حيث قامت القوات العربية بسحق الصليبيين قرب بحيرة طبريا عند قرية حطين.

**ويعد هذا النصر في معركة حطين فاتحة انتصارات العرب الرئيسية التي جاءت فيما بعد،** إذ أسرع صلاح الدين باحتلال أغلبية المدن الساحلية الواقعة جنوب طرابلس عكا - بيروت - صيدا - يافا - القيصرية، وكذلك القلاع الهامة الواقعة جنوب طبريا إضافة إلى الكرك والكرك مونريال، وفي النصف الثاني من أيلول عام ١١٨٧م قامت قوات صلاح الدين التي انضمت إلى جيش مصر بحصار مدينة القدس، ولم تستطع حامية القدس أن تصمد في وجه جيش يفوق تعداده الستين ألف من المقاتلين، ففتحت مدينة القدس بواباتها ودخلها العرب في الثاني من تشرين الأول، وفي نهاية تشرين الثاني عام ١١٨٨م استسلمت حامية الكرك، لتسقط الكرك ومونريال في ربيع عام ١١٨٩م وبسقوطهما لم يبق لدى الصليبيين سوى صور وطرابلس وقلعة الحصن وعدد من التحصينات الصغيرة.

**ولم تستطع الحملة الصليبية الثالثة تغيير الموقف الإستراتيجي المتشكل،** حيث فشل الصليبيون ثلاث مرات في محاولتهم للوصول إلى القدس رغم احتلالهم مدينة عكا بعد حصار طويل، ولم تفضِ محاولاتهم المتكررة لاحتلال يافا وعسقلان عن أية نتائج، وعندما ظهر خطر تهديد الصليبيين لهذه المدن، قرر صلاح الدين تدميرها وفي الثاني من أيلول عام ١١٩٢م وقعت اتفاقية سلام(١).

---

(١) زابوروف، الصليبيون في الشرق، موسكو، دار العلم، ١٩٨٠، صفحة ١٨٨.

ويمكن القول: **إن تحرير الأراضي العربية ارتكز على الإستراتيجية التي اختارها صلاح الدين الأيوبي في تنفيذ الحرب الخاطفة، والتي انحصر جوهرها في تنفيذ الهجمات السريعة، وإنزال الضربات الحاسمة بقوى الحاميات الصليبية ومن ثم احتلال المناطق التابعة للنقاط الإستراتيجية من دون أية عوائق تقريباً**[1]**، لكن هذا لا يعني أن إستراتيجية الأعمال الخاطفة تقود إلى النجاح دائماً، فعلى سبيل المثال لم يتسنَّ للقوات العربية تدمير الصليبيين من الحركة واحتلال قلعة صور، ولذلك اتخذ صلاح الدين الأيوبي أسلوباً جديداً لخوض الأعمال القتالية، يتلخص مضمونه في تنفيذ الهجمات المتسلسلة على مواقع العدو، حيث قام صلاح الدين بتقسيم قواته إلى ثلاثة أجزاء محدداً لهم أسلوب عملهم على الشكل التالي:**

يقوم الجزء الأول من القوات في البداية بالهجوم على الصليبيين، وفيما بعد وفي الوقت المحدد (ساعة الصفر) يقوم الجزء الثاني من القوات بالهجوم، وبعد ذلك تقوم قوات الجزء الثالث بالهجوم أيضاً، وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب المستخدم لم يؤدَّ إلى النصر بسبب الدفاع الصليبي المنظم بشكل جيد، والمساعدات التي كانت تصل إليهم عن طريق البحر، والأعمال غير الحاسمة التي كان يقدمها بعض الأمراء العرب الذين كانوا يرغبون في رفع الحصار.

**وقد اعتبر هذا الأسلوب في الأعمال الهجومية أسلوباً جديداً في فن حروب القرون الوسطى**[2]، ولابد من الانتباه هنا إلى أعمال القوات العربية المسلحة في أثناء القيام بالحملات، حيث كان للقوات تنظيم صارم في ترتيب الحملات، وكان الترتيب الكامل يتألف من الطليعة والقوى الرئيسية والمؤخرة[3]، فطليعة القوات كانت تتألف من الخيالة الخفيفة، وكانت تتحرك عادة على عدة كيلومترات أمام القوى الرئيسية مخصصة جزءاً من قوامها

---

(١) الدكتور نظير السعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الـدين الأيـوبي، نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧، ص٤٨.

(٢) العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة، المعرفة ١٩٧٥، صفحة ٤٨.

(٣) انظر الملحق رقم ٤.

على شكل فصيل استطلاعي لدراسة الأرض ومراقبة العدو، أما أعلى رأس القوات الرئيسية فكان مؤلفاً من خيالة مجنباتها محمية من قبل مشاة كانوا لا يتأخرون عن الفرسان في أثناء السير.

**وكانت قوى المشاة تتبع الخيالة، وكانت الإبل المحملة بالمؤن والعتاد تتوسط - رتل المسير - وخلف المشاة كانت تسير الجمال المحملة بالعتاد والحجارة،** وكانت تختتم القوات الرئيسية بمشفى ميداني، أما مؤخرة الرتل القتالي فكان محمياً بالمؤخرة، وعند توقف القوات العربية لمدة طويلة كان يجهز معسكراً محصناً محمياً من جميع الجهات بالسواتر الترابية والخنادق التي تهدف إلى حماية الجيش من الخصم إضافة إلى عدم السماح بفرار المقاتلين ورفض تنفيذ التعليمات العسكرية(١).

**ويبين تحليل الأعمال القتالية للقوات المسلحة العربية أن النجاح في الحرب كان يتعلق إلى درجة كبيرة بالتدابير الخاصة بتأمين الأعمال القتالية،** فقد كان نظام الإمداد لدى العرب جيداً جداً، حيث كانت القوافل تؤمن نقل السلاح والمعدات من دمشق والقاهرة إلى المدن الأخرى حيث نظمت قواعد التخزين هناك وبشكل دائم، كما كانت الأسلحة المستولى عليها على شكل غنائم تستخدم على نطاق واسع.

**حيث كان السلطان والأمراء يوزعونها على مرؤوسيهم، كما كانت القوات المسلحة تقوم في أثناء سير الأعمال القتالية** بتأمين نفسها بالتعيينات والأعلاف عن طريق شرائها من السكان المحليين، إضافة إلى ذلك كان يوجد في الحاميات الكبيرة مستودعات للتموين احتوت على احتياطات تكفي لعدة سنوات، إذ كانت الضرائب المأخوذة من السكان التي يجمعها حكام المناطق تشكل رأس المال اللازم لتعبئة هذه المستودعات(٢).

---

(١) دولبروك، تاريخ الفن العسكري، موسكو دار المنشورات العسكرية، ١٩٥٨ الجزء ٣، ص١٥٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، القاهرة، ١١٠٣هـ، الجزء ١٠، ص ١٠٠.

**كما استخدم أسلوب مصادرة جزء من المحاصيل الزراعية للفلاحين بهدف استكمال الاحتياطيات،** كما القوات تستكمل احتياطياتها التموينية والاحتياطيات الأخرى من المستودعات والقوافل الصليبية بعد الاستيلاء عليها.

ومن السمات التي تميز بها تأمين القوات تنفيذ الاستطلاع والحصول على معلومات ذات أهمية إستراتيجية عن العدو، حيث كان يتم إرسال الجواسيس إلى مناطق انتشار الحاميات الصليبية بعد انتقائهم بشكل خاص، وكان يتم إرسالهم في جميع الاتجاهات تحت غطاء التجار والمواليين والرحالين والدراويش بهدف جمع المعلومات المختلفة والكاملة عن العدو(١).

**وتؤكد المصادر العربية أن المعلومات التي تم الحصول عليها من الجواسيس قد ساعدت مراراً السلطان والأمراء في الخروج من مواقف صعبة للغاية،** فعلى سبيل المثال في أثناء الحملة الصليبية الثانية عندما حاصرت القوات العربية دمشق في ٢٣ تموز عام ١١٤٧م لم يكن يخفى على حكام دمشق الخلافات التي نشأت بين الصليبيين، مما سمح لهم بتوجيه رسالة سرية لملك القدس بودوجون الثالث، لدفع فدية ورفع الحصار عن المدينة(٢)، وهذه المعلومات تم الحصول عليها من الجواسيس، كما تشير المصادر العربية إلى أن صلاح الدين الأيوبي اطّلع على خطط قوات ملك القدس لوزيان المتمركزة في الصفورية وأوقات انطلاقها إلى منطقة طبريا(٣).

**كما أولى الأمراء العرب اهتماماً كبيراً لنظام سرعة إيصال الأوامر والتعليمات لقواتهم،** وكذلك الحصول الفوري على المعلومات عن العدو

---

(١) نظام الملك، السياسية التامة، بيروت ١٩٦١، ص ١٠٠.

(٢) سيد فرج، قادة الحرب العرب، القاهرة، ١٩٥٨، صفحة ١٧٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، الجزء ١١، الصفحة ٣٤٣.

والأعمال القتالية، حيث كان يوجد بريد جيد بشكل كافٍ في الأراضي العربية، فالمراسلون(سعاة البريد) كانوا رجالاً يستحقون الثقة وكانوا مشاة وراكبين واستخدموا الخيول والجمال والبغال، وكان المراسلون يتقاضون رواتب شهرية، وللدلالة عليهم كانت تقص أذناب خيولهم وبغالهم، وكان يشرف على عملهم شخصيات محددة، أما المراسلون المشاة فكانوا يقطعون مسافات كبيرة وكانوا يتقاضون مقابل ذلك الوقت تعويضات كبيرة تزيد عن رواتب الناس العاديين، وتشير بعض المصادر إلى أن مراسل البريد كان يقطع المسافة بين حلب ومصر خلال أربعة أيام[١].

**وبدءاً من عام ١١٧١م**[٢] **تم تنظيم بريد الحمام الزاجل الذي اختصر إلى حد كبير زمن إيصال المراسلات البريدية**، حيث كان الحمام الزاجل يقطع خلال ٤ ساعات مسافة تحتاج إلى ٢٠ يوماً سيراً على الأقدام، وقد كان يوجد مركز البريد الزاجل في جميع الحاميات التي تقع على الحدود مع الصليبيين وفي المدن والقلاع ذات الأهمية الإستراتيجية، فبفضل الحمام الزاجل كان يطلع السلطان صلاح الدين الأيوبي على الموقف والأعمال القتالية في أية بقعة من الأرض التابعة له في نفس اليوم التي تحدث فيه الأحداث.

**كما تعلق نجاح الجيش البري العربي والقسم الرئيسي من القوات المسلحة إلى حد كبير بالتعاون الناجح مع الأسطول البحري**، إذ تسنى للصليبيين في بداية القرن الثاني عشر عزل الأسطول المصري الذي كان يضم عشر سفن حربية قتالية عن مرافئ شرقي البحر الأبيض المتوسط،، حيث بسط الصليبيين سيطرتهم الفعلية على كامل الشاطئ الساحلي.

---

(١) نظام الملك، المصدر السابق، صفحة ٨٩، ١٠٠.

(٢) سنة ٥٦٧هـ، ونور الدين هو أول من اتخذ الحمام الزاجل للبريد وليس صلاح الدين لأنه لم يكن سلطاناً في ذلك العام ١١٧١م – ٥٦٧هـ. انظر: الروضتين: ٢٢٩/٢.

**غير أنه لم تبقَ مدينة ساحلية من دون أن تتعرض لهجوم السفن المصرية التي أبدت تأثيراً عليها** من خلال الهجمات التي كانت تشنها عدة مرات في السنة[1]، فبعد أن أدرك صلاح الدين الأيوبي استحالة الصمود في وجه الصليبيين بقوى الجيش البري فقط في المناطق الساحلية، اتخذ تدابير خاصة بتعزيز الأسطول البحري العربي، حيث أمر ببناء سفن حربية في ميناء ماكس في مصر وعيَّن الشيخ حسام الدين لولو الأخصائي المشهور في الأمور البحرية أميراً للقوى البحرية.

**كما خصص مبالغ مالية كبيرة لانتقاء مقاتلي الأسطول،** على أن يكونوا في الغالب من الجزء الإفريقي العربي ومن البحارة ذوي الخبرة، وقد احتل أسطول السلطان المجدد والمفرز في عام ١١٩٠م جزيرة أرواد، وفي عام ١١٧٩ م تم احتلال عسقلان بالجهود المشتركة التي وجهها الجيش البري والأسطول، واشتركت قوى الأسطول فيما بعد في تحرير كافة المدن الساحلية.

وبهذا يمكن استخلاص الاستنتاج التالي: لقد تقيد الأمراء العرب - وكقاعدة - بحزم بمبادئ خوض الحرب التي حددتها القيادة العسكرية العليا، ففي مرحلة تقسيم الأرض العربية كان الدفاع هو الشكل الأساسي للأعمال القتالية العربية ضد الصليبيين، إذ لم يتسنَّ للمسلمين في النصف الأول من القرن الثاني عشر تشكيل جبهة موحدة لصدِّ الغزو الصليبي.

**وبدءاً من عام ١١٢٦م نلاحظ توجهاً نوعياً إلى الارتقاء بتوحيد الجهود العربية في صراعهم ضد الصليبيين،** وذلك عندما اخضع عماد الدين الزنكي - أمير الموصل لسلطته عدداً من الإمارات في بلاد ما بين النهرين وشمالي سورية، وقد سمح هذا بإنزال خسارة كبيرة وملموسة بالعدو الصليبي واحتلال أديسيا، كما ارتبط الانتقال إلى الأعمال الهجومية الفعالة لتحرير الأرض العربية المحتلة بالنشاط العسكري للسلطان صلاح الدين الأيوبي، فخلال فترة حكمه

---

(١) م. آ. زابوروف، الصليبيون في الشرق، مصدر سابق، موسكو، ص ١٣٨.

اعتبرت الأعمال القتالية الهجومية الشكل الأساسي للجهود العسكرية العربية، وكانت هذه الأعمال ممكنة بفضل مركزية قيادة القوات المسلحة.

**كما أصبحت الحملات العسكرية الأسلوب الأساسي في خوض القوات العربية للهجوم والتي كان هدفها الأساسي احتلال المدن والقلاع الهامة من الناحية الإستراتيجية**، وقد كان الإعداد للحملات العسكرية العربية يتم بشكل دقيق، إذ كان يتم تأمين القوات المشاركة في الحملات العسكرية بجميع الوسائط اللازمة لخوض الحرب، بالإضافة إلى وجود نظام اتصال دائم وحفاظ القوات العربية في أثناء قيامها بالحملات على ترتيب قتالي محدد.

**وكان يسمح لها بالدخول في المعركة خلال فترات زمنية قصيرة، وكان العرب يسعون إلى معركة حاسمة وفاصلة ضد العدو على أرض مكشوفة**، حيث كان باستطاعتهم استخدام المناورة العالية بالقوات ضد العدو بشكل كبير والمعرفة الجديدة لمنطقة الأعمال القتالية، لكن غالباً ما كانت القوات العربية تلجأ إلى حصار المدن والقلاع الصليبية أيضاً، معتمدة بذلك على إشراك قوى الأسطول في الأقاليم السياحية بهدف تحقيق هدفها، وقد سمح الهجوم الفعال للقوات المسلحة العربية العاملة على الاتجاهات الإستراتيجية الجنوبية والشمالي لصلاح الدين الأيوبي بتحرير الأراضي العربية من الغزاة الصليبيين باستثناء بعض المناطق الصغيرة المساحة.

### تاسعاً - تكتيك الأعمال القتالية في التشكيلات المسلحة العربية:

**تطور تكتيك التشكيلات المسلحة العربية بفضل ارتباطه الوثيق بتطور** الإستراتيجية واشتراط ذلك بتحسين البنية التنظيمية للقوات وزيادة إمكانية تجهيزها وإمدادها، وتراكم الخبرة القتالية في الصرع ضد الصليبيين، وإظهار المقاتلين العرب للروح العالية والمهارة العسكرية.

**وقد استخدمت القوات العربية** في الحروب الصليبية مختلف الأساليب التكتيكية وطرق الأعمال القتالية بهدف إحراز النصر على الأعداء، حيث استخدم العرب أشكال الأعمال القتالية التالية المختلفة هجوم، دفاع، معركة تصادمية، انسحاب.

**ولا بد من الإشارة إلى أنه استخدم علمياً في كبريات المعارك ضد الصليبيين الأشكال التكتيكية المذكورة آنفاً**، وبما أن الخيالة العربية كانت تشكل الصنف الأساسي في القوات العربية - كما ذكرنا سابقاً - فإن المناورة العالية كانت السمة التي ميزت تكتيك القوات العربية عن غيره، هذا وتؤكد المخطوطات والكتب القديمة التي دوَّنها المشاركون في تلك المواقع والمعارك ضد الصليبيين استنتاجاً مفاده أنه - وكقاعدة - كانت تسبق المعركة أعمال محددة تهدف إلى الإعداد والتحضير لتلك المعركة، إذ كان يتوجب على أمراء الجيش تأمين المقاتلين بكل ما هو ضروري للمعركة واختبار جاهزيتهم.

**ولتحقيق هذا الهدف وقبل الخروج إلى ميدان المعركة كان مقاتلو "الأطلاب" الوحدات يحصلون على السلاح واللباس من "الدرخانة"** مستودعات الإمداد والتموين وعلى مبالغ محددة من المال كي يستطيع المقاتل شراء حاجياته الضرورية اللازمة في المعركة مثل المواد التموينية - الغذائية والعلف للخيول- من التجار الذين كانوا يفتحون حوانيتهم في الأسواق العسكرية المتواجدة في مناطق توضع القوات، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أسعار السلاح والسلع التموينية الغذائية كانت متفاوتة بشكل كبير تبعاً للموقف والنجاحات القتالية لدى العرب، كما كان كل أمير مسؤولاً عن جاهزية طلبه "وحدته" للمعركة.

**وبهدف رفع الروح المعنوية كان يتم تعيين مقاتلين لقراءة سور من القرآن بصوت مرتفع مذكراً** الجميع بأن الله سيعاقب كل من يفر من ميدان المعركة

وكل من يبدي خوفه وتردده[١]، كما كان العرب قبل المعركة ينظمون وينفذون استطلاع الأرض والعدو، وكان البحث والكمين شكلين أساسيين للقيام بالاستطلاع، إذ كان الأمراء العرب ينفذون أحياناً الاستطلاع عنوة بغية الحصول على معطيات حول عدد القوات الصليبية وجرهم للمعركة في قطاعات الأرض غير الملائمة للصليبيين[٢].

**ومن أجل تنفيذ المهام المسندة تمّ تشكيل مفارز استطلاع، حيث كان القادة يحددون قوامها في كل حالة معينة تبعاً للموقف،** إذ كان يُعيَّنُ في مفارز الاستطلاع مقاتلون ذوو خبرة كبيرة في العمل العسكري، وكانوا يحملون أسلحة خفيفة فقط، وكان عناصر الاستطلاع لا يرتدون الدروع ولا يأخذون معهم التروس، وإنما كان بحوزة كل منهم ما لا يزيد عن ٢٠ سهماً، وبالإضافة إلى ذلك كان يتم انتقاء الخيول بشكل خاص، حيث كان يشترط أن تكون هادئة ومن جنس واحد كي لا تصهل الخيول، كل هذه الشروط كانت ضرورية في أثناء إرسال مفرزة الاستطلاع للقيام بتنفيذ كمين، وكان يتم تعيين قائد المفرزة من بين المقاتلين الأكثر شهرة وتميزاً بالثقة والحذاقة والذكاء والجرأة.

**أما المهام الأساسية للبحث فتتلخص في استطلاع الأرض وتدقيق المعطيات حول عدد قوات العدو وأماكن توضعها ونواياها وأسر أحد الغزاة أو الاستيلاء** على عتاد ما أو فتح ثغرات في أسوار القلعة، أما الكمين فكان أخذ الأسرى المهمة الرئيسية له، إذ كان يتم اختيار وقت مظلم من يوم تكون فيه الرياح قوية، وكان يتم اختيار مكان الكمين بحيث تسمح

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، القاهرة، المجلد ٥، صفحة ٣١٤.

(٢) الأصفهاني عماد الدين، الفتح القدسي، بيروت، دار الأمل الجديدة، ١٩٧٨، صفحة ٤٢.

+ الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، القاهرة ١٢٢٣ هجري صفحة ٤٧.

+ ابن شداد النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية ١٣١٧ هجري، الصفحة ١٢٥.

تضاريس الأرض بتأمين التمويه كحد أقصى ويكون ملائماً لوصول المقاتلين، ويتوفر فيه الماء والعلف للخيول، وكان يحظر على عناصر مفرزة الاستطلاع القيام بالصيد أو إشعال النار.

**وتصف المصادر والمراجع القديمة الكمائن التي تم تنفيذها وتخطيطها بشكل سليم**، ومنها كمين جبل تبنين: حيث علم صلاح الدين الأيوبي في عام ١١٨٨م -٥٨٥هـ أن الصليبيين اعتادوا على الخروج إلى جبل تبنين لجلب الحطب وجمع الأعشاب، لذلك أمر قائد القوات الموجودة في منطقة الجبل بتنظيم كمين.

**وبما أن الصليبيين كانوا يصعدون الجبل تحت حراسة مفرزة،** لذلك تطلب الأمر إشراك قوة كبيرة يصعب تمويلها وذلك بهدف سحق الصليبيين وأسرهم، لذا فقد قرر صلاح الدين الأيوبي اللجوء إلى الخدعة، فأمر بتنظيم الكمين عند سفح الجبل محدداً قوة مكونة من ثمانية أطلاب لأجل ذلك، إذ كان يتوجب على عشرين مقاتلاً من قوام هذه الأطلاب بتمثيل قيامهم بأخذ أسرى من الصليبيين، ومن ثم الانسحاب أمام العدو إلى المكان الذي نصب فيه الكمين من قبل تعيين القوة، وفعلاً تم كل شيء بحسب الخطة التي وضعها العرب، أما الصليبيون المتفوقون بالقوات والذين انطلقوا لمطاردة المقاتلين العرب، فقد وقعوا في الأسر حيث تمّ سحقهم بالكامل أو أسرهم[(١)].

**وكان يتم تجهيز مفارز خاصة، بالإضافة إلى مفارز الاستطلاع**، للعمل في منطقة توضع العدو ومؤخرته، وكانت هذه المفارز تهاجم معسكرات الصليبيين وقوافلهم بغية تدميرها، وبث الذعر في صفوفها، وغالباً ما كانت تتم هذه الغارات عند الفجر أو في الليل، وعند القيام بالأعمال القتالية ليلاً كان العرب يشركون البدو الذين يعرفون المنطقة بشكل جيد بصفة أدلاء[(٢)].

---

(١) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، القاهرة، الأزهرية، ١٩٣٣م، مجلد ١، صفحة ٥٦.

+ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين المجلد ٢، صفحة ١٤١، مصدر سابق.

(٢) أبو شامة، الروضتين، المصدر نفسه، المجلد ٢، الصفحة ١٢٥.

**وقد أولى الأمراء العرب جلَّ اهتمامهم لبناء تراتيب القتال لقواتهم**، وكانت هذه التراتيب تتغير في أثناء سير الحروب، نتيجة للخبرة القتالية المتراكمة لديهم، والأخذ بعين الاعتبار مجريات الموقف المتشكل وطبيعة الأرض وأعمال العدو، أما في منتصف القرن الثاني عشر فقد ظهرت نزعة سعي العرب إلى المحافظة على تراتيب القتال على شكل خطوط والتي استخدمها العرب بنجاح في فترة الفتوحات الإسلامية التي جرت في الفترة الواقعة ما بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين[١].

**وقد أشار ابن العديم في كتاباته إلى استخدام تراتيب القتال هذه[٢] غير أنه في تلك الفترة تأكد وبشكل راسخ ترتيب قتال القوات العربية الذي يحتوي على خمسة عناصر أساسية هي**: المقدمة: الطليعة، الميسرة، الميمنة، القلب، والمؤخرة الساقة[٣]، وتضم المقدمة في قوامها أكثر الفرسان شجاعة وقوة، وكان من مهامها صد أول غارة معادية والعمل على نشوب المعركة، أما الميمنة والميسرة فهما الجزءان الأساسيان للقوات العربية، وكانت تسند إليها مهمة مهاجمة العدو بهدف إنزال الهزيمة به، والقاعدة العامة في ذلك أن يتم بدء الهجوم بإحداهما ثم يتبع ويُطور بهجوم الأخرى، في حين كان القلب مكان توضع القائد والأطلاب التي تتبع إلى قيادته مباشرة والأركان، وقد اعتاد العرب أن يضعوا القلب على ارتفاع مسيطر بشكل دائم حتى يتسنى للقائد مراقبة سير المعركة وتصحيح تكتيك قواته، وكان القائد يستخدم مقاتلي القلب من أجل تعزيز قوات الميمنة والميسرة، وإذا اقتضى الأمر يُشارك القائد شخصياً في المعركة[٤]، أما رايات الجيش فكانت لحماية مؤخرة القوات.

---

(١) انظر الملحق رقم ٥، المخطط رقم ١.

(٢) ابن العديم كمال الدين، زبدة الحلب في تاريخ حلب، دمشق ١٩٥١م، مجلد ٢، صفحة ٣٩١.

(٣) انظر الملحق رقم ٥، المخطط رقم ٢.

(٤) أحمد علي إسماعيل، تاريخ السلاجقة، دار الفكر بيروت، ١٩٨٢، ص١٣١.

**وقد ساعد** استخدام هذا الترتيب العرب كثيراً لاسيما في حال التفوق الكبير لقوات العدو، حيث كانت تتم التغطية بانسحاب المقدمة باتجاهات مختلفة، وبحسب الموقف المتشكل كان يتم بنجاح تنفيذ قوى الميمنة والميسرة موجهة ضرباتها إلى مجانب ومؤخرة قوات العدو.

**وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر حصل تطور لاحق في هذا الترتيب القتالي الخماسي** - هكذا كانوا يسمونه آنذاك(١)، حيث أصبح يتألف من المقدمة، الميمنة الميسرة، القلب والساقة، ومن حيث الجوهر كانت عناصر ترتيب القتال تتلخص في تلك الوظائف التي وُضعت في عهد السلجوقيين، أما التغيير المبدئي فقد حصل في عهد الأمويين حيث أصبحت الميمنة والميسرة تقسم إلى قسمين، وسميت باليد اليمنى للمجنبة واليد اليسرى للمجنبة، وقد زاد هذا التقسيم القدرة على المناورة إلى حد كبير، وزاد كذلك من إمكانية استخدام مختلف أساليب تنفيذ المعركة، وقبل كل شيء في تطويق العدو(٢).

**وقد اعتبر المشاة دعامة الترتيب القتالي**، وكانت مهمتهم الرئيسية دعم الخيالة، حيث كان تعاون المشاة والخيالة يؤمن النجاح في المعركة، كما كان العرب يسعون للقتال كالبنيان المرصوص، ومن حيث الشكل كانت تراتيب القتال تتغير في أثناء سير المعركة في الحروب الصليبية.

**وهذا ما كان يعد نتيجة للخبرة المتراكمة في الصراع ضد مختلف الأعداء**، وقد تحدث مخطوط عربي مجهول المؤلف، مكتوب في نهاية القرن الثالث عشر عن سبعة أشكال تبنى بموجبها تراتيب قتال القوات(٣)، ويتجسد الشكلان

---

(١) انظر الملحق رقم ٦.

(٢) يوجد وصف لهذا الترتيب القتالي في القوات العربية في مذكرات عن إحدى كبريات المعارك التي جرت في مدينة عكا عام ١١٨٩.

(٣) الطرابلسي، تحفة المجاهدين في العمل في الميادين، حلب، المكتبة الأحمدية رقم ١١٧.

الأوليان على شكل هلال، فالشكل الأول على شكل هلال مع الطرفين، أما الهلال الثاني فيتميز بأن كل قوس لكلا الصفين الجانبيين والمؤخرة كانا ذات طرفين مستقلين، أما طرفا القوس الكبير فيبرزان عن القوس الأصغر بمقدار ربع المسافة بين طرفي القوس الصغير.

**أما عدد الأنساق في المركز فيجب ألا يكون كبيراً**، وتقوم المجانب الحادة بتنفيذ وظائف الفصائل المفارز المخصصة للكمين، في حين كان على فصائل المجنبات أن تهاجم العدو بسرعة أكبر من سرعة المركز، وذلك لإحكام طوق الحصار حول العدو ويشتمل ترتيب القتال الهلالي على مبادئ الخدعة العسكرية بهدف تطويق العدو.

أما الشكل الثالث، فهو المربع الذي يجب أن يكون العرض فيه مساوياً للعمق فإذا كان العرض يساوي ميلين، فإن العمق يجب أن يكون على ميل واحد، وبهدف تأمين أعمال ترتيب القتال كان يخصص على المجنبات كمائن تتألف من عدة فصائل مفارز.

أما الشكل الرابع فقد كان على شكل هلال مقلوب، ويضمن هذا الترتيب القتالي سهولة تحرك الكمائن أمام المجنبات، إذ كان يهدف ذلك إلى حرمان العدو من كشف وملاحظة الكمائن التي غالباً ما تتقدم القوات.

أما الشكل الخامس فهو المعين، ويكون هذا الترتيب كبيراً في أثناء العمق غير العريض، ويمتاز هذا الترتيب القتالي ببساطة البنية وهو الأقل تعرضاً للتغيرات في أثناء بعثرة الصفوف، وقد كان يستخدم في حال التفوق العددي للعدو، أو عندما تنخفض الروح القتالية للجنود وذلك لأن الاصطفاف على صف عريض واحد يشكل انطباعاً بأن حجم القوات كبير مما كان يرهب الصليبيين ويبث الذعر في نفوسهم.

أما الشكل السادس فهو نصف المعين، ويكون فيه عرض ترتيب القتال أقل من عمقه، فإذا كان العرض ميلاً واحداً فالعمق يكون ستة أميال، لذا كان هذا

الترتيب يسمح بالصمود في الدفاع وتصعيد الجهود بشكل دائم على جبهة الهجوم.

أما الشكل السابع فهو الدائرة، وكان يستخدم في حالة محدودية ميدان المعركة والتفوق العددي الكبير للعدو، وذلك بهدف إقامة دفاع دائري، وكان هذا الشكل من ترتيب القتال يؤمن التعاون الجيد والدعم المتبادل للوحدات العربية، كما أنه كان يسمح للقوات الصغيرة بإنزال خسائر كبيرة في صفوف الصليبيين، غير أن ترتيب القتال هذا اعتبر غير ملائم مطلقاً لإحراز نصر كامل.

**وقد تميزت جميع تراتيب القتال العربية بسمة مميزة وهي** إمكانية تنفيذ الأعمال القتالية الفعالة، والسعي لتطويق العدو وقتاله عبر هذا التطويق، وفي الوقت نفسه كان الخروج من التطويق في وضع ترتيب القتال للقوات شبه مستحيل، ويمكن القول إن تطور تراتيب القتال عند العرب إبان الحرب الصليبية يثبت عدم صحة ودقة الرأي القائل: إن قوات الخيالة في الشرق لم تكن قادرة على خوض المعركة الصحيحة، هذا القول الذي طرحه فريدريك أنجلز[١].

**كما أن دراسة الأعمال القتالية التي جرت على أراضي الخلافة العربية** في عهد السلجوقيين والأيوبيين وأشكال تراتيب القتال تدحض ذلك القول، فقد_استخدمت القوات العربية مختلف أساليب خوض المعركة، كما أن الحركية العالية التي تميز بها العرب، والتي تم تحقيقها بفضل الصفات العالية للخيول العربية وخفة السلاح والعتاد مكنت العرب من اختيار الخطة المناسبة للاشتباك مع العدو، وبكلمات أخرى كانت هذه الميزات تسمح للعرب بتحديد وقت بدء المعركة، وكما ذكرنا سابقاً فإن الصليبيين كانوا يحاولون إحراز النصر على حساب زج الخيالة الثقيلة في المعركة ضمن تراتيب قتالية عميقة.

---

(١) فريدريك أنجلز مقالة من (الموسوعة الأمريكية الجديدة)،

كارل ماركس وفريدريك أنجلز، المؤلفات، الطبعة الثانية، مجلد ١٤، صفحة ٣٠٤.

**لكن العرب كانوا يتحاشون مجابهة تراتيب قتال الصليبيين هذه**، مستخدمين بذلك تكتيك الكر والفر وأسلوب الدمج بين الهجوم والانسحاب، فعندما كان الصليبيون يزجون بالخيالة الثقيلة في المعركة كان العرب يسارعون إلى الانسحاب السريع من ميدان المعركة في لحظة الزج المعادي، ولم يكن في مقدور الخيالة الصليبية الثقيلة القيام بالمطاردة، وعندها يلجأ الفرسان الصليبيون إلى وقف الهجوم، وهنا ينتظر العرب تبعثر تراتيب قتال الخيالة الصليبية الثقيلة أو هجومهم الحاسم والسريع على العدو(١).

**وتجدر الإشارة إلى أن العرب استخدموا في تكتيكهم المناورة مثل انسحاب القوات وكانوا ينفذون ذلك بأشكال مختلفة تبعاً للموقف، ففي بعض الأحيان كان يستمر الانسحاب عدة أيام بهدف جر واستدراج** قوات الصليبيين وإبعادها عن قواعدها(٢)، وتعد معركة الدربين ١١٧٦م أفضل مثال على الانسحاب المنظم للقوات العربية الناجح(٣)، حيث قام الصليبيون تحت قيادة أماليك بملاحقة القوات العربية المسلحة مدة طويلة، وكانت القوات المسلحة تحت إمرة شيركوه، وكان صلاح الدين الأيوبي في إمرة هذا القائد، حيث قرر شيركوه استخدام طبيعة الأرض من أجل إنزال ضربة بالعدو وقام بالانسحاب إلى داخل الصحراء مختفياً خلف الهضاب والمرتفعات، وعند اقتراب القوات الصليبية نفذ مناورته بالهجوم على مجانب ومؤخرة أرتال العدو في المسير مما سمح له بإنزال ضربة ساحقة بهم(٤).

---

(١) آ. ر. سي سميل، فن الحرب عند الصليبيين، دمشق مركز الدراسات العسكرية ١٩٨٢، ص١٣٤.

(٢) ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، دورية ١٥٢٢ ص ٨٧.

(٣) انظر الملحق رقم ١٠.

(٤) ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، دورية ١٣٤٣، الورقة ١٤٧.

**وغالباً ما كان الأمراء العرب يقومون بتنظيم انسحاب الكمائن،** فلكي يتم إيقاع الصليبيين في كمين تمّ نصبه مسبقاً، كان هؤلاء الأمراء يرسلون قوة صغيرة من الخيالة للهجوم على العدو بهدف تحريض الرغبة لديه في تدمير هذه القوة الصغيرة بقواهم المتفوقة وملاحقتها، وبعد اشتراك الخيالة العرب في المعركة بفترة قصيرة، كانوا ينسحبون باتجاه الكمين، حيث كانت تتمركز القوى الرئيسية المموهة بشكل جيد، وفي الكثير من المعارك حقق انسحاب الكمائن نجاحات كبيرة للعرب[١].

**وقد اعتبرت المناورة العالية للقوات العربية القاعدة التي سمحت للعرب القيام بالأعمال الهجومية الهادفة إلى تطويق العدو** عن طريق الالتفاف حول مجنبات ومؤخرة العدو، ولتحقيق هذا الهدف بالذات - كما أشرنا سابقاً - كانت القوات الرئيسية في تراتيب القتال تتوضع على المجنبات، فبعد اختيار اللحظة المناسبة للهجوم كان العرب يبدؤون التفافهم حول مجنبات العدو وإحاطته محاولين إتمام إحكام طوق الحصار.

وقد استخدم العرب - وحسب شهادة المشاركين في الحروب الصليبية - وعلى نطاق واسع المناورة الهادفة إلى تطويق قوات العدو حتى في حال تفوق العدو بالقوى والوسائط[٢]، حيث استخدم العرب إبان حروبهم ضد الصليبيين أسلوب تطويق لم يكن معروفاً سابقاً ألا وهو مهاجمة العدو.

**- مهاجمة العدو بفصائل الخيالة من عدة اتجاهات في وقت واحد[٣]:**

**ومثال ذلك التطويق معركة سحط الدامية التي وقعت في ٢٨ تموز** عام ١١١٩م في منطقة جبلية تقع بين إنطاكية وحلب، حيث قامت قوة

---

(١) أسامة ابن المنقذ، الكناني، الاعتبار، دمشق ١٩٣٠، صفحة ٢٦٣، مصدر سابق.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، القاهرة ١٩٣٦، صفحة ١٢٨، مصدر سابق.

(٣) آر. سي سميل، المصدر السابق، الصفحة ١٣٦، مصدر سابق.

سلجوقية تحت قيادة إيلغازي بحملة عسكرية باتجاه إنطاكية من مدينة ماردين، وعندما سمع روجر دوق إنطاكية عن تلك الحملة، قرر الدخول في المعركة ضد السلجوقيين على مشارف المدينة مستخدماً أسلوب المفاجأة، ومن دون أن ينتظر جميع قواته، قام على رأس قوة تتألف من ٧٠٠ فارس و٣٠٠٠ رجل مشاة بملاقاة القوة السلجوقية، حيث تم اختيار شعب جبلي مكاناً لخوض المعركة الحاسمة.

**حيث اعتقد روجر أن المكان المحدود من شأنه أن يقيد إلى درجة كبيرة** فعالية المناورة من قبل مجانب ومؤخرة الخيالة السلجوقية الخفيفة، وبالتالي تساعد على تنفيذ الهجوم الحاسم للخيالة الصليبية الثقيلة، وقد نظم روجر قوته في خمسة كراديس تحت إمرة قادة عسكريين أكفاء هم روبرت ديسيميو، غي، فرانكايل، رنوى منصور، الراهب بيوتر، إذ كان عليهم مهاجمة العدو على حين غرة، ومن ثم يصعّد الجهود بزج الكراديس في المعركة بشكل متتابع.

**غير أن الاستطلاع السلجوقي كشف تقدم القوات الصليبية لذا أمر إيلغازي السلجوقي بتقسيم قواته إلى فصائل مستقلة**، وكانت منتشرة ومموهة في الوهاد المشرفة على الشعب الجبلي المتواجد على مدخل ومخرج الشعب، وعندما دخلت القوات الصليبية في الشعب الجبلي المذكور نفذ هجوماً بالخيّالة من عدة اتجاهات، بهدف تطويق العدو وتدميره، وقد نجحت خطة إيلغازي ودمر الصليبيين وأسر الكثير منهم وقتل البقية وكان من بين القتلى روجر[١].

**وغالباً ما استخدم العرب في صراعهم ضد الصليبيين أسلوب الهجوم من الحركة على العدو الموجود في أثناء المسير** وإجباره على خوض معركة ضمن ظروف ليست في صالحه، ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسلوب لم يكن معروفاً من قبل في الغرب، فالصليبيون كانوا دائماً يرغبون ببدء المعركة فقط

---

(١) ا. رس، سميل، المصدر السابق، الصفحات ٦٣، ٦٧، ٨٩، ١٢٨.

من خلال ترتيب قتال منظم بشكل مسبق، وقد تسبب حرمان الصليبيين من بناء ترتيب القتال، ومهاجمة الأرتال في المسير من الحركة، وخاصة من المجانب والمؤخرة، بمشاكل كثيرة للقادة الصليبيين ولم يجدوا لها حلاً[١].

**وكان اعتماد العرب على النبالة السمة المميزة لتكتيكهم،** حيث كانت أغلبية النبالة العرب من الخيالة الراكبين ومن كبار المهرة في رمي السهام وخاصة من وضعية الركوب، وفي حالة الدفاع كان العرب يسعون لإجبار العدو على العدول عن هجومه، أو الإخلال بتراتيب قتاله وبتنفيذ رمي السهام الفعال، كذلك كان العرب يقومون بهجماتهم تحت غطاء النبالة، فالنبالة العرب كانوا ماهرين في استخدام القوس حتى في أثناء انسحابهم ومن وضعية الركوب مهما كانت سرعة الجواد مستخدمين وضعية الالتفاف إلى الوراء ورمي السهام والنبال، وقد استخدم المدونون والمؤرخون الأوروبيون في أثناء بحثهم لعمل النبالة العرب العبارات التالية مثل: رمي السهام الغزير، رمي السهام الكثيف، أمطرونا بوابل من السهام[٢].

**وفي الوقت نفسه التي كانت فيه السهام العربية تخترق دروع الصليبيين وزردياتهم،** لم تكن تحدث في أجسامهم جراحاً مميتة، على الرغم من أنه كانت بعض اللوحات (الرسومات) تبين العديد من الجنود الصليبيين المصابين بالسهام العربية كديناصورات غرست السهام في أجسادها[٣].

**وكان النبالة العرب يركزون جهودهم لتوجيه سهامهم ضد الجياد الصليبية التي كانت محمية من جهة،** وكانت تعد أهدافاً منفصلة من جهة أخرى، وحتى المشاة العرب اعتمدوا على النبالة في بعض المعارك، حيث استطاعوا أن

---

(١) ا.رس، سميل، المصدر السابق، صفحة ١٣٦، ١٣٧.

(٢) أحمد علي إسماعيل، تاريخ السلاجقة، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢، صفحة ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) آ. س سميل، المصدر السابق، صفحة ١٣٨

يقفوا بنجاح بوجه الفرسان الصليبيين، ويذكر أسامة بن المنقذ، أنه في عام ١١١٠م خاض تنكريد حاكم أنتوهيا على رأس قوة من الفرسان معركة ضد العرب، وقد شارك في هذه المعركة الكثير من المشاة العرب الذين قدموا من شيزر، حيث أنقضَّ الفرنجة عليهم، ولكنهم لم يزحزحوهم من مكانهم، وعندها غضب تنكريد وقال: أنتم فرساني وكل واحد منكم يتقاضى راتباً يعادل رواتب مئة مسلم، هم مشاة وأنتم لا تستطيعون زحزحتهم من مكانهم، فأجابه الفرسان: نحن نخاف على خيولنا، ولولا هذا لدسناهم بأرجلنا وثقبناهم برماحنا، عندئذ وعدهم تنكريد بإبدال كل جواد يُقتل بجواد آخر، وبعد ذلك قام الفرنجة من جديد بالهجوم عدة مرات على المشاة العرب ولكن المشاة لم يتحركوا قيد أنملة من مكانهم، وقتلوا سبعين جواداً للصليبيين(١).

**وعند إشارة المؤرخين إلى دور النبالة العرب في اختلال تلاحم وهيكلية صفوف العدو، كانوا يلفتون الانتباه إلى تلك الخسائر الكبيرة** في الجياد التي كان الصليبيون يتكبدونها بسبب النبالة العرب، مما شكل صعوبات كبيرة للصليبيين في أثناء حملاتهم التي قاموا بها في القرن الثاني عشر(٢).

**وقد شكلت السهام العربية الكثيفة إلى جانب الخسائر الكبيرة توتراً نفسياً قوياً** في صفوف القوات الصليبية، ونتيجة لفعالية السهام كان الصليبيون يترددون في قراراتهم في أثناء الاشتباكات التي تحدث عن قرب ضد المقاتلين العرب، لذلك كان العرب يستغلون هذا التردد في فصل بعض مجموعات الفرسان عن التشكيلات الرئيسية وبالتالي تدميرها من خلال الاستخدام الفعال للنبالة(٣).

---

(١) أسامة ابن المنقذ، الاعتبار دمشق ١٩٨٠، صفحة ١٤٨، ١٤٤.

(٢) المصدر السابق، الصفحة ٦٩، ٧٤.

(٣) أحمد إسماعيل علي، المصدر السابق، صفحة ٢٧٣، آ. ر س سميل، المصدر السابق، صفحة ١٤١.

**وتدل دراسة واستقصاء المراجع العربية وتحليل كبريات المعارك مثل، معركة دورى لوما وساحة الدم ومعركة إيهاب وحطين**[1]، أن عمل النبالة العرب كان موجهاً في نهاية المطاف إلى إحباط الأعمال الهجومية للخصم والإعداد لهجوم القوات الصديقة ونشوب المعركة القريبة، حيث كان يتحدد مصير المعركة العامة والمعارك القريبة والاشتباكات بالاستخدام الماهر للرمح والسيف[2].

**لم يكن العرب يسرعون** - كقاعدة - في البدء مباشرة بالمعركة القريبة ضد العدو بل كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة للاقتراب من العدو، وكانوا يحاولون خلق الظروف المواتية لمثل هذا الاشتباك مستخدمين بذلك الاستعمال الحاذق للأقواس، ومناورة خيالتهم، وكان العرب يقررون استناداً للموقف المتشكل في المرحلة الأولى من المعركة الدخول في المعركة القريبة أو انتظار تشكيل موقف أكثر ملائمة لهم منهكين العدو بالرمي الدائم بالسهام، مع العلم أن الصليبيين كانوا يحثونهم بشكل دائم للدخول في معركة قريبة من أجل حسم الموقف، غير أن العرب كانوا يعتبرون التحضير لمثل هذه المعركة والدخول فيها وفق شروط ملائمة لهم قاعدةً لا يمكن تجاوزها[3].

**ومن الجدير بالذكر أنه لم تكن جميع التشكيلات المسلحة العربية تتميز بتكتيك الأعمال الموصوف** أعلاه، ففي النصف الأول من القرن الثاني عشر لم يستخدم مثل هذا التكتيك سوى القوات السلجوقية، أما القوات المصرية في عهد الدولة الفاطمية ونتيجة لتفوق عدد المشاة، لم تكن قادرة على المناورة بشكل كاف، وهذا ما أكدته معركة عسقلان، حيث استغل الصليبيون

---

(١) انظر الملحق رقم ١.

(٢) الحافظ شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، دورية ٥٩٦، ورقة ٢١٨، المصدر نفسه، صفحة ٣٣٥.

(٣) آ. ر س سميل، المصدر السابق، صفحة ١٤٠.

هذه الناحية السلبية، فكانت هذه المعركة قصيرة جداً ولم تتجاوز ساعة واحدة[١].

**فقد كان النبالون في القوات المصرية** خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر في أغلبيتهم من النبالة المشاة الإثيوبيين الذين لم يكونوا يؤدون نفس الدور الذي قام به النبالة في القوات السلجوقية في عهد الأيوبيين، فالنبالة الإثيوبيون شكلوا ذلك الجزء من الجيوش الفاطمية الذي كان قد حارب ضد الجيوش الفاطمية نفسها[٢].

**ولم تسمح المناورة المتدنية والتحضير السيء** وعدم الثقة التي تميز بها النبالة في الجيش المصري في تلك الحقبة الزمنية بتنفيذ الهجمات الحاسمة الرامية إلى تطويق العدو وسحقه، فجميع النجاحات التي تحققت في بعض المعارك كانت في أساسها بسبب التفوق العددي للمصريين في تلك المعارك[٣].

**ولم يتحقق خلق الظروف الملائمة في المعركة لدى المصريين في الغالب** بفضل المناورات في ميدان المعركة والأعمال الناجحة للنبالة فقط،، بل كان بفضل استخدامهم للخدمة العسكرية، فعلى سبيل المثال، وكما يشير أسامة بن المنقذ إلى استخدام الخدمة العسكرية، كان الفارس العربي - في ذلك الوقت - الكائن في قوام فصيلة الفرسان، في موقف صعب، إذ كان يتوجب عليه مواجهة قوى معادية متفوقة، فالدخول في معركة ضمن هذا التناسب، كان يعني بالنسبة له الخسارة والهزيمة.

**ويذكر أسامة ابن المنقذ ذلك قائلاً: قال لي جدي**: أنت ستقف في وجه

---

(١) نظير السعداوي، التاريخ الحربي المصري، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، ص٨٢.

(٢) المصدر السابق الصفحة ٤١١.

(٣) المصدر السابق، ص٤٠٤.

خيالة كفر طابا صاداً إياها، أما نحن مع المقاتلين فسنلاقي خيالة أكفاء، وقفت أنا وعشرة فرسان في بستان زيتون، وحسب الخطة كان يتعين على ثلاثة أو أربعة فرسان منا الخروج وإظهار أنفسهم للصليبيين، ومن ثم العودة إلى بستان الزيتون بغية إشغال الصليبيين ولفت انتباههم، وعندما شاهد الصليبيون مقاتلينا لم يكن بمقدورهم تحديد فصيلتنا، وظنوا أن عددنا كبير وكانوا يقتربون منا ثم يبتعدون، أما نحن فقد ثبتنا بشجاعة في مكاننا، وبقينا ثابتين في مكاننا حتى رجع إلينا جدي ومعه التعزيزات، وعندما لاحظ الصليبيون قواتنا، لاذوا بالفرار فوراً.

**كما تؤكد دراسة سير بعض المعارك أن دور القائد في المعركة كان مهماً للغاية**، فقد كان إحراز النصر في المعركة في نهاية المطاف، يتعلق بمقدرة القائد على التقدير السريع للموقف، وبناء تراتيب القتال، وتحديد نقاط الضعف لدى العدو في الوقت المناسب، وكشف النواحي السلبية في أعمال قواته، والعمل على سرعة تلافيها، كما أن النصر يتعلق بحزمه وأعماله الجريئة.

**لذلك أشار الكتَّاب العرب الذين عاصروا تلك الفترة، إلى أن القادة العسكريين الذين تم إحراز انتصارات تحت لوائهم، كانوا يخرجون بأنفسهم يومياً لاستطلاع العدو**، وكانوا يتواجدون في أثناء سير المعركة في النقاط الساخنة زارعين الثقة في نفوس المقاتلين ومنظمين إياهم، موجهين قواتهم بمهارة عن طريق إشارات الأبواق والطبول التي حددت مسبقاً من أجل تنفيذ المناورات وإعادة تجميع القوات[1].

**وكان القادة العرب يسعون لاستغلال جميع الإمكانيات لإحراز النصر**، فعلى سبيل المثال أمر صلاح الدين الأيوبي في أثناء حصار قلعة برزية عام ١١٨٨م قواته والأسرى كذلك وغيرهم وبحسب إشارة معينة أن يصرخوا

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار ابن أيوب، القاهرة، ١٩٥٧، مجلد ١، ص٤٢٨

بأعلى أصواتهم مرددين كلمات كان يقولها العرب في أثناء هجماتهم، وقد أدى هذا الصراخ القوي إلى إضعاف الروح المعنوية لدى المدافعين عن القلعة، الأمر الذي أدى إلى احتلالها[١].

**وتعد معركة حطين التي جرت في الرابع من تموز عام ١١٨٧م أوضح مثال لأفضل نماذج التكتيك** الذي عرفه العرب إبان الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر، حيث جسد صلاح الدين الأيوبي الخطة الاستراتيجية لتحرير فلسطين على أرض الواقع، عندما أرغم الصليبيين على ترك الصفورية المحصنة وتغيير خطتهم الإستراتيجية التي تلخص جوهرها في تقسيم القوات العربية إلى جزأين والوصول إلى شبكة مواصلاتها الموجودة في المؤخرة.

**كما منعها من الوصول إلى مصادر المياه في بحيرة طبريا،** فحسب خطة الصليبيين كان محور تحركهم يمر عبر منطقة حطين التي تقع على مسافة فرسخين عن طبريا الفرسخ ٤,٥كم، حيث جرت المعركة في منطقة تبلغ مساحتها أربعين ميلاً مربعاً، أما تضاريس هذه المنطقة فقد حددتها منطقة جبلية يبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها ٣١٥م فوق سطح البحر.

**وكانت سفوح القمة الرئيسية فيها صعبة المرور،** وقد خلق كل من المكان الجبلي الصحراوي والمناخ الحار والجاف وشح المياه - كان سكان حطين يحصلون على الماء من آبار قليلة - صعوبات كبيرة جداً لخوض المعارك في المنطقة المذكورة[٢].

**أمر صلاح الدين الأيوبي ليلة ٣ تموز ببدء التحضير للمعركة،** بعد أن حصل من رجال الاستطلاع على معلومات تفيد بأن قوات الصليبيين تقترب من حطين، وفي بادئ الأمر قام شخصياً بتحديد ترتيب القتال للمعركة القادمة

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، المجلد ٥ ص ٣١٤.

(٢) مفلح علي، التاريخ الحربي للأمة العربية، دمشق، التوجيه المعنوي ١٩٥٩، الجزء ٢، ص ٧٦، ٧٧.

موزعاً القوات إلى جماعات مستقلة، وألحق بكل جماعة منها مجموعة من النبالة بهدف تنفيذ الهجمات على العدو من اتجاهات مختلفة.

**وكان على الجماعات القتالية أن تتخذ ترتيب القتال الخماسي**، ولم تشر المصادر القديمة إلى عدد المجموعات القتالية التي شكلها صلاح الدين، إلا أن الوصف الذي نقله الشهود والمشاركون في المعركة يؤكد أنها كانت على ثلاث مجموعات متتالية كحد أقصى.

**وبالإضافة إلى المجموعات القتالية الرئيسية التي ألقي على عاتقها مهمة تدمير القوات الصليبية في موقعة حطين في ٤ تموز**، كما خصصت مجموعات من المقاتلين ضمن الوحدات العسكرية لتقوم بتنفيذ الهجمات الليلية على معسكر الصليبيين، وكانت المهمة الأساسية لهذه المجموعات إقلاق راحة العدو ومنع قواته من التحضير وخلق حالة من التوتر النفسي في صفوفه وإنزال أكبر الخسائر الممكنة به، أما القوات الرئيسية فكانت مهمتها إعداد وتجهيز الأسلحة والجياد، ومن ثم الاستراحة بانتظار قيام المعركة الفاصلة في الصباح(١).

**ويصف الأصفهاني الأحداث قبيل المعركة قائلاً**: أمضى السلطان صلاح الدين الأيوبي طوال ليله يتفقد القوات ويوزع المجموعات من كل وحدة من أجل تنفيذ الهجمات الليلية موزعاً السهام على النبّالين، حيث قام السلطان بتوزيع أربعين حمل حصان من السهام، كما وضع في ميدان المعركة سبعين كومة من السهام كي يتزود بها النشابون إذا نفذت سهامهم(٢).

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، القاهرة، الأزهرية ١٣٠١هـ، مجلد ١١، ص ٢٤١.

(٢) العماد الكاتب الأصفهاني، الفتح والبرق، وهذا النص وارد في كتاب، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢، ص٧٨، ٧٩.

+ ورود هذا النص في كتاب تاريخ الحروب الصليبية تأليف ستيفن رنسيمان، ص٨٠٤، ٨٠٥، من ج٢.

+ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة، وادي النيل، ١٢٨٨هـ، الجزء ٢، ص ٧٨، ٧٩.

**وهكذا أمضى القادة والمقاتلون العرب طيلة الليل** الذي سبق المعركة في تفتيش السلاح والاحتياطات من السهام واستلام الأسلحة الجديدة وتجهيز الخيول، وخلدوا بعد ذلك للراحة، بينما لم يذق الصليبيون طعم الراحة لأنهم كانوا يتعرضون للهجمات الليلية المستمرة من قبل العرب من ناحية، بالإضافة إلى نار العطش بسبب عدم وجود مصادر مياه قريبة من ناحية أخرى، مما زاد حالتهم البدنية والمعنوية سوءاً.

**وعند فجر الرابع من تموز** كانت الجبهتان المتصارعتان جاهزتين للمعركة، وتلخصت خطة العرب في إنهاك العدو بخوض معركة دفاعية وتنفيذ هجمات معاكسة واختيار اللحظة المناسبة لتنفيذ الهجوم الحاسم بالمجموعات القتالية، ومن اتجاهات مختلفة بهدف تطويق القوات الصليبية وسحقها، أما الصليبيون فقد ركزوا ضربتهم الرئيسية باتجاه مصادر المياه الموجودة في وادي الحمام الذي يقع على بعد ثلاثة كيلومترات من ميدان المعركة بالقرب من قرية حطين، وبهذا الاتجاه بالذات بدأت الخيول الصليبية هجومها تحت قيادة رايموند(١)، وهذا ما تنبأ به صلاح الدين الأيوبي.

**وبعد أن خرقت القوات العربية تراتيب قتال الصليبيين** بفضل أعمال النشابين الذين أمطروا القوات الصليبية بالسهام موقعين بهم خسائر فادحة، استخدم صلاح الدين الأيوبي على اتجاه هجوم الصليبيين بالذات تكتيك الكر والفر، الأمر الذي أدى إلى عزل خيالة الصليبيين عن مشاتهم والإخلال بنظام تعاونهم، وقد استغلت الخيالة العربية هذه الفوضى في قوات الصليبيين فقامت بمناورة حاسمة على مجنبات ومؤخرة العدو وفصلت خيالته عن المشاة وطوقتها بشكل كامل، وفي نفس الوقت قام جزء من القوات العربية بهجوم على المشاة الصليبيين وأجبرهم على الانسحاب، مما أدى إلى زيادة الهوة بين

---

(١) الحافظ شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مخطوط القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، دورية ٥٩٦، ورقة ٨٩.

المشاة والخيالة الصليبيين وإيصالهم إلى حافة الهزيمة، وقد نقلت المصادر القديمة ما قاله الأمير الصليبي رايموند في تلك اللحظة الحرجة، «يا إلهي، سيدي الرب، لقد انتهت الحرب، نحن في عداد الأموات، لقد اندثرت المملكة»(١)، إلا أن رايموند تمكن من خرق طوق الحصار والانسحاب.

**وحول التطور اللاحق للمعركة يقول ابن كثير**: «ارتفعت الشمس وازداد القيظ، وعانى الصليبيون أكثر فأكثر من العطش، وكان ميدان المعركة مغطى بالهشيم اليابس الذي تحول فيما بعد إلى كارثة بالنسبة لهم، عندما أمر السلطان صلاح الدين قادة الجماعات بإلقاء النفط وحرق الهشيم تحت أقدام العدو»(٢).

**وقد كتب ابن منكلي حول الأمر الذي أسنده صلاح الدين الأيوبي للزراقين** من الجماعات القتالية لإلقاء النفط وحرق الهشيم تحت أقدام العدو(٣)، ومع ذلك يثبت الكتاب الآخرون أن هذا لم يتم بناء على أمر من صلاح الدين الأيوبي، ومن هؤلاء العيني الذي يذكر أن حرق الهشيم صدر بأمر عن مظفر الدين حاكم أربيل(٤)، وحسب شهادة أبي شامة أن حرق الهشيم قام به بعض المتطوعين(٥).

ومهما يكن من أمر فإن الحقائق المؤكدة تثبت الاستغلال الماهر للعرب للظروف الطبيعية، حيث استخدموا العشب الجاف الطويل والرياح التي تهب

---

(١) ستانلي لينبول، سيرة القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥١، صفحة ٢٠٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة، السعادة، ١٩٣٢، الجزء ١٢، ص ٣٢١.

(٣) ابن منكلي، الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، دورية ٢٣، ص ٥٤.

(٤) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، دورية ١٥٧٤، الجزء ١، الصفحة ٣٣.

(٥) أبو شامة، الروضتين في تاريخ الدولتين، القاهرة، وادي النيل، ١٢٨٧هـ، الجزء ٢، ص ٧٧، مصدر سابق.

باتجاه العدو بهدف إحراز النصر في المعركة، وقد أدت ألسنة اللهب المتواصل والقيظ ومعاناة العطش وهجمات العرب التي طوقت الصليبيين من جديد إلى تشتيت تراتيب قتالهم وانتشار الفوضى فيها، وهكذا بدأ جنود الملك غي لويزيان بالانسحاب الفوضوي باتجاه جبل حطين.

**وكان القادة الصليبيون يحاولون عبثاً إعادة تجميع وحداتهم**، فحاولوا نصب خيامهم على قمة الجبل، وتنظيم تراتيب قتالية دفاعية بهدف إيقاف هجمات القوات العربية، محتمين بالمخابئ الطبيعية ومستغلين التفوق العددي على القوات العربية، خاصة أن القوات العربية كانت مجبرة على مهاجمة العدو وبصعوبة بالغة من جرَّاء صعودها إلى قمة الجبل[١]، لكن هذه المحاولات لم تتكلل بالنجاح، حيث أدت الأعمال القتالية التي خاضها جنود صلاح الدين الأيوبي إلى بث الذعر في صفوف الصليبيين، وانقسمت القوات الصليبية إلى قسمين، القسم الأول سارع للفرار من أرض المعركة إلا أنه سُحق تماماً، أما القسم الثاني فقد انسحب بشكل فوضوي باتجاه الجبل[٢]، ولم يتقيدوا بتنفيذ أوامر قادتهم، وإنما كانوا يأتمرون بغريزة المحافظة على حياتهم فقط[٣].

**وقد استغل صلاح الدين الأيوبي هذا** الموقف الملائم وأمر قواته بتطويق الصليبيين المتواجدين على قمة جبل حطين[٤]، وقد أدى هذا الحصار إلى فقدان الأمل لدى حاملي الصليب، فرفع الآلاف منهم أسلحتهم وبدؤوا يصلون للرب يرجون مساعدته وإنقاذهم من المحنة التي هم فيها، مما أدى إلى رفع الروح المعنوية لدى القوات الصليبية إلى قدر ما.

---

(١) يشير الدكتور أحمد بيلي إلى أن الصليبيين تمكنوا من نصب خيمة الملك على قمة الجبل، راجع أحمد بيلي، كتاب (صلاح الدين الأيوبي) القاهرة، الرحمانية، ١٩٢٦، ص ٦٠.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، القاهرة، ١٣١٧هـ، صفحة ٧٧.

(٣) أحمد بيلي، حياة صلاح الدين، المصدر السابق، صفحة ٦١.

(٤) العماد الكاتب الأصفهاني، الفتح القدسي، المصدر السابق، صفحة ٧٩.

**وتؤكد بعض المصادر القديمة أن الروح المعنوية لدى الصليبيين لم تكن عالية**، إذ غادر العديد من الأمراء من تلقاء أنفسهم ساحة المعركة لدى رؤيتهم للمأزق الذي لا يمكن لقواتهم الخروج منه، وكان من بين الفارين كوماس أمير طرابلس، والأمير فاليان ابلين ورينالد وحاكم صيدا[١].

**وبلغت معاناة الصليبيين من الحر والتعب والعطش إلى درجة أجبرت إحدى جماعات المقاتلين من قوات رايموند باللجوء** إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي مباشرة لتقول له: أيها السلطان ماذا يمنعك من مهاجمتهم، إنهم ليسوا قادرين على المقاومة، فهم أموات[٢]. كما حاولت بعض المفارز من القوات الصليبية الخروج من الحصار، غير أن العرب صدوا هجماتهم وكان العرب يردون على كل هجمة بهجوم معاكس[٣].

وفي هذه اللحظة الحرجة توجه الملك غي إلى رايموند طالباً منة اتخاذ إجراءات للنجاة والخروج من الوضع المتشكل[٤]، فجمع رايموند تحت قيادته ما تبقى من الفرسان وقرر خرق طوق الحصار باتجاه بحيرة طبريا، وعلى هذا القطاع من الجبهة كانت القوات العربية منتشرة بإمرة تقي الدين عمر حفيد السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي قام بعد مشاهدته لتفوق الخيالة الصليبية المهاجمة في هذا الاتجاه بالسماح لها بالمرور داخل القوات العربية، ومن ثم أحكم طوق الحصار من جديد، ليتم عزل الخيالة عن المشاة الصليبية للمرة الثانية.

**إلا أن رايموند لم يتخذ مع مقاتليه الذين خرجوا من الحصار أية إجراءات**

---

(١) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، ترجمة الدكتور الباز العريني، ط عام ١٩٦٧م، دار الثقافة، مجلد ٢، صفحة ٧٤٠.

(٢) أحمد بيلي، حياة صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، الرحمانية ١٩٢٦، صفحة ١٦٠، ١٦١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، القاهرة، الأزهرية، ١٣٠١ هـ، مجلد ١١، صفحة ٣٤٣.

(٤) ابن الأثير المصدر السابق، المجلد ١١، صفحة ٢٤٢.

لإنقاذ ما تبقى من القوات في الحصار، وتوجه مع فرسانه إلى طرابلس، حيث توفي هناك بعد ثلاثة أشهر[1].

**وعندما جاءت اللحظة المناسبة لتنفيذ الهجوم الحاسم،** أمر صلاح الدين الأيوبي قواته بأن تصلي لله متضرعة إليه بإحراز النصر وبدء الهجوم الحاسم على الصليبيين من الاتجاهات كافة، وقد دافع الصليبيون في هذه المعركة بشجاعة رادين على الهجوم العربي بهجمات معاكسة، وقد شارك في هذه المعركة الأفضل النجل الأصغر لصلاح الدين الذي كان متواجداً طيلة فترة المعركة إلى جانب والده.

**وبعد عدة سنوات على مرور المعركة تحدث الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي عن الشجاعة التي أبداها الصليبيون في تلك المعركة إذ قال:** عندما انسحب الملك الصليبي إلى قمة الجبل، شن فرسانه الخاصون هجوماً قوياً، مما أجبر جنودنا على الانسحاب إلى المكان الذي كان يقف والدي فيه، وقد لاحظت أن لون وجه والدي قد تغير، كما لاحظت القلق الذي انتابه حيث رأيته ماسكاً لحيته بيده، وعندما انسحب جنودنا صرخ والدي قائلاً: حاربوا ضد الشيطان الكاذب، وعندها هاجموا جنود العدو بضراوة وأجبروه على الانسحاب حتى الجبل، وعندما شاهدت الصليبيين، وقد بدؤوا بالفرار باتجاهات مختلفة من أرض المعركة صرخت من الفرح قائلاً: لقد غلبناهم، لكن الصليبيين عادوا من جديد وهاجموا جنودنا وأجبروهم مرة ثانية على الانسحاب إلى المكان الذي يقف فيه والدي، وهنا أصدر والدي أمراً بشن هجوم حاسم، عندئذ هجم جنودنا على العدو بحزم وشجاعة، وبدأ العدو بالتقهقر، وطارده جنودنا حتى قمة الجبل، حيث كانت خيمة الملك الصليبي منصوبة هناك، وعندها صرخت ثانية: لقد غلبناهم، لكن والدي التفت إلي وقال: اهدأ، نحن لم نغلبهم ما دامت خيمة ملكهم منصوبة على قمة الجبل،

---

(١) رانسيمان ي، المصدر السابق، المجلد ٣، صفحة ٧٤٠.

+ أحميد بيلي، المصدر السابق، الصفحة ١٦٠.

وفي تلك اللحظة، شاهدت سقوط خيمة الملك الصليبي، وعندها ترجل والدي من على ظهر حصانه وانحنى إلى الأرض والدموع تملأ عينيه من الفرح، وبدأ يشكر الله ويحمده على النصر[١]».

**وعندما وصل الفرسان العرب إلى خيمة الملك الصليبي على قمة الجبل رأوا الفرسان الصليبيين بمن فيهم ملكهم جالسين على الأرض** من شدة التعب والعطش وغير قادرين على القتال، لقد كانوا منهكي القوى لدرجة أنه لم يكن باستطاعتهم تسليم سيوفهم، وبعدها اقتاد الفرسان العرب القادة الصليبيين إلى خيمة السلطان صلاح الدين الأيوبي التي تم نصبها في ميدان المعركة[٢]، وكان من بين الأسرى شخصيات مشهورة مثل: جيرار دي ريد فور، والمعظم، والكونتابل أموري لويزنيان وغيرهم من البارونات المشهورين: غيليلم، مانعثيرات، ورينودي شاتيون وغيرهم.

**وقد قدم صلاح الدين الأيوبي كأساً من الماء المثلج إلى ملك الصليبيين،** وشرب الملك غي لويزيان نصف الكأس وأعطى ما تبقى من الماء إلى رينودي شاتيون الذي كان جالساً بقرب الملك - وحسب عادات الضيافة العربية فإن إعطاء الماء والغذاء للأسير يعني إبقاءه - وعندما شاهد صلاح الدين الأيوبي أن الملك يعطي الماء لشاتيون، قال صلاح الدين فوراً للمترجم: قل للملك بأنه هو نفسه تقاسم الماء مع بارون الكرك وليس أنا، والتفت السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى رينودي شاتيون مذكراً إياه بالجرائم التي ارتكبها ولاسيما نهب وسلب القوافل العربية وعدم وفائه بعهده حول عدم التعرض للقوافل العربية، وغدره وتهكمه على الدين الإسلامي، وعندما أجاب رينودي شاتيون بوقاحة وخبث، استل صلاح الدين الأيوبي سيفه من غمده وقطع رأسه.

---

(١) ابن الأثير، نفس المصدر، المجلد ٢، صفحة ٧٤٠.

+ أحميد بيلي، نفس المقدر، ص ١٦٠.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد ١١، صفحة ٢٤٨.

**عندئذ خاف الملك غي لويزيان إلى درجة الهلع**، حيث ظن أن دوره لابد آت لملاقاة الموت، غير أن السلطان صلاح الدين الأيوبي طمأنه بأن الملك لا يُقتل، أما رينودي فقد استحق الموت على تصرفاته وأفعاله.

**وقد تم إعدام أكثر من ٢٠٠ مجرم من القادة الصليبيين أصحاب** الجرائم الوحشية بناء على أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي، وتم الإبقاء على حياة أغلبية الأسرى الصليبيين ومن بينهم بعض البارونات المعروفين حيث تم اقتيادهم إلى دمشق(١).

**وبهذا الشكل انتهت هذه المعركة، التي كانت لها - كما أشرنا سابقاً** - أهمية كبيرة في بلوغ العرب لأهدافهم الإستراتيجية في حربهم ضد الغزاة، هذه المعركة التي استخدم العرب فيها التكتيك الذي توطد بشكل راسخ في أعمال التشكيلات العربية المسلحة في عهد الأيوبيين، حيث استخدم الأمراء العرب التكتيك ومبادئه الأساسية - التي أشرنا إليها سابقاً - في معاركهم اللاحقة إبان صد غزو الصليبيين في الحملة الصليبية الثالثة والصراع المسلح ضد الدول اللاتينية الذي جرى على الأرض العربية، وقد حقق هذا التكتيك النجاح للعرب في معاركهم العديدة، غير أنه كانت هناك هزائم مني بها العرب، لكن هذه الهزائم لم تكن شاهداً على التكتيك المتخلف لدى العرب، وإنما كانت نتيجة للمواقف غير المتلائمة، التي كانت تتشكل آنذاك، ومنها التفوق الكبير للصليبيين في القوات، وعدم حزم الأمراء العرب، ويجب ألا ننسى أيضاً الخطط للصليبيين في بعض المعارك.

**ويمكن القول: إن تحليل تكتيك التشكيلات المسلحة العربية يؤكد أن هذا التكتيك قد تحسن وتطور نتيجة للتغيرات التي جرت في تنظيم القوات المسلحة وتجهيزها**، والأخذ بعين الاعتبار خصائص تكتيك الصليبيين وتراكم الخبرة

---

(١) إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب ابن أيوب، دمشق مكتبة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٢م، ص٣١ ابن الأثير، المصدر السابق، مجلد ١١، ص ٢٥٠.

القتالية في الصراع ضدهم، فمن الناحية العملية كان يستحيل إحراز النصر على الصليبيين في اشتباك قريب، حيث كان الجنود الصليبيون يصطفون بتراتيب قتالية كثيفة ومتراصة أشبه بجدار لا يمكن خرقه مهما كانت شدة الضربات الموجهة إليه، وكانت تلك الصفوف الصليبية المتراصة قادرة على تمزيق أي ترتيب قتالي وسحق الخصم، لذا ترسخ التكتيك الذي انطوى في أساسه على الخدعة العسكرية والمناورة بالوحدات في القوات العربية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

وبفضل الاستطلاع الدقيق للعدو وطبيعة الأرض كان الأمراء يقومون - وكقاعدة عامة - بالتحضير المسبق للمعركة ويسعون إلى إنزال أفدح الخسائر بالعدو قبل بدء المعركة الحاسمة من خلال نصب الكمائن وتنفيذ الهجمات والغارات الليلية والصباحية المبكرة ومهاجمة معسكراته.

كما تقيد الأمراء العرب في أثناء بناء تراتيب قتالهم بذلك التنظيم الذي يسمح لهم بتحقيق المناورة بهدف الوصول إلى مجنبات ومؤخرة العدو ومحاصرته، وكذلك بانسحاب القوات بشكل سريع عند الضرورة، ومن أجل تحقيق هذا الأمر استخدم العرب ترتيب القتال الخماسي الذي يقتضي توضع القوى الرئيسية، والفرسان بشكل أساسي على المجنبات بهدف تكثيف القوى وتفوقها على قوات العدو الذي كان يوزع قواه بالتساوي على الجبهة.

وكان العرب في بداية المعركة يركزون جهودهم الرئيسية لإعياء العدو وإخلال تراتيب قتاله بفضل أعمال النبالين الخيالة بشكل رئيسي من أجل استفزاز الصليبيين للقيام بأعمال فعالة والمطاردة، حيث كان يعتمد العرب في ذلك على أسلوب الكر والفر والانسحاب، فقبيل الاشتباكات القريبة كان العرب يبذلون قصارى جهدهم لزعزعة التعاون فيما بين الخيالة والمشاة الصليبيين، كما تعد المعرفة الجيدة لطبيعة الأرض والظروف الطبيعية والاستفادة منها في إحراز النصر في الأغلب واحدة من أهم العوامل الحاسمة في تحقيق النجاحات العربية.

**عاشراً - الدروس والعبر:**

**لقد كانت الحملات العسكرية** التي قام بها إقطاعيو أوروبا الغربية في نهاية القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر ضد الوطن العربي حدثاً هاماً غيَّر في مجرى التاريخ العالمي، إذ حددت نتائجها العسكرية والسياسية - خلال قرون - العلاقات المتبادلة في أكبر منطقتين في العالم مختلفتين من الناحيتين الفكرية والدينية.

**ويختلف المؤرخون حول منشأ وجوهر الحركة الصليبية وطبيعتها،** فقد أشار علم التاريخ السوفيتي أكثر من مرة إلى الطبيعية العدوانية لتلك الحركة، إلا أن هناك وجهات نظر مختلفة حول هذه المسألة، إذ يعزو معظم المؤرخين المعاصرين في أوروبا الغربية السبب الأساسي لقيام الحركة الصليبية ضد الشرق إلى الهوس الديني المفرط لدى سكان دول أوروبا الغربية التي وجهت حشوداً ضخمة من البشر للاستيلاء على فلسطين ولاسيما القدس.

**ويرى بعض المؤرخين سبباً آخر دعا إلى القيام بالعدوان** خلال تلك الحقبة التاريخية على بلدان الشرق العربي ويتمثل في سياسة الطغمة اليهودية الحاكمة في بعض دول أوروبا الغربية التي سعت إلى إفقار أعدائها فيما يزعمونه "أرض الميعاد".

ولم **يقم علم التاريخ العربي ببحث ودراسة الحملات الصليبية لفترة طويلة،** وذلك بسبب التخلف الثقافي الذي سيطر على حياة المنطقة العربية حتى القرن التاسع عشر، وحتى وقتنا الراهن لا يوجد في علم التاريخ العربي أبحاث خاصة من شأنها أن تعطي تحديداً لجوهر الحروب الصليبية.

ولا بد من الإشارة إلى أن دراسة وبحث الموقف العسكري - السياسي الذي تشكل في منطقة الشرق الأوسط قبيل القرن الثاني عشر والعلاقات الاجتماعية الاقتصادية ووجهات النظر الفكرية والدينية لدى السكان في أوروبا الغربية قد ساعدت في إظهار بعض العوامل التي حددت جوهر الحملات الصليبية وطبيعتها.

**ففي المجال العسكري** - السياسي نلاحظ ضعف الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تسيطر على بلاد شاسعة، وتعزيز دولتي السلجوقيين والأيوبيين اللتين كانتا تسعيان لتوطيد نفسيهما في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط،، وسعي الدول الفتية المركزية في أوروبا الغربية للتوسع الإقليمي عن طريق تأمين تفوقها العسكري والسياسي على الشرق الأوسط.

**ويبيّن التحليل والدراسة أن الأسباب السياسية لبداية الحركة الصليبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر،** كانت تعود إلى أساس الحركة الصليبية وسعي دول أوروبا الغربية لتأمين نفوذها السياسي في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت هذه الحركة تحمل من الناحية الشكلية طابع تقديم المساعدة العسكرية للإمبراطورية البيزنطية ودول الفرنجة في صراعها ضد العرب، فقد سعت كل دولة من دول أوروبا الغربية في هذه الحملات إلى تحقيق أهدافها السياسية الخاصة بها، وقد أدى هذا إلى نشوب خلافات حادة بين هذه الدول مما أثر سلباً على نجاح الأعمال القتالية.

**أما في المجال الاقتصادي - الاجتماعي** فقد ساعد على تنظيم الحملات الصليبية كل من الاقتصاد غير المتطور، ومرور أهم طرق المواصلات عبر الشرق التي كانت تربط الشرق بالغرب، والموقف الاقتصادي غير الملائم في أوروبا الغربية، وآمال الأغلبية الساحقة من الإقطاعيين والفرسان الصغار في الحرب كوسيلة أساسية لحل القضايا الاقتصادية.

**يمكننا أن نرى في صلب الأسباب الفكرية والدينية لحركة الصليبيين ما يلي:**

- **افتعال الصراعات الدينية** واختلاقها لتغطية الأهداف الاقتصادية الاستعمارية الاحتلالية.
- **تحويل مرتبة روما إلى مركز أيديولوجي رئيسي** في أوروبا الغربية وسعيها لتوحيد العالم المسيحي تحت رايتها.

- **القناعات الدينية لدى الناس** المستفيدين لخوض الصراع المسلح من أجل تلك القناعات، وقد كانت الحملة الصليبية تجسد للمشاركين فيها خدمتهم المقدمة إلى الرب الأعلى الذي سيكافئ المخلصين بالنصر والغنيمة والثراء وملكيات جديدة، وعلى هذا الوتر عزفت كنيسة روما الكاثوليكية، عندما قامت بتنظيم الحركة الصليبية ضد الشرق.

**وتسمح دراسة الموقف العسكري - السياسي الذي كان سائداً قبيل الحملات الصليبية باستخلاص استنتاج** مفاده أن الحملات الصليبية لم تكن في يوم من الأيام نتيجة لسعي الدول الأوروبية الأساسية لتقديم المساعدة العسكرية لشركائهم في الدين في منطقة البحر الأبيض المتوسط،، بقدر ما كانت محاولة لحل المسائل الاقتصادية لتلك الدول عن طريق احتلال أراضي الشرق، وبهذا يمكن إثبات أن الحملات الصليبية كانت حملات ذات طابع احتلالي استعماري.

**فالقوة الرئيسية الضاربة التي تم بمساعدتها** تحقيق الأهداف الأساسية للصليبيين كانت التشكيلات المسلحة في دول أوروبا الغربية الأساسية والدول المسيحية في دول الشرق، حيث تألف قوامها في الأساس من الفرسان المعبئة حسب التبعية الإقطاعية.

**أما مجموعات المشاة التي** كانت تضم في صفوفها المرتزقة والمعدمين من الفلاحين والعبيد الهاربين وقطاع الطرق والمغامرين، فقد فقدت صفاتها القتالية ولم تكن لها - من حيث الجوهر - في المعركة أية أهمية جدية، إذ سرعان ما أصبحت الخدمة ضمن قوات المشاة الصليبية أمراً مثيراً للاستهزاء والسخرية، حيث بدت كأنها واجب على العبيد وأمثالهم.

**وتؤكد أبحاث المؤرخين بشكل تام** وجهة نظر فريدريك إنجلز القائلة: بأنه خلال كامل فترة العصور الوسطى بقيت الخيالة الصنف الرئيسي للقوات في جميع الجيوش، وإن هذا الدور الريادي للخيالة لم يكن مشروطاً بجدارتها الخاصة، لأن الخيالة غير النظامية في الشرق كانت غير قادرة على خوض

المعركة الصحيحة، أما الخيالة النظامية الغربية فكانت غير قادرة على المناورة في حركتها، بل كان ذلك أيضاً مشروطاً بالصفات المتدنية للمشاة عند مقارنتها بالخيالة.

**وقد سمح تطور معالجة الحديد وتحسينه** في القرن الثاني عشر بتحسين تسليح الفرسان والمشاة ووسائط الحماية، حيث كانت حماية الفارس من الصليبيين تشكل ثقلاً كبيراً حتى أن الفارس نفسه لم يكن يستطيع ارتداء وسائط حمايته بنفسه، إذ كان يتطلب الأمر مساعدة مرافقة في ذلك، وفي حال سقوط الفارس من على ظهر الجواد كان يصبح غير قادر على حماية نفسه، ويصبح أشبه بسلحفاة مقلوبة على ظهرها فإما أن يقع في الأسر أو أن يموت تحت حوافر الخيل.

**وتسمح دراسة تسليح الفرسان الصليبيين بفهم** تلك الصفات المتفوقة التي تميزت بها الخيالة العربية على الخيالة الصليبية في مناورة أعمالها، كما كانت القيادة العسكرية للقوات الصليبية المسلحة تعتمد نمطاً واحداً وهو النمط الذي استخدم في فرنسا في البداية، إذ كان الملك يترأس شكلياً قيادة القوات وهو الذي كان يشرف على تنظيم الأعمال العسكرية ويصادق على خطة تنفيذ الحملات، كما أنه كان يحدد البنية التنظيمية للجيش، إلا أنه في الواقع لم يكن باستطاعته إعطاء الأوامر لاستدعاء التشكيلات وحل المسائل العسكرية الهامة الأخرى من دون اجتماع مسبق يعقده مع الأمراء، وفي فلسطين كان الصليبيون والأوروبيون القادمون لمساعدة مملكة القدس غير ميالين للاعتراف بسلطة الملك، وإبان الحملات الصليبية لم يكن في جيوش مختلف الدول الأوروبية قيادة موحدة أيضاً، فعندما تم تطويق مدينة نيقية في الحملة الصليبية الأولى وقفت قوات كل أمة في معسكرها المحصن المخصص لها، وقد رفض أمراؤها الاعتراف بأية قيادة أخرى.

**ومع تطور العلاقات الإقطاعية وظهور طبقة الفرسان** تغير تكتيك عمل القوات بشكل جذري، حيث أصبح الفارس مع حاشيته المسلحة يسمى بالرمح،

وكانت رماح الملاك الواحد المتوضعة إلى جانب بعضها تشكل راية، أما من حيث ترتيب قتال الفرسان فقد كان منتشراً لأمرين اثنين، أولهما: من أجل سهولة قيادة الجواد واستخدام السلاح، والأمر الثاني: من أجل رغبة الفارس الواحد في إحراز النصر بمفرده، وليس بشكل جماعي، كما كانت المؤخرة ضمن جماعات معينة تضم مسلحين لا يشاركون في معركة الفرسان، وفي حال الضرورة كان يتوجب عليهم امتلاك جياد وأسلحة احتياطية، وقد كان قائد القوة يحارب بالسيف أو الرمح مثله مثل أي جندي عادي ولم تكن هناك أية قيادة عامة للمعركة.

**ومن هنا يمكن القول إن الحملات الصليبية** قد أظهرت بشكل واضح وجلي سلبيات قوات الإقطاعيين، وخاصة المشاة منها التي كان يتم إعدادها بشكل جيد، ولم يكن بمقدور الفرسان الذين كانوا يفقدون جزءاً كبيراً من خيولهم خلال المرحلة الصعبة مماثلة القوات العربية بترتيب قتالهم، ولم يكتفِ العرب في مثل هذه الحالة بإمطار الفرسان الصليبيين بوابل من السهام، بل كانوا يستخدمون الرماح ضدهم أيضاً.

**وعلى الرغم من أن التطبيق العملي قد طرح متطلبات التعاون الفعال بين المشاة والخيالة، إلا** أنه لم يكن هناك أي اتصال وتعاون بينهما خلال قرون كاملة، وبصرف النظر عن الخبرة الكبيرة كان الفرسان - على الرغم من عدم رضاهم - يغيرون ترتيب قتالهم وينتقلون إلى ترتيب جديد والذي - حسب رأيهم - لم يعطِ إمكانية إظهار الشجاعة الفردية.

**وقد تميز التنظيم العسكري العربي في القرن الثاني عشر بخصائص مميزة وَطَّدتها سلسلة من الظروف** ذات طابع ديني واجتماعي واقتصادي وجغرافي وسكاني، حيث تأثر نظام استكمال القوات العربية وبنيتها التنظيمية وطرائق تدريب مقاتليها وتربيتهم، بخصوصية الحياة الاجتماعية والروحية الأخلاقية، وثقافة الشرق، والدمج بين طبيعة الأرض الصحراوية والجبلية، فقد ساعدت الأفكار الدينية الفكرية لدى المسلمين تجاه الحرب

والعمل العسكري على تنظيم استكمال القوات العربية المسلحة وقوامها، إذ لم يوجد تطور لفلسفة الحرب في أي مكان آخر كما هو الحال لدى العرب، تلك الفلسفة التي لها ارتباط وثيق مع المعتقدات الدينية، فكل شخص عند اعتناقه الدين الإسلامي يلقي على نفسه مسؤولية المشاركة في الجهاد ضد المحتلين، وبغض النظر عن وضعه الاجتماعي ومنشئه، يصبح كل من يعتنق الإسلام محارباً لدى الرسول(e) وصحابته، وبهذا الشكل - وخلافاً لحال العالم الغربي - لا تكون لدى العرب طبقة عسكرية خاصة، وإنما يصبح كل قادر على حمل السلاح محارباً، وقد بني الإعداد القتالي للقوات آنذاك وفقاً لتعاليم الدين الإسلامي.

**ومن حيث أسلوب استكمال القوات العربية قسمت** الوحدات العربية إلى وحدات نظامية وشبه نظامية، وكانت القوات النظامية تتقاضى أجراً معيناً لقاء خدمتها، وكان يخدم في صفوف هذه الوحدات ممثلو الشعوب الحرة والمماليك، كما احتفظت قبائل الرحل في الجيش العربي بصفة المفارز المستقلة الخاضعة فقط لقيادتها، وكان يتم إشراكهم لتأمين الأعمال القتالية للقوى الرئيسية حيث كانوا ينفذون أعمال الاستطلاع والكمائن وغيرها.

**وكانت الخيالة والمشاة تشكل الصنوف الرئيسية للقوات العربية،** أما جماعات التسليح الثقيل والتأمين الهندسي للمعركة فكانت عبارة عن صنوف مساعدة، وكانت المناورة العالية السمة الأساسية التي ميزت الخيالة العربية عن الخيالة في الدول الأوروبية، وغالباً ما كانت تستخدم الخيول العربية لنقل المشاة إلى مسافات بعيدة بغية تحقيق الحركية العالية والمفاجأة في الهجوم، وفي هذه الحال كان كل خيّال يجلس خلفه عنصر من المشاة، أما قوات المشاة فكان لهم دور مساعد في المعركة، وقد قسمت المشاة إلى مشاة ثقيلة خطية وأخرى خفيفة وفقاً للمهام المسندة إليها.

**وكانت القيادة العسكرية العليا للجيش ممثلة بالقيادة العامة تتألف من القائد العام للجيش ونوابه** ومجلس كبار القادة وقائد الجيش وكاتب الجيش وديوانه، وكان من ضمن مهمات القيادة العامة إعداد ووضع خطط تنفيذ الحملات العسكرية وتجسيدها على أرض الواقع، بالإضافة إلى حل المسائل التنظيمية المختلفة ذات الصلة بتأمين الأعمال القتالية للقوات ونشاطها الحياتي اليومي، وبهذا الشكل فإن التنظيم العسكري في دولة الأيوبيين العربية كان متميزاً جداً عما كان عليه في القوات المسلحة للدول الغربية، وذلك عبر تلك الخصائص التي كانت تسمح للقوات العربية بالتنفيذ الناجح للمهام القتالية عن طريق الاستفادة من خصائص مسرح الأعمال القتالية.

ويسمح التحليل المنفذ باستخلاص استنتاج مفاده أنه إبان الحروب الصليبية التي جرت في خلال القرن الثاني عشر، كان يتم حل بعض المسائل والمهام ذات الصبغة العسكرية الإستراتيجية، ولا بد أن نذكر من بينها قبل كل شيء استخدام الإمكانيات العسكرية - الاقتصادية في الدول العربية لإحراز النصر في المعركة، وتنظيم وتحقيق القيادة الإستراتيجية لقوى الاحتياطات الإستراتيجية، وتشكيل الجيش القادر على تجسيد الهدف الاستراتيجي لتحرير الأراضي العربية المحتلة من قبل العدو، وإعداد مسرح الأعمال القتالية، وتحديد أكثر الأساليب والأشكال فعالية للصراع المسلح وفقاً للموقف المتشكل، وتنظيم التعاون الاستراتيجي بين الجيش البري والأسطول وتأمين القوات.

**كما أن نتائج هذا البحث تسمح باستخلاص استنتاج مفاده أن الأمراء العرب**، وكقاعدة عامة، كانوا يتقيدون بشكل صارم بمبادئ خوض الحرب التي كانت تحددها القيادة العليا، ففي فترة انقسام الأرض العربية كان الدفاع الشكلَ الأساسي لخوض الأعمال القتالية ضد الغزاة، ففي النصف الأول من القرن الثاني عشر لم يتسنَّ للمسلمين تشكيل جبهة موحدة لصد العدوان عن بلادهم، وبدءاً من عام ١١٦٢م ظهرت نزعة للتوحيد التدريجي للجهود في

الصراع ضد الصليبيين، وذلك عندما قام أمير الموصل عماد الدين الزنكي بإخضاع عدد من الإمارات في بلاد ما بين النهرين وشمالي سورية لسلطته، مما سمح بإنزال خسارة فادحة بالعدو واحتلال أديسيا.

**كما ارتبط الانتقال إلى الأعمال الهجومية الفعالة الهادفة إلى تحرير الأراضي العربية المحتلة بنشاط السلطان صلاح الدين الأيوبي،** ففي فترة ولايته، اعتبرت الأعمال الهجومية التي أصبحت ممكنة بفضل مركزية قيادة القوات المسلحة، الشكل الرئيسي للجهود العسكرية العربية، وبهذا أصبحت الحملات العسكرية الأسلوب الأساسي لتنفيذ القوات العربية للهجوم، حيث كان الهدف الأساسي لتلك الحملات احتلال القلاع والمدن ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة.

**وكان العرب يخططون بشكل دقيق لحملاتهم العسكرية،** كما كان يتم تزويد القوات المشاركة بالحملة بجميع الوسائط الضرورية، بالإضافة إلى وجود نظام اتصال عامل في الجيش بشكل دائم، كذلك كانت القوات تحافظ على ترتيب قتال موحد في أثناء قيامها بالحملات، ذلك الترتيب الذي كان يسمح لها خلال فترات قصيرة بالبدء في المعركة، وقد سعى العرب بشكل دائم إلى أن يخوضوا المعركة الحاسمة مع العدو على أرض مكشوفة تسمح لهم باستخدام المناورة العالية للقوات والمعرفة الجيدة للمنطقة، لكن غالباً ما كانت القوات العربية تلجأ إلى حصار المدن والقلاع وذلك بإشراكها قوات الأسطول وخاصة في المناطق الساحلية، وقد سمح الهجوم الفعال للقوات العربية المسلحة العاملة على الاتجاهين الاستراتيجيين الجنوبي والشمالي للسلطان صلاح الدين الأيوبي بتحرير الأراضي العربية من الغزاة باستثناء بعض المساحات الصغيرة.

**ومن خلال الارتباط الوثيق بتطور الإستراتيجية جرى تطور تكتيك التشكيلات العربية المسلحة،** وقد اشترط بتحسين البنية التنظيمية للقوات وزيادة

إمكانات التسليح والتأمين وبتراكم الخبرة القتالية في التصدي للصليبيين وبإظهار المقاتلين العرب للروح القتالية العالية والمهارة العسكرية.

**ومن خلال دراسة المخطوطات والكتب القديمة** التي دونت عن هذه المعارك يمكن استخلاص استنتاج مفاده أن أعمالاً تحضيرية محددة كانت تسبق المعركة.

**وقد أولى الأمراء العرب جلَّ اهتمامهم لبناء تراتيب قتال قواتهم التي كانت تتغير في أثناء الحروب نتيجةً للخبرة القتالية** المتراكمة والموقف المتشكل بشكل فعلي وطبيعة الأرض وأعمال العدو، كما استخدمت القوات العربية مختلف أساليب خوض المعركة، فقد تحققت الحركية العالية للعرب بفضل الصفات المتفوقة للخيول العربية وخفة التسليح والعتاد مما سمح للقوات العربية باختيار الخطة المناسبة للصراع مع العدو، وبكلمات أخرى، التحديد الصحيح لوقت بدأ المعركة الذي يعد عاملاً هاماً من عوامل النصر وتقليص حجم الخسائر.

**وبهذا الشكل يبين تحليل تكتيك التشكيلات العربية المسلحة،** أن هذا التكتيك تطور من خلال ارتباطه مع التغيرات التي جرت في تنظيم القوات العربية وتسليحها، مع الأخذ بعين الاعتبار خصائص تكتيك الصليبيين والخبرة القتالية المتراكمة في الصراع ضدهم، لذا ترسخت الأعمال القتالية في القوات العربية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر والتي اشتملت في أساسها على الخدعة العسكرية ومناورة الوحدات، فبعد الاستطلاع الدقيق للعدو والأرض كان الأمراء العرب - كقاعدة عامة - يقومون بالتحضير للمعركة بشكل مسبق، ويسعون لإنزال أكبر الخسائر الممكنة بالعدو قبل بدء المعركة الحاسمة من خلال نصب الكمائن والقيام بالهجمات الليلية والصباحية المبكرة والغارات على معسكراته.

**وقد حافظ أولئك الأمراء في بناء تراتيب قتال قواتهم على ذلك التنظيم** الذي كان يسمح بتحقيق المناورة الهادفة قبل كل شيء للوصول إلى مجانب العدو ومؤخرته، ومن ثم محاصرته، وتحقيق الانسحاب السريع لقواتهم في حال

الضرورة، ومن أجل هذا استخدم العرب ترتيب القتال الخامس الذي يقتضي توضع القوات الرئيسية - في مجملها الخيالة - على الجانب مؤمنين ذلك عن طريق حشد القوات في اتجاه يكون متفوقاً على الاتجاه المقابل من العدو الذي يوزع قواته بالتساوي على طول الجبهة.

**وكان المحاربون العرب يركزون جهودهم الرئيسية في بداية المعركة من أجل إنهاك العدو وبعثرة تراتيب** قتاله من خلال الأعمال الفعالة للنبالة، وبالأخص النبالة الخيالة، مستفيدين بذلك من استخدام تكتيك الكر والفر، أما قبيل المعركة القريبة - الاشتباك - التي كان يدخلها العرب فقط في حال توفر اللحظة الملائمة، فكان العرب يركزون جهودهم من أجل منع تعاون الفرسان والمشاة الصليبيين، كما أن المعرفة الجيدة للأرض والظروف الطبيعية والاستفادة منها في تحقيق النصر غالباً ما كانت تشكل أحد العوامل الحاسمة في مجرى النجاحات العربية.

**واستناداً إلى ما سبق** يمكن القول إنه نظراً لبناء القوات المسلحة يجب الاستمرار بدراسة المجالات غير المعروفة بشكل كامل في تاريخ فن السياسة والحرب إبان العصور الوسطى في المنطقة العربية مع تركيز الاهتمام **على المسائل التالية:**

- القوات المسلحة للدول العربية في القرون الوسطى - خبرة البناء والتعاون.
- الإسلام والقوات المسلحة في الشرق - الماضي والحاضر (التاريخ والحاضر).
- الاتجاهات الأساسية، أشكال وأساليب الإعداد القتالي وتربية مقاتلي القوات المسلحة العربية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.
- مصادر وتنظيم التأمين الشامل للقوات العربية في عهد حكم صلاح الدين الأيوبي.



# الفصل الثاني

# السياسة والحرب عند العرب في حرب المغول

مع إطلالة القرن الثالث عشر، كان الوطن العربي مجزءاً محتلاً، فمصر دولة مستقلة، وسورية مملكة الملك الناصر، والعراق يترنح ببقايا الخلافة العباسية، وسواحل فلسطين تنوء باحتلال صليبي. والوطن العربي تجاوره من الشرق الدولة الخوارزمية. وفي أوروبا دول أوروبية تشن علينا حرباً صليبية، وفي الشرق الأعمق تقوم دولة في منتهى القوة، هي المملكة التترية. ويعيش في هذا الوطن شعب تدب فيه حمى التخلف لأسباب شتى.

## آ- إستراتيجية الصراع على الوطن العربي في القرن الثالث عشر:

يتمتع وطننا العربي بميزات جغرافية، ومواقع إستراتيجية هامة، فعلى أرضه قامت حضارة عظيمة، وفي باطنها ثروات كبيرة، سال لها لعاب الطامعين منذ الإشراقات الأولى للتاريخ. وتفيدنا كل الكتب والموسوعات التاريخية، أن هذه المنطقة من العالم، ما إن تنقسم وتضعف حتى تتعرض لغزاة من كل الجهات، فتذهب ثرواتها بين سلب ونهب. وحين تكون هذه المنطقة على جانب من المنعة والوحدة تختفي هذه الأطماع، وتصبح عبارة عن قوة كامنة لدى الدول المستعمرة على مر العصور.

حين كانت الدول الحميرية والآرامية والفينيقية والتدمرية والأموية والعباسية في أطوار القوة والمنعة العربية. كمنت هذه الأطماع الغربية تتحين الفرص، وتترقب الأحيان فكان الغزو الاستعماري لنا حين تمزقنا وتخلفنا. وكانت الحضارة والمنعة لنا حين توحدنا وتحضرنا.

والوطن العربي في القرن الثالث عشر كان بحالة تمزق كما ذكرنا وهو يتعرض للغزو الصليبي غزواً مباشراً. ولكن، لأسباب سياسية وعسكرية، مثل ضعف الصليبيين النسبي وتشنج العلاقات بين الدول الصليبية نفسها، وخلافات إماراته الصليبية وقواعده الاستيطانية في فلسطين. لم يستطع هذا الغزو أن يحقق أهدافه الرئيسية فعمد الصليبيون إلى الإستراتيجية والإستراتيجية العليا يفتشون عن مخرج لهم، فكان أن بدأت مفاوضات خبيثة بين الصليبيين والمملكة المغولية التترية مرت بخمس مراحل.

**ففي المرحلة الأولى عام** ١٢٤٥م شهدت عاصمة دولة التتر الشرقية قراقورم قدوم (جون ده بياني كابريني) مندوب البابا (إينوسنت الرابع) لإقناع التتار بتحويل مطامعهم عن أوربا، إلى البلاد العربية.

**وفي المرحلة الثانية عام ١٢٤٨-١٢٤٩م** توقفت في قبرص شتاء حملة (لويس التاسع) المتجهة إلى مصر كي تكمل استعداداتها، عند ذلك ظهرت أول نتائج المرحلة الأولى فقد استقبل (لويس المذكور) بعثة جغطاي (خاقان التتار) انتهت مباحثاتهما بتحالف صليبي تتري ضد العرب، وعادت البعثة وبصحبتهما بعثة فرنسية بغية التنسيق العسكري بين الجيشين.

**ونستنتج أن هذا** التنسيق كان يفترض قيام لويس بغزو مصر والتتار بغزو العراق وسورية وفلسطين فيحرم المشرق العربي من الاحتياط الإستراتيجي الأخير وهو في مصر، وفي آن واحد يحرم المصريون من هذا الاحتياط لدى السوريين.

**وفي المرحلة الثالثة**: هزم لويس فتحطم التخطيط الاستعماري بضربة عربية قاصمة وعاد الصليبيون للمناورة السياسية على مستوى إستراتيجي.

ففي سنة ١٢٥٢م اتجه إلى عاصمة دولة التتار الشرقية (قراقورم) وفد فرنسي برئاسة (جنيوم ودبروك) واستمرت المفاوضات خمسة أشهر كاملة في بلاط (منكوقا آن) (خان التتار) حتى وصلوا إلى الاتفاق العسكري للهجوم بعد جهود ومطارحات كبيرة.

**وفي المرحلة الرابعة:** لجأ الصليبيون إلى استخدام ثقل الأقليات المقيمة في دولة التتار الموالية لهم وهم الأقلية النسطورية، كما لجؤوا إلى استغلال (دوقوز خاتون) إحدى زوجات (هولاكو) وهي من النساطرة ونفوذها العاطفي عليه كبير.

وانتهت المفاوضات بين الطرفين الوفد التتري برئاسة (هولاكو) والوفد الصليبي برئاسة (هيتوم) ملك أرمينية على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. ويجدر بنا أن ننوه بأن (هيتوم) كان يفاوض باسمه وباسم (بوهيمند) ملك (إنطاكية) وبعد كل هذه الطرق السياسية والأساليب الدبلوماسية، نجح الصليبيون بإقامة تحالف إستراتيجي ضد العرب.

**ب - الاجتياح:**

**العراق:** اجتاح التتر الدولة الخوارزمية في فارس. وأصبحت بغداد قاب قوسين من الاحتلال، ودار الصراع بين تاج الدين بن صلايا نائب الخليفة وتاج الدين بن الدويدا والحملاوي والفدائية العربية شمس من جهة والخليفة المخدوع ووزيره العلقمي من جهة، الذي خان أمته وباع وطنه.

وانتهى الصراع بخدعة كبرى قتل فيها الخليفة وثلاثمئة قائد، وباستباحة بغداد وتدميرها وقتل ٨٠٠ ألف من سكانها[١].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة، المطبعة السلفية والسعادة والخانجي، ط١، ١٩٣٢م، ج١٢، ص ٣٢٤.

- **بلاد الشام:**

كان للحرب النفسية دور خطير في احتلال القطر السوري، فقد سبقت أخبار هولاكو (كما سنبين في الخطط التترية) زحفه إلى بلاد الشام، وأتبعها برسالة إلى الملك الناصر يحذره فيها ويوهمه، أن احتياط بلادك الإستراتيجي (مصر) قد انتهى بقوله في رسالته: (وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا) «فروا بأموالهم إلى (كروان سراي) محط رحال المسافرين - مصر» فإن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا في الأرض خسفناها).

وأعقب رسالته بهجوم خاطف عبر الفرات، وبعد تقدير علمي للموقف، تبين للقادة العرب السوريين أن الحل الأفضل للقضاء على هذا الغزو الاستعماري هو الانسحاب إلى غزة. والتكاتف مع الاحتياط الإستراتيجي المصري فانسحبوا إلى غزة، وبدأت المشاورات العربية (السورية - المصرية) في قلعة الجبل وانتهت بتوحيد الجيش العربي (السوري - المصري) وانسحب الجيش السوري بعد أن أبقى مفارز لعرقلة تقدم التتار ويجب أن ننوه أنه (كان في القطر السوري أكثر من ملك وأمير) فالملك المعظم توران شاه أمير حلب والملك المنصور صاحب حماة والملك الناصر صاحب دمشق وغيرهم. وانضم الملك الناصر صاحب دمشق والمنصور ملك مصر أيضاً[(١)].

أما هولاكو فقد تابع اجتياز الفرات فسقطت حلب في المحاولة الثانية بعد صمود شعبي كبير سنة ٦٥٥ هجرية، وبعد أن أسر التتار من سكانها ١٠٠ألف مواطن. وحاول هولاكو أن يستخدم الأسلوب نفسه مع مصر فأرسل رسالة إلى ملك مصر (الملك المنصور).

- **الصراع في مصر:**

تولى الحكم في مصر الملك المنصور (علي بن أبي عز الدين أيبك التركماني) بعد مقتل أبية مراهقاً. فالتف حوله المماليك وأصحاب المأرب، ولكن

---

(١) جمال الدين حماد، معارك الإسلام الكبرى، طبعة مصر ١٣٧١هـ، ص١٨٠-١٨١.

نائبه قطز كان غير ذلك فحين وصلت رسالة هولاكو إلى الملك (المنصور ملك مصر) وافق على شروطها مع مماليكه، ولكن إرادة الشعب رفضت الذل والهزيمة، وعبرت بتظاهراتها الاحتجاجية على رفض هذا الاستسلام، ووجدوا في نائب القائد العربي (سيف الدين المظفر قطز) نواة يلتمون حولها ومما ساعد المظفر قدرته الخطابية، وقدرته على القيادة، فاستولى على الحكم في مصر، واستطاع أن يحبس الملك وحاشيته في سجن القلعة، وتعاون مع كل الفئات في سبيل النصر، فضم إلى جانبه منافسه الأكبر زعيم المماليك (بيبرس)، ولعل أكبر برهان على ذكائه وقدرته القيادية ما أبداه في سياسة رائعة بأن أَمَّمَ الأراضي والضّياع والمملكات والأموال وأبقاهم إلى جانبه في القتال إلى آخره.

## ملحمة عين جالوت

### آ - الخطة اللوجستية

بعد أن أصبحت مقاليد الأمور في يد القائد (سيف الدين المظفر) أعد البلاد اقتصادياً (بأن يأخذ في أسباب جمع الأموال فأخذ من أهل مصر والقاهرة عن كل رأس من الناس ذكراً أو أنثى ديناراً واحداً وأخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهراً واحداً، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلاً وأخذ على الغيطان والسواقي أجرة شهر).

وأمن لكل جندي عربي صولقة (مزوّدة) تغلق على جانبه الأيمن يتناول فيها طعامه المكوّن من قطعة لحم وبقية الوجبة، واهتموا أثناء رسم الخطة الإدارية هذه بالاقتصاد بالمؤن والتعيينات لصرفها حين الحاجة وأرسل المظفر إلى المنصور صاحب حماة يقول: (لا تحتف في مد السماط (مائدة) بل كن واحداً من أصحابك يفطر على قطعة لحم في صولقة (مزود) وذلك حتى يحيا الجند حياة جدية استعداداً للقاء الأعداء[1]. ممّا يدلّ على وعي إداري علميّ.

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المذكور في كتاب معارك العرب ضد الغزاة للمؤلف محمد عماره، ص١٣٣.

كما أقام المصانع لصنع الأسلحة من منجنيقات وسيوف ورماح وأقواس ونبال وحول الصناعات كافة لمصلحة الحرب. فأصبحت مصر بذلك مُصنِّعاً لكل صنف، كما اشترى البغال والإبل والجياد من أصحابها لصالح المعركة فأمن لذلك أدوات النقل ووسائطه، كما رسم في خطته هذه الاستفادة من منطقة الأعمال المقبلة للتأمين الإداري والمعاشي.

**ب - الخطة النفسية:**

إن بداية الحرب النفسية المعاكسة ضد المغول كانت فردية في البداية مثل تقديم الفدائية العربية البطلة شمس كهدية إلى هولاكو كي تقضي عليه، وأقدمت على محاولة ضربه بخنجر كانت تخفيه في ثيابها لكنه كشفها فأمرها أن تكتب على صدر البطل العربي زنكي كلمة (عربي) بخنجر أكثر رهبة فأحجمت عن ذلك، فاندفع زنكي ومزق صدره وهو يكتب عليه كلمة عربي حتى أغمي عليه.

وتتابعت الحرب النفسية المعاكسة، في قتل المغول الخمسة الذين جاؤوا برسالة هولاكو فأسفهوا بالكلام، فقطعت رؤوسهم ووزعت على المحافظات بعد تعليقها على باب زويلة، وأبقوا واحداً منهم كي يصف للعدو التتري إصرار العرب على القتال بأن أطلقوه إلى هولاكو، وواضح أن الهدف من ذلك هو بث الرعب في قلوب العدو، وإضعاف قواه المعنوية، وتبديل الصورة في مخيلات جنده.

ولعلَّ الخدعة العربية التي أقدم عليها بيبرس عندما قتل مئة من جند الصليبيين الذين أُرسلوا إلى هولاكو كي ينضموا إليه وألبس لباسهم لمئة من جند العرب وأرسلهم مكانهم ليصبحوا بمثابة بؤر للرعب من العرب عن طريق بث الشائعات، والتحدث عن البطولات العربية، فيغرسوا بكل ذلك هيبة العرب في نفوس التتار، ثم لسبب أهم هو الإغارة على التتار من الخلف بعد أن يضرموا بالمضارب المعادية النار ويرموهم بالمنجنيقات التترية نفسها.

هذا عن الحرب النفسية المعاكسة أما عن إعداد العرب نفسياً، فقد أثيرت الحمية القومية العربية بإبراز أكبر معاني الشجاعة والوفاء والمروءة، ومآثر العرب بالمحاضرات والخطب والدروس التاريخية فأذكوا في نفوس الجند الحماس لاسيَّما حين انخرط القادة بين الوحدات يستمعون ويوجهون، حتى أتت الحملة النفسية العربية أكلها بأن أعلن العرب قرارهم إلى القادة ثم إلى الجند وهو الهجوم أولاً وعلى الفور. وقد سبق كل ذلك بث الدعاة والخطباء في المدن والقرى يدعون الشعب للتطوع والتبرع. وهكذا فقد طبَّقَ العرب منذ القرن الثالث عشر أغلب النظريات العلمية الحديثة في علم النفس فكان نجاحهم على حيز العمل أكبر من التخطيط النظري(١).

**ج - خطة المسير:**

جهز العرب بقيادة الملك سيف الدين قطز جيشهم ورسموا خطة تحركهم وترتيب ما قبل القتال لجيشهم فأخذوا نظام الأرتال وقسّموا الجيش إلى مجموعات - كما حددوا نقاط الاستراحات للجند في - الريدانية - الصالحية - ثم حسب تطور الموقف وأرسلوا مجموعة رأس بقيادة بيبرس نفسه.

## ملحمة عين جالوت

**آ - المرحلة الأولى:**

أعد العرب جيشهم ورفعوا قواه المعنوية، وجهزوه بالسلاح والمؤن، ونظموه تنظيماً جيداً، ثم قدروا الموقف تقديراً دقيقاً وفق معطيات الزمان والمكان فقرروا الخروج لملاقاة العدو:

---

(١) جمال الدين حماد، معارك الإسلام الكبرى+ محمد عمارة، معارك العرب ضد الغزاة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار.ت بيروت، ص١٣٤.

أولاً لرفع الروح القتالية: وحدوا الجيشين في جيش واحد وقرروا أن تبدأ الحرب بمناوشات (كَرٍّ وفَرٍّ) لاستنزاف قوات العدو، وأن يهجموا على مجموعات صغيرة بقوات كبيرة وفقاً لأعظم مبدأ من مبادئ الحرب الحديثة وهو مبدأ الحشد والاقتصاد بالقوى والوسائط ومبدأ آخر وهو المفاجأة،وقرروا الاستعانة بالسكان المحليين في مناطق القتال العربية لا سيَّما الفلاحين والعمال الفلسطينيين في أرض العمليات المباشرة فاتفقوا معهم ونظموا أمرهم وحسبوا في المرحلة الأولى للخطة تحييد المستعمرات الصليبية المستعمرة أو الباقية في أجزاء من ساحل المتوسط الشرقي وعد قبول الصليبيين كأنصار أو معاضدين خوفاً من خيانتهم، وقرروا أيضاً الموت أو النصر، وكانت كحسابات تعدل وفق المواقف الجديدة.

**ب - المرحلة الثانية:**

نفذت المرحلة الأولى بنجاح فقد تمّ الإعداد الكامل وانتهوا من مرحلة المسير وبدؤوا بالاشتباكات مع العدو وفق مبادئ الحرب المعروفة، ونظموا تعاونهم مع السكان المحليين وانتهت المرحلة الأولى عملياً بتحييد الصليبيين وهزائم جزئية للتتر انتهت أيضاً بتجمعهم من جديد عند نهر العاصي في البقاع وتقدموا باتجاه الجنوب بينما قرر العرب العسكرة بجيشهم البالغ تعداده (٧٧) ألف مقاتل كي يكسبوا موقعاً قتالياً ملائماً ؟! وليدبجوا جنودهم استعداداً لمرحلة القتال القادمة وبعد استطلاع القادة لمختلف الأماكن قرروا أن يعسكروا في مكان توافرت فيه ما أرادوا من شروط، حيث جعلوا مستنقعات عين جالوت ونهر الأردن يحميان جناح الجيش العربي الأيمن كحاجز مائي طبيعي وهذا ما يحول دون التفاف العدو عليهم من هذه الناحية ويضعف قدرة التتر على المناورة، وليؤمنوا مورداً مائياً للجند والخيل.

وقرروا وضع المؤخرة بعد فرجة ضيقة يمكن لخيالة التتار أن يعبروها لخلوها من المستنقعات وقرروا إقامة نقاط استناد خلفية محكمة على شكل

جيب من النبالة ورماة المنجنيقات، بحيث تطالهم قذائف العرب وسهامهم، وخلف نقاط الاستناد هذه حشد احتياط القيادة الرئيسي وهم من المشاة العرب السوريين، وهدفهم الانقضاض والإجهاز على خيالة العدو بعد دخولهم الفخ المرسوم، ووُضِعتْ الخيالة المصرية خلف هذا الاحتياط لنجدة النقاط التي يحدث فيها خرق ولزجها بحسب ضرورات المعركة.

**ج - المرحلة الثالثة:**

كان قرار القائد العربي المظفر سيف الدين أن يلجأ إلى استراتيجية هجومية دفاعية باستخدام خطة رائعة للدفاع المتحرك، كما أشرنا سابقاً، وذلك بأن تقوم الفئة المؤلفة من مئة فارس عربي لدى العدو ببث الفوضى والتخريب في صفوف العدو ومعسكراته بالتنسيق مع القوات الرئيسية، ثم يُثبت الجناحان الأيمن والأيسر ويتيسَّر للتتار الخرق في القلب حتى إذا ما أصبحوا في النقاط المحددة، يتحرك الجناحان بشكل حلقي ويصليانهم وابلاً من مقذوفات المنجنيقات والسهام[١] والحجارة ثم الانقضاض للإجهاز على جيش العدو المحاصر وتدميره وإن فرت بقاياه، فمطاردتها بالاستعانة بالسكان المحليين. بينما قرر القائد المغولي كتبغا معلم هولاكو، وهو القائد المجرب ذو الخبرة القتالية العملية، أن يعيد تنظيم قواته لهجوم ساحق كعادته ثم يدخل القاهرة براً بوعد قطعه على نفسه لملكه هولاكو عند توديعه لدى عودته إلى بلاده بعد قيام ثورة على حكمه بعد موت أخيه (ناخومان) ويمكننا أن نصف ما كان يدور في مخيلة القائد المعادي كتبغا في هذه المرحلة:

إن كتبغا كان يعتمد على الهجوم الصاعق الذي تسبقه حرب نفسية تعادله إن لم نقل تفوقه، وفي هذه المعركة فوجيء كتبغا بانسحاب مقدمة جيشه التي تمثل مجموعة استطلاع قتالية له وأحس للمرة الأولى أنه أمام شيء آخر.

---

(١) محمد لبيب البوهي، قاهر التتار، ص٢٧١-٢٧٨.

والعامل الثاني هو انشغاله الباطني بالثورة ونتائجها في بلاده، وحاول أن يذكي شجاعة جنده بأن وعدهم بإباحة القاهرة لهم سبعة أيام، وأثار فيهم أيضاً الولاء القبلي إذ قال: (يجب علينا أن نفي بنذر هولاكو). ويعني اجتياح القاهرة. إذاً فقد قرر كتبغا استغلا العامل القبلي وعامل الترغيب بالغنائم وقرر أن يستغل كل ظرف لصالحه بحسب تطور ظروف القتال. الفرق الجوهري بين القرارين اتصاف القرار الأول بالحذر والدقة نتيجة للمقومات المتوفرة عن قوة العدو وانتصاراته، واتصاف القرار الثاني بالغرور بالإضافة إلى القلق النفسي الداخلي - نتيجة للانتصارات العديدة والقلق نتيجة لانكسار مقدمته والثورة في بلده ومعسكراته.

**د - المرحلة الرابعة:**

حدد القائد العربي سيف الدين يوم وساعة بدء القتال في الساعة الخامسة من يوم الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ الموافق الثالث من أيلول عام ١٢٦٠م[١]، وتم التنفيذ بأن قُذفت معسكرات التتر ومواقعهم بالمنجنيقات من كل جانب بالتعاون مع مجموعة القتال خلف خطوط العدو التي أفلتت الخيول المغولية وبدأت بضرب المغول أنفسهم بالمنجنيقات فذعر التتار وشنوا هجوماً عاصفاً باتجاه الجيش العربي واخترقوا الوسط، فوقعوا في الكمين المعد سابقاً تحت وابل من مقذوفات العرب تبعها هجوم عربي ساحق لقي مقاومة عنيفة جرح خلالها القائد العربي.

فاستغل كتبغا هذا الحدث لحرب نفسية جديدة فأشاع موت القائد العربي فكادت تعلق النتيجة ووصلت القلوب الحناجر واستمرت المعركة سبع ساعات متصلة، انهار فيها التتار أمام هذا التكتيك الجديد، فقرروا الانسحاب، وحين اشتد الضغط عليهم فروا من ساحة القتال بأن شقوا طريقاً في الطرف الأيمن

---

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ٣٦١/١.

للعرب فتعقبهم العرب، ووقعوا أمام الكمائن التي أقامها العرب الفلسطينيون أي السكان المحليون. فلم ينجّ من هذه المعركة إلا عدد ضئيل إذ استمرت المطاردة حتى العراق ولم تتجاوز المطاردة ذلك خوفاً من انقضاض الصليبيين على مؤخرتهم فعادوا.

**هـ - الخاتمة:**

إن السبب الرئيسي في هذا النصر ليس السلاح أو الخطة أو القائد بقدر ماهو الفرق بين الهدف الذي كان يقاتل من أجله الجندي العربي والهدف الذي كان يقاتل من أجله الجندي المغولي ووضوح الهدفين، فقد كان المغولي يهدف إلى كسب غنيمة ورفع شأن قبيلة، بينما كان الجندي العربي يدافع عن وطنه بكل ما في هذا الوطن من أهل وديار وأملاك، ومعانٍ عاش لها من كرامة ووطنية إلى شجاعة ومروءة ووفاء، وعامل ضم كل ماسبق وهو الوحدة التي جمعت العرب من مزق تلهو بها رياح السموم في جبهة قوية صلدة أمام كل غازٍ ورادع لكل عدو. وما عين جالوت في القرن الثالث عشر وذي قار في القرن السابع إلا نبراساً يضيء لنا طريق التحرير، فكأني بأمتي في مخاض عين جالوت جديدة لتحرير فلسطين.



# البَابُ الثَّالِثُ

## السياسة والحرب في بلاد الشام

## فيما بين الحربين العالميتين



# الفصل الأول

# إعلان الثورة

## أولاً: مبايعة الحسين بن علي ملكاً على العرب:

**كان الأتراك يعتبرون القائمين بالثورة عصاة خارجين على القانون، وكان الحلفاء ينظرون إليهم كثوار لا أكثر، وفي هذا ما فيه من الخطر على مستقبل الأمة،** فكان لا بد من إعلان استقلال البلاد العربية بأجمعها والبيعة للحسين بن علي ملكاً على العرب[١]، فتذاكر الأمير عبد الله مع زملائه الوزراء[٢] - ما عدا الأميرين علياً وفيصلاً اللذان كانا في الجبهة - وقد حضر المذاكرة الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة ونائب رئيس الوزراء، والشيخ يوسف قطان وزير النافعة، وحافظ محمد أمين أفندي ناظر الأوقاف، وعزيز علي المصري رئيس أركان الجيش العربي، وعلماء مكة ومفتيها، ومن حضر من رجالات الشام

---

(١) من اجل التوسع في هذا الموضوع يجب العودة إلى مذكرات الملك عبد الله بن الحسين في الآثار الكاملة ص ١٣١.

(٢) شكلت هذه الوزارة بعد الثورة برئاسة الأمير علي بن الحسين وكان من أعضائها: الأمير فيصل وزيراً للداخلية والأمير عبد الله وزيراً للخارجية وعزيز علي المصري وزيراً للحربية ورئيساً لهيئة الأركان، ولكن لم يمارس احد من هؤلاء مهام وظيفته ممارسة فعلية بسبب انهماكهم في الحرب. (راجع: الحركة العربية، سليمان موسى ص ٢٨١).

والعراق الذين منهم: الشيخ كامل القصاب والسيد محب الدين الخطيب وآل البكري والشيخ فؤاد الخطيب - وكان معاوناً للخارجية - وآل الداعوق والضباط العراقيون... **فوافقوا جميعهم على الرأي وألحوا على السرعة في التنفيذ.**

**فدخل الأمير عبد الله على والده وعرض عليه الأمر فرفض الشريف حسين بشدة قائلاً:** « أنا لا أعمل للمُلْك ولا أقبل هذا الأمر الذي تعرضونه علي ». فتقدم منه ولثم ركبته وقال: « هذه العريضة مقدمة من عظماء الحجاز ومن حضر من سائر بلاد العرب وهم يلتمسون قبول عرضهم ». فقال: « ليس عندي سوى ما قلته لك ». فقال: « لسنا جميعاً على استعداد لخدمة الثوار إلا على شرط قبول ما عرضناه، فاعمل ما تشاء مع سوانا». فقال: هل بلغت بكم الحال إلى هذه الدرجة ؟ فقال: نعم. فقال: قف، فوقف، ثم أمر بحضورهم جميعاً. فلما جاءوا سألهم: أصحيح ما يقول ؟ قالوا: لا يجرؤ أحد على أن يعرض على سيدنا ما لا صحة له. قال: هل عزمتم على عدم الاستمرار في الثورة إن لم أقبل ما عرضتموه ؟ قالوا: نعم سننسحب كلنا، فقال: أفعلوا ما شئتم والتبعة عليكم، فأنني أقبل ما عرضتموه منفذاً لرغبتكم لا موافقاً عليها. قالوا: إذن وفقك الله، وستكون البيعة يوم الاثنين أول محرم سنة ١٣٣٥ الموافق ٢٨ تشرين أول عام ١٩١٦ في المسجد الحرام، **فقال: على بركة الله.**

**كانت البيعة عامة. وقف الناس يبايعونه من ضحوة النهار إلى أن أذن الظهر،** أربع ساعات كاملة. وبعد أن عاد إلى القصر الملكي ودخل الحجرة الخاصة، تقدم الأمير عبد الله مهنئاً وقال: « **هذه البيعة العلنية، أما البيعة السرية** فكانت والأتراك في البلاد، وقد أخذتها من أحد عشر ألف رجل بمكة، كلهم بايعني على أن اختار لهم ملكاً هاشمياً يسير بهم على ما أمره الله ورسوله، وكانت بإذن جلالتك ». فقال: « تذكرت.. تذكرت » ثم أبرق الأمير عبد الله بصفته وزيراً للخارجية لكل وزراء الخارجية من دول الحلفاء والدول المحايدة، وأبلغهم بما تم. واستمر العمل ذلك اليوم من بعد الظهر إلى ما بعد منتصف الليل، وكان يساعده في ذلك الشيخ فؤاد الخطيب.

**وفي اليوم الثاني طلب المعتمد البريطاني العقيد ولسن والمعتمد الفرنسي العقيد بريمون مقابلة الأمير عبد الله وزير الخارجية فظن أنهما سيقدمان إليه التهنئة على ما وقع، وإذا بهما على عكس ذلك يقولان:** « لم فعلتم هذا الأمر قبل الرجوع إلى رأي حلفائكم ؟ » فقال لهما: «عجيب ما تقولانه... إننا نقاتل بسيوفنا في سبيل الله وإعلاء كلمته وإرجاع حقنا القومي إلى نصابه، فمن ساعدنا وأيدنا فهو صديقنا، ومن نكص عنا، وأحب أن يفت في عزائمنا فهو لا يريد بنا الخير، ونحن لا نسفك الدماء إلا في حقها، فإذا رأيتم أننا على خطأ فأنتم تضمرون لنا غير ما تعلنون. وإنني لانتظر رد حكوماتكم، لا ردودكم الشخصية، أنا أعتقد أن الترك وحلفاءهم اليوم سيقرون ما فعلناه ويقبلون الصلح وهذا أمر نحبه »... فقالوا: هل تشك سموك في إخلاصنا ؟ قال: « لا، ولكن نحن أعلم بما ينبغي لنا أن نفعله من أجل القضية العربية[١]».

**وفي اليوم الثاني جاء الرد من السيد ستورمر وزير خارجية روسيا القيصرية، وقد اعترف باستقلال البلاد العربية وبملكية صاحب الجلالة الهاشمية الحسين بن علي ملكاً على الأمة العربية،** مقدماً تحيات جلالة القيصر نيقولا الثاني إلى جلالته وتحياته هو إلى الأمير عبد الله وزير الخارجية وإلى الحكومة. فبلغ الأمير عبد الله هذه البرقية إلى دول الحلفاء قراءة. فقال العقيد ولسن: أتعد هذا اعترافاً منه ياسمو الأمير ؟ فقال: وكيف يكون الاعتراف أذن ؟ فقال: « تكرم إذا بقبول تهاني الشخصية على أن أقدم التهاني الرسمية بعد تلقي الإعتراف من حكومتي[٢]».

---

(١) لا شك أن الحلفاء الانكليز والفرنسيين لم يكونوا أبداً راضين كل الرضى عن المبادهات التي كان يقوم بها قادة الثورة العربية من حين لآخر والتي تخدم المصلحة العربية أو لأنهم كانوا يريدون من الثورة العربية أن تكون بالنسبة لهم مثل الصقر يصطاد الحبرية ولا يأكل منها شيئاً... ولذلك كانت مساعداتهم للثورة أقل من القليل.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٣.

**وبعد مباحثات بين الحكومتين البريطانية والفرنسية، اتفقا على الإعتراف بالشريف ملكاً على الحجاز فقط ومخاطبته بلقب** « صاحب السيادة » وليس بلقب «صاحب الجلالة» وفي ١٠ كانون الأول ١٩١٦م أرسل ولسن وبريمون جواب حكوميتها على هذا الأساس. **وقد جاء في رسالة الحكومة البريطانية ما يلي:**

« إن الحكومة البريطانية وحكومتي فرنسا وروسيا - مع أنها تعتبر وستظل تعتبر سموكم الرأس الأسمى للشعوب العربية في ثورتها ضد الحكم التركي الظالم - يسرها علاوة على هذا أن تعترف اعترافاً واقعياً بسموكم حاكماً شرعياً مستقلاً للحجاز - ولكنها في الوقت الحاضر لا ترى أن الفرصة مناسبة لاتخاذ لقب بمعنى الملك الذي قد يكون سبباً لتفريق كلمة العرب وتفكيك عرى جامعة الاتحاد بينهم في مثل هذه الظروف، ومن ثم قد يؤثر تأثيراً سيئاً على تأسيس جزيرة العرب تأسيساً سياسياً وبشكل نهائي على أساس متين ثابت الأركان[1] ».

## ثانياً - استئناف الجهاد:

**قرر القادة العرب أن يبادروا إلى مهاجمة المدينة من الغرب والشرق بعد استسلام حامية الطائف في أيلول، وكانت هذه الخطة تقضي بأن** يزحف الأمير عبد الله بقواته من الطريق الشرقي، ولكن عدم وجود المياه على تلك الطريق اضطرته إلى تأخير الزحف حتى شهر تشرين الثاني موعد نزول الأمطار.

---

(١) راجع النص الكامل للرسالة في المراسلات التاريخية عدد ٦٠ ص ٩٣ - ٩٤، وراجع أيضاً رسالة الملك حسين إلى رنجت حيث يدافع عن هذه المبايعة وهذا اللقب بتاريخ ١٣/١٢/١٩١٦ - المراسلات التاريخية - العدد ٦١ ص ٩٤ - ٩٦. وراجع رسالة الشيخ رشيد رضا إلى الملك حسين من القاهرة بتاريخ ١٨ / ١٢ / ١٩١٦ يهنئه بإعلان نفسه ملكاً على العرب - المراسلات التاريخية - عدد ٦٢ ص ٩٦ - ٩٧.

وهذا هو السبب ذاته الذي كان يضطر الأتراك إلى محاولة الزحف على مكة عن طريق الساحل حيث تتوافر المياه(١).

**وعلى الرغم من تفوق القوات التركية النظامية في المدينة،** فإن فخري باشا لم يستطع اختراق سلسلة التلال المشرفة على الشاطئ بسبب عجزه عن تأمين خط مواصلاته. وقد اندفع في إحدى الهجمات حتى أشرف على ينبع ولكن رجال البدوا هاجموا خطوطه الخلفية وعرقلوا مواصلاته وأخذوا ينهبون قوافله. وبعد مرور حوالي الشهرين اضطرت القوات التركية إلى الانسحاب من مواضعها بصورة تدريجية. وذلك ليأسها من التغلب على العشائر وتأمين مواصلاتها.

**كما أن عجز فخري باشا عن تأمين المياه الكافية** لرجاله ودوابه كان سبباً مهماً من الأسباب التي أجبرته على التراجع بل السبب الوحيد على حد قوله.

**ففي تلك الحرب كان الأتراك يتفوقون على العرب بقواتهم النظامية ومدفعيتهم وأسلحتهم،** ولكنهم كانوا يحاربون في بلاد وعرة صحراوية جافة لا يوجد فيها مياه إلا في أماكن متباعدة. وأهم من هذا أن أهل البلاد كلهم كانوا يقفون ضدهم وهم أعرف بالأرض منهم وأخف حركة، مما يسهل عليهم التنقل أفراداً وجماعات بين الشعاب والأودية، بينما كان الأتراك لا يستطيعون السير إلا في مجموعات كبيرة وكانت أسلحتهم الثقيلة معهم محملة على الدواب. هذا كله جعل المهمة شاقة على كلا الطرفين المتقاتلين.

**اسندت إلى الأمير عبد الله مهمة قيادة الجيش الشرقي العربي مرة أخرى.** وكان القوام الأساسي لهذا الجيش لواءين من الهجانة المدربين، ولواء من الخيالة ومعهم بطارية مدفعية جبلية، إضافة إلى عشائر عتيبة وعشائر مطير وعشائر حرب وعشائر هتيم، ولدى الوصول إلى بلاد جهينة وبعد إتمام التجهيزات توجه في العشرين من شهر صفر، ونزل وادي الليمون. وكانت

---

(١) راجع بالنسبة لهذه الفقرة كلها مذكرات الملك عبد الله كما جاءت في الآثار الكاملة ص ١٣٣ - ١٣٤.

قوات الأميرين علي وفيصل في رابغ وينبع تحت ضغط شديد من فخر الدين باشا. وكان الشيخ حسين بن مبيريك شيخ رابغ قد التحق بالقوى التركية وأقام ببعض عشائره في حجر - موضع بأرض وعرة شرقي رابغ وعلى طريق خلص فعسفان - وعلى هذه الصورة كانت الطريق مفتوحة لقوات فخر الدين باشا. فأسرع الأمير عبد الله بالمسير، ولما وصل إلى البركة - منزل للحجاج في الطريق الشرقي - تلقى أمراً من القائد العام، الأمير علي بن الحسين، يخبره فيه بأن الأمير فيصل في ضيق شديد بينبع. وأنه يتوقع هجوم فخري باشا عليه في أية لحظة وخاصة لدى مروره على طريق خلص إلى مكة، ولهذا يأمره بالرجوع إلى مكة، ومنها يجب أن يغذ السير إلى عسفان لتشكيل جبهة جديدة تدافع عن مكة، ويقول إنه إن لم يفعل هذا فربما قطعت عليه خط الرجعة، فيضمحل الجيش بدون أن يحقق أية مهمة ناجحة.

**ولما كان الأمير عبد الله يعلم جيداً أن في تنفيذ هذا الأمر انفراط أمر العشائر التي تساند الثورة العربية الكبرى قام بما يلي وعلى مسؤوليته[1]:**

بعث الشريف فوزان الحارث بألف وخمسمائة هجان مردوفة. وأمره بان لا يصبح الصبح إلا ويكون قد احتل حجر واستأصل حسين بن مبيريك واجتثه من جذوره. وبعث بجواب إلى الأمير علي مع رسول إلى رابغ يعلمه فيه بان لا حجر ولا ابن مبيريك بيد الترك بعد اليوم. وبعث الشريف عبد الله بن ثواب الحارثي بمثل تلك القوة إلى المدينة وأمره بأن يشن الغارة على

---

(١) لا شك أن هذا الإجراء الذي قام به الأمير عبد الله يعتبر خروجاً على المألوف في العلم العسكري لأن المبدأ الأساس في الانضباط (نفذ ثم أعترض) ولكن الأمير عبد الله أخذ هذا القرار الجريء على مسؤوليته اللاحقة. ولحسن الحظ أنه نجح في ذلك.... ولو حدث العكس لكان من الممكن أن يعتبر متمرداً على قرارات القائد العام وأوامره ولكن وضوح الرؤية واستشفاف آفاق المستقبل التي كان يتمتع بهما الأمير عبد الله سهلا عليه اتخاذ القرار الصحيح في الموقف الصعب والمعقد.

مخافر الترك بجبل (وعيرة) وجبل (أحد)، وأن يوقد نيراناً كثيرة بالجبال والمرتفعات ويكثر الصياح وأن يأسر كل محتطب أو ذا حاجة أو تاجر من تجار نجد ممن يخرج من المدينة أو يدخل إليها، وأن يطلق سراح الراجعين إلى المدينة بعد أن يتحقق من هوياتهم، وأن يزودهم بكتب إلى العشائر بغربي المدينة ممن التحق بالأتراك والشريف حيدرً، ويهددهم بالصياح إذا هم لم يتراجعوا إلى الأميرين بينبع ورابغ، ويقول لهم أنه في مقدمة الجيش الشرقي وقد نفذ ما عليه، وكأن حجر قد احتلت في الوقت المحدد.

وتوجه الأمير عبد الله بالقوة الرئيسة إلى ناحية (الحناكية)، وأقام بها ثلاثة أيام فالتحقت به هناك كل عشائر هتيم وحرب. وأصبحت القوى حوالي عشرين ألف مقاتل.

## ثالثاً - أسر القائد التركي العميد أشرف بك:

**توجه الأمير عبد الله قائد الجيش الشرقي بهذه القوى نحو الغرب ليعبر السكة الحجازية ما بين محطتي (أبا النعم) و (هدية).** وفي طريقه بالحرة، ولشدة الحر يومئذ وللتخلص من وعورة الحر - [كما يروي الملك عبد الله في مذكراته][(1)]، تقدم ومعه هجانان، وإذا بقاع صحصح فيه دوحة عظيمة وغدير أفيْح، فأناخ وأمر بشيء من القهوة في انتظار قدوم عناصر استطلاع الجيش وكان كل من رآه هناك ينيخ أيضاً راحلته... ونظراً لتأخر القوة الأساسية قرر أن تكون الدوحة منزلة الظهيرة[(2)]، وكان عند الأمير عبد الله حينذاك الشريف شاكر بن زيد وخالد بن لؤي والشيخ ناهس الأويبي شيخ مشايخ حرب. وبينما

---

(١) راجع الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين ص ١٣٤ - ١٣٨ وما بعدها.

(٢) منزلة الظهيرة: (استراحة الظهيرة وكانت تعطى للقوات الراجلة بعد مسير ساعات الفجر الأولى وساعات الضحى « ٤ - ٦ » ساعات.

هم جالسون دخل رئيس عشيرة (ولد)، محمد رجا بن خلوي، وأشار إلى الأمير عبد الله بيده فقام إليه، فأشار إلى تل لا يبعد عن المكان بأكثر من خمسمائة متر وقال: هل ترى هذا التل ؟ قال: أراه. قال: إن به قوة تركية. قال: كيف ؟ قال اسمع من هذا الغلام..... وإذا بغلام تتقد عيناه يقول: يا سيدي عان الترك عانهم - أي انظر إلى الترك انظر إليهم باللهجة البدوية - قال: كيف ؟

**قال الفتى**: « **انني وأخي زمالان للشيخ رجا بن خلوي، ذهبنا في مقدمة القوم نحتش حشيشاً فألقى الترك القبض علينا**، وقال كبيرهم لنا من أنتما ومن هؤلاء القوم ؟ فقلت أنا مبادراً: هؤلاء هتيم وشيخهم سمران بن سمرة ونحن منهم قد بلغه أن الشريف عبد الله نزل الحناكية فرحل عن طريقه لاجئاً إلى خيبر. فقال: لا تكذب، فقلت ولم الكذب أطلقني إن أردت واحتبس أخي وأنا آتيك بسمران بن سمرة، فاحتبس أخي وأطلقني. ولكن عان يا سيدي الترك عانهم » !. فقال الأمير عبد الله: هل رأيت كثرتهم ؟ قال: « هم كثير ولكن نحن أكثر. ابعث بي أدل القوم ».

**فانتحى الأمير عبد الله ناحية وقسم الخيل إلى ثلاثة أقسام**: القسم الأوسط وعليه الشيخ هوصان بن عفار، والأيمن وعليه أخوه الشيخ راقي بن عفار، والأيسر وعليه الشيخ عبد الله بن مسفر، وأمرهم أن يحيطوا بهذه القوة وأن يوغلوا إلى ما وراءها حتى يقفوا على حقيقة الحال... هل لهؤلاء من مدد أو قوة كاملة ؟!. فتوجهت الخيل، ثم بعث بمشاة العشائر من اليمين بقيادة الشريف خالد بن منصور، وبعشائر هذيل بقيادة الشريف فائز الحارث، وبعث بعشائر ثقيف وابن الحارث وهذيل الشام بقيادة الشريف شاكر بن زيد من لمسيرة، فتبعوا الخيل. ولم تمض إلا دقائق حتى كان الاشتباك الشديد، وإذا برشاشاتهم تلعلع وأصوات الانفجارات تملأ الجو فينعكس صوتها بين وديان الحرة وهضابها، فلم يقف إنسان بمحله بل حملوا حملة صادقة فأبادوا القوة التركية عن بكرة أبيها، وأتوا بقائدها العميد أشرف بك، وبالمدافع

والرشاشات، وبغنائم لا تحصى، وبهدايا إلى الأمير ابن رشيد وإلى الأمير ابن سعود وإلى إمام اليمن، وكان من جملة الغنائم ثمانية وثلاثون ألف جنيه ذهباً عثمانياً، والأطعمة المجففة والبسكويت مما أغنى القوات العربية في الجيش الشرقي أياماً عن الزاد. في وقت كانت بحاجة ماسة إلى كل شيء حتى الملح.

**سارت القوات وعبرت السكة قبل أن تأتي قوة تركية تمنع العبور وهي في مفازة خطرة**. ثم احتلت القوات العربية ما بين (هدية) و (أبا النعم)، الخط إلى آبار (أبا الحلو) غربي السكة. واستمر العبور أربع ساعات ونصفاً على ثمانية موجات، ثم اقتلعت أعمدة البرق وانتزعت قضبان السكة، وقد كتب أشرف بك مصيره في تقرير علق على قضبان البرق. وكتب الأمير عبد الله كتاباً إلى فخر الدين باشا أبلغه فيه أسفه لما وقع على أشرف بك وحملته. وأبدى عجبه من إرساله تلك القوة بهذه الأموال في بلاد ثائرة، وذكر له أن الثورة ثورة قد انتقلت إلى ما بين الشام والمدينة. وفي هذه الأثناء كان فخر الدين باشا قد تراجع من (ينبع النخل) ومن (وادي الصفراء) ومن (بئر سعيد) إلى (بير درويش). وجناحه الأيمن الذي كان يعمل ضد الأمير فيصل رجع من (بير قاضي) و(سطح الغاير) ومن (برام) و(عبود)

**انفجرت إحدى إطارات السيارة فتوقف الموكب لتعميرها فتوقف الموكب لتعميرها، وإذا ببدويين يمران ومعهما بعض ما اشتريا من السوق ببئر درويش، فقال أحدهما للآخر**: من هؤلاء ؟ فقال الثاني: هذا عبد الله ابن سيدنا، والآخر لعله فخري بايا. ثم تقدما مسرعين نحوهما، وبعد أن سلما على الأمير عبد الله قالا عن فم واحد: هذا فخري باشا ؟ فقال لهما: « إنه هو » فالتفت إليه أحدهما وقال: « أأنت فخري باشا ؟ » قال: نعم. قال: « أمدد يدك أصافحك، فأنت الشجاع الباسل الذي صدنا عن المدينة المنورة شهوراً عديدة ». فصافحهما، ثم قال للأمير عبد الله « إن هذه لأكبر مكافأة لي من رجلين لا يؤملان مني أي صلة أو جاه، فإذا هي الحقيقة وبهما الشرف لي »، وامتلأت

عيناه بالدمع فقال له الأمير عبد الله: « إنهما من العرب، والعرب أمة شريفة تقدر الرجال حق قدرهم ».

**وتم إصلاح السيارة، وتابع الموكب المسير، وإذا بقوة عربية نظامية من راكبي البغال عددها مئتان وخمسون،** يقودها القائد شكري بك الشويحي، مصطفة للتحية، وقد جاءت للاستقبال من بئر درويش بأمر من سمو الأمير علي، فالتفت وقال: هذه القوة عربية ؟ قال الأمير عبد الله نعم، فوازن نفسه وزرر معطفه ثم قابل التحية بتحية عسكرية وقال بالتركية: « هرشي اولمش بتمش » أي أن كل شيء حصل وانتهى. وبدا عليه السرور مما رأى، لأنه كان يظن أن العرب لا يحسنون تنظيم أنفسهم.

**وصل الموكب إلى المضرب الهاشمي في بئر درويش قبل الظهر بساعة فترجل الجميع،** وكانت جموع الناس مجتمعة لترى فخري باشا، فدخل بعد أن صافح الأمير عبد الله قائلاً: إنني سعيد لقبولي في ضيافتكم. واتجه نحو الأمير علي، وكان قد عرفه قبلاً، وكان لقاؤهما مزيجاً من العتب والعداء والبرود. فانسحب الأمير عبد الله من الباب إلى خيمته، وقبل ان يغسل وجهه طلبه الأمير علي للمثول بين يديه، فلما حضر قال له: سعادة الباشا لا يسره فراقك.

**وجاءت القوة، وكان في المضرب كبار الأمراء العسكريين والشرفاء ورؤساء البعثات العسكرية المحالفة. ثم جاء المضيافي وقال:** إن خيام الضيف معدة. فنهض فخري باشا وهو يقول: لعلها بجوار الأمير عبد الله ؟ فقيل له: نعم. فخرج وخرج معه الأمير عبد الله وفي الطريق قال له: هل يأمر الباشا بأن نحضر إليه من يحب من الضباط الذين كان يألفهم ؟ فقال: أترك هؤلاء الخائنين، لا أريد منهم أحداً. فافترقا كل إلى خيمته. وبعد قليل طلب الأمير علي الأمير عبد الله ثانية فجاءه فقبل رأسه وقال: إن هذه خدمة لا تنسى لك... فقبل الأمير عبد الله يد أخيه الأكبر.

**ورغب فخري باشا في السفر عاجلاً. وسافر في اليوم الثاني إلى ينبع بسيارته ومنها بطرادة خاصة إلى المعتقل بمصر.** أما الأمير عبد الله فعاد إلى معسكره بالجفر، وأخذت معاملات التسليم تتم وفق الشروط، ثم استدعاه سمو الأمير علي وأمره بالذهاب إلى المدينة المنورة ليتولى حفظ الأمن الذي اختل هناك. فجاء إلى بئر درويش، وبعد مبيت ليلة سافر منها إلى المدينة ومعه العدد الكافي من الجيش الشرقي لاحتلال الأماكن المناسبة لحفظ الأمن. ودخل المدينة المنورة صباحاً وأم المسجد النبوي، وكان شعوره الروحي في درجة يعجز الإنسان عن وصفها.

ثم نزل في مركز القيادة العثمانية، وكان الحرس من الأتراك، وكان يجلس معهم للفطور والغداء والعشاء، وأصبح قائداً مسئولاً عن الجبهتين المسلِّمة والمستلِمة، وكأنه لم يحدث أي شيء بين الطرفين. وجرى التسليم وفق الترتيب المقرر، وكان ترحيل أفواج القوى الميدانية العثمانية من الداخل إلى الساحل يجري في الأوقات المعينة بالدقة التامة. مع تأمين كل وسائل الراحة الممكنة.

**ومن الجدير بالذكر أن الأمير عبد الله حاول استبقاء العساكر في الخدمة العسكرية بالحجاز،** ولكن الشوق في العودة إلى أوطانهم غلب عليهم، ولما قال لهم: لا سبيل لكم إلى الذهاب لأوطانكم فوراً إلا بالانضمام إلى الجيش العربي الهاشمي. وإن انتم لم تفعلوا هذا فستنقلون إلى المعتقلات، ومتى تتيسر لكم العودة منها عدتم، وهذا مجهول التاريخ، نكص كل واحد منهم عن السفر، وطلبوا الرجوع إلى أوطانهم، فأعيدوا مكّرمين عن طريق السكة إلى معان فالشام.

**ولم يقع من الحوادث المخلة بالأمن شيء يذكر. ثم تم تنظيم أمر الإدارة المدنية وعادت المياه إلى مجاريها،** وعين سمو الأمير علي بن الحسين أميراً للمدينة المنورة وشيخاً للحرم النبوي الشريف وقائداً للقوات العسكرية المرابطة فيها.

## رابعاً- تحرير الأردن:

**كان وصول فيصل إلى الوجه خاتمة مرحلة مهمة من مراحل الثورة وكان في الوقت نفسه مقدمة لمرحلة أهم وتعني الانطلاق إلى خارج حدود الحجاز إلى بلاد الشام.** وكان لهذا الانتقال أهمية كبرى من الناحيتين العسكرية والسياسية إذ أن الثورة بدأت تتحول من حالة التوازن الاستراتيجي إلى حالة الهجوم المعاكس الاستراتيجي بغية الوصول إلى دمشق قلب العروبة النابض.

**أمضى فيصل في الوجه بضعة أشهر بين كانون الثاني وتموز سنة ١٩١٧م يستعد لمعركة تحرير بلاد الشام.** وبالإضافة إلى التدريبات المستمرة في معسكره كان يعمل في الوقت نفسه على كسب قبائل بلاد الشام، ولم يكن هذا بالأمر اليسير بسبب المنازعات والعداوات القبلية. ولكن سمعة فيصل وخبرته في الشؤون القبلية ساعدته على التغلب على الصعوبات وكسب أبرز زعماء القبائل في هذه المناطق **ويقول انطونيوس** «... بدأ فيصل يتألف شيوخ القبائل، فتعرف في أناة وصبر إلى تاريخ منازعاتهم واستمع إلى ظلامة كل فرد، ولم يستنكف من أن ينصت لأي واحد منهم مهما يكن حقيراً أو مهذاراً. وإذا كان النزاع يسوى بالمال قدر قيمة التعويض المطلوب وأداه لأهله. فإذا لم يكن الشرف القبلي مما يرد بالمال لجأ إلى التقاليد العربية المتعلقة بالتحكيم والوساطة ووقف من النزاع موقف الحكم المحايد الذي لا يحدوه شيء من غاية سوى مصير الجنس العربي....[1]».

**واستقبل فيصل في مقره في الوجه عدداً من شيوخ القبائل** أبرزهم عودة أبو تايه شيخ التوايهة وهم بطن من الحويطات قيل فيه أنه « قبيلة في رجل » وقد تم التفاهم بسرعة بين الرجلين وسمع فيصل من عودة ما كان يتمناه في

---

(١) ج أنطونيوس يقظة العرب - ص ٣١٩.

أعماقه ويتلهف إلى تحقيقه فقد عرض عودة مهاجمة العقبة وأبدى استعداده لاحتلالها برجاله[١].

**لم يكتف فيصل بما كان يجريه من اتصالات في الوجه بل قرر إرسال سرية من رجاله على رأسها الشريف ناصر بن علي،** أشرك معه عدداً من زعماء الشام كنسيب البكري وزكي الدروبي كما اشترك فيها لورنس. وكان لهذه السرية مهام متعددة من أهمها متابعة الاتصالات التي كان فيصل يجريها في الوجه لإعداد الناس في بلاد الشام لمعركة التحرير وجمع المتطوعين والقيام بمناوشات استطلاعية[٢].

**وتشير رسالة الشريف ناصر إلى فيصل بتاريخ ٦ تموز عام ١٩١٧م إلى أن جهود هذه السرية قد تكللت بالنجاح التام بل فاق نجاحها ما كان متوقعاً** فقد قامت باتصالات واسعة مع عرب بني صخر ومشايخ الكرك والدروز ونوري الشعلان وعرب حوران وبعض زعماء بلاد الشام كما قامت بتخريب عدة أجزاء من الخط الحديدي وقد امتد التخريب إلى نوى في حوران كما نجح الشريف ناصر بمساعدة عرب شرقي الأردن في احتلال العقبة دون خسائر تذكر. **وسنقدم فيما يلي وصفاً موجزاً لاحتلال العقبة**[٣].

**اختار الأمير فيصل الشريف ناصر لقيادة الحملة وكممثل له لدى قبائل الشمال، وسارت الحملة تقطع الصحراء** شرقاً ثم انحرفت إلى الشمال بعد أن عبرت سكة الحديد حتى بلغت وادي السرحان بعد عشرين يوماً. واتصل

---

(١) سليمان موسى: المراسلات التاريخية عدد ٦٦ ص ٩٩ من تقرير للأمير فيصل إلى ولسن المعتمد البريطاني، وعدد ٦٧، ص ١٠٠، برقية من فيصل إلى والده الملك حسين.

(٢) سليمان موسى: المراسلات التاريخية المذكورة. عدد ٧١. ص ١٠٣ - ١٠٤. تقرير من الأمير فيصل إلى الملك حسين.

(٣) المرجع السابق عدد ٨٣، ص ١٢٥ - ١٢٧.

ناصر وعودة بقبائل تلك الأنحاء وتمكنا خلال أسبوعين من تجنيد أكثر من ٥٠٠ متطوع أكثرهم من الرولة والحيوطات ثم زحفا بهم غرباً. وقد أغارت مجموعة من هذه القوة على خط سكة الحديد إلى الجنوب من معان. ولم تجد القوة أن في مقدورهما مهاجمة معان نفسها ولكنها اشتبكت يوم ٢ تموز في معركة عنيفة مع كتيبة تركية في موقع (أبو اللسن) غربي معان. ولأول مرة في تاريخ الثورة قام البدو بمهاجمة مواقع قوة نظامية جيدة التسليح هجوماً مباشراً في وضح النهار. وسرعان ما أسفرت المعركة عن مقتل ٣٠٠ من الأتراك ووقوع ١٦٠ أسيراً في أيدي العرب ولم يتمكن من النجاة إلا عدد قليل من أفراد الكتيبة التركية(١). ولا شك أن هذا النصر يعتبر نموذجاً رائعاً لأساليب العرب في حرب العصابات(٢).

**وبادر العرب للسير مباشرة بعد انتهاء المعركة باتجاه الغرب على الرغم من افتقارهم إلى الطعام الكافي** وكان القيظ شديداً وقاسياً وارتفع الصياح بين المتعبين اللاغبين يسألون الراحة ولكن عودة أبو تايه أصم أذنيه دون تلك الصيحات وقال إن التأخر عن مهاجمة العدو قد يؤدي إلى الموت جوعاً وحث رجاله - دون هوادة - على المسير، وخلال الأيام الثلاثة التالية استولوا على

---

(١) سليمان موسى: الحركة العربية. ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) جاء في التاريخ الرسمي للحرب في انكلتره وصفاً حسياً لهذه الإغارة: « عند الغروب جمع عودة خمسين خيالاً في جوف واد على بعد ٢٠٠ ياردة من الموقع التركي وقام بهجوم مباغت، فتضعضع الترك، وعندئذ انحدرت إليهم بقية العرب على الجمال من أعلى التل، فانتهت المعركة في خمس دقائق، وأحصى النقيب لورنس ٣٠٠ قتيل من الأتراك في الميدان واستطاع بما بذله هو والشريف ناصر من جهود أن ينقذ من الموت ١٦٠ رجلاً ويأخذهم أسرى. أما العرب فقتل منهم اثنان ووقع بضعة منهم جرحى، وذلك هو كل ما خسروه ». التاريخ الرسمي للحرب... العمليات العسكرية في مصر وفلسطين ج١ - ص ٢٤٠.

ثلاثة مواقع تركية وأسروا جنود حاميتها. وفي يوم ٦ تموز كان ثغر العقبة في أيدهم بالإضافة إلى ٧٨٠ أسيراً بينهم ٣٥ ضابطاً، ولم يكن قتلى العدو يقلون عن ٦٠٠ رجل. ودخلت القوات العربية العقبة ظامئة ساغبة منهمكة، وهي تزجي أمامها قطيعاً من الأسرى يفوق عدداً[١].

**كان احتلال العقبة نقطة انعطاف في الثورة العربية إذ كانت الثورة حتى ذلك الحين تتخذ من الحجاز مسرحاً لها،** وكانت الإمدادات التي تنضم عليها جميعاً من أبناء القبائل الحجازية، ولكن الميدان انتقل بعد سقوط العقبة إلى بلاد الشام، وواجه جيش فيصل تحولاً في وظيفته وتكوينه فأصبح هو الجناح الأيمن للقوات البريطانية[٢]، وفيه كتائب « نظامية» مدربة، وغدت مهمته بعد ذلك أن يحارب في بلاد الشام طبقاً لخطط **الجنرال اللنبي**.

وقرر المسؤولون البريطانيون في مصر أن يجعلوا عمليات العرب في العقبة وجهات معان ضمن المسؤولية **الجنرال اللنبي** لتنسيق الخطط العسكرية في الميدان السوري.

**كان لسقوط العقبة على هذا النحو أهمية كبيرة. وكان فيصل متلهفاً على احتلالها** وكان يتعجل إرسال الإمدادات العسكرية والمالية وكان إلحاحه الآن ينصب على توفير الجند العربي والنظامي من أسرى الحرب ولا سيما السوريين والعراقيين وكان طموح فيصل أن يسرع بالوصول إلى جبل الدروز ليعجل في نشوب الثورة في جميع سورية.

---

(١) سليمان موسى: المراسلات التاريخية. عدد ٨٦، ص ١٢٩ - ١٣٠ وراجع كذلك كتاب ريتشار الدنجتون: لورانس في البلاد العربية. ترجمة محمود عزت موسى، مراجعة الدكتور محمد أنيس - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر. عام ١٩٦٦ - القاهرة ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) لم تكن القوات البريطانية التي يقودها الجنرال اللنبي كلها انكليزية بل كان سكان المستعمرات التابعة للتاج البريطاني يشكلون النسبة الغالبة.

كان يريد أن يحول قواته من قوات تخريب محلية للسكة الحديدية إلى قوات تحرير. ولكن بريطانيا أمسكت يدها عن تقديم ما يلزم(١).

**وكان منطلق بريطانيا ناجماً عن مفهومها لدور الثورة العربية ولغاياتها (غايات بريطانيا) السياسية التي رسمتها مع حليفتها فرنسا إذ كانت تريد لجيش الثورة العربية أن يلعب دوراً محدوداً** مساعداً للدور الأساسي الذي تقوم به القوات البريطانية ولم يكن من صالح بريطانيا أن يحقق الجيش العربي انتصارات كبيرة وأن يلعب دوراً فعالاً في تحرير بلاد الشام كلي لا يتحول هذا الجيش فيما بعد إلى قوة معنوية وعسكرية تحول دون تحقيق الأهداف التي رسمتها بريطانيا في **اتفاق سايكس - بيكو** ولهذا كله عمدت إلى الإقلال ما أمكن من إمداد الجيش العربي بالسلاح والمال وإلى الحد من حركاته العسكرية ومن نمو قوته الذاتية(٢). وكان صدمة كبيرة لبريطانيا أن يتم تحرير العقبة بقوة عربية دون مساعدة بريطانيا في الوقت الذي كانت عملياتها في شبه جزيرة سيناء تسير ببطء شديد كما أخفقت عدة هجمات قام بها الجيش البريطاني على غزة. ولهذا سرعان ما تدخلت لتجميد فيصل في العقبة حتى

---

(١) انظر سليمان موسى، المراسلات التاريخية عدد ٩٦، ص ١٤٤ - ١٤٥. تقرير من فيصل إلى الملك حسين، ولزيادة المعلومات بالتفصيل راجع سليمان موسى: الحركة العربية ص ٣٠٣ - ٣٠٥.

(٢) كان الشريف حسين يحث مكماهون حول التقدم نحو الشمال « أن الشمال هو المهم، ولكن مكماهون لم يكن متعجلاً وفي ١ آذار كتب الرائد فيكري إلى مدير المكتب العربي يقول أن فيصل مهتم أشد الاهتمام بالاستيلاء على العقبة بقواته لما سيكون لذلك من تأثير طيب على السوريين وأن قبائل الحويطات طلبوا ذلك منه، وأن فيصل يطلب أن تساعده السفن البريطانية بنقل رجاله بحراً. وأجاب كلايتون في ٨ آذار قائلاً: أن تقدم فيصل إلى العقبة غير مرغوب فيه حالياً خشية ان يتحول اهتمامه عن قطع خط السكة الحديدة الذي هو الهدف فضلاً عن أن السفن غير جاهزة ».

يتسنى لقائدها الجديد اللنبي إحراز التقدم المنشود في جنوب فلسطين كما قيدت تحركات فيصل وجيشه بأوامر اللنبي[1].

**وقرر أولئك المسؤولون الاتصال بالملك حسين للحصول على موافقته من اجل نقل جيش فيصل إلى العقبة، وإخراج ذلك الجيش من نطاق عمليات الحجاز التي يشرف عليها الملك** إلى نطاق مسرح عمليات **الجنرال اللنبي**. وأسندت المهمة إلى لورنس النجم الصاعد في مصلحة الاستخبارات البريطانية. وحمل لورنس رسالة من ونجت إلى الملك وسافر إلى (جيدا) فأخذ رسالة أخرى من فيصل يوصي فيها بالانتقال إلى العقبة. وواصل لورنس رحلته إلى جدة وهناك بعث ولسون بتاريخ ٢٢ تموز رسالة إلى الملك في مكة يرجوه فيها ملاقاتها في منتصف الطريق بين مكة وجدة (لتعذر وصول المسيحيين إلى مكة المكرمة) للبحث في الخطط المقبلة. وجاء الملك إلى جدة بعد يومين، ووافق على ما عرضه عليه ولسون ولورنس من مقترحات معلناً ثقته ببريطانيا واطمئنانه لنياتها الطيبة نحو العرب[2].

**وأخذت قطعات الجيش الشمالي تنتقل براً وبحراً إلى العقبة ابتداءاً** من أوائل آب وهي تشمل حوالي ١٥٠٠ جندي نظامي بقيادة جعفر العسكري[3] وتضم

---

(١) سليمان موسى: المراسلات التاريخية عدد ٩٦. ص ١٤٤، تقرير الشريف فيصل إلى الملك حسين.

(٢) سليمان موسى: المراسلات التاريخية. عدد ٨٧ - ص ١٣٠. تقرير من ولسن إلى الملك حسين.

(٣) جعفر العسكري (١٨٨٤ - ١٩٣٦) عراقي تخرج من المدرسة الحربية في استانبول ثم أوفد في بعثة تدريبية إلى ألمانيا. وفي سنة ١٩١٥ قاد قوات السنوسي في برقة في عدة معارك ضد القوات الانكليزية حتى وقع في الأسر. وحاول الفرار فسقط وكسرت رجله. وعندما بلغته أنباء الثورة العربية تطوع في حزيران ١٩١٧ للخدمة فيها وعينه فيصل قائداً لقواته النظامية. أثناء العهد الفيصلي، عين حاكماً لعمان ثم والياً على حلب. وفي العراق عين وزيراً للدفاع ثم رئيساً للوزراء ثم سفيراً للعراق في لندن. اغتيل غدراً في أول انقلاب عسكري في العراق سنة ١٩٣٦. كان جعفر يجيد عدة لغات وقد درس الحقوق في لندن وحصل على إجازة المحاماة. (سليمان موسى. الحركة العربية ص ٣٠٤).

مفرزة فرنسية. وفي ٢٣ آب وصل فيصل إلى العقبة وانتشرت القوات العربية في التلال الواقعة بين معان والعقبة. وكان عودة أبو تايه قد تولى مسؤولية صد الهجمات التي قام بها الأتراك حتى وصول قوات الجيش الشمالي.

**فوجئ الأتراك بسقوط العقبة في أيدي العرب - والكلام لسليمان موسى ــ، فصمموا ان يبذلوا كل ما في وسعهم لاستعادتها ولعلمهم أن** عودة أبو تايه هو الذي كان على رأس العملية وهو الذي نفذها. فقد أرسلوا إليه الرسل يغرونه بالانتفاض على الشريف حسين والانضمام إلى صفوفهم ويعدونه بالأموال الطائلة وبمركز مرموق. ولكن عودة رفض أن ينقض عهده مع الشريف. وأسرع الأتراك إلى حشد قواتهم في معان وجلبوا بضع طائرات، ثم زحفوا باتجاه العقبة في منتصف آب ولكن عودة أبو تايه ورجال القبائل صدوهم ولم يمكنوهم من التقدم. وبعد وصول قوات فيصل إلى العقبة أرسل مفارز منها إلى وادي موسى (البتراء) وإلى غرندل وإلى التلال المشرفة على العقبة. وفي أيلول جاء الانكليز بعدد من الطائرات التي أخذت تغير على معان رداً على طائرات الترك التي كانت تغير على العقبة.

**وانتقل إلى العقبة الرائد جويس وأنشأ فيها قاعدة للتموين والإمدادات.** وكانت سفينة حربية بريطانية قد رابطت في مينائها لحمايتها فيما إذا نجح الأتراك في هجومهم المعاكس وتمكنوا من اجتياز التلال المشرفة عليها من الشرق. أما لورنس فقد قام خلال شهري أيلول وتشرين الأول **بعمليتين ناجحتين ضد الخط الحديدي. الأولى** إلى الجنوب من محطة المدورة وقد نسف فيها قاطرتين وعبارة يوم ١٩ أيلول وقتل العرب وأسروا وجرحوا من الأتراك حوالي ١٧٠ رجلاً. **والثانية** على الكيلو متر ٥٠٠ جنوبي معان وقد نسف فيها قاطرة يوم ٦ تشرين الأول. وقام نفر من قبيلة بني عطية بهجوم قوي على خط السكة حول تبوك فاحتلوا مسافة من الخط خلال مدة أربعة أيام (١٨ - ٢١) تشرين الأول ونزعوا كمية من القضبان وألحقوا بالعدو خسارة ٢٥٠ رجلاً بين قتيل واسير.

**ودارت عدة معارك بين الأتراك والجيش الشمالي في خريف ١٩١٧**، ففي أيلول شنت كتيبة تركية هجوماً على مواقع العرب في دلاغة ولكنها اضطرت للتراجع بعد معركة عنيفة وفي أواخر الشهر ذاته استولى العرب على الشوبك ونزعوا جانباً من خط السكة الفرعي (الذي كان الأتراك ينقلون عليه خشب الأشجار التي يقطعونها من غابة الشوبك ليستعملوه وقوداً للقطارات). ولكن الأتراك قاموا بهجوم معاكس فردوهم إلى وادي موسى. وفي ٢١ تشرين الأول قاد جمال باشا حملة قوية على العرب في وادي موسى تعززها الطائرات والمدفعية الثقيلة، وبعد معركة حامية استمرت يوماً كاملاً اضطر الأتراك للانسحاب بعد أن خسروا ٤٠٠ رجل بين قتيل وأسير وجريح. وكانت القوة العربية المدافعة أصغر بكثير من قوة جمال باشا.

وفي ٢ تشرين الثاني وصل الأمير زيد إلى العقبة على رأس ١٥٠٠ جندي نظامي وظل إلى جانب أخيه فيصل في ميدان شرقي الأردن حتى انتهاء الحرب.

**وعلى الرغم من شدة البرد في فصل الشتاء لتلك السنة فإن العمليات الحربية استمرت على أشدها.** ففي أواخر تشرين الثاني اشتبك العرب والأتراك في معركة حامية قرب القويرة انتهت بارتداد الترك إلى الوراء. واستأنف العرب القتال فاجلوا الأتراك عن وهيدة وتمكنوا من الاحتفاظ بها على الرغم من الهجمات المعاكسة[١].

## خامساً - معركة الطفيلة ومعان:

**بادر الأمير فيصل يطلب إلى أبيه أن يشد أزره بأخيه زيد وبالشريفين شاكر وشرف مع القوات التي بإمرتهم** عندما استولت قوات الأمير فيصل على العقبة في ١٧ تموز عام ١٩١٧م وانتقل بنفسه إليها في الشهر التالي وجعلها مقراً لقيادته، ولم يقترن هذا الطلب بموافقة القائد الأعلى للثورة العربية

---

(١) سليمان موسى: الحركة العربية ص ٣٠٤ - ٣٠٦.

الكبرى نظراً لضرورة بقاء شاكر وشرف لميدان الحجاز.... ولكنه أمر زيداً أن يلتحق بأخيه.

**أبحر الأمير زيد من ثغر الوجه فبلغ العقبة (مقر قيادة الجيش الشمالي) يوم ٣ تشرين الثاني ١٩١٧م** ومعه ألف وخمسمائة مقاتل. وفور وصوله تولى مسؤوليات القيادة إلى جانب أخيه فيصل وعمل كساعد أيمن له حتى انتهاء الأعمال القتالية. وكانت جبهة الجيش الشمالي يومذاك تمتد من العقبة إلى القويرة إلى دلاغه وحتى وادي موسى(١).

**وفي أوائل شهر كانون الثاني ١٩١٨ تولى الأمير زيد القيادة العامة لثلاثة أرتال زحفت من** القويرة باتجاه الشمال، وكان الرتل الأول بقيادة الشريف مستور يعاونه فخذ الجازي من عشيرة الحويطات وعلى رأسهم الشيخ حمد بن جازي. ووجهته الطفيلة. وكان الرتل الثاني بقيادة الشريف ناصر ومعه نوري السعيد (رئيس أركان حرب القوات النظامية) بالتعاون مع فخذ التوايهة من عشيرة الحويطات إضافة إلى عشائر بني صخر، ووجهته محطة جرف الدراويش. أما الرتل الثالث فقد كان بقيادة الشريف عبد المعين ووجهته الشوبك(٢).

**بعث الأمير فيصل بتعليماته إلى الأمير زيد في ١٦ كانون الثاني ١٩١٨ ومؤداها أن يكون بنفسه على رأس القوات المتقدمة إلى الشمال،** وأن يبقى في «الطفيلة» بعد الاستيلاء عليها، وأن لا يتجاوزها حتى تتوفر المبالغ الكافية من المال، كما طلب إلى أخيه زيد أن يكون حذراً من التنافس بين زعماء

---

(١) سليمان موسى: المراسلات التاريخية. عدد ٩٦ - ص ١٤٤. تقرير من فيصل إلى الملك حسين.

(٢) سليمان موسى: « الثورة العربية الكبرى » - الحرب في الأردن ١٩١٧ - ١٩١٨ مذكرات الأمير زيد. عمان الطبعة الأولى ١٩٧٦ ص ١٩ - ٢٠. ويذكر هذا الكتاب في الصفحات القادمة بعنوان « مذكرات الأمير زيد ».

الحويطات عودة أبو تايه وحمد بن جازي. كما طلب إليه أن يتحرك الشريف عبد الله بن حمزة الفعر إلى غور المزرعة للاستيلاء عليها وينزل أريحا إذا أمكن أو أية نقطة يمكنه الوصول إليها بدون خطر وأن ينسق حركاته مع حركات الأمير زيد[١].

**إن نظرة فاحصة لمضمون هذه الرسالة تدلنا دلالة أكيدة على أنها توجيهات عملياتية من قائد الجبهة الشمالية في الثورة العربية الكبرى** إلى قائد إحدى القطاعات الهامة وفي هذا دليل على ما كان يتمتع به الأمير فيصل بن الحسين من معرفة وحنكة في العلم العسكري. وزحفت الأرتال الثلاثة في وقت واحد تقريباً، بينما سار الأمير زيد (ومعه جعفر العسكري) قائد القوات النظامية. وعن طريق أبا اللسن باتجاه الطفيلة، ومعه قوة من المدافع والرشاشات. ويمكننا أن نعتبر هذه القوة بمثابة الاحتياط العملياتي لقائد الحملة يمكنه أن يزجه على أي اتجاه من اتجاهات الأرتال الثلاثة... ومن وادي موسى تحرك زيد إلى الشوبك (نجل). وفي الوقت نفسه كانت قوة الشريف ناصر قد استولت على محطة جرف الدراويش في الثاني عشر من كانون الثاني ١٩١٨ بعد معركة حامية سقط فيها من الأعداء ثمانون قتيلاً ومائتا أسير.

**وقد وصف هذه المعركة أحد الضباط العرب الذين شاركوا فيها وهو عبد الفتاح أبو النصر اليافي، فقال ما خلاصته**[٢]:

**هاجمنا مع الفجر. وبعد ظهور الشمس بدأ راسم سردست يقصفها بمدفعيته.** وأصابت إحدى القنابل مدفعاً للأتراك فتعطل وقامت القوات العربية بالهجوم فانسحب الأتراك إلى واد منخفض شرقي المحطة، وجاء

---

(١) سليمان موسى مذكرات الأمير زيد - رقم ٣ ص ٥٢ - ٥٣ رسالة من الامير فيصل إلى الأمير زيد، القويرة ٣ ربيع الثاني ١٣٣٦ في ١٦ كانون الثاني ١٩١٨م.

(٢) عبد الفتاح أبو النصر اليافي: مذكرات قائد عربي، نشرت مسلسلة في جريدة لسان الحال في بيروت.

راسم على ظهر فرسه ففحص المدفع ووجده سليماً إلا أنه بحاجة إلى (منتاش[١]) وقد استطاع أن يعيد المدفع للعمل باستخدام قطعة من مسدسه. وكان مربض المدفع قريباً من الأتراك فأدار فوهة المدفع باتجاههم واخذ يصب نيرانه عليهم، فكان ذلك هو السبب الأكبر لاستسلامهم. ثم وصل نوري السعيد وكان عدد الأسرى نحو ٢٠٠ أسير. وحافظت القوات العربية على الأسرى ولم تلحق بهم أي أذى منفذة بذلك توجيهات قائد الجيش الشمالي الأمير فيصل بن الحسين[٢].

**وقد اشترك في المعركة بنو صخر بقيادة الشيخ مفلح القمعان** الذي أصيب بجرح في رجله وأصيبت فرسه كما اشترك فيها حويطات التوايهة بقيادة عودة أبو تايه. وكانت بين القبيلتين خصومة وغزوات متبادلة فآخت الثورة بينهما. وبلغ عدد القوات العربية التي شاركت بالهجوم حوالي ألف مقاتل.

**أما حامية الطفيلة فكانت تتألف من مائة وخمسين جندياً، ولكن موقف هؤلاء كان مرهوناً إلى حد كبير بموقف أهل البلدة.** فإذا علمنا أن قائد الحامية وهو النقيب زكي الحلبي[٣] كان على اتصال سابق مع الأمير فيصل، وأن الشيخ

---

(١) المنتاش: النازع (Extractor).

(٢) كان الأمير فيصل - بالإضافة إلى توجيهاته بعدم إلحاق الأذى بالأسرى - يدفع عشر ليرات انكليزية ذهباً لكل جندي عربي يسلمه أسيراً تركياً كحافز مادي إضافة إلى الحافز المعنوي، راجع مذكرات الأمير زيد: ص ٢٠.

(٣) زكي الحلبي (١٨٧٠ - ١٩٢٦) ولد في دمشق، وتخرج ضابطاً في الجيش العثماني من المدرسة الحربية في استانبول (الآستانة)

- تدرج في مختلف الرتب العسكرية إلى أن بلغ رتبة (قائد) عند اندلاع الحرب العالمية الأولى / ١٩١٤/، وعين حاكماً عسكرياً في اليمن.

- التحق بالثورة العربية الكبرى منذ أن أعلنها الشريف حسين بن علي وكان بذلك من أوائل الضباط الذين رافقوا الجيش العربي في زحفه لتحرير البلاد العربية من الحكم العثماني بقيادة الأمير فيصل. =

ذياب العوران كان بدوره قد أرسل أبنه عبد السلام إلى الأمير فيصل يدعوه إلى التقدم نحو البلدة، أدركنا حقيقة الموقف العسكري حينذاك ولهذا فقد اختارت الحامية التركية أن تستسلم عندما أقبل ناصر من الشرق وأقبل مستور من الغرب. ورفعت الراية العربية في الطفيلة يوم ١٥ كانون الثاني ١٩١٨.

**بدأ الأمير زيد عمله في الطفيلة بتنظيم القادرين على حمل السلاح وتسجيلهم متطوعين في صفوف الثورة.** وتوزيع المكافآت المالية على شيوخ الناحية وزعماء العشائر، ثم أرسل مستوراً إلى وادي الحسا لإنشاء نقطة أمامية متقدمة باتجاه الكرك، كما أرسل عدة رسائل إلى شيوخ الكرك يدعوهم فيها لمعاضدة الثورة.

**أثار سقوط الطفيلة قلق الأتراك وذعرهم وصاروا يخشون أن يحدث الاتصال بين الجيش العربي والجيش البريطاني** بالقرب من بلدة مأدبا وقرروا استرداد الموقع واختاروا لواء يتألف من ثلاث كتائب وهو من ملاك الفرقة ٤٨ التي تعسكر في عمان واختاروا له قائداً حامد فخري بك (بطل معركة بوخارست) وعزز اللواء بـــ ٢٧ مدفعاً رشاشاً ومدفعين جبليين من أحدث ما أنتجته مصانع النمسا أطلق عليه الأتراك اسم «قدرتلي» ومدفعي ميدان (لم

---

= - رفع إلى رتبة عقيد بأمر من الملك فيصل بعد تتويجه ملكاً على سورية وكان مـــن ضمن أعضاء قيادة الأمير زيد بن الحسين.

- اتهم من قبل سلطات الانتداب الفرنسية، حينما كان قائداً للشرطة السورية في منطقة حوران بتشجيعه للعناصر الوطنية التي قامت بقتل علاء الدين الـــدروبي رئـــيس وزراء سورية المعين من قبل الفرنسيين في ذلك الحين، فحـــوكم وأحيـــل علـــى التقاعد.
- عندما نشبت الثورة العربية الكبرى عام ١٩٢٥، التحق بها، وسمي قائداً عـــسكرياً في منطقة الغوطة بدمشق.
- شارك في أكثر معارك الثورة إلى أن استشهد في معركة أم الـــشراطيط (غوطـــة دمشق الجنوبية) عام ١٩٢٦.

يجر استعمالهما بسبب وعورة الطريق) وسرية خيالة. وقد تحركت هذه القوة نحو الطفيلة عن طريق القطرانة والكرك وعندما وصلت وادي الحسا الكبير[١] وأثناء اجتياز هذه القوة للوادي قام الشريف مستور بمناوشتها والاصطدام بطلائعها[٢]. وعندما بلغت هذه القوة الجوانب العليا من الوادي صباح يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨م كان الإرهاق والإعياء قد أخذ مأخذه من رجالها، وقد فوجئوا بجماعات وحشود من القوات العربية تطلق عليهم النار من هنا وهناك... وربما يعود السبب في مفاجأة القوات التركية إلى أن العميد حامد فخري لم يكن يتصور أن العرب يمكنهم أن يتجرؤوا على الوقوف أو التصدي لقواته النظامية المجهزة بالأسلحة الفعالة... ولذلك فقد أصيب بالدهشة عندما لاحظ المزيد من المحاربين العرب يتمركزون في التلال إلى يمين قوته وغلى يسارها... ويطلقون عليها النار من خلف الصخور... ويقتربون نحوها شيئاً فشيئاً.

**بينما كان الموقف العسكري على النحو الذي ذكرناه... تقدمت عند الظهيرة قوة من الجنود العرب النظاميين من الطفيلة تقدر بخمسين فارساً ومائتي متطوع من القرويين** ومعهم خمسة رشاشات وأربعة مدافع ميدان ومدفع جبلي واحد وعلى رأسها الأمير زيد بن الحسين، ومن ضباطها راسم سردست وعبد الله الدليمي. وكان يساند هذه القوة ويعاضدها رجال الطفيلة والقرى المجاورة وخاصة قرية (عيمة) وكذلك فرسان الحويطات (المطالقة) وعلى رأسهم حمد العرار الجازي الذي أقسم: « أن يضحي بنفسه في سبيل القضية العربية ».

**كان ميدان المعركة سهلاً صغيراً تحيط به سلاسل** من التلال المخضوضرة ويمر فيها طريق طفيلة - الكرك.... كان الأتراك يسيرون على الطريق ببطء

---

(١) مذكرات الأمير زيد رسالة من الأمير فيصل إلى الملك حسين - القويرة ٦ شباط ١٩١٨ - رقم ١٣ - ص ٦٢ - ٦٣، تقرير من الأمير فيصل إلى الملك حسين.

(٢) وهو ما يطلق عليه في العلم العسكري بعمليات الإعاقة.

شديد نتيجة لتعبهم وإرهاقهم وهم يردون على النيران العربية التي كانت توجه إليهم.

**تولى الأمير زيد قيادة المعركة فبعث راسم سردست على رأس الخيالة ليهاجم العدو ناحية اليمين** بينما تقدم حرس زيد الخاص من العقيلات وهم من الوسط وكان على رأسهم محمد الغضيب. اما الميسرة فقد تألفت من رجال قرية عيمة وتولى قيادة مفرزة الرشاشات الضابط صبحي العمري بينما تولى قيادة المدافع عبد الله الدليمي ووضعها خلف تل مشرف يرتفع حوالي ٤٠ قدماً عن ميدان المعركة وكان يرصد بمنظاره نيران المعركة من على قمة التل..

**وحملت القوة العربية على القوة التركية حملة صادقة وفوجئ الأتراك بالنيران من الخلف والأمام**... فلم يعودوا يدرون ماذا يفعلون وعندما بدأ الموقف يميل إلى صالح العرب أصدر الأمير زيد أوامره إلى كافة رجاله بالهجوم... والضغط على الأتراك وحمل محمد الغضيب راية بني عقيل وصاح في رجاله الله أكبر واندفع كالسهم يمزق صفوف الأتراك وفي نفس الوقت الذي كان راسم سردست وفرسانه يرغمون العدو على التقهقر نحو الوادي كان الرجال الآخرون من القوات العربية يحصدون الجنود الهاربين من الأعداء حصداً... « وهكذا بدأت القوة الرئيسية التركية بالتراجع مذعورة من هجمات فرساننا ومشاتنا الذين كانوا يغيرون عليها بقلوب عامرة بالإيمان وثقة لا تتزعزع بالنصر...»[(١)].

**كانت حصيلة المعركة الضارية التي أسفرت عن انتصار القوات العربية** كما وردت في رسالة الأمير فيصل إلى والده الملك حسين في شباط عام ١٩١٨. **على النحو التالي:**

---

(١) مذكرات الأمير زيد - ص ٢١ - ٢٢ وتقرير الأمير فيصل إلى الملك حسين عدد ١٣ - ص ٦٢ - ٦٣.

**٤٠٠ قتيل بينهم قائد الفرقة حامد فخري.**

**٣٢ أسير بينهم ١٧ ضابطاً ومن جملتهم قادة الكتائب.**

**٢٠٠ من الخيل والبغال.**

**٢٢ رشاشاً.**

**٢ مدفع نمساوي.**

**وخيام وآلات هاتف ومعدات أخرى مختلفة.**

**ولم ينج من الأتراك إلا نفر قليل استطاع الهرب نحو الخط الحديدي.**

**وفيما كانت القوات العربية المظفرة عائدة إلى الطفيلة أخذ الثلج يتساقط كتحية من السماء إلى الجنود العرب الأوفياء**[1].

**بعد ثلاثة أيام من معركة الطفيلة نظم الأمير زيد إغارة ناجحة على ميناء الكرك (غور المزرعة)** الواقع على شاطئ البحر الميت، وكان الهدف الرئيس للإغارة تدمير الزوارق التركية الراسية هناك. والتي كانت تعمل على نقل المؤن عبر البحر الميت إلى القوات التركية في أريحا.

**أسند الأمير زيد هذه المهمة إلى عبد الله الغير الذي اختار لمساعدته في تحقيق الهدف حوالي سبعين فارساً من بدو بئر السبع** وسار على رأسهم قاطعاً الطريق الوعرة بين جبال مؤاب والساحل لكي يصل مع التباشير الأولى للفجر إلى مقربة من المركز التركي. وعلى المكسر الشمالي من الميناء كانت

---

(١) شهد النقيب لرونس هذه المعركة كمتفرج أو كمراسل صحفي - لا أكثر ولا أقل - وكان ينتقل بمنظاره من موقع إلى آخر، وما ان انتهت المعركة لصالح القوات العربية حتى أرسل تقريراً إلى رؤسائه يخبرهم فيه ببلائه الحسن وقيادته الحكيمة للمعركة وتخطيطه السليم لها فنال وسام الاستحقاق وثناء القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط. ولكن الحقائق التاريخية وخصوصاً مراسلات الأمير زيد تدحض هذا الزعم. (راجع مذكرات الأمير زيد ص ٢٢).

ترسو الزوارق البخارية والمراكب الشراعية التابعة للأتراك، وبالقرب منها بحارتها النائمون على الشاطئ في أكواخ من القصب غير عابئين بشيء وبدون أن يضعوا أية حراسة قتالية على أنفسهم أو على عتادهم.

**لم يكن هؤلاء البحارة الأتراك مستعدين أبداً لمعركة برية،** فكيف بها تأتيهم على يد فرسان راكبين. لذلك ما كاد هؤلاء البحارة يفتحون عيونهم ليعرفوا ما الخبر حتى رأوا الفرسان العرب يطوقونهم ويحرقون أكواخهم ويستولون على ما في مخازنهم من مؤن وعتاد حربي... ثم قفز الفرسان العرب عن خيولهم إلى الزوارق الرأسية فثقبوها وأغرقوها...

واستسلم الأتراك دون أية مقاومة تذكر « وعاد رجالنا مكللين بالغار وهم يجرون وراءهم الغنائم بالإضافة إلى ستين أسير تركي. وهكذا تم في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٨ تعطيل حركة النقل عبر البحر الميت قبل أسبوعين من التاريخ الذي حددته قيادة الجيش الشمالي[(١)]».

**رفع الاستيلاء على الطفيلة من معنويات الجيش العربي وحقق بعض آماله وتشير** رسالة فيصل إلى والده بتاريخ ٦ شباط ١٩١٨م إلى أنه يأمل بزيادة اتساع الجبهة بحيث تصل حركات جيشنا إلى جبل الدروز وإلى ما بين دمشق وحلب من أجل تخريب جسر الرستن على نهر العاصي كما يأمل أن يقاتل العدو هناك. وأشار إلى كثرة عدد المتطوعين[(٢)] ولكن رسائل فيصل وزيد كانت في الوقت نفسه تشير إلى الصعوبات الحادة التي كانت تواجه القوات العربية بسبب الافتقار إلى وسائط النقل والعتاد والمال وتقاعس البريطانيين عن تقديم ما يلزم من مساعدة أضف إلى ذلك متاعب الشتاء القاسي واستعدادات الأتراك الواسعة للقيام بهجوم معاكس.

---

(١) سليمان موسى: مذكرات الأمير زيد رقم ٧، ٩ - ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) مذكرات الأمير زيد رسالة الأمير فيصل إلى الملك حسين ٦ شباط ١٩١٧. رقم ١٣ - ص ٦٣.

**وفي شهر شباط ١٩١٨م حشد الأتراك قوة هجومية كبيرة تدعمها عناصر ألمانية وطائرات بقصد استعادة المواقع التي خسروها.** وزحفت القوة التركية في رتلين بدءاً من خط سكة الحديد باتجاه الطفيلة. وبعد اشتباكات استمرت خمسة أيام استعاد الأتراك الطفيلة يوم ٧ آذار وانسحب زيد إلى الشوبك. ولكن ضغط الجيش البريطاني الذي كان قد استولى على أريحا في ٢١ شباط والذي قام بهجمات قوية على مواقع الأتراك قرب نهر الأردن في أوائل آذار، اضطرهم إلى الانسحاب من الطفيلة في ١٨ آذار فعاد العرب إليها. وقام الجيش البريطاني بهجوم على عمان والسلط فاستولى على هذه الأخيرة في ٢٥ آذار ولكنه ما لبث أن أرغم على الانسحاب منها.

**في أوائل نيسان** ١٩١٨م كانت استعدادات العرب لمهاجمة معان قد تمت فطلب الأمير فيصل من أخيه زيد أن يحضر إلى أبو اللسن كي يشترك في العمليات المقبلة.

**بدأ هجوم العرب الكبير يوم ١١ نيسان ١٩١٨ بالتعاون مع المفرزتين البريطانية والفرنسية وقد أحرز الهجوم** نجاحاً باهراً إلى الجنوب من معان، وعزلت معان من الشمال أيضاً. وقد تولى نوري السعيد قيادة الهجوم في الجنوب كما تولى جعفر العسكري قيادة الهجوم من الشمال. كما قام النظاميون بقيادة مولود مخلص بمهاجمة تلول السمنات قرب معان فاستولوا عليها وقد أصيب مولود بجرح خطيرة أثناء المعركة التي أبلى فيها بلاء حسناً. ولكن القوات العربية لم تتمكن من الاستيلاء على البلدة ذاتها لقوة تحصينات العدو من جهة ولعدم توفر الاعم المدفعي الكافي من جهة ثانية.

**وتولى الأمير زيد قيادة القوات التي أخذت على عاتقها الاستيلاء على المحطات الواقعة إلى الشمال من معان**، من أجل منع وصول التعزيزات والمؤن إلى حاميتها. وقامت قواته بهجمات عديدة على محطات الجردونة وعنيزة وجرف الدراويش والحسا وفريفرة والقطرانة. وفي ١٤ نيسان اتصلت القوات

العربية مع بعضها وتولى جعفر العسكري القيادة العامة. بعد هذا قرر الأمير فيصل القيام بالهجوم على معان ذاتها، وبعد تمهيد مدفعي زحفت المشاة يوم ١٥ نيسان من تلول السمنات وأحرزوا نجاحاً جيداً واستمر الهجوم في اليوم التالي. وفي يوم ١٧ نيسان وصلت القوات العربية إلى محطة سكة الحديد بعد قتال عنيف ولكنهم اضطروا إلى التراجع نتيجة نفاذ ذخيرة المدافع التي كانت تغطي الهجوم وتسانده... بالإضافة إلى الخسائر التي تكبدتها (حوالي ٣٠٠ جندي بين قتيل وجريح).

أعطى الأمير فيصل الأمر إلى قواته بالتراجع إلى تلول السمنات وقد وقع في أيدي العرب خلال هذا الأسبوع من المعارك حوالي ٤٠٠ أسير تركي.

**وفي ١٩ نيسان استأنفت قوة من العرب بمساعدة البعثة العسكرية البريطانية**[١] الهجوم على خط السكة جنوبي معان، وخلال بضعة أيام أمكن الاستيلاء على سبع محطات وتخريب مسافات من خط السكة الحديدية يبلغ طولها مئة كيلو متر، وبهذا قطع الاتصال نهائياً بواسطة السكة الحديدية بين معان والمدينة المنورة.

**وفي هذه الأثناء قامت القوات البريطانية بحملة ثانية إلى الشرق من وادي الأردن** فاستولت على السلط في ٣٠ نيسان وبلغت ضواحي عمان، ولكنها اضطرت للانسحاب يوم ٣ أيار تحت ضغط هجمات الأتراك المعاكسة.

**وفي ١١ أيار سقطت محطة الجردونة للمرة الثانية في أيدي القوات العربية** وكان الأمير زيد يقود بنفسه الهجوم على هذه المحطة، وتقوية للروح

---

(١) لم تلعب هذه البعثة دوراً فعالاً فقد كانت البعثة تضم عدة مدرعات بريطانية بقيت - أثناء الهجوم على محطة الجردونة في ١١ أيار بعيدة عن ساحة القتال وسرعان ما ركنت إلى الفرار راجع (مذكرات الأمير زيد من فيصل ص ٤٧ وعدد ٦٢ - ٦٣ وص ٩٤ - ٩٥). وقد طلب الأمير زيد من فيصل أخذ هذه المدرعات من الإنجليز وتسليمها له) (مذكرات الأمير زيد إلى فيصل، ٢٦ أيار ١٩١٨ العدد ٦٩ ص ٩٨).

المعنوية لرجاله تقدم إلى الخطوط الأمامية، وكان يجابه العدو وجهاً لوجه وبشكل مباشر.. وبلغ ذلك الأمير فيصل قائد الجيش الشمالي فكتب إلى أخيه: « بلغني أنك تخاطر بنفسك كثيراً.. لا شك بأن كل شيء بإرادة الله، ولكن موقعك يقتضي التمكن مهما أمكن. إن حصل عليك ولو نكشة فهي تضر جندك وتكسر عزائمهم. ولذا يلزم ان تتبصر ولا تخاطر[١] ».

**ويقول علي جودت (وكان أحد كبار الضباط في الجيش الشمالي)** في مذكراته: « إنَّ الأمير زيداً كان يندفع اندفاعاً خطراً في الجبهة. وكنا نمانع في هذا الاندفاع لا حرصاً على سلامته فحسب بل خشية أن يؤدي هذا الاندفاع إلى مكروه ما فيؤثر في الجيش أسوأ تأثير[٢] ».

**أما لورنس فيقول:** « إن زيداً كان يتولى قيادة نصف الجيش إلى الشمال من وهيدة، وكان يؤدي واجباته بهمة عظيمة وإن طبيعتهُ المرحة كانت تفعل في نفوس الضباط المحترفين أكثر مما تفعل شاعرية فيصل وحماسته[٣] ».

**وقد منحه الشريف حسين وسام النهضة والميدالية التذكارية لحرب معان،** فكتب يشكر أباه ويقول: « لا شك أن الأوسمة التي ننالها في ميادين القتال، أكبر شرف لنا ولغيرنا من الذين يريدون استقلال البلاد العربية[٤] ».

**وظل العرب والأتراك يقومون بهجمات متبادلة على الخط والمحطات في هذا القطاع** طوال أشهر أيار وحزيران وتموز ويخوضون معارك عنيفة أثناء ذلك، دون أن يتمكن أحد الفريقين من إحراز نصر حاسم.

وفي ٨ آب قامت قوة بريطانية من جيش **الجنرال اللنبي** بمهاجمة محطة المدورة والاستيلاء عليها وتدمير مواقعها الحربية.

---

(١) مذكرات الأمير زيد عدد ٦٥. ص ٩٥ - ٩٦.

(٢) سيرة ومذكرات علي جودت: « سيرة وذكريات ». بغداد سنة ١٩٧٣م - ص ٤٣.

(٣) راجع مذكرات الأمير زيد ص ٢٦.

(٤) راج مذكرات الأمير زيد ص ٢٦.

ولكن تحرير الأردن بكامله لم يتم إلا عندما تقدم **الجنرال اللنبي** بقواته من فلسطين ووجه ضربة مشتركة بالتعاون مع الجيش الشمالي الذي يقوده الأمير فيصل إلى القوات التركية ودمرها وهذا ما سنعرضه مفصلاً في الفقرة التالية.

## سادساً - احتلال بريطانيا فلسطين:

**إن المعارك التي خاضها الجيش البريطاني في فلسطين هي في تاريخ الحرب العالمية الأولى لا في تاريخ الثورة العربية. وما يهمنا من جهة فلسطين** هو مدى الإسهام العربي في نجاح البريطانيين. وما من شك في أن الأعمال القتالية التي خاضها جيش الثورة العربية بقيادة فيصل في شرقي الأردن من جهة والدعاية العربية في صفوف سكان فلسطين وصفوف العرب المجندين في الجيش التركي من جهة ثانية كان له دور فعال في نجاح البريطانيين في هذا الميدان(١). وما من شك في أن بريطانيا لو قدمت للجيش العربي العامل

---

(١) راجع ما قاله وزير خارجية انكلترا اللورد بلفور والملك جورج الخامس نفسه في لندن يوم استقباله في ١٢ /١٢ / ١٩١٨. (سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ٢١٧ - ص ٢٥٠ - ٢٥٥). وراجع أيضاً البرقية التي أرسلها الملك جورج إلى الملك حسين في ٥ / ١٠ / ١٩١٨ (المراسلات التاريخية: رقم ١٧٦ - ص ٢١٤). «... وإني اغتنم هذه الفرصة لا عبر عن عظيم إعجابي بقيادة نجلكم الأمير فيصل وبسالة جنود سيادتكم، وحلفائكم، الذين أسهم تعاونهم الفعال إسهاما واقعياً في نجاح عمليات الحلفاء العسكرية، والتي نتج عنها تحرير دمشق، وتوسيع المنطقة العربية المحررة من أيدي الظالمين ». وراجع بهذا المعنى أيضاً برقية الجنرال اللنبي إلى الملك حسين بتاريخ ١٩١٨/١٠/٢. رقم ١٧٤ - ص ٢١٣ من المصدر السابق). راجع أيضاً مفلح علي في مجلة الفكر العسكري - العدد ١ - السنة الثالثة عام ١٩٧٥ - ص ١٥ حيث يقول في مقالة بعنوان: « التفوق الاستراتيجي والعملياتي في المعركة »: « لقد لعبت القوات المسلحة العربية دوراً حاسماً في معركة يافا ساعدت على تحقيق التفوق الاستراتيجي والعملياتي للقوات البريطانية ».

في شرقي الأردن بعض الدعم الفعال لوفرت الوقت والتضحيات توفيراً كبيراً، ولكن الأهداف البريطانية من الحرب في هذه المنطقة كانت تختلف اختلافاً جذرياً عن أهداف الجيش العربي. فأهداف الجيش العربي كانت تحرير الوطن العربي في حين كانت أهداف بريطانيا احتلال هذه البلاد لتنفيذ اتفاق **سايكس - بيكو** ووعد بلفور؛ أي تخليص هذه البلاد من احتلال تركي لإخضاعها لاحتلال بريطاني فرنسي صهيوني.

**ظلت العمليات البريطانية في سيناء وجنوب فلسطين تسير ببطء ودون فاعلية** حتى صيف ١٩١٧ حيث حدث تبدل هام في الأوضاع العسكرية إذ نجحت القوات العربية في احتلال العقبة التي تحولت بسرعة إلى مركز عسكري على جانب كبير من الأهمية، وفي الوقت نفسه حدث تبدل في القيادة العسكرية البريطانية حيث عين **الجنرال اللنبي** لقيادة القوات البريطانية؛ وهو واحد من ألمع القادة البريطانيين وقد أدرك فور سماعه باحتلال العقبة أهمية الدور الذي يستطيع الجيش العربي أن يلعبه على ميمنة القوات البريطانية الزاحفة على فلسطين.

**ورافق التحضير للهجوم العام على فلسطين حملة دعائية واسعة النطاق لدى** سكان فلسطين وقد وجه الملك حسين رسائل إلى عرب فلسطين يدعوهم فيها إلى التعاون مع القوات البريطانية الصديقة كما وجه نداء إلى الجنود العرب الذين ما زالوا يعملون في صفوف الجيش التركي ألقته الطائرات البريطانية فوق الخطوط التركية **جاء فيه**: « سمعت بمزيد الأسف أنكم تحاربوننا نحن الذين نجاهد في سبيل المحافظة على أحكام الدين الإسلامي الشريف من التغيير والتحريف، ولتحرير العرب قاطبة من حكم الأتراك. ونحن نعتقد أن الحقيقة الخالصة لم تصل إليكم لذلك أرسلنا هذا الإشعار ممهوراً بمهر لنؤكد لكم أننا سنحارب لأجل غايتين شريفتين هما: حفظ الدين وحرية العرب عامة... هلموا للانضمام إلينا

نحن الذين نجاهد لأجل الدين وحرية العرب حتى تصبح المملكة العربية كما كانت في عهد أسلافكم[1]». **وكان رسل الملك حسين وفيصل يعملون بنشاط لإقناع زعماء العشائر والوطنيين في فلسطين وشرقي الأردن والاتفاق معهم على العمل ضد الأتراك وقد لقيت هذه الجهود صدى كبيراً** تجلى في تعاون القبائل العربية في جنوب فلسطين ولا سيما في منطقة بير السبع مع القوات البريطانية، وترك الجنود العرب صفوف الجيش التركي والتحاقهم بالقوات العربية أو البريطانية، وعدم تعاون السكان مع الأتراك مما دفع القائد الألماني ليمان فون ساندرز إلى القول أن القوات البريطانية كانت تقاتل في بلاد صديقة في حين كان الأتراك يحاربون في بلاد معادية وقد **ذكر جمال باشا في مذكراته**: « أن الكراهية التي نشرتها الدعاية الإنجليزية العربية في سورية ضد الأتراك كانت أقوى في إضعاف قبضة الترك على البلاد من الخسائر العسكرية التي نجمت مباشرة عن دخول العرب الحرب ». وما من شك في أن الأعمال الحربية التي كانت تقوم بها القوات العربية في شرقي الأردن كان لها دور كبير في النجاح الذي حققه اللنبي في فلسطين.

**في شهر تشرين أول عام ١٩١٧ استطاع الجنرال اللنبي اكتساح مواقع الأتراك في** غزة وبئر السبع بحركة التفاف حول بئر السبع بقوات فيلق الصحراء الراكب ثم قام بمطاردة الأتراك بهذا الفيلق باتجاه مدينة القدس ماراً بمدينة الخليل وبيت لحم. وفي يوم ٨ كانون أول من تلك السنة سقطت مدينة القدس بيد القوات البريطانية ثم توقفت للدفاع على خط يمتد من شمال البحر الميت ثم يتجه هذا الخط إلى الشمال موازياً لنهر الأردن. وحين يصل هذا الخط إلى منتصف المسافة بين البحر الميت وجسر دامية

---

(١) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٠٣. ص ١٥٤ ورقم ١٠٧، ص ١٥٧ـــ ١٥٨. ورقم ١١٨، ص ١٦٤، وراجع كتابه الحركة العربية - ص ٢٠٣ - ٣٠٧.

ينعطف إلى الغرب حتى ساحل البحر المتوسط عند ميناء أشدود شمالي ميناء يافا(١).

**كانت القوات العربية تتألف من حوالي ٨٠٠٠ مقاتل من الهجانة والفرسان بقيادة الأمير فيصل** تدعمه بعض المصفحات وكانت مزودة بمواد التخريب. كما كانت هذه القوات تتمركز في منطقة الأزرق في شرقي الأردن(٢). وقد بلغ مجموع القوات (الحليفة) في هذا الخط حوالي ٥٧،٠٠٠ جندي مشاة مع ١٢,٠٠٠ جندي خيال مع ٥٤٠ مدفع من مختلف العيارات(٣).

**أما القوات التركية فقد تمركزت بعد انسحابها من مدينة القدس في خط دفاعي مواز للقوات البريطانية ويمتد** من أغوار الأردن إلى ساحل البحر المتوسط. وكانت القوات التركية تتألف من ثلاثة جيوش بقيادة الجنرال الألماني (فون ساندرز) ومقره مدينة الناصرة وقد بلغ مجموع القوات التركية ٣٢٠٠٠ جندي مشاة مع ٢٠٠٠ جندي خيال مع ٤٠٢ مدفع من مختلف العيارات.

وعلى هذا الأساس فقد كانت نسبة القوى تميل لصالح القوات البريطانية بنسبة ٢ إلى ١ في المشاة أما في الخيالة فقد كان التفوق ٦ إلى ١ وفي المدفعية ١,٢٥ إلى ١.

**في ربيع عام ١٩١٨ وضع الجنرال اللنبي خطته لتدمير القوات التركية في فلسطين** ومطاردتها إلى دمشق وحلب ثم الأراضي التركية. فإذا تحقق للجنرال اللنبي القضاء على الجيوش التركية الثلاثة المتبقية للأتراك في

---

(١) راجع كتاب مارشال ويفل « اللنبي الجندي ورجل الدولة ». لندن - ص ١١٢.

(٢) تقع منطقة الأزرق على مسافة ٥٠ كم شرقي مدينة عمان.

(٣) راجع أمين سعيد: « الثورة العربية الكبرى ». تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن. المجلد الأول - ص ٢٣٩ - ٢٤٦.

الشرق الأوسط دون أن يسمح لها بالانسحاب فإن تركية نفسها تصبح عرضة للغزو من الجنوب فترغم على طلب الصلح[١].

وكانت خطة **الجنرال اللنبي** تقوم على أساس خرق الجبهة التركية قرب الساحل مسافة ١٥ ميلاً بالفيلق ٢١. وبعد أحداث الخرق يقوم فيلق الصحراء الراكب بالاندفاع من هذا الخرق إلى الشمال ولالاستيلاء على مضيق أبو شوشه ومضيق مسموس اللذين دل الاستطلاع البريطاني على ان الأتراك قد أهملوا أمر تحصينهما ومراقبتهما بشكل جيد. وبعد أن يعبر الفيلق المذكور هذين الممرين ويصل إلى سهل مرج ابن عامر يستولي الفيلق المذكور على مفرق عفولة وجنين وبيسان.

فإذا تحقق للجنرال اللنبي ذلك يكون قد قطع خط مواصلات وتموين الجيشين التركيين السابع والثامن وأرغمهما على الاستسلام دون أن يسمح لهما بالانسحاب وبعد ذلك يتفرغ لقطع خط مواصلات الجيش التركي الرابع وإرغامه على الاستسلام دون أن يسمح له بالانسحاب أيضاً. وبذلك يتمكن من الوصول إلى حدود تركية لإرغامها على الخروج من الحرب.

**وقد دلت استطلاعات الانجليز قبل نشوب المعركة على أن خط الدفاع التركي المواجه للقوات البريطانية** في الساحل يتألف من خطين. ويبعد الخط الأول عن الثاني حوالي ثلاثة أميال. وكانت دفاعات الخط الأول تتألف من خنادق جيدة مجهزة بموانع الأسلاك. أما خنادق الخط الثاني فكانت تستند على نهر (الفالك) وتحميها مستنقعات النهر من الغرب ولا يمكن تخطيها إلا من معابر معينة كما كانت غير مستمرة وغير مجهزة بالأسلاك[٢].

---

(١) في آذار عام ١٩١٧ سقطت مدينة بغداد بيد القوات البريطانية وشرعت بدورها بمطاردة فلول الأتراك باتجاه الموصل.

(٢) راجع. س. فوللر المعارك الحاسمة في الجنوب. لندن - انكلترا ١٩٦٥.

## سابعاً: سير الأعمال القتالية[1]:

**بدأت القوات العربية بتخريب سكة الحديد في محطة درعا** في يوم ١٧ أيلول ١٩١٨م وقد تمكن العرب من مفاجأة الأتراك وقطع السكة في الجنوب ثم الغرب ثم الشمال.

**وفي الساعة ٤,٣٠ من يوم ١٩ أيلول عام ١٩١٨م فتحت المدفعية البريطانية نيرانها لمدة ١٥ دقيقة على خط الأتراك الأول** ثم تقدم الفيلق ٢١ البريطاني وقبل حلول منتصف ذلك النهار كان البريطانيون قد دمروا الخط الأول والثاني للأتراك وحل الارتباك في الجيش التركي الثامن وأخذت فلوله بالانسحاب نحو مدينة طولكرم. وبعد أن نصب البريطانيون جسراً على نهر (الفالك) تقدم الفيلق المذكور على ذلك الجسر ومن خلفه فيلق الصحراء الراكب وقبل غروب شمس يوم ١٩ كان الفيلق ٢١ المشاة البريطاني قد استولى على مدينة طولكرم، وفتح البوابة على مصراعيها حيث انطلق فيلق الصحراء الراكب على الشكل التالي:

أ - **انطلقت الفرقة ٥ خيالة والفرقة ٤ خيالة باتجاه أهدافهما** الأولى من اليسار باتجاه أبو شوشه فبلغته في الساعة ٢,٣٠ من يوم ٢٠ وفاجأت حاميته واستولت عليه. وانطلقت الثانية من اليمين باتجاه مضيق مسموس وفاجأت حاميته واستولت على المضيق في الوقت نفسه تقريباً ثم دخلتا مرج ابن عامر.

**وبعد أن أرسلت الفرقة ٥ خيالة لواء إلى مدينة الناصرة[2] لأسر القائد العام التركي** مع ضباط أركانه توجهت الفرقتان إلى محطة عفوله وفاجأتا

---

(١) قبل يومين من بدء الهجوم البريطاني هرب إلى صفوف الأتراك عدد من الهنود المسلمين واخبروا الأتراك بزمان ومكان الهجوم البريطاني ولكن الأتراك لم يكترثوا لتلك الأخبار ولم يخبروا القائد العام.

(٢) هو اللواء الراكب ١٣.

حاميتها في الليل واستولتا على المحطة ثم انطلقت الفرقة ٤ خيالة إلى بيسان واستولت عليها في الساعة ٤,٣٠ من يوم ٢٠ وهكذا تكون الفرقة ٤ خيالة قد قطعت ٧٠ ميلاً في ٢٤ ساعة.

**وبعد سقوط عفوله وبيسان بقيت القيادة التركية تجهل الموقف تماماً كما تجهل تماماً** مبلغ الدمار الذي حل بطرق تموينها واتصالها لدرجة أن أحدى الطائرات التركية وصلت ظهر يوم ٢٠ إلى مطار عفوله فهبطت في المطار وتم أسرها من قبل القوات البريطانية. أما اللواء ١٣ من الفرقة ٥ خياله الذي ذهب لأسر القائد العام التركي في مدينة الناصرة فلم يوفق في مهمته ذلك أن فون ساندرز تمكن من الهرب بأعجوبة إلى مدينة طبرية[١].

**أما فرقة الخيالة الاسترالية فقد عبرت مضيق مسموس في الساعة ١١,٠٠ من يوم ٢٠** وتوجهت إلى بلدة جنين واستولت عليها. وبذلك تم أحكام الطوق حول الجيشين التركيين السابع والثامن نهائياً قبل مساء يوم ٢٠ أيلول.

أما ما جرى من قتال ومعارك بعد هذا التاريخ فلم يكن إلا أعمال تصفية للجيشين المذكورين. اللذين تقرر مصيرهما بأقل من ٣٦ ساعة من بدء الأعمال القتالية[٢].

### ب - تدمير الجيش التركي الرابع:

**بقي الجيش الرابع التركي حول مدينة عمان مدة ثلاثة أيام دون أن يعلم بمبلغ الدمار** الذي حل بالجيشين السابع والثامن. ذلك أن اللنبي استمر على مشاغلة الجيش الرابع طوال مدة القتال مع الجيشين السابع والثامن وبذلك بقي

---

(١) راجع مذكراته « خمسة أعوام تركية » - ص ٢٥٠ - برلين ألمانيا عام ١٩٢٥ النص الألماني.

(٢) راجع للتوسع في هذه المعارك كتاب: د. هود. خارج خطوط الحملات المصرية والفلسطينية عام ١٩١٤ - ١٩١٨. لندن - انكلترا - ص ٢١١.

قائد الجيش التركي الرابع جمال باشا في حيرة من أمره ولم يبدأ بالانسحاب باتجاه دمشق إلا في ٢٢ أيلول.

**وقد تعرض الجيش الرابع التركي** أثناء انسحابه إلى هجمات مستمرة على جانبه الأيمن من القوات العربية. وفي ٢٧ أيلول تمكنت القوات العربية من قطع الطريق على بعض وحدات هذا الجيش قرب الشيخ سعد وأسرها.

**أما الجنرال اللنبي فبعد أن تحقق له تدمير الجيشين السابع والثامن قرر تدمير الجيش الرابع** بالوصول إلى دمشق وقطع مواصلاته. وتتلخص خطة **الجنرال اللنبي** للاستيلاء على دمشق بفيلق الصحراء الراكب كما يلي:

في ٢٧ أيلول تحرك هذا الفيلق نحو دمشق برتلين، الأول ويتألف من فرقة ٤ خياله ويتحرك من شرقي بحيرة طبرية عن طريق بيسان - درعا - دمشق - والرتل الثاني ويتألف من الفرقة الاسترالية ويتحرك من غرب البحيرة عن طريق طبرية - قنيطرة - دمشق.

**وفي ٣٠ أيلول بينما كانت فلول وبقايا الجيش الرابع تقترب من مدينة الكسوة** إذ سبقتها إليها الفرقة ٤ خيالة البريطانية وسدت طريق انسحابها إلى دمشق على حين كانت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل تشدد الخناق على مؤخراتها فأرغمت على الاستسلام في مدينة الكسوة بعد معركة صغيرة[١].

وبذلك تم تدمير القوات المسلحة التركية بأسرها في الشرق الأوسط وانفتح الطريق أمام القوات البريطانية والعربية إلى الحدود التركية نفسها.

---

(١) سنتعرض لهذه المعركة وغلى كافة العمليات الحربية التي جرت فوق الأراضي السورية بتفصيل أكثر في الفقرة التالية عند كلامنا عن تحرير سورية ولبنان، وخير مصدر لوصف هذه المعارك كتاب سليمان موسى: الحركة العربية - ص ٣١٦ وما بعدها وكتاب مارشال ويفل السابق الذكر بعنوان: « اللنبي الجندي ورجل الدولة ».

**وقد بلغ مجموع خسائر الأتراك ٢٥٠٠٠ مقاتل على حين لم تتجاوز خسائر العرب والبريطانيين خمسة آلاف** وتم تدمير ثلاثة جيوش تركية في مدة ١١ يوماً فقط[١].

**جـ - تحرير سورية ولبنان:**

**كان الجنرال اللنبي يعتبر الجيش الشمالي الذي يقوده الأمير فيصل بمثابة جناح أيمن لجيشه** الذي كانت خطوطه في آب ١٩١٨ تمتد من يافا على شاطئ البحر إلى أريحا عند البحر الميت. وقد عمل اللنبي على تعزيز جيش فيصل الذي ارتفع عدد النظاميين فيه إلى ٤٠٠٠ (عدا البدو) **فشكل في قيادته هيئة من الضباط لكي تتولى تنظيم ما سمى بـــ « عمليات الحجاز» برئاسة العقيد داوني. وأعار فيصلاً خمس سيارات مدرعة وسرب طائرات ومدفعين** محمولين ومفرزة من ٢٠ هندياً مسلحين بالرشاشات، ومفرزة من الجمالة المصريين (بقيادة النقيب بيك) وسرية من فيلق الجمالة للنقليات، بالإضافة إلى المفرزة الفرنسية (بقيادة النقيب بيزاني) ومعها أربعة مدافع جبلية وأكثر رجالها من الجزائريين. وكل هذه الوحدات تحت قيادة العقيد جويس. وكان جيش فيصل يعتمد في تموينه وتسليحه على جيش اللنبي ولكنه لم يكن يحصل على ما يكفيه، فقد قضى الجنود شتاء ١٩١٧ / ١٩١٨ في الهضاب المرتفعة وهم يرتدون ألبسة الخاكي ووصف العقيد داوني جنود فيصل بأنهم كانوا « يعانون من نقص الطعام والذخيرة[٢]».

---

(١) راجع كتاب أدوارد ميدايرل «صانعو الإستراتيجية الحديثة». لندن انكلترا - ص ٣٢٥ وما بعدها. وكتاب الحملات الحربية في فلسطين - الصادر عن وزارة الحربية المصرية عام ١٩٤٢.

(٢) P.R.O.F.O. 882/7 تقرير الكولونيل داوني عن هجوم العرب على معان، بتاريخ ١ أيار ١٩١٨.

**وكان أولئك الجنود النظاميون العمود الفقري لقوات الثورة العربية « وقد برهنوا في معان والجردونة أنهم يحاربون حتى الموت**[1]» وكان جيش فيصل يعاني من النقص في دواب النقل لأن جميع المؤن والمعدات كانت تنقل من العقبة إلى مواقع القتال على ظهور الحيوانات. وقد زوده اللنبي بألفي جمل حتى يتمكن من القيام بدوره في الهجوم الكبير.

وقد أناط اللنبي بجيش فيصل مهمة خطيرة، مؤداها أن تقوم منه حملة سريعة الحركة بهجوم خاطف من الخلف على درعا ملتقى الخطوط الحديدية بين دمشق وفلسطين وشرقي الأردن، بقصد قطع خطوط مواصلات الجيوش التركية قبيل قيام اللنبي بالهجوم. وعلى الرغم من أن القوة العامة لجيش اللنبي لم تكن تقل عن مئتين وأربعين ألف رجل تقف في وجوههم - ووجوه العرب - قوات من الترك لا تزيد كثيراً على ١٠٠ ألف رجل، فإن اللنبي أعد خططه بحيث تتمكن قواته المتفوقة من إحراز النصر الحاسم. وقد طلب من الحملة العربية أن تبدأ عملياتها حول درعا في منتصف أيلول، قبل ثلاثة أيام من بداية هجوم اللنبي.

**وتقرر أن تتألف الحملة من نظاميين وبدو وأن يتولى الأمير فيصل قيادتها العامة ويكون الشريف ناصر نائباً له ونوري السعيد قائداً للنظاميين.** وفي ٣٠ آب و٢ أيلول غادرت أبا اللسن قافلتان من الجمال تحملان المؤن والذخائر في طريقهما إلى الأزرق التي تقرر أن تكون قاعدة أمامية للحملة...

**وفي ١٢ أيلول تكاملت الحملة في الأزرق وهي تتألف من ٦٠٠ نظامي تعززها وتساندها المفرزة الفرنسية وسرية الهندسة** وتضم المصريين والهنود وثلاث سيارات مصفحة وطائرتين، وكانت الحملة تضم ثلاثة من الضباط العرب الذين أصبحوا فيما بعد من رؤساء الوزارة في القطر العراقي وهم:

---

(١) الرائد السير هيوبرت يونغ في كتابه « الاستقلال العربي »، الطبعة الانكليزية، لندن، ١٩٣٣، ص: ١٩٤.

(نوري السعيد وعلي جودت وجميل المدفعي) كما ضمت من الضباط الانكليز: جويس ولورنس ولورد ونترتون ويونج وبيك وكركبرايد. وانضم للحملة حوالي ٥٠٠ من فرسان البدو بقيادة نوري الشعلان وعودة أبو تايه. وكان مجموع أفرادها ١٣٠٠ رجل.

**كان الطريق المباشر من العقبة إلى دمشق يمر بمعان، عمان، درعا، وكان معظمه يقع في منطقة احتلال العدو.** ولهذا كان من الضروري القيام بحركة التفاف كبيرة من الشرق ويعود الفضل في القيام بهذا الالتفاف الناجح إلى حكمة قائد الجيش الشمالي الأمير فيصل ومعرفته بمسرح العمليات الحربية.

**زحفت الحملة من الأزرق في صباح ١٤ أيلول وفي مساء هذا اليوم وخلال الأيام الأربعة التالية قامت بعملياتها المرسومة على النحو التالي:**

جرت إغارة على سكة الحديد بين درعا ودمشق في نقطة قريبة من تل عرار وكان الهدف نسف جسر سكة الحديد الذي تقوم على حراسته مفرزة قوامها ٤٠ جندياً وقد تم نسف الجسر بعد أسر الحامية كما تم نسف وتدمير ١٢٠٠ قطعة من السكة خلال صباح ١٥ أيلول، كما تم نسف محطة خربة الغزالة، وتم في النهار احتلال نقطة تقع على مسافة ٤ أميال فقط من المطار الألماني مما دفع العدو للتدخل. وهوجمت القوات العربية وقصفت من قبل ٩ طائرات ألمانية من درعا. تم تنفيذ العمل بنجاح وتقدم قسم من القوات خلال النهار إلى محطة سكة حديد مزيريب التي تم الاستيلاء عليها في مساء اليوم نفسه وتم إحراق هذه النقطة الهامة في خطوط موصلات العدو كما تم تدمير قطارين ونسف خزانات المياه وإخراج كمية من سكة الحديد عن الخط. وقد كان يوم عمل جيد أمضت فيه القوة العربية الليل بهدوء قرب سكة الحديد.

وفي اليوم التالي انسحبت القوة باتجاه الجنوب إلى أم المتاعبة مارة بالقرب من الرمثا ووصلت محطة نصيب على الخط الحجازي جنوب درعا بمهمة نسف الجسر الكبير وتعطيل مسافة من السكة قبل حلول الظلام. **وفي**

**صباح يوم ١٩ وصل الجنود النظاميون العرب يرافقهم عدد كبير من القبائل المحلية وأبناء الريف إلى أم المتاعبة حيث تعرضوا لقصف الطائرات الألمانية** التي كانت تطلب الثأر. وقد شعرت حامية درعا التركية بمرارة ورغبة شديدة في الانتقام لأن الجنود العرب قد استطاعوا خلال الـ ٤٨ ساعة قطع مواصلاتهم تماماً مع عمان. وكذلك مع الجبهة الفلسطينية ودمشق. وأسقطت الطائرات المعادية قنابلها بدون تمييز، وانتشر رجال القبائل والفلاحون المحليون في الأراضي المحيطة ولكن الجنود النظاميين للجيش العربي الذين أناخوا جمالهم، مكثوا ساكنين حتى زوال العاصفة. عاد الألمان إلى درعا للقصف من جديد. وقد انسحبت وحدات الهجانة إلى الوادي وبقيت مستورة بين الصخور البركانية هناك وبالنظر لعدم حركتهم فقد بقيت معظم هذه الوحدات غير مرئية من قبل الطائرات المعادية التي تقوم بالاستطلاع فعاد الألمان مكتئبين. وكان منظر وحدات الهجانة الحجازية يبدو أثناء الإغارة كحجارة سوداء مما يذكرنا بقصة شهرزاد في الليالي العربية[١]، وكما حدث في القصة دبت الحياة في الحجارة السوداء من جديد- بعد أن زال الخطر الجوي- وقامت بمناوشة العدو من جديد. وقد زرعت هذه العمليات الارتباك في خطوط المواصلات الرئيسية مما اضطر ليمان فون ساندرز[٢] القائد العام للجيوش التركية إلى إرسال مفارزه الاحتياطية من الجبهة لرد هجمات العرب عن درعا. بينما كان الجنرال اللنبي يتأهب لتنفيذ خطته بالهجوم الواسع على الجبهة التركية. وبعد أن قامت الحملة بتنفيذ المهام التي أسندت إليها. ابتعدت مسافة إلى الشرق بانتظار نتائج هجوم اللنبي.

---

(١) كتاب ألف ليلة وليلة.

(٢) راجع كتاب ليلمان فون ساندرز: «خمسة أعوام تركية»- ص٢٤٧ وما بعدها. من النص الألماني. برلين- برلين- ألمانيا عام ١٩٢٥. وقد استلم هذا القائد الألماني قيادة العمليات في ١٩١٨/٢/١٩ على هذه الجبهة وظل حتى نهاية شهر أيلول.

**بدأ اللنبي هجومه الكبير في الصباح الباكر من يوم ١٩ أيلول. وسرعان ما اخترق رجاله خطوط الجيشين السابع والثامن التركيين- كما مر معنا- وأخذوا يتقدمون شمالاً.** وأثناء هجوم اللنبي واصلت الحملة العربية نشاطها فشنت عدة هجمات ليلية على خط السكة بين درعا وعمان ونجحت في الحيلولة دون إصلاح خط السكة بينما كانت الطائرات المعادية تقصف مواقعها أثناء النهار، ويذكر كركبرايد الذي رافق الحملة ترحيب الأهالي ومساندتهم للحملة **ويقول:** «بعد أن قمنا بقطع الخط توافدت علينا جموع من القبائل السورية والأردنية بقصد الاشتراك في العمليات المقبلة، وانضم إلينا الوطنيون من سورية ولبنان بأعداد متزايدة حتى أصبح من العسير السيطرة على تلك الجموع». وعندما أخذ الجيش التركي الرابع يتراجع من السلط وعمان، لم يستطع الاستفادة من خط السكة فاضطر رجاله أن يسيروا على أقدامهم ويتركوا وراءهم أسلحتهم ومعداتهم. وأرسل اللنبي في ٢٠ أيلول رسالة إلى الأمير فيصل أنبأه فيها أنه نتيجة «لجهودنا المشتركة فقد ألحقت الهزيمة بجيش العدو، أنني أهنئك على الإنجاز العظيم لقواتك الباسلة حوالي درعا، والتي أثرت عملياتها في حدوث الارتباك في خطط مواصلات العدو تأثيراً مهماً على نجاح عملياتي[١]».

**تحول الأتراك في معان إلى الهجوم أثناء قيام العرب بمهاجمة خطوط المواصلات حوالي درعا، فزحفت عناصر قوية لاحتلال الطفيلة وأخذت عناصر أخرى** تشن الهجمات على تلول السمنات. ولكن الأتراك فوجئوا يوم ٢٢ أيلول بصدور الأمر إليهم بالانسحاب السريع، فبدأوا بالتراجع من معان شمالاً سيراً

---

(١) راجع كتاب الرائد السير هـ. يونغ «الاستقلال العربي» ص٢٣٨ الهام.

كما بعث لورنس في ٢٢ أيلول ١٩١٨ برقية إلى الملك حسين قال فيها: إن عمليات الجيش الشمالي «تشكل أعظم إنجاز للأمة العربية خلال السبعمائة سنة الماضية».

راجع أرشيف وزارة الخارجية البريطانية P.R.O., F.O. ٣٩/٦٨٦.

على الأقدام تحت حماية مدافعهم. وكان الأمير زيد يتولى قيادة العرب في معان، فاستنفر قواته لضرب كافة القوات المتراجعة، وحث المقاتلين البدو على عرقلة انسحاب العدو. وكان من أثر ذلك أن القوات التركية اضطرت للتوقف قبل الوصول إلى عمان بعد أن حاصرها آلاف من البدو المسلحين.، ولم تستطع الوصول إلى عمان في الوقت المناسب لتأمين انسحابها فاستسلمت لكتيبة إنكليزية خرجت للقائها من عمان[١].

**وكان اللنبي قبل بدء هجومه قد بعث برسالة إلى فيصل يحذره من توسيع نطاق عملياته والتوغل بعيداً داخل المناطق التي كانت القوات التركية ما تزال مسيطرة عليها**، خشية أن لا يتمكن- اللنبي- من تقديم العون له إذا ما اصطدم بقوات معادية كبيرة. والحقيقة المرة أن الإنكليز والفرنسيين لم يكونوا يريدون أن يروا جيش الأمير فيصل وهو يحقق الانتصار تلو الآخر، ليس كرديف للقوات البريطانية فحسب بل كحليف لها، ومن هنا كانت تأتي النصائح بعدم المجازفة والمغامرة لكي لا تظهر للرأي العام العالمي الأهمية الحقيقية لعمليات الجيش الشمالي. وعندما أخذت القوات التركية تتراجع من فلسطين وشرقي الأردن باتجاه دمشق.

**رأى بعض الضباط الإنكليز أن تلك القوات المتراجعة يمكن أن تسحق القوة العربية الصغيرة**، وأن تلك القوة العربية حري بها أن تبتعد عن خط الانسحاب التركي مادامت قد أدت دورها المطلوب على أكمل وجه. وهذه الآراء أيضاً كانت بإيعاز من قادتهم حتى يظهروا للملأ أن كلَّ الضباط الإنكليز يرون نفس الرأي. ولكن الأمير فيصل كان يرى أن هذه هي الفرصة السانحة التي كان جيش الثورة ينتظرها كي يبرهن أكثر فأكثر على جدارته الحقيقية في تحرير المزيد من الأرض العربية. لهذا كله بعث الرسل إلى زعماء حوران وجبل

---

(١) سليمان موسى- مذكرات الأمير زيد. رقم ٧٩-٨٢-ص١٠٦-١٠٧ من الأمير زيد إلى الملك حسين بتاريخ ١٧، ١٨، ٢١، ٢٣ أيلول ١٩١٨.

الدروز والقبائل العربية المتواجدة في المنطقة يدعوهم ويحثهم إلى الاشتراك في شرف القتال(١).

**بقيت القوات العربية بين الصخور البركانية حتى تاريخ ٢٤ أيلول وكانت تخرج في الليل أحياناً للاستيلاء على قطار مار، وفي فرصة أخرى للانقضاض نهاراً على جسر لتدميره** وكذلك تدمير أجزاء من سكة الحديد. وبتاريخ ٢٤ منه بدأ الجيش التركي بالانسحاب باتجاه الشمال في محاولة يائسة لتجنب الكارثة التي تهدد قواته غربي الأردن أما وحدات الهجانة العربية التي كان يقل عددها كثيراً عن هذه القوة والتي كانت تحتفظ بقدر من التنظيم لم يكن بمقدورها إيقاف الانسحاب وقد امتنعت في اليومين التاليين عن القيام بعمليات قوية لعرقلة مرورها. وقد أخذت هذه الأعمال شكل أعمال متتابعة من الإغارة على وحدات مختارة- حرب عصابات- وكانت الإغارة تتركز بفتح نيران قوية من البنادق وتفجير ونسف ثم انسحاب سريع وكانت حصيلتها ٢٠ إلى ٣٠ قتيلاً تركياً بالإضافة إلى وقوع ما يقارب من ١٢ أسيراً بأيدي العرب. وقد كانت حصيلة الإغارات أسر ضابطين و٥٠٠ رجل و٢٥ رشاشاً.

**وبتاريخ ٢٦ أيلول تقدمت وحدات الهجانة باتجاه الشمال ليلاً واستطاعت نسف سكة الحديد واحتلال محطتي ازرع وغزالة.** وتقدمت القوات باتجاه الشيخ مسكين وشيخ سعد على إحدى الطرق شمالي مزيريب باتجاه دمشق. وقد أمكن هناك أسر ثلاثين ضابطاً و٥٠٠ جندي وكان أكثر هؤلاء من الألمان والنمساويين. وقد بدت على جيش العدو مظاهر معنويات منخفضة.

---

(١) وقد استجاب هؤلاء إلى دعوته بدليل ما جاء في تقرير من فيصل إلى أخيه الأمير زيد حيث يقول له بتاريخ ١٩١٨/٩/١٨: «الأحوال على ما يرام. وصل إلينا نوري الشعلان بجموع كثيفة ومعه الدروز ١٥٠٠ خيال. وكل يوم الوفود في ازدياد. أهل حوران ينتظرون أمرنا بالحركة. قد بعثنا عدة سرايا في وجهات مختلفة».

وعلى الرغم من امتلاكه ١٥ رشاشاً إضافة إلى البنادق والذخيرة المناسبة فإنه لم يبد أية مقاومة تجاه هجمات البدو والفلاحين الذين انخرطوا في صفوف الثورة من أبناء حوران وجبل العرب والقبائل العربية المتواجدة هناك مما جعل العدو في حالة صعبة بحيث كان بإمكان أي شخص أن يحرك قطعة من القماش الأبيض ويصرح قائلاً: «أنا برتبة رائد: إننا نريد أن نستسلم[١]».

**وفي يوم ٢٧ أيلول أخلت آخر وحدة تركية درعا وتحركت قوة السلط إلى الشمال مارة بمزيريب وطفس،** وكان يكتنف هذه القوات الذعر التام لاعتقادها باحتمال سيطرة التخريب في حوران التي كانت في وضع ثورة مكشوفة. ولهذا فقد قررت استخدام العنف الدموي ضد بعض القرى الثائرة لكي تكون عبرة لغيرها واختارت طفس ودرعا. حيث قامت بذبح ثمانين امرأة وطفلاً، وكانت الفظائع التي ارتكبها الأتراك بحق السكان المدنيين لا تصدق ولكن الساعة الأخيرة للاستعمار التركي لبلاد الشام كانت قد دقت. لم يتأثر العرب لهذا الإرهاب الوحشي الأعمى ولم يثبط من عزائمهم وإنما تفاعلوا بشدة مع هذه المجازر الوحشية التي قامت بها القوات التركية وكانت أكبر حافز لهم للأخذ بالثأر وعدم ترك العدو يمر بدون عقاب. وتمت معاقبة القوة المسؤولة عن هذه الفظائع والجرائم فوراً وبهذا لم تستطع الوحدات التركية التي تحركت من درعا ومزيريب أن تصل أبداً إلى دمشق حتى هذا التاريخ.

**كان الشيخ طلال بن دباس وهو مقاتل ذو شهرة كبيرة وشخصية بارزة في حوران مع الجيش العربي.** وعندما اكتشفت الفظائع التي ارتكبت في قريته هجم بمفرده على الرتل التركي ومزق شمله حتى سقط قتيلاً برصاص العدو. وفي فجر يوم ٢٧ اتجهت وحدات الهجانة العربية إلى درعا التي بقيت طويلاً نقطة استناد قوية للأتراك ثم إلى نقطة تبعد قليلاً غربي تقاطع سكة الحديد حيث

---

(١) الوثيقة رقم: ٣٧٧/٣٣٨٣ لعام ١٩٧٩ وزارة الخارجية البريطانية.

أجرت أول تماس مع القوات الهندية في جيش الجنرال اللنبي التي تبعت القوات التركية من الاتجاه الفلسطيني إلى الأردن[1].

ثم شكلت قوات الهجانة العربية الجناح الأيمن الأقصى للقوات الحليفة المتجهة إلى دمشق ودخلت هذه المدينة في ليلة ٣٠ منه وكانت القوات العربية أول من دخل المدينة.

**وقد كانت الأيام الأخيرة للحكم التركي في المدينة الشهيرة تتصف بالإذلال والمهانة للجانب المنهزم**. فقد رفض السكان بيع المواد التموينية حتى بالذهب. وكان من الصعب جداً الحصول على مواد تموينية للمشافي وقد وضع الألمان يدهم بالقوة على جميع وسائط النقل لاستخدامها لأغراضهم الخاصة. وفي صباح ٣٠ منه شهد الدمشقيون بسرور نشوب قتال مفاجئ بين الأتراك والألمان نتيجة لشره الألمان في وضع يدهم على العربات وعلى ما خف حمله وغلا ثمنه.. وقد سقط نتيجة هذا القتال العديد من القتلى من الجانبين. كما حدثت أيضاً مناوشات كثيرة مماثلة بين الأتراك وأسيادهم البروسيين وقد كانت حصيلة هذه المناوشات وجود عدد من جثث الألمان على امتداد خط الانسحاب. وفي المشافي انهارت الخدمات الصحية التركية تماماً خلال الأيام الخمسة الأخيرة بحيث أصبح الواجب الأول الذي تكفل به الجيش العربي النظامي بعد الاحتلال ضرورة دفن الجثث التي تركت هناك لمدة ثلاثة وحتى

---

(١) سليمان موسى: مذكرات الأمير زيد رقم ٨٣-٨٥ برقيات من الأمير زيد إلى أبيه الملك حسين بتاريخ ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦ أيلول ١٩١٨ - ص١٠٨. ثم رقم ٨٦ بتاريخ ١٩١٨/٩/٢٨ وهي برقية من الجنرال اللنبي إلى الملك حسين حيث يهنئه «بالانتصار الكبيرة التي حاز عليها الجيش العربي الهاشمي الذي أخذ نصيبه في قهر العدو والذي به صار تحرير الأمة العربية تحريراً تاماً». ص١٠٩. راجع أيضاً ما كتبه الجنرال الألماني ليمان فون ساندرز في كتابه (خمسة أعوام تركية) ص٣٣١-٣٣٣ و٣٧٠-٣٨٠ أي من سقوط درعا حتى مغادرة الألمان مدينة دمشق في ١٩١٨/٩/٣٠.

خمسة أيام على الأرض حيث مات أصحابها. وقد تم توفير الطعام للمرضى وطلب إلى العناصر العاملة في المستشفى ضرورة متابعة واجباتها.

**وفي يوم ٣٠ أيلول ظهراً تبخرت السلطة التركية نهائياً** بحيث رفع الدمشقيون المتحمسون العلم العربي على بناء قاعة المجلس البلدي. وقد خرجت آخر وحدة تركية وألمانية مجتازة هذا البناء ونظرت إلى العلم الذي يعلن عن هزيمتها ولكنها لم تتجاسر أبداً على الاعتراض.

**وفي الساعة السادسة من صباح يوم ١ تشرين الأول انطلق كل من الشريف ناصر ونوري الشعلان مع أشخاص بارزين آخرين من الميدان محطة القدم إلى السرايا لتسلم إدارة المدينة** التي سبق أن أعلنت تحررها من الأتراك والتي أعلنت أيضاً عن ترحابها الحار بقوات الملك حسين بتظاهرات واحتفالات قامت بها. وقد مر الموكب المشار إليه ببطء تحيط به الزهور والعطور وجميع آيات الترحاب والتعاطف تجاه الشريف حسين ورفاقه المناضلين. بينما انطلقت الصرخات ودموع الفرح الشديد وتنهدات الارتياح عند مغادرة القوات التركية الملعونة والمحتقرة من أفواه السكان الذين صلوا طويلاً لوصول الجيش العربي.

**وفي الوقت نفسه كانت قوات الجنرال اللنبي تدخل المدينة من محور القنيطرة- دمشق.** ولقد كان دخول القوات العربية إلى دمشق «وسط مشاهد من الحماسة الفائقة النظير من جانب أهل المدينة. كانت الشوارع حافلة بالجماهير إلى حد يكاد يتعذر المرور منها، وكانت الجماهير تهتف هتافات تشق عنان السماء وهي ترقص ابتهاجاً»[(١)]..

**وكان الأمير فيصل قد بعث رسلاً من قبله إلى أعوانه في دمشق يطلب إليهم تسلم زمام الأمور حال انسحاب الأتراك ورفع العلم العربي على أبنية الحكومة في المدينة.** وكان وكيل الوالي التركي قبل مغادرته دمشق ظهر يوم ٣٠ أيلول قد

---

(١) تقرير لورنس إلى القيادة البريطانية بتاريخ ١ تشرين الأول ١٩١٨. أوراق ونجت.

اجتمع بشكري باشا الأيوبي وأنبأه بعزمه على الانسحاب وأن عليه أن يتسلم إدارة المدينة، فذهب هذا إلى سجن القلعة وفتح أبوابه وأخرج المسجونين منه باسم الملك حسين والحكومة العربية. وفي الوقت ذاته ذهب الأمير سعيد الجزائري إلى دار الحكومة ورفع العلم العربي الذي كان أخوه الأصغر عبد القادر قد جاء به من مكة في السنة السابقة، وأعلن تأليف حكومة عربية باسم الملك حسين.

**كان الأمير سعيد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر الكبير الذي حارب الفرنسيين في الجزائر أعواماً عديدة ثم استقر في دمشق**. وقد نفاه الأتراك مع أخيه وأبيه إلى الأناضول بعد إعدام عمه الأمير عمر الجزائري. وبعد إعلان الثورة العربية فر عبد القادر من المنفى وذهب إلى مكة، فأعطاه الملك حسين علماً من أعلام الثورة وطلب إليه أن يرفعه في دمشق. وجاء عبد القادر بالعلم بعد أن مر بالعقبة واجتمع بفيصل. وعندما ذهب الأمير سعيد إلى وهيدة غربي معان رسولاً من قبل جمال باشا الصغير إلى فيصل للبحث في عقد الصلح بين الأتراك والعرب، طلب منه فيصل أن يعلن الاستقلال في دمشق حال انسحاب الأتراك وقبل وصول قوات الاحتلال الأجنبية[1]. وقد تعاون سعيد وأخوه عبد القادر مع السلطات التركية في الأشهر القليلة التي سبقت الانسحاب وأنشأ الأخوان قوة من المغاربة «لحفظ الأمن ولمساعدة الجيوش التركية». واستغل الأمير سعيد يوم ٣٠ أيلول هذه القوة لفرض نفسه رئيساً

---

(١) بعث الأمير فيصل من درعا رسالة إلى الأمير سعيد يطلب فيها منه استلام دمشق حال انسحاب الأتراك «باسم الحكومة العربية، وارفعوا الأعلام الهاشمية على جميع المباني الأميرية وبداخل البلدة. وإذا لم يسلموها إلا حرباً فعند انسحابهم من البلدة أملي وطيد بأنكم ترفعون الاعلام العربية قبل دخول أي كان إلى البلدة. وأنكم تعلنون الحكومة المؤقتة باسم جلالة ملك العرب. واستقبلوا جيوش الحلفاء الداخلين وبأيدكم الأعلام العربية». ولكن فائز الغصين الذي كان يحمل الرسالة لم يستطع الوصول إلى دمشق في الوقت المناسب لتسليم الرسالة: راجع كتاب محمد جميل بيهم، العهد المخضرم، ص ص ٧٤-٧٥.

للحكومة المؤقتة. وبادر في اليوم ذاته فبعث إلى رؤساء البلديات في المدن السورية واللبنانية البرقية التالية:

«بناء على تسليمات الدولة التركية فقد تأسست الحكومة الهاشمية على دعائم الشرف. طمنوا العموم وأعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية».

## رئيس الحكومة العربية المؤقتة

### «الأمير سعيد»

**وفي صباح يوم ١ تشرين الأول. وصل الرائد آرثر أولدن من الفرقة الأسترالية إلى دار الحكومة وقال للأمير سعيد أنه يريد مساعدته في توطيد الأمن في دمشق** فأجابه سعيد بأن الأمن مستتب وأنه لا حاجة لمساعدته وطلب الرائد أولدن دليلاً فأعطاه الأمير سعيد اثنين من الضباط العرب لكي يدلاه على مخارج دمشق وللحال انسحب. وبعد ذلك بقليل وصل الشريف ناصر إلى دار الحكومة فعرض عليه سعيد أن يتولى زمام السلطة بنفسه، ولكن ناصر اعتذر بأنه مريض وكلف سعيد بالاستمرار في إدارة الحكم ريثما يصل الأمير فيصل **وكتب له التفويض التالي:**

«إن سمو الأمير سعيد مكلف بإدارة الحكومة لحين حضور مولانا سمو الأمير فيصل».

**ولكن لم يلبث أن وصل لورنس وعدد من أعضاء جمعية العربية الفتاة، فغاظهم تسلم الأمير سعيد زمام الحكم، لأن لورنس كان غاضباً منذ أن خذله عبد القادر وأخوه سعيد في مهمة نسف جسر اليرموك.**

وأعضاء الجمعية العربية الفتاة كانوا يعتبرون سعيداً متعاوناً مع الأتراك وليس من الوطنيين القوميين. لهذا طلب لورنس من الشريف ناصر

أن يأمر سعيد بالتنحي عن الحكم ففعل. وتسلم زمام الحكم اللواء شكري باشا الأيوبي مدة يومين، حتى وصل فيصل فعين أمير اللواء رضا باشا الركابي حاكماً عسكرياً على دمشق وعين شكري الأيوبي حاكماً عسكرياً على بيروت وطلب منه التوجه إليها في الحال.

**وفي ١ تشرين الأول بعث اللنبي إلى الملك حسين برقية يقول فيها:** «يسرني أن أبلغ جلالتكم أن جنودنا المشتركة قد دخلوا مدينة دمشق الساعة السادسة من صباح اليوم...» كما أبرق في اليوم ذاته إلى وزارة الحربية «بأن فرقة الخيالة الأسترالية دخلت ضواحي دمشق من الشمال الغربي الليلة الماضية. وفي الساعة السادسة من صباح اليوم تم احتلال المدينة من قبل فيلق خيالة الصحراء والجيش العربي[(١)]».

**كانت دمشق تنتظر دخول الجيش العربي الفاتح بتلهف وفخر واعتزاز.** لقد كان دخول هذا الجيش العربي المبين أمنية كل مواطن عربي في بلاد الشام

---

(١) إن البرقية التي أرسلها الجنرال اللنبي إلى الملك حسين بتاريخ ١٩١٨/١٠/١ التي يهنئه فيها بالانتصارات وبدخول «الجنود المشتركة مدينة دمشق الساعة السادسة صباحاً تدل دلالة قاطعة على أن الجنود الأستراليين لم يدخلوا عاصمة سورية قبل الجيش العربي» راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٧٤ ص٢١٣ مع الحاشية وقد ناقش زين نور الدين الزين هذا الموضوع في كتابه «الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان» بيروت- دار النهار للنشر ١٩٧١ ص٢١٦-٢١٧. أما الحكم الفاصل في هذه القضية فهو ما جاء في برقية الجنرال اللنبي إلى وزارة الحربية البريطانية بتاريخ ١٩١٨/١٠/٦ حيث جاء حرفياً: «أعلن العرب تأسيس حكومة عربية برئاسة الملك حسين ورفعوا العلم العربي مباشرة عند بدء إخلاء دمشق من قبل الأتراك وقبل أن تغادر القوات التركية المدينة وقد عين حاكم عربي لدمشق ولذلك عندما وصلت قواتي (يعني القوات العربية والبريطانية) المدينة كانت هناك إدارة عربية في المدينة، وكان العلم العربي يرتفع فوق الأبنية الرسمية». راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٧٩-ص٢١٥.

كلها. لقد كان الجميع يعرفون أن سقوط دمشق في يد العرب أهلها والمنافحين عن حوزتها هو بحد ذاته عمل جذري وانعطاف حاسم في تاريخ الأمة العربية منذ إعلان الثورة في حزيران عام ١٩١٦. فقد كانت دمشق على مر العصور عاصمة الدولة الأموية التي ترامت أملاكها من الصين شرقاً إلى فرنسا والبرينيه غرباً. وكأن معركة دمشق خاتمة المطاف وبدء لمرحلة جديدة كلها أمل مشرق بالمستقبل والاستقلال الوطني، والاطمئنان القومي الراسخ. لقد ناضل رجال الثورة العربية الكبرى ٢٨ شهراً ليصلوا إلى تحقيق هذا الحلم العظيم الذي يمثل الدخول إليها خاتمة عهد طويل مظلم من الحكم الأجنبي وبداية عهد جديد مشرق يصبح العرب فيه سادة أنفسهم والمسيطرين على مصائرهم، حيث يمكنهم المشاركة في الحضارة العالمية.

**وفي تاريخ ٣ تشرين الأول وصل الشريف فيصل القائد الأعلى لعمليات الشمال في قوات الملك حسين إلى خارج المدينة** الزاهرة التي انتقلت من جديد إلى السلطة العربية وقد وضعت سيارة تحت تصرفه لنقله خلال الحشود التي كانت بانتظاره لتقوم بتحيته والحفاوة به عند دخوله المدينة.

**ولكن الشريف فيصل القائد الحكيم المتواضع الذي كان يتميز بإحساس تاريخي مرهف** وباستشفاف آفاق المستقبل فضل دخول مدينة دمشق ممتطياً جواده يواكبه حوالي ١٥٠٠ شخص من أركانه ورجاله مما ترك أثراً طيباً في نفوس سكان المدينة.

**وعمت دمشق موجة عارمة من الفرح والبهجة. ولم يكن من اليسير على الكثيرين أن يصدقوا بسرعة أن كابوس الظلم والفوضى** الذي امتد أربعمئة عام قد زال وأن دمشق عاصمة الدولة العربية الكبرى الأولى عادت ترفل بثياب العز من جديد. وقد ذكرها موكب فيصل وصحبه الأشاوس بموكب التحرير الأول موكب أبي عبيدة وخالد.

**وكان دخول اللنبي إلى دمشق في نفس اليوم فاستقبل بالحفاوة كصديق وحليف.** وسرعان ما عقد بينهما أول اجتماع طويل حضره كبار القادة العرب والإنجليز. تم

فيه بحث الترتيبات العسكرية لمطاردة القوات التركية المنسحبة. أما الترتيبات ذات الطابع السياسي فقد أجملها اللنبي في برقية منه إلى وزارة الحربية:

«**لقد أبلغته (فيصل) أنني على استعداد للاعتراف بالإدارة العربية للأراضي المحتلة شرقي نهر الأردن من دمشق إلى معان،** بصفة إدارة عسكرية تحت سيطرتي العليا، وأبلغته كذلك أنني سوف أعين ضابطي ارتباط بيني وبين الإدارة العربية: أحدهما بريطاني والآخر فرنسي وأن هذين الضابطين سوف يتخابران معي عن طريق كبير ضباطي السياسيين. وقد أبلغت الشريف فيصل أن الحكومتين الفرنسية والبريطانية وافقتا على الاعتراف بمركز المحارب للقوات العربية المقاتلة في فلسطين وسورية، بصفة حلفاء ضد العدو المشترك[١]».

**تم تحرير سائر سورية ولبنان قبل أن ينتهي تشرين الأول نتيجة لحركتين حربيتين متميزتين،** سارت الحركة الأولى على طول الساحل مارة بصور وصيدا إلى بيروت وطرابلس، وسلكت الثانية الطريق الداخلية من خلال حمص وحماة وحلب، ولم يقم العرب بدور هام في الأولى وإنما كان لهم نصيب وافر في الثانية.

**بدأ التقدم الساحلي في اليوم الثالث من حيفا وعكا اللتين احتلتا بعد أن تغلغل اللنبي في البلاد بقليل،** فسارت فرقة بريطانية على طول الطريق التاريخي الجميل المتجه من عكا شمالاً واحتلت صور في اليوم الرابع وصيدا

---

(١) سليمان موسى - المراسلات التاريخية رقم ١٧٩. ص٢١٥-٢١٦. راجع أيضاً برقية اللنبي إلى ونجت في ٣ تشرين الأول. (أوراق ونجت). وكان بلفور قد بعث في ٢٨ أيلول برقية إلى ونجت قال فيها إنه اقترح على الحكومة الفرنسية «الاعتراف بصفة المحارب لحلفائنا العرب الذين يقاتلون من أجل الاستقلال من الحكم التركي». أما من كان يعنيهم بلفور بقوله إنهم حلفاء فقد ورد في الجملة التالية من البرقية ذاتها: «إن هذه الصيغة بينما تعترف بالحركة القومية العربية وتشمل جميع العرب في مضمونها، فإنها لن تعطي الانطباع بأننا نرغب فرض الملك حسين على سورية». P.R.O., CAB 27/34.

في السادس، وكأنما المسير نزهة عسكرية لأن الفرقة لم تواجه أدنى مقاومة. واستقبلت الكتائب في كل مكان بموجات من الترحيب. فدخلت بيروت في اليوم الثامن، واستمرت مفرزة تغذ السير زاحفة إلى طرابلس واحتلتها بعد خمسة أيام.

**وفي الوقت نفسه كان اللنبي قد أصدر أوامره بشن هجوم من الجنوب إلى الشمال على محور دمشق حلب**، وكان هذا الهجوم أصعب من سابقه، - على المحور الساحلي- إذ كانت القوات البريطانية تعاني الشعور بإرهاق الحملة القاسية، وزادها سوءاً انتشار مرض مفزع وصعوبة ضمان التموينات وهي على تلك المسافة البعيدة من القاعدة. زد على هذا كله أن فئات غير صغيرة من العدو كانت متمركزة في نقاط مختلفة على طول الطريق، وكان الاعتقاد بأن العدو قد جمع حشوداً قوية في الشمال لتدافع عن حلب، إلا أن هذه العقبات جميعاً ذللت. وهنا أيضاً كان النجاح ثمرة للتعاون بين القوات العربية والبريطانية.

**وفيما كانت فرقة بريطانية تتقدم على طول الطريق الرئيسي من دمشق إلى حلب كان لواء من النظاميين العرب يحمي ميمنتها، كذلك قام الشريف ناصر على راس قوة غير نظامية لمهاجمة حمص من الشرق** فوصلها في الخامس عشر من تشرين الأول، قبل وصول طلائع القوات البريطانية بيوم واحد، وقد وجد أن الأتراك قد انسحبوا.. وبعد يومين احتل حماة دون مقاومة أيضاً، إلا أنه واجه مقاومة صلبة في ضواحي حلب، حيث كان القائد مصطفى كمال على رأس فيلق قوي جيد الإعداد والتدريب مؤلف من فرقتين. ورسمت خطة هجوم مشترك تقوم به الخيالة البريطانية والنظاميون العرب في السادس والعشرين ولكن في عصر الخامس والعشرين تغلغلت القوات العربية القبلية في المدينة، وأمعنت في الحامية التركية قتلاً وتدميراً.. فأرغمت على الانسحاب وقامت القيادة التركية بتنظيم تراجع الفرقتين اللتين تحميان حلب

في الجنوب. وفي صباح السادس والعشرين سارت الخيالة البريطانية والنظاميون العرب ودخلوا المدينة بينما كن لواء من الخيالة الهندية يصد ببسالة هجوماً مصمماً عنيداً يقوم به مصطفى كمال على بضعة أميال إلى الشمال من المدينة[١].

وفي التاسع والعشرين احتلت مفرزة من قوات الشريف ناصر محطة المسلمية، ملتقى السكك الحديدية التي تتفرع إلى القسطنطينية وسورية والعراق، وكانت هي آخر مركز تحتله قوات الحلفاء شمالاً لأن تركيا وقعت في اليوم التالي هدنة مدروس (Mudros)[٢].

**أثار تحرير بيروت وحلب بل وكل مدينة أخرى في سورية ولبنان مشاهد متماثلة من البهجة والفرح** كالتي استقبل بها المحررون بدمشق وارتفعت العواطف المستثارة بآمال الحرية السياسية- كما حدث في دمشق أيضاً- إلى نوبة محمومة من السرور للخلاص من الآلام.

**وهكذا أصبحت أربعمائة عام من الاحتلال التركي البغيض للبلاد العربية في ذمة التاريخ.**



---

(١) راجع ليمان فون ساندرز: «خمسة أعوام تركية» المذكور سابقاً. ص٣٨٤ حتى ٣٩٦ راجع أيضاً دراسة المؤرخ الألماني المعاصر فريتز فيشر Friz Fischer في مقالته: «أهداف الحرب الألمانية» في المجلة التاريخية (لألمانية) سنة ١٩٥٩- المجلد ١٨٨ ص٣٠٩ وما بعدها. وقد درس هذا المؤرخ نهاية الحرب الكونية الأولى وما رافقها من مفاوضات وأحداث في كتابه الشهير «الهجوم للسيطرة العالمية»: أهداف سياسة ألمانيا القيصرية في حرب ١٩١٤-١٩١٨». الطبعة الثالثة- دوسلدورف عام ١٩٦٩.

(٢) نسبة إلى ميناء مدروس في بحر إيجه، وبها أنهيت الحرب العامة في الشرق في ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الفَصْلُ الثَّانِي

# إعلان استقلال سورية
# ومبايعة فيصل ملكاً

**«ينبغي لنا أن نعترف بأن في فرنسا عدداً كبيراً من الرجال الذين ينقصهم الفهم والعدل اللذين يتحلى بهما الأمير فيصل»**

**«الجنرال بريمون»**[١].

## أولاً- نهاية الحكم التركي:

**انتهى الحكم التركي في دمشق في الثلاثين من أيلول ١٩١٨**، الذي استمر زهاء أربعمائة عام.. ففي عصر ذلك اليوم رفع العلم على سارية فوق مبنى البلدية في ساحة المرجة وهي نفس الساحة التي شهدت منذ سنتين وبضعة شهور تنفيذ حكم الإعدام بأحرار الشام.. كان ذلك العلم هو علم الثورة العربية الكبرى **بألوانه المتوازية الأسود والأخضر والأبيض ويشمل الألوان الثلاثة مثلث ذو لون أحمر عنابي**[٢].

---

(١) الجنرال بريمون في كتابه (الحجاز في الحرب العالمية). باريس ١٩٣١-ص٢٢.

(٢) راجع جريدة القبلة الصادرة في مكة العدد (٨٢)، ٧ شعبان ١٣٢٥ حزيران ١٩١٧.

**أما اللون الأسود** فهو رمز راية (العقاب) وهي راية الرسول العربي (e) المشهورة التي رفعها في غزوة خيبر كما اتخذت دولة بني العباس اللون الأسود شعاراً لها.. **أما اللون الأخضر** فهو شعار الدولة الأموية كما أن هذا اللون هو الشعار الذي اشتهر به آل البيت عليهم السلام منذ أحقاب طويلة.. **واللون الأبيض** يمثل صفاء النفس العربية وكان شعاراً للعرب في دور من أدوارهم، كما كان شعار الدولة الفاطمية.

**أما اللون الأحمر** الذي يشمل الألوان الثلاثة فهو لون راية الأسرة الهاشمية من عهد جدها الشريف أبي نمي وحتى الوقت الحاضر.

**وقد دخل الأمير فيصل دمشق دخول الظافر ممتطياً جواداً عربياً على رأس قوة عسكرية قوامها ١٥٠٠ فارس عربي** وسط أهازيج من الحماسة والابتهاج لم تشهد البلاد لها مثيلاً.. كانت دمشق (قلعة الأمة العربية) تمثل الشيء الكثير في نظر الأمير فيصل وفي نظر أبيه الشريف حسين قائد الثورة العربية الكبرى.. إنها نهاية مطامح العرب الوطنيين.. وكان تحريرها من ربقة الاستعمار التركي يشكل تحقيقاً - ولو جزئياً - لأمانيهم القومية في الاستقلال ولإنشاء الدولة العربية الواحدة[١].

**ذكرنا أن الأمير فيصل عيّن أمير اللواء علي رضا باشا الركابي**[٢] **حاكماً عسكرياً عاماً وأصدر التعليمات** لأمير اللواء شكري باشا الأيوبي بالذهاب إلى بيروت وتأسيس الحكومة العربية فيها بناء على طلب أهلها..

---

(١) راجع بالمعنى ذاته: زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان المذكور سابقاً ص ٧٩.

(٢) ولد وتوفي في دمشق (١٨٧٧-١٩٤٢). تعلم في دمشق، وتخرج من المدرسة الحربية بالآستانة. تولى وظائف عسكرية في القدس، فالمدينة عام ١٩١٢. وكان من المؤمنين بالقومية العربية وانتسب إلى جمعية العربية الفتاة والعهد السريتين. عين حاكماً لدمشق ورئيساً لوزارتها مع دخول الجيش العربي إليها عام ١٩١٨ ثم استقال ولزم بيته. ثم التحق بإمارة شرقي الأردن في عمان عام ١٩٢٢ وتولى رئاسة الوزارة مرتين وعاد إلى دمشق إلى أن توفي.

وذلك أن أعيان بيروت بعثوا ببرقية إلى (القيادة العربية العليا) في دمشق طلبوا فيها أن ترسل دمشق إليهم ممثلاً للشريف حسين لينظم أمر الحكومة العربية في المدينة. فبعث نوري السعيد ببرقية جوابية لهم لكي يرفعوا العلم العربي (بعد أن وصف شكله وألوانه) على جميع المباني الحكمية، وأن يترقبوا وصول قوة عسكرية عربية لمساعدتهم في مهمتهم هذه. وعندما أخبر الأمير فيصل عن الوضع في بيروت وافق على إرسال شكري باشا فوراً على رأس قوة عسكرية رمزية قوامها مائة جندي عربي ومعهم ثمانية رشاشات بالإضافة إلى الأسلحة الفردية وعدد من الأعلام العربية.

غادرت هذه القوة دمشق في الثاني من شهر تشرين الأول ووصلت بيروت في الرابع منه بعد سفرة عسيرة على ظهور الجياد لأن الألمان كانوا قد خربوا الخط الحديدي بين المدينتين. وإضافة إلى ذلك فإن برقية الأمير سعيد الجزائري كانت ذات تأثير فعال.. إذ إن رئيس بلدية بيروت عمر الداعوق عندما تلقى البرقية بعد ظهر يوم ٣٠ أيلول ١٩١٨ ذهب مع ثلاثة من أعيان بيروت إلى والي ولاية بيروت إسماعيل خير بك وأطلعه على البرقية.. وبعد شيء من التردد وافق الوالي على تسليم شؤون الإدارة، وأعطى رئيس البلدية كتاباً رسمياً مؤرخاً في ١ تشرين الأول ١٩١٨ وجهه إلى جميع مأموري الحكومة العثمانية في الولاية، قائلاً أنه بسبب نشوء الوضع الخطير الناجم عن تأسيس حكومة عربية في دمشق، فإنه قرر تسليم شؤون الإدارة في بيروت إلى رئيس البلدية، وأبلغ المأمورين بانتهاء وظيفتهم مع الحكومة العثمانية..

**وهكذا أصدر رئيس الحكومة العربية في بيروت بياناً بتاريخ ١٩١٨/١٠/١** نشرته الصحف البيروتية أعلن فيه تسلمه زمام السلطة. وبالفعل بدأت الإدارة العربية بممارسة عملها.. ثم اتصلت بحكومة دمشق ورفعت العلم العربي على دار الحكومة في احتفال شعبي وقامت برفع العلم العربي **المناضلة فاطمة المحمصاني** (شقيقة الشهيدين محمد ومحمود).

**في السادس من تشرين الأول ١٩١٨ تسلم شكري الأيوبي زمام السلطة وأعلن انضمام لبنان إلى الحكومة العربية** وعين حبيب باشا السعد حاكماً مدنياً بعد أن أقسم يمين الولاء للملك حسين.. وكان مغزى ذلك أن الحكومة العربية الجديدة اعتبرت لبنان جزءاً عادياً من أجزاء سورية.. كما اعتبرت امتيازاته القديمة بحكم الملغاة.

وحذت المدن الأخرى حذو بيروت، ففي صيدا شكل الأهلون إدارة مؤقتة ورفعوا العلم العربي، ثم وصل مندوب الحكومة العربية في دمشق على رأس ٥٠ رجلاً.. وحدث الأمر ذاته في اللاذقية وفي طرابلس وصور وبقية المدن الساحلية.

لكن الأمور لم تسر على ما يرام وكأن قدر هذه الأمة أن تكافح دائماً وأبداً ضد الاستعمار بمختلف أشكاله وصوره.. وقديماً قيل: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن..

**ذلك أن صدمة عنيفة كانت بانتظار الأمير فيصل.. ومفاجأة لم تكن متوقعة.. لأن الجنرال اللنبي(١) القائد العام للحملة البريطانية كان في ذلك اليوم (٣ تشرين أول عام ١٩١٨)** يسرع الخطى للوصول إلى دمشق وهو مضطرب الخاطر قلق البال.. بسبب أخبار خطيرة كان قد تلقاها من سورية. وكان المصدر الرئيسي لاضطرابه وقلقه.. تلقيه أخباراً من مركز القيادة العامة في بير سالم، ومن المفوض السامي البريطاني في مصر ومن القنصل الفرنسي

---

(١) اللنبي أدمون هنري (١٨٦١-١٩٣٦) قائد بريطاني اشترك في حرب البوير في فرنسا في الحرب العالمية الأولى وقاد الحملة البريطانية في مصر (١٩١٧-١٩١٩) فغزا فلسطين واستولى على بيت المقدس وانتقل إلى سورية ورفع إلى رتبة فيلد مارشال ومنح لقب فيكونت للدور الذي لعبه في طلب تركيا الهدنة من الحلفاء بسبب معاركه العسكرية ضد الجيش التركي، عيّن مكان ونجت كمندوب سام في مصر إثر اندلاع ثورة ١٩١٩ واستقال من منصبه عام ١٩٢٥ وعاد إلى بريطانيا.

في القاهرة، ومن السيد بيكو، ولاسيما تلك الرسائل التي تلقاها من وزارتي الحربية والخارجية وكان النغم السائد في كل هذه الرسائل ما مؤداه: «اخنقوا حركة فيصل في مهدها.. أوقفوا السيل العربي.. تذكروا اتفاقية سايكس-بيكو[١]».

**التقى الأمير فيصل والجنرال اللنبي في فندق فيكتوريا بدمشق في نفس اليوم وحضر المقابلة الرائد لورنس** واتسم اللقاء بشيء من الحدة والصخب ولا غرو في ذلك فقد كان الرجلان على طرفي نقيض.. فقد كان الأمير فيصل يمثل الإنسان العربي في تواضعه ونبله وكبريائه وأصالته.. وكان الجنرال اللنبي يمثل العقلية الإنكليزية الاستعمارية المتغطرسة المتعالية.. والتي لا تألف سوى إصدار الأوامر..

**بدأ الجنرال اللنبي الكلام: «وقال إن الحرب لم تنته بعد.. وأن الأرض التي احتلتها الجيوش التي تأتمر بإمرته تعتبر «أرض العدو»** في الوقت الحاضر تعتبر بريطانيا نفسها مسؤولة عن إدارة هذه المناطق المحتلة.. ومهما يكن من أمر وبحسب اتفاقية عقدت مع الفرنسيين فإنه تلقى تعليمات بالسماح للفرنسيين لتولي شؤون الإدارة في المنطقة «الزرقاء» التي تمثل سورية غربي دمشق وحلب.. والتي تشمل مدينة بيروت ولبنان..» ثم التفت اللنبي إلى الأمير فيصل وشرح له أن لمنطقة (آ) المشار إليها في تلك الاتفاقية مع فرنسا والتي تضم دمشق وحمص وحماة وحلب فإن فرنسا ستكون الدولة الحامية لها. وأضاف: «ولكن فرنسا قطعت عهداً على نفسها أن تساند قيام دولة عربية مستقلة[٢]».

---

(١) راجع مقالة نشرها بيكلز ويلسون في المجلة الوطنية الإنكليزية عدد أيلول ١٩٢٠-ص٤١-٥٤.

(٢) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية المذكورة سابقاً رقم ١٧٩-ص٢١٥-٢١٦ عن اجتماع اللنبي بالشريف فيصل في حضور مرافقي ومرافقيه وراجع أيضاً التقرير=

**وفي ذلك الحين تلقى الجنرال اللنبي برقية من وزارة الخارجية البريطانية تعلمه فيها باعترافها أن العرب يعتبرون مشتركين في هذه الحرب.** وكانت التوجيهات المعطاة للجنرال اللنبي تسمح له بأن يعترف بحكومة عربية برئاسة فيصل كممثل لأبيه الملك حسين في الأراضي العربية المحررة الواقعة شرقي نهر الأردن من العقبة حتى معان بما في ذلك دمشق، على أن يحتفظ بحقه في تعيين ضابطي ارتباط، الواحد منهما بريطاني والآخر فرنسي ليكونا في مساعدته عندما يتصل بالحكومتين البريطانية والفرنسية.. فيما يتعلق بشؤون الحكم العربي في تلك المنطقة.. وعندما احتج الأمير فيصل بشدة على تولي الفرنسيين أمر سورية وعلى تعيين ضابط ارتباط فرنسي، أجابه الجنرال اللنبي بإصرار أن هذه الأوامر قد صدرت إليه بصفته القائد العام في فلسطين وسورية ويجب عليه أن يطيع أوامره كقائد لجيش حليف ونصح الأمير فيصل بأن يقبل الوضع القائم إلى حين عقد مؤتمر الصلح[1].

**علم النقيب كولندور، نائب المندوب الفرنسي في دمشق بسفر شكري الأيوبي إلى بيروت بتاريخ ٥ تشرين الأول فاحتج أمام فيصل على إرسال الجنود العرب إلى بيروت قائلاً:** إن هذا يخالف الاتفاقات المعقودة، وعندما علم الجنرال اللنبي بالأمر أبرق في ٦ تشرين الأول ببرقيتين إلى وزارة الحربية البريطانية يقول فيهما: «بعد الإشارة إلى الفقرة الثانية من اتفاقية «سايكس - بيكو» فإن العمل غير المتوقع الذي اتخذته الحكومة العربية قبل أن يحتل الحلفاء بيروت احتلالاً فعلياً، أو حتى دمشق، يضع الممثل الفرنسي

---

= الذي أرسله الأمير فيصل إلى أبيه الملك حسين من دمشق بتاريخ ١٩١٨/١٠/٢٠ رقم ١٨١ -ص٢١٦-٢١٩.

(١) راجع زين نور الدين زين في كتابه «الصراع الدولي في الشرق الأوسط» وولادة دولتي سورية ولبنان، دار النهار، ١٩٧١، مترجم، ص٨٠- ٨٢.

في وضع صعب.. وأن معرفة العرب بالتأكيدات التي أعطيت للسوريين السبعة تجعل الموقف معقداً في بيروت لأن تلك التأكيدات أعلنت أن حكومات هذه المناطق سوف تؤسس بناء على رغبة المحكومين. كما أن الزعماء العرب لم يبلغوا رسمياً مواد الاتفاقية الإنكليزية الفرنسية[١]».

**بدأ تنفيذ الخطة المرسومة بين الحكومتين الفرنسية والإنكليزية يسير بثبات وبسرعة، ففي ٩ تشرين الأول وصلت القوات الإنكليزية براً إلى بيروت** ووصلت قطع من الأسطول الإنكليزي بحراً إلى بيروت، واعتبر المسؤولون البريطانيون أن الأمير فيصل خرج عن الحد المرسوم له عندما أرسل شكري الأيوبي إلى بيروت بدون استشارة وموافقة الجنرال اللنبي.. ولذلك فقد أصدر الجنرال اللنبي بصفته القائد العام للقوات المسلحة في فلسطين وسورية أمراً بتعيين العقيد بيباب Piepape الفرنسي حاكماً عسكرياً للمنطقة الغربية. وطلب قائد القوات البريطانية التي وصلت إلى بيروت من شكري الأيوبي أن ينزل العلم العربي ويغادر بيروت ولكن شكري الأيوبي رفض تنفيذ هذا الأمر وقال: إنه لن يفعل شيئاً من هذا القبيل إلا إذا تسلم أمراً مباشراً بذلك من الأمير فيصل.. ومضى كلايتون يطلب من فيصل أن يترك لبنان وشأنه وأن يبذل جهوده لتأسيس إدارة سليمة في المنطقتين (آ و ب). وأبرق اللنبي إلى فيصل يطلب منه أن يصدر أمراً لشكري الأيوبي بالانسحاب.. ولكن اللنبي لم ينتظر إجراءات فيصل بل تم بأمره ليلة ١٠/١١ تشرين الأول إنزال الأعلام العربية عن بيروت والمدن الساحلية الأخرى على الرغم من معارضة المأمورين العرب.

**وأبرق اللنبي إلى وزارة الحربية في ١١ تشرين الأول قائلاً:** «**إن العلم العربي أنزل ولكن فيصل لم يسحب شكري** حتى الآن «لقد حذر فيصل من أنه إذا حاول السيطرة على المنطقة الزرقاء التي يجب أن يبت مؤتمر

---

(١) راجع سليمان موسى: الحركة العربية - ص٣٩٨.

السلم في أمرها، فإنه سيلحق الضرر بقضيته» بينما أبلغ فيصل «بأن الأوامر والتصريحات الصادرة عن القائد العام تعتبر نافذة المفعول دون سواها». وكانت هذه التوجيهات كرد غير مباشر على البيان الذي أصدره فيصل في ٥ تشرين الأول بإنشاء «حكومة عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً لا شائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية[١]».

وعندما بلغ فيصل أمر إنزال الأعلام العربية أرسل برقية احتجاج طويلة إلى اللنبي بشأن «ما حصل على الراية العربية ببيروت من الحقارة. الراية التي كنتم بالأمس أخبرتموني أنها حليفة راية الحكومة البريطانية العظمى.. إن هذه الراية........ رفعت من طرف أمة اختارت هذه الراية لنفسها والتحقت بأبناء جلدتها وجنسها وطلبت منا إرسال حاكم إليها بدون أي مجبر، كما كان يفعل أهل اللاذقية وطرابلس.. إن أهل ساحل سورية أرادوا وفعلاً انضموا إلى إخوانهم العرب، فهل من العدل والإنصاف حرمانهم من أمانيهم؟ ولكني عربياً ولأنني نائب هنا عن والدي صاحب الراية المهانة من جانب حلفائه، أطلب إعادة شرف تلك الراية بإرجاعها كما كانت وتحقيق أماني أهل بيروت[٢]...».

**وأبرق كلايتون في ١٢ تشرين الأول «إن الوضع في بيروت سوِّي محلياً وتولى بيباب الحكم**، ولكن لم تجر تسوية الموضوع الرئيسي لأن فيصل يعلن أنه لا يستطيع رسمياً أن يستدعي شكري دون أن يفقد مكانته،

---

(١) راجع بلاغ فيصل المؤرخ في ٥ تشرين الأول ١٩١٨- أمين سعيد- المجلد الثاني – ص ٢-٣. وراجع أيضاً سليمان موسى: الحركة العربية –ص٣٩٩.

(٢) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٨٢- ص٢١٩-٢٢٠ برقية من الأمير فيصل إلى الجنرال اللنبي. الواقع أن هذه البرقية لا تحمل تاريخاً ولكنها قد أرسلت- كما يرجح- في أواسط الشهر.

مما قد يستدعي استقالته». **ولكن فيصل اشترط شرطين لكي يأمر شكري بالانسحاب:**

**١ - الحصول على تأكيد من القائد العام بأن أية ترتيبات تجري الآن في المناطق الساحلية هي ذات طابع عسكري ولا تؤثر في التسوية النهائية.**

**٢ - توافق حكومتا بريطانيا وفرنسا على تأكيد القائد العام.**

وأبدى كلايتون رأيه بأن من الضروري إصدار تصريح يحدد السياسة الفرنسية لتبديد مخاوف العرب(١). وأراد فيصل أن يقدم استقالته احتجاجاً، ولكن كورنوالس ضابط الارتباط البريطاني أقنعه بتأجيل الإقدام على هذه الخطوة إلى أن يصل اللنبي إلى دمشق(٢).

**كانت السياسة البريطانية في ذلك الحين تتجه لإقناع الملك حسين بالاكتفاء بفتات المائدة الذي تقدمه اتفاقية سايكس – بيكو للعرب(٣)**، فسارع الجنرال اللنبي وكلايتون إلى دمشق للاجتماع بفيصل هذا الاجتماع الذي تم في ١٦ تشرين الأول ١٩١٨. في بداية الاجتماع نقل فيصل لهما قلقه وقلة ثقته بمقاصد الضباط الفرنسيين الذين قد يستغلون المناصب الكبيرة التي سيتولونها للتأثير على مبدأ تقرير المصير لمصلحة فرنسا عندما تحين التسوية النهائية.

---

(١) البرقية رقم ١١٥ (EC. 1918) ملف ٣٤/٢٧ بتاريخ ١٠/١٢.

(٢) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٨٠ - ص٢١٦ وهي برقية من كلايتون إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩١٨/١٠/١٣ حيث يقول: «اغتم فيصل كثيراً عندما بلغه نبأ إنزال الأعلام العربية في بيروت وقد قدم استقالته ولكن ضابط الارتباط البريطاني أقنعه بتأجيل اتخاذ أية خطوة إلى أن يصل القائد العام إلى دمشق» وراجع أيضاً في هذا الموضوع ما كتبه سليمان موسى نفسه في كتابه الحركة العربية – ص٤٠٠.

(٣) رسالة ونجت إلى اللنبي بتاريخ ٣ تشرين الأول ١٩١٨ (أوراق ونجت)، ملف ٣٤/٢٧.

**وكان جواب اللنبي كما أبرق به إلى لندن**: «**لقد أعطيت للأمير فيصل تأكيداً رسمياً بأنه مهما تكن الإجراءات** التي يمكن اتخاذها خلال فترة الإدارة العسكرية، فإنها ستكون إجراءات مؤقتة، ولن يسمح لها أن تؤثر في التسوية النهائية التي سيجريها مؤتمر السلم، وهو المؤتمر الذي لا شك في أن العرب سيمثلون فيه. وقد أضفت قائلاً: «إن تعليماتي للحكام العسكريين سوف تمنعهم من التدخل في المسائل السياسية وأنني إذا وجدت أياً منهم يخالف هذه التعليمات فسأعمد إلى عزله من منصبه. وقد ذكرت فيصل بأن الحلفاء مرتبطون بشرفهم وهم سيحاولون التوصل إلى تسوية تتفق مع رغبات الشعوب ذات العلاقة، وحثته أن يضع ثقته في حسن نياتهم[١]».

**وأظهر اللنبي فكرته بأنه لا يمكن القضاء على شعور عدم الارتياح الذي يحس به العرب عموماً إلا بإصدار تصريح سياسي علني من الحكومتين البريطانية والفرنسية**[٢]. وفي اليوم التالي أبرق كلايتون يقول إن تأكيدات اللنبي بعثت بعض الاطمئنان في نفس فيصل، وهو الآن «يضع ثقته الكاملة في حسن نيات الحكومة البريطانية وتأكيدات القائد العام». وبناء على هذه التأكيدات سحب فيصل الحكام والممثلين الذين كان قد بعث بهم إلى لبنان وولاية بيروت. وقد أثارت تقسيمات اللنبي الإدارية اهتمام العرب من ناحية عدم وجود منفذ ساحلي للمنطقة الشرقية. وتساءل كلايتون عما إذا كان بالإمكان إعطاؤهم تأكيداً بهذا الخصوص، كما طلب من وزارة الخارجية إقناع الحكومة الفرنسية بأن توافق على إدخال أقضية بعلبك وراشيا وحاصبيا

---

(١) برقية اللنبي رقم p/٦٩٠٦ إلى وزارة الحربية بتاريخ ١٧ تشرين الأول: ( EC. 2006) CAB 27/35 وفي رسالة خاصة كتبها اللنبي في اليوم ذاته قال: إن فيصل «يخشى الحلول التي ستنتج عن مؤتمر السلم. ولكنني قلت له: إن عليه أن يثق بدول الحلفاء وبأنها ستتعامله بإنصاف ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ «قوي الإرادة مستقيم ؟؟؟؟؟؟؟

Bnan Gardeer, Allenby, Cassen, London. 1965, p190

(٢) أوراق ونجت: برقية اللنبي بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩١٨. CAB 27/35.

في المنطقة الشرقية على الرغم من أن اتفاقية سايكس- بيكو وضعتها في المنطقة الزرقاء[1].

**ولكن على الرغم من تأكيدات اللنبي لم يلبث فيصل أن فوجئ بورود برقية منه يطلب فيها تسليم أقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا** إلى المنطقة الفرنسية بعد أن كان الحكام العرب قد مارسوا مهام إدارتها أكثر من أسبوعين، على الرغم من أن الأقضية الأربعة كانت تتبع ولاية سورية في العهد العثماني. **ورد فيصل قائلاً:** إن هذا الطلب يزيد من ارتياب الأهالي في نيات فرنسا، وأن الإصرار على تنفيذه سيدفعه إلى ترك البلاد. وأشارا إلى محادثات أبيه مع سايكس وبيكو في جدة والاتفاق بينهما وبينه على أن حكومة أية منطقة «تتبع مشيئة أهلها». وطالب في برقيتين متتابعتين «بتشكيل لجنة مختلطة بأسرع ما يمكن تأخذ رأي الأهالي بخصوص مستقبلهم[2]».

وهذه أول مرة يطالب العرب فيها بلجنة تحقيق دولية تأخذ آراء الأهالي في شكل الحكومة التي يريدونها، بناء على مبدأ تقرير المصير الذي نادى به الرئيس الأميركي تيودور ولسون ووافقته عليه دول الحلفاء.

---

(١) أوراق ونجت، برقية كلايتون رقم ١٢٩١٨ إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨ تشرين الأول ١٩١٨.

(٢) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية المذكورة سابقاً رقم ١٨٩-١٩٠- ص٢٢٤-٢٢٥. وراجع أيضاً كتاب: أتوري روسيّ: وثائق حول نشوء وتطور القضية العربية المذكور سابقاً (باللغة الإيطالية) رقم ٢٦-ص٧٠. وقد جاء في برقية احتجاج ثانية أرسلها الأمير فيصل إلى الجنرال اللنبي في هذه الفترة. أي ما بين ١٥- ٢٠ تشرين الأول ١٩١٨ حيث يقول له: «إن أهل ساحل سورية أرادوا- وفعلاً انضموا- إلى إخوانهم العرب فهل من العدل والإنصاف حرمانهم من أمانيهم.. إن أعطيناهم العهد والمواثيق بأنهم سيكونون مخيرين في تعيين مستقبلهم.. وهم أحرار غير مسودين من جانب أية قوة كانت».

**الواقع أن اللنبي قد اعترف بفيصل كأعلى سلطة في المسائل العسكرية والإدارية في المنطقة الشرقية، ولكن ذلك قد أوقعه** في تناقض لا يمكن تفسيره إذ بينما منع قيام إدارة عربية في بيروت وثغور الساحل السوري الأخرى، وافق على الحاكم العربي الذي عينه فيصل لثغر اللاذقية، وعلى أساس أن أهل اللاذقية راضون عن النظام الذي أنشأه فيصل. وأن فرض حكم لا يقبله الأهلون قد يكون أمراً عسيراً[1]. هذا مع العلم أن موقف أهل اللاذقية من حكم فيصل لم يكن يختلف عن موقف أهل بيروت وطرابلس وصور وصيدا. وقد جاء في برقية الأمير فيصل إلى الجنرال اللنبي «أن الراية العربية لم تُرفع في بيروت بواسطتي أو بواسطة شكري أو أية سلطة عسكرية بل إنها رفعت من طرف أمة اختارت هذه الراية لنفسها و التحقت بأبناء جلدتها وجنسها وطلبت منا إرسال حاكم إليها من دون أي (منطقة) كان كما فعل أهل اللاذقية وطرابلس...»[2].

**لقد أرسل فيصل لأبيه وصفاً للوضع قال فيه:** «**إن جميع البلاد من بيروت إلى حد اسكندرون في الساحل أعلنت بأنها من أجزاء المملكة العربية** ورفعت الرايات كما فعلت بيروت وطرابلس والشام واللاذقية وصيدا وصور». ولكن ما حدث من نزاع بشأن بيروت وإنزال الراية «جبراً» بأمر اللنبي، أدى إلى اضطراب العلاقات مع فرنسا وبريطانيا، وأن وجهة نظر اللنبي تقوم على أنه قسم البلاد إلى ثلاث مناطق عسكرية «ولا دخل للسياسة في هذه التقسيمات». وأنه لم ترفع أعلام في البلاد المحتلة باستثناء دمشق، ولذلك أمر بإنزال العلم في بيروت «ومستقبل البلاد سيكون بمؤتمر الصلح». وأضاف فيصل أنه احتج أمام اللنبي «بالمذاكرة والاتفاق الذي حصل بين جلالتكم وبين مندوبي الدولتين في جدة وهو إبقاء مستقبل البلاد على رغائب

---

(١) أوراق ملنر، برقية اللنبي بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩١٨.

(٢) سليمان موسى: المراسلات التاريخية: رقم ١٨٢- ص٢١٩.

أهلها». وأنبأه أنه كان قد أرسل شكري الأيوبي والمندوبين الآخرين إلى الساحل «ليعلم العالم بأسره أن أهل ساحل سورية اختاروا مستقبل بلادهم قبل أن تلعب بهم أيادي السياسة». وأن الفرنسيين بدأوا يبثون الدعايات وقلب أفكار الناس. وطلب من أبيه التدخل وإرسال الأمير عبد الله إلى دمشق لمعالجة الموضوع[١].

**وبعد أحداث بيروت، أوضحت الحكومة البريطانية للملك حسين ظروف الوضع القائم في سورية،** بإرسالها برقية له تعلمه فيها أن الجنرال اللنبي هو صاحب السلطة العليا في سورية وفلسطين «بصفته القائد العام لقوة حملة الحلفاء». وأن سلطة اللنبي أنيطت:

١ - **في فلسطين بإدارة قائد بريطاني.**

٢ - **في منطقة معان - دمشق بالإدارة الحربية العربية** عن طريق ضابطي ارتباط فرنسي، وإنكليزي (مع القول أن حمص وحماة وحلب سوف تتبع عند احتلالها إدارة دمشق).

٣ - «**وقد رئي أنه من الضروري تشكيل إدارة حكومة وقتية تحت** سلطة الجنرال اللنبي مباشرة تكون في الإقليم الساحلي الذي يجب أن يعامل في الوقت الحاضر أراضي أعداء محتلة. وتكون هذه الإدارة في يد ضباط فرنسيين تحت السلطة العليا المخولة للقائد العام البريطاني، وهو الذي يعين هؤلاء الضباط[٢]».

---

(١) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٨١ – ص٢١٦ -٢١٩ وهو تقرير مسهب أرسله الأمير فيصل إلى أبيه الملك حسين من دمشق بتاريخ ١٩١٨/١٠/٢٠.

(٢) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٨٣ -ص٢٢٠-٢٢١ وهي رسالة من ونجت إلى الملك حسين عن طريق المعتمد البريطاني. كان ونجت هو الذي اقترح في البداية إحاطة الملك حسين علماً بالترتيبات العامة لإدارة المناطق السورية. واقترح نصاً للمخابرة لا يشتم منه وجود اتفاقية مسبقة بين فرنسا وبريطانية لأن «الملك لا علم رسمي له بالاتفاقية». وقد أخذت وزارة الخارجية بنصيحة ونجت وجاءت رسالتها إلى الملك مطابقة لما اقترحه.

**ويتبين من هذه البرقية حرص الحكومة البريطانية على إفهام الملك حسين أن لا دخل للسياسة في هذه الترتيبات وأنها ذات طبيعة مؤقتة،** ولكن الملك حسين استشف ما وراء العبارات المطاطة من مقاصد سياسية فأبرق إلى ونجت يقول: إن هذا الترتيب «سيكون حكماً قاضياً على مخلصكم بالانتحار بالنظر لصورة إدارة السواحل.. لكن لا يتصور أن تكون بلاد بلا سواحل، ولو بقي مقدار مساحة عش فراخ في أي نقطة منه تحت يد أجنبية تصبح منشأ حوادث وفتن واختلافات تؤدي لمحو البلاد[(١)]...».

وأبدى الملك رغبته في السفر إلى دمشق للإشراف على الوضع بنفسه. ولكن ونجت نصحه ألا يفعل معتذراً بأن سورية تخضع الآن لإدارة عسكرية[(٢)].

**نقلت ونجت برقية الشريف إلى وزارة الخارجية في لندن،** وأضاف إليها: «أن الشريف كما يبدو ينوي التنازل عن الملك والانسحاب من العمل في الحركة العربية». ثم حث ونجت حكومته «بأقصى تشديد» بأن ترسل للشريف دون تأخير رسالة تطمين. وقال: إنه لمن الضروري أن تُعلن فرنسا سياستها وأهدافها في سورية. **ولكن حذر من أن أي تصريح لن يجد قبولاً حسناً من لدن الملك حسين وغالبية العرب ما لم يتضمن التأكيد:**

**١ - على أن فرنسا لن تضم إليها أية أراض عربية أو سورية.**

**٢ - أن الفرنسيين سيحكمون في أية منطقة يتولونها من سورية بهدف أعداد أهل البلاد كي يحكموا أنفسهم وبقصد المحافظة على المطامح العربية.**

**٣ - أن الحكومتين البريطانية والفرنسية تعترفان بضرورة حصول حكومة دمشق على منفذ حر وميناء على البحر الأبيض المتوسط[(٣)].**

---

(١) سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٨٧ -ص٣٢٣.

(٢) سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٨٨ -ص٢٢٤ - الحاشية.

(٣) برقية ونجت بتاريخ ١ تشرين الثاني ١٩١٨ في F.O 882/13.

**تضمن جواب ونجت على برقية الشريف القول: إنه بعث بمضمون برقيته إلى لندن، ثم طلب منه:** «بكل إخلاص أن تعتقدوا أن قيادتكم هي من ألزم اللوازم للنهضة العربية ولمساعدة العرب كي يجنوا ثمار المحالفة ويصونوا مستقبلهم السياسي». ثم عبر عن أسفه لأن ترتيبات اللنبي أثارت شكوكه ولم تنل رضاه، ولكنه ذكر الشريف «أن هذه الترتيبات وقتية» وطلب منه أن يستعد للاشتراك في المناقشات التي ستدور حول إدارة الأراضي التي تحررت.

**أعلن اللنبي ترتيباته المتعلقة بإدارة الأراضي المحتلة في يوم ٢٣ تشرين الأول،** ففي ذلك اليوم أصدر بياناً جاء فيه أنه قرر إنشاء ثلاث مناطق إدارية «لأراضي العدو المحتلة».

١ - المنطقة الجنوبية أي فلسطين، ويتولى إدارتها قائد بريطاني.

٢ - المنطقة الغربية أي ساحل سورية، ويتولى إدارتها قائد فرنسي.

٣ - المنطقة الشرقية أي سورية الداخلية مع شرقي الأردن، ويتولى إدارتها قائد عربي هو علي رضا الركابي.

ومن غرائب هذه الترتيبات أن المنطقة الشرقية ضمت منطقة (أ) التي وضعتها اتفاقية سايكس - بيكو تحت النفوذ الفرنسي ومنطقة (ب) التي وضعتها تلك الاتفاقية تحت النفوذ البريطاني. ولهذا عين اللنبي ضابطي ارتباط في دمشق: ضابطاً بريطانياً وهو الرائد كورنوالس وضابطاً فرنسياً وهو النقيب مرسييه وطلب إليهما أن يعملا متعاونين مؤكداً للإدارة العربية «الاتفاق التام القائم بين الحكومتين». وبموجب هذه الترتيبات نزعت صفد ونواحيها من المنطقة الغربية وضمت إلى المنطقة الجنوبية، كما أن الأقضية الأربعة نزعت من المنطقة الزرقاء وضمت إلى المنطقة الشرقية. **وقال اللنبي**: إنه أبقى هذه الأقضية تحت الإدارة العربية نتيجة لتصميم فيصل على الاستقالة إذا جرى ضمها للمنطقة الغربية[١].

---

(١) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٨٣ - ص٢٢٠-٢٢١ وهي برقية من ونجت إلى الملك حسين يعلمه فيها عن الترتيبات التي أخذها الجنرال اللنبي بنفسه.

**وكتب فيصل إلى أبيه في هذه الأثناء يحثه على المطالبة بإعطاء أهل** الساحل «الحرية التامة والفرصة لتقرير مستقبلهم والتعجيل في ذلك. أن البلاد لا تؤخذ إلا بالدم وعار علينا السكوت» وقال إن المأمورين الإنكليز «معنا قلباً وقالباً.. إنهم يلقون الخطأ على السياسة، أعني سياسة لوندره - لندن - ويأملون أملاً كبيراً بإمكان تغير الحالة السياسية». وقال: «إنه ربما يحارب فرنسا إذا لم يجد بداً من ذلك. وكرر طلب مجيء أخيه عبد الله ليتولى الشؤون السياسية لمملكتكم هذه[1]».

**أرسل الملك حسين برقية إلى ونجت يصف فيها مأساة فيصل الروحية** وما يجيش في نفسه من «اضطراب وحزن ويأس» من أعمال الفرنسيين والأموال التي ينفقونها. وطلب منه اتخاذ الإجراءات «التي تجدها مناسبة لمساعدتي». فرد ونجت أن اللنبي يحقق في الموضوع بنفسه «وبكل تأكيد أن جلالتكم يمكنكم أن تركنوا إلى درايته وعدم تحزّبه ضد أية إدارة في هذه الأوضاع الدقيقة[2]».

**وما أن وصلت رسائل فيصل إلى أبيه ومعها نسخ من برقيات فيصل إلى اللنبي حتى بادر الملك فبعث بها إلى المعتمد البريطاني في جدة قائلاً:** «إنه لم يكن يخطر على باله أن يحدث للراية العربية ما حدث». «يجب أن نمنع فناءنا المعنوي في عيون الشعب... كل آمالنا تحطمت بعد المعاملة المهينة لعلمنا الذي اعتُبرَ علم حليف، خاصة وأن أهل البلاد أنفسهم رفعوه.. إن أهل البلاد لم يكن بمقدورهم تقديم برهان أكثر وضوحاً من رفع العلم بمحض إرادتهم الحرة، وبهذا أظهروا مشاعرهم الطبيعية[3]».

---

(١) المرجع السابق. رقم ١٩٣ - ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) المصدر السابق رقم ٢٠٠ - ص٢٣١.

(٣) رسالة الملك حسين رقم ٢٨٨ بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٨ وF.O. 882/17.

**وهكذا فقد جرى التأجيل مرة أخرى.** ففي أثناء الحرب كان يقال للعرب: «اصبروا حتى تنتهي الحرب وتتاح الفرصة الملائمة لحل المشاكل. وعندما انتهت الحرب قيل للعرب: ها هو ذا مؤتمر السلم وستجد المشاكل الحل على يديه».

## ثانياً- التصريح البريطاني الفرنسي:

**يعود التفكير في إصدار تصريح بريطاني فرنسي مشترك إلى أوائل شهر تموز ١٩١٨م، أي بعد احتجاج الملك حسين الشديد** على ما نشرته جريدة (المستقبل) عن وجود اتفاقية سرية بين الدولتين. وقد حاول سايكس إقناع زميله بيكو بإلغاء الاتفاقية. ولكن هذا أصر على التمسك بها، وعندما أخذ سايكس يحاول ربط الحكومة الفرنسية بتصريح مشترك يخفف القيود التي فرضتها الاتفاقية، بغية حصر نفوذ فرنسا في أضيق بقعة ممكنة، وتأمين «نصف الرغيف» في سورية الداخلية للعرب وإعطاء دليل للرئيس ولسون يؤكد له بأنهما تنويان السير على سياسية حرية تقرير المصير التي نادى بها. ومن هنا اشترك سايكس وبيكو في وضع نص «تصريح إلى ملك الحجاز» بحثته اللجنة الشرقية في اجتماعها يوم ١٨ تموز ولكنها لم تصل بشأنه إلى قرار حاسم[١].

---

(١) راجع ايتوري روسيّ: وثائق حول نشوء وتطور القضية العربية (١٨٧٥-١٩٤٤) المذكور سابقاً رقم ٢٧ - ص٧٠-٧١. وكان الحلفاء قد أبلغوا الملك حسين بمضمون هذا التصريح (راجع المراسلات التاريخية رقم ١٩٦ - ص٢٢٩-٢٣٠) حيث يقول ونجت للملك: «إنني على يقين تام أن جلالتكم سترون في مواد هذا القرار اعترافاً كاملاً بمبدأ القومية وحقوق الأهلين وهو ما ينطبق على السوريين وسكان العراق وسيكون من دواعي فخري وسروري إذا ما أعلنتم جلالتكم موافقتكم التامة على هذا التأكيد العلني للمبادئ التي طالما ناديتم جلالتكم بها وبذلتم جهوداً مضنية في سبيلها. وكان جواب الملك حسين إلى ونجت بتاريخ ١٩١٨/١١/٥ (راجع المراسلات التاريخية رقم ١٩٧ - ص٢٣٠).

**وظل موضوع التصريح مائعاً حتى اتفقت الحكومتان على نصه النهائي، وأرسلت** نسخة منه إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وإلى الحكومة البريطانية. وفي ٤ تشرين الثاني وصل النص إلى ونجت من وزارة الخارجية وطلبت إيه أن يعمل على ترجمته في الحال إلى اللغة العربية وإرساله إلى الملك حسين، ونشره في أوسع نطاق في الصحف العربية. وذكرت وزارة الخارجية أن التصريح لن ينشر في بريطانيا وفرنسا إلا بعد تقديم نصه إلى الملك حسين. كما طلبت وزارة الخارجية من ونجت إرسال النص إلى اللنبي وكلايتون وطلبت إليهما توزيعه على نطاق واسع[١]. وبالفعل تلقى الملك حسين في مكة المكرمة يوم ٦ تشرين الثاني نص التصريح مع الترجمة إلى العربية.

**استهلت الحكومتان تصريحهما بالمقدمة التالية:**

«إن الحكومة الفرنسية بالاتفاق مع الحكومة البريطانية قد عقدت العزم على إصدار التصريح المشترك التالي من أجل أن تعطيا السكان غير الأتراك القاطنين بين جبال طوروس والخليج العربي تأكيداً بأن الحكومتين، كلا منهما في منطقتها الخاصة، تعتزمان تأمين أفضل درجات الحكم الذاتي لهم، بهدف ضمانة تحريرهم وتطوير مدنيتهم».

**أما التصريح فقد أعلن بشكل حاسم أن هدف الدولتين هو:** «التحرير التام النهائي للشعوب التي طال اضطهاد الترك لها، وإقامة حكومات وإدارات قومية تستمد سلطتها من المبادأة والاختيار الحر للأهالي الوطنيين». وإن الدولتين «متفقتان على تشجيع إقامة الحكومات والإدارات الوطنية ومساعدتها في الأراضي التي حررها الحلفاء في سورية والعراق، وكذلك في الأراضي التي تعملان على تحريرها». وأن الدولتين لا ترغبان في فرض أي نظام في هذه المناطق، بل إن اهتمامهما الوحيد ينصرف إلى معاضدة ومساعدة

---

(١) Telegram No. 1323 (EC. 2197): CAB. 27/35.

الحكومات والإدارات «التي يختارها الأهلون بكامل حريتهم[1]» ومن الواضح أن كلمة سورية وردت في التصريح بحيث تشمل سورية الطبيعية (سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن).

**نشر التصريح يوم ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ في لندن وباريس ونيويورك والقاهرة**، وقد ظهر مع المقدمة في الصحف الفرنسية الصادرة في اليوم التالي، بينما لم تظهر المقدمة في الصحف الإنكليزية. ومعنى هذا أن الحكومة البريطانية لم تعط المقدمة للصحف، كما لم تبعث بها إلى ونجت فلم تنشر أو تعرف في بلاد العرب. ولكن التصريح ذاته نشر في مصر والعراق وسورية كلها. وقد فهم العرب أن نشره في فلسطين يعني أنه يشمل فلسطين ضمناً. وتلقى فيصل نص التصريح وهو في طريقه إلى حلب، وعند وصوله إليها ألقى خطاباً يوم ١١ تشرين الثاني قرأ خلاله نص التصريح، وقال إنه «من المستندات التاريخية العظيمة» و«أنه يدل على شعور عال وحسيات إنسانية»، واستدل بالتصريح على دفع اتهام الأتراك الاتحاديين للأشراف بأنهم «اتفقوا مع الغربيين على بيع البلاد لقاء دريهمات[2]». وعلى العموم قوبل التصريح بالترحيب البالغ في بلاد العرب واعتقد الأهلون أنه يحل محل اتفاقية سايكس- بيكو ويلغيها.

**وفي ٥ تشرين الثاني أبرق ونجت إلى الملك نص التصريح قائلاً إنه يتضمن:** «اعترافاً كاملاً وصادقاً بمبدأ القومية وحق الشعب فيما يتعلق

---

(١) المقدمة نقلت عن كتاب جفريز ص ٢٣٨ لأنها لم تنشر باللغة العربية وليست معروفة على نطاق واسع. وعلى رأي جفريز أن سبب عدم نشر الإنكليز لها يعود إلى أنها تنص على عروبة المنطقة المعنية ومن ضمنها فلسطين. أما نص التصريح فمنقول عن: مناقشات مجلس العموم البريطاني- السلسلة الخامسة- المجلد ١٤٥ العمود ٣٦.

(٢) راجع النص الكامل لخطاب الأمير فيصل في كتاب أمين سعيد «الثورة العربية الكبرى» المجلد ٢ ص ص(٤-٩).

بالسوريين والعراقيين...». فرد الملك في اليوم ذاته يعبر عن سروره بالتصريح ويقول: «وعلى كل حال فإن المنتظر من شهامة كمالاتكم ما هو فوق ذلك إن شاء الله[1]». والواقع أن عبارات التصريح إذا قرئت بنية حسنة، لا تترك مجالاً للشك بأن حرية العراقيين والسوريين في تقرير مصيرهم واختيار الحكومة التي تسوسهم، أصبحت مضمونة وأكيدة وغير مقيدة بأية تحفظات. ولا يلام العرب على ظنهم يومذاك بان التصريح صدر عن نية حسنة وعن دوافع مثالية، لأنه صدر بعد أن حاقت الهزيمة بالدولة العثمانية وبعد استسلامها، فلم تكن هناك ضرورة عسكرية تحدو ببريطانيا وفرنسا إلى إصداره.

**وفي دمشق قامت مظاهرة بابتهاج كبيرة** وأعلن قادتها لضابطي الارتباط امتنان العرب لحكومتي بريطانيا وفرنسا، وابتهج الأهلون كذلك في بيروت. وساد الانطباع بأن التصريح يشمل فلسطين، على الرغم من التساؤلات التي دارت على الألسن بسبب عدم ذكر فلسطين صراحة[2]. **لقد كان معروفاً لدى الجميع أن سورية تعني المنطقة الممتدة من الاسكندرونة شمالاً حتى رفح جنوباً (سورية الحالية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن).**
فلا عجب أن يبلغ التشكك من الجنرال كلايتون نفسه في حقيقة ما قصده التصريح حداً دفعه إلى أن يسأل وزارة الخارجية «لمعلوماتي الخاصة» عما إذا كان قد قصد بالتصريح أن يشمل فلسطين. وقال كلايتون إن أكثرية

---

(١) يرى الجنرال جلوب أن هذا التصريح كان أقوى وأوضح من بنود مراسلات مكماهون واتفاقية سايكس – بيكو وتصريح بلفور لأنه منح الأهلين حرية اختيار مستقبلهم: وقد ورد ذلك في كتابه «بريطانيا والعرب» دراسة خمسين عاماً من التاريخ ١٩٠٨-١٩٥٨. لندن ١٩٥٩- ص١٣٤.

(٢) البرقية رقم ١٨٥ تاريخ ١٩٨١/١١/١٦م، وهي من كلايتون إلى وزارة الخارجية البريطانية مصنف ٣٧ / ٣٦.

السكان اعتبروا أن التصريح يشمل فلسطين. وكان جواب وزارة الخارجية: «لقد صيغ التصريح قصداً بحيث يستثني فلسطين. وهذه لمعلوماتك الخاصة»[1]. وهكذا بقي العرب يعتقدون شيئاً بينما كانت الحكومة البريطانية تضمر شيئاً آخر. وبقي الحكام العسكريون البريطانيون في فلسطين أيضاً يجهلون حقيقة المقصود بالتصريح فيما يتعلق بفلسطين.

**ترى ماذا كانت نية الحكومة البريطانية؟ هل كانت تنوي الوفاء بالتزاماتها للعرب أم لفرنسا؟. لا هذا ولا ذاك.** كانت تريد شيئاً واحداً فقط ألا وهو توسيع البقع الحمراء على خارطة العالم وفي بلاد العرب بالذات. ولسوف نرى كيف أن اللجنة الشرقية اتخذت قراراً بأن يكون النفوذ في منطقتي (أ) و(ب) لبريطانيا دون سواها، وسوف نرى لويد جورج يأخذ وعداً من كليمنصو بتحويل الموصل وفلسطين إلى منطقة النفوذ البريطاني، أي نزع نفوذ فرنسا عن هذه المناطق وحصره في الساحل السوري فقط. ولسوف نرى أيضاً اللورد كرزون وعدداً من كبار المسؤولين البريطانيين يعلنون أن فلسطين كانت مشمولة بعهود مكماهون كقطر عربي ضمنت بريطانيا عروبته واستقلاله.

**إن سلسلة العهود التي سردناها، والتي ارتبطت بها الحكومة البريطانية مع العرب،** لا تدع مجالاً للشك في نفس أي عربي أنها كانت تعني تحالفاً بين أمتين، وأن بريطانيا- باعتبارها الأمة الأقوى- تعهدت بالأخذ بيد حلفائها العرب من أجل تأليف دولة كبيرة تجمع شملهم وتوحد أقطارهم، مقابل مصالح اقتصادية. وأكثر من هذا، فإن العلاقة التي عقدت أثناء الحرب بين بريطانيا والعرب كانت في أصلها ارتباطاً معنوياً مبنياً على ثقة العرب بالشرف البريطاني وبروح العدالة التي كانت معروفة عن الإنكليز في ذلك الحين. كان العرب يعتقدون أن بريطانيا التي حرضتهم على الثورة ضد

---

(١) راجع برقية كلايتون للوزارة رقم آ. ب. ٨٩٢ بتاريخ ١٩١٨/١٢/٢ وجواب الوزارة رقم ٢٧٦ بتاريخ ١٩١٨/١٢/٤ مصنف ٣٧/٢٧.

الأتراك إخوانهم في الدين، وملأت نفوسهم بالآمال، لا يمكن أن تتخلى عنهم، بل أن تعمل على تقسيم بلادهم وتقديم جزءاً غالياً من وطنهم هدية إلى أناس غرباء.

**وكانت هذه الثقة العمياء ببريطانيا في غير محلها، لأنها كانت دائماً تلك الدولة الاستعمارية** التي أغدقت الوعود ولم تف بها، والدليل على ذلك بادْ للعيان لاسيما من خلال سياستها القهرية في مستعمراتها الإسلامية والعربية سواء في الهند أو في مصر أو ببقية البلاد المستعمرة في أفريقيا وآسيا.

**وعندما انتهت الحرب كانت نقطة الضعف في موقف بريطانيا تنبع من قوة الجشع وشهوة التملك في نفوس ساستها.** رأى أولئك الساسة أن واجبهم نحو بلادهم يقضي عليهم بحصر النفوذ الفرنسي في أضيق بقعة ممكنة من البلاد العربية لكي تصبح تلك البلاد حكراً مطلقاً للنفوذ البريطاني. ومن سوء الحظ أن أولئك الساسة لم يروا في الوقت ذاته أن واجبهم نحو بلادهم والإنسانية يقضي عليهم بالوفاء بتعهداتهم للعرب والحفاظ على كلمة الشرف التي أعطوها باسم الشعب البريطاني. وقد ازدادت نقطة الضعف ضعفاً عندما رفضت فرنسا الاستجابة لمشاريع الساسة البريطانيين وإعطائهم الفرصة للتظاهر بالكرم مع العرب على حسابهم.

**وفي نهاية الأمر تبين بشكل صريح وواضح أنه لم تكن هناك قيمة حقيقية للوعود والعهود ولمبادئ** العدل وحق تقرير المصير. وتلفت العرب وإذا بهم سلعة على موائد المفاوضات تتناوشهم مخالب لا تقل شراً عن مخالف الوحوش، وهم أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام.

## ثالثاً- تسويات ما بعد الحرب:

كان موقف العرب يتأرجح بين الثقة بالمستقبل والتخوف مما سيأتي بعد الغد، **عندما عقدت الهدنة العامة بين ألمانيا والحلفاء يوم ١١ تشرين الثاني**

**١٩١٨م،** فمن جهة كانت سورية الداخلية في أيديهم وتحت حكمهم من معان والعقبة جنوباً حتى حلب شمالاً، وقد تصرف فيصل وأعوانه تصرف الحكام المستقلين وأخذوا يتولون إدارة المنطقة الشرقية على أساس أنها جزء من المملكة العربية الكبرى التي كانوا يأملون أن يؤسسوها على وجه من الوجوه. ولكن من جهة أخرى كانت آمالهم تصطدم بوجود الفرنسيين في الساحل والبريطانيين في فلسطين والعراق. وحيث أن ثقة العرب ببريطانيا كانت ما تزال متينة لم تتزعزع على الرغم من كل ما حدث حتى ذلك الحين، فقد كان العرب يعتقدون أن الخطر كامن في وجود فرنسا في الساحل. وقد تجسدت مخاوف العرب من فرسا بحادث طرد الحكام العرب من المدن الساحلية وفي الدعاية العدائية التي أخذ ضباط فرنسا السياسيون يبثونها في المنطقة الشرقية(١). **وبالفعل فقد بدأت دسائس الفرنسيين ودعايتهم عملها فور دخول فيصل دمشق وذلك بتحريك لمتعصبين من المسيحيين وتخويفهم من المسلمين.** كما زعمت أن جيش الثورة جيش حجازي بدوي، وأن الحكومة التي سيؤلفها هذا الجيش ستكون حتماً حكومة دينية رجعية وأنها سترجع في كل شيء إلى الشريعة الإسلامية، فستعيد الأمور إلى ما كانت عليه قبل ستين سنة، وستقضي على حقوق المسيحيين قضاء مبرماً(٢).

---

(١) أنبأ فيصل الميجر كورنوالس ضابط الارتباط البريطاني في دمشق يومذاك بأن «عملاء الكابتن مرسيبه» استدعوا كبار شيوخ جبل الدروز وأبلغوهم أن «محمية فرنسية سوف تؤسس قريباً هنا وأن القوات الفرنسية سوف تصل خلال بضعة أيام...».
راجع أوراق ونجت: برقية كورنواليس بتاريخ ١٩١٨/١١/٢ رقم C١٩٨.

(٢) راجع في هذا الخصوص الرسالة المسهبة التي بعث بها الأمير فيصل إلى أبيه الملك حسين بتاريخ ١٩١٨/١٠/٢٠ في كتاب المراسلات التاريخية رقم ١٨١ - ص٢١٦-٢١٩ حيث يتكلم عن الدعاية التي يبثها الفرنسيون في البلاد السورية. ومما جاء فيها: «أن فرنسا اليوم تحكم في بيروت باسمها صراحة وهي تبث الفكرة الفرنسية وأهل البلاد مستاؤون جداً خصوصاً المسلمين وفريق عظيم من المسيحيين.. الآن هم مهتمون بقلب الأفكار ضدنا ويريدون أن يكسبوا الأكثرية إلخ...».

**والواقع أن جميع الأمور كانت تدل على خلاف ذلك تماماً.. إذ أن رجال الثورة لم يكونوا كلهم من البدو**، بل كان بينهم عدد غير قليل من المسيحيين أيضاً، والحكومة التي تألفت في الشام لم تفكر في يوم من الأيام بأن تصطبغ بصبغة دينية، بل عهدت بكثير من الوظائف والأعمال إلى غير المسلمين.. وكان الأمير فيصل بن الحسين يقول دائماً وفي كل مناسبة: «الدين لله والوطن للجميع». وفي الخطاب الذي ألقاه في حلب يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ ركز فيصل على ضرورة الوحدة الوطنية باسم القومية العربية **معلناً أن** «العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد» ومحذراً من إلقاء الفتن بين المواطنين باسم الدين مهدداً بأشد العقاب كل من يقدم على ذلك. **كما طمأن السوريين إلى أن والده قرر** «أن يجعل البلاد مناطق يطبق عليها قوانين خاصة بنسبة أطوار وأحوال أهلها. فالبلاد الداخلية يكون لها قوانين ملائمة لموقعها والبلاد الساحلية أيضاً يكون لها قوانين طبق رغائب أهلها». وقد قصد فيصل بهذا أن يخرس ألسنة السوء القائلة بأن سورية المتقدمة في مضمار التعليم ستتقهقر إلى الوراء إذا اتحدت مع الحجاز وخضعت لحكم الشريف حسين(١).

**وقد اختط فيصل خطة التسامح لتأليف قلوب المواطنين في سورية، فلم يقصر في إسناد المناصب العليا** في حكومته على أولئك الذين انضموا وقاتلوا معه، بل أراد أن يستعين بجميع الأشخاص الأكفاء، بغض النظر عن مواقفهم السابقة. كان لسان حاله يقول: عفا الله عما مضى ولنبدأ صفحة جديدة منذ اليوم. اعتقاداً منه بأن الشعور الوطني والوعي القومي كافيان لدفع كل مواطن إلى خدمة بلاده وقومه(٢).

---

(١) أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، المجلد الثاني، خطاب فيصل ص٤-٩.

(٢) راجع الدراسة المسهبة للدكتورة خيرية قاسمية «الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠». القاهرة ١٩٧١ دار المعارف ص٦٠-٦٣.

**على كل حال فإن العرب كانوا متلهفين على انعقاد مؤتمر السلم ويعلقون الآمال الكبيرة على أن يعمل ذلك المؤتمر بروح مبادئ الرئيس ولسون** وتأكيدات اللنبي لفيصل. وكانت الحكومة البريطانية بدورها تسعى للتوصل إلى حل بشأن بلاد العرب، **هذا الحل الذي يحقق الأمور التالية:**

**١- يحقق مصالحها ويرضي أطماعها.**

**٢- يرضي فرنسا بشكل أو بآخر.**

**٣- أن يحرز قبولاً لدى العرب.**

**وقد جاءت رغبة الحكومة البريطانية في دعوة العرب إلى مؤتمر السلم** من رغبتها في تقوية مواقف العرب تجاه فرنسا من جهة ومن رغبتها من جهة أخرى في تحويل انتباه العرب عن اتفاقها الثنائي معهم، وتدويل قضيتهم بإشراك دول أخرى في تحمل مسؤولية ما قد يلاقونه من إخفاق.

**وهكذا أبرقت وزارة الخارجية البريطانية خلال الأيام ٢-٤ تشرين الثاني إلى ونجت واللنبي وكلايتون تسأل كل واحد منهم** عما إذا كان يرى أن الوقت الحاضر ملائم لدعوة الملك حسين إلى أن يرشح شخصاً ما يطرح آراءه في أي مؤتمر يعقده الحلفاء لبحث تسوية الأقطار العثمانية في آسيا، وليطرح تلك الآراء في مؤتمر السلم إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

**وقد رد ونجت قائلاً: إنه واللنبي يوصيان بتوجيه الدعوة إلى الملك لكي يرسل ممثلاً عنه**، وإن فيصلاً سيكون أفضل من يقوم بهذه المهمة. كما أن اللنبي في اليوم ذاته أبرق إلى وزارة الحربية قائلاً إنه من المهم أن توجه الدعوة إلى الملك حسين كي يرسل ممثلاً له يرعى المصالح العربية في مؤتمر السلم. وأضاف اللنبي يقول: «إن التأكيد الذي أعطيته بموافقة وزارة الحربية لا يعتبر ناجزاً إلا إذا تم هذا الشرط إن العرب يثقون ثقة تامة ببريطانيا العظمى، وإذا لم نف بعهودنا فسيقضى على كل ثقة بصدق نيات الحلفاء[1]».

---

(١) راجع البرقيات الثلاث المرسلة بتاريخ ١٩١٨/١١/٤. الأولى من ونجت إلى وزارة الخارجية رقم ١٦١، والثانية من كلايتون نفسه إلى وزارة الخارجية رقم ١٦٣، والثالثة من الجنرال اللنبي إلى وزارة الحربية رقم E.A. 1843. مصنف ٣٦/٢٧.

**هذا وقد وصل لورانس إلى لندن في ٢٤ تشرين الأول فاستقبل بحرارة في وزارة الخارجية** وطلب إليه أن يرسل برقية في ٨ تشرين الثاني إلى الملك حسين يطلب فيها منه إرسال الأمير فيصل لحضور مؤتمر باريس الذي ستحضره الدول الحليفة بالإضافة إلى مندوبين من الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية..

**وفي ١١ تشرين الثاني أبلغ الملك حسين الأمير فيصل بضرورة توجهه إلى أوروبا** لحضور مؤتمر باريس وأسدى إليه النصح بأن يطلب العون من بريطانيا إذا رأى ظلماً وتعنتاً من فرنسا، ولم يدر في خلد الملك حسين أن فيصل سيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار[1].

**تلقى فيصل برقية أبيه وهو في حلب فطلب من والده أن يأتي شقيقه الأمير عبد الله** إلى سورية ليحل محله، ولكن الملك حسين رفض الطلب وقال بأن عبد الله يجب أن يواصل حصار المدينة حتى تسقط.

**غادر فيصل حلب فمر بحمص وطرابلس وبيروت وهناك استقبله الأهلون استقبالاً حماسياً وقام شباب بيروت بسحب عربته في شوارع المدينة وهم يهتفون** «ما بنرضى غيرك سلطان ولا نرضى غير العرب». وأثناء وجود فيصل في بيروت كتب إلى والده رسالة قال فيها: «إن حماسة الأهلين وارتباطهم بعرش جلالتكم هو خارج عن كل وصف وتصوير» وقبل

---

(١) والواقع أن لورانس هو الذي أخذ المبادرة وكتب إلى الملك حسين بضرورة إيفاد ابنه الأمير فيصل إلى المؤتمر «لما اكتسبه من شهرة شخصية في أوروبا» وطلب إليه أن يسرع في إرساله إلى أوروبا. (راجع المراسلات التاريخية رقم ٢٠١- ص٢٣٢). وإذ أطلع المعتمد البريطاني الملك حسين على برقية لورانس أجاب الملك وكتب إلى ونجت بتاريخ ١٩١٨/١١/١١ أنه أبلغ ابنه فيصل بسرعة سفره (رقم ٢٠٢- ص٢٣٢-٢٣٣) وأجاب ونجت الملك حسين شاكراً على هذا القرار (رقم ٢٠٣- ص٢٣٣).

مبارحته بيروت عاد فيصل إلى دمشق فقضى فيها ليلة واحدة عين فيها أخاه الأمير زيد نائباً عنه أثناء غيابه. وفي ٢٢ تشرين الثاني غادر بيروت على متن الطراد جلوسستر قاصداً فرنسا. وقد رافقه في هذه المهمة نوري السعيد ورستم حيدر والدكتور أحمد قدري وفائز الغصين[١].. وعندما نزل فيصل إلى الأرض الفرنسية في ميناء مرسيليا يوم ٢٦ تشرين الثاني وجد في استقباله العقيد لورنس موفداً من قبل الحكومة البريطانية (بناء على طلب فيصل) والسيد برتران موفداً من قبل الحكومة الفرنسية ولم يلبث عند وصوله إلى ليون أن اصطدم بمفاجأة لم يكن يتوقعها عندما أبلغه العقيد بريمون المندوب الفرنسي الثاني أن حكومته ترحب به ضيفاً عليها أثناء إقامته في فرنسا[٢]. ولكنها لا تعترف له بأي مركز دبلوماسي أو أنه يقوم بمهمة رسمية. وكانت قد دارت بين الحكومتين الإنكليزية والفرنسية مراسلات خاصة بسفر الأمير وبصفته الرسمية في المؤتمر ورغم دعم الحكومة البريطانية للملك حسين ولمندوبه الأمير فيصل اتخذت الحكومة الفرنسية موقفاً يتعارض مع مهمة ومطامح القضية العربية[٣].

---

(١) راجع سليمان موسى: «المراسلات التاريخية» - ص٢٤٦. غادر فيصل بيروت يوم الأحد في ١٩١٨/١١/٢٢ ووصل إلى ميناء مرسيليا يوم الثلاثاء في ٢٤ منه. وقد انضم إلى الوفد المرافق للأمير فيصل السيد عوني عبد الهادي.

(٢) - راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ٢١١ - ص٢٤٦ وهي رسالة من الأمير فيصل إلى الأمير زيد مرسلة من ليون في ١٩١٨/١١/٢٦ يعلمه فيها عن وصوله إلى فرنسا وعن زيارته لمختلف مناطقها. «وكان الأمير زيد قد وصل إلى دمشق في ١٩١٨/١١/١٩ ليحل مكان الأمير فيصل خلال غيابه في أوروبا» رقم ١٩٩ – ص٢٣١.

(٣) - راجع بخصوص هذه المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا البرقية المرسلة من وزارة الخارجية البريطانية إلى موفدها في باريس اللورد دربي في ١٩١٨/١١/٢٢ (E.C. 2523) وراجع أيضاً البرقية التي أرسلها غراهام من باريس إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩١٨/١١/٢٤ (E.C. 2485) في الملف ٣٧/٢٧.

**وعلى أفضل الأحوال أرادت أن تعتبره نجل ملك الحجاز ومندوبه الشخصي القادم باسمه كي يطلب إنشاء مملكة عربية سواء أكانت مستقلة** أم خاضعة لسيطرة فرنسا وإنكلترا في المناطق المتفق عليها، وأن فيصلاً لا يستطيع أن يتكلم باسم السكان العرب الذين لا يمكن أخذ آرائهم بصورة مقبولة في الوقت الحاضر، علماً بأن دول الحلفاء لم تعترف حتى الآن بمملكة عربية، ولم تعترف فرنسا وإنكلترا إلا بملك الحجاز.

**ثم أبدى وزير الخارجية دهشته من مجيء فيصل** بناء على نصيحة بريطانيا؟ ولكي لا ينشأ سوء تفاهم قال إنه اعتزم أن يعامل الأمير فيصل عند وصوله وخلال إقامته بمثابة أجنبي مرموق ونجل ملك الحجاز، وعند نزوله في مرسيليا سوف يبلغ بأننا لا نعترف له بصفة رسمية وأن وضعه سيكون مدار بحث بين الحلفاء وأنه لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال ممثلاً للعرب في أي اجتماع قبل التوصل إلى اتفاق رسمي على ذلك بين الحلفاء. وأخيراً طلب الوزير أن تقف الحكومة البريطانية الموقف ذاته وتحيط فيصلاً علماً بذلك تفادياً لنشوء مصاعب لا داعي لها.

**ولم توافق وزارة الخارجية البريطانية على وجهة النظر الفرنسية، فكتبت إلى سفيرها** في باريس أن يبلغ وزارة الخارجية الفرنسية طالبة عدم إساءة فهم الهدف من زيارة فيصل ومدى صلاحياته، لأن الحكومة البريطانية تعتبره دائماً كما جاء في برقيتها: «ممثل شريكنا في الحرب وحليفنا الملك حسين، أرسل ليكون حاضراً في باريس أثناء مباحثات مؤتمر السلم لكي يشرح مصالح أبيه ويتابعها[(١)]».

**وكانت وزارة الخارجية الفرنسية قد أبدت رسمياً معارضتها لمهمة فيصل**. فأرسلت إلى الملك حسين بواسطة معتمدها في جدة برقية مؤرخة في بيروت في ١٩١٨/١١/٢٩م ولكنها مرسلة من باريس بتاريخ ١١/٢٤/

---

(١) راجع البرقية رقم ٢٥٤٥ (E.C. 2482) بتاريخ ١٩١٨/١١/٢٣. الملف رقم ٣٧/٢٧.

١٩١٨م حيث أبلغ بموجبها المعتمد الفرنسي الملك حسين بأن الحكومة الفرنسية ستستقبل الأمير فيصل استقبالاً يليق بمركزه «كنجل ملك محالف وصديق». ولكنها: «تعجبت من كونها لم تشعر أصلاً بأسباب هذا السفر» (لأن مندوب الجمهورية الفرنسية في فلسطين وسورية هو الموصوف الوحيد من أجل تهيئة الجو اللازم) ولذا لا تستطيع أن تعتبر الأمير فيصل «كمكلف بمهمة لم تكن قد أشعرت بها رسمياً»[(١)].

**وأخيراً لم يطل تردد الحكومة الفرنسية فقررت إرسال بعثة خاصة لاستقبال الأمير في مرسيليا واستضافته في فرنسا**. وهيأت له برنامجاً لزيارة بعض المدن والساحات العسكرية الفرنسية. وقد عين العقيد بريمون مرافقاً للأمير خلال تجواله في فرنسا لما يربطه به من صداقة سابقة خلال تقدم الجيوش العربية عبر الصحراء. وقد أبلغت وزارة الخارجية الفرنسية السفير البريطاني في باريس بترتيباتها هذه وكررت ما قالته سابقاً بشأن وضع الأمير، **وأضافت القول**: «إن أهلية الأمير وحتى ملك الحجاز للاشتراك في مؤتمر السلم بأية صفة كانت لا وجود لها في الوقت الراهن، وسيبقى الأمر كذلك حتى تتوصل الدول الكبرى إلى اتفاقية حول هذا لموضوع[(٢)]».

**وفي يوم ٣ كانون الأول طلب الأمير فيصل من بريمون أن يخبره بصراحة عما إذا كانت الحكومة الفرنسية لا تريد** أن يذهب إلى باريس، وأنه يود أن يعود إلى دمشق إذا كانت إقامته في فرنسا لا تزيد من كونه تمضية وقت. واتصل بريمون بحكومته فوجهت الدعوة إلى فيصل لزيارة باريس

---

(١) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ٢١٢ -ص٢٤٧. وص٢٤٩ الحاشية.

(٢) - راجع برقية الموفد البريطاني السير دربي إلى وزارة الخارجية بتاريخ ١٩١٨/١١/٢٧. الملف ٣٧/٢٧. وقد شرح العقيد بريمون الذي أصبح لواءً فيما بعد هذه الأمور في كتابه «الحجاز خلال الحرب العالمية» ص٣١٠-٣١١ الذي نشره فيما بعد.

حيث استقبله رئيس الجمهورية يوم ٧ كانون الأول. وكان قبل ذلك بيومين قد منح وسام جوقة الشرف من رتبة ضابط كبير، وفي مساء يوم ٩ كانون الأول غادر فرنسا إلى إنكلترا[١].

**وصل فيصل إلى لندن يوم ١٠ كانون الأول ١٩١٨ ومعه لورنس الذي كان قد أسرع لاستقباله ومرافقته** عند مغادرته للشاطئ الفرنسي. وقد أرسل عقب وصوله إلى إنكلترا برقيتين أولاهما إلى أخيه الأمير زيد وثانيتهما إلى أبيه الملك حسين. أما **في الأولى** فإنه أطلعه على سياسة الفرنسيين تجاه القضية العربية، وتجاه أبيه. حيث قال: «ستقوم الحرب السياسية بيننا وبين فرنسا لأنها تظهر لنا العداوة رغم أنها منحتني الوسام» وأعلمه فيها أيضاً عن اتجاه السياسة الأمريكية معلناً بأن قسماً عظيماً من الأمريكيين يدعمون هذه القضية **وكان كله أملاً بأنه سينجح في مهمته.**

وفي اليوم التالي قام فيصل بزيارة السيد بلفور وزير الخارجية. ومعه لورنس ليترجم بينهما. وحسبما جاء في مذكرة بلفور عن الزيارة «فقد رد فيصل عن امتنان العرب للمساعدات التي قدمتها بريطانيا لهم ولكنه أبدى مشاعر العداء الشديدة تجاه فرنسا. وقال فيصل إن العرب يرغبون بدولة واحدة تحميهم سواء في سورية أو العراق وهذه الدولة يجب أن تكون بريطانيا لا سواها، وأن العرب لن يتحملوا حكم أية دولة أجنبية أخرى. وشكا فيصل من إجراءات اللنبي لمصلحة الفرنسيين في بيروت، وقال إنها تناقض الوعود التي أعطيت لأبيه في أوائل الحرب. وقال فيصل إنه إذا أظهر

---

(١) - ولا يخفى عن البال أن اللجنة الشرقية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية كانت قد درست منذ قليل (أي في ١٩١٨/١١/٢٧) قضايا ذات أهمية بالغة تتعلق بمصير الأراضي العربية السورية وشبه الجزيرة العربية. كما أنها درست أيضاً التزامات بريطانيا تجاه الملك حسين. وقد أوردنا سابقاً نص هذه المداولات كما جاءت مترجمة في كتاب سليمان موسى: (المراسلات التاريخية) رقم ٢٠٤، ٢٠٥ ص٢٣٣-٢٤٢.

الفرنسيون مقاصد عدوانية فإنه سيعمد إلى مهاجمتهم في الحال دون تردد، وهو يعرف جيداً أن العرب لا يستطيعون مجابهة دولة عسكرية كبرى مثل فرنسا، ولكنه وقومه يفضلون الموت في المعركة على أن يخضعوا دون مقاومة(١)».

**وقد وصف فيصل في رسالة طويلة كتبها لأبيه اجتماعه بوزير الخارجية بلفور الذي قال**: «إن حكومة إنكلترا لم تعاون العرب بل إن العرب هم الذين عاونوها، ولم تحرز هذا الشرف إلا بواسطة العرب، فهي صديقة ومعاونة لكم إلى آخر الأمر»، وأن فيصلاً رد عليه بأن الفرنسيين يريدون ابتلاع سورية كلها ولولا اللنبي وجيوشكم «كنا إلى الآن تصافينا الحساب معهم. فإن لم تعاونونا فسنعلن للعالم أن الخيانة وقعت منكم وسنقاتل من يريد احتلال بلادنا». وقال فيصل: إنه طلب من بلفور تمزيق معاهدة سايكس-بيكو وأنه إما أن يعود إلى بلاده وقد حقق أهداف العرب أو يعمد إلى القتال، ورد بلفور أن إنكلترا تريد تمزيق المعاهدة على يد المؤتمر الذي سيعقد. وطلب فيصل أن يعطيه قولاً يطمئن به، فرد بلفور قائلاً: «مثلي لا يقول قبل العمل، ولكني أؤمنك بالشرف أن العرب سيخرجون من هذا المؤتمر وهم ضاحكون مسترجعون جميع ما كانوا يتمنونه من وضع أساس مجد آبائهم الذي تفتخر الإنسانية به. وهي ستشتغل معكم كأنفسكم والأمد ليس ببعيد..(٢)».

**وقد استقبل الملك جورج الخامس فيصلاً ومنحه قلادة فكتوريا في اليوم ذاته**. ووصف فيصل في رسالته لأبيه ما فعله الملك وقال فيها إن الملك منحه هذه القلادة «تذكاراً للدماء المشتركة التي أهرقها العرب والإنكليز في

---

(١) راجع مذكرة بلفور بتاريخ ١٩١٨/١٢/١١.

(٢) طبعاً لسنا في حاجة إلى القول إن بلفور كان أكذب من مسيلمة وكان يمثل تماماً الأخلاق الإنكليزية الاستعمارية في التعامل مع الشعوب. راجع نص رسالة فيصل إلى أبيه في كتاب سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ٢١٧- ص٢٥٠-٢٥٣.

ساحات القتال جنباً لجنب»، **وأضاف إني** «أؤمل أن يكون الود بيننا دائماً إلى ما لا نهاية» **فأجاب فيصل** «إنه جاء مندوباً عن والده لتقديم الشكر على ما لقيه من مساعدة ومعاضدة من قبل الملك وحكومته، وأن أباه يتمنى «أن تبقى محبتكم نحونا مدى الأيام» فقد أعلن له الملك: «إننا لا نتخلى عن مساعدة والدكم والعرب جميعاً.. وأؤمنكم أنكم ستجدون إنكلترا معكم..». ورد فيصل بقوله: «إن والدي قام تجاه الأتراك وقاوم التيار الإسلامي بأجمعه وتحمل الطعن والتشنيع كما تعلمون اتكالاً على أقوالكم ومعتمداً في ذلك على مؤازرتكم ووفائكم. فكيف يتحمل والحالة هذه أن يرى بلاده تقسم والعرب يمزقون ثم يسكت، إن معاهدة ١٩١٦م موجودة بين أيدينا وهي دليل واضح على ما قلته». ورد الملك طالباً من فيصل إبلاغ والده «أن إنكلترا ستكون معه في كُل حال[١]». وفي هذه المقابلة كان لورنس يقوم بدور الترجمان بينهما.

## رابعاً- اتفاق لويد جورج وكليمنصو:

**عقد بين لويد جورج وكليمنصو اتفاق مبدئي شديد الأهمية بالنسبة لبلاد العرب أثناء زيارة فيصل للجبهة الفرنسية.** ففي الأول من كانون الأول ١٩١٨م وصل السيد كليمنصو إلى لندن يرافقه المارشال فوش، كما حل فيها في اليوم ذاته أورلاندو رئيس وزراء إيطاليا وسونينو وزير خارجيته، وكان هذا الاجتماع يهدف إلى إجراء مباحثات تمهيدية تتعلق بمؤتمر الصلح المقبل والاتفاق على بعض الخطوط الرئيسة. واستمرت هذه الاجتماعات أربعة أيام طرح فيها اتفاق **سايكس- بيكو** على بساط البحث وطالب لويد جورج خلال البحث بتعديله لمصلحة بريطانيا، وقد روى لويد جورج أن كليمنصو وافق «دون تردد» على ضم ولاية الموصل إلى العراق بالإضافة إلى خضوع فلسطين من دان إلى بير السبع للحكم البريطاني[٢].

---

(١) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ٢١٧- ص٢٥٣ -٢٥٥.

(٢) Lioyd George. The Truth About The Peace Treaties. Vo II. p. 1038 ــ.

**ولكن من الواضح أن الأمر لم يكن بهذه البساطة على الرغم من القول بأن ما حدث بين الرجلين كان «اتفاقاً شفهياً»**[1]. ولكن كليمنصو طالب مقابل ذلك معاضدة بريطانيا الكاملة في فرض شروط صلح على ألمانيا تؤمن الأمن لفرنسا. نظراً لمعارضة الولايات المتحدة فرض شروط قاسية على الدول المغلوبة وأن تحصل فرنسا على حصة من زيت الموصل (تم الاتفاق على اقتسام الزيت مبدئياً في نيسان ١٩١٩م ونائياً في نسيان ١٩٢٠م). وطالب كليمنصو أن تحصل فرنسا على الانتداب على كيليكيا وسورية كلها (باستثناء فلسطين). وبهذا الاتفاق نسقت الدولتان موقفهما تجاه بلاد العرب وضمنت كل منهما مصلحتها دون التفات إلى مصالح العرب. واتفقت الدولتان على الاستمرار في محاورة العرب ومداورتهم ذراً للرماد في عيون المجتمع الدولي، حتى تمت التسوية النهائية بينهما بعد ذلك بستة عشر شهراً في **سان ريمو**، حسب اتفاق لويد جورج- كليمنصو هذا. ومن الواضح أن هذا الاتفاق كان أبعد ما يكون عن روح تصريح ٨ تشرين الثاني الذي لم يكن قد مضى على نشره سوى ثلاثة أسابيع وقد ساعد الدولتين على التوصل إلى هذا القرار، **أن القوات البريطانية كانت تحتل فلسطين والموصل احتلالاً فعلياً**. وأن روسيا القيصرية قد زالت وزالت معها مطامعها التوسعية واهتمامها بمصير الأماكن الدينية المسيحية في فلسطين. وتعزى السرعة التي وافق بها كليمنصو على طلبات لويد جورج إلى خشية الفرنسيين من أن تتنكر بريطانيا لاتفاق سايكس- بيكو وأن تعمد إلى إلغائه مستعينة على ذلك بالرئيس ولسون وبالجيوش البريطانية التي كانت تحتل العراق وسورية احتلالاً فعلياً وبأصدقائها العرب.

---

(١) راجع أرشيف وزارة الخارجية البريطانية. الجزء الخامس عشر. ص٢٥١ للاطــلاع على مضامين هذه الاتفاقات الشهفية بالتفصيل.

## خامساً- لقاء فيصل- وايزمن:

**أخذت بريطانيا تسعى لتقريب وجهات النظر بين العرب أصحاب البلاد الشرعيين وبين الصهيونيين غزاة الغد** منذ أن أصدرت الحكومة البريطانية تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م. وكان قصد الحكومة البريطانية إقناع حلفائها العرب وأصدقائها اليهود بأنها الدولة المفضلة لحكم فلسطين. وفي نطاق مساعي بريطانيا هذه كانت تأكيدات هوجارث للملك حسين في كانون الثاني ١٩١٨م، وكان من جملة قناعات الملك حسين يومذاك أن مشاريع اليهود لا تؤلف خطراً على البلاد العربية ومن جُملتها فلسطين، تصريحه لهوجارث أنه يرحب باليهود في جميع الأقطار العربية، ونشره في جريدة القبلة مقالة يدعو فيها العرب إلى التسامح مع اليهود باعتبارهم من أهل الكتاب، وفي الوقت ذاته كتب رسالة إلى فيصل تؤكد إظهار النيات الحسنة تجاه اليهود وأبناء المذاهب الأخرى «الذين هم غرباء في بلاد العرب». **وكان من جملة مساعي بريطانيا رسالة دورية مؤرخة بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩١٧م بعث بها** سايكس إلى زعماء العرب جاء فيها أن الصهيونيين لا يقصدون الاستيلاء على فلسطين، ومما يجدر ذكره أن هذه الرسالة نشرت مباشرة بعد أن استولى الجيش الإنكليزي على مدينة غزة وتابع زحفه إلى فلسطين والقدس وقبيل نشر الصحافة السوفييتية لاتفاق سايكس – بيكو في جريدتي الازفيستيا والبرافدا.

**وكان جمال باشا قد سارع بنشر نص هذا الاتفاق في بيروت في الأسبوع الأخير من شهر تشرين الثاني وأعلم فيصل والقادة العرب والملك حسين بفحوى هذا الاتفاق**[١] وقد ورد في هذه الرسالة: «وغاية ما يبغيه الصهيونيون أن ينالوا حق الاستيطان في فلسطين، وأن يعيشوا في

---

(١) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ٩٩، ١٠١- ص١٤٦، ١٥٢-١٥٣.

مستوطناتهم عيشتهم الخاصة». وأن «كل ما يرغبه الصهيونيون هو إعطاء الحرية لليهود للإقامة (في فلسطين) والتمتع بكامل الحقوق المدنية، وأن يشاطروا السكان الوطنيين حقوقهم وواجباتهم». وقد سعى الجنرال كلايتون لعقد اجتماع بين عدد من أعضاء جمعية الاتحاد السوري في مصر مع اثنين من أعضاء اللجنة الصهيونية، وقرروا أن يكرروا اجتماعاتهم بهما «والقصد الرئيسي من ذلك هو العمل معاً لتحرير بلادنا[١]». أما الملك حسين فلم يشأ أن يرسل مندوباً عنه للاشتراك في لجنة سايكس، على الرغم من الإلحاح عليه بذلك.

**وكان مارك سايكس قد ألقى خطاباً في إنكلترا بتاريخ ١٦/١١/١٩١٧م دعا فيه إلى إنشاء تحالف عربي- أرمني- صهيوني وقد جاء في هذا الخطاب الاستعماري ما نصه:** «فإن اجتمعت الصهيونية والوطنية العربية معاً فإنني متيقن من تحرير العرب. أما إذا تصارعتا فالموقف سوف لا يصبح متقداً فقط بل خارجاً عن دائرة التدبير». ومما يجدر ذكره أن فكرة سايكس هذه تلتقي مع الفكرة التي كان نجيب عجوري قد أوضحها منذ عام ١٩٠٥م في كتابه «يقظة الأمة العربية» المار ذكره[٢].

**ولكن البريطانيين ركزوا على الاتصال بفيصل بعد وصول الأخير إلى العقبة القريبة من فلسطين،** ففي ١٠ كانون الأول ١٩١٧م تلقى فيصل من كلايتون رسالة يقول له فيها: «إن سكان فلسطين عرباً ويهوداً أبدوا ارتياحهم لانعتاقهم من النير التركي، وإن هذا لدليل على أن جميع سكان فلسطين

---

(١) رسالة جوابية بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩١٨م من سليمان ناصيف أمين سر جمعية الاتحاد السوري في مصر إلى مارك سايكس. ومن أعضاء تلك الجمعية: رفيق العظم، حقي العظم، فوزي البكري، مختار الصلح، خليل أيوب وخليل زينيه. راجع حافظ وهبه، جريدة العرب في القرن العشرين، ص ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٢٥- ص١٧١-١٧٢.

وسورية متحدون في رغبتهم في تحرير أنفسهم وفي التطلع نحو الاستقلال والحرية. ويجب أن نعمل جميعاً من أجل هذه الوحدة لأن العرب لا يستطيعون أن يأملوا تحقي أهدافهم إلا إذا قربوا إليهم كل طائفة وكل طبقة في البلاد[1]».

**وكاتب كلايتون لورانس يحضه على التحدث إلى فيصل بشأن اليهود،** فرد لورانس من مدينة الطفيلة التي كان فيها **يقول**: أنه سيحدث فيصل عندما يجتمع به «وأن موقف العرب سيكون ودياً أثناء فترة الحرب على الأقل. ولكن أرجو أن تذكر أنه يخضع للرجل العجوز ولا يستطيع وحده أن يعمل باسم المملكة العربية». وقال لورانس «إن فيصل ربما يزور القدس حيث يمكن أن يجتمع اليهود به[2]». **وفي الحين ذاته استدعى اللنبي فيصلاً عن طريق لورانس لمقابلته في القدس وقد فسر لورانس السبب** «لأجل المذاكرة فيما يختص بفلسطين واليهود والمسلمين. ويقول فيصل من ضمن رسالة إلى والده أنه قال للجنرال اللنبي في تلك المقابلة: «لا يمكنني أن أرد جواب لا بالنفي ولا بالقبول حتى استأذن صاحب الجلالة.. وقد ذكر أن اليهود اليوم لهم تأثير كبير على الحرب من جهة النقود والجميع محتاجون لهم وربما أنتم (أي نحن العرب) تأخذون منهم خمسة عشر أو عشرين مليون جنيه إما في أثناء الحرب أو بعد الحرب لتشكيل الحكومة وتنظيم أمورها[3]».

**واستمرت حملة التأثير على فيصل فكتب مارك سايكس رسالة مطولة إلى فيصل حافلة** بالنصائح عن أفضل سبيل يتبعه القادة العرب في إدارة

---

(١) راجع الوثيقة ٧/٨٨٢ في أرشيف وزارة الخارجية البريطانية.

(٢) رسالة مؤرخة بتاريخ ١٢ شباط ١٩١٨م. وفي الوقت ذاته كتب كلايتون إلى سايكس يخبره فيها بأنه حض لورانس على أن يوضح لفيصل «ضرورة توحيد مساعيه مع اليهود».

(٣) ملحق رسالة غير مؤرخة من فيصل إلى حسين (أوراق الأمير زيد).

بلادهم[١]، استهلها بحض فيصل على ضرورة قيام مساواة تامة بين المسلمين والمسيحيين «وتحطيم الحاجز الرديء الذي فرق بين الغرب والعرب خلال العديد من الأعوام»، هذا الحاجز الذي أقامه الأتراك، ثم تحول إلى وصف قوة اليهود **قائلاً:** «أن لهم قوة عالمية وأذكر أن هؤلاء الناس لا يريدون أن يقهروكم ولا يقصدون أن يطردوا عرب فلسطين.. إنهم لا يرغبون أن يذهبوا إلى هناك بالملايين، وما يرغبون فيه هو أن يكون في مقدورهم أن يشعروا بأن اليهودي في فلسطين يستطيع أن يحيا حياته ويتكلم لغته كما كان يفعل في العصور القديمة. وأن هذا شعور نبيل وصادق، وإذا رحبت به فستكون هناك سعادة ورخاء وأمل لقضيتكم، أما إذا ازدريت هذا الشعور **فستجد ضدك قوة لا تبدو للعيان ولكن فاعليتها تسري في كل مكان....** انظر إلى الحركة اليهودية بمثابة المفتاح الكبير لنجاح العرب وبمثابة ضمان القوة الوحيدة عندما يعقد مُمثلوا الأمم اجتماعهم[٢]».

**جاء وايزمن[٣]، رئيس اللجنة الصهيونية، إلى مصر في ربيع عام ١٩١٨م واجتمع بعدد من الزعماء السوريين فيها بقصد تبريد قلقهم حول**

---

(١) راجع أيضاً بهذا الخصوص ما كتبه الكولونيل باست إلى الملك حسين من جدة بتاريخ ١٩١٨/٢/٢٠ سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٣٦- ص١٨٠. وجاءت هذه الرسالة في الفترة التي تقدمت بها الجيوش البريطانية في عمق فلسطين واقتربت من نهر الأردن.

(٢) رسالة بتاريخ ٣ آذار ١٩١٨م موجودة في الملف ٣/٨٨٢ أرشيف وزارة الخارجية البريطانية. وراجع خصوصاً سليمان موسى: المراسلات التاريخية رقم ١٣٨- ص١٨١-١٨٢.

(٣) حاييم وايزمن. عالم كيميائي وزعيم صهيوني (١٨٧٤م-١٩٥٢م) ولد في بولندا وتلقى علومه في برلين، عمل أستاذاً في جامعة جنيف. ثم عين مديراً لمختبرات الأسلحة البريطانية ١٩١٦م. كانت له اكتشافات حول إنتاج الأسيتون. كانت محادثاته مع بلفور سبباً في إعلان وعد بلفور. وترأس الوفد الصهيوني في مؤتمر فرساي للسلام. كان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية. وقد عين رئيساً لمعهد وايزمن للعلوم والجامعة العبرية، انتخب أول رئيس لدولة إسرائيل وبقي في منصبه إلى أن توفى.

**ما نشر عن مطامع الصهيونية**، ثم جاء إلى القدس وعمل ستورز وكلايتون على عقد اجتماعات بين وايزمن وبين عدد من الزعماء الفلسطينيين حيث ألقى خطاباً **قال فيه:** إن الصهيونيين «يطلبون فقط فرصة التطور القومي الحر في فلسطين.. دون إلحاق الضرر بالسكان القاطنين في هذه البلاد بل لمصلحتهم، وأن القول بأن اليهود سيعملون على طرد العرب من البلاد إما أن يكون ناتجاً عن سوء فهم أو مختلق يختلقه أعداء الطرفين[1]». ورفض فيصل الذهاب إلى القدس، فأرسل الإنكليز وايزمن للاجتماع به، وهكذا سافر وايزمن بحراً من مصر إلى العقبة ومنها إلى وهيدة (بين معان والعقبة) مقر قيادة فيصل يومذاك حيث اجتمع به يوم ٤ حزيران ١٩١٨م حوالي ثلاثة أرباع الساعة. حيث قدم لفيصل رسالة توصية من كلايتون **قال فيها** «إن صديقه وايزمن يعمل على إيجاد التعاون الكامل بين العرب واليهود لأن مصالحهم مترابطة إلى حد أن التعاون والتعاطف بينهم سيحقق وحده النجاح الدائم لهم[2]».

**وقد استهل وايزمن الاجتماع بقوله:** «**إن الحكومة البريطانية أرسلته للبحث في موضوع ترويج المصالح اليهودية في فلسطين وللاتصال بالزعماء العرب في محاولة للتعاون معهم**». وقال فيصل «إنه يدرك أهمية التعاون بين العرب واليهود، ولكنه لا يستطيع أن يبدي رأياً يتعلق بالسياسة لأنه في القضايا السياسية لا يزيد عن كونه وكيل أبيه ولا يستطيع البحث

---

(١) راجع أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى. مجلد ٣. ص٥٠ حيث يقول: «إن العرب رفضوا أن يوافقوا على تصريحات وايزمن وأن البعض منهم قد انسحبوا من المقابلة».

(٢) راجع مذكرات وايزمن بعنوان «مصاعب وأخطاء» الذي صدر في لندن سنة ١٩٤٩ ص٢٩٠ وما بعدها والذي ترجم للفرنسية بعنوان «نشأة دولة إسرائيل». باريس سنة ١٩٥٧.

فيها». **فأجاب وايزمن**: «إن اليهود لا يرمون إلى تأسيس حكومة يهودية ولكنهم يريدون أن يعمروا البلاد ويطوروها تحت الحماية البريطانية دون أن يتعدوا على أية مصالح مشروعة للآخرين». واعتذر فيصل مرة أخرى عن بحث مستقبل فلسطين فيما يتعلق باليهود والحماية البريطانية. **وقال وايزمن**: «إنه سيسافر قريباً إلى أمريكا وأنه سوف يستعمل نفوذ اليهود مع الرئيس ولسون لمصلحة الحركة العربية».

**وقد تجدد الاتصال بين فيصل ووايزمن بعد ذلك بستة شهور**. وإذا أردنا تقدير ظروف فيصل في ذلك الحين والضغوط التي كان يتعرض لها لتجديد الاتصال بوايزمن فمن المهم أن نحسب حساباً لوضع فيصل إزاء فرنسا وكذلك إزاء بريطانيا. ففي ١٠ كانون الأول ١٩١٨م وصل فيصل إلى لندن وهو في قلق نفساني عظيم من جراء موقف فرنسا السلبي منه وعدم اعترافها له بأية صفة رسمية كما وصف في رسالته إلى أبيه. لقد كانت أفكار فيصل كلها تتجه نحو حل هذه المشكلة، وقد توافرت عنده القناعة التامة بأن فرنسا هي العقبة الكؤود في وجه الاستقلال العربي منذ إخراج ممثليه من بيروت وسواحل سورية وما شاهده من تصرفات الفرنسيين العدائية[١].

**كان الساسة البريطانيون يظهرون الكثير من حسن النية الخادعة تجاه العرب ولكنهم في الوقت ذاته كانوا يشجعون الصهيونية ويحرصون على تقوية التحالف مع فرنسا**، ويصرون على توسيع رقعة السيطرة البريطانية في بلاد العرب. والواقع أن السياسة البريطانية اتجهت إلى محاولة التقريب بين العرب واليهود، بقصد تحقيق هدف الإنكليز النهائي وهو الحصول على موافقة جميع الأطراف المعنية على أن تخضع فلسطين لحكمهم بدلاً من أن تخضع لإدارة دولية.

---

(١) سليمان موسى: المراسلات التاريخية. رقم ٢٠٩- ص٢٤٤-٢٤٥ وهي رسالة من فيصل إلى أبيه الملك حسين. ورقم ٢١٦-ص٢٥٠ وهي رسالة من فيصل إلى أخيه زيد من لندن بتاريخ ١٢/٢٥/١٩١٨م ورقم ٢١٧- ص٢٥٠-٢٥٣.

**وكان رئيس الوزارة الفرنسية كليمنصو قد حضر إلى لندن في كانون الأول ١٩١٨م** واتفق مع لويد جورج على تعديل اتفاقية سايكس – بيكو حيث وافق على أن تحتل بريطانيا لواء الموصل وأن تشرف بنفسها على فلسطين[١].

**ما إن حط فيصل قدمه على أرض الجزر البريطانية حتى استقبله لورانس الذي أصبح** صديقه ومستشاره وترجمانه، ووجد فيه همزة الوصل الوحيدة للتعرف على وضع سياسي كان قليل الخبرة به وللاجتماع بأشخاص لم تكن له بهم معرفة سابقة. والتصق لورانس بفيصل بتوجيهات من حكومته خلال هذه الفترة حتى كان لا يكاد يفارقه وبالشكل الذي عرف عن لورانس وذاع صيته.

**في هذا الوضع وفي ظل هذه الظروف تجدد اللقاء بين فيصل ووايزمن.** يوم ٦ كانون الثاني عام ١٩١٩م، في فندق كارلتون بلندن حيث كان يقيم فيصل. وقام العقيد لورانس بدور المترجم بين الطرفين.

**بلغ النشاط الصهيوني في ذلك الوقت أوج قوته..** وكان يبدو جلياً أن الحكومة البريطانية عازمة عزماً أكيداً على تحقيق الأهداف الصهيونية شريطة تغيير وضع فلسطين لصالح بريطانيا وقد عملت الخارجية البريطانية جهدها للضغط على فيصل لتحصل على موافقته المبدئية على اتفاقية سايكس – بيكو ووعد بلفور.

**كان فيصل واقعاً تحت تأثير الضغط البريطاني وتحت** شعوره «أن بإمكانه استخدام نفوذ الصهاينة للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية التي ستضغط بدورها على فرنسا- العقبة الكؤود- التي كانت تقف حجر عثرة دون تحقيق الأماني العربية». وبذلك يمكنه التغلب على فرنسا في مؤتمر الصلح لاعتقاده أيضاً أن بريطانيا ستكون مع العرب وليس ضدهم على حد تعبيره.. في ضوء كل هذه الخلفيات عقد فيصل مع وايزمن اتفاقاً **ينص في**

---

(١) راجع تيميرلي: «تاريخ مؤتمر السلام» المجلد السادس- ص١٤١-١٤٢.

**أهم بنوده:** «على القرابة العرقية والصلات القديمة بين العرب واليهود، وعلى ضرورة التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين وإنشاء وكالات عربية ويهودية معتمدة في المنطقتين، وعلى أن يسود التفاهم بين الدولة العربية وفلسطين، وأن تقدم الضمانات لتنفيذ تصريح بلفور، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وحرية ممارسة العقيدة الدينية».

**وقد أضاف فيصل إلى مواد الاتفاقية الثماني المادة التالية بخط يده:**

«إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه بتقريرنا المؤرخ في ٤ كانون ثاني ١٩١٩م المقدم لنظارة خارجية حكومة بريطانيا العظمى فإنني موافق على ما ذكر بباطن هذا من المواد، وإن حصل أدنى تغيير أو تبديل فلا أكون ملزماً ومربوطاً بأي كلمة كانت بل تعد هذه المقاولة شيء كلا ولا حكم لها ولا اعتبار ولا أطالب بأي صورة كانت[١]».

وقد وقَّع فيصل مباشرة تحت هذه المادة كما جاء توقيع وايزمن تحت توقيع فيصل. ومن هنا يجب اعتبار الشرط الذي أضافه فيصل مادة أساسية من صلب الاتفاقية، لا يصح التحدث عنها أو بحثها بمعزل عنه.

**إننا لو نظرنا بموضوعية وتجرد إلى الوضع الذي كان يجد فيه فيصل نفسه يومذاك،** وإذا أخذنا بعين الاعتبار النظرة العامة التي كان العرب في ذلك الحين يرون اليهود من خلالها: أناساً مسالمين، ضعفاء قد يجيدون الصيرفة والتجارة ولكنهم لا يعرفون الحرب- فإننا لا نجد في هذه الاتفاقية ذلك الذنب الفظيع وتلك الجناية الكبيرة التي حاولت بعض أجهزة الدعاية

---

(١) راجع بهذا الخصوص جورج أنطونيوس: «اليقظة العربية». الطبعة الإنكليزية – ص٤٣٧-٤٣٩، وسليمان موسى في كتابه «الحركة العربية» - ص٤٣٦-٤٣٩. راجع أيضاً النص الأساسي في كتاب إيتوني روسّي «وثائق» صفحة ٧٢-٧٣. وإذا أردت العودة إلى وجهة النظر الصهيونية يجب مراجعة كتاب ل. نيهير برنهايم «تصريح بلفور» - ص٣٨٩-٣٩٠.

المغرضة أن توهم بها العالم العربي. لقد حدث كل هذا عام ١٩١٩م قبل أن يشهد الناس شيئاً مما وقع في فلسطين بعد ذلك. وإن الشرط القوي الذي وضعه فيصل كان يدل على بُعد نظره وعلى تحسُّبه للعواقب والاحتمالات وكان دليلاً على أن ثقته بالإنكليز لم تكن ثقة كاملة. وربما يكون هناك مجال للوم فيصل لأنه لم يدرك أن الهدف الأساسي للحركة الصهيونية من هذه الاتفاقية هو الحصول على أية وثيقة من مسؤول أو زعيم عربي تشعر بموافقة العرب على الأهداف الصهيونية أو عدم ممانعتهم لها، لأنها تدرك أن القرار الأخير لن يكون بيد العرب.**\ومن المهم القول بأن الشرط الذي أضافه فيصل جعل الاتفاقية باطلة** علمياً، لأن العرب لم يحققوا مطالبهم التي تضمنتها مذكرة فيصل(١).

**أما موقف الولايات المتحدة فقد أوضحه الرئيس ولسن**(٢) في الخطابات التي ألقاها سنة ١٩١٧م و١٩١٨م. وفي البنود الأربعة عشر الشهيرة التي أعلنها يوم الثامن من كانون الثاني عام ١٩١٨. ويبدو أنه كان يفكر بمشروع إنشاء اتحاد كونفدرالي للدول العربية بحماية الولايات المتحدة.

**ولا نرى بأساً من أن نرجع قليلاً إلى أواخر عام ١٩١٨م أي في التاسع والعشرين من شهر كانون الأول حيث** سنحت لوزير الخارجية

---

(١) «بما أنه لم يجر تنفيذ طلبات فيصل وشروطه، فإن اتفاقية فيصل- وايزمن لم يكن لها وجود قانوني أو شرعي على الإطلاق». وعندما سئل فيصل عن سبب توقيعه الاتفاقية مع وايزمن أجاب: «لقد اشترطنا لتأييدهم إنشاء مملكة عربية فإذا أنشئت لا يهمنا شيء. (أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، المجلد٣، ص٤٦).

(٢) ويدرد ولسن (١٨٥٦-١٩٢٤) الرئيس (٢٨ي للولايات المتحدة. انتخب للرئاسة عام ١٩١٢ وأعيد انتخابه عام ١٩١٦. بقي على الحياد في الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩١٧ حيث أعلنها. أصدر نقاطه الأربع عشرة عام ١٩١٨ كأساس للتسوية السلمية.

الفرنسية، السيد بيشون (Pichon) فرصة ليؤكد من جديد أن لفرنسا حقوقاً في الإمبراطورية العثمانية، وذلك في أثناء جلسة مناقشة في الجمعية الفرنسية العامة. هذه الحقوق لفرنسا هي في سورية ولبنان وكيليكيا وفلسطين، وهي حقوق قائمة على حقيقة التاريخ، وعلى اتفاقات، وعلى عهود ومواثيق. وعندما قاطعه النائب الاشتراكي السيد مارسل كاشان (Cachin) قائلاً «بأن السوريين يطالبون بالحرية والاستقلال- وهذا هو العهد الذي قطعته فرنسا على نفسها». **تابع وزير الخارجية السيد بيشون كلامه قائلاً:** «إن هذه الحقوق تصدر دوماً عن أماني سكان تلك البلدان ورغائبهم، لأنها شعوب كانت منذ زمن تشعر بالتعاطف معنا، وتطلب حمايتنا». «ومؤتمر الصلح حر في التوصل إلى استنتاجاته الخاصة فيما يتعلق بالاتفاقات التي عقدت، أما بالنسبة إلينا فإننا نعتبر اتفاقيتنا مع إنكلترا ملزمة لإنكلترا كما أنها ملزمة لنا، كما أننا نعتبر الحقوق المعترف بها لنا».

**ومما لا شك فيه أن هذا الكلام الصادر عن وزير الخارجية الفرنسية كان موجهاً بالدرجة الأولى إلى حليفتها عبر مضيق المانش، إنكلترا،** وفي وقت كان فيه الأمير فيصل في لندن، وكان القصد من التركيز على اتفاقية سايكس- بيكو تذكير من يلزمه التذكير بأن فرنسا لن تعترف بإجراء أي تعديل من شأنه أن يمس مصالح فرنسا في الشرق الأدنى.

**في الثلاثين من شهر كانون الأول تناول الأمير فيصل وزوجته طعام الغداء على مائدة رئيس بلدية لندن في مقر رئاسة البلدية** Mansion House وحضر المأدبة السير هنري مكماهون وزوجته. «وعندما شرب رئيس البلدية نخب الأمير شكره للخدمات الجلّى الممتازة التي أسدتها قواته الباسلة لهم في تحرير الأرض المقدسة من الحكم التركي البغيض. وفي رده على كلمة رئيس البلدية **قال الأمير فيصل:** «إن العرب يحاربون في سبيل مبادئ الحرية والعدل، وهي المبادئ التي يقدسها الحلفاء، والتي هي على

نقيض المبادئ التي كان يقوم عليها الحكم التركي. وعبر عن عظيم سروره إذ إن العرب، وهم يقومون بهذه المهمة، وفي الوقت الذي كانوا يحاربون فيه في سبيل هذه المبادئ، كان الشعب الإنكليزي يتعاطف معهم». وهكذا انصرم عام ١٩١٨ وفرنسا متمسكة باتفاقية سايكس- بيكو، بينما كانت إنكلترا تحاول تعديل بنودها. أما فيصل فكان يتكلم عن مبادئ الحرية والعدالة في وضع دولي لا يحترم سوى شريعة الغاب في الوقت الذي كان يزداد فيه الوضع توتراً وخطورة في الشرق الأدني.

## سادساً- مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩:

كان الرئيس ويلسن وهو رئيس الولايات المتحدة قد استقطب آمال الشعوب الضعيفة في تحقيق العدالة. كما كان حامل راية مبدأ تقرير المصير. وكان الجو الذي انعقد به مؤتمر الصلح في باريس يوم ١٩١٩/١/١٨م حافلاً بالمتناقضات والمثاليات، والشك، والشره الاستعماري والأماني الوليدة، وقد حاولت بريطانيا وفرنسا إقناع ولسون بأن تتفق الدول الكبرى على حلول المشاكل القائمة وعرضها على المؤتمر العام، ولكن ولسون رسول السلام رفض الاقتراح وأصر على أن تعرض المشاكل على بساط البحث علناً. وهنا اقترح كرزون ووافق معه لويد جورج أن لا تقبل بريطانيا أن يكون ولسون الحكم الأوحد في تسويات السلم بل أن يكون طرفاً بين الأطراف الأخرى حول طاولة المؤتمر.

**لم تكن المشاكل التي كان العالم يواجهها** مع نهاية الحرب تقل عن المشاكل التي كانت تواجهه قبل بدئها، فالدول المهزومة كانت تتوقع شروط صلح قائمة على مبادئ ولسون، بينما كانت فرنسا بالذات تصر على فرض شروط صلح شديدة ضد الألمان. وكان على المؤتمر أن ينظر في قضايا عشرات الشعوب الصغيرة في أوروبا وآسيا التي كان كل منها يطالب بحلول

تتعارض مع الحلول التي تطالب بها شعوب أخرى. وقد كانت الدول الكبرى يومذاك هي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة واليابان. وكانت الدول الثلاث الأولى تصر على اقتطاف ثمار الانتصار الذي أحرزته عن طريق التوسع والحصول على التعويض والتنازلات.

**وبما أن مسالة تمثيل العرب في المؤتمر لما تحل بعد فقد وجه** فيصل حال وصوله إلى العاصمة الفرنسية في ١٣ كانون الثاني رسالة إلى بيشون طلب منه فيها بأن يحضر المؤتمر ممثلاً للبلاد العربية ثم اجتمع بالسيد كليمنصو فقال له هذا أنه يعد العرب من جملة الحلفاء. وقبل افتتاح المؤتمر جاءه ج. J. GOUT وهو الوزير المفوض المختص بالشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية **وقال له** «إن فرنسا ما تزال تعتبره بمثابة سائح وأن دول الحلفاء لم تعترف كلها بعد بالحكومة العربية (الولايات المتحدة واليابان) وأن حكومة فرنسا لا تعترف بالتأكيدات التي أعطاها له الجنرال اللنبي وأنها قوية تستطيع عمل كل شيء وقد خدعك بعض الذين ليس لهم صلاحية في الأمور الرسمية وهذا مما يستوجب الأسف، ولكن إذا أردتم التقرب من فرنسا وأخلصتم لها في سياستكم فإنها تعمل معكم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً».

**وكان واضحاً أن غو يعني تحذير فيصل من الاستمرار في التعاون مع الإنكليز. وقد رد عليه فيصل بقوله**: «أعلم أن والدي لم يحارب الأتراك لأجل أن تتجزأ بلاده وتغدو طعمة للأغيار. ولا تحسبوا أنني أخاف قوة فرنسا وشديد بطشها فأسلمكم بلادي بل كن مطمئناً من هذه الجهة. **ولقد أعطتني الحكومة الإنكليزية قولاً صريحاً بتخلية العراق.** إنني عدو لمن يخالف سياستنا الوطنية ويعارضنا فيها أكان ذلك المعارض إنكليزياً أو فرنسياً[(١)]». وقد بادر فيصل بعد ذهاب غو فأنبأ لورنس بما قال غو وطلب إليه أن ينقل

(١) راجع رسالة من فيصل إلى الملك حسين بتاريخ ١٩١٩/١/١٩ (أوراق الأمير زيد).
وراجع أيضاً كتاب رسائل لورانس التي نشرها دافيد غارنت. لندن- ص٢٧٣-٢٧٤.

تفاصيل المحادثة إلى بلفور. ومضى لورنس فنقل النبأ إلى كبار أعضاء الوفد البريطاني وقابل بلفور الذي قام هو ولويد جورج بسعي مع كليمنصو وبيشون. وبعد شيء من الأخذ والرد والإلحاح وافق مجلس الحلفاء الأعلى يوم ١٧ كانون الثاني على أن يمثل العرب مندوبان. وعاد لورنس إلى فيصل في الساعة الثانية بعد منتصف الليل فوجده ما يزال ساهراً يتجول في الفندق نهب الحيرة والقلق. وبادر لورنس فيصلاً بالقول: «سيدي، لويد جورج يبلغك أنه سيكون للعرب مندوبان وليس مندوب واحد» فسر فيصل كثيراً وفي جلسة الافتتاح مثل العرب هو ومحمد رستم حيدر(١).

**وقد كان هناك جانب آخر لتمثيل العرب في مؤتمر السلم فقد كان الملك حسين يعتبر نفسه ممثل العرب الآسيويين جميعاً بينما اعترفت به بريطانيا وفرنسا ملكاً على الحجاز**. ووافقت فرنسا على أن يمثل في المؤتمر بهذه الصفة فقط. وقد تبدت الصعوبة عندما طلب المعتمد البريطاني في جدة من الملك أن يبعث التفويضات التامة إلى فيصل، لأن الملك رفض أن يوقع التفويضات باسم حكومة الحجاز ورفض أربع صيغ مختلفة اقترحها المعتمد. **كما أنه تردد في إعطاء تفويضات مع صلاحيات تامة بتوقيع المعاهدات وإجراء المباحثات باسمه**، بينما لم يكن يعرف من أولئك المندوبين سوى ابنه

---

(١) رسالة فيصل إلى أخيه زيد بتاريخ ١٩١٩/١/١٩م (أوراق الأمير زيد). ولد محمد رستم حيدر في بعلبك عام ١٨٨٩م وتوفي عام ١٩٤٠م، وتعلم بدمشق والآستانة والسوربون في باريس وفي مدرسة العلوم السياسية بباريس. شارك في تأليف جمعية «العربية الفتاة». حضر مؤتمر فرساي مع الملك فيصل وأقام مدة في باريس. تولى مركز سكرتير فيصل الخاص عام ١٩٢١م في العراق كان رئيساً للديوان الملكي في عهد الملك غازي. عاد إلى بعلبك بعد انقلاب بكر صدقي وعاد عام ١٩٣٧م إلى بغداد ليتولى وزارة المالية. اغتاله ضابط شرطة عراقي. له مؤلفات عديدة بالفرنسية والعربية.

فيصل. وبعد مناقشات عديدة بين الملك والمعتمد اقتنع الملك بأن توقيع التفويضات باسم «ملك البلاد العربية» والإشارة فيها إلى الأمة العربية سيثير اعتراضات الدول الأخرى عليها مما يجعلها ملغاة ويحول دون وجود ممثلين عرب في المؤتمر. وأخيراً وقع رئيس الوزراء بالنيابة ست وثائق باسم «الحكومة العربية الشريفية» وصادق الملك عليها. وقد تركت الأسماء في وثائق الاعتماد مفتوحة ليصار إلى تعبئتها في باريس من قبل فيصل. واشترط الملك في رسالة بعث بها إلى المندوب السامي مع وثائق الاعتماد أنه لا يوافق على أن يوقع مندوبوه على أية اتفاقات يمكن أن تنتقض من اتفاقه مع الحكومة البريطانية المتمثل برسائل مكماهون.

**عند افتتاح المؤتمر كان فيصل يعتقد اعتقاداً جازماً أن فرنسا «تريد أن تخرج سورية من المجتمع العربي وتستحوذها لنفسها».** وقد اتخذ فيصل في مساعيه السياسية القول إنه وكيل والده والجيش العربي المؤلف من جميع العرب وأنه يطالب بحقوق العرب وأن لا تحسم الدول أمراً يختص ببلاد العرب إلا بعد أن يؤخذ رأي أهلها «وأهل البلاد لهم الحق في انتخاب الحكومة التي يريدونها وعلى الحكومات أن تقبل برأيهم.. وكل قرار خالف هذا المبدأ لا نقبل به». **وأعلن فيصل أن أباه «لا يريد أن يجبر العرب على قبول سيطرته»** ولكن «سلوا أهل البلاد، هم أحق الناس بتعيين مقدراتهم وبانتخاب الحكومة التي تناسبهم. كانت تلك الحكومة فرنسا أم أميركا أم اليابان أم العرب». وقد اتصل فيصل برجال الوفد الأميركي وشرح لهم وجهة نظر العرب وحثهم على الأخذ بناصره، وأخذ يسعى للاجتماع بالرئيس ولسون ليطب منه «أخذ الرأي العام في البلاد: أعني التصويت في جميع بلاد العرب المستخلصة من أيدي الترك..».

**وفي باريس قدم فيصل إلى وفود الدول الكبرى مذكرته المؤرخة بتاريخ ١ كانون الثاني ١٩١٩م التي كان قد أعدها في لندن وقدمها لوزارة الخارجية البريطانية، وفيما يلي نص المذكرة:**

«جئت ممثلاً لوالدي الذي قاد الثورة العربية ضد الأتراك تلبية منه لرغبة بريطانيا وفرنسا لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الإسكندرونة- ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً، معترفاً باستقلالها وسيادتها بضمان من عصبة الأمم، ويستثنى من هذا المطلب الحجاز وهو دولة ذات سيادة، وعدن محمية بريطانية[1].

وبعد التحقق من رغبات السكان في تلك المنطقة، وتعديل الحدود فيما بينها، وفيما بينها وبين الحجاز، وفيما بينها وبين البريطانيين في عدن، وإنشاء دول جديدة حسب الحاجة وتعيين حدودها. **وستتقدم حكومتي في الوقت المناسب بمقترحات تفصيلية في هذه النقاط الصغيرة،** وأني لاستند في مطلبي هذا على المبادئ التي صرح بها الرئيس ولسن وهي مرفقة بهذه المذكرة وأنا واثق من أن الدول الكبرى ستهتم بأجساد الشعوب الناطقة بالعربية وبأرواحها أكثر من اهتمامها بما لها هي نفسها من مصالح مادية».

**ومما لا شك فيه أن روح المسايرة لرغبات وزارة الخارجية البريطانية تبدو واضحة وجلية في هذه المذكرة** ولكن ليس في الإمكان أبعد مما كان.. وقد عبر المؤرخ الشهير «توينبي» الذي كان يعمل في وزارة الخارجية البريطانية يوم ذاك عن ارتياحه لهذه المذكرة فقال: «أرى أنها وثيقة بالغة الاعتدال وتدل على حنكة سياسية وأنه يجب منح الأمير فيصل الفرصة التامة لكي يعرض رسمياً أمام المؤتمر قضية العرب المعروضة هنا»[2].

---

(١) راجع لويد جورج في كتابه عن مؤتمر باريس بعنوان «الحقيقة حول معاهدات السلام» لندن ١٩٢٤. المجلد الثاني- ص١٠٣٨- ١٠٤٤ وراجع أيضاً دافيد هنتر مللر (يومياتي حول مؤتمر باريس) المجلد الرابع- ص٢٩٧.

(٢) راجع الملاحظة التي كتبها حول مذكرة فيصل بتاريخ ١٦، ١٩١٩/١/١٧- أرشيف وزارة الخارجية البريطانية. الملف ٩٢/٦٠٨.

**وفي هذه الأثناء رفع «قسم الاستخبارات» لوفد الولايات المتحدة لمؤتمر الصلح في باريس «توصية» بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩١٩م، إلى الرئيس ولسن وإلى المفوضين المطلقي الصلاحية للدول الأخرى جاء فيها**:

**أولاً- إنشاء دولة سورية.**

**ثانياً- أن يطبق على هذه الدولة السورية نظام الانتداب. ولكن** لم يرد في التوصية ذكر للدولة التي ستُختار للقيام بمهمة الانتداب هذا.

**ثالثاً- ينبغي ألا توضع عراقيل من شأنها أن تحول دون دمج هذه الدولة السورية المقترحة في اتحاد عربي كونفيدرالي إذا تبين أن هناك ميلاً في البلاد نحو هذا الحل**[(١)].

**ولكن جل ما نعرفه عما اتخذ من قرارات رسمية حول سورية في أثناء الشهر الأول من سنة ١٩١٩م.** هو مشروع قرار اتخذه ممثلو الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان في مؤتمر خاص في الكاي دورسي[(٢)] في ٣٠ كانون الثاني، مؤداه: «وجوب فصل سورية فصلاً تاماً عن الإمبراطورية العثمانية[(٣)]».

**في اليوم السادس من شهر شباط. تمكن الأمير فيصل من عرض قضيته أمام مؤتمر الصلح** في مقر وزارة الخارجية الفرنسية. فأشار فيصل إلى المذكرة التي كان قد رفعها إلى المؤتمر في ٢٩ كانون الثاني، والتي طالب فيها بأن يعترف الحلفاء «بأن يكون للشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الاسكندرونة- ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً اعتراف باستقلالها وسيادتها بضمان من عصبة الأمم» ثم راح يعرض الأسباب التي

---

(١) راجع ميللر «الوثائق» المجلد ٤ -ص٢٦٢- وثيقة رقم ٢٤٦.

(٢) مبنى وزارة الخارجية الفرنسية.

(٣) - راجع الأوراق المتعلقة بعلاقات الولايات المتحدة الخارجية. المجلد ٣- ص٧٩٦.

من أجلها تقدم بمطلبه هذا **وقال**: «إن والده لم يعرض حياته للخطر، كما أنه لم يعرض مملكته للدمار لما اشترك في الحرب، وعندما بلغت الحرب أقصى حد من الخطورة، ليحصل على منافع مادية شخصية... إن العرب يعترفون بالجميل لبريطانيا وفرنسا ويشكرونهما على ما قدمتاه من عون في سبيل تحرير أوطانهم. والعرب يطالبون الآن أن يفي الحلفاء بالوعود التي قطعوها على أنفسهم في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨م».

**ثم أن تلميحاً وجه إلى فيصل- والواقع أنه لم يكن تلميحاً مبطناً بقدر ما كان أمراً واقعاً عندما التفت إليه الرئيس ولسن**، بعد أن أدرك أن عصبة الأمم قد تبنت نظام الانتداب، **وسأله**: «ما إذا كان يؤثر أن يرى دولة واحدة تتولى الانتداب على شعبه، أو عدداً من الدول تتولاه». كان هذا السؤال في الواقع خروجاً صارخاً عما كان يطالب به فيصل من الاستقلال والسيادة. ولذا امتنع عن الإجابة بصورة مباشرة قائلاً إنه لا يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال قبل أن يستشير والده وقبل أن يعود إلى العرب أنفسهم. لقد جاء إلى باريس ليطالب باستقلال شعبه، وبحقهم في اختيار مصيرهم.. **قال فيصل**: إنه «شخصياً، كان يخشى تجزئة البلاد العربية، كان هدفه وحدة العرب، وفي سبيل الوحدة حارب العرب، **وأي حل غير هذا الحل لا يمكن أن يعتبره العرب إلا نوعاً من تقاسم الأسلاب بعد المعركة**... وكان العرب يطالبون بالحرية ولا يرضون عنها بديلاً.. فقد كان العرب أمة يطالبون بالحرية ولا يرضون عنها بديلاً... فقد كان العرب أمة قديمة متحضرة منظمة في زمن لم يكن فيه للدول الممثلة في هذه القاعة الآن من وجود...[(١)]».

**في الثالث عشر من شباط جرى بحث حول قضية سورية وذلك قبل انعقاد جلسة العشرة الكبار في مكتب بيشون (Pichon)** في مقر وزارة

---

(١) راجع كتاب لويد جورج السابق الذكر «الحقيقة حول مؤتمر السلام» المجلد الثـاني- ص١٠٤٣-١٠٤٤.

الخارجية واستدعى الدكتور هوارد بلس (Bliss) رئيس الكلية الإنجيلية في بيروت (وهي الآن الجامعة الأميركية في بيروت) ليدلي برأيه حول القضية. وبعد أن رحب به كليمنصو شرع بلس بقراءة البيان الذي كان قد أعده، **وهذا بعض ما جاء فيه:** «إن الالتماس الذي أرفعه إلى هذه الهيئة الموقرة عن أهل سورية هو أن ترسل فوراً لجنة حيادية مختلطة، تمثل الحلفاء، إلى سورية لتفسح في المجال أمام الأهلين في سورية، وفي لبنان أيضاً، للتعبير وبحرية ودون أي عائق عن وجهات نظرهم السياسية وعن أمانيهم بالنسبة إلى نوع الحكم الذي يرغبون فيه، وبالنسبة إلى الدولة الحامية المنتدبة إذا شاؤوا ذلك.. **وإني مقتنع أن مثل هذا الاستفتاء الحر سيكشف عن رغبة الشعب في إقامة دولة،** أو دول، تتطلع آخر الأمر إلى نيل الاستقلال التام، غير أنها الآن تسعى، إلى الحصول على وصاية تقوم بها دولة منتدبة. وفي ختام بيانه لفت الدكتور بلس انتباه مجلس العشرة الكبار إلى «ضرورة الفصل التام بين الدين والدولة» وأضاف قوله: «إنه من الأفضل للحكم أن يلازم خطاً موازياً للدين، وأن يسير الاثنان معاً نحو تحقيق غايتها الرائعة متوازيين منفصلين[١]».

**وبحث الأربعة الكبار موضوع سورية في اجتماع خاص يوم ٢٠ آذار وفي هذا الاجتماع أكد بيشون تمسك فرنسا بسورية كلها، ورد لويد جورج قائلاً:** إن احتلال فرنسا لسورية ا لداخلية يناقض الاتفاق مع العرب وأن اتفاقية **سايكس - بيكو** وضعت على أساس رسالة **مكماهون إلى الملك حسين** (٢٤ تشرين الأول ١٩١٥) وقال بيشون، أن فرنسا لم تعهد بريطانيا للعرب إلا قبل بضعة أسابيع، ورد **لويد جورج** قائلاً أن بريطانيا جندت حوالي مليون جندي ضد الأتراك وجنودها هم الذين احتلوا سورية بمساعدة العرب الذين كانت مساعدتهم لها «جوهرية» **وعزز اللنبي هذا التصريح بقوله:** إن

---

(١) راجع بيان الدكتور بليس في كتاب: الوثائق المتعلقة بالعلاقات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية. المجلد ٣- ص١٠١٥-١٠١٨.

مساعدة العرب «لا تقدر بثمن». وعاد لويد جورج يقول إنه على أساس رسالة مكماهون وضع الملك حسين جميع موارده في ميدان الحرب وقد ساعد ذلك «مساعدة مادية قصوى لكسب الحرب» وقال إن موافقة بريطانيا على خضوع المدن السورية الأربع لنفوذ فرنسا المباشر سيكون نكثاً لعهودها للعرب وهي لا تستطيع الإقدام على ذلك. **وهنا تدخل ولسون قائلاً إن الولايات المتحدة لا تهمها مدعيات بريطانيا وفرنسا بالنسبة لأي شعب إلا إذا كان الأهلون يريدونهما،** لذلك فالسبيل الوحيد لمعالجة المسألة هي «اكتشاف رغبات أهالي هذه المناطق واقترح تعيين لجنة تحقيق من قبل الدول الأربع ترسل إلى سورية وإلى المناطق المجاورة إذا دعت الحاجة إلى ذلك بغية استطلاع الحقائق وتقديم تقرير حولها إلى مؤتمر السلم. **وقد وافق ممثلو الدول الأخرى على مقترحات ولسون.** ولكن كليمنصو قال إن التحقيق يجب أن يشمل فلسطين والعراق وأرمينيا فأجاب لويد جورج بأنه لا يعترض على ذلك[1].

**ولكن الاجتماع انتهى والقلوب متنافرة** حتى أن ولسون خرج «وهو يلعن كل واحد وكل شيء» قائلاً: «إنه لم يفعل طول ٤٨ ساعة إلا الكلام، وهو مشمئز من الموضوع كله[2]».

**وفي اجتماع آخر عقدة الأربعة الكبار يوم ٢٥ آذار تمت الموافقة رسمياً على إيفاد اللجنة الرباعية** وعلى أن تنتدب كل دولة عضوين يمثلانها في اللجنة، وقد اختار الرئيس ولسون الدكتور نري كنج والمستر شارلس

---

(١) كان بلفور يعارض فكرة اشتمال التحقيقات لفلسطين، وقد سجل معارضته في مذكرة مؤرخة في ٢٣ قائلاً أن لجنة التحقيق لا بد أن تجد العرب يرغبون في قيام حكومة وطنية عربية، وأن تقرير اللجنة لا بد أن يتضمن رفض عرب فلسطين- وهم الأكثرية- قيام إدارة تشجع هجرة اليهود وازدياد نفوذهم.

(٢) هـ. ويكهام ستيد: «خلال ثلاثين عاماً ١٨٩٢-١٩٢٢» ص٢٩٨ لندن- عام ١٩٢٤.

كرين بينما عينت الحكومة البريطانية السير هنري مكماهون والأستاذ هوجارث. ولكن فرنسا لم تعين ممثليها ولم تبد إيطاليا أي اهتمام.

**ويبدو أن لويد جورج اقتنع بقوة الحجج التي ساقها بلفور،** فحاول يوم ٢٧ آذار إقناع الرئيس ولسون بأن لا فائدة ترجى من إرسال اللجنة، وقال إنه تسلم من العراق عرائض تطالب بإدارة بريطانية مباشرة وعدم الرغبة في حكومة يرأسها أمير عربي[١]. ولكن الرئيس ولسون أصر على ضرورة قيام اللجنة بمهمتها.

**إن اهتمام الرئيس ولسون الجدي بموضوع سورية جعل الساسة البريطانيين يميلون تدريجياً** إلى فكرة التفاهم مع الفرنسيين لحل المسألة السورية بسرعة، خشية أن يؤدي الاهتمام الأميركي إلى الأضرار بمطامعهم في العراق وفلسطين وإلى زيادة الوضع المتفجر في مصر سوءاً.

**وقد بذل ويكهام ستيد محرر التايمس جهوداً للتقريب بين الأطراف الثلاثة المعنية،** فدبر يوم ٢٥ آذار اجتماعاً بين عدد من البريطانيين والفرنسيين (كان ممن حضره لورنس وجرترودبل وروبير دي كايي وبعد نقاش طويل توصل المجتمعون إلى أن إرسال اللجنة سيؤدي إلى إثارة الخواطر في البلاد وفتح الباب للدساسين. وقيل أن لورنس (أوضح أن الاتجاه للوحدة العربية لا يملك قيمة سياسية جدية في الوقت الحاضر أو المستقبل).

---

(١) من الواضح أن هذا جاء للسياسة الاستعمارية التي كان أرنولد ولسون الحاكم السياسي يتبعها في العراق، وكان ولسون هذا قد وصل إلى باريس في ٢٠ آذار. راجع كتابه بلاد ما بين النهرين خلال أعوام ١٩١٧-١٩٢٠ لندن ١٩٣١- ص١١٥-١١٦. وكان أرنولد ولسون وضباطه السياسيون في العراق قد استعملوا أساليب خادعة وملتوية لإقناع عدد من الشيوخ والوجهاء بتوقيع مضابط يطلبون فيها الحماية البريطانية. وفي الوقت ذاته رفض ولسون قبول المضابط التي أعدها وجهاء المدن العراقية، وفيها طلب تأسيس حكومة عربية مستقلة تحت رئاسة أحد أنجال الملك حسين. العمري، المجلد الثالث، ص ص ٢٢-٢٤.

**وقال لورنس** أنه يجب أن لا تكون لسورية علاقة بالملك حسين وذلك لتسهيل إيجاد التفاهم بين فيصل وفرنسا، وأنه سينصح فيصل بتأخير سفره لإعطاء الفرصة للتفاهم بينه وبين الفرنسيين مباشرة ولتفادي إرسال لجنة التحقيق(١). ومما لا شك فيه أن موقف لورنس هذا كان بدافع من حكومته.

**وظل فيصل في الوقت نفسه يحاول الاجتماع مع كليمنصو بقصد التوصل إلى تسوية مباشرة**، ولكنه قيل أن فيصلاً لم يتلق جواباً فاضطر أن ينبئ لويد جورج فرتب هذا في الحال موعداً لاجتماع الاثنين (فيصل وكليمنصو). والأرجح أن لويد جورج هو الذي أقنع فيصلاً بضرورة التفاهم مباشرة مع كليمنصو ولكن هذا الأخير كان يعتقد أن الإنكليز هم الذين يحرضون فيصل سراً فأراد أن يقنعه علناً وبصورة جدية بضرورة التفاهم مع فرنسا. وعلى أية حال فقد استقبل كليمنصو فيصلاً يوم ١٣ نيسان وقال له: إن الإنكليز سينسحبون من دمشق وحلب وأود أن يحل جنودنا محلهم هناك **فرد فيصل بعدم الموافقة، قائلاً:** إن سورية لا تحتاج إلى جنود أجانب. وعندئذ قال كليمنصو: أنا لا أود احتلال البلاد، ولو كان الأمر راجعاً لي شخصياً لما أختلف معكم دقيقة واحدة، ولكن الأمة الفرنسية لا ترضى بأن لا يكون في سورية أثر يدل على الحضور الفرنسي، وهو يريد أن يرتفع العلم الفرنسي في سورية مع وجود عدد قليل من الجنود، ولا مانع أن يرفع العلم العربي إلى جانب العلم الفرنسي(٢) وكان من نتائج ذلك الاجتماع أن كليمنصو بعث في ١٧ نيسان بمسودة رسالة إلى فيل بقصد الحصول على مسودة جواب منه حتى إذا كان الجواب مرضياً تم تبادل الرسالتين رسمياً. ولكن الأمير فيصل بعث جواباً لم يرض كليمنصو فلم يبعث الرسالة. وقد تضمنت

---

(١) راجع كتاب ستيد السابق الذكر ص ٣٢٣.

(٢) نقلها ساطع الحصري عن أوراق فيصل، ولكنه ذكر أن الاجتماع وقع في ١٦ نيسان- راجع: يوم ميسلون، بيروت، طبعة جديدة ١٩٦٤، ص ص ١١٣-١١٤.

مسودة كليمنصو القول بأن الحكومة الفرنسية مستعدة «أن تعترف بحق سورية في الاستقلال عن طريق تأليف اتحاد مناطق مستقلة محلياً حسب تقاليد السكان ورغباتهم». **وتضمنت المذكرة استعداد فرنسا لتقديم مساعدتها «المادية والمعنوية لتحيق تحرر سورية»**. كما تضمنت القول بأن فيصلاً طلب أن تقوم فرنسا بتقديم العون والمستشارين لسورية. ولم تتضمن مسودة جواب فيصل (التي لم تنشر حتى الآن) ما يرضي الفرنسيين فرفضوها.

**بعد أن قابل فيصل كليمنصو اقتنع فيصل بأن الفرنسيين يريدون أن يحكموا سورية حكماً مباشراً**، وأن لا مجال للتوصل إلى تفاهم معقول معهم، فاعتزم أن يمضي قدماً في مسألة لجنة التحقيق اعتقاداً منه أن الولايات المتحدة وبريطانيا لن تخذلاه خذلاناً تاماً عندما تظهر نتائج التحقيق. وهكذا بعث برسالة مجاملة إلى كليمنصو في ٢٠ نيسان قال فيها إنه مضطر للعودة إلى بلاده ولذلك طلب تعيين ممثل فرنسي لمواصلة المباحثات التي بدأها مع كليمنصو.

**وبعد أن أخفق فيصل في محاولته هذه**، اعتزم أن يعود إلى سورية استعداداً لمجيء لجنة التحقيق إليها. وفي ٢١ نيسان زار كليمنصو مودعاً، ثم قام بزيارة هاوس[١] وأبلغه أنه والسوريين كلهم يعلقون الآمال على تمسك الأمريكيين بمبدأ تقرير المصير. ونتج عن ذلك أن الرئيس ويلسون أمر الأعضاء الأمريكيين في لجنة التحقيق بالاستعداد للسفر. وفي يوم ٢٣ نيسان غادر فيصل باريس يرافقه الكولونيل تولا ضابط الارتباط الفرنسي الجديد. وفي طريق عودته إلى بلاده زار مدينة روما واجتمع فيها بالبابا وملك إيطاليا. ثم غادر ميناء تارنتو على متن سفينة حربية فرنسية فبلغ بيروت يوم ٣٠ نيسان ١٩١٩م.

---

(١) النقيب هاوس المرافق العسكري للرئيس ولسون.

**وبعد سفر فيصل أصبح الممثلان العربيان في مؤتمر السلم هما رستم حيدر وعوني عبد الهادي**، بينما أصبح أمين الكسباني السكرتير العام للوفد العربي في باريس، وهو المنصب الذي كان يحتله عوني عبد الهدي قبل ذلك.

**ولدى وصول فيصل إلى دمشق أصدر بياناً في اليوم الأول من أيار موجهاً إلى «أبناء سورية العزيزة»** أعلن فيه أن الاتفاق على منح سورية استقلالها، وعلى إرسال لجنة تحقيق دولية قد تم مبدئياً. «وبهذا ترون أنه قد تم القسم الأعظم من المهمة الخارجية التي نعمل لأجلها. وذلك بحسن نيات الحكومات الأربع المعظمة وصدقهم في أقوالهم وتمسكهم بالمبادئ السامية التي جعلوها دستوراً لأعمالهم وطبقاً لأماني الأمة». أما المشكلات الداخلية فتقع مسؤولية معالجتها على الأمة نفسها. وعلى هذه الأمة أن تبرهن للجنة الدولية أنها خليقة بالاستقلال ولها من المؤهلات ما يمكنها من إدارة شؤونها بنفسها. ولهذا السبب ينبغي أن «تعملوا وغايتكم متحدة والصدق رائدكم في أقوالكم وأعمالكم.. متمسكين بأهداب الحزم، متخذين أسباب السكينة والتؤدة والغيرة على هذا الوطن...[1]».

**في الخامس من أيار ألقى فيصل خطاباً في مبنى بلدية دمشق ضم جمهوراً غفيراً من أعيان البلاد وزعمائها** الذين كانوا قد وفدوا إلى دمشق من سائر المناطق السورية ومن بعض المناطق اللبنانية. وبعد أن أشار باقتضاب إلى تاريخ الثورة العربية وأهدافها شرع في الكلام عن الأراضي العربية في مؤتمر الصلح المنعقد في باريس حيث كان يمثل والده. **وقال إن دفاعه كان على قسمين:**

**القسم الأول- أن البلاد العربية لا يمكن تجزئتها.**

---

(١) ساطع الحصري: «يوم ميسلون»، لبنان بيروت، دار الاتحاد، طبعة عام ١٩٦٤م- ٢١٧-٢١٨.

**القسم الثاني- بما أن بين سكان البلاد العربية اختلافات في طبقات العلم والتعليم ليس إلا، فالظروف كافية لتجعلهم أمة واحدة وحكومة واحدة. لذلك رأيت الدفاع كما يلي:**

**أن سورية والحجاز والعراق أقطار عربية.** وكل قطر فيها يطلب أهلها الاستقلال، وقلت: إن نجداً والبلاد المساوية للحجاز من الأقطار العربية هي تابعة للحجاز ليس إلا. وهذه يرأسها والدي. وأما سورية فيجب أن تكون مستقلة. وكذلك العراق يريد استقلاله... دافعت عن سورية بحدودها الطبيعية، وقلت أن السوريين يطلبون استقلال بلادهم الطبيعية، ولا يريدون أن يشاركهم فيها شريك...» وقال فيصل أن الأمم الغربية «بعد أن وقفوا على حقيقة الأمر وعرفوا ما هي مقاصد السوريين أذعنوا لهم وأعطوهم كل ما يطلبونه. وها أنا بين أيديكم، قد قدمت إليكم من مؤتمر السلم، أبلغكم ذلك...».

**«والآن... أريد ممن حضر من ممثلي الأمة - الذين في حالتهم** الحاضرة ليسوا ممثليها بالصورة الحقيقية، ولكنهم بموقفهم الأدبي يمثلون الأمة معنوياً- أطلب منهم أن يصرحوا لي بأفكارهم وأن يقولوا لي: هل ما قمنا به في السابق هو حسن أم لا؟ فأجاب الجميع الأمير على سؤاله: «حسن حسن. وأعقب بالتصفيق والهتاف».

**«وهل أعمالنا مقرونة برضى الأمة أم لا؟ فأجاب الجميع: نعم، نعم وكل الرضى وفوق الرضا تصفيق وهتاف».**

**ولما أخذ «ممثلو الأمة»** يعبرون عن آرائهم كل بمفرده، كانت أقوالهم تتراوح بين من كان يضع كامل ثقته واعتماده بالأمير فيصل وبين من كان يقول: «تفديك الأمة بأموالها وأنفسها وأرواحها».

وختم الأمير فيصل كلامه قائلاً: «أرجو أن تعتمد الأمة على الأمة التي حالفتها ونصرتها، والتي لولاها لم تستطع الاجتماع الآن...

**فعلينا أن نثبت لهم أننا أمة تريد أن تستقل**... هذا وأرجوكم رجاء خاصاً أدعوكم به إلى الاتحاد وجمع الكلمة فهذه وظيفة الأمة، كما هي وظيفتي الخاصة، إذ أنا فرد منكم...[(١)]».

## سابعاً - الخلاف بين إنكلترا وفرنسا على الغنائم:

بينما كان موقف **لويد جورج** يزداد تصلباً إزاء مطالب فرنسا في سورية، كان **كليمنصو** ووزير خارجيته بيشون في باريس، يتخذان موقف الهجوم.

**استدعى كليمنصو ويكهام ستيد في الرابع من أيار** «وشكا له بمرارة من أن **لويد جورج** كان دوماً ينقض الوعود التي كان يقطعها على نفسه». وأضاف قائلاً: «في بادئ الأمر أبدى **لويد جورج** موافقته التامة على أن تكون فرنسا الدولة المنتدبة على سورية، إنما كان الرئيس ولسون يقف عقبة دون ذلك. **فكان لويد جورج يقول لي**: اذهب واتفق مع ولسن أولاً فتراني أقف إلى جانبك في كل أمر شريطة ألا تستولي على سورية بقوة السلاح، وشريطة أن تتخلى عن مطالبك في كيليكيا وأن تترك الموصل ضمن منطقة النفوذ البريطاني. وقد نفذت هذه الشروط كلها، ولكن بعد أن اتفقت مع ولسن ومعاونه الكابتن هوس (House) لم يفعل **لويد جورج** شيئاً[(٢)]».

**طالبت فرنسا بحقها بالانتداب على سورية**. لكن **لويد جورج**، في بادئ الأمر، رفض الموافقة على هذه الفكرة، أن وقائع مجلس الحلفاء الأعلى تظهر

---

(١) ساطع الحصري - المرجع السابق - ص ٢٢١ - ٢٢٧ وراجع أيضاً:
يوسف الحكيم «سورية والعهد الفيصلي»، المطبعة الكاثوليكية ط١، بيروت ١٩٦٦ - ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) راجع هنري ويكهام ستيد: «خلال ثلاثين عاماً ١٨٩٠ - ١٩٢٢» رواية شخصية - لندن ١٩٢٤ - المجلد الثاني - ص٣٢٣.

أن نظام الانتداب بحث فيه لأول مرة في جلسته التي عقدها في الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩١٩[١]، وكان بيشون، وزير الخارجية الفرنسية، أول من أوعز به في الجلسة السرية التي عقدها الكبار الأربعة في ٢٠ آذار، قال بيشون: «إذا قطع لفرنسا عهد بأن تكون الدولة المنتدبة على سورية، فإن فرنسا تتعهد ألا تقوم بعمل ما إلا بعد موافقة الدول العربية، أو اتحاد الدول العربية الفدرالي عليه. وهذا هو الدور الذي ترغب فرنسا في القيام به في سورية». وفي الحادي عشر من أيار سأل **كليمنصو** السيد ستيد «**إذا كان بإمكانه أن يحمل البريطانيين على الموافقة بإعطاء فرنسا حق الانتداب على سورية، وباستبدال الحاميات البريطانية هناك بحاميات فرنسية، وذلك بمعونة السلطات البريطانية وبرضاها**[٢]».

**أثناء ذلك صارح فيصل السلطات البريطانية بحقيقة موقفه من الفرنسيين وبكل صراحة**. ففي الثامن عشر من أيار جرت مقابلة بين الجنرال

---

(١) راجع د. هـ. ميللر «يومياتي في مؤتمر باريس ١٩١٨ - ١٩١٩» المجلد ١٩ - ص ٥٥٧ - ٥٦٩.

راجع حول نظام الانتداب ونشوء هذه الفكرة كتاب الجنرال سمطس بعنون «عصبة الأمم اقتراح عملي» لندن عام ١٩١٨.

وراجع أيضاً كتاب البير ميللر «الانتداب الدولي» دراسة حول المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم. باريس ١٩٢٤، وقد اعتمدت هيئة مؤتمر باريس عام ١٩١٩ مبدأ الانتداب في المادة ١٩ من الميثاق الأول لعصبة الأمم. ومن أراد تطبيق مبدأ الانتداب على مشاكل ومستقبل الولايات العربية التي فصلت عن الإمبراطورية العثمانية عليه مراجعة كتاب الدكتور أدمون رباط:«التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري - محاولة لفهم تركيبه» بيروت ١٩٧٣م - ص ٣٣٠ - ٣٤٠ وما بعدها.

(٢) راجع ر. ستاتارد. بيكر «وودرو ويلسون وتنظيم العالم». مراسلات غير مطبوعة وأمور شخصية. لندن ١٩٢٣ - المجلد ٣ ص ١١. وراجع أيضاً كتاب ستيد المذكور سابقاً - المجلد الثاني ص ٣٢٥.

كلاتون والأمير فيصل في دمشق. وبعد يوم نقل الجنرال كلايتون نتيجة المقابلة إلى **الجنرال اللنبي** الذي نقلها بدوره برقياً إلى **اللورد كرزون** (Curzon) في ٢١ أيار من القاهرة. وفيما يلي نص البرقية الهامة التي أرسلها اللنبي:

**تلقيت البرقية التالية من رئيس المكتب السياسي الجنرال كلايتون،** والتي يقول فيها:

«**اجتمعت بفيصل أمس واليوم، لقد أثار موضوع سياسته تجاه الفرنسيين،** وبلغني أنه - بناء على نصيحة لورانس - اتفق شفوياً مع **كليمنصو** بأن يبذل جهده مع الشعب لقبول الانتداب الفرنسي على سورية، شريطة أن تعترف فرنسا باستقلال سورية. لقد أعلن فيصل صراحة أنه لم يكن ينوي قط تنفيذ هذا الترتيب، وأن سورية تعارض التغلغل الفرنسي معارضة شديدة بأية صورة كانت، وقال أن بريطانيا ستلقى الترحيب كدولة منتدبة على سورية. ولكنه لا يستطيع أن يطلب الانتداب البريطاني لأنه غير واثق من أن بريطانيا ستقبل الانتداب إذا عرض عليها.

**لقد سبق أنه وجه مثل هذا السؤال إلى رئيس الوزراء البريطاني.** ولكنه لم يتلق جواباً مباشراً. ومن الواضح أن فيصل يتخوف من نتائج هذه السياسة الملتوية تجاه فرنسا وعندما طلب نصيحتي قلت له: أن سياسة المورابة والخديعة لن تعود بالضرر إلا عليه. ومن السهل أن تؤدي هذه السياسة إلى تعريض العلاقات بين فرنسا وبريطانيا لخطر الاحتكاك مما سيؤثر بدوره على العلاقات بين بريطانيا والعرب.

**لقد عقد فيصل عزمه الآن على انتظار وصول لجنة التحقيق لكي يعرض عليها المطالب التالية:**

**١ - إن استقلال سورية شرط أساسي في نطاق أي انتداب يقرره مؤتمر الصلح.**

**٢- تعطى المشورة والمساعدة للدولة السورية من قبل بريطانيا وإذا رفضت بريطانيا ذلك فأمريكا، وإذا رفضت أمريكا ذلك فتعطى تلك المشورة والمساعدة من قبل الدول الثلاث:** بريطانيا وأمريكا وفرنسا، ولن تقبل سورية بأية حال من الأحوال أن تعطي فرنسا وحدها تلك المشورة والمساعدة، إن هذا يتفق مع الانطباعات التي تكونت لدي سابقاً عندما كنت في دمشق يوم ١٢ أيار(١).

**إلا أن موقف الشعب العربي في سورية كان يزداد عداء نحو فرنسا،** وهذا ما أثبته تقرير العقيد كورنواليس وهو ضابط الاتصال البريطاني في دمشق «حول الوضع السياسي في البلاد العربية» بتاريخ ١٦ أيار **«أن رجال السياسة في دمشق يعتنقون مبدأين أساسيين لا ثالث لهما؟ أولاً: يريدون الاستقلال، وثانياً: أنهم لا يريدون فرنسا. إن شعور العداء لدى النخبة منهم نحو الفرنسيين عنيف إلى حد يدعو إلى الاستغراب....(٢)».**

---

(١) يحسن مقارنة ما جاء في هذه البرقية بالمطالب التي قررها المؤتمر السوري وقدمها يوم ٣ تموز ١٩١٩ إلى لجنة التحقيق الأمريكية، والتي تضمنت طلب الاستقلال التام لسورية الطبيعية، فإذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الطلب، توافق فرنسا على قبول المساعدة الفنية والاقتصادية من أمريكا، فإذا رفضت أمريكا توافق سورية أن تقدم بريطانيا تلك المساعدة. أما فرنسا فقد رفض المؤتمر «أن يكون لها مساعدة ويد في بلادنا بأي حال من الأحوال». (نص القرار في كتاب أحمد قدري «مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى» دمشق ١٩٥٦، ص١٢٥ - ١٢٩). فلا عجب أن تغضب فرنسا تجاه هذا الوضع وتسعى إلى الاتفاق مع بريطانيا على اقتسام سورية والعراق بالقوة، خاصة بعد أن تخلت أمريكا عن التدخل في تسوية المشاكل الدولية. (سليمان موسى: المراسلات التاريخية ١٩١٩ - المجلد الثاني رقم ٢٢ - ص ٧٤ - ٧٥).

(٢) راجع الوثائق المتعلقة بالسياسة الخارجية البريطانية. السلسلة الأولى. المجلد ٤ (١٩١٩) لندن ١٩٥٢ - ص ٢٦٥.

وهكذا فرغ صبر **كليمنصو** عند هذا الحد من المماطلة والتسويف ولا سيما أنه كان يخشى من تطور الحالة السياسية الداخلية في فرنسا نفسها بسبب النقد الذي كانت توجهه إليه أوساط المحافظين ورجال الدين من أنه لا يبدي حماسة أو اهتماماً جدياً بالقضية السورية. ولذا فقد بادر إلى أخذ موقف فيه تهجم عنيف على مناوئيه في اجتماع مجلس الأربعة الكبار في ٢١، ١٩١٩/٥/٢٢ عندما طرحت القضية السورية على بساط البحث.

**ولا بأس من العودة إلى وقائع ذلك الاجتماع:**

«شكا **كليمنصو** من أن **لويد جورج** لم يفِ بالعهود التي قطعها له. وعندما سأله **لويد جورج** كيف يفسر عدم الوفاء بالعهود التي قطعت؟ أجاب **كليمنصو** بأنه عندما لاحظ في خريف سنة ١٩١٨، تصرف الإنكليز في سورية ذهب إلى لندن وطلب إلى **لويد جورج** بأن يقول له بصراحة وبتحديد ماذا يريد. عندها قال له **لويد جورج: أريد الموصل وفلسطين**. ثم إنه عاد إلى باريس، وعلى الرغم من معارضة السيد بيشون ووزارة الخارجية الفرنسية، فإنه وافق على مطلب **لويد جورج**. ثم إن **لويد جورج** أكد أن الدولتين، بريطانيا وفرنسا، ستسيران بوفاق جنباً إلى جنب. كذلك شكا **كليمنصو** من التباطؤ الذي يمارسه البريطانيون في جلاء الجيوش البريطانية عن سورية وإحلال جيوش فرنسية مكانها. كما أن اللورد ميلنر (Milner) كان قد وعد أن يساعد **كليمنصو** في تقريب وجهات النظر بينه وبين الأمير فيصل، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا.....».

ثم أن **كليمنصو** تقدم بنداء عاطفي ملتمساً من المؤتمرين الإبقاء على التضامن الإنكلو - فرنسي والتضامن الفرنسي - الأمريكي.

**وقال لويد جورج**: «بصدد الحنث بالوعود فإنه اتهام لا يقوم على أساس من الصحة».

**وأشار كليمنصو** إلى أن هناك «اتفاقاً واضحاً وصريحاً عقد بين فرنسا وإنكلترا بصدد سورية».

«**فقال لويد جورج**: أنه تم الاتفاق في لندن على أن تكون سورية من نصيب فرنسا، والموصل من نصيب بريطانيا، وبما أن الموصل جزء جغرافي طبيعي من العراق فينبغي أن تكون جزءاً لا ينفصم عن العراق ويكون البلدان من نصيب بريطانيا[١]».

ربما كانت المذكرة التي قدمها السيد **لويد جورج** أهم حدث في ذلك الاجتماع. وعنوان المذكرة: «مشروع تسوية القضية الإمبراطورية العثمانية» وينص البندان السابع والثامن منها على ما يلي:

«**البند السابع - تحصل فرنسا على انتداب مؤقت على سورية إلى أن تقدم اللجنة التي هي في طريقها الآن إلى منطقة الشرق الأدنى تقريرها**».

«**البند الثامن - وتحصل بريطانيا على انتداب مؤقت على العراق وفلسطين إلى أن تقدِّم اللجنة التي هي الآن في طريقها إلى الشرق الأدنى تقريرها**». ولكن **كليمنصو** لم يكن راضياً عن هذا التدبير. إذ أن كلمة «مؤقت» لم تعجبه وكذلك العبارة الشرطية «**إلى أن تقدم اللجنة تقريرها**» وهي لجنة عارض على تشكيلها منذ البداية، ولم يبد أي اهتمام بأمرها.

**عندما اجتمع مجلس الكبار الأربعة في اليوم التالي قال لويد جورج**: «**أن المنطقة التي هي موضع النزاع، بحسب ما نصت عليه اتفاقية سايكس - بيكو**، لم تكن منطقة مخصصة لفرنسا، بل كانت بأسرها منطقة عربية. وهذا ينطبق على دمشق وحلب وحمص. التي نص عليها أنها داخلة في المنطقة العربية. وبحسب منطوق اتفاقية **سايكس - بيكو** لم تكن هذه المدن من منطقة سورية، ولم يكن لفرنسا سوى المنطقة الساحلية. وإني أكون

---

(١) راجع الوثائق المتعلقة بالعلاقات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية المجلد الخامس (١٩٤٦) - ص ٧٥٦ - ٧٦٦ - و ص ٨٠٧ - ٨١٢ وراجع أيضاً مذكرات المترجم الفرنسي الرسمي «بويل مانتوكس». «مداولات مجلس الأربعة» باريس عام ١٩٥٥ المجلد ٢ - ص ١٣٧ - ١٤٣ - و ص ١٥٩ - ١٦٤.

مسروراً إذا ما كان في النية الحفاظ على هذه الاتفاقية. وذكر بأنه يوافق على القول أن هذه الاتفاقية كانت اتفاقية رديئة، ولكنه يود أن يعلم ما إذا كانت لا تزال قائمة أم لا؟..

**فإذا كانت لا تزال سارية المفعول** فإن فرنسا ليس لها الحق برفع راية أو وضع جندي في المنطقة العربية. إنما لفرنسا الحق أن تمد هذه المنطقة بالمستشارين».

**ثم تقدم بعرض حجة ثانية - ولكنها حجة لم يكن اختيارها موفقاً من الناحية المنطقية إذ ذاك لأنها مست شعور كليمنصو** - وهي أن المجهود الحربي الذي بذلته بريطانيا لقهر الإمبراطورية العثمانية وإسقاطها كان أكثر بكثير من المجهود الحربي الفرنسي. فقد بلغ عدد الضحايا من البريطانيين أنفسهم - لا من الجنود الملونين - مئة وخمسة وعشرين ألف قتيل. أما المعونة التي قدمتها فرنسا فقد كانت ضئيلة «**لا يؤبه بها**» - «**ربما ألفي قتيل من أصل مئتي ألف جندي، أي واحد بالمئة». وأضاف لويد جورج** ملاحظة أخرى حادة في إزعاجها، مؤداها: «أنه كان من الأفضل مهاجمة تركيا من الإسكندرونة. وكان اللورد كتشنر يرغب في هذه الخطة العسكرية، غير أن الفرنسيين اعترضوا عليها وقاوموها «فلم يكن الفرنسيون في وضع يمكنهم من تحقيق هذه الخطة ولم يدعونا نحققها نحن».

«**قال كليمنصو**: **أن اتفاقية سايكس - بيكو قائمة وسارية المفعول، وأنه يتمسك بها**. فقاطعه **لويد جورج** سائلاً: «وإذا كانت الاتفاقية تشمل دمشق؟..» فقال **كليمنصو**: أنه من الطبيعي عندما تنازل عن الموصل كان يعتقد بأنه سيحصل على نصيب في دمشق وحلب حسب شروط مماثلة. وهو يعترف أن دمشق كانت في المنطقة العربية... ولو أنه لم يوافق على التنازل عن الموصل في اجتماع لندن لما كنا وقعنا في هذه الورطة التي نجد أنفسنا فيها... أن البريطانيين يحتلون المنطقة عسكرياً... وهو ليس على استعداد

لأن يقبل بالمشروع المقترح الآن... كما أنه يعتقد أن **لويد جورج** على خطأ، غير أنه سيحاول جهده ألا يتمسك بوجهة نظره لئلا يسبب ذلك سوء تفاهم بين الحلفاء...[١]».

**وكان موقف الرئيس ولسن وهو ذاك الرجل الذي يستطيع أن يتدخل لتهدئة الحال - إذا أراد - موقف إنسان لا يرغب في التدخل** أو أنه ربما لم يكن بارعاً في أساليب المداولات الدبلوماسية الأوروبية السرية لأنه كان متمسكاً تمسكاً عقائدياً متطرفاً بالمبادئ الأربعة عشر التي أعلنها قبل دخوله الحرب والتي تطابق خطابه الشهير في مونت فرنون قبل سفره إلى أوروبا وحضوره لمؤتمر باريس في ١٩١٨/٧/٤[٢].

**وقد ذكر في وقائع الاجتماع الذي عقد في ١٨ شباط ١٩١٩م** والتي كشفها الوفد الأمريكي للمؤتمر ما يلي: لم تكن هاتان الاتفاقيتان تتضمنان عن طريق الصدفة، بعض الشروط التي نعتبرها شروطاً عادلة لائقة تتفق روحاً مع المبادئ التي أعلناها» وعليه عندما كان الرئيس ولسن يشعر بالسأم المضني لدى سماعه محاجة **كليمنصو** و**لويد جورج**، وعندما كان صبره ينفذ لدى إصغائه إلى الادعاءات والادعاءات المضادة لكليهما: كان يسأل - بحسب ما جاء في الوقائع المشار إليها آنفاً - «هل لي أن أعرف ما هو الدور الذي يطلب إليَّ أن أقوم به في هذه القضية؟... لأنه هو نفسه لم يكن يستطيع أن يدرك بأي حق تتذرع فرنسا وبريطانيا العظمى لتسليم البلد إلى أي واحد من الناس».

**وبما أن لويد جورج كان يسعى لاستمالة الرئيس ولسن وللتحالف معه ضد كليمنصو، مع العلم أنه كان يقامر في تلك اللعبة بشيء لا يملكه،**

---

(١) لا زلنا نتابع محاضر الجلسة التي أتينا على ذكرها في الحاشية السابقة.

(٢) العماد مصطفى طلاس - الثورة العربية الكبرى - طبع مطامع الأكاديمية العسكرية العليا - ص ٥١١.

**أجاب فوراً**: «أنه على استعداد للرضوخ لإرادة السكان كما ستنقلها اللجنة المقترحة لإجراء الاستفتاء». ويبدو أن هذا الكلام الصادر عن **لويد جورج** أعجب الرئيس ولسن فأضاف قائلاً: لا شك في أن هذا الرأي هو رأيه أيضاً.. فإنه لم يكن يرى أن تترك هذه الشعوب لذاتها، إذ أنه يعوزهم الإرشاد والوصاية الودية الرقيقة: «**ولكن الإرشاد والوصاية ينبغي لهما أن يستهدفا صالح السكان وخيرهم لا صالح الدولة المنتدبة وخيرها**». أما **لويد جورج**، عند سماعه ملاحظة الرئيس هذه، وحرصاً منه على عدم إثارة حفيظة **كليمنصو**، وتجاوباً مع نفسه لأن **لويد جورج** لم يكن متحمساً لفكرة إرسال لجنة إلى سورية - فقد قال: «**إنه لا يمكنه أن يرسل موفدين إذا امتنع الفرنسيون عن إرسال موفدين، ولكن الأميركيين يستطيعون أن يذهبوا بمفردهم**». عندها قال الرئيس ولسن: «إن الموفدين الذين سيوفدهم هم جماعة من المحايدين لا غرض لهم ولا هوى. واقترح تأجيل البحث في هذه القضية على أن يعاد النظر فيها فيما بعد».

**وبعد تسعة أيام عقد مجلس الأربعة الكبار جلسة كانت سورية فيه على جداول أعماله**. عقد الاجتماع في **مكتب بيشون** في مقر وزارة الخارجية الفرنسية. وفي الاجتماع «قرأ **لويد جورج** برقية كان قد تلقاها من **الجنرال اللنبي** يعلمه فيها أن الموقف في سورية ينذر بالخطر الشديد ما لم يوفد مؤتمر الصلح لجنة تحقيق إلى سورية... ولذا حانت اللحظة التي يجب فيها أن تتخذ قراراً حاسماً[١]».

غير أن **كليمنصو** ظل متصلباً في موقفه، وقد قال: ما دامت سورية كلية تحت الاحتلال العسكري البريطاني فإنه من غير المجدي إرسال موفدين

---

(١) راجع نص هذه البرقية لدى سليمان موسى: المراسلات التاريخية (١٩١٩) المجلد الثاني - ص ٧٦ (الحاشية).

فرنسيين. كذلك بقي **لويد جورج** متصلباً في موقفه. وقال: «أنه لن يرسل موفدين بريطانيين إذا امتنعت فرنسا عن إرسال موفدين من قبلها....[1]».

**وقد استبشر كليمنصو** بهذا الرأي، وترك للوفد الأمريكي الفرصة للتوجه إلى بلاد الشام برئاسة الدكتور هنري تشرشل كينغ وتشارلز كرين[2].

واستمرت وزارة الخارجية تتلقى الإشارات من الممثلين البريطانيين في منطقة الشرق الأدنى وكلها تؤكد للحكومة البريطانية «**أن فيصلاً وقواته السورية ستقوم بعمل عدائي ضد فرنسا، لا بل ضد جيوشنا المتمركزة هناك**».

**وخلال شهر حزيران سعى فيصل بكل ما أوتي من قدرة** إلى حمل الإنكليز على البقاء في سورية منعاً للاحتلال الفرنسي للبلاد[3].

**ولكن الحكومة البريطانية كانت قد أوضحت بصورة لا يرقى إليها الشك بأنها لن تقبل بالانتداب على سورية** وذلك على الرغم من توسلات فيصل الملحة بأن يقبلوا الانتداب عليها. غير أن بريطانيا حاولت أن تقلل من

---

(١) راجع الوثائق المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة الخارجية السابقة الذكر. المجلد الخامس - ص ٨١٢. وراجع أيضاً كتاب بول مونتوكس المذكور سابقاً - المجلد الثاني - ص ١٤٣ و ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢) المصدران السابقان. راجع أيضاً حول لجنة كرين وما رافقها من صدامات واحتياطات وتعقيدات - الدراسة المسهبة للسيد بورغل برانت في مقالته التي نشرت في كتاب «الاستعمار والاستعمار الجديد في شمال أفريقيا والشرق الأوسط» برلين الشرقية - سنة ١٩٦٤ - ص ١٩٧ - ٢٢٥.

(٣) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية (١٩١٩) المجلد الثاني رقم ٢٦ - ص ٧٩ - ٨٠. برقية فيصل إلى اللنبي بتاريخ ١٩١٨/٦/١٢ وجواب اللنبي عليها. وراجع رقم ٢٧ - ص ٨١ برقية من فيصل إلى الجنرال اللنبي من دمشق في ١٩١٩/٦/١٤.

مخاوفه بتطمينه أن بريطانيا لن تخذله ولن تتخلى عن مناصرة قضية العرب لأنها «ترغب، بكل إخلاص، في أن تساند فيصلاً والعرب[1]».

**إن الوثائق التالية تعطينا صورة مقتضية عما وقع من أحداث رئيسة في شهر حزيران،** وعند مطلع هذا الشهر زار السفير الفرنسي السيد كرزون وتحدث له عن «الشعور المتوتر» الذي يسود العلاقات بين رئيس الوزارة الفرنسية **كليمنصو**، ورئيس الوزارة البريطانية في مؤتمر باريس فيما يتعلق بمستقبل سورية. وفي جوابه قال كرزون للسفير الفرنسي:

«**إذا كانت هناك من منطقة ينبغي لفرنسا أن تكون شديدة الامتنان في مناصرتنا لها فيا فإن تلك المنطقة هي سورية ذاتها**. إذ أن **لويد جورج** في مؤتمر باريس. لم يكتف بالتصريح العلني بأن بريطانيا لا ترغب في الانتداب على سورية ولا تقبل به في حال عرضه عليها وحسب بل إننا قد أرسلنا برقية إلى فيصل أشرنا فيها إلى موقفنا هذا».

**وموقف بريطانيا هذا أشعر به فيصل بواسطة الجنرال اللنبي** الذي بعث إليه ببرقية من القاهرة، بتاريخ ١٢ حزيران:

«**إن حكومة جلالته قد أعربت عن عدم رغبتها في قبول الانتداب على سورية، ولكنها ستعطي أهمية بالغة لنصائح لجنة التحقيق التابعة لمجلس الحلفاء والدول المشاركة**».

**ليس هناك دليل يثبت صحة ما جاء في العبارة الأخيرة من برقية الجنرال اللنبي**. والمرجح أنها عبارة أضيفت لإزالة بعض المخاوف التي كانت تساور فيصلاً. **وفي ١٤ حزيران أرسل فيصل بالجواب التالي:**

«**تسلمت برقيتكم المؤرخة بتاريخ ١٢ حزيران** وعرفت عدم رغبة بريطانيا العظمى قبول الانتداب على سورية. ولكننا جميعاً فهمنا بسرور أنها

(١) راجع خيرية قاسمية: «الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠»، مصر القاهرة، دار المعارف ط١ عام ١٩٧١م، المذكور سابقاً - ص ١٠٦ - ١٠٨.

عازمة على النظر بكل اهتمام إلى توصيات لجنة التحقيق. إن السوريين سوف يعلنون للجنة بالإجماع أنهم يرغبون في انتداب بريطانيا لا سواها، بناءً على الأسباب التي سأشرحها للمؤتمر الذي سيعقد قريباً في دمشق، والذي سيكون مؤلفاً من ممثلين لكل جزء من أجزاء سورية بدعم قوي من الرأي العام السوري. أنني أرغب في إطلاع فخامتكم على هذا كله، آملاً أن هذا الشعور الوطني، شعور المحبة المتبادلة والتقدير والثقة سيبقى بيننا إلى الأبد. ولنا الثقة التامة أن شرف بريطانيا لا يسمح بأن يُلقى هؤلاء الذي يرجون مساعدتها بين الأيدي الغريبة[1]».

---

(١) تبدو من هذه البرقية رغبة فيصل في إقناع الإنكليز بتعضيده لكبح جماح الفرنسيين. ولكن الإنكليز لم يتزحزحوا عن موقفهم. وقد بدأ التباعد بين سورية وفرنسا بعيد عودة فيصل من فرنسا عندما فرضت الأحزاب الموافقة على مشروع اتفاق كليمنصو. وفي ١٨ حزيران اجتمع فيصل وبيكو، فشكا بيكو من نشاطات أخصام فرنسا، وذكر اسم الإسكندر عمون بالذات. وقال بيكو إن فرنسا اعترفت باستقلال سورية استقلالاً تاماً لا يخضع لشروط.

وأنحى بيكو باللائمة على اللنبي وقال «إن بريطانيا تطالب بفلسطين وحوران وجبل الدروز حتى العراق». ولكن فيصلاً والسوريين كانوا قد فقدوا ثقتهم بفرنسا، أو أنهم كانوا يأملون أن تختلف الدولتان فتنحاز إحداهما إليهم. وقد ازدادت هموم فيصل نتيجة الهزيمة التي لحقت بقوات الملك حسين في معركة تربه (أيار ١٩١٩) فاضطر أن يرسل إلى الحجاز مفرزة من الجنود مع بعض المدافع والرشاشات.

وفي ٢٦ حزيران أبرق إلى اللنبي جواباً على برقية فيصل المنشورة أعلاه (بأن بريطانيا مصممة أن لا تقبل الانتداب على سورية حتى لو طلب السوريون ذلك أو حتى لو أوصت به لجنة التحقيق الأمريكية). (وطلب بلفور إبلاغ فيصل أن بريطانيا لن تضيف إلى مسؤولياتها مسؤولية الانتداب على سورية!!) (الوثائق البريطانية. المجلد ٤، رقم ٢٦) - (سليمان موسى «المراسلات التاريخية ١٩١٩» المجلد ٢ - رقم ٢٧ - ص ٨١).

**في هذه الأثناء وصلت «اللجنة الدولية المشتركة» التي طالب بها هوارد بلس،** إلى يافا كوفد أميركي، في ١٠ حزيران. وقد جاء هذا الوفد ليشكل لجنة تحقيق تنظر في **رغائب الأهلين** الحقيقية ثم ترفع تقريراً بالنتائج إلى مؤتمر الصلح. ولكن لسوء الطالع، خلق هذا الوفد مشكلات أضيفت إلى قضية شائكة كثيرة التعقيد، وذلك بحمل الناس على ترقب رجاء خائب أو على تمسكهم بأوهام زائفة. وكان الناس يترقبون وصول هذا الوفد بفارغ الصبر إذ ظنوا أنها الوسيلة الوحيدة التي يستطيعون من خلالها أن يعبروا عن أمانيهم لدى مؤتمر الصلح. وترك الوفد في نفوس الأهلين انطباعاً بأن السوريين يستطيعون أن يعتمدوا على الرئيس ويلسن وعلى الشعب الأميركي «الذي يدرك أن عليه مسؤولية تسوية الأمور بحق وعدل تحت لواء عصبة الأمم وذلك بغية الحصول على سلام دائم(١)».

**بعث الجنرال كلايتون** في الثالث والعشرين من شهر حزيران بتقرير يوجز فيه الوضع القائم في سورية حتى ذلك التاريخ. وقد جاء في التقرير:

«**إن معضلته الشاقة الآن (والكلام عن فيصل)** هي موقف بريطانيا الشاذ. فإنه بعد تحرير الأقطار التي تتكلم العربية بكثير من الدم والمال، وبعد سنوات أربع من الصداقة المستمرة بين بريطانيا والأمير فيصل والشعب العربي، يجد أن إنكلترا قد أخذت تبدي فتوراً الآن، فإنها ترفض أن تعلن ما إذا كانت ستستمر في تقديم العون، فضلاً عن أنها تترك في النفوس انطباعاً بأنها قد باعت العرب لكي ترضي مقتضيات السياسة في أوربا... ويبدو جلياً أن فرنسا تعتمد على إنكلترا والولايات المتحدة وحدها من أجل مستقبلها، وهذا أمر يعرفه الأمير جيداً، ولكنه لا يستطيع أن يفهم لماذا تخشى إنكلترا أن تقوم بأي عمل من شأنه أن يسيء إلى البلد الذي ينبغي له، منطقياً، أن يكون

---

(١) راجع الوثائق المتعلقة بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية المذكور سابقاً المجلد ٤ - ص ٢٩١ - ٢٩٢.

مستعداً قبول أية تضحيات من جانبه كي لا ينفر إنكلترا أو يصرفها عنه....».

«**إن انتداباً فرنسياً يعتبره الأهلون موتاً وهلاكاً للأمة.** فالانتداب يعني مقدم المستعمرين الفرنسيين والجنسية الفرنسية كما أنه يعني السيطرة الفرنسية. وما كان للأمير وللعرب أن يقوموا بهذه الثورة ليروا أجمل منطقة من البلاد العربية تسلم إلى الفرنسيين الذين يعتبرونهم أقرب إلى الأعداء منهم إلى الأصدقاء، والذين سيقاومونهم بقوة السلاح إذا ما حاولوا أن يمارسوا الحماية على سورية....».

«**وإذا كانت إنكلترا لا تنوي قبول الانتداب على سورية فمن الأفضل إعلان هذا الأمر بأسرع ما يمكن** وتعميمه على الملأ من الناس. أما إذا كانت إنكلترا تقبل الانتداب على سورية فإن السوريين سيكفون فوراً عن المطالبة بالاستقلال، وعن التجنيد. وإذا كانت بريطانيا قد وطدت العزم على عدم التورط في مسؤوليات جديدة في سورية... فإن سورية تريد استقلالاً تاماً ناجزاً[(١)]».

**وعندما ظهر للعيان أن بريطانيا مصممة على البقاء في العراق، شرع فيصل ومستشاروه بالتفكير بوسيلة جديدة لحملها على البقاء في سورية** وذلك باقتراح يرمي إلى توحيد البلدين، سورية والعراق: «تحت حكومة واحدة» وعليه رفع الوفد الحجازي في باريس، بتاريخ ٢٤ حزيران، إلى **لويد جورج** مذكرة مؤرخة في ٢٣ حزيران وموقعة من اللواء نوري باشا السعيد

---

(١) المرجع السابق - ص ٢٩٦ وقد صدرت جريدة «الاستقلال» الدمشقية بتاريخ ١٩١٩/٦/٢٨ في العدد ٢٣ في صفحتها الأولى بالعناوين التالية: «إرادة الشعب العربي... الشعب بأسره يطالب بالاستقلال التام الناجز بدون شرط. والاستقلال لسورية والعراق. لا انتداب ولا وصاية ولا حماية وإنما الوحدة العربية والاستقلال التام».

المعاون العسكري الأكبر للأمير فيصل، «وكانت الغاية من تقديم هذه المذكرة التدليل على ضرورة تشكيلا حكومة موحدة للقطرين العربيين المحررين سورية والعراق.. أن غالبية السكان الساحقة في سورية والعراق تتطلع إلى تشكيل حكومة واحدة تتألف من مجموعة من الدول المتحدة.. إن الرغبة التي تدفع بأولي الأمر للفصل بين سورية والعراق تقوم، إلى حد معين، على السياسة الاستعمارية التي تتبعها بعض الأحزاب في أوروبا... وأن أفضل حل لقضية العرب، وهو الحل الوحيد الذي يحظى بقبول غالبيتهم، هو تشكيل حكومة واحدة تتألف من ولايات فدرالية من نمط الفدرالية التي تتألف منها الولايات في أميركا الشمالية. ويكون لكل ولاية نوع من الحكم الذاتي الذي يتجاوب مع تقاليد السكان في تلك الولاية ومع عاداتهم ودرجة رقيهم الاجتماعي[1]».

**في الوقت الذي استمر فيه فيصل يعلل النفس بأن تُغير بريطانيا رأيها فتقبل الانتداب على سورية عبر الاقتناع الذاتي**، وعبر المواقف التي كان يقفها **الجنرالان اللنبي وكلايتون** اللذان لم يكونا مقتنعين اقتناعاً تاماً بأن إنكلترا ستتخلى كلياً عن سورية، نقول في هذه الأثناء بعث بلفور من باريس بالبرقية التالية إلى **الجنرال اللنبي** في القاهرة بتاريخ ٢٦ حزيران:

«**إن حكومة جلالته لم تحد عن رأيها** الذي عبرت عنه شفهياً بواسطة رئيس الوزراء - وأظن أن ذلك كان بحضورك - لدى **كليمنصو** وبحضور الرئيس ولسن والسنيور أورلندو من أن إنكلترا لا تقبل، بصورة ما وفي أي ظرف ما، الانتداب على سورية. وقد كررت الحكومة هذا الرأي بوضوح تام في برقية برقم ١٦، بعثت بها إلى كلايتون وجاء فيها:

---

(١) راجع الوثائق المتعلقة بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية المذكورة سابقاً المجلد ٤ - ص ٢٩٨.

«يمكنكم أن تعطوا رداً إلى الأمير فيصل بأن حكومة جلالته قد وطدت العزم على ألا تقبل الانتداب على سورية».

**«وإني لمتيقن أن فيصلاً أُطلع على هذا القرار عندما كان هنا. ولكن ليس بإمكاني الآن أن أجد سجلاً حول هذا الموضوع... ولكن... ليس هناك ما يبرر اعتقاده بأن رفضنا الانتداب يشكل تخلياً عنه نفسه، أو تلخياً عن مناصرتنا القضية العربية. إننا نرغب بكل إخلاص أن نناصره وأن نساعد العرب أيضاً[1]».**

**وهكذا يكون الفرنسيون قد أحرزوا انتصاراً آخر على طريق تحقيق مطامحهم في سورية**: إن بريطانيا قد وطدت العزم على التخلي عن انتدابها على سورية.

**والواقع أنه في الثاني من تموز بعث السيد بلفور من باريس بمذكرة إلى لويد جورج** حول موضوع «**توزيعات الممتلكات التركية**» جاء فيها تبيان وجهة نظره الخاصة التي كان قد عبر عنها أكثر من مرة واحدة وعلى وضع تدبير جديد لتسوية «القضية التركية» قال بلفور: «اسمح لنفسي أن أعيد باقتضاب جوهر التسوية»:

«**أولاً**: إن الأقطار التي تقطنها الشعوب الناطقة بالعربية ينبغي فصلها نهائياً عن تركيا ووضعها تحت الانتداب. أما الدول التي ستتولى الانتداب عليها فأمر يتفق عليه فيما بعد».

«**ثانياً**: ينبغي أن يكون الانتداب على سورية لفرنسا والانتداب على العراق لبريطانيا. وعلى فلسطين للأميركيين، ويكون الانتداب على القوقاس ربما من نصيب إيطاليا».

«**ثالثاً**: ينبغي أن يشمل الانتداب الفرنسي الاسكندرونة. ومهما يكن من أمر فاني أكون آسفاً أن أرى منطقة الانتداب الفرنسي تمتد غرباً على محاذاة

---

(١) المصدر السابق. الوثائق - ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

شاطئ الأناضول وذلك ليس لأني ضنين بها على الفرنسيين، ولكن لأن كل ربح يحصل عليه الفرنسيون في شرقي المتوسط سيكون ممسكاً لدى الإيطاليين ليتقدموا بمطالب جديدة».

«**هذه هي الخطوط العريضة لإعادة تنظيم الممتلكات العثمانية خارج أوروبا** والتي أرى أن أرفعها إليكم كتوصية. وإذا كان بالإمكان الجمع بين هذا المخطط وتسوية جميع القضايا الثانوية التي تشكل حيناً بعد آخر نقاط خلاف بين الفرنسيين والإيطاليين والبريطانيين في أفريقيا وفي الشرق، وإذا كان الحل سيسفر بالتالي عن زوال التحاسد والتنابذ والخداع بين الدول الحليفة، فإن هذه الدول الثلاث المتحالفة، والعالم بأسره سيجني منافع جمة. هذا وأني لا اعتقد أن تحقيق مثل هذه التسوية أمر بعيد المنال كلياً، وإذا ما أردنا له النجاح فينبغي لنا أن نشرع فوراً في العمل لأجل تحقيقه[١]».

**وعلى الرغم من رفض بريطانيا الاشتراك في لجنة التحقيق**، وعلى الرغم من إصرارها على عدم قبول الانتداب على سورية، فإن مخاوف فرنسا من عدم الاعتراف بالحقوق التي تدعيها في سورية لم تخف بشكل من الأشكال «فقد اتهم الضباط الإنكليز والموظفون البريطانيون في الشرق الأدنى علناً أنهم يحاولون التأثير في السكان ضد فرنسا» وكان الرأي العام الفرنسي، الذي كان دوماً يتطلع بشوق ناحية سورية، يرى في استمرار الاحتلال البريطاني عاملاً مشؤوماً، عاملاً كان السبب الذي حال دون استحالة حلم وطني رومنطيقي إلى حقيقة هانئة مرغوب فيها[٢]:

«**هناك بعض نقاط لا يتنازع في صحتها، منها**: الرغبة الشديدة في توحيد سورية بأكملها مع فلسطين، ونيل الاستقلال في أقرب وقت مستطاع.

---

(١) راجع تمبرلي «تاريخ مؤتمر السلام في باريس» المجلد ٦. لنـــدن. ١٩٢٠ - ١٩٢٤. المجلد السادس - ص ١٥.

(٢) راجع الوثائق المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية المذكور سابقاً - مجلد ١٢ - ص ٧٤٩.

تعبير عنيف عن الشعور الوطني لم نكن نتوقعه. رفض جازم لفكرة جعل البلاد مستعمرة لأية دولة، ورفض جازم لفكرة الانتداب الفرنسي. نستثني من هذا القول الشعور الذي لمسناه لدى أحزاب لبنانية قوية تطالب بفصل لبنان فصلاً تاماً، وبالتعاون مع فرنسا[١]».

**عندما بلغ صخب الحزب الاستعماري الفرنسي** المطالب بسورية حداً من العنف. وبعد أن بدا أن الخلاف حول سورية سوف يهدد التحالف القائم بين فرنسا وبريطانيا، وضع بلفور، وهو بعد في باريس، مذكرة «حول سورية وفلسطين والعراق».

**إن هذه المذكرة وما انطوت عليه من نفاذ في التحليل لجوهر القضية،** ومع عرض واضح للدوافع السياسية، ومن صراحة في الاعتراف بأنه «لا يمكن» الوفاء بالوعود التي قطعها الحلفاء للعرب وفاء يتفق حرفياً مع النص، ومن شجاعة في مجابهة الحقائق في وضع دقيق مستقبح، نقول أن هذه المذكرة وما انطوت عليه تحتل بين الوثائق المتعلقة بالعلاقات البريطانية الفرنسية العربية مرتبة بارزة. **ونكتفي منها باقتباس الفقرات التالية:**

**«إن الأثر الذي تحدثه المشكلة السورية في العلاقات البريطانية الفرنسية أمر يحملني على القلق الشديد - قلق لا يخفف من إزعاجه أن ما قيل علناً عن المشكلة هو قليل، وأن ما يلمح إليها كثير.. وهذه الحقيقة المؤلمة تزيد من مخاوفي، اعني أن كلاً من فرنسا وإنكلترا وأمريكا تجد نفسها في وضع مضطرب معقد بسبب الورطة السورية بحيث لا أرى أن أحداً من الدول سيخرج منها بحل مرضي رتيب».**

**ثم إن المذكرة تتابع بحث المصاعب الناشئة عن الاتفاقيات السرية** التي عقدت في أثناء الحرب، وتركز بصورة خاصة على اتفاقية **سايكس** -

---

(١) راجع وثائق سياسة بريطانية الخارجية المذكور سابقاً - السلسلة الأولى - المجلد ٤ - ص ٣١٨ - ٣٢٠.

**بيكو**. ويرى بلفور أن الذين وضعوا نصوص هذه الاتفاقية «كان منطلقهم من أن لفرنسا حقوقاً قديمة ومطامح في الجزء الغربي من سورية، وإن لبريطانيا مطالب واضحة المعالم في بغداد وفي جنوبي العراق... هؤلاء الذين وضعوا نصوص الاتفاقية لم يخطر قط ببالهم أنهم يعالجون شؤون ثلاثة: دولة قائمة لا تحتاج سوى إلى «اعتراف مؤقت» بها، ولا يعوزها سوى إزالة الأتراك من الوجود، والمشورة التي تسديها دولة منتدبة، وشيء من الوقت يمكنها من «الوقوف على أرجلها وحدها». كما أنه لم يخطر قط ببالهم أنه كان عليهم أن يعالجوا شؤون دول أو أمم عصرية بالمفهوم الغربي لمعنى الدولة أو الأمة أو الأمم.

**ويعترف بلفور** «بأن الوفاء بجميع الوعود التي صرحنا بها وأعلناها أمر لا يمكن تحقيقه. **أولاً**: لأنها وعود يناقض بعضها بعضاً. **ثانياً**: لأنها تناقض الحقائق... وكجزء من مشروع حل جديد يقترح بلفور «الإبقاء على المبادئ الأساسية التي تنطوي عليها اتفاقية **سايكس** - **بيكو** أي أن يكون لفرنسا منطقة نفوذ في سورية، ومنطقة نفوذ لبريطانيا تقع بين النهرين دجلة والفرات، وأن يكون لليهود وطن في وادي الأردن[1]».

**في هذه الأثناء استمرت الصحافة الفرنسية طوال شهر آب في حملتها المعادية لبريطانيا وذلك بسبب المشكلة السورية**. أما الوزارة البريطانية التي كانت هذه الهجمات الفرنسية قد أزعجتها فإنها بعثت بتعليمات السير. ج. غراهام لكي يطلب مقابلة السيد بيشون، وزير الخارجية الفرنسية، ويحاول أن «يزعزع إيمانه فيما يتعلق بالنشاط المعادي لفرنسا الذي يقوم بها الموظفون البريطانيون في سورية». ولكن **إيمان بيشون** لم يتزعزع. فبعث السير **غراهام بتقرير إلى اللورد كرزون جاء فيه**:

---

(١) وثائق السياسة البريطانية الخارجية. السلسلة الأولى المجلد ٤، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

«**قال السيد بيشون، في بادئ الأمر، بشيء من الحدة والغضب**، إن الملفات التي في متناوله مليئة بالتقارير عن الدعاية المعادية لفرنسا التي يقوم بها عملاء بريطانيون وسوريون. وقال أنه يتلقى مثل هذه التقارير كل يوم تقريباً، وهي تشكل أدلة ثبوتية يستحيل دحضها. وهذه التقارير مسهبة ينسجم الواحد منها مع الآخر بحيث لا يمكن للحكومة الفرنسية إلا أن تقبلها على أن تقوم على أساس من الصحة.. وهنا قاطعت سعادته لأقول له.. إن الحكومة الفرنسية لعلى خطأ جسيم إذا هي كانت تعتقد أننا نعمل ضدها في سورية.... غير أن بيشون أصغى إلى كلامي ولكنه تشبث بموقفه من أن معلومات تختلف عن المعلومات التي لديَّ تصله من مصادر وأماكن مختلفة لا يمكنه أن يتغاضى عنها(١)».

**كما أن السيد بيشون كان أيضاً مقتنعاً بأن حكومة جلالته** «**ليست مطلعة** الإطلاع الكافي على الشعور الملتهب في فرنسا بالنسبة إلى سورية» وبالنسبة إلى «المصالح الحميمة» التي يربطها الشعب الفرنسي بهذه القضية. «وإذا تعرضت الحكومة الفرنسية إلى الاتهام بأنها تتقاعس في قضية حماية المصالح الفرنسية فإنها ستخذل وتسقط، ولن تستطيع الحصول على عشرة أصوات في الجمعية العمومية إذا هي حاولت مقاومة هذا الشعور أو عارضته...(٢)».

## ثامناً - الاتفاق على اقتسام الضحية:

لقد أعطى مجلس الوزراء البريطاني **اللورد كرزون** صلاحية مطلقة في تسوية القضية، **عندما بدا للحكومة البريطانية أنها لن تتمكن حتى منتصف**

---

(١) المصدر السابق - ص٣٥٠.

(٢) المصدر السابق - ص ٣٥٠.

**شهر آب من إيجاد أساس لحل المسألة الشرقية** فقد جاء في رسالة بعث بها اللورد كرزون، في العشرين من آب. إلى زوجته اللايدي كرزون: «لقد كلفني مجلس الوزراء، برئاسة رئيس الوزراء، بالإجماع، هذا الصباح عند نهاية جلستنا الثالثة - والتي دامت ثلاث ساعات ونصف الساعة - أن أتوجه إلى باريس لمعالجة المسألة الشرقية، وقد أولاني صلاحية مطلقة أن أسوي القضية على أي شكل أرتضيه[١]».

**في الحادي والثلاثين من شهر آب بعث فيصل ببيان وجهه إلى رئيس أركان حرب القوات البريطانية العاملة في مصر**، وإلى ضابط الارتباط السياسي في دمشق. وقد يكون هذا البيان، بلغته البسيطة الواضحة، أفضل عرض موجز للقضية العربية. يقول فيصل في هذا البيان[٢]:

**أنني أود أن أوضح آرائي حول التطورات الأخيرة:**

عندما بدأت الحرب الأخيرة، أعلنت بريطانيا أنها لا تحارب العرب ولا تحارب الإسلام، ولكنها تحارب تلك المجموعة من الأتراك التي تنتمي لجمعية الاتحاد والترقي. التي جاءت بالألمان (أعداؤنا). إلى بلاد الدولة العثمانية.

**وتلقى أبي الملك حسين رسالة من السير هنري مكماهون المندوب السامي في مصر**، على يد رسول معيّن. وفي تلك المرحلة أعطى المندوب السامي وعداً بأن بريطانيا العظمى سوف تساعد العرب، إذا انحاز هؤلاء إلى جانبها وربطوا مصيرهم بمصيرها.

**وبناء عليه، واعتماداً على هذا الوعد، فإن والدي حمل السلاح ضد الأتراك**، الذين كانوا قد أعلنوا حينذاك الجهاد ضد الحلفاء بوجه العموم وضد بريطانيا العظمى بوجه الخصوص، وتقبل بملء إرادته مسؤولية الحرب.

---

(١) راجع كتاب أيرل أو ف رونالدشي: «حياة اللورد كرزون» المجلد ٣ - ص ٤ - ٢.

(٢) راجع سليمان موسى: المراسلات التاريخية (١٩١٩) المجلد الثاني - رقم ٣٣ - ص ٨٧ - ٩٠.

**والآن، وفي هذه الفترة، عندما تبدو التسوية النهائية قريبة جداً**، في هذا الوقت الذي يجد فيه صوت بريطانيا العظمى آذاناً صاغية أكثر من أي صوت آخر في العالم، تتجه أنظار المسلمين إلى البريطانيين والعرب لكي تشاهد ماذا ستكون مكافأة العرب، الذين كانوا الأداة الرئيسية في تدمير الإمبراطورية العثمانية المسلمة.

**إن أبي لم يطالب بريطانيا العظمى بالوفاء بوعودها**، ولا يرغب أبي ولا أرغب أنا أيضاً أن نذكّر بريطانيا بما بيننا من تفاهم والتزامات. لقد اعتزمنا أن ننتظر، اعتقاداً منا بأن شرف بريطانيا العظمى يكفي لتذكيرها بالتزاماتها[١].

**يُعرف عن المسلمين شدة تمسكهم بدينهم**، وكل مسلم يعتقد أن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن تكون في حماية خليفة أو حاكم مستقل، فإذا لم يتحقق هذا الشرط فإن المسلم يشعر بأن جانباً مهماً من أحكام الدين والشريعة ما يزال غير مكتمل. وأي مسلم يشعر بأن الأماكن المقدسة في خطر أو لا تحظى بالحماية الكافية على يد حاكم مسلم مستقل، فإنه يعتبر نفسه مضطراً لمحاولة إنشاء تلك الحكومة المستقلة. وإذا تبين أن سير الأحداث يعترض سبيل هذه الحاجة الحيوية، فإن الشعور الديني سوف يتحرك في أعماقه وسيجد نفسه مرغماً على البحث عن علاج».

«**والآن نأتي إلى النقاط التالية**: سوف يسعى المسلمون لتشكيل حكومة حسب الخطوط المذكورة، وهم بطبيعة الحال سوف يواجهون مقاومة من قبل الدول الكبرى. وهذا سيؤدي إلى نشوب القتال الذي سيستمر. وبالإضافة إلى هذا. فبما أن الأكثرية الساحة من المسلمين في العالم خاضعون لحكم بريطانيا العظمى، فإن هذه الدولة سوف تكون الهدف لكراهية المسلمين».

---

(١) العماد مصطفى طلاس - الثورة العربية الكبرى ص ٥٢٨.

**«ونحن العرب، لقد كنا في السابق مع الأتراك ثم قمنا نحارب ضدهم،** لا بقصد تجزئة بلادنا وإعطاء جانب منها إلى فرنسا وجانب آخر إلى بريطانيا. ليس في مقدورنا أن نتحمل تلك الإهانة على صفحات التاريخ ولا في عيون العالم الإسلامي. وإن أسرتنا على وجه التخصيص، لا تستطيع الصبر على هذه اللطخة في تاريخها، ولسوف تنسحب».

**«أما أنا شخصياً فلن أنسحب، بل سآخذ دوراً في الدفاع عن مبادئنا، لعلمي أن هذا أمر مؤكد مهما كانت الوسائل وأن أوانه قد حان. وعندما يبدأ عمل دفاعي كهذا في بلاد يعرف عنها العالم كله الإخلاص والولاء، فليس هناك من شك في أن العالم الإسلامي في الخارج سيكون من رأيه أن العرب خذلوه ولحق بهم الغدر».**

«وكان من جراء الاتفاق الذي تم في الثالث عشر من أيلول أن عقد الرؤساء الخمسة لوفود الدول العظمى اجتماعاً في مكتب **كليمنصو** في وزارة الحربية في باريس يوم الخامس عشر من أيلول».

«**قال المسيو كليمنصو رئيس وزراء فرنسا** أنه علم أن من المقرر وصول الأمير فيصل إلى مرسيليا يوم ١٦ أيلول، وأنه أعطى تعليمات مشددة تقضي بأن يسافر الأمير فيصل مباشرة إلى لندن، وأن الضابط الفرنسي المرافق له سوف يفترق عنه في كاليه».

«**وتساءل المستر لويد جورج** عما إذا لم يكن المسيو **كليمنصو** راغباً في الاجتماع بالأمير فيصل عند مروره بباريس».

«**قال المسيو كليمنصو** أنه فهم أن المستر **لويد جورج** يرغب في الاجتماع بالأمير في الحال، دون أن يبقى في باريس أثناء مروره، أن ذلك هو السبب في الأوامر التي أصدرها».

«**قال المستر لويد جورج** أنه قد حدث شيء من سوء الفهم حول هذا الأمر. وإنه لم يطلب من المسيو **كليمنصو** إلا أن يسهل رحلة الأمير فيصل

ويساعد على سرعة سفره، لأنه كان قد بلغه أن هناك إضراباً في مرسيليا يمكن أن يؤدي إلى تأخير سفره، وليس عنده أقل مانع أن **يقضي الأمير** بعض الوقت في باريس قبل أن يواصل سفره إلى لندن، ولسوف يسره جداً إذا ما **اجتمع الأمير بالمسيو كليمنصو**. وقال أنه شخصياً تسلم برقية من بور سعيد مفادها أن الأمير أبحر يوم السبت (٩/١٣)، ويعتقد أنه سافر إلى مالطا على ظهر السفينة البريطانية (سبيدي)».

«**قال المسيو كليمنصو أنه بموجب الأوامر التي أصدرها قبلاً، فإن الأمير فيصل سوف يسافر مباشرة إلى كاليه**».

**(وبعد أن بحث المجتمعون في عدد من المسائل الأخرى، عادوا إلى بحث موضوع سورية وكيلكيا)**.

«قال المستر **لويد جورج** أنه فيما يتعلق بتركيا فمن المستحيل في الوقت الحاضر بحث مسألة الانتدابات، وكل ما يمكن بحثه بصورة مجدية هو موضوع الترتيبات لاحتلال المناطق المختلفة عسكرياً. ولقد بحث هذا الموضوع مع المسيو **كليمنصو** يوم السبت ١٣ أيلول وسلم إليه (مذكرة) وهي المذكرة التي يقدمها الآن للمؤتمر. (قدمت نسخ من المذكرة إلى أعضاء الوفود)».

«**عندئذ تحدث المستر لويد جورج** فلخص ما تتضمنه المذكرة. وقال إن القوات البريطانية سوف تنسحب من سورية ابتداءً من أول شهر تشرين الثاني. وبموجب اتفاقية **سايكس - بيكو** فإن دمشق وحمص وحماه وحلب قد أدخلت ضمن نطاق الدولة العربية. وبناء عليه فإنه يقترح أن تسلم القوات البريطانية حاميات هذه المدن إلى الأمير فيصل. أما في أجزاء سورية الأخرى إلى الغرب من خط **سايكس - بيكو** فإن الحاميات سوف تسلم لقوات فرنسية. وفي الحالة الأولى فإن القوات البريطانية سوف تنسحب إلى الخط الذي تتصور الحكومة البريطانية أنه يشكل الحد الفاصل بين سورية والعراق

من جهة، وبين سورية وفلسطين من جهة أخرى. هذه الخطوط سوف تكون خطوط الحدود المؤقتة، بانتظار الاتفاق على تعيين حدود دائمة»[١].

«**لقد اتخذ (لويد جورج) على عاتقه مسؤولية دعوة الأمير فيصل إلى أوروبا،** لأن الحكومة البريطانية عقدت اتفاقيات معينة مع الملك حسين، وبناء على تلك الاتفاقيات فإن الملك حسين بذل معاضدة قوية لقواتنا. وبناء على تلك الاتفاقيات فإن العرب ضايقوا الأتراك مضايقة عظيمة وشاغلوا ثلاثين أو أربعين ألفاً من جنودهم مشاغلة مستمرة. ومنحونا مساعدة مادية كبيرة في فتح البلاد. لقد وفى العرب بتعهداتهم ونحن ملزمون بأن نفي بتعهداتنا. لقد ظهرت في الصحف الفرنسية أقوال مؤداها أن الحكومة البريطانية لم تنبئ الحكومة الفرنسية بالتزاماتها اتجاه العرب. ونتيجة لتلك الأقوال فقد وعد المسيو **كليمنصو** بأن يسلمه وثيقة توضح هذه النقطة».

«**وهنا سلم المستر لويد جورج** للمسيو **كليمنصو** وثيقة أعدتها وزارة الخارجية البريطانية، حول ما إذا كانت الحكومة الفرنسية قد تبلغت أمر الالتزامات التي عقدتها الحكومة البريطانية مع **الملك حسين**».

«**وواصل المستر لويد جورج** حديثه فقال (إن اتفاقية **سايكس - بيكو** وضعت أيضاً على أساس التزامات الحكومة البريطانية نحو العرب). وفي الحقيقة فإن الأمير فيصل أعلن أن الحكومة البريطانية أعطت لغير العرب في اتفاقية **سايكس - بيكو** شيئاً كان العرب قد حصلوا على وعد بأن يكون لهم، ولكن الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تقبل وجهة النظر هذه، وهي تشعر بأنها تستطيع بالتأكيد أن تقنع الأمير فيصل في هذا الأمر. أن الحكومة البريطانية في مراسلاتها مع الملك حسين، أوضحت دائماً أنها تعتبر أن البلاد الواقعة إلى الغرب من مدن دمشق وحمص وحماه وحلب ليست عربية الصبغة. وهو يأمل أن يوضح للأمير فيصل أن هذه النقطة أوضحت كل

---

(١) العماد مصطفى طلاس - الثورة العربية الكبرى - مصدر سابق - ص ٥٣٢.

الإيضاح لوالد الأمير في الرسائل التي أرسلتها الحكومة البريطانية إليه. وعلى أية حال فقد كان من الضروري استدعاء الأمير فيصل إلى أوروبا، حتى يتمكن من إبلاغه بانسحاب القوات البريطانية، كما قام بإبلاغ ذلك للحكومة الفرنسية».

«**قال المسيو كليمنصو**: (إن حل المشكلة التركية يجب البحث فيه من جميع وجوهه، وإذا لم يبحثوا هذا الموضوع ككل فإن مصاعب كبيرة سوف تواجههم. وفيما يتعلق بالنقطة الأولى التي ذكرها المستر **لويد جورج**، فإن الرئيس ويلسون أعلن دائماً أنه سوف يتمكن من إعلان موقف أمريكا بشأن الانتدابات في أواخر أيلول أو في تشرين الأول. وفي رأيه الشخصي. أن مدة ستة أسابيع لا تشكل فرقاً مادياً وهو نفسه قد قرأ مذكرة المستر **لويد جورج** وهو بسبيل إعداد جواب عليها».

«**وعلى أية حال فإنه لم يجد حتى الآن متسعاً من الوقت لقراءة الوثيقة** التي سلمت إليه هذا الصباح، فيما يتعلق بالتصريح الذي أُعطي للعرب وإعلام الحكومة الفرنسية بمحتويات ذلك التصريح. وفي رأيه، أن مسألة إنشاء إمبراطورية عربية تثير مصاعب كثيرة وعلى الحكومات المعنية أن تأخذ الوقت الكافي للنظر في هذه المسألة. وهو يرغب أن يعلن أنه يحتفظ بحقه أن يبحث مذكرة المستر **لويد جورج** بمزيد من التفصيل وإمعان النظر».

«وبعد نقاش بين **لويد جورج** و**كليمنصو** حول انسحاب القوات البريطانية اتفق الطرفان على ما يلي»:

١ - **وافق المسيو كليمنصو بالنيابة عن الحكومة الفرنسية** على قبول مقترحات المستر لويد بشأن انسحاب الجيش البريطاني من سورية وكيليكيا، وحلول القوات الفرنسية مكانه في كيليكيا وفي سورية غربي خط **سايكس - بيكو**. وقد رافق هذا القبول شرط واضح محدد وهو أن الحكومة الفرنسية بقبولها الاقتراح لا تلتزم بقبول أي جزء آخر من التدبير الذي اقترحه المستر

**لويد جورج** في مذكرته المؤرخة في ١٣ أيلول أيلول ١٩١٩، «بشأن احتلال سورية وفلسطين والعراق حتى يتم التوصل إلى قرار حول الانتدابات».

«**٢ - لقد أخذ المؤتمر علماً بالاتفاقية المشار إليها أعلاه كتدبير ذي صفة مؤقتة تماماً يتعلق بالاحتلال العسكري لا غير**، دون أن يكون لها أي تأثير على التسوية النهائية للانتدابات أو الحدود، وهي مسائل يجب أن يتم بحثها كجزء من الموضوع العام لعقد الصلح مع تركيا(١)».

وصل فيصل لندن في ١٨ أيلول، وفي اليوم التالي دعاه رئيس الوزارة ليحضر اجتماعاً في مقر رئيس الوزارة في دوننغ ستريت (Downing Street) بغية حمله على قبول الاقتراح المتعلق بالاحتلال الذي تم الاتفاق عليه في باريس. وما أن سمع فيصل رسمياً بمضمون الاتفاقية التي تمت في الثالث عشر من شهر أيلول بين الفرنسيين والبريطانيين حتى قدم احتجاجاً معترضاً على ذلك بكل ما أوتي من قوة».

**وقد أوضح الأمير فيصل امتنان أبيه جلالة الملك حسين وامتنانه هو شخصياً**، بالإضافة إلى امتنان الأمة العربية إلى رئيس الوزراء نفسه **وللفيلد مارشال القائد العام وللأمة البريطانية**، لجميع ما فعلوه. وبما أن هذا الموضوع يعتمد عليه مستقبل الأمة العربية كله، فإنه يود إبداء ملاحظات معينة، عندما بدأت الثورة في أول الأمر ضد الأتراك لم يكن العرب يعرفون إلا دولة عظمى واحدة هي بريطانيا العظمى، التي تصرف ممثلها بالنيابة عن المستر اسكويث (رئيس الوزراء البريطاني ١٩٠٨ - ١٩١٦) الذي لم يعرفه الأمير معرفة شخصية. لم تكن هناك أية علاقة لا لفرنسا ولا للولايات

---

(١) في هذا الاجتماع مثل الولايات المتحدة بولك، ومثل إيطاليا تيتوني ومثل اليابان ماتسوي. المصدر: الوثائق البريطانية السلسلة الأولى (١٩١٩ - ١٩٣٩، المجلد الأول، لندن، ١٩٤٧)، راجع سليمان موسى: «المراسلات التاريخية» المجلد الثاني رقم ٤٤ ص ١٠٥ - ١٠٨.

المتحدة الأمريكية ولا لأية دولة أخرى من الدول الكبرى. بالاتفاقية التي دخل أبوه طرفاً فيها. ونتيجة لذلك. عقد أبوه اتفاقية معينة مع بريطانيا العظمى، وهي الاتفاقية التي تنتج عنها قيام العرب بالثورة ضد تركيا، اعتماداً منهم على العهد الذي قطعته لهم بريطانيا العظمى. كان العرب أمة صغيرة جداً، ولكنهم فعلوا أقصى ما في وسعهم في الحرب. **(وهنا قال رئيس الوزراء مقاطعاً: صحيح تماماً)**. وكان يحدوهم الأمل التام بأن بريطانيا العظمى سوف تساعدهم على تحقيق مطامحهم. والآن يود أن يطرح السؤال التالي[1]:

- **ألا تزال بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية**، أي الدول الكبرى، تحافظ على الأقوال التي تلفظت بها للأمم الصغيرة؟.. وبصورة خاصة: ألا تزال تحافظ على التصريح الإنكليزي الفرنسي الذي أعلن بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩١٨؟.

إنه يود أن يعرف فيما إذا كان هذا التصريح ما يزال قائماً ومعتبراً أنه يود أن يقول أن أباه لا علاقة له بمؤتمر الصلح، ولكن هناك اتفاقيات معينة عقدها مع بريطانيا العظمى، أما فيما يتعلق بالترتيبات الجديدة المقترحة **فإنه يود أن يطرح سؤالين:**

١- **هل سيستمر دفع المساعدة المالية من الخزينة البريطانية، أم لا؟.**

٢- **هل سيستمر القائد العام في ممارسة صلاحياته في المناطق التي ستنسحب منها قواته؟.**

إنه يوجه السؤال الأخير لأن القائد العام، عندما رفع السوريون العلم العربي في مدن الساحل وأعلنوا بالفعل ولاءهم للحكومة العربية، عمد إلى تجزئة البلاد إلى مناطق وأصر على انسحاب العرب إلى مناطق معينة على أساس أن الإجراء الذي اتخذه ما هو إلا ترتيب مؤقت. لذلك، فمن المهم معرفة ما إذا كان سيستمر في ممارسة صلاحياته أم لا.

---

(١) العماد مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، مصدر سابق، ص٥٣٦.

**قال رئيس الوزراء**: إنه من الأفضل أن يجيب عن هذه الأسئلة في الحال. ففيما يتعلق بالسؤال الأول عما إذا كانت بريطانيا العظمى ما تزال متمسكة بتعهداتها للملك حسين - فالجواب هو أن بريطانيا العظمى تتمسك وتلتزم بكل تعهد من تلك التعهدات. حقاً لقد وفت القوات العربية بقسطها من الالتزامات تجاه بريطانيا العظمى، ويجب علينا نحن أن نفي بقسطنا. لقد هوجمت بريطانيا العظمى لهذا السبب مهاجمة عنيفة إلى حدٍ ما في الصحافة الفرنسية. وأنه كان شديد الاهتمام بالاجتماع مع الأمير فيصل لأن بريطانيا العظمى كانت تقوم بالوفاء بتعهداتها، وهو كثير الامتنان للأمير فيصل لمجيئه إلى هذه البلاد. وهو يوّد أن يوضح للأمير أن الترتيبات المتعلقة بالاحتلال العسكري يجري تنفيذها طبقاً للعهود المقطوعة.

**قال الأمير فيصل أن لديه ما يقوله حول هذه التعهدات.** فهناك أولاً المعاهدة التي تم عقدها مع ملك الحجاز، ثم كانت هنالك رسالة تمهيدية. وبعد ذلك جاءت المذكرة المؤرخة في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ التي أشير فيها إلى مصالح فرنسا. وهناك المذكرة الرسمية التي بعث بها ملك الحجاز والتي تنص على أنه لا يوافق على تغيير الاتفاقية الأصلية، وأنه إذا أُجري فيها أي تغيير فإنه سوف ينسحب، ووعد أن يقدم نسخة من هذه المخابرة.

**قال رئيس الوزراء أن هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها عن وجود اتفاقية قطعية مع الملك حسين**، غير المراسلات التي أشار إليها سابقاً. وعلى أية حال فقد أبلغه الكولونيل كورنواليس أنه يعلم بأمر الرسالة التي بعث بها جلالة ملك الحجاز إلى السير هنري مكماهون، وقال أن السير هنري مكماهون أجاب على تلك الرسالة بأنه يتمسك بما جاء في رسالته المؤرخة في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥. وقد عاد ملك الحجاز إلى تكرار مطالبة ثانية، ولكن الرأي قرّ على عدم ضرورة إرسال جواب إليه.

**قال الأمير فيصل أن مجموعة المراسلات كلها سوف تقدم رسمياً لرئيس الوزراء** وهو على يقين بأن أباه أرسل تلك الرسالة الأخرى التي أكد فيها أنه لا يقبل مطلقاً بإدخال أية تعديلات على الاتفاقية الأصلية.

**وأخيراً قال الأمير فيصل** أنها هذه المرة الأولى التي يبلغ فيها بمحتوى الاتفاقية المقترحة وهو يرغب بأن يقدم احتجاجاً رسمياً ضد الترتيبات المقترحة الآن. وفي اعتقاده أن تلك الترتيبات يصعب تنفيذها كما يرغب بأن يعتبر احتجاجه رسمياً. وعندما ينزل أول فرنسي على أرض الشاطئ فستكون تعبئة عامة، وكل رجل سيحمل السلاح في وجوههم.

**فقال رئيس الوزراء** أنه يأسف أشد الأسف لسماعه هذا التصريح، ولكنه أعطى كلمته ويجب أن يتمسك بها. لقد أعطت بريطانيا العظمى كلمتها للملك حسين وللجمهورية الفرنسية، ويجب أن تتمسك بالكلمة التي أعطتها لكلا الجهتين.

**وانفضّ الاجتماع بعد التوصل إلى الترتيبات التالية:**

**١ - تعقد اللجنة الوزارية اجتماعاً في الساعة ١١,٣٠ من صباح يوم الاثنين (٢٢ أيلول) في وزارة الخارجية.**

**٢ - يجتمع الفيلد مارشال اللنبي بالأمير فيصل في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاثنين، في وزارة الخارجية[١].**

**في الحادي والعشرين من أيلول بعث فيصل برسالة مطولة إلى لويد جورج** علق فيها على المذكرة التي قدمها له رئيس الوزارة البريطانية في الاجتماع السابق، والتي تضمنت فحوى الاتفاق الذي تم بين بريطانيا وفرنسا في الثالث عشر من أيلول، وطلب إلغاءها إلغاءً تاماً. وقد شجبها قائلاً: (**أنها**

---

(١) سليمان موسى: المراسلات التاريخية (١٩١٩) المجلد الثاني رقم ٤٥ - ص ١١٢ - ١٢٢.

**ردة إلى سياسة الاستعمار الغاشمة)**، وحذر رئيس الوزارة من أن العرب سيدافعون عن وحدتهم وكيانهم بكل ما أوتوا من قدرة وتتصل من كل مسؤولية تجاه الحكومة البريطانية، وتجاه العالم بأسره. وختم رسالته بقوله أنه من الأفضل كثيراً الإبقاء على الوضع كما هو الآن. أو سحب جميع الجيوش الأوروبية إلى أن تتم التسوية النهائية. «إذا كان لا بد من انسحاب الجيوش البريطانية في سورية». وكتب فيصل في رسالته إلى **لويد جورج**: «**لماذا لا تنسحب أيضاً سائر الجيوش الأوروبية وتترك المسؤولية للحكومة العربية المستعدة لقبول تلك المسؤولية لدى الحلفاء والدول المشتركة معهم، لحماية الأمن العام في البلاد ريثما يبرم مؤتمر السلام قراره بشأن مصير سورية؟**»[١].

وبعد يومين، أي في ٢٣ أيلول، بعث فيصل بمذكرة إضافية إلى رئيس الوزارة البريطانية يعلمه فيها أنه علاوة على المذكرة التي قدمها إليه بالأمس يعرض عليه ما يلي:

«**طلب مني بالأمس** - القائد العام للجيوش المتحالفة في الشرق - أن أبحث معه موضوع انسحاب الجيوش البريطانية من البلاد. وقد أنبأت فخامته بأنني أرفض البحث في هذا الموضوع، وبينت الأسباب الموجبة لذلك الرفض».

«**وها أني أذكر فخامتكم** أيضاً بأن الجنرال البريطاني في بيروت عندما أجبر القوات العربية على الانسحاب من المنطقة الساحلية كتب لقائدها العربي اللواء شكري باشا بأن الموجب لهذا التغيير عسكري محض ومؤقت، إلى إن يصدر قرار مؤتمر السلام بشأن مستقبل البلاد».

---

(١) سليمان موسى: المذكرات التاريخية - المجلد الثاني (١٩١٩) رقم ٤٩ و ٥٠ - ص ١٣٠ - ١٣٧.

**إن القوات البريطانية هي التي تولت بنفسها إنزال الإعلام العربية** ولقد أقنعني بالموافقة على انسحاب قواتنا من السواحل وإنزال الإعلام العربية التي رفعها الأهلون على بنايات الحكومة وفي أماكن أخرى - ثقتنا بشرف الجيش البريطاني وتصريح فخامة القائد العام في برقية أرسلها إلي مؤكداً أن البلاد جميعها سوف تبقى تحت إمرة القائد العام حتى تتم التسوية النهائية.

**ولهذه الأسباب أطلب أحد أمرين:** إما عودة قواتنا العربية إلى المواقف التي احتلتها في السواحل، وفي تلك الحالة أتعهد بتحمل المسؤولية التامة عن حفظ الأمن واستتباب السلام إلى أن يتم التوصل إلى القرار النهائي، وإما إبقاء الحالة الراهنة على ما هي عليه حتى تتم التسوية النهائية[1].

**في التاسع من تشرين الأول بعث فيصل برسالة أخرى إلى رئيس الوزارة البريطانية،** الذي لم يكن قد أجاب بعد على رسالته السابقة إليه والمؤرخة في ٢١ أيلول، ملتمساً في إلغاء الاتفاقية البريطانية الفرنسية المعقودة بينهما في ١٣ أيلول، أو على الأقل تأجيل البت في أمرها. إن انسحاب الجيش البريطاني من سورية يشكل «كارثة جسيمة» بالنسبة إلى العالم العربي. وطلب فيصل أن تطرح القضية برمتها أمام مؤتمر الصلح لتقوم لجنة بدراستها تتألف من أعضاء بريطانيين وفرنسيين وعرب برئاسة أميركي ثم ترفع نتائج مداولاتها في تقرير إلى المؤتمر. **ولكنه أكد أن الحاجة القصوى لبلوغ تسوية مرضية تتجلى بـــ:**

- **إلغاء اتفاقية باريس.**

**قال فيصل في رسالته:** «إنني شديد الرغبة في أن اتجنب كل ما يؤدي إلى إحراج المركز أو ما يؤول إلى اضطراب الحبل بين الحلفاء والعرب».

---

(١) نشرت هذه المذكرة أصلاً في كتاب حافظ وهبة (جزيرة العرب في القرن العــشرين) ولكن لدى تدقيق النص مع النص الإنكليزي (الوثائق البريطانية المجلــد ٤، ص ٤١٢ - ٤١٣) جرى تبديل وتصحيح عبارات كثيرة (راجع سليمان موســى: المراســلات التاريخية عام ١٩١٩ المجلد الثاني رقم ٤٩ - ص ١٣٠).

«إني اعتبر إلغاء ذلك القرار الباريسي من الأوليات الحيوية للوصول إلى حل مرضٍ. وإنه إن لم يعمل بذلك فالكارثة في سورية قريبة الوقوع، وربما تطرأ أمور تمنع استمرار المباحثات الودية ولذلك فأنا أثق بأن مطالبي هذه التي هي جوهرية لمصالح الجميع تقابل من فخامتكم بالاستحسان...»[1].

وفي اليوم ذاته بعث **اللورد كرزون** برسالة مطولة إلى الأمير فيصل جواباً على رسالته المؤرخة في ٢١ أيلول. وفي هذه الرسالة كرر **اللورد كرزون** التعهدات والالتزامات التي كانت حكومة جلالته قد قطعتها على نفسها في أثناء الحرب لكل من الشريف حسين والحكومة الفرنسية.

**وبينما كان فيصل** يعلل نفسه بآمال كبيرة إذ به يتلقى ضربة قوية في الرسالة التي أرسلها رئيس الوزارة **لويد جورج** حيث رفض الالتزامات التي كان قد تقدم بها بخصوص الجيوش البريطانية والفرنسية في البلاد السورية[2].

**بين العاشر والثامن عشر من شهر تشرين الأول بعث كليمنصو** أولاً ببرقية إلى **لويد جورج** ثم رسالة جوابية عن مفكرته المؤرخة بتاريخ ١٣ أيلول وكلتاهما تنمان عن «غضب شديد» أبداه **كليمنصو**. فقد كانت برقيته المؤرخة في ١٤ تشرين الأول، كما قال عنها **لويد جورج**، برقية «صيغت بلهجة عنيفة في ساعة استياء شديد. مليئة بالعبارات المبطنة التي تلقي ظلالاً من التهم الموجهة ضد تصرف البريطانيين[3]». وعليه فإن رئيس الوزارة البريطانية كتب رسالة طويلة، في الثامن عشر من الشهر، إلى **كليمنصو** كرر فيها ملخص تاريخ القضية السورية برمته مستعرضاً نص المواثيق. التي قطعتها بريطانيا للعرب والفرنسيين كما جاءت في المراسلات التي جرت بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون، واتفاقية **سايكس - بيكو**، والتصريح

---

(١) المرجع السابق، المجلد ٢ رقم ٦٤ - ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٢ رقم ٦٥ - ص ١٥٧.

(٣) راجع لويد جورج المذكور سابقاً - المجلد الثاني - ص ١٨١ - ١٨٢.

البريطاني الفرنسي الذي صدر في ٨ تشرين الأول من سنة ١٩١٨م. والتصريح البريطاني الذي أدلت به بريطانيا في جلسة الأربعة الكبار التي عقدت في ٢٠ آذار، ١٩١٩م، ومكرراً القول بأن بريطانيا لا تقبل، في أية ظروف كانت، الانتداب على سورية. وهو يرغب في أن يؤكد للسيد **كليمنصو** أن الحكومة البريطانية، عندما كانت تجري مفاوضات حول جلاء الجيش البريطاني عن سورية وإحلال جيوش فرنسية وعربية محله، «لم تتغافل عما لفرنسا من حقوق ومطالب».

وهنا جاء رئيس الوزارة على ذكر فقرة وردت في رسالة **اللورد كرزون** إلى الأمير فيصل حول الدين المترتب على العرب تجاه فرنسا في تحررهم، غير أنه يريد من رئيس الوزارة الفرنسية أن يعلم بأن الحكومة البريطانية «**كانت مرتبطة بعهود ومواثيق ملزمة نحو كل من العرب والحكومة الفرنسية**». وليس من اللياقة بشيء من أن يعامل الأمير فيصل بهذا الجفاء المتعالي. وعندما يحضر إلى باريس فإن الحكومة البريطانية تنتظر أن يعامل «**معاملة كريمة محترمة كالمعاملة التي تعامل بها أحد الحلفاء**». ويتابع رئيس الوزارة كلامه ليقول: «إن الحكومة البريطانية تود أن تذكركم أنه هو الذي بدأ الثورة ضد الحكم التركي في وقت بلغت فيه معنويات الحلفاء مستوى متدنياً، وأنه كان مخلصاً وفياً للحلفاء حتى النهاية، وإنه إلى جانب اتباعه من العرب لعبوا دوراً رئيساً لم يستغن عن دحر تركيا الذي كان فاتحة عهد جديد ينذر بسقوط ألمانيا وحلفائها. كما أن الأمير فيصل يمثل شعباً عريقاً فخوراً بنفسه، وعلى كلينا نحن البريطانيين والفرنسيين أن نتعايش مع هذا الشعب على أحسن ما يكون من حسن العلاقات والود»(١).

**لم تكن محاولات لويد جورج** الدفاع عن فيصل مجدية لأنه نفسه كان قد تخلى عن أمر فيصل للفرنسيين نهائياً. وكان ذلك بداية بالنسبة إلى استقلال العرب برئاسة فيصل في سورية.

---

(١) لويد جورج المصدر السابق، المجلد الثاني - ص ١٩٧.

**يمكننا القول هنا أن الحكومة البريطانية كانت قد كسبت الشوط عندما أقامت حكومة عربية برئاسة الأمير فيصل في دمشق عام ١٩١٨م** ولكنها تخلت عن كل ذلك للفرنسيين بعد عام. وكانت الحكومة البريطانية واقعة تحت ضغوط مختلفة بالإضافة إلى الضغوط الفرنسية جعلها تعمل بقراراتها الأخيرة على حساب العرب وفيصل وخاصة قرار ١٣ أيلول. فقد كانت الثورة قد عمت مصر، وكان الوضع في العراق آخذاً بالتدهور. ثم كانت هنالك «**القضية المراكشية**» وتهديد الفرنسيين بتدويل طنجة. وفي الوقت ذاته كان الوضع في آسيا الصغرى وفي روسيا، وفي ألمانيا، في حالة اضطراب وثورة وقد اقتصرنا على ذكر ثلاث مناطق خطرة فقط من بين عدد كبير من المناطق المضطربة، يتطلب اهتمام الحكومة البريطانية الشديد.

**وفي الجبهة الداخلية، في إنكلترا نفسها كانت هناك أسباب عديدة للشكوى والتذمر، أسباب تهدد بنشوب أزمة حادة من الدرجة الأولى**. وكانت المشكلة الإيرلندية تتفاقم. وقامت في إنكلترا اضطرابات مستمرة في الحقل الصناعي، كما كان التهديد الحاد بالقيام باضراب سياسي عام يهددهم. وكانت مالية البلاد في حالة سيئة فقرر **لويد جورج** أن يضغط النفقات في مختلف دوائر الحكومة دون إبطاء. وقد جئنا على ذكر هذه الأسباب لماماً بغية الإشارة إلى تشابك هذه المشكلات المتعددة الجوانب التي كان على سياسي تلك الفترة أن يبحثوها وأن يجدوا لها حلولاً في مختلف مناطق الدنيا. وهكذا كان لدى **لويد جورج** ووزارته أمور أخرى خطيرة غير القضية السورية وعليهم أن يتخذوا بشأنها قرارات حاسمة. والواقع أن الوزارة أصبحت تشعر بأنه ينبغي لها أن تنتهي القضية السورية في أسرع ما يمكن من الوقت منعاً للاحتكاك الدائم ولسوء التفاهم بينها وبين الفرنسيين[١].

---

1 - راجع زين نور الدين زين - «الصراع الدولي في الشرق الأوسط» المذكور سابقاً - ص ١٣٧.

**وصل فيصل إلى باريس في العشرين من شهر تشرين الأول وأقام فيها أكثر من شهرين ونصف، «محاولاً جهده» - كما قال في رسالة بعث بها إلى لويد جورج** - «أن يقيم علاقات طيبة مع الحكومة الفرنسية، وإن يسعى لإزالة أي سوء تفاهم بغية الحفاظ على مصالحنا المشتركة». وفي خلال شهر تشرين الثاني أجرى محادثات مع **كليمنصو** وبرتلو (Berthelot)، وغو (Gout)، والجنرال غورو، ومع غيرهم من الرسميين الفرنسيين في مقر وزارة الخارجية الفرنسية كما أنه جرى تبادل رسائل بينه وبين **كليمنصو** عبر فيها فيصل عن تخوفه من تقسيم سورية آخر الأمر، وعن قلقه من حدوث قلاقل داخلية نتيجة هذه التجزئة.

**غير أن كليمنصو طمأن الأمير فيصل قائلاً: إن مخاوفه هذه لا ترتكز على أساس من الصحة. فليس هناك من قضية سياسية، أو من قضية تتعلق بحدود سورية في المستقبل، يمكن أن يحدث خلاف من جرائها.** وإذا ما حدثت اضطرابات داخلية فإن الجيش الفرنسي يهب فوراً إلى النجدة إذا ما طلب الأمير فيصل ذلك. ولكن الأمير ظل غير مقتنع. فبعث بنداء إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح يناشده فيه «إعادة النظر» في الاقتراح الرامي إلى استبدال الجيش البريطاني بجيش فرنسي. وقد أسهب في ندائه هذا في التعبير عن مخاوفه من هذا «**المشروع المقترح**» وعن التأثير الذي سيخلفه هذا الاقتراح «في النفوس الثائرة في المناطق العربية وفي الولايات الإسلامية في الإمبراطورية العثمانية الآسيوية». وتقوم مخاوفه على الاتفاقية السرية المعروفة باتفاقية **سايكس - بيكو** «التي عالجت شؤون البلاد كأنها ملك خاص أو سلعة من السلع» والتي لم يعترف بها العرب ولا الولايات المتحدة. كما أن الأمير كان يخشى تفجر ثورة طائفية بين المسلمين والمسيحيين سببها التعصب الذميم. **وكتب فيصل يقول:** «إنني. طوال الحرب كنت أسعى جاهداً لمحاربة التعصب في كل زمان ومكان... إن وحدتنا تقوم على القومية لا على الدين. وهناك عدد كبير من الأعوان الذين يعملون معي الآن في هذه القضية القومية لا ينتمون إلى الطائفة الدينية التي انتمي أنا إليها».

**في التاسع من الشهر كتب كليمنصو إلى لويد جورج يشكره على إيعازه لفيصل بالمجيء إلى باريس** كي يصل إلى نوع من التفاهم مع الفرنسيين. وكانت رسالة **كليمنصو هذه تحتوي عبارتين تنطويان على مغزى هام. الأولى منهما:** إشارته إلى الماضي، **والثاني:** إشارته إلى مستقبل الأمور العتيدة. قال رئيس الوزارة الفرنسية في هذه الرسالة: «الواقع هو أن هذا الإجراء لو اتخذ فوراً منذ البدء أي يوم احتلال دمشق منذ سنة، لما كان قد نشأ سوء التفاهم هذا، ولكان بالإمكان تحاشيه. وإني مغتبط الآن لأن مثل هذا الأمر لن يتكرر في المستقبل، كما إني مغتبط لأن مؤتمر الصلح لن يكون له يد بعد في هذه القضية سوى الموافقة على الاتفاق الذي تم بيننا، أعني الاتفاق على أن يكون الانتداب على سورية من نصيب فرنسا، والانتداب على العراق من نصيب بريطانيا»(١).

**في هذه الأثناء كان قد وصل إلى باريس في ٢٢ آب، ١٩١٩، وفد لبناني يرئسه البطريرك الماروني «حويك»**(٢)، وأخذ يعمل بنشاط للحفاظ على الاستقلال اللبناني تحت الانتداب الفرنسي وقد استقبل رئيس الجمهورية الفرنسية، السيد بوانكاره، والسيد **كليمنصو** أعضاء الوفد الذي رفع إلى مؤتمر الصلح، في السابع والعشرين من الشهر، مذكرة تضمنت أماني الشعب اللبناني. وفي رسالة بعث بها البطريرك الماروني إلى **كليمنصو**. في الخامس والعشرين من الشهر، لخص البطريرك هذه الأماني في **النقاط التالية**: **(أولاً)**: الاعتراف باستقلال لبنان وسيادته التامة «في الداخل». **(ثانياً)**: تعديل حدوده

---

(١) راجع وثائق حول سياسة بريطانيا الخارجية - السلسلة الأولى. المجلد الرابع - ص ٥١٢ - ٥٢١.

(٢) راجع أدمون رباط: «الوحدة السورية والمستقبل العربي» - ص ١٥٤ - ١٥٥. وراجع أيضاً لدى المؤلف نفسه كتابه «التكوين التاريخي للبنان السياسي الدستوري» المذكور سابقاً - ص ٢٨١ - ٢٨٧.

الطبيعية والتاريخية والاقتصادية. **(ثالثاً)**: مساعدة فرنسا ومناصرتها لنيل هذه الأماني. وفي العاشر من تشرين الثاني بعث كلمنصو برسالة جوابية إلى البطريرك يؤكد له فيها «أن فرنسا متفقة اتفاقاً تاماً مع الأماني اللبنانية وستقدم كامل العون لتحقيقها. ولكن هناك بعض القيود التي ستحد من الاستقلال اللبناني، ومن العسير الآن تحديد هذه القيود قبل أن تحصل فرنسا على حق الانتداب على سورية»[1].

**بدأ جلاء القوات البريطانية عن سورية في الوقت الذي كان فيه فيصل لا يزال في باريس.** وكانت تتناهى إلى أسماعه أنباء تدهور الأمور في سورية وتعاظم الحركة الوطنية المناوئة للسياسة الاستعمارية وانقلبت الأحزاب السياسية السورية والعراقية والفلسطينية إلى أحزاب معارضة لفرنسا وإنكلترا والغرب عموماً، كما أنه ظهرت «تلميحات معادية لبريطانيا». ونشطت الدعاية التركية، فقد بعث الملك حسين ببرقية إلى فيصل يؤكد له فيها أن «السكان في المناطق الواقعة إلى الشمال الغربي من حلب يجرون مفاوضات مع مصطفى كمال باشا». وعمت البلاد موجة من العطف على الأتراك وهو عطف لم يكن قد زال بعد عند نهاية الحرب - تغذيها المناشير البارعة التي كان يوزعها «**حزب كمال باشا**» في حلب، ويعمل على تشجيعها ومناصرتها الضباط العرب الذين كانوا في السابق يعملون في الجيش التركي، والذين أصبحوا يشعرون بخيبة أمل مريرة ويعتقد العملاء السياسيون من البريطانيين أن ياسين باشا الهاشمي[2] «**الروح المحركة في سورية**» كان

---

(١) المصدر السابق - السلسلة الأولى - المجلد الرابع ص ٥٢٢ - ٥٢٣.

(٢) ياسين حلمي الهاشمي (١٨٨٢م - ١٩٣٧م) ولد في بغداد وتعلم في الآستانة وبرلين وتخرج ضابط أركان حرب عام ١٩٠٥، انتسب إلى جمعية «العهد» ودخل جمعية «العربية الفتاة». ظهرت موهبته العسكرية في دفاع النمسا ضد الروس في غاليسيا. حارب العرب مع الجيش التركي بقيادته لفيلق تركي في الشونه وخرج واختبأ في =

«**يراسل كمال باشا نفسه**». ويزعم بعضهم أن **ياسين** كان يسعى إلى «**إعادة الحكم التركي في سورية**»[1].

**وزاد الوضع في سورية اضطراباً اعتقال الإنكليز ياسين باشا الهاشمي[2] يوم ٢٢ تشرين الثاني أي قبل جلائهم عن دمشق بأربعة أيام.** وقد قامت مظاهرات احتجاجية في دمش على هذا الإجراء الذي لم يعرف سببه يومذاك. ولكن تبين فيما بعد أن الاعتقال تم بأمر اللنبي بحجة أن ياسين «كان يبث دعاية نشيطة ضد الفرنسيين ويباشر الاستعدادات العسكرية لمقاومة احتلال الفرنسيين لمنطقة الزرقاء». وليس من شك في أن هذه الحادثة زادت من شعور العداء للفرنسيين والإنكليز على السواء. وجعلت مهمة فيصل الرامية إلى التفاهم أكثر صعوبة وعسراً.

**وفي هذه الفترة بالذات وقع حادث آخر كان له أيضاً تأثيره العميق على مجرى الأحداث.** ذلك أن حاكم قضاء الرقة العسكري رمضان شلاش[3]

---

= دمشق فعفا عنه فيصل وعينه رئيساً لديوان الشورى الحربي عام ١٩١٨م. دخل العراق مع فيصل فتولى الوزارة وأسس حزب الشعب. توفي في دمشق.

(١) راجع الوثائق حول سياسة بريطانيا الخارجية - السلسلة الأولى المجلد الرابع - ص ٤٧٨ - ٥٢٣.

(٢) كان ياسين الهاشمي رجلاً قوي الشخصية وقد أسند إليه فيصل وظيفة (رئيس ديوان الشورى الحربي) التي تعادل وظيفة رئيس أركان. وقد بلغ الإنكليز والفرنسيين أنه على اتصال مع الأتراك الكماليين فاسترابوا به وخشوا أن يتواصل إلى اتفاق معهم. وقال ماينر تزهاجن في أحد تقاريره أن تطرف الهاشمي حل محل اعتدال فيصل. وقد حاول فيصل جاهداً إطلاق سراح الهاشمي ولكن الإنكليز أبقوه قيد الاعتقال حتى منتصف أيار ١٩٢٠ بناء على الحاح الجنرال غورو. وقد أكد لويد جورج أن بريطانيا لم تعط للعرب أية أسلحة تتجاوز مدى القدرة على حفظ النظام لا غير، وذلك في مذكرته الطويلة إلى كليمنصو بتاريخ ١٨ تشرين الأول ١٩١٩. المصدر السابق - المجلد ٤ - ص ٤٨٨ - ٤٨٩.

(٣) كان رمضان شلاش عام ١٨٦٩م في قرية الشميطية على شاطئ الفرات وهو ابن الشيخ شلاش عبد الله السليمان رئيس عشائر «البوسرايا» ويرجع نسبه إلى الشاعر الشريف الرضي وهو والد الزعيم الركن شلاش (الذي كان معاوناً لرئيس الأركان =

قام بمهاجمة بلدة دير الزور (التي كان العرب قد احتلوها في كانون الأول ١٩١٨م، ثم استولى عليها الإنكليز في الشهر التالي واستعادها العرب في ١١ كانون الأول ١٩١٩). وقد أثار هذا العمل سخط الإنكليز وزاد من اعتقادهم بأن الوضع في دمشق أخذ يعكس آثاره على العراق وفلسطين وبأنه من الأفضل عدم تشجيع العرب على مقاومة الفرنسيين. وربما كان نتائج حركة **رمضان شلاش** هذه أن الحكومة البريطانية قررت بعد هذا بأيام التخلي عن لواء دير الزور بأكمله فبقي في سورية منذ ذلك الحين.

**ليس بواضح كل الوضوح ما جرى في باريس في الأسابيع الثلاثة التالية بين الأمير فيصل والحكومة الفرنسية. غير أننا نعلم أن فيصلاً كان ينوي الرجوع إلى سورية** ليل الأحد الواقع في الحادي والعشرين من الشهر. ولكنه لم يغادر باريس، على الرغم من أن السفير البريطاني أشار عليه بالذهاب. لدينا وثيقة واحدة حول هذه الفترة على جانب كبير من الأهمية والمغزى وقد أبلغ أمرها اللورد دربي إلى **اللورد كرزون** في العشرين من كانون الأول وأرسل إليه نسخة عنها في اليوم التالي لتسلم إليه تسليم اليد. كانت هذه الوثيقة نسخة عن اتفاقية مقترحة بين الحكومة الفرنسية والأمير فيصل. وكانت الاتفاقية تشمل ثمانية بنود **وأهم مضمونها ما يلي:**

**١ - تعد الحكومة الفرنسية بتقديم كل نوع من المساعدة للشعب السوري وبضمان استقلاله ضد كل اعتداء.**

---

= لسورية في عهد الشيشكلي). كان راعياً للإبل في بادية الشام. وفي سن العاشرة سافر إلى استانبول مع عدد من أبناء العشائر لتلقي التعليم هناك برعاية من السلطان عبد الحميد. تخرج من المدرسة الحربية في الآستانة عام ١٨٩٦ برتبة يوزباشي، وعين مرافقاً فخرياً للسلطان في الآستانة ثم قائداً للسرية الخامسة في حلب. أرسل عام ١٩١١ إلى أدرنه وتقلب في المناصب العسكرية، شارك في الدعوة ضد القومية التركية. شارك في أعمال الثورة العربية وتوفي في دمشق عام ١٩٦١.

**٢- يطلب الأمير فيصل من الحكومة الفرنسية، وحدها دون غيرها، تعيين مستشارين ومعلمين وتقنيين لتنظيم جميع الإدارات المدنية والعسكرية، ولتولي بعض الدوائر في هذه الإدارات مثل المالية والأشغال العامة.**

**٣- يكون للأمير فيصل في باريس ممثل مفوض يعمل تحت إمرته وممثل في لندن وروما وواشنطن ضمن إطار السفارة الفرنسية في هذه العواصم. أما في غيرها من البلدان فإن القناصل الفرنسيين سيرعون مصالح السوريين.**

**٤- يعترف الأمير باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي.**

**٥- يسهل الأمير تشكيل إدارة مستقلة لدروز حوران داخل الدولة السورية.**

**٦- تقدم سورية إلى فرنسا كل عون عسكري في جميع الحالات.**

**٧- يعترف باللغة العربية لغة رسمية في الإدارة وفي المدارس. وتدرس اللغة الفرنسية كلغة ثانية.**

**٨- تكون دمشق عاصمة سورية، ويقيم المفوض الفرنسي السامي في حلب.** ولكن يكون لرئيس الدولة السورية وللمثل الفرنسي مقر شتوي في بيروت ينعم باستقلال بلدي. وفي آخر الاتفاقية ملاحظة على أن بنود هذه الاتفاقية ستبقى سرية بين الطرفين المتعاقدين إلى أن يتم التوقيع النهائي على الاتفاقية وتفاصيلها التي سيتم وضعها فور عودة الأمير فيصل إلى فرنسا، ومن ثم يجري رفعها في الوقت المناسب إلى مؤتمر الصلح(١).

---

(١) راجع سليمان موسى: «المراسلات التاريخية» (١٩١٩) المجلد الثاني رقم ١٣٠. برقية الأمير زيد باريس ١٩١٩/١١/٢٨ - ص ٢٥١. وحول الاتفاقية مع الفرنسيين ١٩١٩ راجع أيضاً رقم ١٣١ من الأمير فيصل إلى السيد برتلو باريس ١٩١٩/١١/٢٨، وجواب السيد برتلو إلى الأمير فيصل في التاريخ نفسه رقم ١٣٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢.

**وافق جميع مستشاري فيصل وأعضاء وفده على قبول مشروع الاتفاق** - باستثناء الدكتور أحمد قدري - بعد أن توافرت عندهم القناعة بأن بريطانيا تخلت عن العرب وأن العرب لا يستطيعون مقاومة جيوش فرنسا، وأن الاتفاق خطوة ثابتة تتلوها خطوات في المستقبل لتحقيق الاستقلال التام. ويبدو أن فيصلاً كان ينوي توقيع الاتفاق بالحروف الأولى لولا وصول رسول من لدن أبيه **(الدكتور ثابت نعمان)** يحمل منه رسالة يحظر فيها على فيصل توقيع أي اتفاق يتنافى والعهود ويعد بأنه سيعرض مشروع الاتفاق على السوريين ويحثهم على قبوله[1]. ومن الواضح أن **فيصلاً** لم يكن في أعماق نفسه سعيداً بذلك الاتفاق الناشئ عن المساومة والتهديد فبعث إلى **أخيه زيد بالبرقية التالية**:

**«منعاً لوقوع حادث ونحن على غير استعداد، عملنا الاتفاق المؤقت لحين نتمكن من الاستحضار. نحن لم نرتبط بأي شيء كان بالنظر إلى المستقبل. كونوا على عزائمكم الأولى في استحضار الجند، ولا تصدقوا ما ربما ينشر، فقط لا تتظاهروا بوجه عدائي لأي جهة كانت[2]».**

**وهكذا مضى عام ١٩١٩م دون جدوى، وقرر فيصل العودة إلى سورية في ١٩١٩/١٢/٧.**

## تاسعاً - التطورات الداخلية الثورية خلال مفاوضات الصلح في أوربا:

**بينما كانت تتوالى الإشاعات في سورية حول اتفاقية كليمنصو - لويد جورج حسبما ذكرنا فتزداد الخواطر التهاباً، والنفوس قلقاً على مصير البلاد.**

---

(١) راجع أحمد قدري، ص ١٥٣ و ١٥٧ - ١٥٨، وأمين سعيد، ص ١١٩.

(٢) سليمان موسى «المراسلات التاريخية ١٩١٩» المجلد الثاني - رقم ١٣٠ - ص ٢٥١.

**كان فيصل أثناء غيابه في أوروبا يرسل من وقت إلى آخر،** وخلال مراحل مفاوضاته في لندن وباريس برقيات مقتضبة إلى أخيه ونائبه في دمشق الأمير زيد. يطلعه فيها على سير هذه المفاوضات[(١)]: «لا تصغوا لأقوال الصحف... الحالة حسنة».

**وقد ظهرت في الصحف بيانات لجنة الدفاع الوطني** التي دعت إلى التطوع في صفوف المقاومة. وقد عارض الإنكليز هذه الحركة الوطنية الشبه عسكرية وطالبت السلطات البريطانية على لسان اللنبي لحل هذه التشكيلات، وطالب الفرنسيون بإقالة رئيس الأركان العربي وإبعاد رئيس الوزارة. واجه المؤتمر السوري المنعقد بدمشق باستمرار على: «كل قرار واتفاق يمس بوحدة البلاد واستقلالها[(٢)]». ودعمت هذه المطالب المظاهرات الشعبية التي كانت تندد: «بكل تسوية تخالف أهداف الحركة الوطنية الاستقلالية، وتجند الوطن اليهودي الصهيوني في جنوبي البلاد».

---

(١) ولنكتفي على سبيل المثال لا الحصر بالرجوع إلى بعض هذه البرقيات كما نجدها في كتاب سليمان موسى: المراسلات التاريخية (١٩١٩) المجلد الثاني رقم ٥١ - ص ١٣٧. لندن ٢٣ أيلول ١٩١٩ ورقم ٥٥ ص ١٤٠ من لندن في ١٩١٩/٩/٢٧.. «المخابرات جارية اخبروا الشعب أن أية حركة فجائية تقع تضر بسير الحركة...». ورقم ٥٧ - ص ١٤٤. لندن في ١٩١٩/٩/٢٧... «الجماعة خائفون من حدوث قلاقل واضطرابات في سورية. الله الله! القوة القوة، كلما كنا أقوياء هناك (أي في سورية) وكلما رأوا فينا أثر حياة عسكرية كلما احترمونا وخضعوا لمطالبينا...». رقم ٧٩. لندن في ١٩١٩/١١/١٩ - ص ١٨٠ - ١٨١: «... المسألة مسألة قوة لاحق. نراهم اليوم خاضعين أمام مصطفى كمال، كل جرائدهم تقول بلزوم احترام العنصر التركي وتركه مستقلاً في بلاده... الاستقلال يؤخذ ولا يعطى». رقم ٨١. لندن في ١٠/٢٢ - ص ١٩٦. رقم ٨٤ من باريس ١٩١٩/١٠/٢٥ - ص ١٩٩: «... ولكن حق بلا قوة لا يحترم... أملي عظيم في تشكيل وحدة عسكرية تضم سورية والعراق». رقم ٨٨. باريس في ١٩١٩/١٠/٢٨ - ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) راجع جريدة العاصمة ٣٠ تشرين الأول ١٩١٩. العدد رقم ٧١.

**وقد نشأت فكرة اللجنة الوطنية العليا** التي انبثقت منها لجان مختلف في أحياء دمشق والمدن السورية الأخرى في أوائل تشرين الثاني ١٩١٩م دعماً لمواقف فيصل في أوروبا.

**وبينما كانت عملية انسحاب الجيش البريطاني تتم في شمالي البلاد وصل إلى بيروت في ١٩١٩/١١/٢١م القائد الفرنسي**، والمفوض السامي العام الجديد الجنرال غورو وترأس عملية حلول الجيش الفرنسي محل الجيش البريطاني. وهكذا جلت الجيوش البريطانية عن حلب في ١٩١٩/١١/٢٠م، وعن دمشق في ١٩١٩/١١/٢٦م وعن بيروت في ١٩١٩/١٢/١٢م.

**وعندما وصلت أنباء وصول الجيش الفرنسي إلى البقاع قرر مجلس المديرين الدفاع عن البلاد بأي ثمن**(١). واجتمع إثر ذلك المؤتمر السوري في ١٩١٩/١١/٢٢م واتخذ قراره الشهير بعد يومين بضرورة الدفاع عن وحدة سورية التام بحدودها الطبيعية، كما طلب ذلك من لجنة كينغ - كرين الأمريكية «مع تعيين شكل الحكومة بأنها حكومة ملكية دستورية مسؤولة أمام الأمة». واعتقلت السلطات البريطانية السيد ياسين الهاشمي لأنها اعتبرته المحرض الأكبر ضد الاحتلال الأجنبي والتعاون مع الكماليين(٢). وقد أذعنت الحكومة للإتفاق الفرنسي البريطاني في بيانها الصادر في ١٩١٩/١٢/١م وأعلنت فيه أن القوات الفرنسية ستحل في مكان الجيش البريطاني في سهل البقاع. وبقي احتجاج فيصل في باريس على ذلك دون جدوى.

**ولما وصلت شائعات حول مفاوضات فيصل مع الفرنسيين وتراخيه حيال مطالبهم الاستعمارية بدأ التوتر السياسي يزداد عنفاً وحدة في البلاد وقويت المعارضة ضد هذا التراخي**. أمام هذه المعارضة الوطنية العارمة

---

(١) راجع ساطع الحصري: «يوم ميسلون» بيروت (طبعة جديدة) ص ١١١ - ١١٢.

(٢) راجع وثائق حول السياسة الخارجية البريطانية - السلسلة الأولى، المجلد الرابع. ص ٥٢٣.

ضمن المؤتمر قررت الحكومة تعليق جلساته في ٤ كانون الأول ١٩١٩م[١] وتابعت المعارضة عملها خارج المجلس ولاسيما في إطار اللجنة الوطنية العليا وفي غيرها من الأحزاب السياسية الوطنية. وشكلت لجان الدفاع في المدن السورية الكبرى وزادت المطالبة بالتجنيد الإجباري. وقامت أزمة حكومية بين رئيس حكومة المديرين وبين الأمير زيد اضطر معها الأول للاستقالة فأعطي إجازة بينما قوي حزب القائلين بضرورة العمل العسكري ضد الاحتلال الفرنسي.

**وأصدرت الحكومة الوطنية الجديدة التي سميت «بالحكومة الدفاعية» نظام التجنيد الإجباري في ١٩١٩/١٢/١٩م وصادق على هذا النظام الأمير زيد بعد يومين.** وقد بدأت المقاومة الشعبية بمناوشات حدودية ضد الفرنسيين على طول الحدود مع البقاع وكانت تدعمها الأحزاب الوطنية والأحزاب الأخرى، ولاسيما حزب الفتاة. واتهمت الحكومة الفرنسية الوزارة السورية بأنها وراء هذه **التحركات العدائية**. وانتشرت الاشتباكات مع الفرنسيين في البقاع عامة، وفي منطقة مرجعيون والقنيطرة وحتى في منطقة اللاذقية ودامت هذه الاشتباكات طوال شهر كانون الأول ١٩١٩ إلى حين رجوع فيصل إلى البلاد. وقد تلاقت هذه الأعمال الثورية مع حركات المقاومة الوطنية التركية بزعامة مصطفى كمال ضد مخططات الدول الاستعمارية لتقسيم بلاد الأناضول. وكانت مقاومة مصطفى كمال في سورية دعماً قوياً وتجاوباً كبيراً لما كانت تتحلى به الجماهير الوطنية من شعور الإعجاب بأعمال كمال أتاتورك التحررية، لاسيما وأن دعوته إلى الجهاد ضد المستعمرين الأجانب قد تسربت إلى حلب ودمشق[٢].

(١) راجع جريدة العاصمة: في ٨ كانون الأول ١٩١٩ - العدد ٨٢.

(٢) راجع وثائق حول سياسة بريطانيا الخارجية المذكورة سابقاً - ص ٤٧٨.

## عاشراً - سورية بين الاستقلال والاحتلال ومبايعة فيصل ملكاً عليها:

**تشكلت فوراً حكومة عربية في دمشق كما ذكرنا سابقاً، بعد أن دخلت جيوش الثورة العربية دمشق** وتشكلت بعدها في المدن الكبرى السورية هيئات حكومية غايتها الإشراف على الإدارة المحلية ريثما يتم لفيصل توحيد البلاد وإعلان استقلالها كما وعدته بها الدبلوماسية البريطانية قبل قيام الثورة وخلال الزحف المقدس من الحجاز إلى عاصمة بني أمية.

**ففي حماه شكلت هيئة عليا برئاسة بدر الدين الكيلاني وبمؤازرة بعض الأعيان.**

**أما في حلب** فقد أعلنت الحكومة العربية ورفع علم الثورة العربية بينما كانت القوات التركية الألمانية تغادر المدينة. وقام **إبراهيم هنانو** في شمالي سورية بتأليف حكومة وجمع جيش في **كفرتخاريم**.

**وفي اللاذقية فقد تأسس مجلس وطني برئاسة رشيد طليع، أشرف على الأعمال الحكومية في منطقة الساحل السوري من طرطوس إلى أنطاكية**، وقد ألمحنا سابقاً إلى المشاكل والعراقل التي نجمت عن رفع الأعلام العربية على الأبنية الحكومية في بيروت وبعبدا[١] وقد بدأت هذه الحكومات المحلية المؤقتة بأعمال التنظيم والإدارة بعد مغادرة الجيوش التركية وما خلفته من اضطراب وفوضى في المؤسسات العامة. وكان الحاكم العسكري العام رأس العمود الفقري الإداري في البلاد يعاونه مدراء عامون لمختلف الإدارات. وأحدث مجلس شورى في دمشق للقيام بالتشريعات الضرورية الأساسية، كما نظمت دوائر المالية والعدلية وأخيراً أنشئ ديوان الشورى الحربي لتنظيم الجيش العربي الجديد.

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع راجع ما كتبته الدكتورة خيرية قاسمية: «الحكومة العربية في دمشق» المذكور سابقاً ص ٥٦ - ٥٨.

وقد قامت في وجه هذه الحكومة المؤقتة ومؤسساتها **عقبات كثيرة منها** ما يرجع إلى نقص الموارد لسوء وعجز الجباية. كما قامت عقبة كبيرة في وجه هذه الحكومة لما واجهته من مداخلات الحكم العسكري الأجنبي.

**أما من حيث التنظيمات السياسية** فقد قامت جميعها بمتابعة عملها في الحقل القومي والوطني إذ حاولت أن توقظ فكرة الدولة العربية المستقلة المناهضة لكل تدخل أجنبي، وقد شهد أحد الصحافيين الذي زار دمشق يومئذ «أن الروح الوطنية العربية قد بعثت من جديد. وهي ظاهرة يجدر التوقف عليها لما كان لها من تأثير عميق في تطور الحركة القومية في سورية والبلاد العربية»(١).

**سبق لنا أن درسنا نشوء الجمعيات العربية قبل نشوء الحرب وقد تابعت هذه الجمعيات نشاطاتها السياسية**، بينما تطور البعض منها إلى أحزاب سياسية حاولت أن تلعب دوراً في تطور السياسة الداخلية، ونكتفي بذكر أهمها: جمعية «**العربية الفتاة**» التي أرادت أن تحافظ على نظامها السري وأن يكون لها فرع سياسي علني. وقد حددت هدفها السياسي في المادة الأولى من نظامها الأساسي وهو: «استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً بجميع معانيه الحقوقية والسياسية وتأييد ذلك الاستقلال بجعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية». وأيدت هذه الجمعية سياسة فيصل إلى أن تسربت أنباء اتفاق فيصل - **كليمنصو**. فتوقفت أعمالها بعد احتلال فرنسا لسورية.

**أما «حزب الاستقلال»**: فيمكن اعتباره امتداداً لجمعية العربية الفتاة من حيث التأثير الفعلي على الإدارات والمؤسسات الحكومية.

**أما «النادي العربي»**: فهو مؤسسة ثقافية تحولت إلى مؤسسة قيادتها المركزية في دمشق وتضم فروعاً في حلب وحمص، وقد تابع النادي العربي في سورية ما بدأ به المنتدى الأدبي في الآستانة قبل اندلاع الحرب، واستمر

---

(١) راجع جريدة المنار التي يرئس تحريرها السيد رشيد رضا سنة ١٩٢٢ - عدد ٣/٢٩.

نشاطه إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي وأصابه الكثير من اضطهاد السلطات له لما كان يقوم به من نشاط وطني وثقافي وسياسي.

**أما «حزب العهد»**: فهو استمرار لجمعية العهد السرية التي ذكرناها سابقاً والتي كانت تضم عدداً كبيراً من الضباط العرب في الجيش العثماني. وكان لهذا الحزب فرع سوري وفرع عراقي وقد قام الفرعان بمقاومة التدخل الفرنسي والإنكليز في كلا القطرين.

**وقد نتج عن الحركة السياسية الداخلية تطلعات إلى إقامة حكومة مستقرة تقوم بأعمال الإدارة بحكم المسؤولية الذاتية.** وكان فيصل قد وعد في خطابه في ١٩١٩/٥/١٤م بدعوة السوريين إلى تأسيس مجلس يضم مندوبين عن كافة المناطق السورية كافةً، ويكون بمثابة هيئة دستورية تمثل الرأي العام السوري وتقوم بالمبادرات السياسية لنيل الاستقلال تجاه مطامع فرنسا وبريطانيا.

**وانطلاقاً من هذه الأهداف انتخب أعضاء المؤتمر الوطني السوري تبعاً للقوانين المرعية في المناطق،** كما ضم المؤتمر بعض الأعيان والزعماء من مناطق كان يتعذر فيها إجراء الانتخابات مثل لبنان (المنطقة الغربية حسب التعبير الأجنبي) والبلاد الفلسطينية. وهي مناطق سورية الجنوبية الواقعة تحت الإدارة العسكرية البريطانية. وكان عدد الأعضاء ٨٥ عضواً حضر منهم جلسة الافتتاح التي عقدت بتاريخ ١٩١٩/٣/٧ - ٦٩ مندوباً[١]. وكان من أهم أعمال المؤتمر تمثيل إرادة البلاد السورية تجاه المؤسسات الدولية في الاستقلال التام ضمن الوحدة العربية ورفض كل حماية أو انتداب أو وصاية كانت تفكر بها الدول الموقعة على اتفاقية **سايكس** -

(١) راجع جورج انطونيوس: «يقظة العرب»، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، لبنان بيروت عام ١٩٦٦م، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

**بيكو**، وقد قام بهذه المهمة لاسيما عندما أتت لجنة **كينغ - كراين** من قبل الهيئات الدولية للتحقيق في رغبة الشعب السوري وإرادته الحرة.

**وكانت فرنسا تعارض في إرسال أية لجنة إلى البلاد السورية** لأنها كانت تعلم جيداً أن الشعب هناك مع زعمائه سيعارض فكرة الانتداب التي كانت ترعاها في المحافل الدولية. أما الرئيس ولسون فإنه أخذ برأي رئيس الجامعة الأمريكية (ببيروت) الذي كان قد اقترح فكرة التحقيق. وقد فرض الرئيس ولسن هذه الفكرة على الفرنسيين والإنكليز. وأصدر التعليمات إلى أعضاء الوفد الذي ذهب إلى سورية وكان يتألف من عضوين رئيسيين هما: **هنري سي كينغ وشارلز. ر - كرين** وعرفت هذه اللجنة باسميهما.

**وقد وصلت اللجنة إلى يافا في ١٩١٩/٦/١٠م وقضت في البلاد ٤٢ يوماً** زارت المناطق كلها واطلعت على آراء جميع فئات الشعب وجمعياته وأعضاء بلدياته ورؤساء طوائفه ومندوبيه في المؤتمر الوطني السوري ولم تترك شخصية لها أهمية ما وطنية أو أجنبية إلا وأرادت أن تطلع على وجهة نظرها. وهكذا فقد زارت ستاً وثلاثين مدينة أو قرية واستمعت إلى وفود أتت من ١٥٢٠ قرية وضمت إلى ملفاتها ١٨٦٣ عريضة طالبت جميعها باستقلال البلاد ووحدتها ونبذ كل مشروع صهيوني في المنطقة الجنوبية أي فلسطين(١). وعندما وصلت اللجنة إلى دمشق قدم لها وفد من المؤتمر الوطني السوري مقررات حول مستقبل البلاد(٢). كما أدلى الأمير فيصل بآرائه حول هذه

---

(١) راجع الدراسة القيمة ليورغل.ي. برانت «حول سياسة الانتداب الفرنسي في سورية» في الكتاب الاجتماعي «حول الاستعمار والاستعمار الجديد». ص ٢٤٠ وما بعدها.
وراجع أيضاً اتينو رؤسّي: «الوثائق»، المذكور سابقاً ص ٧٧ - ٩٠..
وراجع بالأخص كتاب هـ. هوارد: «لجنة كينغ - كرين: تحقيقات أمريكية في الشرق الأوسط». بيروت ١٩٦٣ بالإنكليزية. وهي دراسة مستفيضة حول أعمال هذه اللجنة.

(٢) راجع ساطع الحصري: «يوم ميسلون» ص ٢٦٢ - ٢٦٤ حيث يعطي نص قرار المؤتمر السوري إلى لجنة التحقيق الأميركية.

المواضيع الحيوية لمستقبل البلاد وشدد على وحدة بلاد الشام في حدودها الطبيعية معترضاً على ما تقوم به بعض الجهات الطائفية في لبنان والأوساط العنصرية في فلسطين.

**وقد رفعت هذه اللجنة توصياتها إلى مؤتمر السلم في باريس في تقرير مستفيض بتاريخ ٢٨ آب ١٩١٩م.** كما كانت قد أرسلت مسبقاً تقارير موجزة إلى باريس بتاريخ ١٠ - ١٩ تموز ١٩١٩م. وكلها تشدد على إرادة السوريين في الوحدة والاستقلال في جميع المناطق التي تضم بلاد الشام في حدودها الطبيعية أي مع **لبنان وفلسطين وشرقي الأردن.** كما أنها أعلمت الجهات المسؤولة في مؤتمر باريس عن رفض سكان البلاد لأي نوع من الانتداب، وللمشروع الصهيوني[١].

ولما كانت حالة البلاد في اضطراب متزايد لما كان يستشم من أعمال مؤتمر السلام في توطيد الحكم الأوروبي في المشرق العربي **فقد رأى الأمير فيصل** أن يذهب بنفسه إلى أوروبا ليدافع عن القضية السورية في لندن وباريس.

**وقد أتينا سابقاً إلى ذكر ما قدمه من مذكرات وما قام به من اتصالات في المحافل الدولية.**

**أما في سورية** فقد كانت التطورات الداخلية تتجه نحو توطيد الوحدة والاستقلال ونحو القيام بمبادرات دستورية تعلن للرأي العام العالمي عن إرادة الشعب وممثليه في المؤتمر الوطني. **ولما عاد فيصل إلى سورية وجد نفسه أمام تطور لا يستطيع السيطرة عليه أو إيقاف مده.**

---

(١) أما التقرير الذي وضعته اللجنة فإنه ينقسم إلى ثلاثة أجزاء، الأول: يعطي صورة واضحة عن أوضاع البلاد السياسية، والثاني: يسهب في بعض الاعتبارات الخاصة بتسوية المسألة التركية. أما الجزء الثالث: فهو يتكلم بصراحة عن توصيات اللجنة التي ذكرناها.

**وقد حاول فيصل أن يهدئ من ثائرة السوريين** قام بجولات في مختلف المقاطعات ليشرح ما قام به من اتصالات وما توصل إليه من نتائج. ولهذا الغرض وفي سبيل هذه الأهداف فقد خطب في حلب في ١٩٢٠/١/٢٨م وكرر ما قاله في خطاب آخر ألقاه في النادي العربي بدمشق قبل أسبوع **قال فيه:** «إنني أناضل من أجل الاستقلال الذي ترغبون ولكن الواجب يقضي بعدم التشدد في العداء لأن بيننا وبين الدول الكبرى روابط لا يمكننا أن نتجرد عنها» وكان هذا الخطاب سبباً لإثارة نقمة معارضي سياسته من الوطنيين الأحرار. وهكذا بدأ الخلاف يدب بين فيصل وبين القوى الوطنية المتشددة في الاستقلال ووحدة البلاد. حيال ذلك حاول فيصل تأليف حزب يدعم سياسته دعي «بالحزب الوطني»[(١)].

**وتمشياً مع الرأي العام السائد في المؤتمر وفي الأوساط الشعبية قَبِل الأمير فيصل السياسة الاستقلالية** التي دعت إليها غالبية الشعب السوري، وقد أفصح الأمير فيصل عن وجهة نظره هذه في الخطاب الحكومي وممثلي الشعب وعدد غفير من زعماء البلاد فتشكلت في الحال لجنة لتكريس هذا الوضع وللقيام بإعلان الاستقلال ومبايعة الأمير فيصل ملكاً على سورية[٢]. وفي اليوم التالي ٧ آذار أجمع الأعضاء على اتخاذ القرار التاريخي الذي ينص على استقلال سورية في حدودها الطبيعية، وعلى رفض المشروع الصهيوني للوطن القومي، وعلى تطبيق مبدأ اللامركزية الإدارية مع إعطاء

---

(١) راجع أمين سعيد في كتابه الجزء الثاني ص ٤٢ وراجع أيضاً عزت دروزه: «حول الحركة العربية الحديثة» ١٩٥٠ المجلد الأول. ص ٨٦. وقد ذكر أسعد داغر في: «مذكراتي على هامش القضية العربية». القاهرة ١٩٥٩ - ص ١١٢ وما بعدها. حوادث وأحاديث عن ردة الفعل الشعبية العارمة ضد مشروع الاتفاق بين فيصل وكليمنصو. وتركيز النقمة على نوري السعيد.

(٢) ساطع الحصري: «يوم ميسلون» ص ٢٧١ - ٢٧٤.

الضمانات الخاصة بجبل لبنان وإنشاء حكومة جديدة مسؤولة أمام المؤتمر الذي سيتخذ صفة مجلس نيابي وتأسيسي معاً وإعلان حق العراق في الاستقلال مع إيجاد اتحاد سياسي واقتصادي مع القطر الشقيق وأخيراً مبايعة الأمير فيصل ملكاً على سورية على أن تعلن المبايعة في اليوم التالي أي في ٨ آذار.

**وتقرر مبايعة الأمير فيصل ملكاً على البلاد السورية في ١٩٢٠/٣/٨ في دار البلدية**(١) وفي اليوم المذكور جرت حفلة مراسيم المبايعة المقررة وسط حماس الشعب والمؤتمر. وقد أطلقت المدافع ورفع العلم السوري وهو علم الثورة العربية مع نجمة بيضاء في المثلث الأحمر. وانهالت البرقيات على العاصمة من جميع أنحاء البلاد تشارك المحتفلين ابتهاجاتهم وقد شارك في هذه المبايعة كافة الطوائف ممثلة برؤسائها الروحيين(٢). وفي اليوم نفسه اجتمع ممثلون عن الشعب العراقي وأعلنوا استقلال العراق مبايعين الأمير عبد الله شقيق فيصل ملكاً عليه ومطالبين بالاتحاد مع سورية اتحاداً سياسياً واقتصادياً(٣).

---

(١) راجع أمين سعيد: «الثورة العربية الكبرى» - ج٢ ص ١٢٨ - ١٢٩. وقد أورد أحمد قدري في كتابه «مذكراتي عن الثورة العربية» المذكور سابقاً، نص خطاب الأمير فيصل في جلسة ٦ آذار من المؤتمر ص ١٧٨ - ١٨١، وراجع أيضاً ساطع الحصري «يوم ميسلون» ٢٧٨ - ٢٨١. وقد وقع على قرار المؤتمر السوري في جلسة ٣/٧ ممثلو المدن الكبرى وهم هاشم الأتاسي (حمص)، يوسف الحكيم (طرابلس)، مرعي الملاح (بيروت)، عبد القادر كيلاني (حماه)، محمد تاج الدين حسيني (دمشق)، إبراهيم هنانو (حارم - حلب)، صبحي بركات الخالدي (أنطاكية).

(٢) راجع يوسف الحكيم: «سورية والعهد الفيصلي»، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦ ص ١٤٣.

(٣) راجع أتينو روسي «وثائق» رقم ٦٦ - ص ٩٨ - ٩٩، وراجع أيضاً أمين سعيد المذكور سابقاً - المجلد ٢ - القسم ٢ - ص ٣٤ - ٣٧، حيث تقرأ قرار المؤتمر العراقي وأسماء أعضائه. وراجع أيضاً بهذا الخصوص جريدة «القبله» في عددها - ٣٧٣ الصادر في ١٩٢٠/٤/٨.

**وإلى أن يتم تأليف الوزارة الجديدة التي ستستلم إدارة أمور الحكومة بطريقة دستورية** لنرى مواقف حكومتي فرنسا وإنكلترا تجاه هذه المبايعة للملك فيصل، والتأكيد على استقلال سورية الطبيعية وحدتها - بلاد الشام بمقاطعاتها الساحلية والجنوبية. ففي ٧ آذار أبرق المندوب السامي في مصر (**الجنرال اللنبي**) إلى وزير الخارجية **اللورد كرزون** يعلمه بما يجري في دمشق من تطورات خطيرة فاتصل وزير الخارجية البريطاني بزميله الفرنسي برتلو واتفقا على موف معين أبرق به إلى **الجنرال اللنبي** وكان الموقف في غاية المرونة ريثما يتاح للدبلوماسية الفرنسية البريطانية الإطلاع الشامل على مجريات الأمور في سورية. ومما جاء في جواب **اللورد كرزون** أن على فيصل أن يحضر إلى لندن أو باريس ليعلم مؤتمر السلم بأهدافه بغية التوصل إلى حل للقضايا العربية. لأن القرار النهائي هو بيد المسؤولين في مؤتمر السلم. وتابع الوزير البريطاني قائلاً لفيصل أن مسؤوليته كبيرة وأن مستقبل سورية سيتعرض للخطر إذا ما اتخذت قرارات تتعارض مع نوايا مؤتمر السلم(١).

**وعندما وصلت أنباء المبايعة اتخذت الحكومتان موقفاً صريحاً مناهضاً لقرارات المؤتمر السوري** فقد أبلغ فيصل أن الحكومة البريطانية لا تستطيع الاعتراف بما جرى في دمشق لأنها تعتبر هذه القرارات وكأنها: «باطلة ولا وجود لها» فالحكومات الحليفة وحدها لها الحق في اتخاذ القرارات الخاصة بسورية والعراق وفلسطين لأنها هي وحدها التي حررت هذه البلاد من الاحتلال العثماني. وطلب من فيصل من جديد أن يرجع إلى أوروبا لعرض القضية السورية أمام مؤتمر السلم(٢). أما موقف فيصل فقد بات واضحاً ومتماشياً مع رغبات شعبه. ولذا فقد أرسل مذكرات إلى كل من رئيس

---

(١) راجع الوثائ البريطانية، المجلد ١٣، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٩.

الولايات المتحدة ولسن وإلى وزير الخارجية البريطانية **اللورد كرزون** وإلى المندوب السامي الفرنسي الجنرال غورو قال فيها: «**إن ما أعلنه المؤتمر في قرارات تاريخية يهدف إلى المحافظة على وحدة البلاد السورية وإلى تهدئة الخواطر العارمة في الشعب وهي علاوة على ذلك تنسجم تماماً مع تعهدات الحلف قبل وخلال الثورة العربية الكبرى**». وعلى كل حال فإن ما قام به المؤتمر المنتخب انتخاباً شرعياً هو شرعي أيضاً. وهذا لا يمنع الحكومة السورية والمسؤولين فيها من الإطلاع على مقترحات ومشورة الحلفاء مع طلب المساندة المادية والمعنوية التي لا تتنافى مع استقلال البلاد ووحدتها الشاملة(١).

**وعندما حاول الجنرال اللنبي اقتراح حل وسط على حكومته في ٣/١٨** يقضي بأن يُعترف بملكية فيصل على اتحاد عربي يضم كلا من سورية والعراق وفلسطين من إبقاء الإدارة الفرنسية في سورية والإدارة البريطانية في فلسطين والعراق أجابه وزير الخارجية البريطاني **اللورد كرزون** أنه لا مجال لهذه الخطة لأن المحادثات القائمة الآن بين الحلفاء تهدف إلى فرض الانتداب على هذه المناطق(٢).

**وقد أيّد الملك حسين ما قام به المؤتمر السوري** من مبايعة ابنه فيصل ومن التأكيد على وحدة البلاد العربية في برقية أرسلها بواسطة ديوانه إلى رئيس المؤتمر السوري بتاريخ ٣/٢٠ وفي برقية أخرى أرسلها إلى **الجنرال اللنبي** في القاهرة بتاريخ ٣/٢٧ (٣).

---

(١) راجع الوثائق البريطانية المصدر السابق - ص٢٢٩ - ٢٣٠ وقد نشرت هذه الرسائل وقتئذ في جريدة العاصمة في ١٩٢٠/٤/٥ عدد، ١١٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣١ - ٢٣٦.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٧ - أما البرقية لرئيس المؤتمر السوري فتجد نصها في جريدة العاصمة بتاريخ ١٩٢٠/٤/٥ العدد ١١٤.

**وقد أجاب وزير الخارجية البريطاني اللورد كرزون الملك حسين عن طريق ابنه عبد الله (وزير خارجية الحجاز)** أن الحكومة البريطانية لا تعترف بما قرره المؤتمر العراقي الذي انعقد بتاريخ ١٩٢٠/٣/٢٨ في دمشق لأن مؤتمر السلم وحده هو صاحب الصلاحية في تقرير مستقبل العراق والبلاد العربية[١].

**أما الملك حسين فكان رده على وزير الخارجية البريطاني واضحاً** يتفق مع مواقفه الثابتة من إعلان الثورة. فقد أكد أنه لا علاقة له بمؤتمر السلام لأن علاقته كانت مع بريطانيا دون سواها وكتب حرفياً: «**فبريطانيا** هي التي دعتني، وهي التي جعلتني أعلن الثورة وهي التي قبلت كل شروطي المتعلقة **باستقلال البلاد العربية...**»[٢]. وحاول **الملك فيصل** إرضاء الوزارة البريطانية بإيفاد نوري السعيد إلى لندن ولكن **وزير الخارجية كرزون** رفض الاستماع إليه لاسيما وأن الدبلوماسية الفرنسية رفضت أن تتفاوض مع فيصل بصفته ملكاً على سورية ولم ترضَ به إلا ممثلاً للشعب السوري كما في الماضي[٣]. وظل الوضع على هذه الحال إلى أن اجتمع الحلفاء في سان ريمو بين ١٨ - ٢٥ نيسان ١٩٢٠ لإقرار مبدأ الانتداب على المناطق المحررة من الدولة العثمانية.

**أما في الداخل فقد استخدم الملك فيصل صلاحياته الدستورية كاملة،** وعين وزارة جديدة لتحل محل مجلس المديرين السابق برئاسة السيد رضا الركابي لإدارة شؤون الدولة، ولتكون مسؤولة مباشرة أمام المؤتمر السوري

---

(١) المرجع سابق ص ٢٣٩.

(٢) الوثائق البريطانية غير المنشورة الملف ٢٣/٣٨٢، والوثائق المنشورة أيضاً المجلد ١٣ ص ٢٤٦ - ٢٤٧. رسالة الملك حسين بتاريخ ١٩٢٠/٤/٦.

(٣) راجع رسالة فيصل إلى اللورد كرزون في ١٩٢٠/٣/٢٨ في الوثائق البريطانية. المجلد ١٣ ص ٢٤٦ وموقف السفير الفرنسي في لندن - ص ٢٤٦.

حسب الأعراف الديمقراطية وكانت هذه الوزارة هي الأولى في تاريخ سورية الحديث. وقد تقدمت الوزارة إلى المؤتمر لإلقاء بيانها الوزاري في ١٩٢٠/٣/٢٧ وراعت في برنامجها الظروف الراهنة لا سيما أمام معارضة الدول الاستعمارية لمقررات المؤتمر السوري، فتحدثت عن الدفاع وعن الاستقلال السوري وعن المساواة أمام القانون وعن حماية المصالح الأجنبية وعن نشر المعارف، وعن تحسين الحالة الاقتصادية، وعن استعدادها للتعامل مع الحلفاء من أجل التطور الاقتصادي(١).

**وتشكلت لجنة لوضع الدستور الجديد برئاسة هاشم الأتاسي** أنهت أعمالها بعد عشرة أسابيع فجاء الدستور بمواده الـــ ١٤٨ منسجماً مع التقاليد الديمقراطية الأوروبية. وقد نص الدستور على مواد أساسية ندرج بعضاً منها: أن سورية يحكمها ملك دستوري من الأسرة الهاشمية وهو غير مسؤول. تدار البلاد على أساس اللامركزية. ينتخب مجلس النواب بالاقتراع السري على درجتين وهو يمثل السلطة التشريعية. ينتخب مجلس شيوخ من قبل مجلس النواب وقد أكد الدستور على مبدأ احترام الحريات العامة المدنية والفكرية والدينية.

**وكما وضع السوريون فرنسا وإنكلترا أمام الأمر الواقع فقد قررت الدولتان وضع العرب أمام الأمر الواقع.** وكانتا قد توصلتا إلى إنهاء خلافاتهما بقبول فرنسا بالتخلي لبريطانيا عن فلسطين والموصل(٢) مقابل قبول بريطانيا بالتخلي عن سورية بكاملها لفرنسا. وعقد مجلس الحلفاء اجتماعاً في سان ريمو بين ١٨ - ٢٥ نيسان عام ١٩٢٠. وبالرغم من أن الصلح مع تركيا لم يتم بعد، وأن شرعية فصل المناطق العربية عن الدولة العثمانية لا

---

(١) راجع نص البيان الوزاري في جريدة العاصمة. العدد ١١٣ بتاريخ ٢٩/ ٩/ ١٩٢٠.

(٢) حصلت فرنسا على حصة كبيرة من نفط الموصل مقابل التنازل عن الموصل (٢٣,٧٥%).

يصح إلا بعد عقد المعاهدة معها وإدماج قرار الفصل فيها، وعلى الرغم من أن نظام الانتداب لم يعرض بعد على مجلس العصبة ليصادق عليه، فقد قرر المجلس تقسيم المناطق العربية وتقرر انتداب فرنسا على سورية ولبنان وانتداب بريطانيا على العراق وفلسطين وشرقي الأردن والتزام بريطانيا بتطبيق وعد بلفور(١).

وتعتبر هذه القرارات أهم وثيقة رسمية ذات طابع دولي بتجزئة هذه المنطقة وإخضاعها للاستعمار الأوروبي. وهي بالتالي أهم سبب من أسباب قيام الثورة والانتفاضات الشعبية التالية في هذه المناطق.

**تلقى الجنرال اللنبي قرارات سان ريمو من حكومته التي أكدت له أنه بإمكان فيصل المثول أمام المؤتمر في باريس في الاجتماع المقبل لعرض قضيته**، وإن فرنسا ما تزال مستعدة للاعتراف به ملكاً على سورية شريطة قبوله الانتداب الفرنسي وأن بريطانيا مستعدة للاعتراف نفسه. إلا فيما يتعلق بفلسطين خاصة وأنه سبق أن قبل آراء الحكومة البريطانية التي تضمنها وعد بلفور وإنه يحتاج إلى التوصل إلى اتفاق مع فرنسة حول نصوص الانتداب، أما مع بريطانيا فأمامه بحث مسألة الحدود بين سورية وفلسطين فقط(٢).

**ونقلت الحكومة الفرنسية تبليغاً مماثلاً عن قرارات سان ريمو إلى الجنرال غورو**، أشارت فيه إلى قبول فرنسا المهمة التي عهد بها إليها مؤتمر

---

(١) وكان الملك فيصل قد أرسل إلى المؤتمر مندوبين عنه هم رستم حيدر ونوري السعيد ونجيب شقير ولكن أعضاء المؤتمر (فرنسا إنكلترا وإيطاليا) رفضوا الاعتراف بهم ولم يسمحوا لهم بعرض وجهة النظر العربية.

(٢) راجع برقية اللورد كرزون إلى اللنبي بتاريخ ١٩٢٠/٤/٢٦ في الوثائق البريطانية. مجلد ١٣ ص ٢٥١ - ٢٥٢. «وسارع اللنبي إلى إطلاع فيصل على هذه الأمور في ٤/٢٧» حيث نقل إليه جملة ما جاء في برقية كرزون: راجع المصدر السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

الصلح لمساعدة سورية وإرشادها، على أن تضمن استقلالها ضد كل اعتداء ضمن الحدود التي يعينها مؤتمر الصلح ناظرة بعين الاعتبار إلى الإدارات المحلية.

**وقد أبرق أيضاً رئيس الوزارة ميللر إلى فيصل بالمعنى نفسه**[(١)]. وعلى أثر هذه البرقيات ثارت الخواطر في سورية واتهم **رضا الركابي** بإتباع سياسة تميل إلى القول بالانتداب واضطر الملك فيصل إلى إعفائه من الوزارة وإلى تعيين **هاشم الأتاسي** رئيس المؤتمر السوري بدلاً عنه مع إدخال بعض العناصر الوطنية في الوزارة أمثال **الدكتور شهبندر ويوسف العظمة**[٢]. وفي ٥/١٣ أجاب فيصل على برقيات **اللنبي ومبلكيران** فرفض الاعتراف بمقررات **سان ريمو** إجمالاً. كما رفض فصل فلسطين عن سورية[(٣)].

**وعمد الفرنسيون إلى إثارة الرأي العام بين مختلف الطوائف في سورية ولبنان**، كما بدأت الثورات الوطنية بالاشتعال ضد الاحتلال الفرنسي في المناطق الجنوبية **(لبنان)** والغربية **(الساحل السوري)**. كما سلَّح الفرنسيون أقواماً من المسيحيين لمجابهة القوات الوطنية. فثارت ثائرة الملك فيصل وطلب من رئيس الوزارة البريطانية **لويد جورج** أن يتدخل مع الفرنسيين لإيقاف هذه العمليات. ولما وقعت الهدنة بين الفرنسيين والأتراك في كيليكية في ١٩٢٠/٥/٣٠ خلا الجو للفرنسيين لحشد قواتهم ضد المنطقة الشمالية من سورية أي ضد حكومة فيصل وتشكل هذه الهدنة منعطفاً خطراً في تاريخ العلاقات حتى يوم ميسلون.

---

(١) راجع سليمان موسى «الحركة العربية» ص ٥٥٢.

(٢) راجع أحمد قدري «مذكراتي» المذكور سابقاً ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

ويوسف الحكيم في كتابه سورية والعهد الفيصلي ص ١٥٦ - ١٥٧ وأمين سعيد: المجلد الثاني. الجزء الأول.

(٣) راجع الوثائق البريطانية: برقية اللنبي إلى كرزون في المجلد ١٣ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ وراجع أمين سعيد المجلد الثاني (١) ص ١٤٤ - ١٤٥.

**كانت قرارات سان ريمو بمثابة إطلاق يد فرنسا في سورية،** وشرع الجنرال غورو بعد تلقي الإمدادات اللازمة يستعد للزحف على دمشق. وقرر فيصل السفر إلى أوروبا ولكنه آثر أن يحصل على ضمان من إنكلترا بعدم حصول تغيير في الوضع العسكري أثناء غيابه ولكنه لم يحصل على ما يرغب به بل لم يجد تشجيعاً على القدوم. وفي ١٤ تموز يوم عيد الحرية في فرنسا **تلقى فيصل إنذار غورو الشهير** الذي كان بمثابة طلب استسلام كامل[١] وكان **غورو** قد صاغ هذا الإنذار على نحو اعتقد أنه لم يترك فيه مجالاً ليقبله فيصل، ولهذا فوجئ حين وصله أشعار فيصل بقبول الشروط الواردة في إنذاره ولكن القوات الفرنسية كانت في طريقها إلى دمشق. فادعى غورو أن القبول وصل متأخراً ولم يطرأ أي تغيير على حركة القوات الزاحفة التي شعرت بأنها تقوم بنزهة عسكرية **بعد أن قام فيصل بتسريح الجيش السوري ولم تؤثر على حركتها مقاومة جمهرة صغيرة من الجيش النظامي وبضع مئات من المتطوعين فكانت معركة ميسلون في ٢٤ تموز مجزرة أكثر منها معركة وفي ٢٥ تموز دخلت القوات الفرنسية دمشق** لتغادرها بعد ربع قرن من الصراع البطولي الذي خاضه الشعب العربي في سورية ضد الغزاة.

**وكان الملك فيصل قد ترك دمشق في ١٩٢٠/٧/٢٤ إلى الكسوة مع أخيه الأمير زيد وعدد من وزرائه** آملاً أن يتوصل إلى اتفاق مع الفرنسيين في آخر لحظة ولذا عين رئيساً جديداً للوزارة السيد علاء الدين الدروبي وفوض نوري السعيد بالتفاوض مع الفرنسيين. وكانوا قد أبلغوه رسمياً

---

(١) ١ - وضع سكة حديد رياق حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي (أي السيطرة على حمص وحماه وحلب). ٢ - قبول الانتداب الفرنسي. ٣ - إلغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين. ٤ - قبول الأوراق النقدية التي أصدرها البنك السوري. ٥ - معاقبة المجرمين (أي زعماء المقاومة ضد الفرنسيين) الذين استرسلوا في معاداة فرنسا.

بوجوب مغادرة العاصمة إلى الحجاز فاضطر إلى النزول عند إرادتهم[١] ولما وصل الملك مع حاشيته إلى درعا حاول أن يضمن ثورة الحوارنة ضد الفرنسيين كآخر ورقة يلعبها ضدهم. فسارع الفرنسيون بالإيعاز إلى رئيس الوزراء علاء الدروبي بإبلاغه برقياً بمغادرة البلاد وإلا قصفت الطائرات الفرنسية المدينة. وهكذا غادر فيصل سورية إلى حيفا في ٧/٢٩. وقد بقي هناك حتى ١٩٢٠/٨/١٨م حيث غادرها إلى مصر ومنها بحراً إلى إيطاليا[٢]. وقد حاول الإنكليز إقناع فيصل بالسفر إلى الحجاز فرفض وأصر على التوجه إلى أوروبا مدعياً المرض[٣]. **وقد وجه فيصل من منفاه في إيطاليا رسالة انتقد فيها انتقاداً مراً السياسة البريطانية والفرنسية حيال حكمه في سورية**[٤]. ومكث فيصل في إيطاليا في مدينة **كومو** إلى أن تلقى دعوة من الحكومة البريطانية لزيارة لندن والاجتماع بالملك جورج في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٠م. وهكذا بدأت صفحة جديدة من حياة الملك فيصل ستقوده إلى تولي عرش العراق تحت الانتداب البريطاني.

## حادي عشر - فيصل ملكاً على العراق:

**بدا وضع الجيوش البريطانية في العراق أغرب من وضعها في بلاد الشام.** فقد اعتبرت البلاد «أرضاً للعدو» يسكنها أصدقاء. وأكدت الإدارة

---

(١) راجع ساطع الحصري ميسلون ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٢) وقد ذكرت خيرية قاسمية على لسان إحسان الجابري أن المندوب السامي البريطاني في فلسطين طلب من فيصل وهو في اللد في طريقه إلى مصر أن يتنازل خطياً عن منطقة شرقي الأردن للسلطات البريطانية (راجع كتاب الحكومة العربية في دمشق - ص ٢١٠ حاشية ٢).

(٣) راجع سليمان موسى «تأسيس الإمارة الأردنية» عمان ١٩٧١، ص ١٣ - ١٤.

(٤) راجع روسي «الوثائق» ص ١٠٠ - ١٠١ راجع أيضاً حمادة وظبيان: «فيصل بن الحسين من المهد إلى اللحد» ج١ دمش ١٩٣٣ - ص ١١٥ وما بعدها.

البريطانية للسكان أنها لا تنوي «معاملتهم كأعداء طالما حافظوا على حيادهم ومظهرهم الودي وامتنعوا عن حمل السلاح ضد جنودنا» وأنهم «سوف يتمتعون بمنافع الحرية والعدل من جهة شؤونهم الدينية والدنيوية». وأكدت بريطانيا لسكان العراق رغبتها بأن «تحرر العرب من ظلم الأتراك وتساعدهم على التقدم وازدياد الازدهار والتجارة»[1] .

**وفرضت الحكومة البريطانية تغييراً جوهرياً** على السياسة الرسمية في العراق، فقد أجبر القائد العام الجنرال مود على توجيه نداء إلى سكان بغداد (١٩١٧/٣/١٩م) جاء فيه:

«**لقد طرد العرب من الحجاز الترك والألمان**، ونادوا بعظمة الشريف حسين ملكاً عليهم، وعظمته يحكم بالاستقلال والحرية وهو متحالف مع الأمم التي تحارب دولتي تركيا وألمانيا.. وتصمم بريطانيا... أن لا يذهب ما قاساه العرب الشرفاء هباءً منثوراً.. وأن تسمو الأمة العربية مرة أخرى عظمة وصيتا وإن تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوئام».

**ولم يكن الجنرال مود راضياً عن هذا البيان واعتبره مثيراً** «في غير الوقت المناسب» لآمال العرب وطموحاتهم «وفي وقت يجب أن تبقى فيه سلطة الجيش البريطاني في الأراضي المحتلة سائدة وغير منازع فيها».

**ولكن الإدارة البريطانية خرقت كل الأعراف والقوانين الدولية ولم تتقيد بالوعود والبلاغات.** فهي لم تحكم البلاد حسب نصوص اتفاقيتي لاهاي مما يوجب على دولة الاحتلال اتخاذ «جميع التدابير لإعادة الأمن إلى نصابه وتأمين حالة السلم على قدر استطاعتها بشرط أن تحترم القوانين المعمول بها

---

(١) راجع بيان الجنرال مود إلى أهالي بغداد بعد احتلال عاصمة العباسيين: عبد الرحمن البزاز «العراق من الاحتلال حتى الاستقلال» الطبعة ٣ بغداد ١٩٦٧ - ص ٧٥ - ٧٧. وراجع أيضاً فيليب أيرلاند: «العراق» لندن ١٩٣٧ - ص ٨١. أما النص الكامل لبيان الجنرال مود فنجده في أيتوري روسي: «الوثائق...» ص ٦١ - ٦٣.

في البلاد». فقد تنكرت الإدارة العسكرية «للقوانين المعمول بها في البلاد» وأدخلت القوانين والأنظمة الهندية. وجيء للمنطقة بضباط وأفراد شرطة ليحلوا محل الشرطة العثمانية. وأسست محاكم على الطراز [البريطاني - الهندي] لتطبيق القوانين الهندية، واختفى القانون المدني التركي وقوانين الجزاء والإثبات وأصول المحاكمات. وهكذا لم تتصرف بريطانيا في العراق تصرف دولة احتلال بل اعتبرت العراق امتداداً لمستعمرة الهند. ولكنها لم تعامل سكان العراق كرعايا بريطانيين أو هنود، بل اعتبرتهم أصدقاء يسكنون أرضاً معادية، ثم طبقت عليهم أقسى قوانين السخرة والمصادرة والاحتكار[1].

**وفوجئ المسؤولون البريطانيون في العراق بأنباء ثورة الشريف الحسين بن علي.** فقد عملت الإدارة البريطانية من قبل على مطالبة العرب بالوقوف على الحياد الموالي لبريطانيا، ولم ترحب بقيام ثورة عربية على الأتراك. وعندما قام عرب كربلاء والنجف بثورتهم على الأتراك في أواخر سنة ١٩١٥ وأوائل سنة ١٩١٦ تركتهم القيادة البريطانية لمصيرهم دون أن تحاول استغلال هذه الثورة ومساعدتها[2]. واعتقد الإنجليز أن تدخل العرب في القتال إلى جانب القوات البريطانية يعقد التسوية النهائية مع العدو. كما اعتبرت الإدارة الهندية ابن سعود زعيم العرب الأصلي الذي قام بالدور المطلوب منه خلال الحرب وهو تجميد نشاطه ومنع إيصال المساعدات إلى الأتراك. **ولم تحاول القيادة البريطانية الاستفادة من العدد الكبير من الأسرى العرب الذين وقعوا بيدها لتطويعهم في الجيش العراقي** الذي تركته مؤلفاً من الهنود والإنكليز فقط بل أرسلتهم إلى فيصل لينضموا إلى الجيش العربي في

---

(١) عبد الرحمن البزاز - المرجع السابق: ص ٧٩ - ٨٨: الحكم المباشر البريطاني في العراق.

(٢) عبد الله فهد النفيسي: «دور الشيعة في تطوير العراق السياسي الحديث» بيروت. دار النهار للنشر - ١٩٧٣م - ص ٨٥ وما بعدها.

الحجاز، بينما كان الضباط العراقيون الذين اطلقت بريطانيا سراحهم يشكلون الدعامة الأولى للقوة العسكرية النظامية التي قادها **فيصل**.

**وبلغ من وقاحة الحاكم العام أن أكد لحكومته «بكل ثقة» أن البلاد «لا ترغب في خطط الاستقلال الكاسحة المنوه عنها»**. وعاد الحاكم البريطاني عام ١٩١٨م ليؤكد من جديد: «**قد تمكنا باحتلال ما بين النهرين من أن ندق إسفيناً في العالم الإسلامي، وبذا حلنا دون تجمع المسلمين ضدنا في الشرق الأوسط. ويجب.. أن نحافظ على (هذا) الإسفين**. وأن لا تندمج (العراق) سياسياً في سائر بلاد العالم العربي أو العالم الإسلامي بل تبقى منعزلة بقدر المستطاع لتصبح مثلاً للبلاد الأخرى...»[١].

**وكان القرار الذي اتخذه المؤتمر العراقي في دمشق في ٨ آذار ١٩٢٠م حول استقلال العراق ووحدته مع سورية**، ومبايعة الأمير عبد الله ملكاً عليه ضربة قاسية للسياسة البريطانية، فجاء رد وزير الخارجية البريطانية كرزون قاطعاً بالنفي إذ قال في برقية أرسلها إلى الملك حسين وإلى ابنه الأمير عبد الله «أن الحكومة البريطانية لا تعتبر العراقيين التسعة والعشرين الذين اجتمعوا في دمشق ممثلين عن العراق. إن مؤتمر السلم وحده هو الذي سيقرر مستقبل العراق بعد الرجوع إلى رغبات الأهالي[٢]، ونتيجة لهذا الموقف كان لابد أن تصطدم مصالح بريطانيا مع مصالح الشعب العراقي. **ومما زاد من خطورة الموقف القرارات التي اتخذت في مؤتمر سان ريمو (١٨ - ١٩٢٠/٤/٢٥) حول الانتداب على العراق ولاسيما بخصوص نفط منطقة الموصل**. إذ جاءت هذه القرارات تدعيماً دولياً للاتفاقات السرية التي أبرمت خلال الحرب بين الدولتين الاستعماريتين:

---

(١) راجع بير روسي «عراق الثورات» باريس ١٩٦٢ - ص ٨٧.

(٢) راجع «الوثائق البريطانية» المجلد ١٣ - ص ٢٣٩. برقية كرزون إلى اللنبي رقم ٢٩٢ في أول نيسان ١٩٢٠.

فرنسا وبريطانيا العظمى. وكان نظام الانتداب هذا شكلاً جديداً من الاستعمار القديم وبديلاً عنه. وقد شعر سكان العراق بخطورة هذه القرارات على مستقبل بلادهم السياسي والاقتصادي وبدأوا بالاستعداد لمعارك الاستقلال الوطني.

**وتمّ التقارب بين مختلف الطوائف في العراق ولاسيما في بغداد وكربلاء ونجف والموصل.** لأن الجميع قد أيقنوا أن الإنكليز لم يأتوا إلى العراق إلاّ ليبقوا فيها وليس لتحرير البلاد من الظلم التركي. وقد شعر البريطانيون بما يتهيأ من طريق المعارضة لاحتلالهم فقرروا منذ الثالث من أيار ١٩٢٠م حالة الطوارئ في بغداد. ولكن هذا التدبير لم يثن عزيمة المقاومة. بينما طلب محمد جعفر أبو تمام من رجال قبائله في منطقة **الفرات الوسطى** أن يتهيأوا للجهاد أو للمقاومة، أصدر المجتهد الأكبر منذ مطلع آذار ١٩٢٠م - **فتوى لأهل الشيعة بتحريم قبول أي وظيفة حكومية في الإدارة البريطانية ثم انتخبت لجنة مشتركة سنية - شيعية** للاتصال بالحاكم المدني البريطاني **ويلسون** وتقديم عريضة تطالب بتشكيل مجلس وطني ينتخب حسب قانون الانتخاب العثماني ويكون له السلطة التشريعية الكاملة، والصلاحيات بتشكيل حكومة وطنية حسب البلاغ الإنكليزي - الفرنسي المعروف[١]. **وقد أثرت حالة الهيجان والاضطراب في سورية على الوضع في العراق لاسيما بعد أن عزم بعض الضباط العراقيين الموجودين في سورية نقل المعركة إلى أراضي العراق.** فقام جميل المدفعي مع جماعة من رجاله ومن قبيلة شمر باحتلال بلدة تل عفر الواقعة على مسافة ٤ أميال غربي الموصل في ١٩٢٠/٦/٣. فقتل الضابط السياسي مع ملازم أول وغيرهما من الضباط والجنود البريطانيين، ولما سارعت السلطات العسكرية بإرسال النجدة نصب

---

(١) راجع وثائق وزارة الخارجية البريطانية: F.O. 371/5071 و F.O.371/5228 و F.O.371/5227.

لها الكمين وقتل منها ضابطان وأربعة عشر جندياً بريطانيا ثم أرسلت قوة عسكرية جديدة من الموصل احتلت بلدة تل عفر وطردت جميع سكانها وجلهم من الأبرياء. وشكلت هذه الحادثة بادرة خطيرة للثورة التي ما لبثت أن اندلعت في جميع مقاطعات العراق[(١)].

**فبدأت الثورة في العراق بحادثة الرّميثة التي تعتبر فاتحة الجهاد العراقي ضد الاستعمار البريطاني بتاريخ ١٩٢٠/٦/٢٩، إذ قام فريق من قبيلة الطوالم بالهجوم على سرايا الحكومة في الرميثة وأطلقوا سراح شيخهم شعلان أبي الجون** المعتقل هناك. وفي الوقت ذاته قامت عشائر أخرى في **السماوة** وحاصرت الحامية البريطانية وقلعت الخطوط الحديدة المؤدية إليها فجرت معارك كبيرة بين رجال العشائر والقوات البريطانية والهندية التي أتت للنجدة ووقعت اشتباكات كثيرة في التعينة المعروفة **بالعارضيات** التي تقع على بعد ٦ أميال من **الرميثة**. وقد كان لهذه المعارك صدى كبير في العراق وفي مجلس العموم البريطاني، فقامت قبائل الشيعة في لواء الملتفق جنوبي العراق وأعلنت الجهاد المقدس. وطبعت منشورات معادية للإنكليز في مطبعة كربلاء.

**وقد جاء في أحد هذه المنشورات رد عنيف على ما كان صرح به لويد جورج من أن حملة فلسطين كانت آخر حملة صليبية وأعظمها شأناً.** أما في بغداد فاتبعت الثورة أسلوباً آخر في مناهضة الاستعمار البريطاني

---

(١) راجع أ. ت. ويلسون «بلاد ما بين النهرين» (١٩١٧ - ١٩٢٠). لندن ١٩٣٠ - ص ٢٧٣ - ٢٧٤. ثم راجع فيليب. و. إيرلاند: «العراق» لندن ١٩٣٧ - ص ٢٥٨ - ٢٥٩. وراجع أيضاً في هذا السبيل: «الوثائق البريطانية»: F.O.371/5129، وراجع أيضاً من الدراسات العربية: عبد الله فهد النفيسي: «دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث». المذكور سابقاً ص ١٣٢ - ١٣٣ وخيرية قاسمية: «الحكومة العربية في دمشق» ص ١٨٧ - ١٨٩ مع الحواشي.

وركزت على الناحية الحقوقية الدولية. إذ طالبت بتحرير العراق من السيطرة الأجنبية طبقاً لحقوق الشعب في تقرير مصيره. وأخيراً في الموصل، كانت خسائر الجيش البريطاني كبيرة مما اضطر القيادة البريطانية إلى تقديم توصية بالانسحاب من ولاية الموصل[١] وتتابعت الأعمال العدائية ضد القوات البريطانية في العراق الجنوبي من جبهة الشامية، **فحوصرت أبو صخير في ١٣ تموز** وتم احتلال **الكوفة** بعدئذ بينما قامت دعوة واسعة لإثارة القبائل المحيطة بالحلة وكانت هذه الأعمال قائمة بينما كانت الحالة في **سورية مضطربة خلال الأزمة بين فيصل والجنرال غورو** (من منتصف تموز حتى احتلال دمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠م) ولم تقتصر الثورة على مناطق الفرات ومع أن الفرات الأوسط شكل أعظم ميادين الجهاد ضد الإنكليز فقامت أعمال ثورة كذلك في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء. كما جرت حوادث دامية أخرى في قضاء الفالوجة وحوصرت السامراء وثارت القبائل الكردية في الشمال واحتلت السعدية وخانقين. كما قامت حكومة مؤقتة في مندلي[٢]. واستمرت هذه الثورة خلال شهري تموز وآب اضطراب خلالها القوات البريطانية إلى التجمع في مناطق معينة كي تتهيأ فيها للهجوم وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه.

**وفي أواخر شهر أيلول استطاعت القوات البريطانية القضاء تدريجياً على الثورة فاستعادت المدن.** وهدأت الخواطر في الألوية، وفي أواخر شهر تشرين الثاني ١٩٢٠م كانت الأمور قد عادت إلى نصابها واستتب النظام والأمن حسبما يشتهي البريطانيون.

---

(١) راجع ويلسون المرجع المذكور سابقاً ص ٢٧٧ - ٢٧٩. عبد الرحمن البزاز «العراق» المذكور سابقاً ص ١٠٢. عبد الله فهد النفسي المذكور سابقاً ص ١٣٥ - ١٤٠.

(٢) عبد الرحمن البزاز: «العراق» صفحة ١٠٣ - ١٠٥.

**ويرجع الفضل في ذلك إلى الطريقة السياسية الجديدة** التي اتبعتها الحكومة البريطانية ابتداء من أول شهر تشرين الأول إذ عُين السير بيرس كوكس مندوباً سامياً على العراق مزوداً بصلاحيات واسعة لانتهاج سياسة حكم غير مباشر على العراق. **وهنا يبدأ الملك فيصل بلعب الدور الأساسي في تاريخ العراق** الحديث، بعد أن كلف بإقامة حكم عربي ملكي تحت الانتداب البريطاني.

**ففي ١١/١١/١٩٢٠م عين نقيب الأشراف في بغداد عبد الرحمن الكيلاني لتولي رئاسة أول حكومة عراقية وطنية تحت الإشراف البريطاني.** وقامت هذه الحكومة المؤقتة **بإصلاحات إدارية منها:** تقسيم العراق إلى وحدات إدارية (محافظات وأقضية ونواحٍ) وشكلت بلديات بإشراف الحكام الإداريين. وفصل القضاء عن السلطة التنفيذية. وعين موظف عراقي لكل وحدة أدارية وإلى جانبه مستشار بريطاني. وكان **النقيب الكيلاني** معروفاً باعتداله السياسي وبمرونته الإدارية[١].

**وقامت الحكومة بإصلاحات أخرى** حاولت بها إعادة النظام والحياة الدستورية إلى البلاد وقد عبر المندوب السامي عن **مهمات الحكومة الأساسية منها:** إصدار قانون انتخابات، وإنشاء مجلس وطني يمثل الشعب بانتخابات حرة. كل هذا بغية إنشاء حكومة عربية دائمة. كانت هذه المهمات جميعاً غايتها تهيئة الظروف لإعلان الملكية وانتخاب فيصلاً ملكاً على العراق.

**ولما دعي فيصلاً لزيارة لندن طرحت قضية الإدارة العربية في العراق كما طرحت قضية مستقبل شرقي الأردن.** وكان فيصل خلال إقامته في إيطاليا. قد استفاد من خبراته السياسية السابقة في التعامل مع الإنكليز وبالتوصل إلى صورة عملية للتعامل السياسي معهم: منها الابتعاد عن العزلة

---

(١) العماد مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، مرجع سابق ص ٥٨٦.

والسلبية واتخاذ جميع الأساليب الممكنة لأخذ المطاليب الأساسية والمطالبة بما هو ممكن.

**وبدأت المفاوضات بينه وبين ممثلي وزارة الخارجية البريطانية** في ١٩٢٠/١٢/٢٣[1]. وفي جلسة ٦ كانون الثاني ١٩٢١م طرحت قضية العراق. وكانت هناك صعوبة أساسية تتصل بشخص شقيقه الأمير عبد الله الذي كان المؤتمر العراقي في دمشق قد بايعه بهذا العرش كما ذكرنا سابقاً، وكان موقف فيصل غاية في الوضوح والاعتدال والمرونة إذ قال للمسؤولين البريطانيين: أنه لا يذهب إلى العراق إلا إذا رغب الناس به، ورفضت الحكومة البريطانية أي تعامل مع **أخيه عبد الله** لأنه يعمل من أجل القضية العربية مع توثيق الصلات مع بريطانيا. وكان اللواء نوري السعيد قد سبق فيصلاً إلى العراق وعين رئيساً للأركان والشرطة تحت الإشراف البريطاني. **فأنشأ حال وصوله** في ١٩٢١/١/٦م **النواة الأولى للجيش العراقي.**

ومما جعل **فيصل** يقبل عرش العراق تحت ظل الانتداب البريطاني الصورة الواقعية التي توصل إليها خلال مباحثاته مع المسؤولين البريطانيين فقد كتب رسالة إلى أخيه زيد في ١٩٢١/١/٢٥م يطلعه فيها: «على أنه قد تم بينه وبين الإنكليز اتفاق على إنشاء حكومتين عربيتين في العراق والأردن. لأن السياسة في نظره هي أولاً وآخراً منافع مشتركة ولذا فقد رضي ذلك اليوم بعرش العراق تحت ظل الانتداب البريطاني بينما رفض سابقاً عرش سورية مع الانتداب الفرنسي. **وقال لأخيه حرفياً:** «فالعقل يقضي علينا أن نأخذ اليوم ما يمكننا أخذه...»[2].

---

(١) راجع وثائق وزارة الخارجية البريطانية F.O.371/6238. وراجع أيضاً كتاب سليمان موسى: «صفحات مطوية. مفاوضات المعاهدة بين الشريف حسين وبريطانيا ١٩٢٠ - ١٩٢٤». عمان ١٩٧٧ ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤١.

**ولما عيّن تشرشل وزيراً للمستعمرات في منتصف شهر شباط ١٩٢١م أوكل إليه أمر توجيه السياسة البريطانية في الشرق الأوسط** بعدما كانت تتأرجح بين دائرتي وزارة الخارجية ووزارة الهند فأنشأ في وزارته دائرة الشرق الأوسط وهيأ لمؤتمر القاهرة السبيل لتسوية قضايا العراق والعالم العربي الواقع تحت السيطرة الإنكليزية.، ففي ١٩٢١/٣/١٢م عقد مؤتمر القاهرة ودعي إليه كبار موظفي العراق البريطانيين. فحلت قضية العراق على أساس اختيار حاكم له يعالج القضايا الأساسية فيعطى للعراقيين قدراً كبيراً من الحكم الذاتي ويأخذ على عاتقهم مسؤولية الحكم وتقرر فيه تعيين فيصل حاكماً عربياً للعراق. ومما جاء في رسالة بعث بها تشرشل إلى رئيس الوزارة **لويد جورج**: إذ أن أفضل ما يمكن تتويجه ملكاً على العراق هو الأمير فيصل. ولست أشك شخصياً في أن اختيار فيصل سيوفر لنا أحسن الفرص لتخفيض نفقاتنا في العراق لأن الوضع في العراق شديد التعقيد ولاسيما من جهة عدد الذين يطالبون بالعرش... ومن بين أبناء الشريف حسين فنحن متفقون على أن الأمير فيصل يفوقهم...»(١).

**وهكذا أصبح فيصل من أقوى المرشحين للعرش العراقي**(٢). فوصل فيصل إلى العراق من جدة في ١٩٢١/٦/٢٣م حيث نزل في البصرة وفي ٥ تموز أصدر المندوب السامي بلاغاً إلى العراقيين يشرح فيه سياسية بريطانيا العتيدة في العراق وبين أيضاً الأسباب التي من أجلها فضلت الحكومة البريطانية فيصلاً على بقية المرشحين.

**وفي ١٩٢١/٧/١١م قررت الحكومة المؤقتة بالإجماع المناداة بفيصل ملكاً دستورياً على العراق**. ولكن فيصل والمندوب السامي رغبا أن يتم

---

(١) راجع الوثائق البريطانية. F.O.371/6350.

(٢) راجع آيرلاند «العراق» المذكور سابقاً - ص ٣٠٢ - ٣١١. «والبزاز» ص ١٢١ - ١٢٣.

تصديق هذا القرار باستفتاء شعبي. وجرى التصويت فنال فيصل ٩٦% من الأصوات وتقرر تنصيبه ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١م يوم ذكرى الغدير. وقد شدد الملك فيصل في خطاب التتويج على أن مهمته الرئيسة هي إجراء الانتخابات والدعوة إلى انعقاد المجلس التأسيسي».

## ثاني عشر - تأسيس إمارة شرقي الأردن:

**تساءلت السياسة البريطانية عن مصير سورية الجنوبية الواقعة جنوبي بلدة درعا،** ولم تمضِ سوى أيام معدودات على مغادرة فيصل لدمشق ودرعا، فقد أرسل المندوب السامي البريطاني في فلسطين **هربرت صموئيل الصهيوني** رسالة في ٣٠ تموز عام ١٩٢٠م إلى وزير الخارجية في لندن **اللورد كرزون** يسأله فيها عن مستقبل إدارة البلاد الواقعة شرقي نهر الأردن، وجنوبي المنطقة الفرنسية، وعن مصير بلدة درعا بالذات. فجاءه الجواب عاجلاً في ٦ آب حيث أبلغته الوزارة أن منطقة النفوذ البريطاني تتوقف عند مدينة درعا، ولكن ينبغي منع الفرنسيين من توسيع نفوذهم إلى الجنوب مر هذه المدينة لأن هناك احتمالاً باحتلال المدن الواقعة في هذه المنطقة الجنوبية. ولكن سوف لا تسمح الإدارة البريطانية للفرنسيين بممارسة سلطاتهم جنوبي الخط الفاصل بين منطقتي نفوذهم ومنطقة النفوذ البريطاني حسب اتفاقية سايكس بيكو.

ثم تطرقت البرقية إلى نقطتين هما أساس السياسة البريطانية في شرقي الأردن، **أولاً:** استقلال هذه المنطقة مع الحفاظ على صبغتها العربية وتعيين أحد أبناء الملك حسين عليها. وكانت النية تتجه آنذاك إلى تعيين الأمير زيد[1].

---

(١) سليمان موسى «تأسيس الإمارة الأردنية ١٩٢١ - ١٩٢٥». عمان ١٩٧١ ص ١٦ - ١٧.

**ثانياً**: وعندما وصل فيصل إلى حيفا ومكث فيها من أول آب حتى ١٨ منه جاءته وفود كثيرة من منطقة شرقي الأردن وطلبت منه أن يقبل أن يكون أميراً على الأردن رغم معارضة السلطات البريطانية لهذا الاتجاه. وكان رأي المندوب السامي البريطاني بالاتفاق مع الوزارة أن يسافر فيصل إلى عمان ومنها إلى المدينة المنورة كما ذكرنا سابقاً، ولكنه رفض هذا الاقتراح وعزم على التوجه إلى إيطاليا. وكان جواب الوزارة البريطانية بالسماح له. وأبلغ فيصل (أن حكومة بريطانيا تأمل أن تحين لها الفرصة في المستقبل كي تظهر له ودها ووفاءها لما قام به من حسن التعاون معها في الماضي).

**وكانت الحكومة الفرنسية قد سعت إلى توسيع رقعة سلطتها إلى منطقة السلط وشرقي الأردن**. وقد تنبهت الوزارة البريطانية إلى هذه النية بناء على معلومات وردتها في ١٩٢٠/٨/٦م من المندوب السامي البريطاني في فلسطين واعتماداً على برقيته كتبها **اللورد كرزون** إلى سفيره في فرنسا: «إن الفرنسيين لم يحتلوا القنيطرة فحسب وهي من المناطق التابعة لهم بل عينوا حكاماً **لحوران والسلط**... الخ واستدعوا جميع شيوخ الكرك للقدوم إلى دمشق... وبذلك فإنهم قد نقضوا الاتفاقية بيننا. فيجب عليك أن تلفت نظرهم في الحال إلى المسألة وتبلغهم أننا لا نستطيع الاعتراف بأية حقوق للفرنسيين في تلك المنطقة»[١].

**نستنتج من هذه البرقية** أن الحكومة البريطانية كانت مصممة على الاحتفاظ بهذه المنطقة وعلى إعطائها الشكل السياسي الذي تريده وقد ظلت متمسكة بهذه السياسة ورغم محاولات مندوبها السامي في فلسطين هربرت صموئيل بتوسيع رقعة الوطن القومي اليهودي إلى شرقي نهر الأردن وشمالاً إلى منابع اليرموك.

**ولما وقعت فرنسا وبريطانيا معاهدة سيفر** في ١٩٢٠/٨/١٠ تخلت تركيا عن حقها في المناطق العربية وخلا الجو لبريطانيا للتصرف بها في

---

(١) المرجع السابق ص ١٧.

إطار سياستها العامة. فعاد صموئيل إلى سياسته الداعية إلى احتلال شرقي الأردن وإلى دمجها بفلسطين ووضعها تحت الحكم البريطاني المباشر ولكن الوزارة البريطانية ظلت تعارض هذه الفكرة الصهيونية[١].

**وعلى الرغم من هذا الموقف الرسمي حاول صموئيل أن يستميل أهالي وأعيان شرقي الأردن إلى سياسته**، ولما لم يتجاوبوا معه صرح لهم بما كانت تنويه الحكومة البريطانية: أعني إنشاء إدارة منفصلة عن فلسطين غير تابعة للحكم العسكري مع وجود بعض الضباط السياسيين العرب للمشورة في الأعمال الإدارية. وعلى أثر هذا الاجتماع الذي عقد في ١٩٢٠/٨/١٦م جاء **خبر مقتل علاء الدين الدروبي وعبد الرحمن يوسف في حوران** (محطة خربة الغزالة) وتسربت أنباء تجمع الفرنسيين للزحف على المنطقة الجنوبية من سورية فعم الخوف قلوب أهالي شرقي الأردن من تشفي الفرنسيين منهم إذا دخلوا البلاد، سيما وإن الإدارة البريطانية قد وعدتهم بالإدارة المحلية الذاتية المستقلة تماماً عن إدارة فلسطين ووعدتهم خصوصاً بعدم نزع السلاح منهم وبعدم تجنيدهم في الجيش، مع تشجيع التجارة، والتلميح إلى إمكانية تنصيب أحد أبناء الملك حسين[٢]. **وقد أكد وزير الخارجية البريطانية لصموئيل في ١٩٢٠/٨/٢٦ عزم الحكومة على عدم تحمل مسؤولية إدارة شرقي الأردن بصورة مباشرة وبعدم توسيع مسؤولياتها في هذه المنطقة العربية وتابع يقول**: يجب أن تصر على الالتزام بالمساعدة المحدودة جداً التي تستطيع تقديمها إلى الإدارة المحلية في شرقي الأردن[٣]. وفي هذه

---

(١) راجع برقية اللورد كرزون إلى هربرت صموئيل في ١٩٢٠/٨/١١ رقم ٨٠ في المرجع السابق ص ٢٠ - ٢٣.

(٢) راجع محضر الاجتماع الذي جرى في مدينة السلط يوم ١٩٢٠/٨/٢١ في المصدر السابق ص ٢٨ - ٣٠.

(٣) راجع المصدر السابق. البرقية رقم ١١٠ ص ٣٠ - ٣١.

الأثناء أعلن الجنرال **غورو** إنشاء دولة لبنان الكبير في أول أيلول ١٩٢٠م وكانت هذه نقطة تحول في السياسة الفرنسية حيال سورية الغربية الساحلية.

**وفي اليوم التالي أي في ٩/٢/ اجتمع رؤساء القبائل في منطقة عجلون مع الميجر سمرسيت في بلدة أم القيس وقدموا مطاليبهم الأساسية بمذكرة خطية أجابهم عليها المسؤول البريطاني خطياً. ومن أهم ما جاء في مذكرة الزعماء العرب**: المطالبة بتأليف حكومة عربية وطنية مستقلة تضم **لواء الكرك ولواء السلط، وقضاء عجلون وقضاء جرش** (مع الإلحاح على ضم حوران وقضاء القنيطرة وذلك تحت انتداب بريطانيا العظمى **وتبعاً لشروط معينة**: أن يترأس هذه الحكومة أمير عربي وأن لا تكون لها صلة أو علاقة بحكومة فلسطين وأن تمنع الهجرة اليهودية تماماً إلى أراضيها، وأن يمنع بيع أراضيها لليهود. وأن يكون لها جيش وطني خاص. وأن تحافظ على إيواء السياسيين السوريين اللاجئين إليها. وأن يكون شعارها العلم السوري في عهد حكومة فيصل، وأن تمدها بريطانيا بالسلاح، وأن تتعهد بريطانيا بالدفاع عنها إذا حاول الفرنسيون الاعتداء على أراضيها، وأن يكون لها معتمدون في الخارج وأخيراً، أن تكون بريطانيا منتدبة على عموم سورية تأميناً للوحدة، **فأجاب الميجر البريطاني بالموافقة** على بعض هذه **الشروط منها**: تأليف حكومة عربية مستقلة تحت الانتداب البريطاني ومنع الهجرة اليهودية واستعداد بريطانيا لتقديم السلاح لقاء ثمن. أما فيما يتعلق ببقية الشروط فقد أوعز إليهم بمراجعة المندوب السامي في فلسطين[١] تألفت حكومات محلية في شرقي الأردن وفي عجلون ومركزها أربد، وفي السلط والكرك.

**واستعانت هذه الحكومات المحلية بمستشارين بريطانيين** وفي أثناء هذه التطورات المحلية كانت الحكومة البريطانية تلح على الملك حسين

---

(١) راجع النص الكامل لهذه الوثيقة الهامة في كتاب سليمان موسى: «تاريخ الأردن في القرن العشرين». عمان ١٩٥٩ ص ١٠٦ - ١٠٩ وراجع أيضاً: أيتوري روسي «الوثائق» ص ١٠١ - ١٠٢ السابق الذكر.

للموافقة على المعاهدات الدولية المتعلقة بالبلاد العربية. وكان رفضه حاسماً رغم حجب كافة المعونات المالية عنه. وبلغت الحالة من السوء بحيث كتب المعتمد البريطاني في جدة إلى حكومته في ١٩٢٠/٩/١٤ «يجب أن أحذركم أن الملك يتباعد عن الخط المعقول أكثر فأكثر وهو يزداد خروجاً عن حدود الإمكان يومياً. فهل هناك أي احتمال لتوجيه الدعوة إليه كي يتنازل عن الملك؟»[١].

**وكانت اضطرابات سورية قد وصلت إلى أوجها** فكتب عدد كبير من الوطنيين إلى الملك حسين يطلبون إليه إيفاد أحد أنجاله كي يتزعم هذه الحركة الوطنية الخارجة في مقاومة الفرنسيين وفي مقدمة هؤلاء عودة أبو تايه الشهير والأمير عادل أرسلان، وسعيد خير. وفي الخامس عشر من أيلول أنبأ الملك حسين **الجنرال اللنبي** بهذه الرسائل وما وصلت إليه الحركة الوطنية في سورية. أما في مكة فقد استقر رأي الملك حسين على إرسال ابنه عبد الله ليترأس حركة المقاومة. وأوعز إليه بالذهاب إلى معان (وكانت إلى ذلك الحين واقعة ضمن أراضي الحجاز). فغادر عبد الله مكة في أواخر أيلول مع حرس كبير ووصل معان في ١٩٢٠/١١/٢١م بينما كانت القوات البريطانية في العراق تتهيأ لاسترجاع مراكزها بعد الثورة العراقية الكبرى. وكانت دوائر الاستخبارات البريطانية قد علمت بنبأ قدوم الأمير الهاشمي وهو لا يزال في طريقه من مكة إلى معان وأعلمت القيادة البريطانية العسكرية في مصر وزارة الحربية البريطانية في لندن بذلك. بينما أبرق صموئيل من القدس إلى حكومته في اليوم التالي عن نبأ قدوم الأمير عبد الله لتنظيم حركة المقاومة ضد الفرنسيين.

---

(١) سليمان موسى: «صفحات مطوية. مفاوضات المعاهدة بين الشريف حسين وبريطانيا ١٩٢٠ - ١٩٢٤». عمان ١٩٧٧ ص ٢٦. حيث يعطي مرجع الوثيقة: وزارة الخارجية البريطانية F.O.882/22.

**ولم تلبث وزارة الخارجية البريطانية أن هدأت روع صموئيل بإعلامه بحقيقة الأمر إذ أبرقت له قائلة:** «إنها لا تعتقد أن الأمير عبد الله سيتجاوز معان والعقبة وأنه لن يعمد إلى إثارة الاضطرابات **بالنظر لزيارة فيصل المقبلة إلى لندن)** أما في الواقع فقد اهتمت كل من فرنسا وبريطانيا بهذه الحركة. لا بل احتجت الحكومة الفرنسية وحذرت لندن من عواقب هذه الحركة[1]. وكانت قد وجهت الدعوة للأمير فيصل لزيارة لندن بتاريخ ١٣/١١/١٩٢٠م. **ولما وصل الأمير عبد الله إلى معان** في ٢١/١١/١٩٢٠م استقبلته القبائل والعشائر بحماسة وتهليل ولاسيما **الشيخ عودة أبو تايه** كما جاء للالتحاق به عدد كبير من الضباط العرب الوطنيين. وقد أعلن الأمير نفسه نائباً عن أخيه فيصل ملك سورية الشرعي المنفي حالياً. كما أرسل الدعوة إلى جميع أعضاء المؤتمر السوري المنحل للالتحاق به وفي عزمه أن يتابع النضال وليؤلف حكومة سورية في المنفى، فأصدر منشوراً تاريخياً إلى أهالي سورية يعلمهم بما جاء لأجله **ويقول فيه:**

**إلى إخواننا السوريين:**

«**لا أجد في نفسي أدنى ريب أو أقل شبهة، في أن أبناء الوطن السوري سيتلقون بياناتنا بقلوب ملؤها التصديق والإخلاص. فيعلم أبناء سورية أن ما أصابهم من الضياع المحزن،** من اعتداء رجال الاستعمار الفرنسي على وطنهم ومبادرتهم بسرعة فظيعة غريبة لهدم عرشهم في أول سعيهم لتشكيل حكومتهم التي وضعت أساسها على سياسة الولاء والصداقة لكل الأمم على الإطلاق، قد أثر على حواس كل عربي على وجه الأرض. وفي الوقت نفسه نعلم علماً يقيناً أن أبناء سورية الكرام هم من جملة المفاخر العربية وركن من الجامعة القحطانية والعدنانية، لا يرضون بالذل ولا ينقادون إلى من جاء لإهانتهم في عقر دارهم، وأنهم لا يعذرون أبناء جنسهم إذا منعوا عنهم يد المعاونة والمدد في مثل هذه الآونة الخطيرة».

---

(١) راجع البرقيات في كتاب سليمان موسى: «صفحات مطوية» ص ٣٣ - ٣٤.

**«كل عربي يعلم أنكم يا أبناء سورية تستنصرونه وتستثيرون حميته،** ليأتيكم مسرعاً ملبياً مقبلاً غير مدبر. ومن حيث قد توالت علينا الدعوات وصمت آذاننا الصرخات، فها أنا قد أتيت مع أول من لباكم نشارككم في شرف دفاعكم، لطرد المعتدين على أوطانكم بقلوب ذات حمية وسيوف عدنانية هاشمية».

**ليعلم من أراد إهانتكم وابتزاز أموالكم وإهانة علمكم واستصغار كبرائكم، أن العرب كالجسم الواحد** إذا شكا منه عضو تداعت له جميع أطراف الجسد بالسهر والحمى. وأن الله سبحانه وتعالى لم يترك الأمة سدى، متفرقة بالباطل مغرورة بالكذب وواهن القول».

**«ليعلم أبناء سورية أن هؤلاء المعتدين قد عدوكم من جملة من أدخلوه تحت عار استعمارهم ووضعوكم في** مصاف الزنوج والبرابرة. وظنوا أنكم لستم من ذوي الغيرات وأصحاب الحميات. كيف ترضون بأن تكون العاصمة الأموية مستعمرة فرنسية؟!.. إن رضيتم بذلك فالجزيرة لا ترضى، وستأتيكم غضبى. وأن غايتنا الوحيدة هي، كما يعلم الله، نصرتكم وإجلاء المعتدين عنكم».

**«وها أنا ذا أقول، ولا حرج، بأنني قد قبلت تجديد بيعة مليككم فيصل الأول عن الأكثرية الغالبة التي جددت تلك البيعة على يدي**، وأنني سأعود أن أبقاني الله حياً إلى وطني يوم نزوح عدوكم عن بلادكم، وعلى هذا، اليمين بالشرف. وأمركم حينئذ لكم وبلادكم بين أيديكم، متعكم الله فيها بالعز والسؤدد والرفاهية والمجد».

**«أتينا لبذل المهج دونكم،** لا لتخريب البلاد كما يفترى علينا. وكفانا دليلاً صد بلائنا في الله والجنسية والوطن، وتعريض النفس للأخطار والمحن، وما وضعه عليكم ذلك المستعمر من الضمانات المثقلة إثر اعتدائه عليكم لدليل لا يحتاج إلى دليل».

«**أتاكم ذلك المستعمر ليسلبكم النعم الثلاث**: الإيمان والحرية والذكورية. أتاكم ليسترقكم فتكونوا غير أحرار. أتاكم ذلك المستعمر ليأخذ منكم أسلحتكم فتكونوا غير ذكور. أتاكم ليخيفكم بقوته وينسيكم أن الله بالمرصاد فتكونوا غير مؤمنين».

«لذا ندعوكم للحياة والاجتماع والذب عن الوطن، وعدم الإصغاء لكل دسيسة تفل من عزمكم أو تبدد حميتكم».

«وأستعين الله لي ولكم في ما نحن بصدده».

**(عبد الله بن الحسين)**

**ولكن الاستجابة لم تكن مشجعة بما فيه الكفاية**. ولم يلبث الأمير أن تبين «**أن الحركة إن لم تكن مؤيدة بالمال، فإنها لا تقوم لها قائمة**»[(١)] ولم يكن الأمير يملك مالاً حتى أنه اضطر أنه يقترض ثلاثة آلاف ليرة من عودة أبو تايه.

**إن أنباء وصول الأمير إلى معان جعلت الفرنسيين في سورية والإنكليز في فلسطين يحسبون للأمر حسابه** ويتخوفون من قيام فتن واضطرابات. ففي ٢٩ تشرين الثاني أبرق **صموئيل** ينبئ كرزون بوصول الأمير إلى معان، وفي اليوم التالي أبرق يقول أن «رسائل بالنيابة عن عبد الله أرسلت إلى حوران تدعو الأهلين إلى الثورة ضد الفرنسيين. وقد صدرت التعليمات لضباطي بأن يثنوا الناس في شرقي الأردن عن الانضمام لأية حركة من هذا النوع، ولكن بما أننا لا نملك قوات عسكرية في المنطقة فإننا لا نستطيع القيام بعمل مؤثر[(٢)].

**وأبلغت وزارة الخارجية فيصلاً مضمون برقية صموئيل وطلبت إليه الاتصال بأبيه لإيقاف الحركة**. وفي ٤ كانون الأول طلب الملك جورج من فيصل عند استقباله له أن يطلب من أبيه «توفيق كل حركة ضد فرنسا في جنوبي سورية». وعندما أبرق فيصل إلى أبيه بهذا الطلب أبلغه أيضاً أن

---

(١) الملك عبد الله بن الحسين: «الآثار الكاملة» ص ١٥٦ - ١٥٨.

(٢) البرقية رقم ٤٠١ المؤرخة ١٩٢٠/١١/٣٠ F.O.686/78.

«الوضعية حسنة جداً. قريباً أبشر جلالتكم إن شاء الله» وإن إيقاف الحركات العدائية ضد الفرنسيين «مهم جداً بالنسبة للمفاوضات التي يمكن أن أجريها مع الحكومة البريطانية»[١].

**ونشر في مدن شرقي الأردن بيان يقول أن الحكومة البريطانية** «سوف تشجب بكل شدة» أية حركة يقوم بها الجيش العربي ضد الفرنسيين[٢]. وكان قد سبق الأمير عبد الله إلى عمان **الشريف علي ابن الحسين الحارثي** ومعه عدد كبير من الأفراد السوريين والعراقيين ومن شيوخ المنطقة فطلب من الأهالي المشاركة في العمل والاستعداد للجهاد ومقاومة الفرنسيين وتخليص الوطن من استعمارهم وقال: «إنه جاء إلى عمان موفداً من قبل الأمير عبد الله (قائد الجيوش الثورية السورية) وإنه سيزحف إلى الشمال عندما تتم الاستعدادات الضرورية. وكان لا يخفى موالاته للبريطانيين ويصرح أنهم أصحاب الحركة الثورية[٣].

**وهكذا وضعت المسألة السورية من جديد على بساط البحث لدى الرأي العام المحلي ولدى المحافل الدولية**، وتجنباً لصعوبات سياسية وعسكرية تم الاتفاق بين المندوب السامي **صموئيل** وحكومته البريطانية على أن توزع نشرات في جميع مناطق شرقي الأردن تشجب هذه الحركة شجباً قاطعاً[٤]. وفي ١٩٢٠/١٢/٨م **جرت اتصالات بين الأمير عبد الله ومصطفى كمال أتاتورك بواسطة غالب بك الشعلان. وقد علمت المخابرات البريطانية**

---

(١) برقيتا فيصل إلى الحسين بتاريخ ٥ و ١٣ كانون الأول ١٩٢٠ - (أوراق الأمير زيد).

(٢) سليمان موسى: «تأسيس الإمارة الأردنية» ص ٥٨ - ٦٥ حيث نجد نص هذه الوثائق والبرقيات كاملة.

(٣) سليمان موسى في كتابه «تأسيس الإمارة الأردنية» ص ٦١ - ٦٢ وصفحات مطوية.. ص ٣٣.

(٤) البرقيات بين المندوب السامي صموئيل في ١٩٢٠/١٢/٣ وحكومته في ١٩٢٠/١٢/٧ سليمان موسى - المرجع السابق ص ٥٦.

**بهذه الاتصالات وخشيت أن تكون وراء هذه الحركة خطط وتعليمات من البولشفيك**[١]. **وعادت الدوائر البريطانية في لندن تحمل الأمير فيصل على الاتصال بوالده كيف يوقف أية حركة عدائية في شرقي الأردن** رغبة منها لتسهيل المفاوضات حول العراق. فرجا فيصل أباه أن يبرق للملك جورج أن الإجراءات السريعة قد اتخذت لإيقاف هذه الحركة[٢] لأن الحكومة البريطانية عازمة على بذل كل ما في وسعها لتحقيق أماني العرب وأماني الملك حسين. وبناء على هذه الاتصالات فوض الحسين الأمير فيصل بإجراء المفاوضات مع البريطانيين: «**على أساس أن لا يؤثر ذلك على حدود البلاد والاستقلال التام الذي لا تشوبه شائبة**».

**وعلى أثر ذلك** أرسل الأمير فيصل أحد أعوانه وهو صبحي الخضرا إلى عمان يحمل توصياته لأخيه عبد الله. وبدأت المفاوضات بين الأمير فيصل والبريطانيين في لندن بتاريخ ١٩٢٠/١٢/٢٣[٣].

**واستمرت المفاوضات في لندن إلى حين تسلم تشرشل لوزارة المستعمرات التي أنيط بها حلّ المسائل العربية**، وفي أثناء هذه المفاوضات حاول المندوب السامي **صموئيل** أن يحمل حكومته على احتلال شرقي الأردن لضمها لفلسطين وإبعاد الأمير عبد الله عنها فباءت محاولاته كلها بالإخفاق، وكان الأمير فيصل من ناحيته يلح على الوزارة البريطانية بضرورة التوصل إلى تفاهم مع أبيه وإلى تسوية القضية العربية والسورية تسوية مرضية للجانبين. وقد أتى خلال المفاوضات إلى ذكر الاتفاق بين الحلفاء والأتراك وقال: «**إن العرب الذين حاربوا في صفوف الحلفاء أحق من الأتراك في أن يصلوا إلى نتيجة تضمن حقوقهم ومصلحة الحلفاء**» وقد كتب فيصل أثناء

---

(١) راجع عبد الله بن الحسين: «الآثار الكاملة» ص ١٥٩ وسليمان موسى «تأسيس الإمارة الأردنية» ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) راجع نص الوثائق لدى سليمان موسى: «صفحات مطوية» ص ٣١.

(٣) نص المفاوضات بكاملها، راجع سليمان موسى: «صفحات مطوية» ص ٣٤ وما بعدها مع مصادر الوثائق البريطانية.

هذه المفاوضات رسالة إلى أخيه زيد في ١٩٢١/١/١٩م يوضح فيها سياسته **فقال له**: «إنها تعتمد على عدم ترك الكل لأجل البعض وإنه يرى أنه لا بد من إتباع سياسة المراحل». وكتب مجدداً في ١٩٢١/١/٢٥م إلى أخيه زيد يعلمه فيه عن نتيجة المفاوضات **فقال**: «لقد تم الاتفاق مبدئياً بيننا وبين الإنكليز على إنشاء حكومتين عربيتين في العراق وشرقي الأردن»[١].

**ولما قدم تشرشل إلى القاهرة لعقد مؤتمر القاهرة أبلغ الأمير عبد الله أنه سيكون مسروراً إذا أتيحت له الفرصة للاجتماع به في القدس** وكان الملك عبد الله قد غادر معان ووصل إلى عمان في ١٩٢١/٣/٢م حيث استقبل رسمياً وشعبياً. وعندما اعترض **صموئيل** على قدومه أبرقت الوزارة موعزة له أن يرسل مندوباً عنه للترحيب بالأمير إذ **قالت له**: «**إن الأمير عبد الله يعتبر مبعوثاً من قبل الملك حسين ويمكن أن نفترض أن قدومه إلى عمان يهدف إلى إيقاف الدعاية الواسعة التي ينشرها مصطفى كمال ضد الفرنسيين**». وكانت هذه فاتحة سياسة جديدة تجاه الأمير وتجاه مصير شرقي الأردن. وعندما التأم مؤتمر القاهرة تقرر إنشاء دولة مستقلة، دولة عربية مستقلة في شرقي الأردن تستثنى من أحكام الانتداب وتصريح بلفور. **واتخذ القرار التالي**:

**«تؤلف شرقي الأردن مقاطعة عربية تابعة لفلسطين يحكمها حاكم عربي يستمد سلطته من المندوب السامي البريطاني»**. وبعد أن انتهى مؤتمر القاهرة توجه تشرشل إلى القدس وأجرى محادثات مع عبد الله خلال ثلاثة أيام في ٢٨، ٢٩، ١٩٢١/٥/٣٠م وقد صحب الأمير عبد الله إلى القدس عدد كبير من الزعماء الاستقلاليين العرب منهم: **عوني عبد الهادي رئيس ديوانه، ورشيد طليع من كبار الإداريين السوريين وأحمد مريود وغالب الشعلان. وقد تمخضت المحادثات بين تشرشل وعبد الله عن الاتفاق على ما يلي**:

**١ - تؤسس في شرقي الأردن حكومة وطنية برئاسة الأمير عبد الله.**

---

(١) سليمان موسى: «صفحات مطوية» ص ٤١.

**٢ - تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً تاماً.**

**٣ - تساعد بريطانيا هذه الحكومة مادياً لسد نفقات قوة عسكرية غايتها توطيد الأمن.**

**٤ - تسترشد برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان.**

**٥ - يتعهد الأمير عبد الله بمنع الاعتداءات من شرقي الأردن ضد سورية وفلسطين.**

**٦ - تنشئ بريطانيا مهبطي طائرات في عمان وزيزياء.**

**٧ - تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير عبد الله والسلطة الفرنسية في سورية.**

**٨ - يعتبر مشروع الاتفاق بمثابة تجربة مدتها ستة أشهر فإن كان ملائماً للطرفين استمر العمل به وإلاّ أعيد النظر فيه.**

**وكان الأمير عبد الله قد أعرب عن اعتقاده بأن أفضل سبيل لحل المشاكل في المنطقة هو توحيد فلسطين وشرقي الأردن تحت رئاسة عربي فرفض تشرشل ذلك لتنفيذ التزامات حكومته للصهاينة.** فرأى الأمير ومرافقوه أن مبادئ الاتفاق هذه تشكل خطوة إيجابية في مصلحة العرب فوافقوا عليها، وعاد الأمير عبد الله إلى عمان، وهكذا أسست الإمارة الأردنية وكان تشرشل قد أعرب عن أمله في التوصل إلى إقناع الفرنسيين بقبول عبد الله في المستقبل أميراً على سورية. بعد أن يتأكدوا من نجاح إدارته وتعاونه معهم في شرقي الأردن.

# الفصل الثالث

## الثورات الوطنية في

## الشام في عهد الانتداب الفرنسي

### تمهيد:

**لم تسفر الحرب العالمية الأولى، وخروج العثمانيين من الأراضي العربية عن تحقيق تطلعات الحركة العربية في الاستقلال والوحدة،** وعلى الأقل ضمن الحدود التي طالب بها الشريف حسين قبل إعلان الثورة العربية. فقد وثق العرب بوعود الحلفاء وبريطانية بالذات، التي خذلتهم، تنفيذاً لاتفاقها مع فرنسة في الحرب العالمية الأولى (اتفاقية سايكس - بيكو ١٩١٦م) على تقسيم البلاد المنفصلة عن الدولة العثمانية السابقة. ولم يكن بيد الحكومة العربية التي أعلنت في دمشق في مطلع تشرين الأول ١٩١٨م، إلا القسم الداخلي من سورية، في حين كانت فلسطين تحت الإدارة العسكرية البريطانية، والساحل السوري الشمالي في ظل الإدارة العسكرية الفرنسية، وقبل العرب هذا الإجراء المؤقت إلى أن تتم التسوية النهائية في مؤتمر السلم في باريس. وكانت دمشق في هذه الأثناء «جائشة بالحركة الاستقلالية الوحدوية والرافضة كل حماية ووصاية، والمطالبة باستقلال سورية الطبيعية ضمن وحدة عربية مستقلة»، كما يصفها أحد رجالها (**محمد عزة دروزة**).

**وأخفق مؤتمر السلم في تحقيق الآمال القومية العربية** التي دخل العرب من أجلها الحرب، بل عمد إلى توزيع الانتداب (وهو الصيغة المقنّعة للاستعمار) على الشعوب الصغيرة (بمن فيهم العرب) مخالفاً بذلك مبدأ حق تقرير المصير. ونجحت المؤامرة البريطانية الفرنسية في اغتيال استقلال سورية في ميسلون (تموز ١٩٢٠)، حين فرض الانتدابان البريطاني والفرنسي، عملاً بمقررات سان ريمو، على أجزاء المشرق العربي، وضرب بذلك الحد الأدنى من الوحدة الذي التقى عنده أمل السوريين العاملين في سبيل الاستقلال والوحدة، وانتهى الحكم العربي في دمشق.

**أولاً - بدايات الثورة المسلحة** (١٩١٨- ١٩٢٠م):

**منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين الساحل السوري في خريف ١٩١٨م، إثر انتهاء الحرب، واجهوا مقاومة وطنية كبيرة لم تقتصر على اتباع الطرق السياسية،** من مظاهرات ومذكرات احتجاج، بل تعدى الأمر، في عدد من المناطق الريفية إلى حركات شعبية ثورية، على اعتبار أن المقاومة المسلحة للاحتلال هي الطريقة الوحيدة والمثلى للدفاع عن الوطن، والحل الحاسم بين الشعب وقوى المستعمر. وقد تفجرت ثورتان، الأولى على طول وعرض المنطقة الساحلية من الإسكندرونة إلى طرابلس بقيادة **الشيخ صالح العلي،** وتولى قيادة الثورة الثانية **إبراهيم هنانو** في شمالي وشمال غربي سورية في مناطق جبل الزاوية وإدلب وأنطاكية. وأفهمت هاتان الثورتان المحتلين بلغة السلاح أن الشعب مصمم على المقاومة، وأنه إذا لم يستطع الثوار إجلاءهم فإنهم سيجعلون مهمة فرنسة في بسط السيطرة، وهي الشرط الأول لتوطيد الانتداب، مهمة شائكة، لم يكن من السهل على قوى الاحتلال تجاوزها، ولاقت الحركات المسلحة في المنطقتين دعم حكومة دمشق العربية. وبعد سقوطها، ظلت الثورتان مشتعلتين وحدث التنسيق بينهما، فعززتا مظاهر الوحدة والتكامل وناهضتا خطط المستعمرين، وكانت تجربة رائدة ضد

المحتل الفرنسي. وجرت معارك حامية تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر كبيرة، قبل أن يتم القضاء عليها في أواخر عام ١٩٢١م.

**وقد تضافرت عوامل كثيرة أدت إلى اضمحلال الثورتين ومن ثم نهايتهما**، بعد أن نضبت مواردهما المالية والعسكرية، واستنفدت المعارك كل طاقاتهما المحدودة. وربما كان بإمكان الثورتين أن تصمدا مدة أطول لو كانت الأوضاع العامة الداخلية والخارجية تساعد في مدهما بحد أدنى من أسباب الصمود[١].

## ثانياً - تنظيم الثورات وتمويلها وتسليحها (١٩١٨-١٩٢١م):

**لقد تطورت تنظيمات رجال الثورة حتى أصبحت جيشاً حقيقياً لا ينقصه التنظيم وتسلسل القيادة والانضباط**، بل تنقصه الأسلحة الثقيلة والدولة التي تحتضنه. ولم يسع سلطات الاحتلال إلى أن تعترف بالثورتين وكأنهما حكومة أو بقايا الحكومة العربية في دمشق، وكان هذا الاعتراف ضمنياً ومستتراً في أول أمره. وقد أصبح هذه الاعتراف الضمني علناً عندما تفاوض زعيمي الثورتين لأمر إنهاء القتال والتأثير عليهما بالألقاب والأموال والعفو والمناصب. وكان كلا الزعيمين زاهداً في المال بذل كل ما يملكه في سبيل ثورته، فلم ينقادا للمستعمر.

وكان الثوار من جانبهم يتصرفون بمسؤولية على أساس أنهم قوة نظامية مسؤولة تجاه حكومة، فكانوا يحافظون على أسراهم في معسكرات قروية خاصة، وبعد ذلك يتفاوضون مع الفرنسيين لتبادل الأسرى. وقد حُذّر قادة المفارز الثورية بعدم استعمال القوة والقسوة مع الذين يستسلمون سواء كانوا (متطوعين) أو فرنسيين، كما كان الجرحى ينقلون إلى حيث تضمد جراحهم ويعنى بهم حتى تنجلي المعركة. وعلى الجبهتين جرت مفاوضات

---

(١) هيئة الموسوعة العربية، الموسوعة العربية، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، سورية، دمشق، عام ٢٠٠٣، الصفحة ٣٣٥.

ولقاءات تجلت فيها روح المسؤولية والفروسية رغم الحذر من الغدر والتحفظ[١].

**كان الشيخ صالح قائد الثورة في المنطقة الساحلية،** قد نظم رجال الثورة تنظيماً عسكرياً وإدارياً رائعاً ولم يترك ناحية تنظيمية لم يعرها اهتمامه الكامل، وبدت هذه التنظيمات شاملة لجميع النواحي: فقد أنشأ لجهازه ديواناً للبريد يربطه بمناطق الثورة وبالحكومة العربية قبل سقوطها لمسك السجلات والقيود من أجل تدوين الواردات مع اختلاف أنواعها وكذلك النفقات. وأقام إدارة للتموين. كما أنشأ ديواناً لبيت المال وهيئة للتفتيش وهيئة للأمن، وكذلك أنشأ فرقة من الدعاة. وفيما يتعلق بالجانب العسكري فقد كان الشيخ صالح قائداً عسكرياً فذاً فقد كان يجمع الكتائب ويعين القادة ويعفيهم من مناصبهم. وقد شكل مع مجموعة من أعوانه ما يمكن تسميته (هيئة أركان حرب الثورة) وتشمل الضباط الذين كانت حكومة دمشق العربية قد أرسلتهم كمستشارين للشيخ. وكان هناك **(العقداء)** ممن تطوعوا للثورة من الضباط القدامى. أما (الرؤساء) فقد كانوا أدنى مرتبة من العقداء اختارهم الشيخ من الوجهاء المحليين أو الشيوخ الذين برزوا في الثورة. وتلي مرتبة الرؤساء عدة مراتب أخرى مثل الملازم (المعاون) رئيس الخفراء، ولكل من هؤلاء عمل وصلاحيات معينة. وكان الجميع يرتبطون بقيادة واحدة هي الشيخ صالح وأركان حربة. وقسّم الشيخ صالح قواته إلى كتائب أو عشائر وضع على رأس كل منها عقيداً من شيوخها، وقسّم الكتائب إلى وحدات أصغر، وجعل لكل وحدة قائداً يرأسها وألحق بها مفارز من الخيالة لاستطلاع العدو[٢]. وكان الهدف من إعطاء الألقاب والرتب العسكرية تأمين النظام في القوات الثائرة وقد أُشير سابقاً إلى أن للثورة عَلَمها الخاص هو عبارة عن قطعة من القماش الأخضر يتوسطها هلال ونجمة.

---

(١) آصف شوكت، الثورات السورية، ١٩١٨-١٩٢١م، ص١٨٥.

(٢) جميل العلواني، نضال شعب وسجل خلود، ١٩١٩-١٩٤٦م، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق ١٩٥٣، ص١٢٧.

وفي الجبهة الشمالية والشمالية الغربية، ومنذ أن بدأت الثورة، كان أول سبعة ثوار في كفر تخاريم تحت قيادة هنانو، ثم ألّفت بعد ذلك لجنة رباعية في كفر تخاريم أطلق عليها اسم اللجنة التشريعية، كُلّفت بجمع الأموال والتبرعات لتقوية الجهاز الثوري وتغذيته بما يحتاج إليه من أسلحة وما يجب إعطاؤه لأفراده من الرواتب. وأخذت التشكيلات الثورية تتوسع عدداً وعتاداً. وقُسم الثوار إلى فرق صغيرة أو حضائر يقود كل منها نقيب وجميعهم مسؤولون أمام قيادة عليا (٧٥). ورغم أن القرى المجاورة كان لها ثوارها الخاصون الذين يشار لهم بكلمة (أبناء) كأبناء سلقين أو أبناء أرمناز، إلا أن الثوار قد انضموا إلى ما عرف بثورة كفر تخاريم التي كانت تحت الرئاسة المباشرة لنجيب عويد والقيادة العليا لهنانو. وقد امتدت ثورة هنانو لتشمل منطقة إنطاكية، والقصير بقيادة رئيس محلي هو الشيخ يوسف السعدون، ومنطقة (صهيون) بزعامة عمر البيطار. أما المنطقة الرابعة للثورة فكانت جبل الزاوية وزعيم الثورة فيها هو مصطفى الحاج حسين. وأقرت المناطق الأربعة بالقيادة العليا لهنانو الذي عهد لكل جماعة من الثوار بدورها في القتال، وتولت كل منطقة أعباء الأمور الحربية والإدارية. وهكذا أصبحت ثورة هنانو مكونة منذ أواخر آب ١٩٢٠م من أربع مناطق ثائرة.

ولما اتسع نطاق الحركات العسكرية في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية ضد الفرنسيين وازداد عدد الثوار، وجد هنانو من الضروري، حفاظاً للأمن في تلك المنطقة وتأميناً للمال اللازم لسد حاجات القوات المقاتلة من المؤن والعتاد، أن تؤلف حكومة للأشراف على هذه الشؤون. وتم تشكيل حكومة محلية مدنية مؤقتة مركزها قصبة أرمناز كلفت الإشراف على الأمن الداخلي وجباية الضرائب وفقاً للقواعد الأصولية المتعارف عليها. ويقول الشغوري. "كانت الضرائب تجبى من أصحاب الأملاك والمواشي ومن الزراع والمستثمرين أسوة بالحكومات وسيراً على سنّتها وعاداتها". ويذكر السعدون أنه كان يؤخذ من أهل المناطق بدل العشر ورسم الأغنام. أما العشر فمعلوم وفيه تتريل ٢٥% ورسم الأغنام، على كل دابة خمسة قروش والتتريل ٢٥%"، وقد عينت حكومة الثورة المدنية المؤقتة عدداً من جنود الدرك

والجباة لتحصيل الضرائب، وتصدت قوات الثورة لجباة الضرائب التابعين للسلطة الفرنسية الذين حاولوا جباية الضرائب من الأهلين ومنعهم من دفعها إلى حكومة الثورة، وصادر الثوار نقود هؤلاء الجباة كي يضمنوا للثورة مصدراً إضافياً للمال. وقد حرصت حكومة الثورة وخشية أن تمتد أيدي النهب والإتلاف إلى السجلات الحكومية (المدنية والعدلية والتمليك) على أخذ هذه القيود والاحتفاظ بها ريثما يستقر الأمر فتسلم إلى الجهات المختصة[١].

**وكان زعماء الثورتين في الساحل والشمال حريصين على تحقيق العدالة بين أتباعهم في المناطق** التي كانت تحت إشرافهم، وعمدوا إلى تنقية الثورة من المستغلين والمستهترين وغير المنضبطين لتحافظ الثورة على مصداقيتها واحترام الشعب والأعداء لها، وطبقوا ذلك حتى على القادة الأتراك. وكان زعماء الثورتين مصممين على عدم السماح بحدوث أي سلب أو نهب أو تخريب أو اعتداء. وطُلب من الثوار البطش بكل من يستحل أموال الناس أو يستغل الظروف لمصلحته الخاصة (وقد أشير سابقاً إلى التحاق بعض "الطماعة" بصفوف الثورة بتحريض من الفرنسيين لتشويه سمعة الثورة)، إذ إن مصلحة الوطن يجب أن تكون هي العليا وأن تذوب فيها كل المصالح الفردية والمنافع الخاصة. ولو امتدت أيدي البعض إلى أموال الأهلين بالنهب كانت قيادة الثورة تجرّد دوريات خاصة للضرب على أيدي الناهبين وإعادة المنهوبات، بما فيها الأموال والحيوانات إلى أهلها (مثال ذلك: ما أشير إليه سابقاً من إعادة منهوبات السقيلبية في الحادثة الأولى في تشرين الثاني ١٩٢٠م على يد الشيخ صالح، وملاحقة الشغوري بعض من سلب الأموال مستغلين حالة الفوضى بعد احتلال كفر تخاريم في ٧ آذار ١٩٢١م). ووصلت عقوبة من اقترف أعمال النهب حد الإعدام كما جرى لقائد القوة التركية في ثورة هنانو عاصم بك بعد نهب السقيلبية في حزيران ١٩٢١م وهو عمل كانت الثورة تعتبره ضاراً بسمعتها.

---

(١) آصف شوكت، الثورات السورية، ١٩١٨-١٩٢١م، مصدر سابق، ص١٨٦.

**وكانت قيادات الثورة يقظة لأعمال العملاء وأتباعهم وتصرفت بحزم تجاه الجامحين وتجاه الأهالي المحليين الذين تعانوا مع فرنسا** وأوقعت بهم أشد العقوبة (مثال ما حدث مع هنانو في حادثة إسقاط فقد أعدم الثوار بعد انتهاء معركة إسقاط الجاسوس الذي أعلم الفرنسيين بوجودهم في القرية كما أعدموا الرسول الذي حمل تلك الرسالة إلى الفرنسيين).

**واعتبرت الهيئات القضائية التابعة للثورتين وما يحلق بها من درك وسجون وقضاة**، ضرورة ماسة إذ أنها كانت تساعد على الحفاظ على النظام في صفوف الثورة كما كانت تضفي على الثورات الاحترام أمام حلفائها وأعدائها على السواء. وقد ارتبطت بثورة الشيخ صالح محكمة عرفية عسكرية أوكلت إليها مهمة إصدار الأحكام القضائية ومحاكمة الأشخاص الذين خانوا الثورة، كما أوكل إليها القيام بالأعمال المالية والتفتيش الإداري وحلّ الخلافات بين الأهلين[(١)].

**أما عن مصادر تمويل الثورات:** فإنه إضافة إلى مساعدة حكومة دمشق والأتراك في مراحل معينة من مسار تلك الثورات، فقد ظل الأهالي في المناطق الثائرة أكبر المساهمين. ونظراً لأن الثورات كانت بمجملها خارج المدن لأن الريف والجبال المحيطة بالمدن كانت أكثر ملاءمة، إلا أن أهل المدن الكبرى كانوا يؤمنون الدعم المالي وبذلك اعتبرت مقاومتهم داعمة أكثر منها قتالية وقد أشير سابقاً إلى أن الثورات كان تجبي من الأهالي الضرائب كضريبة العشر على المنتوجات الزراعية وضريبة المواشي، وكان بعض الفلاحين في حماسهم للثورة، يدفعون ضريبة العشر مرتين. ولم يشأ زعماء الثورات الإثقال على السكان بطلباتهم المستمرة للإسهام كي لا ينقلبوا ضد الثورة، إلا أن حماس الأهالي للثورات كان يدفعهم للتبرع بالإعلانات المالية. (والملاحظ أن الزعامات كانت حريصة على مصالح الناس ولو أدي ذلك إلى

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٧.

وقف الاشتباك مع القوات الفرنسية لفترة محدودة). وقد نشط الأغنياء على وجه الخصوص في تقديم المال ويّذكر أن المحسنين من معظم وجهاء العائلات في المناطق الساحلية كانوا يساهمون بأموال لدعم الثورة وكانت تلك الأموال تحمل باستمرار إلى الشيخ صالح وكذلك وردت الأموال إلى ثورة الشيخ صالح من المغتربين في المهاجر الأمريكية وكان فاتح المرعشي، من وجهاء حلب، الممول الأكبر لثورة هنانو وتزويدها بالسلاح والخيول من مركزه في مرعش. كما أن كثيراً من وجهاء حلب وتجارها أمدوا ثورة هنانو بالسلاح والرجال والمال.

**وكان هنانو والشيخ صالح ينفقان من واردات أملاكهما على تمويل الثوار وتزويدهم بالسلاح وكانت تلك الأملاك - كما أشير سابقاً - تشمل عدة قرى** وضعت كلها تحت تصرف ثورتهما وقد ضمنت هجمات الثوار ضد جباة الضرائب التابعين للحكومة ومصادرتهم للنقود مصدراً إضافياً للتمويل وكان الثوار يهاجمون مؤن القوات الفرنسية المرسلة إليها من قبل المتعهدين المحللين ويستولون عليها مثال ذلك (ما حدث لقافلة التموين في معركة دركوش في ١٩٢١/١/٢٢). وكان أولئك المتعهدون بدورهم مهددين بمصادرة قطعانهم من قبل الثوار. ونظراً لأن القوات الفرنسية كانت تقوم بتدمير المحاصيل والمؤن كي لا تقع بأيدي الثوار، اضطر الأخيرون إلى حماية مؤنهم بتخزينها في بعض القوى وأحكام الحراسة عليها.

**وظلت مسألة السلاح الشاغل الرئيسي للثوار إذ لم يكونوا يملكون في البداية إلا البنادق القديمة المختلفة الأنواع مع مقدار ضئيل من العتاد** كان يجري تأمينها بصعوبة ومشقة ولم يكن بأيدي المقاتلين سوى السيوف والخناجر والفؤوس (السلاح الأبيض)، فكانوا يهاجمون العدو بتلك الأدوات وينتزعون السلاح من يده عنوةً ولذا فإن جلُ ما كانت تعتمد عليه الثورة في البداية من سلاح وعتاد هو ما كانت تنتزعه من أيدي القوات الفرنسية خلال

المعارك أو ما كان يتركه الفرنسيون في ساحاتها[1] وهكذا راح الثوار يحاربون بأسلحته ويتموّنون بذخائره ومعداته، ويذكر الشغوري أن العتاد الزائد الحاجة كان يوضع في أماكن جبلية وفي محلات متعددة مستورة للاستعانة به عند الحاجة إليه. ويقدر تقرير عسكري فرنسي صادر عن سنجق اللاذقية في ٦ نيسان ١٩١٩م عدد الأسلحة الموجودة بأيدي الثوار في المنطقة الجبلية الساحلية ٣٠,٠٠٠ - ٥٠,٠٠٠ قطعة.

ولم يعد من السهل على الثوار الحصول على هذه الإمدادات من هذا المصدر (أي من العدو منذ أن اتسعت رقعة الأعمال الحربية وتعددت الوقائع، وفي حين كانت الإمدادات والجنود تأتي للقوات الفرنسية تباعاً كان الثوار يفقدون كل يوم عشرات الشهداء وأقواتهم وعتادهم في تناقص مستمر. ويذكر أنه في معارك جبل الزاوية الأخير (في ٢٠ نيسان ١٩٢١م) أخذ الثوار يقسمون المشط الواحد فيما بينهم ليطلق كلٌّ منهم آخر رصاصة في صدر عدوه وفي المراحل الأخيرة من الثورتين كان تأمين العتاد اللازم للمعارك المستمرة أمراً صعباً، وجال مندوبو الثوار البلاد بحثاً وتنقيباً دونما جدوى، وكانوا يعودون بأيد فارغة أو بكميات قليلة من العتاد بأغلى الأثمان والمال غير موفور.

وحتى عشائر البادية التي كانت تعمل على جلب السلاح والعتاد من البلدان المجاورة، ويشتريه الثوار من أموالهم الخاصة، حتى هذه العشائر توقفت عن تزويد الثوار بسبب تشديد الفرنسيين قبضتهم على تلك العشائر ومصادرتهم السلاح. وقد توقف توريد السلاح للثورات من المصدرين الخارجيين: حكومة دمشق والأتراك لعوامل سياسية (سقوط حكومة دمشق وتغيير طبيعة علاقات الأتراك بالثورات السورية).

---

(١) علي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية، عسكريا وسياسياً حتى الجلاء، ١٩١٨م-١٩٤٦م، المطبعة الحديثة، سورية، حلب، ١٩٧٩م،ص٨٦.

## ثالثاً - أساليب الثوار القتالية ووسائل الفرنسيين لمواجهتها:

**برهن الثوار على مستوى عال من البسالة والإقدام وامتازوا بأهلية حربية مقرونة بالبطولات العربية الموروثة وروح الفداء وقوة العزيمة التي لا تهن ولا تقهر.** ونظراً لأن الجيش الثوري كان يفتقر إلى العناصر الضرورية للقيام بهجوم عام، كالمدفعية والآليات والطائرات فقد اتسمت عمليات الثوار في المنطقتين الرئيسيتين بحرب متقطعة تقوم بها فرق صغيرة هي أشبه بالحروب التي صارت تسمى فيما بعد (بحروب الأنصار) أو (حروب العصابات). كانت هذه الفرق تعمل في كل مكان وتتنقل بسرعة بطريقة أشبه ما تكون بعمليات الإغارة التي تعتمد على التدمير والانسحاب. وكان الشيخ صالح العلي مثلاً يرى أن العدول عن الحرب النظامية إلى (حرب العصابات) هو السبيل الوحيد لإنقاذ الموقف. وكان يطلب من عقداء الكتائب أن يتجنبوا الاشتباك مع العدو المتفوق في معركة طويلة وأن يباغتوه في معارك خاطفة، وأن يوجهوا الضربة الأشد إلى الجهة الأكثر ضعفاً وينسحبوا إذا تقدم ويضربوه إذا توقف ويتعقبوه إذا تقهقر[(١)].

وبوجه عام استهدفت العمليات الثورية مهاجمة المراكز العسكرية المنعزلة ومحاصرتها لجذب قوات العدو إليها، وبذلك يجري تشتيت القوات وتفكيكها فتسهل مهاجمتها، وكذلك استهدفت مهاجمة أرتال العدو أثناء سيرها في الممرات الإجبارية والانقضاض على وسائل التموين والإمداد وعمدت قيادة الثورة على الجبهتين إلى إصدار الأمر لوحداتها بتجنب الاشتباك مع القوى الفرنسية الكبيرة في الأراضي المكشوفة السهلية التي تفتقد إلى حواجز وموانع طبيعية وتضاريس، كما أمرتها بالإكثار من الحركات الليلية ومباغتة العدو بكتل قوية قليلة العدد سريعة الانتقال تكيل الضربات الموجعة المتتالية،

---

(١) آصف شوكت، الثورات السورية، ١٩١٨-١٩٢١م، مصدر سابق، ص١٨٩-١٩٠.

مع الاحتراز من الدخول مع الحملات الفرنسية بمعركة طويلة على جبهة واسعة، تجرها إليها الوحدات الفرنسية في معركة غير متكافئة القوى والوسائل تسبب استهلاك العتاد الموجود لديها وخاصة خلال المعارك الأخيرة.

**وكان استخدام الثوار الجيد لطبيعة الأرض في أثناء التنقل والقتال والتمركز في منطقتي الثورة وبشكل خاص في المنطقة الغربية**، عوناً كبيراً للثوار. فقد كان العدو يسقط في الكمائن المتعددة لجهلة طبيعة الأرض ولوعورة المسالك وتعددها كما كان الأهلون دون استثناء يرشدون الثوار إلى تحركات العدو وتعداده وما هو عليه من خوف وترقب. ويعطي السعدون وصفاً للخطة التي كانت تتبع في معارك القصير "كانت العادة المتبعة عندما تأتي قوة من جيوش العدو عن طريق من الطرق وتصل إلى قرب منطقة الثورة يمتطي خيّال متن جواده إلى أقرب قرية ويخبرها بوجود العدو القادم ووجهته ثم يخرج من تلك القرية خيّال آخر ويخبر القرية التالي، وهكذا يعم الخبر عموم قرى القصير وكل من بلغه الخبر ممن يملك السلاح كان ملزماً أن ينكب سلاحاً ويسرع ولا ينتظر، فهكذا كنت ترى المدد يأتي متواصلاً".

**وأقر الفرنسيون بصعوبة مواجهة هذا النوع من الأسلوب الثوري والعمل في ظروف طبيعية صعبة**: وفي تقرير حاكم اللاذقية العسكري مينو إلى قائد القوات الفرنسية في المشرق في ٣ حزيران ١٩١٩ شكوى من التعب الشديد من العمل في بلد وعر إذ أنه يصعب إعداد رتل متكامل في معظم شهور السنة. ويعزو الجنرال دوهاي في دراسته (١٢٠) نجاح الثوار في المنطقة الغربية في مواجهة الفرنسيين إلى وعورة الجبال وصعوبة الوصول إليها وعدم وجود طرق مرصوفة مما يشكل خطورة على الحيوانات وسائقيها كما يحدث مشكلة دائمة للتموين. ويصف خطورة الذروة (الشعرة) الذي يبلغ ارتفاعه ١٥٠٠ م بأنه "منطقة خالية حيث لا يغامر المرء فيها إلا بحذر". ولا

يتوقع تقرير فرنسي وضع بعد أيار ١٩٢١ بشأن الأوضاع في المنطقة الجبلية بين أنطاكية وحماه واللاذقية نهاية العمليات الحربية في المنطقة الغربية بسبب "تكتيك حرب العصابات وصعوبات المنطقة[١]".

وعندما كان يصعب على الثوار تفادي المجابهة مع العدو كانوا يتصرفون مثل الجيوش النظامية وبطرق تقليدية تنظم فيها مواقع القوات فيجعل منها قلب وجناحان (كما حدث مثلاً في معركة الشيخ بدر ١٥ حزيران ١٩١٩، ومعارك الزاوية ٨ آذار ١٩٢١).

**ويبدو أن الثوار كانوا يهدفون في عملياتهم الثورية إلى برهنة أمرين:**
**أولاً** تأكيد تصميمهم على المقاومة، وكما ذكر أحد قادة الثوار خلال معركة كفر تخاريم "لنفهمهم بلغة السلاح التي لا يحسنون غيرها أننا مصممون على المقاومة حتى النهاية وأننا إذا لم نستطع إلقاءهم في البحر فسنكتفي بتنغيص عيشهم وجعل إقامتهم في ربوعنا أتونا من نار". أما الأمر الثاني فهو إيقاع أكبر عدد ممكن من الإصابات في صفوف القوات الفرنسية بغاية منعها من بسط حكمها ووفقاً لما تذكره إحدى وثائق وزارة الخارجية البريطانية في ١٩٢١/١/١٩ فإن خسائر الفرنسيين التي اعترفوا بها في أحدى المعارك شمال حماة في الأيام الأولى من عام ١٩٢٠ بلغت ٣٠٠ قتيل، وأن القوات التي أرسلت لتخفيف الضغط عليها فقدت نصف عددها. ورغم أن الثوار كانوا يبالغون أحياناً في تقدير إصابات الجانب الفرنسي من أجل رفع المعنويات، إلا أن هناك الكثير من الحقيقة في التقديرات المعطاة حول تلك الإصابات من قبل الثوار. ولا أدل على شدة ما أوقعه الثوار في صفوف القوات الفرنسية في الفترة ما بين ١ تشرين الثاني ١٩١٩ - ٣٠ حزيران ١٩٢١ ما أوردته وثيقة فرنسية قدرت الخسائر الفرنسية من قتلى ومفقودين في هذه الفترة على النحو الآتي:

---

(١) المصدر السابق، ص١٩١.

ضباط فرنسيون (١٣٧)، جنود فرنسيون (١٩٨٤)، شمال أفريقيون (٢١٠٨)، من أهالي المستعمرات (١٤٢١)، عناصر محلية (١٣٣).

**وفي بيان للحكومة الفرنسية أمام مجلس النواب الفرنسي في جلسته بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٢٥م**، وقدر عدد القتلى الفرنسيين عام ١٩٢٠م بـــ (٢٨٩٣) وفي عام ١٩٢١ بلغ عدد القتلى (٢٠٣٢)، هذا باستثناء من قتل من أفراد القوات العاملة في الجيش الفرنسي من أفريقيا الشمالية أو من العناصر (المحلية). إن الإعداد المرتفعة من قتلى القوات الفرنسية في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١م وفقاً لوثيقة بريطانية "تدل دلالة واضحة على الخسائر الفادحة التي أوقعتها ثورتا إبراهيم هنانو والشيخ صالح العلي وشركائهما في صفوف جيش الانتداب، كما تدل على أن تقديرات مصادر الثورة حول الخسائر التي منيت بها فرنسا تحوي الكثير من الصدق".

**ولم تقتصر أساليب الثوار في مقاومة الفرنسيين** على العمليات العسكرية بل تعدتها إلى قطع وتخريب خطوط المواصلات: فقد كانت المواصلات السلكية تهاجم وتعطل من قبل الثوار، إلا أن الخطوط الحديدية (على وجه الخصوص الخط الممتد بين حلب وحماه والذي يصل سورية بلبنان عن طريق رياق) كانت هدفاً رئيساً بالنسبة للثوار، نظراً لأن الجنود والمعدات العسكرية كانت تنقل بين بيروت وكيليكية عبره[1].

**وقد استهدف الثوار، بمن فيهم البدو**، المحطات الرئيسية كمحطة (أبو الضهور) جنوب حلب ومحطة الحمدانية ومحطة كوكب. وقد شاركت عشائر البادية وخاصة قبيلة الموالي، **في مهاجمة محطات السكك الحديدية في أيار ١٩٢١م**: فكانوا يهدمون الجسور عن طريق السكة الحديدية بين حماة وحلب. واضطر غوبو بهدف حماية طريق السكة الحديدية في أيار ١٩٢١ إلى تشكيل مفرزة خاصة تمكنت بعد فترة وبعد أن رافقتها عمليات قصف طيران إلى

---

(١) المصدر السابق، ص ١٩٢.

إخضاع الموالي ومصادرة مواشيهم. وقد نوه القنصل البريطاني في دمشق في ١٨ أيار ١٩٢١م في رسالته إلى وزير الخارجية إلى "أن الخط الحديدي وأسلاك التلغراف بين حلب ودمشق قد قطعت مرة أخرى قرب حماه من قبل قبائل بدوية وثوار المنطقة الساحلية، وأعلن ضابط فرنسي في حماه أن (العصابات) النشطة هناك يرأسها (ضباط أتراك) وأن لديهم بنادق آلية وان القطار قد أطلقت عليه النيران".

وقد أدعى الفرنسيون بأن قوات الثوار كانت تفوقهم عدداً وعدة وأن انتصاراتهم في جميع المعارك، كما يزعمون، كانت بفضل بسالة ضباطهم، وجنودهم وصلابتهم وشدة بأسهم وتمرسهم في القتال. والوقائع تثبت كذب دعواهم إذ كانوا يملكون العناصر الحربية مجتمعة من الفرق والألوية الكاملة المدربة أحسن تدريب والمنتمية إلى مختلف صنوف الأسلحة والمعززة بأفتك أنواع الأسلحة الثقيلة والمدفع والمصفحات بالإضافة إلى قوات الطيران[(١)]، وبمعين لا ينضب من النجدات وإمدادات الذخيرة والعتاد والمؤن سهلة الوصول عن طريق البحر. وشاركت النسافات والزوارف المسلحة في تعزيز عمل الحملات العسكرية وتقديم النجدات إليها وقصف القرى الثائرة بالقنابل، وهو أمر أشارت إليه إحدى الوثائق الفرنسية مبينة أن "هذه الأحداث قد بينت النفوذ الذي يحتفظ به سلاحنا البحري بين الأهالي، فوجود أي نسّافة بحرية يرعب مثيري الشغب والفوضى".

**ومع أنه يبدو من عمليات القتال أن الفرنسيين كانوا يفتقدون إلى القوات الضرورية لمحاربة جميع الثوار في آن واحد**، إلا أنهم تمكنوا من حشد ١٥٠٠٠ جندي، في معركة واحدة وجهت ضد كفر تخاريم في هجوم على ثلاثة محاور. كما أشير إلى أن الفرنسيين لم يستطيعوا إخماد لهب ثورة الشيخ صالح إلا بحملة تضم ٧ كتائب فرنسية عام ١٩٢١، وذكر أن عدد جنود الحملة تجاوز ثلاثة وعشرين ألفاً.

---

(١) فارس زرزور، معارك الحرية في سورية، دار الشرق، دمشق،١٩٦٢م، ص١٣٣.

**وقد عمل الفرنسيون في المرحلة الأولى من نشوب الثورات والتي بدأت بشن الغارات على ثكنات الفرنسيين،** على الإكثار من الدوريات ورجال الدرك، ولم يحد هذا من الهجمات. وبعد تصاعد العمليات الثورية استخدم الفرنسيون خطة هدفها قمع الثورة بأقصر وقت ممكن وتلخصت بما يأتي:

**أ - إقامة مراكز منتشرة في طول البلاد وعرضها غرضها توطيد الأمن وحفظ النظام من جهة واستخدامها كمركز اتصال بين الأرتال المتحركة من جهة أخرى.**

**ب- تجميع القوات المتحركة في أرتال متكاملة إدارياً وتعبوياً تحميها مقدمة ومؤخرة ومجنبة وتتقدمها قوات مهاجمة قوامها الفرسان والمصفحات على مسافة أمن كبرى تغطيها استطلاعات طيران متعاقبة.**

**جـ- السير نهاراً بصورة دائماً والتوقف ليلاً في مخيمات محكمة الحراسة.**

**د - قصف تجمعات الثوار بالمدفعية والطيران.**

**هـ- القضاء على الثورة في المناطق السورية بالتتابع[1].**

**وراحت القيادة الفرنسية تستبدل فرقها العسكرية معتمدة على القوى التي تمرست على القتال في الأحوال الخاصة** (قتال الليل والجبال والغابات والشوارع). واستقدمت كتائب من المستعمرات من أفريقية والهند الصينية. واتسمت العمليات التي قام بها الفرنسيون رداً على العمليات الثورية بعنف غير مألوف بهدف إرهاب السكان وإجبارهم على التخلي عن الثورة وعدم مناصرتها. وارتكب الفرنسيون على كلا الجبهتين كثيراً من الفظائع من حرق

(١) إحسان الهندي، كفاح الشعب العربي السوري، ١٩٠٨م -١٩٤٨م، منشورات إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، دمشق ١٩٦٢م، ص٥٣.

وتدمير قرى وبيوت ومدن بالقنابل والطائرات وقتل الأبرياء والتنكيل بهم في المناطق الثائرة أو من يظنون أنها تساعد الثوار، بالإضافة إلى نهب جميع ما يملكه أهل القرى والأماكن التي يدخلونها وسوق المواشي ومصادرة الأموال والأثاث وفرض الغرامات بلا موجب. وكان لهذا أثر بالغ في نفوس أبناء البلاد. وتعطي مذكرات المعاصرين والكتابات المتعددة عن أحداث الثورات الأمثلة الكثيرة:

**من الأمثلة على فظائع الفرنسيين في معارك الجبهة الساحلية الغربية ما حدث في معركة الشيخ بدر ١٥ حزيران ١٩١٩م**، فقد كانت القرى المحاصرة تحترق تحت وقع القنابل المتفجرة وأمام سمع الثوار وأبصارهم، ومن أراد النجاة من الحريق تلقته شظايا القنابل عند الأطراف. وخلال هجوم الفرنسيين على قرية كاف الجاع في تموز ١٩١٩ (وكانت خالية من المدافعين لبعدها عن منطقة الثورة الرئيسية)، قتل الكثيرون من السكان وحشر الآخرون ضمن البيوت وجعلوا طمعاً للنيران ونهبت الأموال وقطعت آلاف الأشجار إمعاناً في الدمار والتخريب.

**وفي معارك السودة الكبرى (قرب طرطوس) في آذار ١٩٢٠م**، اشتركت مدافع الأسطول بقصف القرى والمواقع التي يستند إليها الثوار، كما أن الثوار الذين وقعوا أسرى بيد العدو في المعارك نفسها نكّل بهم وأعدموا رمياً بالرصاص. وبعد معارك نيسان ١٩٢٠م الدامية، تمكن الفرنسيون من احتلال بعض القرى في الجبال الساحلية، التي انضم أبناؤها إلى صفوف الثوار، بعد أن هدمتها قنابل مدافعهم، وبعد أن دخلتها قواتهم أحرقت ما بقي قائماً منها حتى غدت كتلاً من رماد. ولم يخرجوا من قريتي كوكب الهوى وقلعة الخوابي في مطلع تموز ١٩٢٠م إلا بعد أن أحرقوها وخرجوا منهما وهما أطلال. وخلال هجوم الثوار على بانياس في الشهر نفسه، أخذت قطع الأسطول بقصف بيوت المدنية قصفاً همجياً، وبدأت بعض البيوت تتداعى والحرائق تشب مما اضطر الثوار للانسحاب. وبعد أن احتل الفرنسيون قرية الشيخ بدر (أواخر ١٩٢٠م) والمرتفعات المحيطة بها أحرقوا قرية المريقب

وسائر القرى القريبة منها وجعلوها أرضاً محروقة. كما قاموا باعتقال بعض زعماء المنطقة ووجوهها بتهمة تأييد الثورة ومناصرتها، وشكلوا مجلساً عرفياً لمحاكمتهم وأصدر المجلس حكمه بإعدامهم، ونفذ الحكم فيهم فوراً. كما أطلقوا يد جنودهم بالاعتداء والتخريب والنهب والسلب وقتل الأبرياء[1].

**وبعد الهزائم المتوالية التي تكبدها الفرنسيون في معارك كانون الثاني ١٩٢١م** في الجبال الساحلية عمدوا إلى إطلاق نيران مدافعهم على طول الساحل بين جبلة وبانياس على الجبال القريبة والقرى المطلة على الساحل بقصد منع الثوار من التمركز فيها، مما تسبب في قتل الكثيرين من العزل الأبرياء. كما كانت الطائرات تقوم بغارات متواصلة وتلقي كميات كبيرة من متفجراتها على تلك الربوع. وراح الفرنسيون يرسلون دوريات آلية تطوف بعض سفوح الجبال الغربية وتترصد الناس على الطرقات وتقتل بعضهم، وتنهب وتسلب ما يقع بيدها من أموال متبعة سبل القرصنة. وفي المراحل الأخيرة من ثورة الساحل قامت القوات الفرنسية المعززة بكل وسائل الحرب في الإطباق من كل جهة على مناطق الثورة، وأخذت في الوقت نفسه تشدد الضغط على السكان وتعتقل المزيد منهم زيادة في التنكيل وتثبيط العزائم لإجبارهم على التخلي نهائياً عن نصرة الثوار وتقديم العون لهم.

**واتسمت عمليات الفرنسيين في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية الثائرة بعنف مماثل وخاصة بعد أن تلقت القوات الفرنسية ضربات على يد الثوار في منطقة جبل صهيون (نيسان ١٩١٩م).** وقد عمدت قيادة الحملة الفرنسية العاملة في منطقة جبل (صهيون) إلى الانتقام بمهاجمة القرى الآمنة والاعتداء عليها بالسلب والنهب والتنكيل بالسكان انتقاماً لما أصابها من هزائم وخسائر. وفي منطقة القصير (وإثر الإصابة حملة النجدة التي طلبها غوبو من حلب في شباط ١٩٢١م)، أمر الجنرال غوبو بمهاجمة قرى المنطقة وإيذاء أهلها لأن الكثيرين منهم يؤيدون الثورة ويساعدونها بالرجال المسلحين عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. وانتقاماً لهزيمة حملة حلب ١٠ شباط ١٩٢١م

---

(١) آصف شوكت، الثورات السورية، ١٩١٨-١٩٢١، مصدر سابق، ص١٩٤.

(حين سيرت القيادة الفرنسية من حلب حملة بقيادة ديبيوفر لإعادة الهيبة في منطقة قضاء إدلب)، دخلت القوات الفرنسية قرية كلله من أعمال إدلب، وجمعت رجال القرية لإلقاء الذعر في نفوس الأهلين، ونهبت كل ما وصلت إليه أيدي رجالها من مال ومتاع، كما أحرقت المؤن وأتلفت ما وجدته منها عند الأهلين ليموتوا جوعاً خلال تطويق القرية. وقد انتقى قائد الحملة ٢٧ رجلاً أمر بإطلاق الرصاص عليهم فخروا شهداء.

وفي معركة جبل الزاوية الأخيرة في آذار ١٩٢١م انسحب الثوار، وفسحوا المجال للعدو أن يصعد الجبل ليجد فيه قرى خاوية وبيوتاً خالياً إلا من بعض الشيوخ والعجزة. وارتكب الفرنسيون بعد احتلال كفر تخاريم (نيسان ١٩٢١م) كثيراً من أعمال الأذى والنهب والتدمير ونالوا حتى المسجد، كما هدموا دور عدد من الثوار وعلى رأسهم نجيب عويد[١].

ولقد عمل الفرنسيون، جرياً على عادة المستعمرين في مختلف الأصقاع وبكل الأدوار، جاهدين على تفريق الكلمة وإلقاء الفتنة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد وإحياء الأحقاد الدفينة بينهم ليشتبكوا في منازعات تستنزف قواهم متخذين كلمة فرق تسد نبراساً للعمل وقانوناً للإدارة في البلاد المنكوبة باستعمارهم. وهم إذ يسعون وراء غايتهم هذه كانوا يبحثون عن ضعفاء النفوس، وهم قلة، لاستغلال جهلهم وتدعيم نفوذهم وإغرائهم بالوجاهة الفارغة من أجل تحقيق ما يصبون إليه إلا أن المشاعر الوطنية الصادقة ظلت وستظل هي السائدة والغالبة.

### رابعاً - استمرار المقاومة المسلحة (١٩٢٠- ١٩٢٥م):

**ولا تعني نهاية الثورتين نهايةً للكفاح الوطني المسلح، فقد ظن الفرنسيون أنه بإمكانهم بسط سيطرتهم على سورية عن طريق إدارة مباشرة تعضدها قوات عسكرية، واتباع سياسة الضغط وتشريد الوطنيين.** إلا أن السلطة الفرنسية أخطأت في تقديرها قوة العامل القومي العربي،

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٥.

فدخلت مباشرة في صراع مع الحركة الوطنية في سورية، وأصبحت البلاد مسرحاً للحركات الثورية التي كانت امتداداً لأعمال المقاومة المسلحة السابقة.

**وإثر ميسلون، ثارت القبائل في منطقة حوران ضد سلطات الاحتلال** وقامت بمهاجمة القطار الذي أقل وفداً رسمياً، قدم لتهدئة الأهالي نزولاً عند رغبة الفرنسيين، **وقتل رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى عند خربة غزالة في أيلول ١٩٢٠م،** فجهزت سلطات الاحتلال الفرنسي حملة عسكرية لإخماد الانتفاضة في المنطقة، وتصدى لها الأهالي وكبدوها خسائر كبيرة، وردت الطائرات الفرنسية بالقصف وفُرِضْت غرامة مالية باهظة على الأهالي.

**وفي ٢٣ حزيران ١٩٢١م، تعرض أول مفوض فرنسي سامي الجنرال غورو** في أثناء زيارته القنيطرة **لإطلاق النار**، فقتل أحد مرافقيه، وسيَّر الفرنسيون حملة دمرت عدداً من قرى المنطقة وفرضت غرامات مالية بعد أن صادرت الممتلكات، وامتدت الثورة في تموز ١٩٢٢م إلى منطقة جبل العرب، إثر اعتقال أدهم خنجر الذي لجأ إلى سلطان باشا الأطرش زعيم الجبل، بعد إخفاق محاولة اغتيال غورو، وحاول سلطان باشا أن يحشد الريف حوله، وتصدى مع قوة من أتباعه لكتيبة فرنسية، وبعد قصف منزله اضطر إلى اللجوء إلى شرقي الأردن، وفرض الفرنسيون غرامة على الجبل.

**مكن التفوق العسكري الفرنسي من إخماد الأعمال الثورية مؤقتاً في سورية،** ولكن القوى الوطنية تابعت تعبيرها عن رفض الاحتلال بشتى الوسائل وفي مختلف المناسبات، بالإضرابات والمظاهرات والعمل السياسي السري داخل البلاد أو حركة في المنفى في المجال السياسي والإعلامي.

### خامساً - تفجر الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥م -١٩٢٧م:

**استمرت البلاد تعيش جواً من التوتر** في السنوات التي انقضت بين وضع سورية تحت الانتداب واندلاع الثورة السورية، نتيجة لأعمال القمع وسوء الوضع الاقتصادي والتجزئة السياسية. وفي ١٧**كانون الثاني ١٩٢٥م،**

توجه وفد من دمشق وحلب لمقابلة المفوض السامي في بيروت، الجنرال سَراي حاملاً مطالب البلاد، ومنها: التأكيد على الوحدة السورية وتشكيل جمعية تأسيسية منتخبة تضع للبلاد دستورها، وقام رجال الحركة الوطنية بتأليف أول حزب في سورية بعد فرض الانتداب، يمارس نشاطه رسمياً هو حزب الشعب برئاسة **عبد الرحمن الشهبندر**، ومن أهم برامج الحزب العمل لتأمين استقلال سورية ووحدتها، وبرز الحزب في وقت كانت البلاد تتطلب بروز زعامة سياسية توحد الصفوف وتقودها، وعلى الرغم من الوعود التي قطعها المفوض السامي الجنرال سراي ظلت الشكاوى القديمة من غير معالجة ولاسيما في جبل العرب، وذهب وفد من زعماء الجبل وشيوخه في نيسان ١٩٢٥م لمقابلته مؤكدين أن الجبل جزء لا يتجزأ من البلاد السورية مع المطالبة بتعيين حاكم للجبل من أبنائه. وبعد رفض سراي هذه المطالب دعا سلطان باشا الأطرش إلى عقد اجتماع في السويداء، وطافت المظاهرات أنحاء الجبل، وجرى الاتصال مع عدد من الزعماء السياسيين في دمشق، معظمهم من أركان حزب الشعب، للتشاور وتنسيق المواقف. ومع أن حزب الشعب أعلن أنه يسعى لتحقيق مبادئه وبرنامجه بالطرق القانونية المشروعة، فقد تم التعاهد بين عدد من أعضائه، بصفة شخصية، ووفد من الجبل على إشعال نار الثورة في سورية لتحقيق الاستقلال والوحدة.

**وفي ٢١ تموز ١٩٢٥م، وبعد اعتقال عدد من زعماء الشعب ونفيهم إلى تدمر**، أقدم سلطان باشا الأطرش على إضرام نار الثورة بحرق دار المفوضية الفرنسية في صلخد وإبادة قوة فرنسية جاءت للقبض عليه، ودخل بعدها السويداء، وحاصر قلعتها. وفي آب ١٩٢٥م توجهت حملة فرنسية للانتقام من أركان الثورة كان نصيبها الإخفاق في موقعة المزرعة. وصلت أنباء الثورة إلى مختلف مناطق سورية، وعقد في دمشق في ٢٠ آب ١٩٢٥م اجتماع سري بين وفد سلطان باشا الأطرش وبعض زعماء دمشق من حزب الشعب والاستقلاليين القدامى، وتقرر الاشتراك فعلياً بالثورة، وإرسال وفد إلى

الجبل لتبليغ زعمائه قرار دمشق، وبلغ سراي الخبر فأمر بحل حزب الشعب وملاحقة رجاله، فقبض على بعضهم بينما التحق آخرون بالثورة[١].

**وامتدت الثورة إلى غوطة دمشق،** ودارت فيها معارك ضارية بين الثوار والفرنسيين، وتولى الجنرال غاملان قيادة النجدات الفرنسية في ١٦ أيلول ١٩٢٥م، ورد الثوار بمهاجمة الحامية الفرنسية في قرية المسيفرة، وتكبيدها خسائر كبيرة، ثم دارت معارك بين الثوار والقوات الفرنسية الزاحفة على السويداء، واضطر الفرنسيون بعد احتلال مؤقت للمدينة إلى الانسحاب بعد أن قررت قيادة الثورة مد نطاقها إلى الشمال لتخفيف الضغط على الجبل، ودارت المعارك حول دمشق وجبل القلمون.

**وفي ٥ تشرين أول ١٩٢٥م بلغت الثورة مدينة حماة بقيادة فوزي القاوقجي،** الذي أوقع في صفوف الفرنسيين خسائر كبيرة، فردوا بقصف المدينة بالقنابل واعتقال الكثيرين. ومع أن ثورة حماة لم تدم طويلاً إلا أنها هددت سيطرة الفرنسيين بسرعة انتشارها إلى أقاليم حمص وحماة وطرابلس وأجبرتهم على سحب جزء من قواتهم من منطقة الجبل مما خفف الضغط على الثوار.

**واتسع نطاق الثورة واتخذت شكلاً وطنياً عاماً،** وتغلغلت قوات الثورة إلى أسواق دمشق وأحيائها الشعبية في تشرين الأول ١٩٢٥م، ولمع اسم كل من حسن الخراط ومحمد الأشمر رمزاً لنضال دمشق ضد الفرنسيين، وردت المدافع الفرنسية بقصف المدينة دون سابق إنذار، وزادت هذه الأحداث من إضرام الثورة، وعُهد إلى القاوقجي بالقيادة العامة لجيش الغوطة وجهات الشمال، فحاول أن يبعث الحياة في معارك الغوطة، وازداد الضغط الفرنسي على الغوطة وأُرسلت قوات فرنسية كبيرة لإجلاء الثوار عن بعض مناطقها، كما شُن هجوم على جبل العرب شارك فيه الطيران.

**وقد عملت الثورة السورية منذ تفجيرها على تجنيد القوى العربية لمساعدتها بالمال والسلاح والإعلام،** وأدت الثورة وانتصاراتها دوراً في

---

(١) الموسوعة العربية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص٣٣٦.

جعل أبناء الأمة العربية يساندون النضال السوري. ولم تقف الإجراءات البريطانية حائلاً أمام الشعب العراقي لإظهار تعاطفه مع الشعب السوري بالدعم الإعلامي والمادي ومبادرات فردية بالقتال. وأثارت الثورة السورية حماسة الفلسطينيين، وكانت فرصة لإعادة الصلة بين رجالات الحركة الوطنية في البلدين، وكان الصحفيون الفلسطينيون ينقلون أخبار الثورة السورية، وتألفت في القدس منذ تشرين أول ١٩٢٥م «**اللجنة المركزية لإعانة منكوبي سورية» برئاسة الحاج أمين الحسيني** وعدد من الزعماء الفلسطينيين والسوريين ومعظمهم من الاستقلاليين القدامى، مهمتها الإشراف على جمع الأموال وتأمين السلاح وإيصالها إلى مواقع الثورة، كما أخذت بتقديم المعونة للمجاهدين الذين لجؤوا إلى شرقي الأردن بعد انتقالهم إلى النبك وقريات الملح في أراضي نجد.

كان معظم المجاهدين السوريين، بسبب استمرار التضييق الفرنسي على حركاتهم، قد اضطروا إلى مغادرة البلاد في خريف ١٩٢٦م، ومنهم سلطان باشا الأطرش، إلى منطقة الأزرق في شرقي الأردن بغية اتخاذها قاعدة لهجماتهم على سورية، قبل أن تضطرهم السلطات البريطانية إلى الخروج إلى أراضي نجد. وتوزع عدد من القيادات السورية بين القاهرة والقدس وعمان، وتحولت الثورة بعد ذلك إلى حركات ثورية متقطعة، **قادها فوزي القاوقجي على رأس قوة ثورية صغيرة**، وظل حتى شتاء ١٩٢٧م يبحث عن قاعدة يجدد منها حياة الثورة.

**أثبتت أحداث الثورة وأسبابها أنها ثورة وطنية** هدفها الحصول على استقلال سورية الموحدة، وشاركت فيها كل الفئات، مع أن الفئة المتنورة كانت الروح المحركة للنضال، إلا أن عمل الثورة كانت تعرقله الخلافات بين الزعامات السورية في الخارج بشأن توجيه الثورة وجمع الإعانات وهي خلافات قديمة تعبر عن انقسامات عقائدية وصراعات شخصية، وأحدث هذا شرخاً في صفوف الوطنيين وانتقل إلى المجاهدين. ولعل السبب الحقيقي لأفول الثورة يكمن في نهاية ثورة الريف واستسلام الأمير عبد الكريم الخطابي، مما مكن الفرنسيين من إرسال النجدات الكبيرة إلى سورية، المزودة بالأسلحة المتطورة التي كان الثوار يفتقدونها.

## سادساً - نتائج الثورة:

**كان لنشوب الثورة نتائج انعكست على علاقة سورية مع المحتلين الفرنسيين واضطرتهم إلى إعادة النظر في سياستهم**، وتقديم بعض الحلول التي تخفف من حدة الغليان الشعبي ولا تتعارض مع مصالح فرنسة الاستعمارية. وقد دفعت عوامل كثيرة فرنسة نحو إقامة نظام برلماني والارتباط بمعاهدة مع سورية، يُذكر منها الثورة السورية التي كوّنت ضغطاً قوياً على السياسة الفرنسية، والرفض الشعبي لفكرة الانتداب، وإخفاق فرنسة بالإتيان بحكومة يرضى عنها الشعب، وشعور السياسيين الفرنسيين أن وجود هيئة نيابية منتخبة يسهل على فرنسة مهمة التعامل مع جهة واحدة، كما أن وضع الانتداب في صورة معاهدة يوفر لفرنسة ما لم تستطع تأمينه بالقوة والعنف، وأخيراً تعرض فرنسة لضغوط من عصبة الأمم بسبب سياستها.

**ومنذ أواخر العشرينات ظهرت الكتلة الوطنية** قوة سياسية للعمل على تجديد الحركة الوطنية في سبيل وحدة واستقلال سورية بعد فتور الثورة الوطنية، وإذا كان النضال المسلح قد توقف في أواخر العشرينات، فإن النضال السياسي حل محله، ولم يكن أقل ضراوة منه، إلى أن انتهى الأمر بتحقيق الاستقلال.

إن ضراوة النضال المسلح والسياسي لم يتح لفرنسة إمكانية استغلال سورية على النحو الذي فعلته في مناطق سيطرتها الأخرى. وانتهى الاحتلال العسكري الأجنبي إلى الأبد، ولم يكن الاستقلال السياسي غاية بنفسه، بل كان وسيلة مهمة تفتح طريق الجهاد واسعاً أمام تطوير البلاد، ودفعها إلى التقدم لصيانة الاستقلال وجعله واسطة لإسعاد الأمة ورقيها[١].

## سابعاً - ثورة ١٩٣٦م في فلسطين:

**لم تأت ثورة ١٩٣٦م في فلسطين من فراغ**، بل جاءت حلقة في سلسلة الثورات التي قام بها الفلسطينيون منذ فُرض الانتداب على بلادهم في

---

(١) الموسوعة العربية، الجزء الرابع، مصدر سابق ص٣٣٤-٣٣٧.

أعقاب الحرب العالمية الأولى، كثورات ١٩٢٠ و١٩٢٩ و١٩٣٥م التي قادها عز الدين القسام، وجميع هذه الثورات كان هدفها الحيلولة دون إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، والحفاظ على عروبتها، والخلاص من الانتداب البريطاني وإيقاف الهجرة اليهودية[١].

**إنَّ هذه الأهداف بمجملها تشكل الأسباب العميقة للثورة التي مرت بثلاث مراحل:**

**المرحلة الأولى: وتتلخص أسبابها المباشرة بما يلي:**

**١ - تدفق اليهود على فلسطين وعلى مرأى وتشجيع من السلطة المنتدبة التي لم تتخذ تدبيراً للحد من ذلك.**

**٢ - تغاضي هذه السلطة عن تهريب الأسلحة والذخائر لليهود.**

**٣ - السماح للصهاينة بإنشاء تشكيلات ومنظمات صهيونية ذات صفة عسكرية.**

**٤ - حادثة عَنَبَا التي أسفرت عن مقتل يهودي وجرح آخر، فعمد اليهود إلى قتل عربيين في إحدى البيارات، فأعلنت يافا الإضراب، وامتدَّ إلى بقية أنحاء فلسطين.**

وهناك عوامل أخرى **ساعدت على قيام الثورة منها:**

**١ - رغبة الفلسطينيين في الثأر للشيخ عز الدين القسام ومن استشهد من جماعته.**

**٢ - تشكيل اللجنة العربية العليا بزعامة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس**، بعد أن وحدت الكتل والأحزاب كلمتها، وقد دعت اللجنة الفلسطينيين إلى الإضراب، وعملت على توحيد جميع التشكيلات والتنظيمات السرية تحت اسم «جيش الجهاد المقدس»، والمؤلَّف بأغلبيته من الفلسطينيين، وأُسندت قيادته لعبد القادر الحسيني، وانضم إليه عدد من المجاهدين من سورية والأردن ولبنان، ومن أبرز

(١) الموسوعة العربية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص٣٤٧.

المقاتلين السوريين سعيد العاص الذي استُشهد في معركة الخضر ١٩٣٦. وانضمت إلى الثورة كذلك القوة العسكرية التي شكَّلها العراق، وجعل قيادتها لفوزي القاوقجي وانضمَّ إليها كثير من المجاهدين، وشكَّلت لجان وجمعيات سواء في البلاد العربية أو أوربة والمهجر لجمع التبرعات للثورة والدعاية لها.

**بدأت أحداث الثورة بمهاجمة عبد القادر الحسيني وفصائل المجاهدين ثكنات الجيش الإنكليزي ومخافر الشرطة والمستعمرات اليهودية**، ولاقت هذه الأعمال دعماً وتجاوباً من الشعب في فلسطين، فبادر إلى حمل السلاح والمشاركة في القتال. حقَّق جيش الجهاد المقدس وقوات فوزي القاوقجي عدة انتصارات في معارك **عديدة منها: معركة نور شمس، معركة الجاعونة ومعركة بلعة...، وهاجموا عدة مدن مثل القدس، يافا، عكا، بئر السبع، الخليل، غزة، صفد...**، وقتلوا عدداً من الموظفين البريطانيين والعملاء والجواسيس وسماسرة الأراضي وباعتها.

**فأعلنت السلطة البريطانية وضع قوانين الطوارئ والدفاع موضع التنفيذ**، واستعانت بعدد من كبار الضباط لقمع الثورة، ولكن دون طائل. وأخيراً لجأت بريطانية إلى أصدقائها من الحكام العرب وطالبتهم بالتوسط لدى اللجنة العربية العليا لإنهاء الحرب وإيقاف الثورة.

**وساطة الملوك والأمراء العرب لإيقاف الثورة:** وجَّه الملك عبد العزيز آل سعود رسالة إلى اللجنة العربية العليا، يعلمها فيها موافقة بريطانية على توجيه ملوك العرب وأمرائهم نداءً إلى الفلسطينيين لإيقاف الإضراب وإنهاء الثورة، وأنها على استعداد للنظر في مقترحاتهم في مصلحة العرب بالنظر اللائق.

ثم وردت نداءات أخرى من الملك غازي ملك العراق، والإمام يحيى حميد الدين حاكم اليمن والأمير عبد الله أمير شرقي الأردن، تطالب الفلسطينيين بالإخلاد إلى السكينة اعتماداً على حسن نوايا صديقتهم بريطانية، فقبلت اللجنة العربية العليا تلك الوساطة، وأصدرت بياناً دعت فيه إلى إنهاء

الإضراب وإيقاف الثورة، كما أوقف فوزي القاوقجي الأعمال العسكرية، وبذلك انتهت المرحلة الأولى من عمر الثورة.

**المرحلة الثانية (١٩٣٦ - ١٩٣٧م):**

أرسلت بريطانية لجنة ملكية لتقصي الحقائق ومعرفة أسباب الثورة، عُرفت باسم «لجنة بيل»، فقامت بعدة اتصالات واستمعت إلى مئات الشهادات، ثم وضعت تقريرها الذي نشرته الحكومة البريطانية في ١٩٣٦/٧/٧، وجاء فيه أن سبب الأحداث يعود إلى رغبة العرب في الاستقلال، وإلى كره العرب وسخطهم من موقف بريطانية الهادف لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

**وأوصت اللجنة بتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق من خلال:**

**أ - إنشاء دولة يهودية في المناطق التي فيها أكثرية يهودية.**

**ب- وضع القدس وما حولها وحيفا ومنطقتها تحت الانتداب البريطاني الدائم.**

**جـ- إنشاء دولة عربية في ما تبقى من فلسطين وضمها إلى شرقي الأردن.**

وأعلنت بريطانية أمام مجلس العموم البريطاني أنَّها تتعهَّد بتنفيذ وعد بلفور.

أعلنت اللجنة العربية العليا رفضها للتوصيات ودعت لمقاومتها، كما رفضها اليهود، فعادت الاصطدامات من جديد، وفشلت السلطة البريطانية باعتقال الحاج أمين الحسيني، إلا أنها عزلته من منصب الإفتاء وأعلنت الأحكام العرفية[١].

---

(١) الموسوعة العربية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص٣٤٨.

**المرحلة الثالثة (تشرين الأول ١٩٣٧-١٩٣٩م):**

شملت أحداث الثورة في هذه المرحلة جميع أنحاء فلسطين، وتمكن الفلسطينيون من احتلال بعض المدن إثر معارك ضارية، منها معركة بيت لحم، بئر السبع، القدس، عكا....، وأجبرت بريطانية على إعادة اعترافها باللجنة العربية العليا، ودعتها مع ممثلي الدول العربية المستقلة، لعقد مؤتمر في لندن ١٩٣٩م، عُرف باسم «مؤتمر المائدة المستديرة»، وكانت بريطانية أصدرت كتاباً أبيض في تشرين الثاني ١٩٣٨م، تراجعت فيه عن مشروع التقسيم، وما لبثت أمام الضغط الفلسطيني والعربي أن عدَّلته ونشرته في أيار ١٩٣٩م، **وتضمَّن**:

- **وعداً بإنهاء الانتداب بعد عشر سنوات.**
- **ربط الاستقلال بشروط تضمن استمرار النفوذ البريطاني.**
- **إدخال ٧٥ ألف يهودي إلى فلسطين خلال خمس سنوات.**
- **عدم السماح بالهجرة بعد ذلك إلا بموافقة المندوب السامي، وكذلك الأمر في انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود.**
- **لوَّحت بريطانية بإقامة دولة يكون ثلثاها من العرب.**

رفض العرب واليهود هذا الكتاب وحالت الظروف الدولية دون استئناف المفاوضات، **بسبب قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م**، والتي ستفرز معطيات وأوضاعاً جديدة متغيرة في فلسطين والمنطقة العربية[1].

---

(١) الموسوعة العربية، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص٣٤٧-٣٤٩.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الفهرس


| | الصفحة |
|---|---|
| إهـــداء | ٥ |
| تقديم | ٧ |
| m | ١١ |
| **الباب الأول : السياسة والحرب في فتح بلاد الشام** | |
| **الفصل الأول : المعارك الأولى** | |
| **أولاً - إمبراطورية الروم قبل الإسلام وبعده** | ٢٣ |
| أ - حركة التأليف العسكري في إمبراطورية الروم | ٢٤ |
| ب - تنظيم الجيش الرومي | ٢٥ |
| جـــ - إمبراطورية الروم في القرن السادس | ٢٧ |
| د - الإمبراطورية الرومية في النصف الأول من القرن الــسابع للميلاد | ٢٩ |
| - الحرب مع السلاف والآفاريين | ٣٠ |
| - الحرب مع الفرس (هجوم فارس) | ٣١ |
| - هجوم فارسي معاكس فاشل | ٣٤ |
| أولاً - معركة نينوى | ٣٤ |
| - انتصار بيزنطة | ٣٦ |
| هـــ - دومة الجندل وذات أطلاح | ٣٧ |
| **ثانياً - معركة مؤتة** | ٣٨ |
| أ - أسباب حملة مؤتة | ٣٩ |
| ب - قوة الحملة وطريقها | ٣٩ |
| جـــ - استعدادات الروم وحلفائهم | ٤٠ |
| د - المعركة | ٤٢ |

**ثالثاً - معركة تبوك** ٤٤
آ - الموقف السياسي العسكري قبل المعركة ٤٤
ب - تعبئة المسلمين العسكرية ٤٦
جـ - استنتاجات غزوة تبوك ٤٧
د - بعث أسامة بن زيد ٤٨
١ - أمر قتال القائد الأعلى للقائد أسامة ٤٩
٢ - التحليل العسكري لهذه الهجمات المباغتة ٥٠
هـ - بعث خالد بن سعيد بن العاص ٥٢
**رابعاً - توجيه الجيوش الأربعة وأعمالها** ٥٥
آ - جيش يزيد بن أبي سفيان ٥٥
المهمة وتفصيل القيادة ٥٦
- معركة تبوك ٥٧
- معركة داثن ووادي عربة ٥٨
ب - جيش شرحبيل بن حسنة ٥٩
- أعمال الجيش الثاني العسكرية ٦٠
جـ - جيش أبو عبيدة بن الجراح ٦١
د - جيش عمرو بن العاص ٦٢
هـ - خالد بن الوليد قائداً عاماً ٦٤
و - طريق خالد ٦٧
**خامساً - معركة أجنادين** ٧٣
آ - تقدير الموقف واتخاذ القرار ٧٣
ب - آراء بعض المفكرين في أجنادين ٧٥
جـ - أسباب توجيه جيوش أربعة ٧٥
**الفصل الثاني: العمليات الحربية الكبرى في بلاد الشام - اليرموك وعمورية**
آ - تنظيم معركة اليرموك ٧٩
١ - خالد يقدر الموقف ٧٩
٢ - تيودور يقدر الموقف ويتخذ القرار ٨٠
٣ - ترتيب قتال القوات الرومية والعربية ٨٠

- المفاوضات ٨١
- وصف وادي اليرموك ٨٢
- توزيع المهام القتالية لقوات العرب ٨٣

**ب - سير الأعمال القتالية** ٨٤

١ - الهجوم العربي الأول وهجوم الروم المعاكس ٨٤
٢ - حركة الالتفاف العربي وفصل المشاة عن الخيالة ٨٥
٣ - المطاردة والانسحاب ٨٥
٤ - نظرة تحليلية ٨٦
٥ - عمر قائد أعلى وأبو عبيدة قائد عام لجبهة بلاد الشام ٨٧

**جـ - خطة العرب العامة بعد اليرموك** ٨٨

١ - معركتا فحل ومرج الصفر ٨٩
٢ - تحرير دمشــق ٩٠
٣ - تحرير حمص ٩١
٤ - تحرير الرستن ٩٢
٥ - تحرير قنسرين وحلب ٩٣
٦ - فتح ساحل الشام ٩٣
٧ - فتح كيليكيا ٩٤
٨ - تحرير كامل فلسطين ٩٥
٩ - حملة عمورية في القرن التاسع للميلاد ٩٦

**الباب الثاني: السياسة والحرب في بلاد الشام - حروب الفرنجة والمغول**

**الفصل الأول: السياسة والحرب في بلاد الشام في حروب الفرنجة والمغول** ١١٣

**أولاً - العرب والعالم في القرن الثاني عشر** ١١٣

- في المشرق العربي ١١٣
- مناطق تحت الاحتلال الصليبي ١١٥
- العالم الأجنبي في القرن الثاني عشر ١١٨
- ظهور صلاح الدين الأيوبي ١١٩

**ثانياً - أسباب الحروب الصليبية وإعداد البلاد للحرب** ١٢٠

آ - أسباب حروب الفرنجة ١٢٠

الصفحة


ب – إعداد البلاد للحرب ١٢٤
١ – سور القاهرة ١٢٤
٢ – قلعة صلاح الدين الأيوبي ١٢٤
بناء الأسطول والموانئ ١٢٥
غزوات الأسطول العربي ١٢٦
ميناء المقس ١٢٦
النهضة العلمية والتربوية ١٢٧
النهضة الاقتصادية ١٢٨
آ - الزراعة والتجارة ١٢٨
ب - الصناعة ١٢٨
- صناعة الأسلحة ١٢٩
جـ - قناطر الجيزة ١٢١
جـ - بعث الطاقات العسكرية للأمة العربيةفي القرن الثاني عشر ١٣٢
١ - تنظيم الجيش العربي وتسليحه في العهد الأيوبي ١٣٢
٢ - الاجتماعات الرئيسية للقيادة العامةـ مجلس الشورى ١٣٣
٣ - ديوان الجيش ١٣٤
صاحب الجيش وكاتبه ١٣٥
العسكر والجند ١٣٥
تمييز الرتب + القبائل العربية الرّحل + الأحداث (المتطوعون) ١٣٦
فرقة النشابين والنفاطين والمنجنيقيين والعيارين + دور النساء في الحرب ١٣٨
**ثالثاً - فن الحرب في بلاد الشام في القرن الثاني عشر** ١٤٠
أ - تراتيب القتال وتنظيم التعاون ١٤٠
ب - اختيار الوقت والحرب الخاطفة ١٤٢
جـ - الاستمرار (القتال المتتابع) والإمداد ١٤٣
د - الاتصالات (سلاح الإشارة) والاستطلاع ١٤٣
**العرب واستطلاع القوات في القرن الثاني عشر** ١٤٥
**رابعاً - الكمائن والإغارات في بلاد الشام في القرن الثاني عشر** ١٤٩
آ - تمهيد ١٤٩

الصفحة


ب - أسباب حرب العصابات ١٥٠
جـ - إغارات الكرك والشوبك ١٥٠
د - غارة مرجعيون وحصن بيت الأحزان والرملة ١٥٣
**خامساً - الخطط والمناورات قُبيل معركة حطين** ١٥٨
- طبوغرافية حطين ١٥٨
**أولاً - السبب المباشر لنشوب حطين والإعداد لها** ١٦٠
**ثانياً - الخصائص الاستراتيجية عند الصليبيين وعند العرب** ١٦٣
**سادساً - خطط الحرب العربية والصليبية** ١٦٩
**أولاً - خطط الحرب - خطة الحرب العربية** ١٦٩
**ثانياً - خطة الحرب الصليبية** ١٧٦
الخطة الاستراتيجية ١٧٦
آ - اجتماع القيادة الصليبية في تموز ١٧٦
ب - إقرار الخطة الهجومية ١٧٧
جـ - الخطة التكتيكية ١٧٩
د - القوات العربية ١٨١
هـ - القوات الصليبية ١٨٢
و - الاستطلاع ١٨٢
ز - مفاجأة الكمائن العربية لقوات الفرنجة في قريتي ترعان ولوبية ١٨٣
ح - إرغام الفرنجة على تغيير هدفهم الاستراتيجي ١٨٤
ط - تعزيز القوات العربية في ليلة (٤ تموز عام ١١٨٧م) ١٨٦
**سابعاً المعركة الفاصلة** - حطين ١٨٧
أ - فصل الخيالة عن المشاة ومنع الماء ١٨٧
ب - انسحاب الفرنجة إلى القرون وتطويقهم ١٩٠
جـ - محاولة الملوك الهرب ١٩١
د - فصل مشاة الفرنجة عن خيالتهم مرة ثانية ١٩٣
- محاولة الفرنج فك طوق الحصار ١٩٣
هـ - الهجوم العربي الفاصل ١٩٤

الصفحة


و - النصر ١٩٦
ز - التحليل والخاتمة ١٩٨
**ثامناً - الخصائص المميزة لإستراتيجية القوات المسلحة** ٢٠١
**تاسعاً - تكتيك الأعمال القتالية في التشكيلات المسلحة العربية**
- مهاجمة العدو بفصائل الخيالة من عدة اتجاهات في وقت واحد ٢٤١
**عاشراً - الدروس والعبر** ٢٥٨
**الفصل الثاني: السياسة والحرب عند العرب في حرب المغول** ٢٦٩
آ - **إستراتيجية الصراع على الوطن العربي في القرن الثالث عشر** ٢٦٩
**ب - الاجتياح** ٢٧١
ملحمة عين جالوت ٢٧٢
آ - الخطة اللوجستية ٢٧٣
ب - الخطة النفسية ٢٧٤
ج - خطة المسير ٢٧٥
ملحمة عين جالوت ٢٧٥
آ - المرحلة الأولى ٢٧٥
ب - المرحلة الثانية ٢٧٦
ج - المرحلة الثالثة ٢٧٧
د - المرحلة الرابعة ٢٧٨
هـ - الخاتمة ٢٧٩
**الباب الثالث: السياسة والحرب في بلاد الشام فيما بين الحربين العالميتين**
**الفصل الأول: إعلان الثورة وتحرير بلاد الشام** ٢٨٣
**أولاً مبايعة الحسين بن علي ملكاً على العرب** ٢٨٣
**ثانياً - استئناف الجهاد** ٢٨٦
**ثالثاً - أسر القائد التركي العميد أشرف بك** ٢٨٩
**رابعاً تحرير الأردن** ٢٩٤
**خامساً - معركة الطفيلة ومعان** ٣٠١

الصفحة


| | |
|---|---|
| سادساً - احتلال بريطانيا فلسطين | ٣١٣ |
| سابعاً - سير الأعمال القتالية | ٣١٨ |
| رئيس الحكومة العربية المؤقتة «الأمير سعيد» | ٣٣٢ |
| الفصل الثاني : إعلان استقلال سورية ومبايعة فيصل ملكاً | ٣٣٩ |
| أولاً- نهاية الحكم التركي | ٣٣٩ |
| ثانياً- التصريح البريطاني الفرنسي | ٣٥٥ |
| ثالثاً- تسويات ما بعد الحرب | ٣٦٠ |
| رابعاً- اتفاق لويد جورج وكليمنصو | ٣٧٠ |
| خامساً- لقاء فيصل - وايزمن | ٣٧٢ |
| سادساً- مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ | ٣٨٢ |
| سابعاً - الخلاف بين إنكلترا وفرنسا على الغنائم | ٣٩٦ |
| ثامناً - الاتفاق على اقتسام الضحية | ٤١٥ |
| إلغاء اتفاقية باريس | ٤٢٧ |
| تاسعاً - التطورات الداخلية الثورية خلال مفاوضات الصلح في أوربا | ٤٣٧ |
| عاشراً - سورية بين الاستقلال والاحتلال ومبايعة فيصل ملكاً عليها | ٤٤١ |
| حادي عشر - فيصل ملكاً على العراق | ٤٥٥ |
| الفصل الثالث: الثورات الوطنية في الشام في عهد الانتداب الفرنسي | ٤٧٧ |
| أولاً - بدايات الثورة المسلحة (١٩١٨- ١٩٢٠م) | ٤٧٨ |
| ثانياً - تنظيم الثورات وتمويلها وتسليحها (١٩١٨-١٩٢١م) | ٤٧٩ |
| ثالثاً - أساليب الثوار القتالية ووسائل الفرنسيين لمواجهتها | ٤٨٦ |
| رابعاً - استمرار المقاومة المسلحة (١٩٢٠- ١٩٢٥م) | ٤٩٤ |
| خامساً - تفجر الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥م -١٩٢٧م | ٤٩٥ |
| سادساً - نتائج الثورة | ٤٩٩ |
| سابعاً - ثورة ١٩٣٦ في فلسطين | ٤٩٩ |
| المرحلة الأولى | ٥٠٠ |
| المرحلة الثانية (١٩٣٦ - ١٩٣٧م) | ٥٠٢ |
| المرحلة الثالثة (تشرين الأول ١٩٣٧-١٩٣٩م) | ٥٠٣ |

## اللواء الركن المجاز

## الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود

- **ولد المؤلف في سورية** - حمص، الرستن ، عام ١٩٤٨م.
- **عمل مديراً لمدرسة** ، ( أبو منديل ) ، منبج ، محافظة حلب.
- **انتسب إلى الكلية الحربية** في ١٩٦٨/١٢/٢٨م.
- **عضو اتحاد الكتاب العرب**، منذ عام ١٩٧٢م.
- **عضو جمعية البحوث والدراسات السورية**، منذ عام ١٩٧٢م.
- **رئيس تحرير المجلة العسكرية السورية**، أعوام ١٩٧٢-١٩٧٤م.
- **رئيس قسم التأليف والترجمة والنشر**، أعوام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م.
- **اتبع دورة قيادة وأركان حرب**، أعوام ١٩٨٥م - ١٩٨٧م.
- **رئيس تحرير مجلة جيش الشعب** ، أعوام ١٩٨٨م - ١٩٨٩م.
- **نال شهادة الدكتوراة في الفلسفة.** بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف. أعوام ١٩٩١م – ١٩٩٤م.
- **حصل على شهادة ركن مجاز (دفاع وطني)** ، أعوام ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣م.
- **رُقيّ إلى رتبة لواء** ، ٢٠٠٢/١/١م.
- **خاض حروب** عام ١٩٧٣م ، والاستنزاف عام ١٩٧٤م ، وعام ١٩٨٢م ، وكتب عنها.
- وللمؤلف زهاء أربعين كتاباً وموسوعة منشورة.
- **وشغل وظائف عسكرية أخرى.**
- **شارك في عدد كبير من المؤتمرات** العلمية والثقافية والمناظرات والمقابلات التلفزيونية


الطبعة الأولى / ٢٠١١م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



إن تاريخ الشعوب مرآة تعكس مناهج الأسلاف، لتعليل الأحداث الماضية، وإبراز أسبابها، وبيان الطرائق والوسائط التي استخدمها الأجداد لتحقيق إرادتهم في امتلاك أسباب الوجود والتطور.

فتاريخ الشعوب سر وجودها، وأحداثه منبع آلامها وآمالها، أما فهمه ودراسة تجاربه واستنباط قوانينها وأحكامها، فهو الذي يحدد نجاحها مستقبلاً أو إخفاقها.

وتأسيساً على ما سبق ينبلج النبراس، وتخلق القدوة لمن يريد أن يعتبر من الأجيال الصاعدة.


الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة
www.syrbook.gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م
سعر النسخة ٣٥٠ ل.س أو ما يعادلها

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

موسوعة

# السياسة والحرب في بلاد الشام

## الجزء الثاني

تقديم: العماد علي حبيب

اللواء الركن المجاز
أ. الدكتور
إبراهيم مصطفى المحمود





# موسوعة
# السياسة والحرب
# في بلاد الشام

## الجزء الثاني



اللواء الركن المجاز
أ. الدكتـور
**إبراهيم مصطفى المحمود**

# موسوعـة

# السياسة والحرب

# في بلاد الشام

## الجزء الثاني

**تقديم : العماد علي حبيب**



منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١١م

موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام / إبراهيم مصطفى المحمود ؛ تقديم علي حبيب .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م.- ج٢ (٥٩٢ ص) ؛ ٢٤ سم .

(تاريخ سورية. دراسات ونصوص؛ ٨)

١- ٣٥٥,٤ م ح م    م    ٢- ٩٥٦ م ح م    م

٣- العنوان    ٤- المحمود    ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

**تاريخ سورية (دراسات ونصوص)**

«٨»





# إهـداء

إلى الشهداء الذين رووا بدمائهم تراب الوطن

وإلى الأبطال الذين يذودون عن حياض البلاد . .





# البَابُ الرَّابِعِ

## السياسة والحرب في بلاد الشام

## من النكبة إلى الاستنزاف



# الفصل الأول

# حرب عام (١٩٤٨م)

## أولاً: المرحلة الأولى:

**هي الحرب التي بدأت بدخول قوات عربية تابعة** لمصر وسورية والأردن والعراق ولبنان والسعودية واليمن أرض فلسطين، بهدف إعاقة قيام الكيان الإسرائيلي فوق أرض فلسطين العربية، وذلك في **١٥أيار (مايو) ١٩٤٨م**، وانتهت بعقد اتفاقيات فردية للهدنة مع الكيان الإسرائيلي. وقد تخللت هذه الحرب هدنتان عرفتا باسم (الهدنة الأولى والهدنة الثانية).

**وتميزت هذه الحرب على الرغم من ضراوة الأعمال القتالية** في بعض صفحاتها بهيمنة الطابع السياسي على مسيرة الأعمال القتالية. وقد وقف في هذا الصراع إلى جانب الجيوش العربية، قوات من المتطوعين وقوات غير نظامية مثل جيش الإنقاذ وجيش الجهاد المقدس (انظر جيش الإنقاذ وجيش الجهاد المقدس)، علاوة على دعم المواطنين الفلسطينيين العرب، وذلك في مجابهة المنظمات الصهيونية الإرهابية التي تحولت إلى جيش نظامي مدعم بوحدات محلية.

### أ - الوضع السياسي الذي أدى إلى الحرب:

**في ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٤٧**، عقدت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة جلسة لمناقشة طلب بريطانيا الموجه إلى الأمين العام للأمم المتحدة

والذي تعلن فيه تخليها عن الانتداب. وتم تأليف لجنة دولية للتحقيق وضعت تقريرها بعد أربعة أشهر وفيه توصياتها وهي[1]:

أولاً- **ضرورة إنهاء الانتداب على فلسطين ومنحها الاستقلال في أعقاب فترة انتقال قصيرة تكون السلطة أو السلطات المحلية فيها مسؤولة أمام الأمم المتحدة ويكون النظام الأساسي ودستور الدولة، أو الدولتين، قائمان على أسس ديمقراطية تمثيلية تحترم فيها مبادئ حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات، ويحافظ فيها على وحدة اقتصادية لجميع أجزاء فلسطين.**

ثانياً- إبقاء الصفة الدينية لجميع الأماكن المقدسة.

**ثالثاً- اعتماد الوسائل السلمية فقط لإقرار أي حل واستبعاد القوة والتهديد.**

**رابعاً - تقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية.**

وقد اختلف الأعضاء في مدى العلاقة بين هاتين الدولتين فقدمت اللجنة مشروعين للدولتين المقترحتين في فلسطين، عُرف الأول بمشروع الأكثرية، وعرف الثاني بمشروع الأقلية. وكان مشروع الأكثرية يقضي بتقسيم فلسطين **إلى ثلاث مناطق:**

آ - **المنطقة العربية: وتتألف من الجليل الغربي، ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من أسدود حتى الحدود المصرية، بما في ذلك منطقة الخليل وجبل القدس وغور الأردن الجنوبي وتبلغ مساحة هذه المنطقة اثني عشر ألف كيلو متر مربع يقطنها ٦٦١ ألف نسمة منهم ١١ ألف يهودي و ٦٥٠ ألف عربي، ويملك اليهود فيها مئة كيلو متر مربع فقط، بينما يملك العرب الباقي.**

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الأولى - بيروت عام ١٩٧٧م - الجزء الأول - ص٦٥١.

**ب - المنطقة اليهودية: وتتألف من الجليل الشرقي، ومرج بن عامر، والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع والنقب وتبلغ مساحة هذه المنطقة التي تعتبر أخصب أراضي فلسطين ١٤٢٠٠ كم٢، ويقطنها ٩٩٠ ألف نسمة منهم ٥٣٠ ألف يهودي و٤٦٠ ألف عربي، ويملك العرب ثلثي مجموع مساحة أراضي هذه المنطقة وعقاراتها. وأوصت الأكثرية بإنشاء دولتين مستقلتين في هاتين المنطقتين بعد مرحلة انتقال حددت بسنتين تتولى بريطانيا خلالهما إدارة فلسطين تحت إشراف الأمم المتحدة. كما أوصت بضرورة قبول ١٥٠ ألف مهاجر يهودي للدولة اليهودية خلال فترة الانتقال، وإذا زادت هذه الفترة يسمح بإدخال ٦٠ ألف يهودي في كل سنة، وأوصت كذلك بإنشاء اتحاد اقتصادي وجمركي في المرافق العامة بين الدولتين.**

ج - **الأماكن المقدسة وتشمل مدينة القدس ومنطقتها** وتوضع تحت نظام الوصاية الدولية، ويعين مجلس الوصاية للأمم المتحدة حاكماً لهذه المنطقة من غير العرب واليهود، وكان يقطنها ١٥٠ ألف عربي و١٠٠ ألف يهودي. أما مشروع الأقلية **فقد أكد على أن تكون الحكومتان العربية واليهودية** مستقلتين استقلالاً ذاتياً، وتتألف منهما دولة اتحادية باسم دولة فلسطين، يتولى إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية فيها مجلس اتحادي يتولى انتخاب رئيس دولة واحد، ويشرع دستوراً واحداً، ويقرر رعوية فلسطينية واحدة ويعالج شؤون الهجرة اليهودية إلى المنطقة اليهودية فقط، على أن تكون في نطاق قدرة البلاد على الاستيعاب. وهكذا اتفقت الأقلية والأكثرية على تقسيم فلسطين وعلى إنشاء دولة إسرائيل. وكان اختلافهما فقط في تحديد العلاقة بين الدولتين فالأكثرية أرادته تقسيماً يتوافق ورغبة بريطانيا ومشاريعها القديمة، بينما أرادته الأقلية تقسيماً ضمن دولة

فلسطينية اتحادية. وقد أوصى الفريقان ببقاء الإدارة البريطانية خلال الفترة الانتقالية لتتولى،تحت إشراف الأمم المتحدة، إدخال المهاجرين اليهود.

**واستقبل اليهود قرار الأكثرية بالارتياح ولو أنهم تظاهروا** بالمعارضة الشكلية لعدم شمول دولتهم كامل فلسطين، وكذلك فعلت الولايات المتحدة، وراحت بالاشتراك مع الصهيونية تعد العدة لإنجاح المشروع في الأمم المتحدة. أما بريطانيا فقد تظاهرت بالصمت والحياد، وإن كانت الدوائر الأميركية والصهيونية قد أشاعت آنذاك بأنها تريد ضم منطقة النقب إلى شرقي الأردن لضمان أهدافها الإستراتيجية. وأثار قرار اللجنة بشقيه ثائرة العرب ومخاوفهم، فعقدت الاجتماعات الرسمية والشعبية في فلسطين وفي كل بلد عربي، واتخذت عدة مقررات وإجراءات لمجابهة تقسيم فلسطين. وبعد أن قدمت اللجنة تقريرها، عقدت الأمم المتحدة **في ٢٣ أيلول، (سبتمبر) ١٩٤٧**م، جلسة خاصة لدراسة التقرير. وقررت الهيئة العامة إحالة تقرير اللجنة على هيئة خاصة ألفتها لهذا الغرض، وتمثلت فيها كل الدول الأعضاء، وسمح لمندوب فلسطيني عربي وآخر يهودي بطرح وجهات نظرهما أمامها. وقدمت هذه الهيئة الثانية مشروعاً يتلخص بإنشاء حكومة مركزية واحدة تتولى مرحلياً إدارة عموم فلسطين، على أن يتم الجلاء الإنكليزي عن البلاد خلال سنة واحدة، وهو لا يبدأ إلا بعد قيام هذه الحكومة. وفي خلال هذه الفترة توقف الهجرة اليهودية بصورة كاملة وتبقي قوانين الأراضي سارية المفعول على أن تعالج مشكلة اليهود بمقتضى اتفاقيات دولية وبعد ذلك تجري الحكومة المؤقتة انتخابات عامة لجمعية تأسيسية تضع دستوراً ديمقراطياً يضمن وحدة فلسطين واستقلالها، ويتمتع جميع رعاياها عبره بالحقوق والواجبات.

**طرح هذا المشروع على التصويت في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر)** ١٩٤٧م، وسقط بالأكثرية (وكانت الدول العربية قد اعتمدت هذا المشروع

وأيدته). وفي **٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧م**، عرض مشروع الأكثرية ففاز بأكثرية الأصوات. وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) طرح مشروع التقسيم للاقتراع فقبل بأغلبية ٣٣صوتاً وعارضه ١٣صوتاً. وجاء قرار التقسيم صدمة عنيفة للعرب فقد وجدوا أنفسهم فجأة وحيدين في المعركة دون حلفاء، بعد أن اتفقت دول العالم على تقسيم فلسطين وقيام إسرائيل(١)، فأعلنوا بطلان القرار لمخالفته ميثاق المنظمة، وهددوا بمقاومته بالقوة. وكان عرب فلسطين أسرع من غيرهم في مقاومة القرار، فهاجموا القوات الإنكليزية واليهودية على حد سواء في جميع أنحاء فلسطين، واشتبكوا في مصادمات ومعارك دامية مع المستعمرين والغزاة، على الرغم من ضعف تنظيمهم وبدائية تسليحهم.

**وعمت المظاهرات جميع أنحاء العالم العربي**. وفي غمرة الهياج والانتظار، دعت الجامعة العربية إلى اجتماع يعقد في القاهرة يوم **٨ كانون الأول (ديسمبر)** ١٩٤٨م، حضره رؤساء وزارات الدول العربية، وأعلن في ختام الاجتماع بيان جاء فيه: إن الحكومات العربية لا تقر قرار الأمم المتحدة، وتعتبر التقسيم باطلاً من أساسه،وهي تقف إلى جانب استقلال فلسطين وسيادتها، وستتخذ من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم وخوض المعركة من أجل ذلك.كان هناك، وقبل الوصول إلى هذا القرار، اجتماع قد عقد في صوفر (لبنان) **في ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧م**، تقرر فيه تقديم أقصى ما يمكن من الدعم العاجل لأهل فلسطين من سلاح ومال ورجال في حالة تقرير التقسيم كما كان قد تقرر في مؤتمر **عاليه (لبنان) في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٧م** تقديم ما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية مع ما تحتاج إليه من ذخيرة إلى أهل فلسطين، وتأليف لجنة عسكرية لإعداد وتنظيم

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٢٢.

الدفاع عن عروبة فلسطين. فكان كل ما أضافه مجلس الجامعة العربية على قراراته السابقة هو تقدير عدد الرجال الذين يجب إرسالهم إلى فلسطين بثلاثة آلاف متطوع، تتولى لجنة الجامعة العربية العسكرية توزيعهم على جبهات فلسطين[1].

**خلال هذه الفترة من الصراع السياسي، أكملت القوة اليهودية** في فلسطين استعداداتها لتنفيذ المخططات الصهيونية، واستطاعت تكوين عدة منظمات عسكرية هي: الهاغاناه (٨٠ ألفاً)، الأرغون (١٥٠٠ - ١٦٠٠ مقاتل)، شتيرن (١٥٠٠ - ٢٠٠٠ مقاتل)، البالماخ (٣٥٠٠ مقاتل). وكانت هذه المنظمات المختلفة متفقة في أساليب عملها على تحويل المدن والمستوطنات إلى قلاع قوية من الناحية الدفاعية، وإحاطة العمل في المستوطنات بنطاق من السرية المطلقة، وجعلها تحقق الاكتفاء الذاتي في التسلح والمواد التموينية للدفاع عن نفسها لمدة طويلة.

**وبفضل هذا التنظيم، وبدعم من سلطات الانتداب، أمكن تطوير التسلح عند الصهاينة** وأمكن إقامة مصانع لإنتاج رشاشات (ستن) البريطانية، ومدافع الهاون عيار ٢ و ٣ بوصة وذخائرها، وقاذفات اللهب الخفيفة، ومدافع بيات المضادة للدروع، واستطاعت هذه المصانع أن تنتج حتى عشية الحرب العربية الإسرائيلية **الأولى** (١٩٤٨م) ١٠٠ رشاش خفيف يومياً (ارتفعت بعد نيسان **(إبريل)** ١٩٤٨م إلى ٢٠٠ رشاش يومياً، و٤٠٠ ألف طلقة عيار ٢٣مم للرشاشات (شهرياً)، و١٥٠ ألف قنبلة يدوية ميلز، و٣٠ ألف قذيفة هاون ٣بوصة، ومقابل هذه القوة الصهيونية وقف جيش الجهاز المقدس من ٨-١٠ آلاف وجيش الإنقاذ من ٣-٤ آلاف مقاتل وقوات المتطوعين المصريين (قوات النمر التي بلغت سرية مشاة)، ومجموعات المناضلين

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٢.

الفلسطينيين الثابتين في القرى والمدن، كما تقرر أن ترابط قوات من جيوش الدول العربية على حدود فلسطين دون دخولها، والاكتفاء بدعم الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بالذخائر والضباط وبعض العناصر الفنية حتى يتم جلاء البريطانيين عن البلاد.

**ولقد وقع بعد إعلان قرار التقسيم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧**م حوادث وصدامات دامية اشتركت فيها المنظمات الصهيونية من جهة، والقوات غير النظامية العربية من جهة أخرى (انظر جيش الجهاد المقدس، وجيش الإنقاذ، وقوات النمر، والهاغاناه وشتيرن، والأرغون، وبالماخ). وكان البريطانيون يتظاهرون خلال المصادمات بالوقوف على الحياد ويدعمون عملياً المنظمات الإرهابية الصهيونية ويزودونها بالسلاح والذخائر. **وفي ١٩ آذار (مارس) ١٩٤٨**م عقد مجلس الأمن جلسة استمع فيها إلى قرار لجنة التقسيم، وجاء فيه «استحالة العمل وسط القوة والعنف»، وذكر أن السبيل الوحيد أمام هيئة الأمم المتحدة لمعالجة قضية فلسطين هو «إرسال جيش دولي لتنفيذ التقسيم بالقوة أو إهماله نهائياً». وأمام هذا الموقف ونتيجة لمقاومة العرب المتصاعدة، قامت أكثر الدول حماسة لمشروع التقسيم بالتخلي عن مشروعها، وأعلن المندوب الأمريكي سحب حكومته لتأييدها لقرار التقسيم، واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية، وإعادة القضية للأمم المتحدة، ودعوة الطرفين إلى هدنة في فلسطين. وعقدت الجامعة العربية اجتماعاً في **نيسان (إبريل) ١٩٤٨م** قررت فيه رفض اقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وجاء في قرارها الذي أبلغ إلى الأمم المتحدة «أن الوصاية الدولية نظام مؤقت سيزيد اليهود خلاله قوة، ويعطيهم وقتاً لتأمين تفوق لهم على تفوق العرب الحاضر». واشترطت الجامعة العربية أيضاً **لقبول الهدنة في فلسطين الشروط التالية:**

**١ - حل الهاغاناه،**

**٢ - وقف الهجرة إلى فلسطين،**

**٣ - تجريد اليهود من السلاح.**

**وفي الوقت نفسه رفضت الوكالة اليهودية نظام الوصاية الدولية،** لأن قرار التقسيم أصبح وثيقة دولية. واشترطت لقبول الهدنة أن لا يكون في إقرارها ما يحول دون قيام الدولة اليهودية. وأمام هذا الموقف اتخذ مجلس الأمن في شهر آذار (مارس) القرار التالي:

١ - **إعادة القضية للجمعية العامة** لإعادة النظر فيها على ضوء التطورات الجديدة.

٢ - **دعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة في فلسطين** وتعيين قناصر أميركا وبلجيكا وفرنسا في القدس للإشراف على تنفيذ اقتراح الهدنة.

٣ - **دعوة الجمعية العمومية إلى دورة استثنائية خاصة تعقد في ١٦ نيسان (إبريل) ١٩٤٨م** للنظر مجدداً في قضية فلسطين» ولقد فشلت لجنة الهدنة في مهمتها وأبرقت إلى مجلس الأمن بإعلان عجزها عن أداء المهمة الموكلة إليها. وخلال هذه الفترة كانت بريطانيا تتابع تنفيذ سياستها لإقامة الكيان عملياً وعلى الرغم من نداء مجلس الأمن بإعادة قضية فلسطين للجمعية العمومية من أجل بحثها مجدداً، وعلى الرغم أيضاً من نداء المجلس الموجه إليها في ٧ **نيسان (إبريل) ١٩٤٨م** للبقاء في فلسطين كدولة منتدبة تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة حتى يتم الوصول إلى حل جديد للمشكلة، وعلى الرغم من المجازر التي اجتاحت جميع أنحاء فلسطين في أعقاب فشل جهود لجنة الهدنة الثلاثية، فقد أصرت بريطانيا على تنفيذ قرارها القاضي بالانسحاب نهائياً من فلسطين بتاريخ أقصاه يوم **١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨م.**

**وكانت بريطانيا واثقة من نجاحها في إقرار التقسيم في النهاية،** حتى بعد قرار مجلس الأمن الأخير، وحتى بعد تغير موقف بعض الدول من قرار

التقسيم وانقلابها عليه. ولكنها كانت تشك بقدرتها وقدرة الأمم المتحدة على تنفيذ التقسيم مع وجود المقاومة العربية العنيدة والمتصاعدة. ولذلك، ومن أجل التغلب على العقبات، وضعت بريطانيا مخططاً جديداً يتخلص في تمكين العصابات اليهودية من الاستيلاء على أكبر عدد من القواعد والمواقع والمعسكرات البريطانية في فلسطين أثناء وجودها وبدعم منها، وتأمين الوسائل الضرورية لإرغام العرب على الجلاء عن المناطق التي رأت بريطانيا أنها ضرورية لقيام الدولة اليهودية ولتحقيق سلامتها، وانتزاع قيادة الكفاح العربي من الشعب الفلسطيني ومن هيئاته الوطنية ونقله إلى قيادة يمكن لبريطانيا توجيهها والهيمنة عليها وعلى تصرفاتها وتنفيذاً لهذا المخطط بدأت بريطانيا انسحابها **خلال الفترة بين ١٩شباط (فبراير) ١٩٤٧م و١٥أيار (مايو) ١٩٤٨م .**

**ولم تتم عملية الانسحاب من المناطق العربية واليهودية بوقت واحد،** وإنما بدأت بالجلاء عن المناطق اليهودية، فجلت أول ما جلت عن منطقة تل أبيب ثم عن المدن والقرى التي يقطنها اليهود[1]. وكانت تسلم سلطات الإدارة في هذه المناطق إلى الوكالة اليهودية، كما تسلمها أو تتخلى لها عن المعسكرات والمطارات ومستودعات الذخيرة التي كانت تحتل الأهمية الأولى في فلسطين خلال تلك الفترة. وبذلك هيأت بريطانيا لليهود فرصة تشكيل أداة إدارية وعسكرية قبل ستة أشهر على الأقل من انسحابها الكامل عن فلسطين، وأصبحت هذه الإدارة تسيطر فعلاً على عدد من المعسكرات الحربية البريطانية والمطارات والقلاع والمراكز مع جميع ما في هذه الأماكن من تجهيزات ومعدات وأسلحة وذخائر. أما في المناطق العربية فقد ظلت جميع القوات البريطانية حتى آخر أيـــام الموعد المحدد وهي تمارس جميع

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة، إصدرا دار الجيل + الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، الطبعة الثانية ٢٠٠١م الجزء الثالث، ص ١٧٦٤-١٧٦٥.

صلاحياتها ضد الشعب العربي الفلسطيني، وضد استعداداته العسكرية للدفاع عن نفسه ضد الهجمات المنظمة التي أخذ الصهاينة بشنها ضد العرب، وقاومت إدخال الأسلحة إلى المناطق العربية كما قاومت دخول المتطوعين من البلاد العربية إلى فلسطين.

**وحدثت خلال هذه الفترة، وتحت حماية الانتداب البريطاني مجموعة من المذابح الإرهابية كان لها دور كبير في تفتيت الروح المعنوية للمقاومة،** وإثارة الرأي العام العربي مما دفع الحكومات العربية إلى اتخاذ قرارها **في ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٤٨**م بدخول الجيوش العربية فلسطين لتحريرها. وبدأ العمل لحشد القوات على الجبهات الرئيسية بحيث أصبح ميزان القوى كالتالي مصر ١٠٠٠٠ جندي على جبهة سيناء مقابل ٦٥٠٠ صهيوني، القدس والممر ٧٥٠٠ عراقي وأردني مقابل قوة مماثلة من الصهاينة، في الشمال ٣٠٠٠ مقاتل سوري وألف لبناني و ٢٠٠٠ من جيش الانقاذ مقابل ٥٠٠٠ صهيوني وهذا يشير إلى توفر تعادل في ميزان القوى من الناحية البشرية.وعلاوة على ذلك فإنه لم تكن هناك مخططات لتنسيق عمل القوات العربية في حين كانت قيادة القوات الصهيونية موحدة.

### ب - توضع القوات العربية والقوات الصهيونية وأهدافها:

**وعلى هذا فقد حدد لكل جيش عربي هدف يصل إليه في وقت معين على أن تصدر الأوامر بعد ذلك حسب الموقف. وكانت مخططات القوات وأهدافها عشية ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ كالتالي:**

**أولاً - الجيش المصري.** ويتم حشده على الحدود في منطقة العريش بهدف الاستيلاء على غزة، وتكلف البحرية المصرية بواجب مراقبة السواحل الفلسطينية وفرض حصار عليها بالتعاون مع القوات الجوية التي تضطلع بواجب دعم القوات الأرضية أثناء عملياتها[١].

---

(١) العميد بهيج بحليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، بيروت، دار نوبليس، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م، ج٦، ص٤٦.

**ثانياً - الجيش الأردني.** ويعمل على دعم قواته المراقبة في جسر الشيخ ياسين لتأمين الدفاع عنه، ويدفع قواته لاحتلال نابلس بقوة لواء مشاة واحتلال رام الله بقوة لواء ميكانيكي مع الاحتفاظ بقوة لواء ميكانيكي كاحتياط في منطقة خان الأحمر.

**ثالثاً - الجيش العراقي.** وتم حشده في المنطقة بين إربد والحدود بمهمة التقدم على محور إربد - جسر المجامع وتطهير المنطقة من المستعمرات الصهيونية واحتلال رأس جسر عبر الأردن في منطقة جسر المجامع.

**رابعاً - الجيش السوري.** وحدد له واجب التقدم على محور الحمة - سمخ وإنشاء رأس جيش عبر نهر الأردن. وكانت سورية أكثر البلاد العربية تحمساً للقضية الفلسطينية، وبالتالي لاجتياح فلسطين وتحريرها، وطرد اليهود منها، إنما جيشها كان قليل العدد والعدَّة وهكذا، وفي اليوم التالي لمغادرة آخر جندي انكليزي فلسطين، دخلت القوات إلى التوقف، لفقدان الذخيرة منها، وبعد انتهاء فترة الهدنة الأولى، تمكن الصهاينة من احتلال الجليل، ومن طرد السوريين منه، ومما يجدر ذكره، إن المعارك الضارية التي جرت على مرتفع يدعى «تل العزيزيات» استبسلت خلالها القوات السورية في الدفاع عن هذا المرتفع[١].

**خامساً - الجيش اللبناني.** ويحتشد في رأس الناقورة بهدف الاستيلاء على منطقة نهاريا وتطهير المنطقة الكائنة بين الحدود والمستعمرات الصهيونية الموجودة فيها. **وبالمقابل، كان الصهاينة قد أكملوا تنظيمهم وتسليحهم، فتكون لديهم عشرة ألوية إقليمية، تم توزيعها على النحو التالي**[٢]:

---

(١) العميد بهيج بحليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، بيروت، إصدار دار نوبليس، ط١ عام ٢٠٠٤م، الجزء السادس، ص٤٥.

(٢) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٤.

آ- **في الشمال،** ثلاثة ألوية وهي: (يفتاح) أحد أولية البالماخ، وكان هو وكل المستعمرات في المنطقة تحت قيادة «ييغال آلون» وبعد ذلك تحت قيادة «هولاه كوهين»، ولواء (غولاني) وهو اللواء الأول من ألوية (الهاغاناه) الذي يقوده «موشي مونتاج» ونائبه « جولان»، ويسيطر على طبريا ووادي الأردن، ثم اللواء الثاني للهاغاناه بقيادة «موشي كارميل» الذي أصبح فيما بعد قائداً للجبهة الشمالية.

ب- **في الوسط،** قوة لوائين هما:لواء الكسندروني (ثالث لواء من ألوية الهاغاناه) بقيادة «دان ايفن» الذي يسيطر على جبهة (ناتاليا) ولواء كيرياتي، (رابع ألوية الهاغاناه) بقيادة «ميخائيل بن جال» الذي كان يسيطر على (تل أبيب) والمنطقة المحيطة بها.

ج- **في الجنوب،** قوة لوائين وهما: لواء جفعاتي (اللواء الخامس للهاغاناه) بقيادة «شيمون أفيدان» «ويسيطر على جبهة (راحابوت - أسدود) ولواء النقب (هاليجف) التابع للبالماخ بقيادة «ناحوم ساريح» ويسيطر على أقصى الجنوب.

د - **منطقة القدس** وفيها ثلاثة ألوية: لواء عتسيوني بقيادة «دافيدشالتيل» في منطقة القدس، ولواء (هاري ايل) في ممر القدس، واللواء السابع التابع للهاغاناه والذي شكل للهجوم على (اللطرون). وأسندت قيادته إلى «شالوم شامير».

**هنا من الضروري الإشارة إلى نقطتين هامتين: أولاهما** تتعلق بالعوامل التي أثرت على الموقف العسكري، ومنها تحديد موعد بدء العمليات الحربية مسبقاً بجلاء القوات البريطانية يوم **١٥أيار (مايو) ١٩٤٨**م، مما أعاق كل أثر للمباغتة. وكانت الجيوش العربية ذاتها تعاني من مشكلات عديدة، إذ كان بعضها خاضعاً للاستعمار. فقادة الجيش الأردني من البريطانيين، وجيشا مصر والعراق خاضعان لبنود معاهدتين تقيدان تحركاتهما. وكان الجيش

السوري والجيش اللبناني حديثي التكوين وضعيفين في عددهما وتسليحهما. وكان الجيش السعودي والجيش الأردني ضعيفين في عددهما وتسليحهما أيضاً. وكان الاستعمار البريطاني يتحكم بموارد التسلح. **والنقطة الثانية** هي المقررات التي أعلنتها الجامعة العربية في **١٢نيسان (إبريل) ١٩٤٨**م وفيها:

١- **اعتبار الجيوش العربية الوسيلة الوحيدة الصالحة** لحماية عرب فلسطين وإنقاذ عروبتها.

٢- **حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية** في فلسطين وإيقاف نشاطها وإبعادها عن ميدان المعركة.

٣- **عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية** عن مباشرة معالجة قضية فلسطين أو الاشتراك في العمليات العسكرية وترك معالجة القضية كاملة للجامعة العربية أو الجيوش العربية.

٤- **وضع خطة عسكرية مشتركة** لجميع تحركات الجيوش العربية في فلسطين، وتكوين هيئة قيادة عامة واختيار القائد الأعلى للجيش الأردني رئيساً لهذه الهيئة.

٥- **إعلان حالة الطوارئ** والأحكام العرفية في البلاد العربية بغية حماية المجهود الحربي ومؤخرة الجيوش الزاحفة إلى فلسطين، ووضع التشريعات القاسية لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام وجواسيس الصهيونية، وبذلك استطاعت بريطانيا إحكام قبضتها على تحرك القوات والسيطرة على الموقف والقضاء على كل معارضة.

**دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين مع منتصف ليل ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨م، وكانتسذ تطورات الأعمال القتالية على الجبهات - على الرّغم من نقاط الضعف كلها - تسير بصورة جيدة.**

**جـ - المرحلة الأولى١٥/٥ - ١٩٤٨/٦/١١:**

**١- الجبهة المصرية: كانت بداية العمليات على الجبهة المصرية الهجوم على مستعمرة الدنجور التي تقع على مرتفع يهيمن على طريق رفح - غزة، والتي تبعد مسافة ٥ كم تقريباً شرق الطريق. وقد هدفت القوات المصرية من احتلالها، حماية محور إمدادها وتقدمها. وتم تدمير المستعمرة بنيران المدفعية بينما كانت القوات الرئيسية من مشاة ومدفعية ومدرعات تتقدم في اتجاه غزة، وقامت قوات خفيفة بمحاصرة المستعمرة. وفي مساء يوم ١٥ دخلت القوات المصرية مدينة غزة. وفي فجر يوم ١٦ أيار (مايو). تابعت القوات تقدمها فاصطدمت بمستعمرة (كفار ديروم) الواقعة إلى الجنوب من غزة وعلى بعد ١٦كم تقريباً. فتم تركيز نيران المدفعية عليها وخصصت قوات المتطوعين لحصارها وتابعت القوات عملها حيث أخذت المدفعية بالتعامل مع مستعمرات العدو الموجودة أمام غزة وهي (بيرى وبيرون أسحق، واللاسلكي). وفي اليوم ذاته قامت القوات الجوية المصرية بقصف مستعمرة الدنجور ومطار بتاح تكفا، وميناء تل أبيب. في يوم ١٧أيار (مايو).**

**صدرت الأوامر إلى قوات المتطوعين - بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز - بالتقدم إلى بئر السبع عن طريق غزة** - بئر السبع. فقامت بالتنفيذ واصطدمت بمقاومة شديدة في بركة العمارة، ولكنها تمكنت من التغلب عليها ونجحت في اقتحام المواقع الدفاعية المحيطة بالمدينة ودخلتها بعد ظهر **يوم ١٩ أيار (مايو)**. وفي الوقت ذاته، تقدمت القوات المصرية شرقي بلدة رفح واحتلت العوجه ومنطقة العسلوج بقوات صغيرة، ثم احتلت بئر السبع، بعد أن سيطرت عليها قوات المتطوعين، واتصلت القوات المصرية شمالاً في بلدة الخليل وتابعت القوات المصرية بعد ذلك تقدمها على المحور الساحلي حيث اصطدمت بمستعمرة دير سنيد (ياد مردخاي) التي تهيمن على طريق الساحل

بين غزة والمجدل، وتم تنظيم الهجوم ضد دير سنيد بقوة الكتيبة الأولى للمشاة وبطاريتي مدفعية عيار ٢٥ رطل وسرية مصفحات وعدد من الطائرات. **وفي يوم ١٩ أيار (مايو) ١٩٤٨م**، بدأت الكتيبة الأولى هجومها ونجحت في احتلال موقع (فيلبوكس) القائم إلى جنوب المستعمرة والمهيمن عليها. ولكن عندما حاول جنود المشاة اختراق النقطة ذاتها، صدوا عنها بعد تكبيدهم خسائر فادحة. ونتيجة لهذا الفشل أعادت القيادة المصرية تنظيم قواتها، وزجت في المعركة الكتيبة الأولى والثانية مشاة، وكتيبة مدفعية، وسرية مصفحات ودبابة. وقد لقي الهجوم فشلاً أولياً، فأعيد تنظيمه ثانية. وعند الوصول إلى إنهاك المقاومة ليلاً، قرر القائد متابعة المعركة وأمكن في النهاية السيطرة على المستعمرة ورفع العلم المصري فوقها **يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٨م**.

**في الوقت** الذي كانت فيه **الكتيبة الثانية** تخوض معركتها ضد دير سنيد، كلفت الكتيبة الأولى مشاة بالتقدم إلى المجدل، في **يوم ٢٢ أيار (مايو)**. واستطاعت الكتيبة أن تسلك طريقاً جانبية، وأن تصل إلى المستعمرة وتحتلها دون مقاومه. **وفي يوم ٢٤ أيار (مايو)** تم احتلال مدينة عراق سويدان. وبذلك سيطرت القوات المصرية على الطريق المؤدية إلى المستعمرات اليهودية الجنوبية. ويعتبر هذا أول عمل قامت به القوة المصرية لعزل المستعمرات الموجودة في النقب. وكانت الخطوة التالية هي احتلال أسدود، وقد تم تنظيم الهجوم ضدها بهدف تخفيف الضغط عن الجيش الأردني الذي كان يجابه هجمات قوية على محور باب الواد - اللطرون. **وفي يوم ٢٩ أيار (مايو)** تحرك اللواء الثاني (وكان يضم الكتائب الأولى والثانية والتاسعة) في اتجاه أسدود، على أن تبقى الكتيبة الأولى في المجدل. ووصلت القوات الساتره أسدود صباح **يوم ٢٩ أيار (مايو)**، واحتلت مواقع دفاعية شمالي البلدة بحوالي ٤ كيلو مترات، ووصلت المقدمة ظهر اليوم ذاته بعد أن عمل المهندسون على إزالة الألغام المزروعة على محاور الاقتراب.

**وعندما وصلت الكتيبة الثانية إلى ارتفاع مستعمرة نيتسانيم فتحت عليها نيران الرشاشات واشتبكت معها بعض الوقت،** ثم استمرت الكتيبة في التقدم حتى دخلت أسدود دون مقاومة. وفي اليوم التالي هاجمت طائرتان إسرائيليتان المصريين ونجحت المدفعية المصرية في إسقاط إحداهما من طراز مسر شميت. وفي **يومي ٢٩ و ٣٠ أيار (مايو)** فتحت المدفعية المصرية نيرانها على مستعمراتي نجبا وبيرون. إسحاق، كما هاجمت القوات الجوية المصرية المستعمرات الجنوبية ومستعمرة رحابوت ودوروت للحد من نشاطها وقصفت ميناء تل أبيب وفي **يوم ٣٠ أيار (مايو)** قامت القوات الإسرائيلية بهجوم مضاد على المواقع المصرية في أسدود، غير أن هجومها صُد ببسالة، فركن العدو إلى الانسحاب تاركاً خلفه عدداً كبيراً من القتلى. ثم قامت القوات الإسرائيلية بهجوم مضاد ثان على أسدود في اليوم الأول من حزيران (يونيو)، غير أنه رد على أعقابه متكبداً خسائر فادحة. **وفي ٢حزيران (يونيو) ١٩٤٨م**، طلبت قيادة الجيش المصري من قواتها في فلسطين احتلال خط المجدل - الفالوجا - بيت جبرين - الخليل، وخط أسدود - قسطينه بهدف فصل المستعمرات الجنوبية في النقب عن منطقة شمال فلسطين، وإرغام هذه المستعمرات على الاستسلام بعد منع الإمدادات عنها من الشمال. فصدرت الأوامر إلى الكتيبة الأولى بالتقدم شرقاً لاحتلال الفالوجا وبيت جبرين. وبذلك اندفعت القوات شرقاً لمسافة أربعين كيلو متر من المجدل ونجحت في احتلال المواقع المحددة لها قبل أن تتمكن القوات الإسرائيلية من الوصول إليها. كما قامت بعض الوحدات بعد ذلك باحتلال دير نحاس وترقوميه بعد أن طردت العدو منها، ثم تابعت تقدمها في اتجاه الخليل لتأمين الاتصال بين المجدل والخليل.

**في يوم ٣ حزيران (يونيو) قامت القاذفات المصرية بشن غارة على مستعمرات ريشون ليزيون وجان بافين ومطار تل أبيب ومحطة توليد الكهرباء فيها**، كما استمرت القوات الجوية في معاونة الجيش الأردني في

الجبهة التي كان يعمل فيها. ومن الواضح هنا أن القيادة المصرية قد غيرت اتجاهها فعوضاً عن التوجيه شمالاً حتى تل أبيب تركز الجهد الرئيسي نحو الشرق على محور المجدل - عراق سويدان - الفالوجا - بيت جبرين، وذلك بسبب خضوع القيادة المصرية لعدد من العوامل منها الضغوط الدولية لإيقاف القتال، مما حمل هذه القيادة على الإسراع في اكتساب أكبر عدد من المواقع، ومنها أيضاً الرغبة في تحقيق الاتصال بين القوات المصرية النظامية وقوة الفدائيين بقيادة أحمد عبد العزيز التي كانت تتلقى تموينها حتى الآن عن طريق محور طويل وصعب يمتد من العوجة حتى بيت لحم عبر بئر السبع، وثالثها الرغبة في دعم عراق سويدان التي كانت تحتل مواقع هامة تلتقي عندها الطرق التي تربط النقب مع شمال فلسطين. وكانت نتيجة المرحلة الأولى على الجبهة المصرية أن نجح المصريون في إرغام العدو على الخروج تماماً من جنوب فلسطين. وكانت العمليات الأخيرة لهذه المرحلة هي عمليات نيتسانيم ونجبا(١).

**كانت مستعمرة نيتسانيم** نقطة ارتكاز تنطلق منها القوات الإسرائيلية للهجوم على القوات المصرية في أسدود، مما يجعل استمرار احتلال العدو لهذه المستعمرة مصدر تهديد دائم وخطراً كبيراً على القوات المصرية.

**وضعت خطة الهجوم للاستيلاء على نيتسانيم** بحيث يتم تنفيذها على مرحلتين، يتم في الأولى تقدم المشاة المدعمة بالدبابات الخفيفة لاحتلال الجانب الأيمن من المستعمرة. وفي المرحلة الثانية يتم التقدم من الجانب الأيسر للمستعمرة واحتلال باقي أجزائها.

**وفي صباح يوم ٧حزيران (يونيو) ١٩٤٨ تقدمت** الدبابات مقتربة من الجانب الأيمن للمستعمرة واشتبكت مع الإسرائيليين بالنيران حتى تمكنت من

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٦.

إسكات جميع مواقع الأسلحة، ثم تقدم المشاة خلف الدبابات وقاموا بفتح ثغرات في الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة واحتلوا مواقع الأسلحة وأرغموا العدو على الانسحاب إلى الجهة اليسرى من المستعمرة، وتبع ذلك قيام المشاة والدبابات بسحق المقاومة في الجهة اليسرى. وحوالي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم ذاته، تم الاستيلاء على المستعمرة بعد أن تكبد الإسرائيليون خسائر جسيمة، وأمكن أسر ١٢٠ جندياً. وبالاستيلاء على مستعمرة (نيتسانيم) تم تأمين القوات المصرية الموجودة بأسدود من العزل عن باقي القوات. وقام العدو بعد ذلك بثلاث محاولات لاسترجاع المستعمرة في يومي **٩ و١٠ وليل ٩-١٠ حزيران (يونيو)** وانتهت جميع المحاولات بالفشل وتكبد العدو خسائر فادحة.

**وكانت المعركة الضارية الثانية هي معركة (نجبا)** حيث كانت هناك مستعمرة إسرائيلية بالقرب من مدينة المجدل على جانب طريق المجدل - بيت جبرين - القدس. وكانت هذه المستعمرة تهدد التحركات المصرية. وعلاوة على ذلك فقد كانت عملية تأمين أجنحة القوات المصرية في المجدل وخط المواصلات في أسدود وفتح الطريق أمام كل تحرك من المجدل شرقاً في اتجاه بيت جبرين والقدس للاتصال بالجيش الأردني، كل ذلك يفرض بالضرورة احتلال مستعمرة نجبا.

**في أول حزيران (يونيو) ١٩٤٨**. صدرت الأوامر إلى كتيبة مشاة، ومعها كتيبة دبابات خفيفة (لوكست)، وفصيلة من المناضلين العرب، وبطاريتي مدفعية ميدان، وبطارية مدفعية مضادة للطائرات بالهجوم على مستعمرة نجبا. وبدأت المدفعية بقصف المستعمرة من منطقة المجدل. **وفي يوم ٢ حزيران (يونيو)** تابعت المدفعية تركيز نيرانها بشدة على المستعمرة، وتقدمت الموجة الأولى للهجوم، وفتح المناضلون ثغرة في سياج الأسلاك الشائكة ولكنها. لم تكن كافية، فقامت إحدى الدبابات بفتح ثغرة ثانية تقدمت منها داخل المستعمرة وتبعتها باقي الدبابات حيث اشتبكت مع المعاقل ودمرت

بعضها. وتمكنت عناصر المشاة الأمامية من احتلال موقع أسلحة واحدة ولم تتمكن باقي الفصيلة من متابعة الدبابات لشدة النيران. وفي الفجر تقدمت الموجة الثانية وأحكمت إغلاق الثغرة، وكن واجبها استغلال نجاح الموجة الأولى واحتلال القطاع الأيمن من المستعمرة. ونظراً لاستخدام العدو للمدافع المضادة للمدرعات (بيات) فإنَّ تلك الموجة لم تتمكن من دخول المستعمرة.

وفي العاشرة صباحاً صدرت الأوامر بالانسحاب بعد أن وصلت معلومات تفيد بأن الإسرائيليين يحشدون قوات كبيرة للقيام بهجوم مضاد على الجانب الأيمن. وبدأ العدو بفتح النار من مدافع الهاون على الدبابات، فانسحبت القوات المشتركة في العملية تحت ستار نيران الدبابات، ثم انسحبت هذه تحت ستارة دخانية. وتمت عملية الانسحاب في الثانية والنصف بعد الظهر، وعادت كل القوة إلى المجدل.

**خلال هذه العمليات كانت قوات أحمد عبد العزيز (الفدائيون)** قد وصلت إلى جنوبي القدس بحوالي سبعة كيلومترات، واحتلت بيت لحم واستطاعت في **يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٨** تحقيق الاتصال مع القوات الأردنية.

**٢ - الجبهة الأردنية: بدأت المعارك بين العدو والمناضلين العرب في القدس الجديدة يوم ١٥ أيار (مايو). وحوصر اليهود في الحي اليهودي من القدس القديمة، في حين أنهم استولوا على مواقع الجيش البريطاني (مركز البوليس والسجن المركزي والبنك ومختلف الأبنية الرسمية في المسكوبية). وفي يوم ١٧ /٥/ ١٩٤٨ وصلت طلائع القوات الأردنية (الفيلق العربي) إلى القدس واحتلت شارع المصرارة خارج السور[١]، كما تقدمت إلى باب الخليل. وفي يوم ٥/١٨ تتابع وصول القوات الأردنية ومعها المصفحات**

---

(١) مجموعة من المؤلفين الروس، الحروب العربية الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٣٩.

**التي تمركزت في حي الشيخ جراح مقابل كنيسة (نوتردام). وظل الحي اليهودي يدافع ضد الهجمات الأردنية حتى استسلم وأسر الجيش الأردني الرجال من اليهود، بينما سلم الشيوخ والنساء والأطفال إلى قيادة الهاغاناه يوم ٢٨ أيار (مايو) ١٩٤٨.**

**وفي ٤ حزيران (يونيو)** هاجم العدو حي الشيخ جراح واستمر الهجوم **حتى ٩ حزيران (يونيو)**، ولكن هذا الهجوم انتهى بالفشل.وفي الشمال، أخلى الإسرائيليون مستعمرة عطروت يوم **١٦أيار (مايو)** بينما احتل جيش الانقاذ مستعمرة نبي يعقوب على طريق رام الله، ثم اتجهت القوات الإسرائيلية لفتح طريق تل أبيب - القدس، وفك الحصار عن الأحياء اليهودية في القدس الجديدة. **وفي ٢٦أيار (مايو)** هاجم العدو اللطرون فصدته القوات الأردنية، واستمرت هذه المحاولات حتى **٣٠ أيار (مايو)**، حيث استولى الإسرائيليون على باب الواد. وفي ٦حزيران (يونيو) حولوا اتجاههم نحو فتح طريق جديد يتجنب اللطرون ويمتد من باب الواد إلى دير محيش ويسمى (طريق بورما). وفي **يوم ٩ حزيران (يونيو)** كرر الإسرائيليون هجومهم على القدس وعلى حي الشيخ جراح لفك الحصار عن جبل المكبر، ولكن هذا الهجوم مني بالفشل.

**٣ - الجبهة السورية: قام الجيش السوري بالهجوم المتفق عليه في الوقت المحدد من ١٥ أيار (مايو) وزج قوة لواء واحد في سمخ على الضفة الجنوبية لبحيرة طبريا، وتقدم نحو ١٠ كيلو مترات ووصل إلى دغانيا وتوقف لأن قواته كانت لا تسمح بالتقدم بين المستعمرات. وبينما كانت الطائرات السورية تضرب المستعمرات القائمة في وادي الأردن تساندها الطائرات العراقية، كانت الطائرات المعادية تقصف قرية حارب السورية ومعسكر الجيش السوري في تل الأقصر وحشوده في الحمة وفي ضواحي أم قيس. واستخدم الجيش السوري في اليوم الذي احتل فيه سمخ**

١٥ مصفحة و ١٠ دبابات وحاملة برن، واقتصر في هجومه على الدبابات تساندها المدافع من بعيد، بينما كانت المشاة من جهات الكرنتينا وعند مفترق الطريق جنوب سمخ. وفي الساعة السادسة من صباح ١٨ أيار (مايو) بدأ الإسرائيليون انسحابهم من المدينة تاركين عدداً من القتلى بينهم ٣من القادة أحدهم قائد الحامية والثاني قائد النجدة. وكانت المدفعية السورية تدمر التحصينات وتقصف محاور تقدم قوات الدعم الإسرائيلية إلى سمخ، مثل: محور سمخ - دغانيا، ومحور سمخ إلى مستعمرات فيكيم ومنها إلى مسعده وشعار هاغولان. وهذا ما جعل الانسحاب من سمخ صعباً تكبد العدو خلاله خسائر فادحة. وعندما سقطت سمخ بيد السوريين رحلت العائلات الإسرائيلية عن المستعمرات القائمة للدفاع عن المستعمرات. واستمر الصراع بعد ذلك، واستخدم الإسرائيليون مدافع الهاون على نطاق واسع، وتمكنوا من تدمير إحدى المصفحات السورية التي كانت تتقدم نحو دغانيا بمحاذاة شاطئ بحيرة طبريا، كما دمروا مصفحة أخرى عندما وصلت إلى أبواب المستعمرة، وأحرقوا ثالثة بعد أن نجح رجالها في الوصول إلى قلب دغانيا. وطرأ عطل على مصفحتين وقعت إحداهما بيد العدو، الأمر الذي جعل السوريين يبطؤون في تقدمهم بالمشاة ، ولكنهم تابعوا قصف المستعمرة بالمدفعية والرشاشات الثقيلة التي يضعونها على سطح عمارة البوليس في سمخ، فكان الإسرائيليون يردون عليها بمدافع الهاون ٣ بوصة.

٤ - العمليات في قطاع الجيش العراقي: (القطاع الأوسط): في يوم ١٥ أيار (مايو) هاجم لواء عراقي مستعمرة (جيشر) وتوقف أمامها، وانسحب الرتل الأول العراقي في يوم ٢٠ أيار (مايو) من جسر المجامع إلى السامرة. وأحضر قوات دعم جديدة من العراق. وفي ٢٨ أيار (مايو) هاجم الإسرائيليون بقوة لوائي مشاة من العفولة، وفي ٢حزيران (يونيو) قام الجيش العراقي بهجوم مباغت على العدو، وأوقع في صفوفهم خسائر فادحة غير أن الأوامر صدرت إلى القوات العراقية بعدم استثمار الظفر والمطاردة.

**وبالفعل تم التوقف في انتظار موعد الهدنة الأولى، وتقدمت قوات من المناضلين الفلسطينيين واستردت القرى العربية غرب منطقة جنين، وبقي الوضع على حاله حتى انتهاء الهدنة حيث عاود المناضلون الهجوم على العدو وانضمت إليهم القوات العراقية، واستولت على المواقع الإسرائيلية في منطقة جنين الغربية**[1].

**إن العرض السابق يظهر أن الجيوش العربية نجحت خلال الأيام الأولى** من الحرب في السيطرة على أقسام كبرى من فلسطين، فكانت الخطوط الأمامية المصرية تصل شمالاً حتى مدينة بيت لحم ومستعمرة تلبيوت في ضواحي القدس الجنوبية، وإلى الغرب حتى حدود منطقة يافا الجنوبية. وسيطر الجيش المصري سيطرة تامة على منطقة النقب الجنوبي وخليج العقبة بأكمله وحتى أطراف البحر الأحمر الشمالية. وسيطر الجيش السوري وجيش الإنقاذ على الجليل بأكمله حتى جنوب بحيرة طبريا، ما عدا بعض المستعمرات في الجليل الشرقي. وكان الجيش اللبناني يقف غير بعيد عن عكا. وكانت خطوط جيش الإنقاذ الأمامية تمتد إلى جنوب قرى مدينة الناصرة. وسيطر الجيش العراقي على قلب فلسطين وأحدق بتل أبيب، وكانت خطوطه الأمامية من الشمال إلى ما وراء مدينة جنين ومن الغرب إلى بيارات طولكرم وقليلية على بعد ثمانية أميال من ساحل البحر المتوسط. واحتل الجيش الأردني غور الأردن الجنوبي ومنطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله واللد والرملة حتى التقى بالجيش العراقي في الشمال وبالجيش المصري في الجنوب والغرب.

**وكان من السهل على الجيوش العربية احتلال المناطق القليلة الباقية من أرض فلسطين والتي احتلها الإسرائيليون أثناء وجود القوات البريطانية،**

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص ٦٥٧.

ولاسيما أنهم لم يقوموا خلال هذه الفترة بتنظيم مقاومة جديه وفق خطة إستراتيجية واضحة بسبب قناعتهم بعدم جدية المعركة من ناحية، وبسبب اعتقادهم الثابت بنجاح معركتهم السياسية المدعومة من بريطانيا وأميركا بصورة خاصة. ولهذا كان موقفهم سلبياً، وتمثل بالدفاع في المستعمرات وراء التحصينات، وحتى هذه المقاومة لم تكن منظمة في إطار نظام دفاعي موحد، مما ساعد الجيوش العربية على اجتياح المناطق المحددة لها بسرعة. ولكن سرعان ما توقفت اندفاعة الجيوش العربية، وفي الواقع فقد توقف الجيشان الأردني والعراقي منذ أيام القتال الأولى عند حدود المواقع المحددة لهما ودون تجاوزها إلى المنطقة المخصصة للصهاينة في قرار التقسيم وتردد الجيش الأردني كثيراً قبل أن يستجيب للنداءات العربية في مدينة القدس التي اعتبرها قرار التقسيم دولية. واستغل العدو هذا الاعتبار، وابتعاد الجيوش العربية عنها في أولى مراحل القتال، فأخذ في احتلالها شارعاً بعد شارع، وحياً بعد حي، مع تضييق الخناق على آخر الأحياء العربية التي تجمعت فيها قوى المجاهدين الفلسطينيين. وعندما اضطرت الحكومة الأردنية، تحت ضغط اعتبارات مختلفة، لنجدة العرب فيها، اكتفت باحتلال المدينة القديمة فقط، على الرغم من سيطرتها على منطقة القدس بكاملها، وعلى الرغم من اندفاع الجيش الأردني لاحتلالها وقدرته التامة على ذلك وحماسته الكبيرة لتنفيذ هذا الواجب. وكذلك فقد توقف الجيش اللبناني، ولم يحقق أي تقدم يذكر بسبب اصطدامه بسلسلة من تحصينات خط إيدن القوي على الحدود السورية الفلسطينية، والذي سلمه الإنكليز إلى الصهاينة قبل جلائهم.

### د - الهدنة الأولى (٦/١١ - ٧/٩/ ١٩٤٨):

**خلال مرحلة القتال الأولى، وفي غمرة الذهول** من تصرفات بعض الجيوش العربية، وتوقف بعضها الآخر واتخاذه موقف الدفاع دون سبب واضح، وجد قادة العدو أنفسهم في موقف العزلة بعد أن سيطرت الجيوش

العربية على جميع أنحاء فلسطين، فاستنجد هؤلاء القادة بأميركا التي أعلنت «بأن الحالة في فلسطين تهدد السلم وتنذر بالخطر»، وأسرعت إلى مجلس الأمن مطالبة إياه بالتدخل السريع والحاسم لإيقاف القتال ولو بالقوة وتطبيق العقوبات. وكذلك أسرعت بريطانيا، وعملت على اتخاذ إجراءات مزدوجة ضد العرب وضد تدخلهم العسكري في فلسطين، فمن جهة راحت تنذر الدول العربية بوقف القتال فوراً وتهددها إن هي استمرت في عملياتها العسكرية، ومن جهة أخرى فقد لجأت إلى مجلس الأمن مطالبة بتدخله، واحتياطاً لكل موقف مضاد من حليفاتها العربية تحت تأثير ضغط الدول العربية الأخرى وشعوبها، أكملت إجراءاتها بإبلاغ الدول العربية المرتبطة معها بمعاهدات أنها ستوقف فوراً تزويدها بالسلاح والعتاد إن لم تستجب لنداء وقف القتال.

**وكان مجلس الأمن قد قرر منذ ٢٢ أيار (مايو) ١٩٤٨**، بناء على اقتراح بريطاني، توجيه نداء القتال في فلسطين خلال ٣٦ ساعة تبدأ منتصف ليل اليوم نفسه. وقد رفض العرب هذا النداء بمذكرة وجهها أمين الجامعة العربية إلى مجلس الأمن، فاستمرت أميركا ومعها بريطانيا في ممارسة الضغوط على مجلس الأمن وعلى الدول العربية مع الاستمرار بالتهديد، مما دفع مجلس الأمن إلى توجيه الدعوة لإيقاف القتال لمدة أربعة أسابيع وفق مشروع بريطاني يتضمن وعداً بعدم إرسال متطوعين أو أسلحة أو أعتدة إلى فلسطين خلال هذه الفترة، وإنذار المخالف بتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية ضده.

**في الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٤٨**، أبلغت الجامعة العربية مجلس الأمن عن موافقة الدول العربية على قراره، مع أملها بأن يتمكن الوسيط الدولي الكونت برنادوت الذي عينه المجلس منذ **١٤أيار (مايو) ١٩٤٨**، ولجنة الهدنة التي عينها قبل ذلك في **٢٢ نيسان (إبريل) ١٩٤٨**، من إيجاد حل عادل لقضية فلسطين. وكان الإسرائيليون قد وافقوا على نداء الهدنة فور صدوره، مع التأكيد على رفض كل حل يتعارض مع واقع دولتهم الجديدة.

وفي صباح ١١ **حزيران (يونيو)** توقف القتال في فلسطين لمدة أربعة أسابيع (وهو التوقف الذي عرف باسم الهدنة الأولى).

**لم يكن لدى إسرائيل خلال المرحلة الأولى من الحرب أكثر من ١١ طائرة** للتدريب والرياضة من نوع «تايغر»، ولهذه فقد ركزت جهدها للإفادة من فترة الهدنة لشراء الطائرات المقاتلة، وطلب الدعم من الطيارين اليهود في جيوش العالم للالتحاق بإسرائيل. ونجحت القيادة الإسرائيلية في عقد صفقة مع تشيكوسلوفاكيا لشراء طائرات «سبيتفاير» و«مسر شميت»، ووصل إلى إسرائيل **٢٠ طائرة، علاوة على ٢٠ طائرة** تم نقلها على شكل قطع غيار. ونجح المنْدَبون السريون وعملاء إسرائيل في شراء **٣ قلاع طائرة من طراز (ب - ١٧)** من أميركا وهي قلاع مجهزة بحوالي ١٠ - ١١ مدفعاً، علاوة على قدرتها على إلقاء ٤ أطنان من القنابل.

**وفي مجال التسلح للقوات الأرضية حصلت إسرائيل على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا وهي ١٠ آلاف بندقية، و٤٥٠ مدفعاً رشاشاً، و٦ مدافع عيار ٦٥مم،** ومجموعة مدفعية ٧٥ مم. وقد عملت إسرائيل على استنفار جميع إمكاناتها وتعبئة جميع مواردها البشرية للحرب. ومقابل ذلك حاولت بعض الدول العربية - سورية خاصة - الحصول على الأسلحة، واستطاعت عقد صفقة مع تشيكوسلوفاكيا بقيمة ١١ **مليون دولار لشراء ٨ آلاف بندقية وعشرة ملايين طلقة وكمية من القنابل اليدوية** ومختلف أنواع الذخائر. وأحيطت هذه الصفقة بمجموعة من المؤامرات انتهت بنقل الأسلحة في مياه جزر الدوديكانيز إلى سفن إسرائيلية وإغراق الباخرة الإيطالية (جيرو) التي كانت تنقل الأسلحة.

**إثر هذه التدابير تطور موقف إسرائيل**، وأصبح بإمكانها الانتقال من مرحلة الدفاع الثابت إلى الهجوم خلال المرحلة الثانية من الصراع. ولقد حاولت القوات العربية تطوير موقفها - وبصورة خاصة القوات المصرية - فتقدمت قيادة القوات المصرية، في أعقاب الموافقة على الهدنة الأولى،

بمذكرة إلى رئاسة الجيش تطلب فيها رفع القوة إلى فرقة مشاة كاملة ومجموعة لواء مشاة مستقل، مع زيادة حجم القوات المدرعة لتكوين مجموعة مدرعة كاملة، ودعم الموقف الإداري بجميع عناصره. وعملت قيادة الجيش على تلبية بعض المتطلبات، فأرسلت كتيبة مشاة وكتيبة مدافع رشاشة من كتائب الاحتياط وسرايا مهندسين، وأكملت بقية أسلحة الدعم للفرقة بحيث أصبحت القوات المصرية بعد فترة قصيرة تضم فرقة مشاة كاملة مع أسلحة الدعم والوحدات الإدارية الضرورية للفرقة. وقد حددت واجبات القوات المصرية خلال فترة الهدنة بتأمين خط المواصلات وتطهير المستعمرات المشرفة عليها ثم العمل بعد ذلك بحيث تصبح القوات المصرية مستعدة للتقدم نحو جنوب تل أبيب، في نفس الوقت الذي تكون فيه بقية الجيوش العربية مستعدة لإجراء مثل هذا التقدم من جانبها[١].

ولم تلتزم القيادة **الإسرائيلية بمقررات هيئة مجلس الأمن**، واستغل الإسرائيليون فترة الهدنة الأولى لتحسين موقفهم الحربي وإعادة تنظيم قواتهم مما مكنهم من مجابهة الجيوش العربية في المرحلة الثانية من الحرب بكفاءة. وفي هذا المجال قام الإسرائيليون باحتلال الخط الدفاعي المواجه للخط الذي وصلت إليه القوات المصرية، مع تأمين تموين المستعمرات الجنوبية والمواقع المعزولة إما بالطائرات أو بأرتال العربات، والتسلل عبر الخط المصري بين المجدل والخليل، مع الحصول أحياناً على تصريح بذلك من لجنة الهدنة. واتخذت إسرائيل التدابير الضرورية لفتح ثغرة في الخط المصري المجدل - الخليل عند استئناف القتال لإعادة الاتصال مع المستعمرات الجنوبية والاستعداد لتطهير طريق القدس - بئر السبع - العسلوج. وقامت باستطلاع المواقع المصرية وذلك عن طريق أرتال التموين أو الطائرات بحجة إرسال

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٥٩.

تموين للمستعمرات الجنوبية. وتحقيقاً لهذه الغاية. قام الإسرائيليون في يوم **١١ حزيران (يونيو)** - وهو نفس يوم إعلان الهدنة - بالهجوم على بلدة العسلوج، ولم تكن فيها قوات عسكرية مصرية كبيرة، واحتلوا البلدة فعلاً، واستغلوا تعليمات وقف القتال للاحتفاظ بموقعهم فيها. وتقدمت قوات إسرائيلية عسكرية أخرى فاحتلت قرية الجسير شمال الفالوجا، وبلدة عبديس شمال بيت عفة، والتبة ٦٩ (تبة الخيش) عند تقاطع الطرق بجوار (عراق سويدان)، وبلدة جوليس على تقاطع الطريق الشرقي وطريق (المجدل - قسطينه) وطردت أهالي هذه البلاد منها، وجهزت بذلك خطاً دفاعياً في مواجهة الخط المصري، وأخذت تنظم تحصيناتها ومواقعها. وفي **١٤ حزيران (يونيو)** احتلت بعض المصفحات الإسرائيلية بلدة كوكبا بعد أن طردت الأهالي منها وذلك استعداداً لفتح الطريق جوليس - كوكبا - الحليقات عند استئناف القتال. وفي الوقت ذاته كانت تكرر الاشتباكات بالنيران بين القوات الإسرائيلية والقوات العربية على مختلف الجبهات، وكان هدف هذه الاشتباكات تغطية أعمال دوريات الاستطلاع الإسرائيلية ، ورفع الروح المعنوية لأفراد المستوطنات. **وفي نهاية شهر حزيران (يونيو)** أخلى الإنكليز ميناء حيفا. مع أنهم كانوا قد أعلنوا أن انسحابهم النهائي منه سيكون في شهر آب (أغسطس). ولكنهم انسحبوا منه أثناء الهدنة، ومكّنوا الإسرائيليين من الاستيلاء عليه.

**وعلى الرغم من تعهدات مجلس الأمن ودوله الكبرى بحظر إرسال الأسلحة** والمتطوعين إلى أي من الطرفين خلال فترة الهدنة، فقد بادر الإسرائيليون إلى جلب المتطوعين ونقلهم إلى فلسطين، في حين وقفت كل الدول الكبرى في وجه كل محاولة عربية للحصول على السلاح. وطبقت معظم دول العالم بتأثير من بريطانيا وأمريكا، قرار حظر إرسال الأسلحة إلى البلدان العربية بكل دقة، حتى إن الأسلحة التي كان من المقرر إرسالها لبعض الدول العربية من بريطانيا وفق نصوص المعاهدات والاتفاقات، أوقف إرسالها وحجزت في الموانئ البريطانية. وخلال هذه الفترة كان الوسيط

الدولي الكونت برنادوت يمارس دور الوساطة ويضع مقترحاته للعرب واليهود مشترطاً قبولها من الطرفين لتكون أساساً عملياً للتسوية النهائية (انظر برنادوت). وقد رفض العرب واليهود على السواء هذه المقترحات والتوصيات. فرفضها العرب لأنهم رأوا فيها إصراراً على تقسيم فلسطين وعلى استمرار الهجرة اليهودية إليها، الأمر الذي عارضوه دائماً وثاروه ضده وحاربوه مطالبين باستقلال فلسطين وقيام حكومة واحدة على أسس ديمقراطية صحيحة. ورفضها اليهود لأنهم رأوا فيها حداً لأطماعهم ومخططاتهم التوسعية، ولأنها غيرت في شكل دولتهم كما حددوها وأرادوها في مرحلتها الأولى، فقد شعروا بعد وقوف دول الاستعمار إلى جانبعم علناً في فترة الحرب وخلال مدة الهدنة ما شجعهم على تكوين قناعة بالفوز وتحقيق مطالبهم كلها خلال هذه المرحلة. وحاول اليهود تمديد فترة الهدنة ثلاثين يوماً، ولكن محاولتهم فشلت. وانتهى الأمر إلى تجدد الصراع.

## ثانياً - المرحلة الثانية (٧/٩ - ١٩٤٨/٧/١٨):

### أ - الجبهة المصرية:

**بدأت العمليات على الجبهة المصرية في المرحلة الثانية بقيام المصريين، في ٧تموز (يوليو) ١٩٤٨**، بمحاولة احتلال بيت دوراس الواقعة جنوب شرق أسدود، وكان يوجد حولها تجمعات للعدو في منطقة الصوافير الغربية والصوافير الشرقية. واستطاعت قوات الهجوم اقتحام المستوطنة. ولكن حدث خطأ في إطلاق الشهب المتفق عليها فانسحبت القوة المهاجمة وعاود العدو احتلالها.

**وفي يوم ٨ - ٩ تموز (يوليو)** دفعت سرية سعودية لاحتلال المرتفعات المحيطة ببلدتي كوكبا والحليقات. ثم قامت كتيبة المشاة الثانية بهجوم على بلدة كوكبا ومعها سرية دبابات وبعض السيارات المدرعة وحققت

قوات الهجوم مباغتة تامة، ونجح المصريون بالاستيلاء على البلدة وتطهيرها **في الساعة السابعة من صباح يوم ٩ تموز**. ثم تابع قائد كتيبة الهجوم تطوير عمليته، وأسرع لاحتلال الحليقات. وبعد قتال مرير استمر ساعتين تقريباً انسحبت القوة المعادية. **وفي يوم ٩ تموز** تابع المصريون هجومهم للاستيلاء على كفر ديرون الواقعة على جانب طريق رفح –- غزة أمام بلدة دير البلح. وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٩ تموز (يوليو)، احتلت كتيبة المشاة الثالثة قواعد الهجوم ومعها جماعتا مدافع هاون ٣بوصة، وجماعتا مدافع ٦ رطل، وجماعة اقتحام، وجماعتا مدافع رشاشة متوسطة، وفصيلة مدافع مضادة للدبابات عيار ٦رطل، ووحدة مدفعية ميدان خفيف ٣,٧ بوصة، ومدفعان بوفرز ٤٠ مم. كما اشترك مع هذه القوة ٨٢ من المتطوعين. وبدأ الهجوم ليلاً وأمكن الانتهاء من عملية الاستيلاء على المستعمرة **وتطهيرها في يوم ١٠ تموز (يوليو).**

**وقد أجريت محاولات لاحتلال بيت عفه وعبديس نجبا، وتكبد المصريون خسائر فادحة، ولكن الإسرائيليين أفادوا من تحصين مواقعهم ودعمها،** ففشلت محاولات الهجوم، ولم تنجح سوى محاولة الاستيلاء على بيت عفه. وقامت القوات الإسرائيلية بتنظيم هجوم قوي لاستعادة بيت عفه في **ظهر يوم ١٤ تموز (يوليو)** ولكن هذه الهجوم أحبط بقوة، وأعادوا محاولتهم في ليل ١٥تموز (يوليو)، وفشلت هذه المحاولة أيضاً. فأعادوا تنظيم قواتهم وطلبوا دعماً جديداً. وفي **يوم ١٧تموز (يوليو)**، تعرضت القوات المصرية للقصف المركز والشديد طوال النهار. وقبل منتصف الليل بقليل قام الإسرائيليون بهجومهم مستخدمين قاذفات اللهب الخفيفة للمرة الأولى. وسقطت بعض المواقع. ولكن القوات المصرية أعادت سد الثغرة، فقام العدو بهجوم جديد أمكن إحباطه.وانتهت المعركة في فجر **يوم ١٨ تمز (يوليو)**، بأسر أربعة وقتل ٥٦ مقاتلاً صهيونياً، وغنم ٥٥ بندقية، وأربعة مدافع بيات، وقاذفتي لهب، واثني عشر مدفعاً رشاشاً، وكمية كبيرة من القنابل اليدوية.كما

استمرت القوات المصرية بحصار مستعمرة الدنجور، وحاولت الاستيلاء على مستعمرة بيرون إسحاق، ولكن القوات انسحبت بعد أن وصلها التهديد بهجوم مضاد للقوات الإسرائيلية.كما جرت محاولة احتلال مستعمرة العسلوج في ١٧ تموز (يوليو»، ولكن المحاولة توقفت عند حدود السيطرة على المستعمرة بالنيران من التلال المجاورة. وقد حاولت القوات الإسرائيلية الاستيلاء على الفالوجا في **مساء يوم ١٧ تموز (يوليو)، ١٩٤٨**، بيد أن محاولتها فشلت أمام عناد القوات المصرية ومقاومتها الضارية، ولكن القوات الإسرائيلية نجحت في الوصول إلى كراتيا واحتلالها.

**ب - الجبهة الأردنية:**

**بدأت هذه المرحلة باستيلاء الإسرائيليين على اللد والرملة. وكانت القوات العربية المدافعة عن اللد لا تزيد عن ٧٥ مقاتلاً من جيش الجهاد المقدس، و ٦٥٠ مقاتلاً من مجاهدي القرى المجاورة، و٤٠ جندياً من الجيش العربي الأردني، في حين حشد الإسرائيليون قوة ٥٠٠٠ مقاتل، أكثرهم من وحدات الصاعقة (البالماخ) مزودين بأحدث الأسلحة١، وكانت كل وحداتهم متحركة مما زاد من مرونتها ونجاح مناوراتها لعزل المدينة بعد تطويقها. واستمرت المعركة يومين خسر فيها العرب ١٣٠٠ قتيل، استشهد منهم ٨٠٠ في ساعات القتال الأولى علاوة على ٤٢٦ شهيداً قتل أكثرهم في المساجد ودخل الإسرائيليون اللد مساء ١١ تموز (يوليو) وفي يوم ١٣ تموز أرغم الإسرائيليون بقية السكان العرب على الهجرة. وكان فيها أكثر من ٥٠ ألفاً.**

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٣٩.

(٢) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٦٠.

**وبعد سقوط اللد بساعتين بدأت معركة الرملة، وكانت بها سرية من الجيش العربي الأردني،** ولكن هذه السرية غادرت الرملة مساء **١١ تموز (يوليو)** كما غادرها المجاهدون في منتصف الليل، ودارت رحى المعركة بين ٥٠٠ جندي مشاة إسرائيلي مع ٤عربات تحمل رشاشات (برن) وبين فصيلة فقط من الجيش العربي الأردني. كانت تحتل عمارة البوليس يدعمها ٥٠ مناضلاً. وقد فشل الهجوم الإسرائيلي الأول نتيجة للمقاومة العربية العنيفة، وترك المهاجمون عرباتهم المدرعة وجرحاهم فوق أرض المعركة. وفي **١٢ تموز (يوليو)** تقدمت نجدات كبيرة من الإسرائيليين فطوقت الرملة، وانسحبت بقية القوة الأردنية ودخل العدو الرملة **صباح ١٢ تموز (يوليو)** وطرد معظم سكانها العرب. وكانت عملية تسليم اللد والرملة عاملاً حاسماً في مسيرة الأعمال القتالية للمرحلة الثانية من الحرب. فالمدينتان لا تبعدان عن تل أبيب أكثر من خمسة عشر كيلو متراً، وتشكلان موقعاً استراتيجياً هاماً. ولقد أهمل غلوب باشا، القائد الإنكليزي للقوات الأردنية، عن عمد تحصينهما وحشد القوات الكافية فيهما. وكان من نتائج سقوط المدينتين كشف ميمنة الجيش المصري وتهديدها بطريق غير مباشر. وعلاوة على ذلك، فقد حصل العدو على محور مضمون للاتصال مع القدس مع الاستيلاء على قاعدة جوية هامة (قاعدة اللد). وكان لسقوط المدينتين بالإضافة إلى ذلك أثر نفسي تمثل في إحباط الروح المعنوية للمقاتلين العرب على الجبهات جميعها.

**جـ - الهدنة الثانية (١٩٤٨/٧/١٨ حتى توقف العمليات الحربية على الجبهة المصرية في ١٩٤٩/١/٧):**

**في هذه الفترة كان الصراع السياسي مستمراً وتقدمت أمريكا بمشروع هدنة ثانية،** وفرضتها على اعتبار أن الوضع في الشرق الأوسط يشكل خطراً على السلم. ووجهت إنذاراً بفرض العقوبات الاقتصادية على من

ينتهك الهدنة. ووافقت الجامعة العربية على الهدنة الثانية التي بدأت في ١٨ **تموز (يوليو) ١٩٤٨**. لكن القيادة الإسرائيلية لم تحافظ على شروط الهدنة وقامت بخرقها، فنظمت هجوماً على الفالوجا في ٢٧ - **٢٨ تموز (يوليو) ١٩٤٨**. وفشل هذا الهجوم أيضاً. ونظمت القيادة الإسرائيلية هجوماً للاستيلاء على عراق المنشية في **ليل ٢٧ تموز (يوليو)** وكان نصيبه الفشل. فأخذت في وضع مخطط جديد من أجل فتح الطريق إلى الجنوب (النقب) وقامت بتنفيذ (عملية الضربات العشر) و(عملية عين) في الجنوب كما نظمت عملية ضد جيش الإنقاذ في الشمال (الجليل الأعلى) عرفت باسم عملية (حيرام).

## ثالثاً - العمليات الإسرائيلية بعد الهدنة الثانية:

### أ - عملية الضربات العشر Ten Blagues:

**قامت إسرائيل بعد الهدنة الثانية بمجموعة عمليات على الجبهة المصرية** أدت إلى احتلال النقب والوصول إلى إيلات على خليج العقبة.

كان الهدف من هذه العملية فتح الطريق إلى النقب. وتحديد مواقع انتشار القوات المصرية واستثمار نقاط الضعف في تنظيماتها الدفاعية حتى أقصى الحدود وعزلها عن موارد إمدادها وقطع طرق انسحابها وضرب المراكز الإدارية. وقد استطاعت عملية الضربات العشر تحقيق هذه الأهداف كلها وتم تنفيذها في الفترة **بين ١٥ – ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨**.

عند ابتداء الهدنة الثانية، في ١٩٤٨/٧/١٨، كانت القوات المصرية لا تزال مسيطرة على مواقعها في الجنوب مشكلة حاجزاً بين المستعمرات الجنوبية في النقب وبين المستعمرات في شمال فلسطين. وذلك عن طريق فرض سيطرتها على محاور التحرك الساحلية إلى الشمال من إسدود وإمساكها بمحور العوجا والعسلوج وبيت لحم ومحور مجدل - بيت جبرين. ووضعت القيادة الإسرائيلية مخططها للقيام بهجمات مباغتة، مع توجيه

هجمات مباشرة ضد كل نقطة تحتلها القوات المصرية. وفي **١٥ تشرين الأول (أكتوبر)** قامت القوة الجوية الإسرائيلية بضرب مطار العريش وبعض الأهداف الأخرى مثل: غزة، بيت حانون، المجدل، الفالوجا، مع تركيز الضربات ضد القوات الجوية المصرية لوضعها خارج المعركة والحد من فاعليتها. وبذلك أصبحت محاور إمداد القوات المصرية مهددة.

**كما أصبحت حركة القوات مقيدة وأمكن بذلك عزل قوات مصرية كبيرة وحرمانها من الاشتراك في المعركة**. وفي الوقت ذاته انطلقت قوات إسرائيلية للسيطرة على التلال التي لم يتم يحتلها المصريون في منطقة بيت جبرين، وفي صباح **يوم ١٠/١٦** وعلى الرغم من عدم حدوث اشتباك قوي مع القوات المصرية، فإن محاور تحرك القوات المصرية أصبحت مقطوعة في الشمال ومهددة في الغرب، ثم انطلقت القوات المدرعة والميكانيكية الإسرائيلية نحو عراق المنشية والتل القديم، ودارت المعركة مع المدفعية، واستطاع المصريون تدمير عدد من الدبابات فاضطرت المشاة الإسرائيلية إلى الانسحاب. واستمر الصراع بعد ذلك حول الدفاعات المصرية عند التلال المختلفة. وفي ليل ١٦ - ١٧ استطاع الإسرائيليون اقتحام بعض المواقع والاشتباك مع المصريين بقتال عنيف والاشتباك بالأيدي وفي صراع جسم لجسم وأمكن للإسرائيليين في النهاية السيطرة على المرتفع ١١٣ مع عدد من المرتفعات الأخرى. وخلال هجوم هذه الليلة كانت قوات إسرائيلية أخرى تهاجم التلال جنوب غرب القدس لتدمير الجناح الأيمن المصري. وفي **يوم ١٠/١٧ قام المصريون بهجوم** مضاد قوي وحاسم بهدف إعادة الاتصال بين المجدل ومنطقة الفالوجه، واستطاع الإسرائيليون مقاومة الهجوم المصري وإحباطه بفضل تفوقهم في التسلح. وخلال اليومين التاليين، وبينما كانت القوات المصرية تعزز مواقعها عند عراق سويدان وحتى عراق المنشية، وهي المنطقة التي عرفت باسم جيب الفالوجة، كانت القوات الإسرائيلية قد نجحت في احتلال الحليقات في ليل ١٩ - ٢٠ **تشرين**، وأصبح بإمكان القوات

الإسرائيلية التدفق نحو الجنوب الذي بقي معزولاً عن الشمال منذ **كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧م.**

**وحشدت إسرائيل في هذه المنطقة قوة لواء للمحافظة على الاتصال بين النقب وشمال إسرائيل.** أمام هذا الموقف اضطرت القوات المصرية إلى إخلاء منطقة المجدل بعد أن أصبحت محاورها مهددة. وتابعت القوات الإسرائيلية هجماتها لتضييق الحصار على المصريين واقتطاع أجزاء جديدة والسيطرة على بيت لحم. وعندما سقطت عراق سويدان في قبضة القوات الإسرائيلية **يوم تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨م** كان جيب المقاومة المصرية قد فقد في الواقع أقوى نقطة يمكنه الاستناد إليها.

**ب - عملية عين Ayin:**

**أصبحت أوضاع القوات المصرية بعد تدهور الموقف تعتمد على التنظيم دفاعياً. بحيث يستند الجناح الأيسر على الطريق الساحلي بعد غزة، في حين يستند الجناح الأيمن إلى طريق العوجه - الخليل حتى بئر العسلوح جنوب غرب بئر السبع. وكانت أجنحة القوات المصرية تلتقي عند محور طريق رفح - العوجه. والذي يمر جزئياً في الحدود المصرية، ويتفرع عنه بعد ذلك وإلى مسافة جنوبي الطريق الذي يصل العريش بأبي عجيله. وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك القوات المعزولة في جيب الفالوجة، وعلى الرغم من أن موقف القوات المصرية لم يعد يسمح بممارسة أعمال هجومية، إلا أن قوات الجيش المصري بقيت محافظة على مواقع جيدة.**

وقد وضعت إسرائيل مخططها للهجوم على القوات المصرية بطريقة تشابه مخطط **هجوم اللنبي** (١٩١٧)، وتتخلص في دفع القوات المصرية من الجنوب، والضغط عليها، مع توجيه الضربة القوية إليها من الشمال، مع تجميد أكبر قوة مصرية في القطاع الغربي، ثم العمل على تدمير الجناح الأيمن المصري أو إرغامه على الانسحاب، وفي **يوم ٢٢ كانون الأول**

**(ديسمبر)** ١٩٤٨ قامت القوات الجوية الإسرائيلية بهجمات مركزة على المواقع المصرية في رفح وغزة وخان يونس، ثم فتحت النيران لتدمير المدفعية المصرية على امتداد الجبهة. وفي الليلة ذاتها احتلت القوات الإسرائيلية المرتفعات التي لا تبعد أكثر من ثمانية أميال جنوبي غزة، مهددة بقطع محور طريق رفح - غزة، فقامت القيادة المصرية بتنظيم هجوم مضاد قوي مع تعزيز مواقعها في مواجهة القوات الإسرائيلية التي أخذت تهدد منطقة رفح - غزة. وعلى الرغم من نجاح المصريين في طرد القوات الإسرائيلية من المرتفع ٨٦، بعد قتال ضار، إلا أن هذه العملية كانت خداعية بحيث استطاع الهجوم الإسرائيلي من القطاع الشرقي تحقيق المباغتة التامة واضطرت القوات المصرية التراجع عن طريق بئر السبع - العوجة، وإخلاء العوجة ذاتها واستخدمت القوات الإسرائيلية طريقاً رومانياً قديماً يصل إلى ما وراء العوجة، وبذلك أمكن لها تحقيق المباغتة العملياتية. وبهذه الطريقة أصبحت لدى القيادة الإسرائيلية الورقة السياسية التي تستطيع أن تساوم بها لابتزاز مواقف تدعم من مكانة إسرائيل فوق الأرض العربية المحتلة، وأصبح بإمكانها التصرف بحرية للوصول إلى خليج العقبة وأيلات.

**جـ - عملية احتلال الجليل أو عملية حيرام:**

**بعد انسحاب جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي إلى الجليل الأعلى** انتشر على شكل مستطيل يحتل جبهة طولها ١٥ كم وعمقها ١٠ كم، وعندما اشتدت هجمات القوات الإسرائيلية على القوات المصرية، قرر القاوقجي القيام بعملية هجوم على المنارة (فوق وادي الحولة، وعلى ارتفاع ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر). ولكن إسرائيل طبقت أسلوب العمل على الخطوط الداخلية، ووضعت خطتها على أساس عزل جيش الإنقاذ عن قاعدة تموينية في لبنان، والقيام بهجمات خداعية على قوات القاوقجي لمنع التعاون فيما بينها، وتوجيه ضربة رئيسية إلى أحد الألوية والانتقال بعد ذلك إلى الألوية الأخرى. وفي

ليل ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) بدأت العملية التي يطلق عليها الإسرائيليون اسم عملية حيرام، وعلى الرغم من المقاومة الضارية والقتال العنيد فقد نجحت القوات الإسرائيلية في احتلال الجليل الأعلى، وإخراج جيش الإنقاذ من فلسطين[١].

كان الموقف على الجبهات العربية سيئاً نتيجة لتمزق الجبهات. وبدأت معها ظهور مشكلة اللاجئين العرب. فقد قدر عدد المهاجرين بسبعمئة ألف، تجاوز منهم ٢٥٠ألف حدود فلسطين، وتشرد الباقون في المدن والقرى التي كانت لا تزال آمنة.

**خلال هذه الفترة**، كانت الجهود الدولية تبذل لإيقاف الصراع على الجبهة المصرية. وفي يوم **٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨**، أصدرت القيادات أوامرها بإيقاف إطلاق النيران لجميع القوات اعتباراً من ظهر اليوم نفسه، ولكن القوات الإسرائيلية لم تلتزم أيضاً بهذا القرار فعملت ثلاث قطع بحرية إسرائيلية على إغراق السفينة المصرية (فاروق) **يوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨**، ولمّا يمض على إيقاف إطلاق النار أكثر من ساعات قليلة. كما قامت بعملية حيرام ضد جيش الإنقاذ المذكورة آنفاً. وبالإضافة إلى هذه العملية، فقد قام الإسرائيليون بعد وقف القتال - في الفترة الواقعة بين **تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ وكانون الثاني (يناير) ١٩٤٩** - بعملية اتجهت من بئر السبع لاحتلال النقب والوصول إلى خليج العقبة، بغية فتح منفذ حيوي على البحر الأحمر، وانتهت العملية بالوصول إلى قرية أم الرشراش المصرية، التي غدت فيما بعد ميناء «إيلات».

**وكان الكونت برنادوت** خلال القتال الذي دار بعد بدء الهدنة الثانية يتابع بذل جهوده ومساعيه لوضع حل يقبل به الطرفان أساساً للتسوية.

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٦٣.

وعندما تأكد استحالة قبول العرب لأي حل ينطوي على تقسيم فلسطين، واستحالة موافقة اليهود على أي اقتراح لا يعترف بدولتهم في فلسطين، أعد مقترحات جديدة فيها تقرير مفصل من مدينة القدس في يوم ١٧ **أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨**. ولكن لم تمض سوى ساعات على إرسال تقريره حتى اغتاله اليهود بحجة محاباته للعرب. وعندما نشر تقريره يوم **٢٠ أيلول (سبتمبر)** اتضح أنه اقتراح تنفيذ تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية يجري تحديدهما وفق قرار الأمم المتحدة مع عدد من التعديلات (انظر برنادوت). واستمر الصراع السياسي بعد ذلك حتى انتهى الأمر بعقد اتفاقيات هدنة مؤقتة في (رودس)، (انظر رودس «اتفاقيات»).

**كانت عمليات المرحلة الأولى من الحرب العربية** - الإسرائيلية الأولى ناجحة. وعلى الرغم من جميع المعوقات والظروف غير المتكافئة فقد حارب فيها العرب هجومياً، في حين قاتل اليهود دفاعياً. وتميزت المرحلة الثانية بوقوف العرب دفاعياً وانتقال اليهود للعمل هجومياً على الخطوط الداخلية، والانتقال من جبهة إلى جبهة بحرية تامة مع ترك ستارة وقائية على الجبهات التي يتم الدفاع عنها. وقد ركزت القوات الإسرائيلية ضرباتها ضد الجيش المصري، واستطاعت حصاره في الفالوجا (انظر الفالوجا)، واستطاعت تنفيذ مناوراتها بنجاح نتيجة لتشكيلها قوة لوائين مدرعين ولواء مشاة محمولة. وخاضت القوات العربية خلال هذه المرحلة معارك ضارية. ولكن القيود التي فرضتها القيادات السياسية أعاقت مسيرة الأعمال القتالية، كما أن النقص في التسلح والإمداد بالذخائر كان لهما الدور الحاسم في إعاقة الأعمال القتالية. وفي جميع الأحوال، فقد هيمن الطابع السياسي على الصراع العربي الإسرائيلي الأول، بحيث طغت النتائج السياسية للصراع على دور الأعمال القتالية وحجبتها بصورة شبه تامة.

**ولقد كان من نتيجة هذه الحرب ضياع جزء من فلسطين** تفوق مساحته القسم المخصص لإنشاء الدولة اليهودية في قرار التقسيم. وترسيخ

أقدام إسرائيل في قلب الوطن العربي. وتحولها إلى قاعدة استعمارية أعاقت تطور العالم العربي ووحدته، وجعلت الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط قلقاً وقابلاً للانفجار. وأدت هزيمة الأنظمة والجيوش العربية في هذه الحرب إلى تصاعد النقمة الجماهيرية، واندلاع الثورات والانقلابات للإطاحة بأسباب الهزيمة كمدخل للتحرير.

# الفَصْلُ الثَّانِي

# عدوان حزيران حرب عام (١٩٦٧)م

**خرجت مصر من حرب ١٩٥٦ منتصرة سياسياً**، وتمثل انتصارها في اضطرار بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب من بور سعيد دون أن يحققا غرضهما الرئيسي من الحرب وهو إلغاء تأميم قناة السويس، واضطرار إسرائيل إلى انسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة دون أن تحقق أية نتيجة سياسية من وراء عدوانها، باستثناء ضمان الولايات المتحدة لها حرية الملاحة في خليج العقبة، عن طريق وجود قوات الطوارئ الدولية في «شرم الشيخ» و«رأس نصراني» عند مضائق تيران بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منها في **العام ١٩٥٧**.

**كانت هذه المرة هي المرة الأولى التي لا تحقق فيها الحرب** نتيجة حاسمة للطرف المنتصر عسكرياً. ويرجع ذلك إلى وجود ظرف دولي جديد متمثل في توازن القوى بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، أصبح من الممكن له أن يؤثر في نتائج الحروب المحلية التي تخوضها دول صغرى يعتدى عليها من دول أقوى منها، متى استمرت إرادة الصمود السياسي لدى الدولة الصغرى المعتدى عليها على الرّغم من خسارتها للجولة العسكرية. واستطاعت القيادة السياسية المصرية، ممثلة في زعامة الرئيس جمال عبد الناصر، أن توظف هذه النتيجة السياسية الباهرة في خدمة أهدافها القومية التحررية في المنطقة العربية بصفة خاصة وفي العالم الثالث بصفة عامة.

وبهذا أصبحت نتائج حرب السويس **١٩٥٦** نقطة تحول كبرى في نضال الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية.

**أولاً - العوامل غير المباشرة للحرب:**

**كانت أبرز النتائج غير المباشرة لحرب ١٩٥٦ في المنطقة العربية تصاعد المد الثوري الوطني ضد الإمبريالية الذي صاحبه تزايد في الشعور القومي العربي، وأدى ذلك إلى قيام الوحدة المصرية - السورية (١٩٥٨) ونجاح ثورة العراق في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، وانتصار الثورة الجزائرية (١٩٦٢)، والثورة في اليمن في العام نفسه، ومن ثم احتدمت التناقصات بين حركة التحرر الوطني العربي، التي كانت مصر تمثل قيادتها الفكرية، وبين الإمبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة، بالإضافة إلى إسرائيل التي أصبحت تشعر بتزايد الخطر على جوهر كيانها وأطماعها الصهيونية التوسعية إزاء تنامي قوة حركة التحرر الوطني العربي.**

**وفي الوقت نفسه كانت القوة العسكرية المصرية والسورية** تتزايد كمّاً ونوعاً، ففي **العام ١٩٦٠** تقريباً كان قد تم إعادة تسليح وتنظيم وتدريب الجيش المصري وفقاً للنمط السوفياتي، وأثبت في تشكيله الجديد كفاءة واضحة حين تحركت منه قوة مؤلفة من فرقتي مشاة وفرقة مدرعة **خلال شهر شباط (فبراير) ١٩٦٠** إلى سيناء لدعم سورية (التي كانت وقتئذ جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة) أثناء معركة «التوافيق» الواقعة قرب بحيرة «طبريا».

**وكان لا بد لإسرائيل أن تسعى بسرعة** لضرب هذه القوة العسكرية العربية المتعاظمة والتي باتت تهدد قوتها العسكرية، وخاصة وأن الشعب الفلسطيني بدأ يمارس دوره النضالي منذ بداية **عام ١٩٦٥** من خلال منظماته الثورية، وممارسة دوره السياسي من خلال منظمة التحرير التي تشكلت في أيلول (سبتمبر) **١٩٦٤**، وبدأت في تنظيم جيش التحرير الفلسطيني.

**وبقدر ما كانت هذه القوة العسكرية والسياسية العربية** تثير قلق إسرائيل، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية منزعجة للغاية من الوجود العسكري والسياسي المصري في اليمن الذي بدا مهدداً لمصالحها البترولية والاستراتيجية في المنطقة، وذلك من التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخل مصر التي بدأت تتخذ مساراً غير رأسمالي منذ **العام ١٩٦١**، والتي صاحبها توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية بصفة عامة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية. ولما فشلت الجهود الأمريكية المبذولة من أجل إجبار النظام المصري على التخلي عن سياسته العربية والداخلية عن طريق الضغوط الاقتصادية (قطع المعونات والقمح الخ)، والاستنزاف العسكري غير المباشر في اليمن، قررت الولايات المتحدة في بداية **١٩٦٧م** «ضرورة إسقاط عبد الناصر في مصر وعزل مصر عن بقية العالم العربي» كما قال الديبلوماسي الأمريكي «دافيد نيس»، الذي كان يعمل وقتئذ في السفارة الأمريكية في القاهرة، وذلك في محاضرة له ألقاها بجامعة «كولورادو» في نيسان (إبريل) **١٩٦٧م**، بعد أن استقال من وظيفته احتجاجاً على السياسة الأمريكية المذكورة. ولهذا قامت أجهزة وكالة المخابرات المركزية الأميركية بدراسة خطة الهجوم الإسرائيلي المعدة من قبل بخطوطها العامة، واختبرتها في العقل الإلكتروني «الكومبيوتر» على ضوء تقديرات ميزان القوى وتقارير قياس القدرات القتالية الفعلية، وذلك خلال شهر كانون الثاني (يناير) **١٩٦٧م**.

**وهكذا تلاقت مصلحة كل من الولايات المتحدة وإسرائيل في اجتذاب مصر إلى حرب مدبرة** يتم فيها تدمير جيشها وإسقاط نظامها السياسي، ومن ثم تحطيم الجيش السوري أيضاً والاستيلاء على الجولان واحتلال الضفة الغربية لنهر الأردن التي تشكل نتوءاً خطيراً داخل الأرض المحتلة في فلسطين منذ **العام ١٩٤٨**. وبدأ التخطيط الدقيق لاستدراج مصر إلى هذه الحرب في توقيت لا يناسبها، خاصة وأن قواتها كانت منشغلة بحرب اليمن.

وكانت بداية تنفيذ المخطط الإسرائيلي - الأمريكي في أوائل نيسان (إبريل) **١٩٦٧م**، حين بدأت إسرائيل سلسلة من الانتهاكات لاتفاقية الهدنة مع سورية، وذلك بتوسيع المناطق الزراعية التابعة لها في المنطقة المنزوعة السلاح شرقي بحيرة طبريا، على حساب الأراضي التي يملكها المزارعون السوريون. وأدى الرد السوري **في** ٧ **نيسان (إبريل)** على هذا الانتهاك المعتمد إلى نشوب قتال بالمدفعية والطيران أسفر عن إسقاط (٦) طائرات ميغ (٢١) سورية. ثم بدأت إثر ذلك سلسلة من التهديدات الإسرائيلية لسورية. وتمت في الوقت نفسه بعض التحركات العسكرية قرب الحدود السورية توحي بأن هناك حشوداً ضخمة، مع إنكار وجود مثل هذه الحشود لمراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة.

**ولما كانت مصر تربطها بسورية معاهدة دفاع مشترك**، عقدت في **١٩٦٦/١١/٤**، فقد كان من الطبيعي أن تتضامن مصر مع سورية في مواجهة التهديدات الإسرائيلية الصريحة الصريحة لها بالحرب، والتي جسدتها معركة **١٩٦٧/٤/٧م** الجوية، خاصة وأن إسرائيل تعمدت استفزاز قيادتها السياسية في صميم شعورها بمسؤوليتها القومية عندما كررت التهديدات العسكرية لسورية، وأوضحت أن مصر لن تستطيع التدخل لصالح سورية لأنها ضعيفة نتيجة تورطها في اليمن. كما تلقت القيادة السياسية **المصرية يوم ١٣أيار (مايو)** معلومات من الاتحاد السوفييتي تفيد بوجود حشود إسرائيلية قوية عند الحدود السورية قدرت بنحو ١١ - ١٣ لواء، ولذلك أعلنت حالة الاستعداد القصوى داخل القوات المسلحة في الساعة ١٤,٣٠ **من بعد ظهر يوم ١٤ أيار (مايو)**، وبدأت عملية تحريك واسعة النطاق لقوات القيادة الشرقية الموجودة في منطقة القناة نحو سيناء وكذلك قوات الاحتياطي الاستراتيجي قرب القاهرة، التي تعمدت أن تكون تحركاتها بصورة بالغة العلنية كإعلان بأن مصر ستخوض الحرب إذا ما نفذت إسرائيل تهديداتها ضد سورية. وهكذا بدأ استدراج مصر وسورية إلى **حرب ١٩٦٧م**، التي كانت القيادة

العسكرية الإسرائيلية تستعد لها بجدية كاملة منذ اضطرارها إلى سحب قواتها من سيناء وقطاع غزة في **العام ١٩٥٧** دون أن تحقق أي هدف سياسي جوهري من وراء مغامرتها العسكرية المشتركة مع بريطانيا وفرنسا. وهكذا كان تصرف إسرائيل في خطوطه العريضة مخططاً ومدروساً، على حين كانت ردود أفعال مصر غير مدروسة أو مخطط لها بدقة. وإن كانت نابعة من موقف قومي مبدئي.

### ثانياً - الأحداث السابقة للحرب:

**بدأت القيادة العسكرية المصرية تحرك قواتها** الرئيسية عبر شوارع القاهرة **يوم ١٩٦٧/٥/١٥م**، عقب عودة الفريق محمد فوزي رئيس الأركان من زيارته السريعة إلى دمشق في اليوم السابق لتنسيق الخطط والمواقف العسكرية مع القيادة السورية. **وفي يوم ٥/١٦** أرسلت القيادة المصرية رسالة إلى الجنرال «ريكي» قائد قوات الطوارئ الدولية (وكانت تضم وقتئذ (٩٧٨) جندياً هندياً و(٨٠٠) كندي و(٥٨٠) يوغسلافياً و(٥٢٨) سويدياً و(٤٣٢) برازيلياً و(٧٢) نرويجياً و(٣) دنماركيين) تطلب منه فيها تجميع قواته في قطاع غزة وإخلاء مواقعه في «الكونتلا» و«الصبحة» و«شرم الشيخ» لتتجنب وقوع خسائر بها إذا ما نشب القتال. ورفض «ريكي» الاستجابة لهذا الطلب نظراً لأنه يتلقى أوامره من السكرتير العام للأمم المتحدة[1]. وفي الليلة نفسها دفعت إسرائيل بقوة مؤلفة من وحدة دبابات و٣ كتائب مشاة ميكانيكية إلى مقابل قطاع غزة إثر إذاعة نبأ الرسالة المصرية. **وفي ٥/١٨** أرسل «يوثانت»، سكرتير الأمم المتحدة، إلى إسرائيل يسألها إذا كانت تقبل وجود

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٧٨.

قوات الطوارئ الدولية على الجانب الذي تسيطر عليه من الحدود، إلا أنها رفضت اقتراحه هذا. وإثر ذلك أمر «يوثانت» الجنرال «ريكي» بتجميع قواته في قطاع غزة. **وفي يوم ٥/١٩** انسحبت قوات الطوارئ الدولية من «رأس نصارني» إلى «شرم الشيخ» حيث بقيت هناك حتى **يوم ٥/٢٣** ثم انسحبت نهائياً من المنطقة[١].

**وفي يوم ٥/١٩ أيضاً وصلت إلى «شرم الشيخ» وحدة من المظليين المصريين** لتحل محل القوات الدولية. وفي يوم ٥/٢٠ زار المشير عبد الحكيم عامر شبه جزيرة سيناء وتفقد المراكز السابقة لقوات الطوارئ على الحدود، وفي اليوم نفسه تمت المرحلة الأولى من التعبئة العامة في إسرائيل، وشرعت القيادة المصرية في استدعاء قوات الاحتياط. وفي **يوم ٥/٢١** قدر عدد القوات المصرية في سيناء بنحو ٨٠ ألف جندي مقابل ٣٠ ألف جندي إسرائيلي في صحراء النقب والمنطقة المواجهة لقطاع غزة. **وفي ٥/٢٣** أعلن الرئيس «جمال عبد الناصر» إغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية. وفي **٥/٢٤** وصلت مصر وحدات عسكرية كويتية وجزائرية وسودانية وأعلنت الأردن أنها استكملت تعبئة قواتها وأن قوات سعودية ستصل إليها لدعمها. وفي اليوم نفسه وصل «يوثانت» إلى القاهرة وأجرى مباحثات مع الرئيس عبد الناصر لتخفيف حدة التوتر في المنطقة، وقد أخبره عبد الناصر أنه لن يكون البادئ بالحرب وأن على إسرائيل أن تنفذ شروط اتفاقية الهدنة المعقودة في **العام ١٩٤٩** وتخلي المناطق المنزوعة السلاح المتفق عليها وفقاً لهذه الاتفاقية مثل «العوجة»، وأن تنفذ القرارات الدولية المتعلقة بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين. وأعلن رئيس وزراء إسرائيل «ليفي أشكول» في اليوم نفسه أن إغلاق المضائق يعتبر عملاً عدوانياً ضد إسرائيل.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ط١ عام ٢٠٠٠م، ص٧٦.

**وفي ٥/٢٥ اجتمع وزير الخارجية الإسرائيلي «ابا إيبان» بالرئيس الأمريكي «جونسون»** الذي أرسل في اليوم نفسه رسالة إلى الرئيس «عبد الناصر» يطلب منه فيها عدم البدء بالقتال وضبط النفس حتى لا تعرقل مساعي الولايات المتحدة لتحقيق السلام في المنطقة، كما أرسل في الوقت نفسه رسالة إلى الاتحاد السوفييتي يعرض عليه فيها الاشتراك مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في تشكيل قوة بحرية مشتركة لرفع الحصار عن مضائق تيران. ولكن الاتحاد السوفييتي رفض هـذا العرض وأرسل «كوسيغين»، رئيس الوزراء السوفييتي، برقية إلى الرئيس عبد الناصر يحذره فيها من نوايا الولايات المتحدة المذكورة. وفي اليوم نفسه سافر وزير الحربية المصري «شمس بدران» إلى موسكو لإجراء محادثات حول الموقف في المنطقة، وطلب أسلحة ومعدات جديدة ، وغادر «يوثانت» القاهرة دون التوصل إلى أمر محدد بشأن الأزمة. **وفي فجر يوم ٥/٢٦** أبلغ السفير السوفييتي في القاهرة الرئيس «عبد الناصر» رسالة من القادة السوفييت يطلبون فيها منه ألا يبدأ عمليات حربية ضد إسرائيل، كما أرسلوا رسالة إلى «ليفي أشكول» في إسرائيل بنفس المعنى. والواقع أن الرئيس عبد الناصر كان مستقراً على قرار عدم بدء الحرب بحكم أنه كان يعتقد أن إظهار نوايا مصر الجدية بالتدخل العسكري ضد إسرائيل في حالة عدوانها على سورية كفيل بردعها، كما أنه قصد من وراء تحركه العسكري في سيناء إنهاء آخر **أثر من آثار حرب ١٩٥٦**، وهو استعادة سيطرة مصر الكاملة على مضائق تيران وعلى المنطقة المنزوعة السلاح على طول الحدود الفلسطينية البالغ عرضها نحو ١٠ كلم. وقد أكد ليوثانت، **في يوم ٥/٢٤**، أنه لن يبدأ حرباً ضد إسرائيل.

**وكانت الإستراتيجية المصرية (والسورية أيضاً)** في مواجهة إسرائيل إستراتيجية دفاعية في الأساس، استمراراً لما كان متبعاً بالفعل **منذ انتهاء حرب ١٩٤٨** من قبل دول المواجهة العربية كلها، من حيث محاولة تجميد

الأمر الواقع الإسرائيلية والحيلولة دون مزيد من التوسعات الإقليمية له، نظراً لأن الظروف الدولية وأوضاع موازين القوى العسكرية المحلية لم تكن تسمح للدول العربية بغير ذلك. والواقع أن مصر قررت تلقي الضربة الأولى وامتصاصها والانتقال بعد ذلك إلى الهجوم لتحقيق مكاسب محدودة، تتمثل في احتلال المناطق التي استولت عليها إسرائيل **بعد هدنة ١٩٤٧**. ولقد انعكست هذه الإستراتيجية على توزيع القوات المصرية في سيناء عشية بدء القتال.

**وفي ٥/٣٠ طار الملك** «**حسين**» **إلى القاهرة** ووقع مع الرئيس «عبد الناصر» معاهدة دفاع مشترك ووضع قواته المسلحة تحت قيادة الفريق «عبد المنعم رياض»، الذي وصل إلى عمان بعد ذلك **يوم ٦/١** لتولي مهام قيادته الجديدة، والتي كان من المفروض أن تلحق بها القوات العراقية التي ستصل إلى الأردن. وفي اليوم نفسه قبل «ليفي أشكول» ضغوط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية عليه وعين الجنرال «موشى ديان» وزيراً للدفاع، وكان هذا نذيراً واضحاً بقرب بدء الحرب من جانب إسرائيل. ولذلك عقد الرئيس «عبد الناصر» اجتماعاً موسعاً مع كبار القادة **العسكريين يوم ٦/٢** وقال فيه أن احتمال الحرب أصبح مؤكداً بنسبة ١٠٠% وأنه يتوقع هجوماً جوياً إسرائيلياً مفاجئاً على القواعد الجوية، كما فعل السلاح الجوي البريطاني عام ١٩٥٦، وقال أن ذلك الهجوم قد يقع يوم **٤ أو ٥ حزيران (يونيو)** على الأكثر. إلا أن الفريق أول «محمد صدقي محمود»، قائد السلاح الجوي المصري، الذي كان حاضراً الاجتماع لم يأخذ توقعات الرئيس مأخذ الجد، ولم يبلغ قيادة الدفاع الجوي أو قادة القواعد والتشكيلات الجوية بأي تحذير من مثل هذا الهجوم المحتمل.

### ثالثاً - ميزان القوى العسكرية عشية بدء الحرب:

كانت القوات المصرية المسلحة تقدر قبيل **حرب ١٩٦٧**م بنحو ١٩٠ ألف رجل، منهم نحو ١٦٠ ألف جندي في القوات البرية، لديهم نحو ١٠٠٠

دبابة من أنواع «ستالين ٣» و«ت ٣٤» و«ت ٥٤» و«ت ٥٥»، فضلاً عن نحو ٣٠ دبابة «سنتوريون» و٢٠ «أم أكس - ١٣» وبعض الدبابات البرمائية الخفيفة «ب ت - ٧٦»، وحوالي ١٥٠ مدفعاً ذاتي الحركة «س يو - ١٠٠» و«س يو - ١٥٢»، ونحو ١١٦٠ ناقلة جنود مدرعة من أنواع «ب ت ر - ٤٠» و«ب ت ر - ١٥٢» و«ب ت ر - ٥٠ ب»، بالإضافة لنحو ١٠٠٠ مدفع من عيار ١٢٢ مم و١٣٠ مم وقواذف متعددة البسطانات لصواريخ «كاتيوشا» ذات عيارات مختلفة، ومئات من المدافع المضادة للدبابات عيار ٥٧ مم و٨٥ مم و١٠٠ مم و١٠٧ مم عديم الارتداد و٨٢ مم عديم الارتداد، وصواريخ «سنابر» الموجهة ضد الدبابات، وهاونات ثقيلة عيار ١٢٠مم و١٦٠ مم، ومئات من المدافع المضادة للطائرات عيار ٣٧ مم و٥٧ مم و٨٥ مم و١٠٠ مم فضلاً عن نحو ١٢٠ صاروخ «سام ٢». أما القوات الجوية المصرية فكان لديها نحو ١٢٠ مقاتلة «ميغ ٢١» و٤٠ «ميغ ١٩» و١٨٠ «ميغ ١٧ و ١٥»، و٢٠ مقاتلة قاذفة «سوخوي ٧» و٣٠ قاذفة قنابل متوسطة «ت يو - ١٦» و٤٠ قاذفة قنابل خفيفة «اليوشين ٢٨»، فضلاً عن نحو ٦٠ طائرة هيلكوبتير «مى ٢» و«مى ٤» و«مى ٦»، ونحو ٩٠ طائرة نقل «اليوشين ١٤» و«انيتنوف - ١٢»[(١)].

**وكانت القوات البحرية المصرية تضم ٦ مدمرات** (٤ منها سوفييتية من طراز «سكوري» و٢ بريطانيتان) و١٢ غواصة (سوفييتية الصنع) و١٨ زورق صواريخ (سوفييتية الصنع «كومار» و«أوسا») و١٢ زورق مضاد للغواصات (سوفييتية الصنع) و٤٣ زورق طوبيد (سوفييتية الصنع ويوغسلافية). وكانت القوات السورية المسلحة تألف من نحو ٧٠ ألف جندي (فضلاً عن ٤٠ ألفاً آخرين من الاحتياطي) وتضم القوات البرية نحو ٦٠ ألف جندي من

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٣.

هذه القوات، ولديها نحو ٥٥٠ دبابة ونحو ٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة (وكلها أنواع سوفييتية) بالإضافة لعدة مئات من قطع المدفعية بمختلف أنواعها (ميدانية وم/د وم/ط وكلها سوفييتية الصنع). أما القوات الجوية السورية فكانت تضم نحو ١٢٠ طائرة حربية منها حوالي ٢٠ «ميغ ٢١» و٢٠ «ميغ ١٩» و٦٠«ميغ ١٧» و٦ قاذفات «اليوشين ٢٨» وعدد قليل من طائرات الهيلوكبتر والنقل والتدريب. أما القوة البحرية السورية فكانت تضم ٤ زوارق صواريخ «كومار» و ٣ زوارق طوربيد وكاسحتي الغام وبعض زوارق الحراسة الساحلية. وكان الأردن يملك نحو ٥٦ ألف جندي لديهم ١٧٦دبابة «باتون» ونحو ٧٠دبابة «سنتوريون» وحوالي ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة ونحو ١٥٠ مدفعاً من عيار ٢٥ رطل و١٥٥ مم، وقوة جوية تضم ٢٢ طائرة مقاتلة من طراز «هوكر هنتر» و ٦طائرات نقل و٣ طائرات هيكوبتر.

**وفي المقابل كان الجيش الإسرائيلي** يضم نحو ٢٦٠ ألف جندي (عند استكمال التعبئة العامة) لديهم عدداً يتراوح بين ١٢٠٠ و ١٤٠٠ دبابة من أنواع «سنتوريون» و«باتون م - ٤٨» و«أم أكس - ١٣» و«سوبر شيرمان»، وعدة من ناقلات الجنود المدرعة «م - ٢» و«م - ٣»، فضلاً عن عدة مئات من المدافع المختلفة الأنواع من عيار ٢٥ رطل و١٠٥مم و١٥٥مم الميدانية والهاوتزر والهاونات الثقيلة ١٢٠مم و١٦٠مم، و٥٧مم و١٧رطل و١٠٦ عديمة الارتداد و٩٠مم وكلها مضادة للدبابات، و٢٠مم و٣٠مم و٤٠مم المضادة للطائرات، فضلاً عن نحو ٥٠صاروخ أرض - جو من طراز «هوك». أما القوات الجوية الإسرائيلية فكانت تضم نحو ٩٢ طائرة «ميراج ٣سي» و٢٤«سوبر ميستير» و٥٠«ميستير ٤» و٢٥«فوتور ٢» و٤٨ «أوراغان» و٦٠«فوغا ماجستير»ن أي ما مجموعه نحو ٣٠٠طائرة حربية فضلاً عن نحو ٤٠ طائرة نقل و٢٥ طائرة هلكوبتر. وكانت البحرية الإسرائيلية تتألف من ٣ مدمرات وفرقاطة مضادة للغواصات وغواصتين وسفينتي حراسة ساحليتين و١٢ زورق طوربيد.

**استنتاجات وعبر:**

ولقد كانت القدرات التقنية والتكتيكية لأسلحة الطرفين، سواء في الدبابات أم في الطائرات، متقاربة ومتوازنة في جملتها، ولا تحقق لأي منهما بالنسبة للآخر تفوقاً تقنياً مطلقاً، وإنما كان الأمر يتوقف في نهاية الأمر على كفاءة استخدام هذه الأسلحة والمعدات على المستوى التكتيكي والعملياتي وضمن خطة إستراتيجية ملائمة، ووفقاً لمدى ارتفاع مستوى التدريب والقيادة والخدمات الإدارية والفنية المتاحة لكل طرف. وباختصار نستطيع القول إنَّ جوهر التفوق العسكري الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧م لم يكن كامناً في حجم ونوعية السلاح، وإنما كان مرتكزاً في الأساس في عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية التي استطاعت أن توظف عناصر القوة البشرية والوضع الجغرافي - الاستراتيجي والقوة المادية والعسكرية والقيم المعنوية ضمن إستراتيجية هجومية، تعتمد على: المفاجأة وحرب الحركة الخاطفة، وتستفيد من حشد قواها في الماكن والزمان الذي يحقق لها تفوقاً كمياً في كل معركة على حدة في معظم الحالات.

## رابعاً - الحرب على الجبهة المصرية:

**أ - توزيع القوات المصرية: قبل ١٤أيار (مايو) ١٩٦٧م كانت القوات المصرية في سيناء وقطاع غزة تتألف من الفرقة ٢٠ الفلسطينية (في قطاع غزة) وفرقة المشاة الثانية المصرية موزعة على طول الحدود المصرية - الفلسطينية. وعقب حشد القوات الضخمة في سيناء أصبحت القوات المصرية على النحو التالي:**

**أولاً** - الفرقة ٢٠ الفلسطينية (التابعة لجيش التحرير الفلسطيني) وكانت تتألف من لوائي مشاة وفوج مغاوير (صاعقة) تدعمها بعض بطاريات المدفعية عيار ٢٥رطل والمدافع ٥٧ مم م/د ونحو كتيبة دبابات «شيرمان».

**ثانياً** - فرقة المشاة السابعة في قطاع «رفح - العريش» وتتألف من ٤ألوية مشاة (لواءان في رفح ولواء في ممر خروبة ولواء في بير الحفن)

وفوج مدرع يضم نحو ١٠٠ دبابة «ت ٣٤» و«ستالين ٣» ومدافع «س يو ١٠٠» موزع بين «رفح» و «الشيخ زويد»، ولواء المدفعية المتمركز أساساً في «رفح»[(١)].

**ثالثاً** - فرقة المشاة الثانية في قطاع «أبو عجيلة - القسيمة» وتتألف من لوائي مشاة «أحدهما في أبوعجيلة والثاني في القسيمة) ولوائي مدفعية، وكانت بمثابة خط دفاعي ثان على المحور الأوسط.

**رابعاً** - فرقة المشاة الثالثة في قطاع (جيل لبنى - بير الحسنة)، على المحور الأوسط وكانت بمثابة خط دفاعي ثانٍ على المحور الأوسط.

**خامساً** - فرقة المشاة السادسة في قطاع «الكونتلا - الثمد - نخل»، على المحور الجنوبي، وتتألف من ٤ألوية مشاة محمولة وفوج مدرع ولواء مدفعية، وكانت تسيطر على الاقتراب المؤدية إلى جنوب صحراء النقب وميناء «إيلات» وتحمي طريق الاقتراب من «السويس» عبر «ممر متلا».

**سادساً** - وإلى الشمال الغربي من الفرقة السادسة كانت توجد مجموعة مدرعة تعرف بمجموعة «الشاذلي» المدرعة، وتتألف من لواء مدرع ولواء مغاوير ميكانيكي ولواء مدفعية، وهي معدة للهجوم، بالتعاون مع وحدات من الفرقة السادسة لقطع طريق «بئر السبع - إيلات».

**سابعاً** - الفرقة المدرعة الرابعة في قطاع «بير جفجافة - بير تماده»، وتتألف من لوائين مدرعين ولواء مشاة محمول ولواء مدفعية، وتشكل خط دفاع ثالث في العمق العملياتي قرب ممرى «جفجافة» و «الجدي» وتعد أيضاً كاحتياطي استراتيجي. كما كان يوجد لواء «مغاوير» في «رمانه» و«بالوظه» على المحور الشمالي، ولواء مشاة آخر في «جبل الطور» على الساحل الشرقي لخليج السويس، فضلاً عن قوة أخرى مؤلفة من كتيبتي مشاة

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٤.

في «شرم الشيخ» حلتا محل وحدة المظليين التي أمنت الموقع عند بدء إخلاء قوات الطوارئ الدولية.

**ويبلغ العدد الإجمالي لهذه القوات نحو** ٩٠ ألف جندي لديهم حوالي ٩٥٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة وقانص للدبابات ونحو ١٠٠٠مدفع، فضلاً عن نحو ١٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة. إلا أن أكثر من ثلث هؤلاء الجنود كانوا من قوات الاحتياط التي استدعيت على عجل ولم يعاد تدريبها بصورة مرضية، ثم جرى دمجها داخل التشكيلات العاملة الأصلية في عديد من الفرق، مما أدى إلى إضعاف القدرة القتالية لهذه الفرق إلى حد كبير، كما أن عديداً من قادة التشكيلات نقلوا إليها أو عينوا عليها قبيل نشوب القتال بوقت قصير، مما جعلهم لا يعرفون حقيقة مستوى تشكيلاتهم القتالي ولا يعرفهم رجالهم في الوقت نفسه.

**وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك نسبة** لا تقل عن ٢٠% من مجموع الدبابات والقانصات غير صالحة للقتال عند بدء الهجوم الإسرائيلي، وكذلك حوالي ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة، ونحو ٢٥% من المدافع، وذلك بسبب الأعطال الميكانيكية والفنية الناتجة عن كثرة الحركة وطول المسافات التي قطعتها الوحدات خلال الفترة السابقة لنشوب القتال، ولنقص قطع الغيار المترتب على اضطراب نظام الإمداد والتموين والشؤون الإدارية بصفة عامة نتيجة لسرعة وفجائية حشد القوات. وعموماً كان عديد من التشكيلات يعاني من نقص الوقود المؤزن والذخيرة واضطراب نظام الاتصالات والمواصلات نتيجة لسرعة التحرك، وكثرة تنقلات التشكيلات من مكان إلى آخر نتيجة للتعديلات العديدة التي كانت القيادة العامة تدخلها على الخطة الموضوعة. فمثلاً كانت مجموعة «الشاذلي» المدرعة موجودة قبل بدء الحرب بأيام قليلة في منطقة «الشيخ زويد» كقوة ضاربة احتياطية في عمق دفاعات الفرقة السابعة في رفح لتستخدم في الهجوم المعاكس بالقطاع الشمالي، ثم نقلت إلى الجنوب بالقرب من «الكونتلا» لشن هجوم معاكس يقطع طريق «بئر السبع -

إيلات»، ولذلك كانت معظم دباباتها وآلياتها مرهقة، وبعضها معطل عند نشوب القتال. كما أدت كثرة التنقلات إلى عدم توفر الوقت أو الاهتمام الكافيين من قبل قادة وضباط التشكيلات لدراسة طبيعية الأرض التي يقيمون فيها وإحكام الرقابة والسيطرة على الأجنحة وإجادة إعداد الاستحكامات اللازمة. هذا فضلاً عن سريان شعور كبير لديهم بأن العملية كلها ليست أكثر من مظاهر عسكرية ذات أهداف سياسية فحسب.

**ويعكس توزيع القوات المصرية على النحو المذكور** آنفاً اضطراباً وعدم وضوح في الخطة الإستراتيجية العامة، التي كان من المفترض فيها تحقيق القدرة على امتصاص الضربة الأولى وتقليل نتائجها إلى أقصى حد مستطاع، ثم الانتقال إلى هجوم مضاد فعال يزيل أية آثار للضربة الإسرائيلية الأولى، ويلحق خسائر كبيرة بالمهاجمين كافية لردعهم عن مواصلة العدوان والتوسع، والقبول بحدود ونتائج **حرب ١٩٤٨** على أقل تقدير. ذلك لأن الخط الدفاعي الأول كان محتشداً بقوات كبيرة نسبياً لاتملك وسائل هجومية كافية فمهمتها الأساسية هي الدفاع، ولا تستطيع في الوقت نفسه حماية أجنحتها المهددة بالالتفاف بكفاءة وسرعة، خاصة وإنها ليست لديها احتياطات مدرعة قوية في عمق دفاعاتها قادرة على الحركة السريعة المضادة لحركات الالتفاف، هذا فضلاً عن أن مواقعها الدفاعية المتقدمة لم تكن قوية بدرجة كافية للصمود في وجه هجمات المدرعات والمدفعية والطيران المكثفة (خاصة في «رفح» و«خان يونس» و«الكونتلا»)، كما أنها كانت متباعدة عن بعضها بدرجة كبيرة تسهل على العدو تحقيق اختراق بالمدرعات إلى العمق العملياتي، وقطع خطوط مواصلاتها وتطويق وتدمير كل موقع على حدة، دون أن يستطيع الموقع الآخر مساندته. وذلك مثلما كان حال مواقع الفرقة السابعة في «رفح» التي يفصلها نحو ٥٠ كلم عن موقع الفرقة الثانية في «أم قطف» و«أبو عجيلة» التي كانت شبه معزولة عن مواقع النصف الثاني من الفرقة في «القسيمة»، حيث كانت توجد قيادة الفرقة نفسها.

**بالإضافة إلى أن القسم الرئيسي من القوات المدرعة،** الذي كان موزعاً على مجموعة «الشاذلي» والفرقة المدرعة الرابعة، كان متحشداً في الواقع بعيداً للغاية عن القطاع الرئيسي للعمليات التي حشدت فيه القوات الإسرائيلية الأساسية في المنطقة الممتدة بين «أبو عجيلة» و«رفح»، ومن ثم كان تحريك هذه المدرعات لتشن هجمات مضادة فعالة يتطلب وقتاً طويلاً نسبياً، ويفترض وجود حماية جوية قوية. وكان الاعتماد على قوة فرقة المشاة الميكانيكية الثالثة في «جبل لبنى» و«بير الحسنة» وحدها في التصدي للاختراق المتوقع من جانب مدرعات ثلاث مجموعات ألوية إسرائيلية (مجموعات «تال» و«يوفه» و**«شارون»)** في القطاعين الشمالي والأوسط البالغ عددها نحو ٧٠٠دبابة، لا يشكل حلاً ملائماً لمشكلة نقص القوى المدرعة في هذا القطاع، نظراً لعدم وجود أي تكافؤ في قوى الطرفين في هذه الحالة. والأرجح أن توزيع القوات المصرية على النحو الذي تم به لم يكن يستند إلى توفر معلومات دقيقة عن حشود العدو، والتي كانت تعكس الضرورة نواياه الهجومية، والاتجاهات الرئيسية المتوقعة، التي لم تكن في المحور الجنوبي على الإطلاق.

**وكان حشد لواء مدرع مع «الشاذلي» شمال غرب «الكونتلا»**، ولواء مدرع آخر مع الفرقة السادسة في «الكونتلا» و«التمد» للقيام بضربة ثانوية تعزل «إيلات» عن «بئر السبع»، وفي الوقت الذي تدور فيه رحى المعركة الرئيسية في الشمال وتتواجد فيه الفرقة المدرعة الرابعة بعيداً عنها في «بير جفجافة» و«بير تماده»، تخطيطاً لا يخدم الدفاع لامتصاص الضربة الإسرائيلية الأولى، ولا يحقق أية إمكانية عملية فعالة لتوجيه ضربة مضادة مؤثرة. ذلك لأن القيادة الإسرائيلية كانت تستطيع تجاهل مثل هذه الضربة الثانوية التي ستتم على أقصى جناحها الجنوبي، حتى لو أدت جدلاً إلى تطويق إيلات، وتمضي قدماً في الضغط بقوة على مواقع «رفح» و«أبو عجيلة» لتفتح المحورين الشمالي والأوسط على مصراعيهما بسرعة، وقبل

أن تتدخل قوات الفرقة المدرعة الرابعة، لتزحف في اقتراب غير مباشر ضد قوات المحور الجنوبي، وتقطع طرق مواصلاتها عند مدخلي ممري «الجدي» و«متلا»، بعد تدمير الفرقة المدرعة الرابعة عند «بير جفجافة» و«بير تماده».

**ب - إجراءات الخداع الإسرائيلية: اتخذت القيادة الإسرائيلية عدة إجراءات قبيل شن هجومها المفاجئ يوم٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م. وكان أهم هذه الإجراءات:**

**أولاً** - دعوة الاحتياط بصورة تدريجية سرية خلال الأسابيع الثلاثة قبل بداية الحرب.

**ثانياً** - منح الإجازات إلى الجنود قبل الحرب بأيام قليلة ودعوة الصحفيين الأجانب لمشاهدة هؤلاء الجنود وهم يستحمون على شواطئ البحر.

**ثالثاً** - وقف الاستطلاع الجوي قبل الحرب بخمسة أيام.

**رابعاً** - إرسال تشكيلات قوية من الطائرات قبل الحرب باتجاه خليج العقبة وجنوب سيناء لحمل المصريين على الاعتقاد بأن الهجوم سيتم من ذلك الاتجاه.

**خامساً** - التركيز في الإذاعات ووسائل الإعلام الإسرائيلية على لجوء إسرائيل إلى المحافل الدولية، وهيئة الأمم المتحدة والقوة البحرية التي أذيع عن تشكيلها لفتح مضائق تيران من قبل أميركا وإنكلترا، وفاء لالتزاماتها بتأمين الملاحة الإسرائيلية.

**سادساً** - إتقان أعمال الإخفاء والتمويه للقوات والتشكيلات في مواقع الهجوم. وبذلك استطاعت إسرائيل تحقيق المباغتة والإمساك بالمبادأة[1].

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٥.

ج - العمليات الجوية على الجبهة المصرية: بدأت القوات الجوية الإسرائيلية في الساعة ٨,٤٥ (بتوقيت القاهرة) من صباح يوم الإثنين ٥حزيران (يونيو) ١٩٦٧م هجومها على القواعد الجوية لجمهورية مصر العربية. وفي الساعة ٩,٠٠ أعلنت إذاعة إسرائيل أنها أصبحت في حالة حرب مع مصر. وكانت خطة الهجوم الإسرائيلية تحمل الاسم الرمزي (حركة الحمام) أما اصطلاح بداية الهجوم الجوي فهو الاسم الرمزي (كولومب). وبموجب خطة (حركة الحمام) أطلقت إسرائيل جميع طائراتها المقاتلة ضد القواعد الجوية والطائرات المصرية بحيث لم تحتفظ إلا باثنتي عشرة طائرة (ثماني طائرات وأربع كمظلة لحماية سماء إسرائيل، وأربع طائرات على الأرض لمجابهة الطوارئ). وقد شمل الهجوم الإسرائيلي ٩مطارات رئيسية هي (العريش، جبل لبنى، بير جفجافة، بير تماده - وكلها في سيناء، وكذلك أبو صوير، وكبريت وفايد ومطار غرب القاهرة وبني سويف وكلها غرب القناة). وخصص لمهاجمة كل مطار رف مؤلف من أربع طائرات كانت تطير بأزواج. وقد أقلعت هذه الطائرات من عدة مطارات تقع جوار تل أبيب وفي أوقات متباينة ليتسنى لها الوصول إلى أهدافها في وقت واحد. وشن الطيران الإسرائيلي هجومه الجوي على المطارات المصرية بموجات متعاقبة بين كل موجة وأخرى عشرُ دقائق. فبينما كانت طائرات الموجة الأولى تهاجم أهدافها كانت الموجة الثانية في طريقها إلى أهدافها، والموجة الثالثة قد بدأت في الإقلاع وهكذا[1]... وقد استمرت موجات طائرات إسرائيل في الهجوم على المطارات المصرية دون انقطاع من الساعة ٨,٤٥ حتى الساعة ١١,٣٥.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٠٣.

**وحلقت الطائرات المغيرة على ارتفاع منخفض جداً بلغ أحياناً ثلاثين** قدماً فوق مستوى البحر أو الأرض (عشرة أمتار تقريباً)، وذلك حتى تبقى تحت مستوى رصد أجهزة الرادار العربية، (وغير العربية أيضاً. فقد كانت محطات الرادار الأمريكية والروسية والبريطانية في شرق البحر الأبيض المتوسط وكلها كانت تعمل بيقظة تامة ورصد مستمر وبأقصى فاعلية). كان لجمهورية مصر العربية في شبه جزيرة سيناء وحدها ست عشرة محطة رادار. لكن إسرائيل لم تهاجم جميع هذه المحطات في بداية الأمر، بل هاجمت اثنتين منها فقط وهما محطة الحسنة وطلعة البدن. وخصصت القيادة الجوية الإسرائيلية لكل رف من طائراتها فترة سبع دقائق للبقاء فوق الهدف، وهي تكفي لثلاث أو أربع جولات هجومية، إحداها لقصف المدرج بالقنابل واثنتين أو ثلاث لتخريب الطائرات المصرية بنيران المدافع أو لتدمير ملاجئ الطائرات ومراكز السيطرة والمرافق الأخرى بالصواريخ. وخصص لكل رف ثلاث دقائق احتياطية، بهدف التعويض عن أخطاء الملاحة أو القيام بجولة إضافية فوق الهدف عند الحاجة.

**وكانت الطائرات تقصف مدارج المطارات أولاً لتمنع الطائرات المصرية من الطيران، ثم تصلي الطائرات الجاثمة على الأرض بنيران مدافعها.** وكانت الطائرات الإسرائيلية جميعها تقترب نحو أهدافها عن طريق البحر الأبيض المتوسط، فكانت تتجه بعد إقلاعها نحو الغرب محاذية ساحل سيناء وعلى بعد خمسين كيلو متر منه تقريباً. وتم استخدام ستة زوارق بحرية لتوجيه الطائرات. وكانت هذه الزوارق قد أخذت مواقعها المحددة لها في عرض البحر منذ صباح يوم **(٥) حزيران (يونيو)**. فإذا كانت أهداف الطائرات الإسرائيلية مطارات سيناء، استدارت الطائرات جنوباً قرب العريش لمهاجمتها، أما إذا كانت أهدافها مطارات القناة أو دلتا النيل فإنها تستدير فوق منطقة بور سعيد أو مصب النيل وتتجه نحو الجنوب لمهاجمتها. وكانت التعليمات قد صدرت إلى طياري الموجة الأولى بالصمت اللاسلكي وبالعودة

إلى قواعدهم في حالة اكتشاف هجومهم قبل أوانه، نظراً لأن نجاح العملية بكاملها يعتمد على تحقيق المباغتة. وأعطيت لطياري هذه الموجة الأوامر بالعودة لمجرد سماع كلمة السر (محكري حاكوم) أي ليقف كل في محله.

**وقد استخدمت القوات الجوية الإسرائيلية في تدميرها للمطارات العربية نوعاً جديداً من القنابل لم يستخدم من قبل** «**Concrete Dibber Bomb**» المصممة بصورة خاصة لتدمير مهابط الطائرات والتحصينات البيتونية. وزعمت إسرائيل أنها هي التي صممت هذه القنابل، ولكن الواقع أنها قنابل فرنسية الصنع صممتها شركة (ماترا) لتسليح طائرات الميراج والفوتور، وتزن القنبلة ٣٦٥ رطلاً، وتطلقها الطائرة من ارتفاع ٢٠٠ قدم، وهي تطير بسرعة تقل عن ستمئة ميل. وتمتاز في أنها تحتوي على صاروخ مرجع (Booster) ينطلق تلقائياً فور إطلاق الطائرة للقنبلة فوق المدرج، فيكون له تأثير معاكس يحول دون اندفاع القنبلة باتجاه محرك سير الطائرة ويساعد على هبوطها رأسياً على المدرج، وقبل أن تصل هذه القنبلة إلى الأرض ينطلق منها صاروخ ثان فيزودها بقوة اندفاعية تقرب من سرعة الصوت وهو الأمر الذي يساعد على اختراق أرض المدرج المصنوع من البيتون المسلح إلى مسافة تقرب من أربعة أمتار ونصف. وبعد اختراقها المدرج تنفجر بوساطة صمامة توقيت، ويمكن تنظيم الصمامة بحيث تنفجر آنياً أو بعد وقت معين وهو الأمر الذي يزيد في صعوبة تصليح المدرج.

**وقد ساعد هذا النوع من القنابل الطيارين الإسرائيليين على قذف قنابلهم من ارتفاع منخفض جداً** دون التعرض لخطر الإصابة بشظايا القنابل عند انفجارها. ولم تستخدم هذه القنابل إلا في الهجوم على المطارات التسعة سابقة الذكر.

**أما في الهجوم على المطارات الأخرى فقد استخدمت الطائرات الإسرائيلية القنابل العادية**، وكان المطار الوحيد الذي لم يقصف العدو مدرجه

هو مطار العريش. وقد أبقاه العدو سالماً حتى يستطيع استخدامه كقاعدة تموين متقدمة وكمطار لهبوط طائراته. وقد بدأت القوات الإسرائيلية في استخدام مطار العريش بفاعلية اعتباراً من مساء يوم ٦ حزيران (يونيو). وتميز هجوم الطائرات الإسرائيلية بالتنظيم الجيد في دقة توقيتاته، وبما أن **ساعة (س) لبدء الهجوم هي (٨,٤٥)**، ونظراً لأن رحلة الذهاب بين المطارات (الأهداف) وبين قواعد الانطلاق تتطلب (٢٢)دقيقة طيران، فقد بدأ إقلاع الموجة الأولى في الساعة (٨,٢٣)، وبدأ الهجوم (٨,٤٥)، وانتهى الساعة (٨,٥٢)، لتصل إلى قاعدتها الساعة (٩,١٢) (نظراً لأن رحلة العودة تستغرق مدة أقل من رحلة الذهاب)، حيث تبدأ مرحلة تفتيش الطائرات وتزويدها بالوقود والعتاد والأوكسجين وأفلام الطائرات للتصوير وتحميل القنابل. وتدعي المصادر الإسرائيلية أن جماعات الصيانة الإسرائيلية استطاعت إنجاز ذلك كله خلال فترة سبع دقائق ونصف في حين أن هذه العملية تتطلب في بقية جيوش العالم فترة نصف ساعة.

**وقد استمرت القوات الجوية الإسرائيلية الأولى مدة ثمانين دقيقة دون توقف (أي حتى الساعة ١٠,٠٥)** ثم بعد فترة عشر دقائق بدأت الضربة الجوية الثانية على المطارات نفسها واستمرت نحو ثمانين دقيقة أخرى، أي حتى الساعة (١١,٤٥). كما هاجمت الطائرات الإسرائيلية عند الظهر مطار أنشاص وبلبيس، وفي الساعة (١٢,١٥) مطار الغردقة على ساحل البحر الأحمر، وفي الساعة (١٢,٣٠) مطار الأقصر في صعيد مصر. وأخيراً انتهت عمليات الهجوم كلها في الساعة (١٢,٣٠).

**وفي ساعات بعد الظهر هاجمت الطائرات الإسرائيلية مطار القاهرة الدولي ومطار رأس بانياس بالبحر الأحمر.** وكانت خسائر القوات الجوية المصرية حتى نهاية اليوم الثاني (٢٦٤) طائرة قتال و(٣٢) طائرة نقل و(٩) طائرات هليكوبتر. وكانت الخسائر حتى نهاية الحرب (٣٣٨) طائرة، يقابل

ذلك في الجانب الإسرائيلي (١٩) طائرة قتال و(١١) طائرة نقل: وبذلك يمكن القول أن سلاح الجو الإسرائيلي استطاع وضع سلاح الجو المصري خارج المعركة منذ الساعات الأولى لبداية القتال بخسارة تكاد لا تذكر، بفضل المباغتة والمحافظة على المبادأة، وبفضل التنظيم الجيد لعمليات الهجوم ولأعمال الصيانة والتموين. ومقابل ذلك كان الإهمال واللامبالاة وضعف الاستعدادات في الجانب المصري من الأسباب التي ساعدت على نجاح المباغتة. كما كانت المعلومات الدقيقة التي توفرت للقيادة الإسرائيلية عن القواعد الجوية المصرية وعن قادة هذا السلاح عاملاً حاسماً في تحقيق المباغتة.

**ويظهر ذلك بصورة واضحة من خلال تحديد ساعة الهجوم (س). ففي هذه الساعة تكون القوات الجوية في حالة شبه عدم استعداد،** لأن القوة الجوية المصرية اعتادت أن تكون في أوج يقظتها وفاعليتها قبل هذه الساعة من كل يوم، ولقد افترض العدو بأن القيادة الجوية المصرية تخصص عدة رفوف من طائرات الميغ (٢١) في وضع الانتظار عند نهاية المدرج وهي جاهزة للإقلاع بعد إنذار خمس دقائق اعتباراً من فجر كل يوم. كما افترض بأن الطيران المصري يدفع دورية أو دوريتين من طائرات ميغ (٢١) لتحلق في الجو في ذلك الوقت أيضاً لأنه أكثر أوقات النهار احتمالاً للهجوم الجوي. وقد قدر العدو أن درجة الاستعداد هذه لا يمكن أن تستمر طويلاً، فإن لم يقع هجوم جوي خلال ساعتين أو ثلاث ساعات بعد الفجر فمن المحتمل أن تخفف القيادة الجوية المصرية تدابير الاستعداد، وتغلق بعض محطات الرادار العربية أجهزتها، ومن ثم تبدأ القوة الجوية المصرية في تخفيف تدابير اليقظة نسبياً اعتباراً من الساعة ٨,٣٠ صباحا[1].

---

(١) مجموعة من المؤلفين الروس، الحروب العربية - الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ١٧٤-١٧٥.

**د - خطة الهجوم البري الإسرائيلي في الجبهة المصرية: وضعت القيادة العسكرية الإسرائيلية خطتها العامة للعمليات البرية في سيناء وقطاع غزة على أساس أنها لن تبدأ إلا بعد عودة طائرات الموجة الأولى من الهجوم الجوي المفاجئ على المطارات المصرية، والتأكد المبدئي من نجاح الضربة الجوية.**

**وقد قامت الخطة العامة للعمليات البرية على أساس توجيه** الضربة الرئيسية في المحور الشمالي، وخرق الدفاعات في «أم قطف» و«أبو عجيلة»، لفتح طريق المحور الأوسط، وتأمين الجناح الجنوبي للهجوم الرئيسي في الشمال، الذي سيتخذ شعبتي تقدم، واحدة أساسية على محور «خان يونس - رفح - العريش» والأخرى ثانوية عبر وادي «الحريضين» الواقع إلى الجنوب من «رفح» بنحو ٢٠كلم في اتجاه «بير الحفن» للالتفاف حول «العريش» من الجنوب أو حول «أبو عجيلة» من الشمال. وبعد أن تخترق المواقع الأمامية على الحدود، أو ما نستطيع أن نسميه الخط الدفاعي الأول، التي تتحكم في مداخل الطريقين الأساسيين في شمال ووسط سيناء المؤديين إلى «القنطرة» و«الإسماعيلية» يتم الاندفاع بسرعة ودون مرحلة توقف مؤقتة لإعادة التجميع والتنظيم نحو الممرات الأربعة المتحكمة في طرق المواصلات. وبقفل الممرات تعزل بقية القوات المصرية التي لم يجر تحطيمها خلال معارك المرحلة الأولى، ويجري تدميرها أو إجبارها على الاستسلام أثناء محاولتها الانسحاب عبر الممرات نحو القناة، خاصة عبر ممري «الجدي» و«متلا».

**أما الاستيلاء على «شرم الشيخ» وفتح الملاحة في «مضائق تيران»**، الذي كان المبرر والذريعة الأصلية لنشوب الحرب، فقد ترك أمرهما لعملية تكميلية صغيرة تقوم بها قوة من مشاة البحرية والمظليين بعد الانتهاء من العمليات الرئيسية في شمال ووسط «سيناء» ولكن اتخذت عدة تدابير لإشعار

القيادة المصرية أن «شرم الشيخ» ستكون لها الأولوية في العمليات التعرضية وذلك عن طريق مضاعفة نسبة طلعات الاستطلاع الجوي فوقها بالنسبة للطلعات فوق «قطاع غزة»، وبوساطة إعطاء انطباع مبالغ فيه عن قوة الحشد المدرع على المحور الجنوبي عند «الكونتلا»، حيث حشد هناك في الحقيقة لواء مدرع واحد معزز بقوة إضافية (في مواجهة القوة المدرعة التي يقودها الشاذلي وفرقة المشاة السادسة) إلا أنه جرى حشد لواء آخر من الدبابات الهيكلية على مقربة منه وبطريقة تمويه لم تراع فيها الدقة الكاملة حتى يبدو واضحاً في الصور الجوية لطائرات الاستطلاع المصرية[(١)].

**وتركت مهمة الاستيلاء على قطاع غزة لعملية تكميلية** أخرى تقوم بها قوة خاصة من المشاة والمظليين تعززهم كتيبة دبابات «أم أكس - ١٣» وبعض دبابات «شيرمان» القديمة طراز «م - ٣» غير المعدلة، بعد أن يتم اقتحام دفاعات «خان يونس - رفح» في الضربة الرئيسية الأولى بالقطاع الشمالي.

**وحشدت القيادة الإسرائيلية الجزء الرئيسي من قوات جيشها** تجاه الجبهة المصرية لتنفيذ هذا المخطط (الذي ستسبقه ضربة الطيران المفاجئة) والذي ضم (٧) ألوية مدرعة و(٣ - ٤) كتائب دبابات مستقلة، وذلك من جملة ١١لواء مدرع كانت لدى سلاح المدرعات الإسرائيلي وقتئذ، و(٣ - ٤) ألوية مشاة ميكانيكية ولواء مظلي ميكانيكي، وذلك من جملة (١٠) ألوية مشاة صف أول و(٣) ألوية مظليين كان لدى الجيش الإسرائيلي عشية الحرب. هذا فضلاً عن ما يوازي قوة ٦ألوية مدفعية (بخلاف المدفعية ذاتية الحركة الموجودة مع الألوية المدرعة) من جملة حوالي (١٢) لواء مدفعية كانت لدى الجيش الإسرائيلي وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك (٣) ألوية مشاة صف ثان

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٨.

تقوم بمهام الدفاع عن مستعمرات الجنوب وحماية طرف المواصلات عن جملة (١٤) لواء مشاة صف ثان (من القوات الاحتياطية) كان موجوداً عند إتمام التعبئة العامة.

**هـ - توزيع القوات الإسرائيلية على الجبهة المصرية ومهامها:**

وبلغت جملة هذه القوات نحو (٦٥) ألف جندي لديهم حوالي (٩٠٠) دبابة. وأخضعت هذه القوات لقائد المنطقة الجنوبية العميد «يشعيا هو جافيش»، الذي قام بتوزيع قواته في شكل (٣) مجموعات قتالية لها قوة الفرقة ويطلق عليها بالعبرية اسم «Ugda»، وهي تشكيلات متباينة الحجم والتشكيل وفقاً لطبيعة مهمة كل مجموعة، وكانت كل منها ذات إكتفاء ذاتي من وحدات المهندسين والخدمات الطبية والإشارات ووحدات الشؤون الإدارية (التي كانت تضم شاحنات تحمل إمداد وتموين يكفي للقوات المقاتلة مدة ثلاث أيام بخلاف الكميات المخزونة في القاعدة الإدارية للمجموعة). وقد سميت كل مجموعة من المجموعات الثلاث باسم قائدها كما هي عادة الجيش الإسرائيلي، وكانت مشكلة على النحو التالي:

**أولاً - مجموعة «تال»: وكانت مؤلفة من أفضل ألوية الجيش الإسرائيلي، وتضم: اللوائين المدرعين السابع والثالث، ولواء مظليين ميكانيكي (باستثناء كتيبة»، ولواء مشاة ميكانيكي، وتدعمها كتائب مدفعية وكتيبة مهندسين، فضلاً عن كتيبة دبابات مستقلة لدعم وحدات المظليين الميكانيكية، وكتيبة دبابات أخرى لدعم لواء المشاة الذي سيهاجم قطاع غزة، وتقدر قوة مجموعة «تال» بنحو (٣٠٠) دبابة و(١٠٠) عربة مدرعة نصف مجنزرة ونحو (٦٠) مدفعاً.**

**وكانت مهمة هذه المجموعة خلال المرحلة الأولى** من العمليات (وهي مرحلة اختراق خط الدفاع الأول عند الحدود) خرق دفاعات كل من الفرقة الفلسطينية العشرين في «خان يونس» والفرقة المصرية السابعة في «رفح»،

ثم الاندفاع بعد ذلك، لتحقيق أهداف المرحلة الثانية، نحو العمق العملياتي للفرقة في «العريش» من خلال اختراق مواقع «الشيخ زويد» و«ممر خروبة» التي تشكل امتداداً في العمق للفرقة المصرية السابعة، وذلك كجزء من أهداف المرحلة الثانية من العمليات، وهي اختراق خط الدفاع الثاني بسرعة قبل أن تتوفر الفرصة والوقت الكافي للقيادة المصرية كي تعيد توزيع قواتها فيه وتدفع إليه باحتياطياتها المدرعة والميكانيكية بعد أن تفيق من أثر الضربة الأولى. وبعد ذلك كان على قوة «تال» أن تنقسم إلى قسمين: أحدهما ثانوي يواصل الزحف على المحور الشمالي صوب «رمانه» و«القنطرة»، والآخر رئيسي يزحف جنوباً نحو «بير الحفن» ثم «جبل لبنى» ليشارك مجموعة «يوفه» في تدمير الفرقة الثالثة، ثم يزحف على المحور الأوسط تجاه «بير جفجافة» ليدمر الفرقة المدرعة الرابعة، وبذلك ينهي مهام المرحلة الثالثة، ويواصل الزحف بعد ذلك نحو القناة في مواجهة الإسماعيلية.

**ثانياً - مجموعة «شارون»: وكانت مؤلفة من لواء مدرع، ولواء مشاة، وكتيبة مظليين (هي الكتيبة الثالثة من اللواء المظلي الموجود ضمن قوات جافيش)، ومجموعة خاصة تضم كتيبة دبابات ووحدة استطلاع ووحدة مشاة ميكانيكية، و(٦) كتائب مدفعية، ووحدات مهندسين اقتحام. وتقدر قوة «شارون» بنحو ٢٠٠ دبابة و١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة و١٠٠ مدفع.**

**وكانت مهمة هذه القوة خلال المرحلة الأولى** من العمليات هي اختراق دفاعات «أم قطف - أبو عجيلة» التي تدافع عنها فرقة المشاة الثانية بحوالي نصف قوتها، وفي الوقت نفسه يجري تثبيت النصف الآخر من الفرقة في دفاعات «القسيمة» بوساطة لواء مدرع مستقل، إلى أن تنهي مجموعة «**شارون**» مهمة المرحلة الأولى وتقوم بعد ذلك في المرحلة الثانية، بمهاجمة دفاعات «القسيمة» من الشمال الغربي. وبعد تصفية هذه الدفاعات تندفع الوحدات المدرعة والميكانيكية من هذه القوة بسرعة نحو «نخل» على المحور الجنوبي لتقيم كميناً هناك لقوات «مجموعة الشاذلي» وفرقة المشاة

السادسة أثناء انسحابها المتوقع نحو «ممر متلا»، وبهذا تتم هذه القوة مهامها في المرحلة الثالثة من العمليات، ثم تشارك بعد ذلك في عمليات المطاردة الأخيرة نحو قناة السويس عبر ممري «متلا» و«الجدي» مع قوات مجموعة «يوفه»، وبذلك ينتهي دورها في المرحلة الرابعة والأخيرة من العمليات في سيناء.

**ثالثاً - مجموعة «يوفه»: وكانت مؤلفة من لوائين مدرعين فقط، بدون وحدات مشاة أو مدفعية مقطورة (كان بكل لواء كتيبة من المشاة الميكانيكية ومدفعية ذاتية الحركة، ومعظمها من النوع الفرنسي عيار ١٠٥مم المحمل على هيكل دبابة «أم أكس - ١٣»). ولقد حشد لواء من هذه المجموعة في المنطقة الواقعة بين «رفح» و«أبو عجيلة» على مسافة نحو ٣٠كيلو متر إلى الجنوب من مواقع «رفح» الدفاعية للقيام بزحف عبر وادي «الحريضين»، الذي كان عبارة عن مجرى ماء جاف ممتد بين كثبان الرمال غير الصالحة لسير الآليات، الممتدة من جنوب «رفح» حتى «أبو عجيلة»، وذلك لمهاجمة الموقع الدفاعي المصري في «بير الحفن»، في بداية المرحلة الثانية من العمليات التي تعقب اختراق مواقع «رفح» و«أبو عجيلة»، وصد الهجمات المعاكسة التي قد تحاول فرقة المشاة الثالثة القيام بها من منطقة «جبل لبنى» ضد قوات «تال» من الجنوب أو قوات «شارون» من الغرب. وكانت القيادة الإسرائيلية أثناء احتلالها سيناء عام ١٩٥٦ قد أرسلت جماعة استطلاع لدراسة طبيعة أرض هذا الوادي وتأكدت من إمكانية اجتيازه بعربات نصف مجنزرة بشيء من الصعوبة[١].**

**أما اللواء المدرع الثاني التابع لمجموعة «يوفه»** فقد حشد في مؤخرة «مجموعة **شارون**» وتقرر أن يبقى هناك حتى يتم اختراق دفاعات «أم قطف

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٧٩.

- أبو عجيلة»، ثم يندفع عبر هذه القوات، ويلتقي باللواء الأول الزاحف من اتجاه «بير الحفن» عند «جبل لبنى» ليستكملا تصفية الفرقة الثالثة، أي الخط الدفاعي الثاني، ثم يزحفا صوب «بير الحسنة» ليتقدما من هناك نحو «بير تمادا» و«ممر متلا» للمشاركة في تصفية الفرقة المدرعة الرابعة والقوات المنسحبة عبر «ممر متلا»، وبذلك ينهيان مهام المرحلة الثالثة من العمليات، وتزحف القوة بعد ذلك عبر ممري «الجدي» و«متلا» نحو قناة السويس في قطاعها الجنوبي، وبذلك ينهيان مهام المرحلة الرابعة والأخيرة من العمليات. وقدرت «مجموعة يوفه» هذه بنحو ٢٠٠ دبابة، و١٠٠ عربة مدرعة نصف مجنزرة.

**وبالإضافة إلى هذه المجموعات الرئيسية الثلاث التي ستركز** ضرباتها الأولى على المحورين الشمالي والأوسط، ثم تطوق المحور الجنوبي بمناورة اقتراب غير مباشر تستهدف القضاء على القوة الرئيسية المصرية هناك عن طريق قطع خطوط مواصلاتها وغلق طرق انسحابها، كان هناك لواء مدرع مستقل حشد أمام «القسيمة». وكانت مهمته المناورة دون التورط في قتال فعلي، وذلك لتثبيت قوات النصف الثاني من فرقة المشاة الثانية أثناء الهجوم على النصف الأول من الفرقة في «أبو عجيلة». كما كان هناك لواء مستقل مدعم حشد أمام «الكونتلا» لمشاغلة قوة «الشاذلي» المدرعة وفرقة المشاة السادسة الموجودة هناك إلى أن تصل قوات «**شارون**» إلى مؤخرتها عند «نخل»، ثم يقوم بمطاردة هذه القوات أثناء انسحابها عبر طريق «الكونتلا - التمد - نخل». وحشدت كتيبة مشاة معززة ببعض الوحدات الصغيرة الأخرى من «إيلات» لحمايتها أثناء العمليات الهجومية التي تجري بعيداً عنها. كما حشد لواء مشاة وكتيبة مظليين وكتيبة دبابات «أم أكس - ١٣» ووحدات مدفعية في مواجهة «قطاع غزة» (بخلاف قوات الدفاع المحلي الموجودة داخل المستعمرات الاثنتي عشرة القائمة هناك)، وذلك لمهاجمته خلال المرحلة الثانية من العمليات عقب اختراق دفاعات «خان يونس» بوساطة قوات مجموعة «تال».

و - سير العمليات الحربية:

سير العمليات بالقطاع الشمالي: اخترقت مجموعة ألوية «تال» المحور الشمالي في «خان يونس» و«رفح» وفقاً للخطة الموضوعة تقريباً (انظر رفح، معركة). ثم قامت كتيبة مدرعة من اللواء السابع المدرع (كانت تضم ١٧دبابة «سنتوريون» و٢ «باتون») بالتقدم من منطقة «الشيخ زويد» نحو «ممر خروبة»، حيث كان يوجد لواء مشاة مصري من قوات الاحتياطي، واقتحمت الممر في حوالي الساعة ٢,٣٠ من بعد ظهر يوم ٦/٥ وهي تسير على الطريق المعبد بالأسفلت بأقصى سرعة وتطلق دباباتها النار على المواقع الدفاعية. وقد وصلت بالفعل إلى مشارف «العريش» في حوالي الرابعة والنصف، وتوقفت بعيداً عنها نظراً لأنها كانت في حاجة إلى إمداد بالذخيرة والوقود وإصلاح الإعطاب التي لحقت بها، على حين أن المدافعين عن الممر أعادوا إغلاق الطريق مرة أخرى وعزلوا الكتيبة المذكورة عن بقية وحدات اللواء، التي توقفت على مقربة من مدخله الشرقي. وبعد ساعتين من اقتحام الكتيبة المدرعة المذكورة لممر خروبه وصل «غونين»، قائد اللواء المدرع السابع، إلى مقربة من الممر وأمر كتيبة دبابات «الباتون» التابعة له، والتي سبق لها أن اقتحمت دفاعات القطاع الشمالي في «رفح»، بمهاجمة دفاعات الممر من جهة اليسار أثناء مشاغلتها بالنيران من المواجهة، إلا أن الهجوم فشل ودمرت بعض الدبابات بنيران المدافع م/د وتعطلت بعضها بوساطة الألغام وقتل قائد الكتيبة وجرح ثلاثة قادة سرايا.

وبعد تمهيد مركز من نيران المدفعية وطائرات «فوغا ماجستر» اندفعت سرية دبابات «باتون» أخرى (كانت تقاتل في القطاع الجنوبي لدفاع رفح) بأقصى سرعة على الطريق وسط الممر وهي تطلق النار بغزارة، ثم توقفت بعض دباباتها على يسار الطريق داخل الممر بنحو ٢كلم، وأخذت

تطلق النار على مواقع المدافع المصرية من الخلف، ثم تابعت المسير مع بقية السرية إلى خارج الممر والتحقت بكتيبة «السنتوريون». وعندما وصلت السرية المذكورة إلى خارج الممر لم يكن لديها سوى ٧ دبابات كلها مصابة إصابات مختلفة. وإثر ذلك حاول «غونين» اجتياز الممر مع مجموعته القيادية وبعض الدبابات على أن تتبعه أرتال الإمداد والتموين، إلا أنه اضطر إلى التراجع لموقعه السابق بعد أن أطلق عليه المدافعون نيراناً حامية بعد أن أعادوا تنظيم أنفسهم للمرة الثانية. وقد حاول «تال» أن يدفع باللواء المدرع الآخر الذي لديه للزحف عبر الكثبان الرملية جنوب الممر إلا أنَّ نعومة الرمال حالت دون ذلك. وفي نهاية الأمر نظم «غونين» هجوماً تم في منتصف الليل بوساطة كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة له تساندها المدفعية برمي تمهيدي وقنابل مضيئة، وبعد قتال عنيف استمر (٤) ساعات أمكن للقوة الإسرائيلية أن تطهر المواقع الدفاعية في «ممر خروبة»، وبقيت فيها لضمان عدم إغلاقه مرة أخرى. وبدأت أرتال التموين تجتاز الممر وتصل إلى الدبابات المعزولة في غرب الممر عند مشارف «العريش».

**وفي حوالي الساعة السابعة من صباح يوم ٦/٦ استولت الدبابات المذكورة على مطار العريش بعد معركة قصيرة مع بعض الدبابات والمدافع م/ط الموجودة حوله.** وهكذا أمكن لمجموعة ألوية «تال» أن تصل إلى عمق نحو ٦٠كلم خلال نحو ٢٤ ساعة فقط، وانفتح لها طريق التقدم على المحور الشمالي نحو «رمانه» و«بالوظه» و«القنطرة شرق»، وأيضاً نحو المحور الأوسط عبر الطريق العرضي الممتد من العريش إلى كل من «أبو عجيلة» و«جبل لبنى»، ولكن ذلك كان يتطلب اختراق دفاعات «بير الحفن» التي كانت تشتبك معها من الجنوب وقتئذ وحدات من اللواء المدرع التابع لمجموعة ألوية «يوفه» الذي زحف عبر وادي «الحريضين» خلال اليوم السابق وقطع الطريق المذكور واعترض تقدم وحدات فرقة المشاة الميكانيكية

الثالثة من «جبل النبي» إلى «العريش». وهذا وقد تم احتلال قطاع غزة خلال هذه الأثناء بعد قتال عنيف في «خان يونس» وقصف مدفعي في غزة.

**عمليات مجموعة «يوفه»: حشد العميد «أبراهام يوفه» فرقته في منطقة العوجة بالقرب من فرقة «شارون»، ووضع خطته على أساس قيام أحد لوائيه بالاقتراب عبر «وادي الحريضين» الواقع إلى الشمال من «أم قطف» و«أبو عجيلة» وسط بحر الرمال الممتد حتى الساحل الشمالي عند «العريش» و«ممر خروبة»، وهو عبارة عن مجرى جاف ممتد بين كثبان الرمال وغير صالح لسير الآليات بحشود كبيرة، وغير صالح لسير الدبابات وفقاً لتقديرات القيادة المصرية، ولذلك لم يكن هناك سوى مفرزة استطلاع مصرية صغيرة في سيارات تابعة لسلاح الحدود عند مدخل الوادي، وسرية مشاة تدعمها بعض المدافع المضادة للدبابات عند نهاية الوادي قرب طريق «أبو عجيلة - العريش»، وكان على هذا اللواء المدرع أن يشاغل موقع «بير الحفن» من الجنوب إلى أن تهاجمه قوات «تال» من الشمال، ويصد في الوقت نفسه زحف أية قوات من الفرقة المصرية الثالثة تتقدم من ناحية «جبل لبنى»، وذلك إلى أن تتم فرقة شارون اختراق موقع «أم قطف - أبو عجيلة»، فيقوم اللواء المدرع الآخر باجتياز طريق «العوجة - أبو عجيلة» ليلتقي باللواء الأول ويكملان معاً مهمة تدمير الفرقة الثالثة ثم يتقدمان جنوباً نحو «بير تمادا».**

**وقد بدأ اللواء الأول زحفه عبر الحدود من منطقة العوجة في العاشرة (التاسعة بتوقيت إسرائيل من صباح يوم ٥ حزيران (يونيو)**، وتقدم على الطريق الممتد من العوجة إلى رفح، ثم انحرف غرباً داخل وادي الحريضين، فانسحبت مفرزة الاستطلاع المصرية مسرعة، ولكن اللواء واجه صعوبة جديدة في السير داخل الوادي، وقد اشتبكت طلائع اللواء مع سرية المشاة المصرية التي كانت ترابط عند مخرج وادي الحريضين على مسافة نحو

١٦كلم من طريق «العريش - أبو عجيلة» في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر. وبعد تبادل قصير للنيران انسحبت السرية المصرية، ولم تستطع المدرعات الإسرائيلية مواصلة التقدم فوراً نظراً لصعوبة اجتياز الرمال الناعمة في المنطقة، ولذلك لم تصل طلائع اللواء المدرع المذكور الذي كان يقوده العقيد «إيسكا» إلى الطريق إلا في حوالي السادسة مساء، أي بعد (٩) ساعات من بدء تقدمه عند الحدود، وقطع خلالها (٥٠) كلم فقط.

**وكانت النقطة التي قطع اللواء المدرع الإسرائيلي** فيها طريق «العريش - أبو عجيلة» تبعد نحو ١,٥ كلم عن تقاطع «بير الحفن»، حيث يلتقي طريق «العريش ـ أبو عجيلة» بالطريق المؤدي إلى «جبل لبنى». وقد تعرضت إحدى كتائب اللواء، وكانت تضم ٢٤ دبابة سنتوريون، لنيران مدفعية موقع «بير الحفن» وهي في طريقها لقطع الطريق المؤدي إلى «جبل لبنى» لاعتراض تقدم أية قوات من فرقة المشاة المصرية الثالثة، واشتبكت الكتيبة هناك مع موقع رادار مصري مقام فوق تل، وتدافع عنه سرية مشاة مدعمة ببعض المدافع المضادة للطائرات، وتمكنت من احتلاله بعد معركة عنيفة استمرت نحو ثلاثة أرباع الساعة، ثم اتخذت لنفسها موقعاً على طريق جبل لبنى وهي تناور لتجانب قذائف مدفعية موقع «بير الحفن» التي كانت تبعد نحو ٢٧٠٠متر. وعند هبوط الظلام توقف القصف المدفعي المصري، وتقدمت كتيبة الدبابات الثانية ولحقت بالأولى تتبعها بقية وحدات اللواء من المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة.

**ونظراً للصعوبات التي كانت مجموعة «شارون» تواجهها** في «أبو عجيلة»، فقد طلب من «يوفه» أن يرسل كتيبة دبابات لتعاون كتيبة «السنتوريون» التي التفت إلى مؤخرة «أبو عجيلة»، وتحركت كتيبة من لواء «أيسكا» نحو «أبو عجيلة» في الساعة الثانية عشرة مساء. وبعد ذلك بقليل لاحت على الطريق القادم من «جبل لبنى» أنوار قافلة طويلة من الدبابات والعربات المدرعة المصرية، فأطلقت عليها كتيبة الدبابات الإسرائيلية الكامنة

قرب الطريق النار وأصابت بعض دباباتها مستخدمة أضواءها الكاشفة التي سرعان ما اجتذبت إليها نيران الدبابات المصرية.

**ودار اشتباك بالنيران طوال الليل بين الدبابات الإسرائيلية والمصرية،** التي فوجئت بوجود الإسرائيليين في هذا المكان، ولذلك ترددت القوة المصرية في مهاجمة الكتيبة المدرعة الإسرائيلية لأنها كانت تجهل حقيقة قوتها، واستدعى قائد اللواء المدرع الإسرائيلي كتيبته الثانية المتوجهة إلى «أبو عجيلة» خشية قيام المدرعات المصرية بهجوم عند الفجر، خاصة وأنه كان يعتقد أنها تتألف من لوائين مدرعين تابعين لفرقة المدرعة الرابعة، إلا أنه عندما بدأ ضوء النهار بكشف مواقع القوة المصرية اتضح أنها تتألف من نحو ٦٥ دبابة تسع منها تشتعل فيها النيران (الأرجح أنها كانت المجموعة المدرعة التابعة لفرقة المشاة الثالثة)، ومع ضوء النهار بدأت مدفعية موقع «بير الحفن» قصفها مرة أخرى ضد الدبابات الإسرائيلية، كما تجدد الاشتباك بين الدبابات المصرية والإسرائيلية، إلا أن موقع «بير الحفن» اضطر بعد ذلك لوقف الرمي المدفعي بسبب الهجوم عليه من الشمال بوساطة اللواء المدرع السابع التابع لمجموعة «تال» الذي استولى على «العريش» عند الفجر، ثم استنجد «إيسكا»، قائد اللواء المدرع الإسرائيلي المشتبك مع مدرعات الفرقة المصرية الثالثة بالطيران لتدمير المدرعات المصرية، وقد ظهرت طائرات «الميستير» في سماء المعركة حوالي الساعة السادسة صباحاً ولكن المدافع المضادة للطائرات الموجودة مع المدرعات المصرية أتاحت لها دفاعاً جوياً جيداً، واستطاعت أن تسقط طائرة «ميستير».

**وفي حوالي الحادية عشرة صباحاً، انسحبت القوة المصرية** نحو مواقعها الأصلية في «جبل لبنى»، دون أن تحاول القوة الإسرائيلية مطاردتها لأنها كانت بحاجة إلى التزود بالوقود، وفي هذا الوقت كان اللواء المدرع السابع التابع لمجموعة «تال» قد اقتحم دفاعات «بير الحفن» وانضم إلى لواء «إيسكا» عند مفرق طرق «جبل لبنى - أبو عجيلة» عند الظهر تقريباً، وفي

حوالي الساعة الخامسة من بعد الظهر وصل اللواءان المدرعان إلى مشارف منطقة «جبل لبنى» حيث اصطدما بمقاومة عنيفة من مجموعة مدرعة تضم دبابات «ت ٥٤، ٥٥» وقانصات «س يو ١٠٠» محتمية داخل حفر لا تظهر سوى مدافعها وقد أوقعت هذه المجموعة عدة خسائر بالدبابات الإسرائيلية وأجبرتها على التراجع بعيداً عن مرمى نيرانيها.

**وبقيت المدرعات الإسرائيلية طوال ليلة ٥ - ٦ متوقفة عن التقدم،** وتزودت بالوقود خلال الليل وكانت الدبابات المصرية تطلق عليها النار من حيث لآخر. وبعد ظهر اليوم الثاني للقتال (١٩٦٧/٦/٦م) علمت القيادة الإسرائيلية بصدور أمر الانسحاب العام الصادر من القيادة المصرية العليا، ودفعها ذلك إلى الإسراع بدفع ألويتها المدرعة والميكانيكية على محاور سيناء، خاصة المحور الأوسط والطرق المؤدية منه إلى المحور الجنوبي لتغلق ممري «الجدي» و«متلا» في وجه القوات المنسحبة على المحور المذكور.

**مرحلة المطاردة على المحورين الأوسط والشمالي: قبل أن تصل معلومات قرار الانسحاب المصري العام إلى القيادة الإسرائيلية، كانت القوة الإسرائيلية لمجموعة «تال» لا تزال موجودة في «العريش» (باستثناء اللواء المدرع السابع الذي كان متوقفاً في منطقة جبل لبنى) ولديها أوامر بالبقاء هناك إلى أن يتضح موقف معركة «القدس» على الجبهة الأردنية التي كانت تثير بعض القلق لدى القيادة العليا الإسرائيلية، ولكن بمجرد علم القيادة المذكورة بقرار الانسحاب المصري أصدرت أوامرها لمجموعة «تال» بأن تركز قواها لتزحف بسرعة على المحور الأوسط بهدف احتلال «بير جفجافة» للحيلولة دون إمكان إقامة خط دفاعي مصري أخير في سيناء هناك وفي الممرات الموازية لها جنوباً («الجدي» و«متلا») وأن تدفع قوة ثانية على المحور الشمالي بهدف الوصول إلى «القنطرة» شرق. وقد تشكلت القوة المذكورة من وحدة الاستطلاع الخاصة باللواء المدرع السابع**

**وسرية دبابات خفيفة و(٦) مدافع ذاتية الحركة. وقد تحركت هذه القوات من «العريش» في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء يوم ٥/٦.**

**وعند الفجر قام اللواء المدرع السابع واللواء المدرع** الآخر التابع لمجموعة «يوفه» بمهاجمة الموقع الدفاعي المصري عند «جبل لبنى» في حركة كماشة حول الجناحين، بعد أن قدم لهما الطيران دعماً قريباً مكثفاً، مما اضطر المدرعات المصرية إلى الانسحاب غرباً. وإثر ذلك اتجه لواء مجموعة «يوفه» نحو الجنوب الغربي للاستيلاء على «بيرالحسنة»، على حين تقدم اللواء المدرع السابع على المحور الأوسط قاصداً مطار «بير الحمة» الذي يبعد نحو ٣٢كلم إلى الغرب من «جبل لبنى» والذي كانت تدافع عنه قوة من فرقة المشاة الثالثة المشاة تدعمها بعض الدبابات «ت - ٣٤» وقانصات الدبابات «س يو - ١٠٠»، وعدد من المدافع، وقبل أن تشتبك مع القوة المذكورة طلب قائد اللواء دعماً جوياً قريباً ترتب عليه تسهيل اقتحام الدبابات للمطار بعد معركة استغرقت نصف ساعة انسحبت بعدها القوة المصرية. وواصلت المدرعات الإسرائيلية بعد ذلك تقدمها على المحور الأوسط نحو «بير روض سالم» التي تبعد نحو ٤٠كلم إلى الغرب من «بير الحمة»، واستولت عليها بعد اشتباك قصير مع بعض الدبابات المصرية «ت - ٥٥»، وإثر ذلك تلقت المدرعات الإسرائيلية هناك وقود أو ذخيرة أسقطت إليها بالمظلات لتواصل تقدمها السريع دون انتظار لقوافل سيارات الإمداد والتموين[1].

**وفي هذه الأثناء لحق بقيادة المجموعة «جبل لبنى» اللواء المدرع الآخر** التابع لمجموعة «تال»، والذي كان متورطاً في الكثبان الرملية إلى الجنوب من ممر خروبة، فأصدر«تال» له أمراً بمتابعة التقدم نحو«بير

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨١.

جفجافة»، على حين يقوم اللواء المدرع السابع بالتزود بالوقود ثم يزحف وراءه ليستكمل تطهير المواقع الدفاعية التي لم تصف مقاومتها.

**واشتبك اللواء المدرع الإسرائيلي الزاحف نحو «بير جفجافة»** بموقع رادار كان مقاماً على تل شمال الطريق قرب مطار بير جفجافة في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر (**يوم ١٩٦٧/٦/٧م**)، ثم بدأت كتيبة مدرعة منه بالالتفاف حول المواقع المصرية من الشمال، على حين بقيت كتيبة مدرعة ثانية تهاجمها من المواجهة شمال الطريق، وفي هذه الأثناء هاجمت طائرات «الميغ» المصرية الدبابات الإسرائيلية وألحقت بها بعض الخسائر، وكذلك ألحقت بها الدبابات المصرية عدة خسائر أخرى، وقد تصدت طائرات «سوبر ميستير» إسرائيلية للطائرات المصرية ولكنها فشلت في ذلك وسقطت منها واحدة في خلال الاشتباك مع الطائرات المصرية. وفي حوالي الساعة ٦مساء اليوم نفسه كانت هناك قوة مدرعة وميكانيكية مصرية كبيرة من الفرقة المدرعة المصرية الرابعة تتقدم من منطقة «بيرتماده» نحو الطريق الأوسط في طريقها للانسحاب إلى الإسماعيلية، متجنبة المرور بمفرق الطرق عند «بير جفجافة» الذي كانت تشرف عليه نيران كتيبة دبابات «أم أكس ١٣»، ولذلك أمر «تال» عناصر اللواء المدرع السابع الموجودة معه بمهاجمة القوة المصرية المذكورة من جناحها الشرقي، وإثر ذلك تقدمت هذه العناصر المؤلفة من كتيبة دبابات «باتون» وسرية من «السنتوريون» للقيام بهذا الهجوم، ولكن معظم القوة المصرية كانت قد وصلت إلى الطريق الأوسط والأرض القريبة منه قبل أن تبدأ الدبابات الإسرائيلية في إطلاق النار، ودارت معركة دبابات عنيفة بين الطرفين استمرت ساعتين حتى حل الظلام، وكانت نتيجة المعركة متعادلة إذ تكبدت المدرعات الإسرائيلية خسائر مماثلة تقريباً للخسائر المصرية لتي بلغت ١٢دبابة «ت - ٥٥» و١٢عربة مدرعة ناقلة جنود مصفحة، كما تدخل الطيران المصري أيضاً خلال هذه المعركة، وعند

الغسق شنت المدرعات المصرية هجوماً معاكساً أجبر كتيبة «الباتون» على الانسحاب والإفساح في مجال حركة الآليات والمدرعات المصرية القادمة من «بير تمادا».

**وفي حوالي الساعة الرابعة صباحاً تعرضت كتيبة دبابات «أم أكس - ١١» المرابطة على مقربة من مفرق طرق «بير جفجافة - بير تمادا»** لهجوم مدرع معاكس قامت به قوة من الدبابات «ت - ٥٥» (المزودة بأجهزة رؤية ليلية)، أسفر عن تدمير ٧دبابات و٤عربات نصف مجنزرة وقتل عدد كبير من جنودها، وعلى إثر ذلك انسحبت الكتيبة الإسرائيلية المدرعة بسرعة لمسافة ٣ كيلو مترات تقريباً. ولحقت بها بعض دبابات كتيبة «سوبر شيرمان» لمساعدتها في وقف الهجوم المصري، ولكن الدبابات المصرية لم تواصل هجومها، وتوقفت في مواقعها لصد الهجوم الإسرائيلي. وكانت هذه المواقع تشكل سلسلة من المراكز الدفاعية الميدانية المعدة بسرعة التي تمتد على جانبي الطريق قرب «بير جفجافة» لعمق نحو ٧ كلم، وتدعمها نحو ١٠٠دبابة. وقبل الفجر بقليل تسللت كتيبة «أم أكس - ١٣» إلى مقربة من موقعها القديم مرة أخرى، وتهيأ اللواء المدرع السابع للهجوم بعد أن تزود بالوقود، كما كانت كتيبة «السوبر شيرمان» تقف قريباً من مفرق «الطرق». وفي الساعات الأولى من **النهار** (٦/٨) نشب قتال عنيف بين المدرعات الإسرائيلية المهاجمة والمدرعات المصرية المدافعة، وكانت دبابات «الباتون» خلال هذا الهجوم تلتف إلى مؤخرة المواقع المصرية عبر الكثبان الرملية التي كانت القيادة المصرية تعتقد أنها غير صالحة لسير الدبابات.

**وقد تم الهجوم على كل موقع على حدة، وكانت تدعمه دائماً الهجمات الجوية القريبة المركزة، وكانت المقاومة عنيفة بصورة جعلت اللواء المدرع السابع يتقدم ٥ كلم خلال ٦ساعات**، وعند الغسق انهار التنظيم الدفاعي المصري وتدفقت الدبابات والمركبات منسحبة بسرعة نحو الإسماعيلية وهي

تتعرض لقصف جوي عنيف كثر فيه النابالم. وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع الآخر يطهر المواقع الدفاعية الموجودة في مطار ومعسكر «بير جفجافة».

**وبدأ إثر ذلك سباق الدبابات الإسرائيلية نحو قناة السويس، ولم تصادف هذه الدبابات مقاومة جدية إلا** عند نقطة تبعد نحو ٣كلم من القناة حيث كانت توجد سرية مشاة و٤دبابات تدافع عن تقاطع طرق استطاعت أن توقف الدبابات الإسرائيلية بعض الوقت. وعند الفجر كانت قوات «تال» تواجه الإسماعيلية، واتصلت وحدات الاستطلاع التابعة له بالقوة الزاحفة على المحور الشمالي والتي وصلت إلى القنطرة شرق في العاشرة من صباح يوم الخامس للحرب (**١٩٦٧/٦/٩م**). ولم تواجه القوة الزاحفة على المحور الشمالي أية مقاومة فعالة لأن القوات المصرية كانت تنسحب بسرعة ومن دون نظام، ولذلك وصلت القوة المذكورة إلى «رمانة» عند غروب اليوم الثالث بعد أن تعرضت لهجوم جوي مصري، وهناك تزودت بالوقود الذي ألقي إليها بالمظلات من طائرة النقل.

**وفي الثامنة من صباح اليوم التالي اشتبكت القوة مع قوة من جنود الصاعقة تدعمهم ٢٠ دبابة «ت - ٥٥» ولكنها استطاعت أن تواصل تقدمها مرة أخرى بعد انسحاب القوة المصرية**، ثم واجهت مقاومة عنيفة من موقع دفاعي آخر يبعد نحو ١٩كلم عن «القنطرة شرق». فاضطرت إلى التوقف حتى وصلت إليها تعزيزات ضمت كتيبة مظليين ميكانيكية وسرية دبابات «باتون»، وقامت «الباتون» بهجوم على الموقع المصري الذي سمح لها بالدخول وسط دفاعاته ثم أغلق عليها الطريق مطلقاً عليها صواريخ «سنابر» المضادة للدبابات مصيباً العديد منها، وحاولت وحدات الاستطلاع اختراق حلقة الحصار إلا أنها اضطرت للتراجع بسرعة سبب شدة خسائر في الرجال وعربات الجيب، كما حاولت سرية دبابات «أم أكس - ١٣» الالتفاف حول الموقع الدفاعي وتورطت داخل الكثبان الرملية وتعطلت عن الحركة. وهاجمت الطائرات المصرية القوة

الإسرائيلية وألحقت بها بعض الخسائر التي خففت منها سرعة تدخل الطيران الإسرائيلي وسيطرته على سماء المعركة.

**وفي حوالي الساعة ١٢,٣٠ حاولت كتيبة المظليين اقتحام الموقع الدفاعي المصري تحت حماية دعم جوي مركز،** إلا أنها فشلت وردت على أعقابها ومعها قائدها جريحاً، وإثر ذلك ركز الطيران الإسرائيلية هجماته على الموقع المصري مدمراً دباباته واحدة تلو الأخرى في سلسلة من الغارات حتى الساعة السابعة الرابعة بعد الظهر، حيث قام المظليون بهجوم آخر واحتلوا الموقع بعد انسحاب القوة المصرية منه، وأمضت القوة الإسرائيلية ساعتين بعد ذلك في انتشال الدبابات والمركبات من الكثبان الرملية ثم واصلت التقدم نحو «القنطرة»، حيث أصبحت على مسافة ٦كلم تقريباً منها حوالي السادسة مساء، وهناك هوجمت بوساطة قوة مصرية صغيرة مؤلفة من مظليين محمولين في عربات مدرعة تدعمهم بعض الدبابات، ودارت معركة استمرت نحو ساعة حتى الغسق ثم انسحبت القوة المصرية، ودخلت القوة الإسرائيلية مدينة القنطرة شرق في حوالي الساعة التاسعة مساء فوجدتها خالية. وإثر ذلك زحفت القوة جنوباً، بعد أن تركت سريتين من المظليين وسرية «باتون»، واقتربت خلال الليل من جسر «الفردان» الذي يمر فوقه خط سكة الحديد المؤدي إلى «العريش» و«رفح»، وهناك اصطدمت بموقع دفاعي مصري كان يحمي طريق الاقتراب من الجسر ليمكن القوات المنسحبة من عبور القناة، وتوقفت القوة تراقب الموقع طوال الليل ثم هاجمته عند الفجر بعد أن أمنت دعماً جوياً قريباً، ووصلت إلى مواجهة الجسر الذي كان قد فتح وسط القناة بوساطة المصريين بعد انسحابهم، وهناك تعرضت لنيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات من الضفة الغربية لقناة السويس (وكذلك كان الحال في القنطرة شرق) إلى أن التقت بقوة «تال» في التاسعة من صباح **يوم ١٩٦٧/٦/٩م**[١].

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٢.

**عملية مجموعة «شارون»: استطاعت مجموعة ألوية «شارون» اقتحام دفاعات «أم قطف» واحتلال «أبوعجيلة»، وعزل قوات «القسيمة» خلال هذه المعركة، وفقاً للمخطط الموضوع، باستثناء أن فاعلية المظليين الذين أنزلوا بطائرات الهليكوبتر قرب مواقع المدفعية المصرية لتدمير أكبر عدد ممكن منها كانت أقل مما كان متوقعاً لها عند التخطيط للعملية. وقد انتهت معركة «أبو عجيلة» بصورة رئيسية في الساعة التاسعة من صباح يوم ٦/٦ (انظر أبو عجيلة، معركة). وعقب انتهاء المعركة الرئيسية تقدم اللواء المدرع ومعه «شارون» إلى الجنوب تجاه «القسيمة» مخلفاً وراءه لواء المشاة والمدفعية لاستكمال تطهير المواقع المصرية في «أم قطف» و«أم شيحان» و«المعسكر»، إلا أن «شارون» أمضى ليلة ٦ - ٧حزيران (يونيو) في موقع إلى الجنوب من «أم قطف»، ولم يحاول مهاجمة حامية «القسيمة» من المؤخرة (كانت تضم النصف الآخر من فرقة المشاة الثانية ومؤلفة من لواء المشاة ومجموعة مدرعة ولواء مدفعية).**

**وعند الفجر تحرك اللواء المدرع الذي كان محتشداً في مواجهة دفاعات «القسيمة» من جهة الشرق على مقربة من جبلي «الصبحة» لتثبيت حاميتها أثناء معركة أبو عجيلة**، وتقدم عبر الحدود تسبقه هجمات جوية مركزة على مواقع «القسيمة» التي لم ترد على الغارات الجوية المتكررة بطلقة واحدة،نظراً لأن قواتها كانت قد انسحبت خلال الليل (تنفيذاً لأمر الانسحاب العام الصادر من القيادة العليا المصرية في اليوم السابق) بعد أن دفنت في الرمال ١٢دبابة «ستالين - ٣» و٣٠دبابة «ت - ٣٤» وعدداً من المدافع والعربات الأخرى حتى لا تلفت ضجة محركاتها انتباه العدو لعملية الانسحاب المفاجئ الجارية (لم تعثر القوات الإسرائيلية على هذا العتاد إلا بعد عدة أسابيع عندما كشفت الريح بعض الرمال التي كانت تغطيه). وقد تقدمت وحدات اللواء المدرع المذكور، في شكل كماشة تزحف بحذر وسط حقول الألغام نحو «القسيمة» التي تبعد نحو ١٦ كلم من الحدود، والتقى طرفا

الكماشة عند البلدة المذكورة حوالي الساعة العاشرة صباحاً **يوم ٦/٧** لتجد أنها قد أطبقت على مواقع خالية تماماً من القوات.

**وإثر ذلك واصل لواء «شارون» تقدمه نحو «نخل» بهدف تطويق مجموعة «الشاذلي» المدرعة**، متخذاً أثناء سيره شكل ثلاثة أرتال متوازية. وفي خلال الليل واصل اللواء المدرع تقدمه مضيئاً أنوار الدبابات والآليات، واصطدم بنيران موقع دفاعي لأحد ألوية فرقة المشاة السادسة عند جبل «كريم» على بعد نحو ٣٢كلم إلى الشمال الشرقي من «نخل»، فأصيبت بعض الآليات كما تورطت أخرى داخل حقل ألغام، وقرر «**شارون**» الانتظار في مكانه حتى بزوغ ضوء النهار. وفي هذه الليلة كانت آخر عناصر مجموعة الشاذلي قد أتمت انسحابها غرباً نحو «بير تمادا» دون أن يشعر بها لواء «**شارون**».

**وفي فجر يوم ٦/٨ وجد «شارون» الموقع المصري** خالياً تقريباً من القوات التي انسحبت خلال الليل نحو «ممر متلا» تاركة وراءها بعض الدبابات، فواصل تقدمه دون قتال نحو «نخل».

**وفي هذه الأثناء كان آخر ألوية فرقة المشاة السادسة قد انسحب من «الكونتلا» خلال الليل**.وعند الفجر تابع اللواء المدرع الإسرائيلي الذي كان يقف إلى الشرق منها لحماية الالتفاف حول «إيلات» في حركة الانسحاب هذه، تسانده الطائرات الإسرائيلية التي أخذت تهاجم آليات اللواء المصري المنسحب بصورة متواصلة. وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر وصل اللواء الإسرائيلي الزاحف من «الكونتلا» إلى «التمد»، ووجد بعض المواقع الدفاعية المصرية هناك، فطلب دعماً جوياً قريباً، ثم واصل تقدمه بعد انسحاب العناصر المصرية من هذه المواقع. وفي ذلك الوقت كان «**شارون**» قد دفع كتيبة دبابات «سوبر شيرمان» إلى الشرق من «نخل» لتقطع الطريق هناك، ثم هاجم بكتيبة دبابات «سنتوريون» وكتيبة المشاة الميكانيكية جناح اللواء

المصري المنحسب من «التمد» عند «نخل»، حيث دارت معركة استمرت نحو ساعة حسمتها الطائرات الإسرائيلية، ولكن أعمال تطهير بعض جيوب المقاومة استمرت بمعاونة الطائرات طوال ساعات بعض الظهر، وفي السادسة مساء أرسل «**شارون**» كتيبة دبابات السنتوريون نحو «ممر متلا»، وعند الغسق لحقت بها قوات اللواء الزاحف من «التمد».

**أما مجموعة «يوفه» فقد تحرك لواؤها المدرع، الذي شارك اللواء المدرع السابع في معركة جبل لبنى**، نحو «بير حسنة» في حوالي الساعة التاسعة من **صباح يوم ١٩٦٧/٦/٧م**، ولم يصادف في زحفه أية مقاومة تقريباً. واختلطت الدبابات الإسرائيلية في عديد من المرات بالمركبات والدبابات المصرية المنسحبة بسرعة نحو «بير تمادا»، وكان يجري تبادل إطلاق نار فوضوي بين الطرفين المهاجم والمنسحب، يؤدي في معظم الحالات إلى اتجاه الدبابات المصرية نحو الصحراء المفتوحة على جانبي الطريق. وفي حوالي الساعة ١٣,٠٠ ظهراً وصل اللواء المدرع المذكور إلى «بير الحسنة» واحتلها بعد مقاومة قصيرة، والتقى هناك إثر ذلك مباشر باللواء المدرع الثاني التابع للمجموعة، والذي كان قد زحف عبر قوات «**شارون**» إثر احتلالها لموقف «أم قطف». وواصل اللواء الأول زحفه نحو «بير تمادا» في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ومعه نحو ٢٠ دبابة فقط، نظراً لأن بقية دبابات اللوائين كانت نافذة الوقود، ولم تصادف الدبابات مقاومة في «بير تمادا»، وعثرت هناك على مستودع وقود مهجور فتزودت بالوقود وواصلت تقدمها بسرعة نحو «ممر متلا» الذي وصلته حوالي الساعة السادسة مساء، حيث لم تجد هناك عند «نصب باركر» أي مواقع دفاعية مصرية. وكانت القوة الإسرائيلية التي وصلت إلى النصب المذكور قد تقلصت، نتيجة لنقص الوقود، إلى ٩ دبابات فقط، أربع منها تقطرها الدبابات الأخرى نظراً لنفاذ وقودها.

**وفي السادسة والنصف مساء وصل رتل مصري آخر من الفرقة المصرية السادسة من اتجاه «نخل»** فأطلقت عليه الدبابات الإسرائيلية النار، إلا أنها لم تصب من آلياته نظراً لبعد المسافة، ولذلك واصل الرتل انسحابه داخل الممر، ولكنه تعرض في اللحظات الأخيرة من النهار لقصف جوي مركز استخدم فيه النابالم والصواريخ والقنابل شديدة الانفجار. وقامت بعض دبابات اللواء المدرع الإسرائيلي بدفع بعض الآليات والدبابات المصرية المهجورة إلى مدخل الممر لتضييق طريق المرور، وأتمت عملها هذا حوالي الثامنة مساء.

**وفي خلال الليل وصلت بعض الدبابات الإسرائيلية الأخرى، التي تزودت بالوقود من معسكر مصري** صغير مهجور يبعد نحو ٢٢ كلم، إلى الشمال من «متلا». وأدى نقص الوقود وقلة عدد الدبابات العاملة لدى مجموعة «يوفه» في هذه الليلة إلى عدم إغلاق «ممر الجدي» القريب من «بير تمادا» ونجاح كثير من الآليات المصرية في الانسحاب عبره نحو قناة السويس.

**وفي فجر يوم ٦/٨ كان أحد لوائي مجموعة «يوفه» قد أتم تجمعه عند المدخل الشرقي لممر متلا**، على حين كان اللواء الآخر محتشداً عند «بير تمادا» قرب المدخل الشرقي للمر الجدي. وقد تلقى «يوفه» معلومات من القيادة الجنوبية تفيد أن هناك هجوماً مضاداً مصرياً يجري غرب ممر متلا، فقام بدفع كتيبة سنتوريون (باستثناء سرية تركها عند المدخل الشرقي للممر لحراسة مؤخرته)، وعبر الممر بأقصى سرعة ممكنة وسط حطام الآليات المصرية التي دمرتها الطائرات حتى وصل إلى المدخل الغربي للممر تأهباً لصد الهجوم المصري. ولكن الهجوم المنتظر لم يحدث، نظراً لأن الهجمات الجوية الإسرائيلية أدت إلى تدمير معظم آليات القوة المصرية في الأرض المكشوفة الواقعة بين القناة ومدخل ممر متلا الغربي.

**وفي الوقت نفسه وصلت كتيبة «السنتوريون» التابعة لمجموعة «شارون» وحلت محل السرية التابعة ليوفه عند المدخل الشرقي للممر،** على حين كانت الكتيبة الثانية من لواء «يوفه» تزحف نحو «رأس سدر» عبر الطريق المتفرع جنوب «ممر متلا» لتدعم سرية مظليين هبطت بالهيلكوبتر هناك حيث واجهت مقاومة مصرية عنيفة استمرت لعدة ساعات. وفي حوالي الساعة ١٣,٣٠ تمكنت كتيبة الدبابات •وكانت سنتوريون أيضاً) أن تحتل «رأس سدر» ووقع في الأسر حوالي ١٠٠ جندي مصري من المشاة الذين ثبتوا أمام المظليين منذ الفجر.

**وفي الوقت نفسه تقدم اللواء الثاني التابع ليوفه عبر ممر الجدي عند الظهر، حيث اشتبك في قتال عنيف مع نحو ٣٠دبابة مصرية «ت٥٤، ٥٥»** استطاعت أن توقفه عن التقدم، خاصة وأن بعض الطائرات المصرية ساندتها خلال المعركة، ولم تستطع الدبابات الإسرائيلية الوصول إلى المدخل الغربي للمر إلا عند الغسق بعد أن تدخل الطيران الإسرائيلي وأبعد الطائرات المصرية ودمر العديد من الدبابات. وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلة ٨ - ٦/٩، وصلت بعض دبابات «يوفه» إلى القناة في ثلاث نقاط تحسباً لصدور قرار وقف إطلاق النار من مجلس الأمن، حتى تثبت وجودها عند القناة وفي مواجهة مدينة السويس مباشرة. وقد قدرت خسائر القوات المصرية في الأفراد بنحو ١٠آلاف جندي قتلوا أو فقدوا بالإضافة لنحو ١٥٠٠ ضابط و٤٠طياراً، كما فقد نحو ٨٠% من أعتدة الجيش المصري، من بينها نحو ٨٠٠ دبابة وقانص، وحوالي ٤٥٠ مدفعاً ونحو ١٠ آلاف مركبة من مختلف الأنواع(١). وتقول المصادر الإسرائيلية إنَّ خسائرها في سيناء بلغت ٢٧٥ قتيلاً و٨٠٠ جريحاً و٣ طيارين وقعوا في الأسر فضلاً عن تدمير ٦١ دبابة.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٠٦.

## خامساً - الحرب على الجبهة الشرقية:

### آ - توزيع القوات الأردنية المسلحة :

**كانت القوات الأردنية الموجودة في الضفة الغربية من نهر الأردن تتألف من ٦ألوية مشاة ولوائين مدرعين**. وكان توزيعها في صباح يوم **٥حزيران (يونيو) ١٩٦٧م** على النحو التالي:

١ - لواء المشاة ٢٥ مع كتيبة دبابات «م٤٧» في منطقة جنين.

٢ - لواء مشاة «الأميرة عالية» في منطقة نابلس وطولكرم وقلقيلية.

٣ - لواء مشاة «اللواء الهاشمي» في منطقة رام الله.

٤ - لواء مشاة «علي بن أبي طالب» في منطقة القدس.

٥ - لواء مشاة «حطين» في منطقة الخليل.

٦ - لواء المشاة ٢٧ بين أريحا والقدس.

٧ - اللواء المدرع ٦٠في منطقة «الخان الأحمر» غرب أريحا.

٨ - اللواء المدرع ٤في منطقة جسر دامية.

كما كان هناك لواء مشاة آخر في الضفة الشرقية موزعاً بين عمان والعقبة، ولواء الحرس الملكي في عمان.

**وبالإضافة إلى القوات الأردنية، فقد كان على الجبهة الشرقية قوات عربية (عراقية ومصرية وسعودية وسورية)**. وكانت القوة العراقية عبارة عن لواء مشاة ميكانيكي متمركز في «المفرق» ثم توجه إلى جسر دامية بعد ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو). وكانت القوة المصرية تضم كتيبتي صاعقة (مغاومير) وصلتا إلى مطار عمان **يوم ٣ حزيران (يونيو)** ألحقت إحداهما بلواء المشاة ٢٥ في جنين، وألحقت الثانية باللواء الهاشمي في منطقة رام الله أما القوة السعودية فكانت تضم لواء مشاة غير كامل، وصلت طلائعه يوم

٦حزيران (يونيو) إلى المدورة وبقي هناك دون أن يشترك في الحرب، ولقد وصل لواء مدرع سوري (اللواء المدرع ١٧) إلى الأراضي الأردنية مساء يوم ٧ حزيران ( يونيو ) ولم يشترك في القتال الذي دار على الجبهة الأردنية(١).

**وكان كل من اللوائين المدرعين الأردنيين يتألف من كتيبتي دبابات، في كل منهما نحو ٤٠دبابة**، وكتيبة مشاة ميكانيكية والوحدات المساعدة الأخرى وتقدر قوة المدرعات الأردنية بنحو ٢٠٠ دبابة معظمها من طراز «باتون» «م-٤٧» و«م - ٤٨» بالإضافة لعدد من دبابات «السنتوريون»، ونحو ٢٥٠ ناقلة جنود مدرعة معظمها من طراز«م - ١١٣» الأمريكية، كما كان لدى الجيش الأردني نحو ٢٠٠ مدفع ميدان معظمها عيار ٢٥ رطل بريطاني، وبعض المدافع الأمريكية. أما المدافع المضادة للدبابات فكانت من عيار ١٧ رطل بريطاني و١٠٦ مم عديمة الارتداد.

**وأدى امتداد الجبهة الأردنية (نحو ٦٥٠ كلم) إلى ضعف كثافة القوات الأردنية الموزعة دفاعياً على طول المواجهة**، وبالتالي سهل على القوات الإسرائيلية التي أخذت المبادرة الهجومية أن تحشد قواها الرئيسية على محاور تقدم معينة، فتحققت لها نسبة تفوق محلية عالية للغاية، وبالقياس إلى النسبة العامة للتفوق بين إجمالي القوات الأردنية المقاتلة في الضفة الغربية والقوات الإسرائيلية المعدة للهجوم على الجبهة الأردنية، والتي بلغت في جملتها ٣ألوية مدرعة وكتيبة دبابات مستقلة على الأقل، و٤ألوية مشاة، ولواء مظلي ميكانيكي، بالإضافة لوحدات الناحال والدفاع الإقليمي. أي أن النسبة العامة لعلاقات القوى بين الطرفين كانت متساوية تقريباً في وحدات المشاة (٦ ألوية أردنية مقابل ٥ ألوية إسرائيلية) وفي المدرعات كانت الوحدات

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٤.

الإسرائيلية متفوقة بنسبة ٣: ٢تقريباً، أما في المدفعية فإن العلاقة بين القوة غير معروفة بدقة، نظراً لعدم توفر معلومات كافية عن وحدات المدفعية الإسرائيلية التي استخدمت في الجبهة الأردنية. وفي مجال الطيران كان التفوق مطلقاً للجانب الإسرائيلي، خاصة بعد أن دمرت جميع طائرات السلاح الجوي الأردني (٣٢ طائرة هوكر هنتر) في مطاري «عمان» و«المفرق» **ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو)**»، بعد أن قامت بعضها بعدة غارات على المطارات الإسرائيلية ناتانيا وبتاح تكفا وسكرين)، ودمرت ٤ طائرات نقل على الأرض في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً.

**وقد أدت بعثرة الألوية الأردنية على طول الجبهة وافتقاد قيادة الجيش الأردني إلى أية خطة هجومية ضد إسرائيل، (على الرّغم من وجود نتوءات من أرض الضفة الغربية** تشكل نقاط انطلاق هجومية ممتازة من الناحية الجغرافية (مثل نتوء قلقيلية الذي يبعد عن شاطئ البحر المتوسط بنحو ١٥ كلم فقط ويقع في وسط المنطقة الحيوية من الأرض المحتلة)، إلى ضعف الدفاع الأردني في كل مكان تقريباً، خاصة وأن الأردنيين لم يعدو مسبقاً موانع هندسية وحقول ألغام كثيفة على المحاور الرئيسية للتقدم الإسرائيلي المحتمل، والتي كانت تجتاز عديداً من نقاط الاختناق بين التلال والجبال المنتشرة في الضفة الغربية. وساعد عدم وجود أي تنظيم للمقاومة الشعبية الفلسطينية على تسهيل الزحف الإسرائيلي عبر هذه المحاور (على خلاف الحال في قطاع غزة) والاستيلاء على مدن وقرى المنطقة.

**ب - خطة الهجوم الإسرائيلي على الضفة الغربية:**

**قامت الخطة الإسرائيلية في احتلال الضفة الغربية ومدينة القدس القديمة على أساس توجيه ضربة رئيسية إلى شمال القدس للسيطرة على سلسلة التلال الحيوية الموجودة هناك، والتي تسهل عملية تطويق المدينة**

**والإشراف على طرق المواصلات التي تربطها بالأردن، كماتفتح طريق التقدم شمالاً نحو نابلس عبر محور «رام الله». واتخذت هذه الضربة شكل شعب ثلاث للتقدم، واحدة من منطقة «الشيخ عبد العزيز» نحو «النبي صموئيل». وثانية تتجه نحو تل الرادار ثم تزحف شرقاً نحو «النبي صموئيل» أيضاً حيث تلتقي بالشعبة الأولى ويزحفان معاً شرقاً إلى «بيت حنينا» ليقطعا طريق «القدس - رام الله» ويتوزعا إلى قوتين: واحدة تتجه جنوباً نحو جبل سكوبس شمال القدس مباشرة والأخرى تتجه شمالاً نحو «رام الله». أما الشعبة الثالثة للضربة المذكورة فقد حددت لانطلاقها منطقة «اللطرون»، ثم تزحف شرقاً نحو «رام الله» حيث تلتقي هناك بالقوة الزاحفة من «بيت حنينا». ومن «رام الله» تتجه قوة شمالاً نحو نابلس، وتتجه قوة أخرى إلى الجنوب الشرقي نحو «أريحا» الواقعة بين «القدس» ونهر الأردن. وفي الوقت نفسه كان على قوة إسرائيلية أن تطوق القدس من الجنوب بعد الاستيلاء على قرية «صور باهر»، ثم تقتحم المدينة من جهة الشرق(١).**

**وقد أسندت هذه المهام القتالية إلى قيادة الجبهة الوسطى التي شكلت مجموعة قتالية ضمت لواء مدرعاً ولواء مظلياً** (كان من المفروض أن يحتل العريش بعملية إنزال جوي ثم ألغيت العملية نظراً لسرعة استيلاء قوات تال عليها) و٣ألوية مشاة، وخضعت هذه المجموعة لقيادة قائد المنطقة الوسطى العميد «ناركيس». وقد عهد ناركيس للواء المدرع بقيادة «يورى بن آرى» (القائد السابق للواء السابع المدرع الذي استدعي من الاحتياط عشية الحرب) باحتلال «تل الرادار» و«الشيخ عبد العزيز» وقطع طريق «القدس - رام الله»، على أن يقوم اللواء المظلي ولواء مشاة آخر من مجندي القدس الجديدة،

---

(١) مجموعة من الباحثين الروس، الحروب العربية - الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٢٠٥-٢٠٧.

بتنفيذ المهام القتالية حول المدينة وداخلها بالتعاون مع اللواء المدرع وكتيبة دبابات «شيرمان» مساندة للواء المشاة. أما منطقة «اللطرون» فقد عهد بها إلى لواء المشاة ميكانيكي. وفي القطاع الشمالي من الضفة الغربية، حيث توجد مدن «نابلس» و«جنين» و«طولكرم» وبلدة «قلقيلية»، فقد عهدت القيادة الإسرائيلية إلى مجموعة العنيد «العادبيليد» بمهام القضاء على القوات الأردنية الرئيسية الموجودة هناك، واحتلال هذا القطاع، والوصول إلى نهر الأردن. وكانت هذه المجموعة تتألف من لوائين مدرعين تابعين للقيادة الشمالية أصلاً، ولوائي مشاة: أحدهما من القيادة الشمالية أيضاً والآخر من القيادة الوسطى، فضلاً عن كتيبة دبابات مستقلة ووحدات مساندة أخرى تضم: كتيبة استطلاع مدرعة، و٣ كتائب مدفعية، وكتيبة هندسة، و٨ كتائب ناحال، و٣ حاميات دفاع إقليمي.

**ووضعت الخطة الإسرائيلية على أساس توجيه ضربتين أساسيتين بلوائي المدرعات غرب جنين وشرقها،** على أن تتقدم الأولى من الشمالي الغربي لجنين نحو قرية «اليامون»، ثم تتجة شرقاً حتى تقطع طريق «جنين - نابلس» وتهاجم جنين من الجنوب عبر سهل عرابه، ويقود الثانية اللواء المدرع الثاني الذي يتقدم من شمال جنين على طريق «عفولة»، ثم يتجه شرقاً إلى قرية «دير أبو ضعيف» ثم جنوباً إلى قرية «جلقموس» و«تلفيت» ثم قرية «الزبابدة» حيث يقطع طريق«طوباس - قباطيا - جنين». وهناك يتجه رتل آخر جنوباً نحو «طوباس» و«نابلس»، وفي الوقت نفسه يزحف لواء مشاة ميكانيكي نحو «جنين» مباشرة عن طريق «حيفا». كما خطط لتوجيه ضربة ثالثة إلى الغرب من «جنين» بوساطة كتيبة دبابات وقوة من المشاة الميكانيكية من اتجاه «سيلة الحارثة» و«يعبد» بهدف قطع طريق «جنين - نابلس» عند «عرابه» ثم التقدم جنوباً نحو «سيلة الظهر» ثم مهاجمة «نابلس» من الغرب، وبذلك يتم تطويق تابلس من الشمال بوساطة المدرعات الزاحفة

من «طوباس» ومن الجنوب بوساطة قوة مدرعة من لواء «بن آرى» تزحف من «رام الله» ومن الغرب كما سبقت الإشارة.

**وكانت جميع الضربات الثلاث المذكورة تقع في قطاع لواء** المشاة الأردني ٢٥ الذي كانت تعززه سريتا دبابات باتون من الكتيبة المدرعة ١٢.

**ولقد خطط العدو أيضاً لتوجيه ضربتين ثانويتين** بوساطة لواء مشاة (من المنطقة الوسطى) ضد «قلقيلية» و«طولكروم»، تعززهما سريتا دبابات شيرمان، أي في قطاع لواء «الأميرة عالية» ثم تزحف الوحدات المهاجمة على هذين المحورين نحو نابلس أيضاً كما خطط بالإضافة إلى ذلك هجوماً مخادعاً تقوم به وحدة مشاة من اتجاه «بيسان» قرب نهر الأردن في اتجاه جسر «دامية».

**جـ - معارك الجبهة الشرقية:**

**١ - معركة القدس: هاجم العدو مدينة القدس في ٦/٥ (انظر القدس، معارك). وفي الوقت الذي كانت به معركة القدس محتدمة،كان لواء مشاة إسرائيلي تدعمه وحدة من دبابات «شيرمان» يهاجم ممر باب الواد الضيق ومركز شرطة اللطرون المحصن، ولقد تم الاستيلاء عليهما في صباح اليوم التالي، ٦ حزيران (يونيو)، وبعد ظهر اليوم نفسه، تقدمت وحدة استطلاع اللواء جنوباً على طريق رام الله، واستولت على مطار القدس (مطار قلنديا)، على حين اشتركت بقية وحدات اللواء مع كتيبي دبابات من اللواء المدرع الذي يقوده «بن آرى» مساء اليوم نفسه في معركة القدس[1].**

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٦.

**٢ - معركة جنين: كانت وحدات لواء المشاة ٢٥ الأردني موزعة شمالي جنين لتحمي طرق الاقتراب منها، خاصة محور عفولة الواقع إلى الشمال الشرقي والذي يمر عبر أرض سهلية، وتعززها سريتا دبابات باتون «م - ٤٧» تابعة لكتيبة الدبابات ١٢ وزعتا على محاور التقدم الثلاثة: محور «حيفا - جنين»، ومحور «عين السهلة - يعبد»، ومحور «زرعين - جنين». وقد فتحت المدفعية والدبابات الأردنية النار على الأهداف الإسرائيلية المواجهة لها، ومنها مطار «رامات دافيد» الواقع إلى الغرب من جنين، منذ الساعة العاشرة من صباح ٥حزيران (يونيو) لمدة ساعتين تقريباً. وفي الخامسة مساء بدأ اللواء المدرع الإسرائيلي التابع لمجموعة «بيليد» هجومه على قطاع جنين من الشمال الغربي نحو قرية اليامون بوساطة كتيبة دبابات «شيرمان» وكتيبة مشاة ميكانيكية (تنقصها سرية) ووحدة استطلاع. وفي الوقت نفسه كانت كتيبة دبابات أخرى ومعها سرية مشاة ميكانيكية (أي بقية اللواء المدرع) تهاجم من اتجاه «سيلة الحارثة» نحو قرية «يعبد» إلى الغرب من جنين، كما كان الهجوم المخادع الذي قامت به وحدة مشاة إسرائيلية من اتجاه «بيسان» نحو «جسر دامية» قد بدأ في حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر وحقق تقدماً على الضفة الغربية لنهر الأردن بلغ نحو ١٦كلم حتى حلول الظلام.وتوقفت القوة الإسرائيلية عن مواصلة التقدم بعد أن تبادلت بعض الطلقات مع وحدة أردنية صغيرة كانت تحرس حدود هذه المنطقة.**

**وقد وصلت المدرعات الإسرائيلية التي هاجمت قرية اليافون** بعد حلول الظلام إلى طريق، جنين - نابلس، وأخذت تتقدم نحو جنين من الجنوب عبر سهل عرابه بعد أن واجهت مقاومة أردنية محدودة، ثم توقفت لإعادة التنظيم. أما القوة المدرعة الإسرائيلية الأخرى التي تقدمت نحو قرية يعبد فقد واجهت مقاومة من قوة أردنية صغيرة قاتلت بشدة حتى تم اجتياحها عملياً، ثم توقفت على بُعد ٦ كلم من القرية عند حلول الظلام. وكانت المدفعية

والطائرات الإسرائيلية تقدم في جميع هذه العمليات الهجومية الإسرائيلية دعماً قوياً بالنيران للمدرعات المهاجمة.

وفي حوالي الساعة الثالثة من بعد منتصف ليلة ٥ – ٦ حزيران (يونيو) بدأت كتيبة الدبابات الإسرائيلية التي تدعمها غالبية كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة للواء المدرع،والتي سبق لها أن توقفت في سهل عرابه، هجومها نحو جنين، إلا أنها اصطدمت بمواقع دفاعية أردنية بها نحو كتيبة مشاة، و١٥ دبابة «باتون م ٤٧» كانت مختفية داخل أشجار الزيتون، ففشل الهجوم، ودمرت بعض الدبابات والآليات الإسرائيلية. وشنت المدرعات الإسرائيلية هجوماً ثانياً إلا أنه فشل أيضاً، وبدأت الدبابات الإسرائيلية تنسحب عند بزوغ الفجر، فقامت الدبابات الأردنية بمطاردتها إلا أنها تعرضت لقصف جوي معادٍ، وتكبدت خسائر شديدة تمثلت في إصابة ٨دبابات. وبعد ذلك عاودت المدرعات الإسرائيلية ومشاتها الميكانيكية الهجوم وأمكن صدها عدة مرات بنيران المدافع المضادة للدبابات، إلا أنها استطاعت اختراق الدفاعات الأردنية في حوالي الساعة السابعة من **صباح ٦ حزيران (يونيو)**، وأخذت تهاجم جنين نفسها، حيث دارت بعض معارك الشوارع خاصة عند مركز الشرطة المحصن، استمرت حتى السابعة والنصف صباحاً، وسقطت جنين إثر ذلك في أيدي القوات الإسرائيلية التي هاجمت المدينة من الشمال أيضاً عند الفجر عبر طريق حيفا بلواء مشاة ميكانيكي وكانت جميع الدبابات الأردنية التابعة للكتيبة المدرعة ١٢ قد دمرت عند سقوط المدينة.

**٣ - معارك اللواء المدرع الأردني ٤٠: كان هذا اللواء يتكون من كتيبتي الدبابات الثانية والرابعة (لديهما معاً حوالي ٩٠دبابة «باتون م - ٤٨»).**

وكتيبة المشاة الميكانيكية الأولى (محمولة على عربات مدرعة م - ١١٣) وكتيبة المدافع ذاتية الحركة الثامنة. وكان اللواء المدرع المذكور

محتشداً عند بدء القتال في منطقة جسر دامية. وقد أمره الفريق عبد المنعم رياض ظهر يوم ٥ حزيران (يونيو) بالتوجه نحو أريحا لكي يحل محل اللواء المدرع الأردني ٦٠ الذي أُمر بالزحف إلى «الخليل» لمواجهة احتمال وقوع هجوم مدرع إسرائيلي من منطقة «بئر السبع»، أو الاشتراك في هجوم مضاد نحوها للالتقاء بمجموعة الشاذلي المدرعة حال قيامها بهجومها عبر الكونتلا نحو «بئر السبع» لتطويق «ايلات». ولقد رأى الفريق رياض أنه من الضروري أن يحل محل اللواء المدرع ٤٠ في جسر دامية اللواء الميكانيكي الثامن العراقي الذي كان قد وصل إلى منطقة المفرق قرب الحدود الأردنية - العراقية. وقد وصل اللواء المدرع ٤٠ إلى «أريحا» وأراد مواصلة التقدم خلال الليل نحو منطقة «الخان الأحمر» إلا أن طيران العدو هاجمه أثناء تحركه، وعدل اللواء عن مواصلة تقدمه بعد تلقيه أمراً جديداً بالتحرك إلى قطاع «جنين» لصد هجوم العدو هناك في الساعة الثامنة من مساء **يوم ٥ حزيران (يونيو)**. وبدأ اللواء في التحرك من «أريحا» في حوالي الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم نفسه، وقد انقسم إلى رتلين: الرتل الأول ويتألف من الكتيبة المدرعة الرابعة ومعها قيادة اللواء وغالبية كتيبة المشاة الميكانيكية الأولى وبطاريتا مدفعية ذاتية الحركة، فقد تقدم على طريق «طوباس - جنين» في اتجاه مفترق قباطيا. أما الرتل الثاني، ويتألف من الكتيبة المدرعة الثانية وسرية مشاة ميكانيكية وبطارية مدفعية ذاتية الحركة، فقد تقدم على طريق «نابلس - دير شرف» في اتجاه مفترق «عرابة». وعند وصول الرتل المدرع المتقدم على طريق «طوباس - جنين» إلى قرية «الزبابدة»، انقسم إلى قوتين: ضمت القوى الأولى سريتي دبابات وسرية مشاة ميكانيكية. ولقد واصلت هذه القوة تقدمها حتى مفترق «قباطيا»، وضمت القوة الثانية سرية دبابات وسريتي مشاة ميكانيكية وبطاريتي مدفعية ذاتية الحركة ولقد بقيت هذه القوة في منطقة قرية «الزبابدة» لصد هجوم اللواء المدرع الإسرائيلي الآخر المتقدم نحو قريتي «جلقموس و«تلفيت».

**٤ - معركة قباطيا: وصلت سريتا دبابات الكتيبة الرابعة ومعها سرية مشاة ميكانيكية إلى مفترق «قباطيا» في حوالي الساعة ٤,٣٠ من صباح ٦٧/٦/٦، وهاجمت سرية دبابات إسرائيلية كانت هناك وأنزلت بها خسائر فادحة اضطرتها للانسحاب نحو جنين، وفي حوالي ٧,٣٠ من الصباح المذكور، كانت المدرعات الأردنية قد استكملت سيطرتها على المفترق، ولكنها توقفت عن مواصلة التقدم نظراً لحاجاتها إلى إعادة التزود بالوقود والذخيرة، ولذلك أخذ قائد الكتيبة يرسل دباباته إلى المؤخرة القريبة واحدة تلو الأخرى لا تمام هذه المهمة، الأمر الذي أتاح لقائد اللواء المدرع الإسرائيلي في «جنين» أن يحشد قواته ويتقدم بها نحو مفترق «قباطيا» لمهاجمة القوة الأردنية.**

**وفي حوالي الحادية عشرة من صباح اليوم نفسه** تقدمت الدبابات الإسرائيلية نحو مفترق «قباطيا» فتراجعت الدبابات الأردنية أمامها وانتشرت في الحقول والتلال الواقعة في جنوب سهل عرابه، وتبعتها الدبابات والآليات الإسرائيلية حيث وقعت في كمين من نيران «الباتون» الأردنية، نتج عنه تدمير وإصابة نحو ٣٠ مركبة مدرعة إسرائيلية، من بينها ١٧ دبابة «شيرمان». وإثر ذلك شنت المدرعات الإسرائيلية هجوماً آخر لتتمكن من سحب آلياتها المعطلة وجرحاها، ولكن الهجوم الثاني فشل أيضاً، ولذلك قامت الطائرات الإسرائيلية بشن غارتين بعد ظهر اليوم نفسه لتمكين رجال المدرعات من سحب آلياتهم المصابة، وعند حلول الظلام كان الموقف التكتيكي سيئاً بالنسبة للإسرائيليين الذين كانوا منتشرين في الوادي على حين كانت المدرعات الأردنية لا تزال مسيطرة على المفترق والوادي من التلال المشرفة عليه، وتوقف القتال خلال الليل. **وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع الإسرائيلي الثاني (ضمن مجموعة بيليد)** قد اخترق الحدود عند فجر **يوم ٦٧/٦/٦** إلى الغرب من جبل «جلبوع»، وقد اصطدم بموقع دفاعي

أردني مجهز ببعض المدافع المضادة للدبابات قرب قرية «أبو ضعيف»،حيث أصيبت بعض الدبابات الإسرائيلية في محاولة اقتحامها الأولى الفاشلة، ثم وجهت نيران المدفعية والطيران إلى الموقع المذكور على حين هاجمته الدبابات من الجناح ونجحت في اختراقه. وفي حوالي الساعة ١٠,١٥ من صباح اليوم نفسه كان اللواء المدرع الإسرائيلي قد استولى على قريتي «جلقموس و«تلفيت» ثم تقدم نحو قريتي «الكفير» و«الزبابدة»، وفي «الكفير» اشتبك في معركة عنيفة مع السرية المدرعة الثالثة الأردنية التابعة للكتيبة الرابعة والتي تركت لحماية مؤخراتها في قرية «الزبابدة». وقد أسفر الاشتباك عن إصابة ٣ دبابات سنتوريون إسرائيلية، وتراجع الباقي إلى الخلف بعض الشيء، واستمر تبادل إطلاق النار بين الدبابات الأردنية المحتمية في مواقع جيدة الإعداد، والدبابات الإسرائيلية المكشوفة، حتى حلول الظلام، دون أن يحرز اللواء المدرع الإسرائيلي أي تقدم جديد[١].

**انسحاب اللواء المدرع ٤٠: ولكن قائد اللواء المدرع ٤٠ الأردني بات يشعر بحرج موقفه في «قباطيا» من جراء تهديد اللواء المدرع الإسرائيلي الآخر لقرية «الزبابدة» التي سيترتب على سقوطها قطع خط انسحاب بقية الكتيبة المدرعة الرابعة. ولذلك قرر الانسحاب من «قباطيا»، وبدأت الكتيبة تنفيذ أوامر الانسحاب في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ٦/٦، بعد أن كانت قد فقدت عشر دبابات نتيجة القصف الجوي المعادي، بالإضافة للدبابات الأربع التي كانت قد فقدتها خلال قتال الدبابات، وعندما وصلت إلى قرية «الزبابدة» أصيبت دبابتان أخريتان، ثم شاركت في القتال الدائر عند «الكفير» بالتعاون مع سرية الدبابات الثالثة التابعة لها والتي كانت لا تزال توقف تقدم اللواء المدرع الإسرائيلي الثاني، حيث ركّز**

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٨.

**الطيران الإسرائيلي ضرباته طوال ساعات المساء وخلال الليل أيضاً، ونتج عن ذلك تدمير ٥ دبابات أخرى و ٦ ناقلات من كتيبة المشاة الميكانيكية، كما دمر عدد من شاحنات الوقود والذخيرة وهي في طريقها لإمداد اللواء المدرع بحاجاته، ولذلك أصبح لدى كل دبابة خلال ليلة ٦-٧ عدد قليل من القنابل لا يتجاوز ٦ قنابل بالمدفع الرئيسي وقليل من ذخيرة الرشاشات، ولذلك سحبت القوة المدرعة الأردنية المتبقية إلى «سد عقابة» خلال ليلة ٦-٧، وقد واصلت بقايا سريتي الدبابات التي كانت أصلاً في «قباطيا» انسحابها حتى وصلت إلى الصفة الشرقية لنهر الأردن. وكان فيها ٨ دبابات فقط، أما السرية المدرعة الثالثة وبقايا سرية المشاة الميكانيكية التي كانت تقاتل أصلاً في «الكفير»، فقد توقفت في «سد عقابة» لعرقلة تقدم المدرعات الإسرائيلية التي هاجمتها هناك في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٦-٧، ولكنها لم تنجح في اختراق مواقعها، ولذلك قامت المدفعية الإسرائيلية بقصف المواقع الأردنية المذكورة في الساعة الرابعة من صباح ٦/٧. واستمر القصف لمدة ١٥ دقيقة، وأعقبه عند طلوع الضوء قصف جوي، وفي الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة بدأت المدرعات الإسرائيلية هجومها. ولكنها لم تواجه أية مقاومة نظراً لانسحاب المدرعات الأردنية المتبقية إلى الصفة الشرقية عبر جسر دامية. وعلى إثر ذلك أعادت المدرعات الإسرائيلية تنظيم صفوفها وتقدمت نحو «طوباس»، ثم اتجهت سريتا دبابات منها نحو جسر دامية فبلغته في الساعة العاشرة من صباح ٧ حزيران (يونيو».**

**وفي الوقت نفسه كانت وحدات أخرى من المشاة الإسرائيلية تعززها** وحدات من دبابات «الشيرمان» قد استولت على كل من قلقيلية وطولكرم، خلال المعارك الرئيسية التي كان اللواء المدرع ٤٠ منشغلاً بها عند جنين ونابلس، ولقد جوبه الإسرائيليون خلال احتلال المدينتين بمقاومة أردنية محدودة ومقاومة فلسطينية عنيفة أبدتها قوة صغيرة من رجال المقاومة

الشعبية في «طولكرم» على الرّغم من انسحاب الحامية الأردنية من البلدة قبل اقتحام الإسرائيليين لها بعدة ساعات.

**٥ - معركة «عرابة»: وصلت الكتيبة المدرعة الثانية الأردنية ومعها سرية مشاة ميكانيكية، وبطارية مدفعية ذاتية الحركة، إلى مفترق «عرابة» في حوالي الساعة السادسة من صباح يوم ٦٧/٦/٦، وسيطرت فوراً على المفترق، متخذة لنفسها مواقع دفاعية حوله، بحيث كانت هناك سرية دبابات قرب المفترق، وسرية أخرى قرب سهل عرابة والسرية الثالثة أبقيت كاحتياطي على مفترق «صانور» على مسافة ٨ كم إلى الجنوب من مفترق «عرابة»، وكانت مهمتها مواجهة احتمال وقوع هجوم إسرائيلي من اتجاه «سهل صانور» أو من اتجاه «عرابة» نو خط «قباطيا». وفي هذه الأثناء كان الرتل المدرع الإسرائيلي الزاحف نحو قرية «يعبد» قد استولى عليها فجر يوم ٦/٦ بعد قتال عنيف مع قوة أردنية من المشاة كانت تحمي التل ٣٣٤ المشرف على القرية انتهى في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة ٥-٦، ثم تقدم نحو طريق نابلس - جنين حيث اصطدم مع سرية الدبابات «باتون» الأردنية قرب مفترق «عرابة». وحاولت المدرعات الإسرائيلية عبر ثلاث هجمات أن تخترق الدفاع الأردني إلا أنها صدت عن التقدم في كل مرة، وأصيب عديد من معدات العدو من بينها ٣ دبابات «شيرمان»، مما اضطر الرتل المدرع الإسرائيلي إلى التوقف عن التقدم بقية اليوم وطوال ليلة ٦-٧، ولم تخسر الكتيبة المدرعة الثانية خلال قتال يوم ٦/٦ المذكور سوى ٤ دبابات. إلا أن صدور أمر الانسحاب العام وبدء تنفيذه بالنسبة للكتيبة المدرعة الرابعة عند «قباطيا» في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم ٦/٦ أدى إلى صدور أمر من قيادة اللواء المدرع ٤٠ إلى قائد الكتيبة المدرعة الثانية بالانسحاب هو الآخر من مفترق «عرابة» إلى قرية»سيلة الظهر»[١].**

---

(١) مجموعة من الباحثين السوفييت، الحروب العربية - الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٢٣١.

**وفي الساعة الثامنة من مساء يوم ٦/٦ أتمت الكتيبة انسحابها** واحتلت مواقع جديدة عند القرية المذكورة. وفي حوالي الساعة الثامنة من صباح يوم ٦/٧ اشتبكت إحدى سرايا الكتيبة بالرتل المدرع الإسرائيلي المتقدم من «عرابه»، ودمرت دبابتين إسرائيليتين وأجبرت الباقي على التوقف.

**ثم صدر أمر جديد للكتيبة بالانسحاب إلى المشارف الغربية لمدينة «نابلس»**، ووصلت غالبية الكتيبة إلى قرية «دير شرف» في حوالي الساعة التاسعة والنصف من الصباح نفسه، بعد أن فقدت ٦ دبابات نتيجة للهجمات الجوية الإسرائيلية التي تعرضت لها خلال الانسحاب. وفي قرية «دير شرف» أبقت الكتيبة سرية واحدة كحرس مؤخرة وواصلت انسحابها نحو «نابلس» حيث اصطدمت فجأة مع قوة من الدبابات الإسرائيلية كانت قد دخلت المدينة من الجهة الشرقية (جزء من اللواء المدرع الذي كان يهاجم الكفير والزبابدة نجح في الوصول إلى نابلس من الشرق بعد انسحاب الكتيبة المدرعة الرابعة) وفقدت ٥ دبابات نتيجة لذلك الاشتباك المفاجئ، كما أصيب عدد آخر من الدبابات الأردنية في كرم الزيتون غربي نابلس بوساطة طيران العدو، وهنا شعر قائد الكتيبة بخطورة موقفه، فحاول الاندفاع عبر أحد مداخل المدينة، إلا أن دبابته أصيبت إصابة مباشرة وقتل جميع من كانوا فيها، وإثر ذلك تولى نائبه القيادة واستمر في الاشتباك مع طيران العدو ومدرعاته المهاجمة من الشمال والجنوب حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم نفسه، ثم أمر رجاله بتدمير الدبابات بوساطة القنابل اليدوية، بعد أن نفذت الذخيرة والوقود، ثم الانسحاب سيراً على الأقدام عبر المرتفعات نحو الضفة الشرقية للأردن. ويبدو أن عمليات التخريب المطلوبة للدبابات لم تكن ناجحة بالقدر الكافي، إذ عثرت القوات الإسرائيلية على ١٥ دبابة «باتون» أردنية سليمة في الممر الجبلي الضيق عربي نابلس، فضلاً عن ٢٣ دبابة أخرى وجدت معطلة قرب قرية «سبسطيه».

**٦ - تحركات اللواء المدرع ٦٠: تعرض اللواء المدرع ٦٠ الأردني لقصف الطائرات الإسرائيلية أثناء الزحف من «أريحا» إلى «الخليل» تنفيذاً لأوامر الفريق عبد المنعم رياض الأولى، وكذلك خلال انسحابه مرة أخرى إلى «أريحا» عندما فهمت القيادة الأردنية حقيقة ثقل الهجوم الإسرائيلي في الضفة الغربية، وتركزه قرب «جنين» في الشمال، وقد حاولت قوة إسرائيلية تابعة لمجموعة «ناركيس» في منطقة القدس (كانت تضم كتيبة مشاة وسرية دبابات «شيرمان») أن تقطع طريق «بيت لحم - القدس» قرب قرية «صور باهر» فجر يوم ٦ حزيران (يونيو)، وأن تحول دون انسحاب بقيةاللواء المدرع (٦٠)، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها، واستطاعت وحدات اللواء الأردني المذكور أن تصل إلى«أريحا» مرة أخرى، حيث اشتبكت بعد ظهر يوم ٧ حزيران (يونيو) مع وحدة الاستطلاع التي تقدمت زحف كتيبتي دبابات إسرائيلية تابعتين للواء المدرع الذي اشترك في معركة القدس واستولى على رام الله، أي لواء العقيد «بن أرى».**

**وقد انتشرت الدبابات الإسرائيلية فور إطلاق الدبابات الأردنية النار** على وحدة الاستطلاع المقتربة من «أريحا»، وقام الطيران الإسرائيلي على الفور بتقديم الدعم القريب بنيرانه، ثم التفت الدبابات الإسرائيلية حول «أريحا» بحركة كماشة، واندفعت وحدة دبابات منها إلى داخل المدينة وهي تطلق نيران مدافعها بعد أن انسحبت مدرعات اللواء المدرع الأردني ٦٠ إلى الضفة الشرقية، وهكذا سقطت «أريحا» بيد القوات الإسرائيلية في حوالي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٧ حزيران (يونيو).

**لقد كانت سيطرة الطيران الإسرائيلي على الأجواء** بشكل مطلق، وعدم امتلاك المدرعات الأردنية لأسلحة متطورة مضادة للطائرات ومضادة للدبابات، هما السببان الرئيسيان لاندحار المدرعات الأردنية أمام المدرعات

والقوات الإسرائيلية التي حققت في الضفة الغربية انتصارات لا تستحقها، ولا يسمح بها ميزان القوى البري، وقدرت الخسائر في الجانب الأردني بنحو ٦٠٩٤ قتيلاً ومفقوداً و ٧٩٢ جريحاً و ٤٦٣ أسيراً، فضلاً عن نحو ١٥٠ دبابة «باتون» و ٢٥ دبابة «سنتوريون» وحوالي ١٥٠ مدفعاً. أما الإسرائيليون فيقولون إنهم خسروا على الجبهة الأردنية ٣٠٢ قتيلاً و ١٤٥٣ جريحاً فضلاً عن تدمير أو إعطاب نحو ١٠٠ دبابة. هذا وقد فقدت كتيبتا المغاوير (الصاعقة) المصريتان في عمليتهما اللتين جرتا في عمق الأراضي المحتلة بالقرب من مطار «اللد» ومن مدينة «الرملة» نحو ٤٠ قتيلاً و ٤٠ أسيراً من مجموع قوتهما البالغ عددها ٢٤٠ جندياً[(١)].

## سادساً - الحرب على الجبهة السورية:

### آ - توزيع القوات السورية المسلحة:

**كان للقيادة السورية عشية بدء القتال خمسة ألوية مشاة،** ولواءا مشاة ميكانيكيان، ولواءان مدرعان، جرى توزيعها على النحو التالي:

لواء المشاة ٨٠ في القطاع الأوسط، ولواء المشاة ١٩ في القطاع الجنوبي، ولواء المشاة ١٢٣ في منطقة مسعدة في عمق القطاع الشمالي، ولواء المشاة ٩٠ شمالي القنيطرة، ولواء المشاة ٣٢ (ميكانيكي على الأرجح) جنوبي القنيطرة في منطقة البطمية، واللواء المدرع ٧٠ غربي القنيطرة على المحور الأوسط. وكان اللواء المدرع ١٧، واللواء المشاة الميكانيكي ٢٥ في الاحتياطي العام شرقي القنيطرة.

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٨٩.

**وكان لدى كل لواء مشاة كتيبة من دبابات «ت ٣٤»** وقانصات الدبابات «س يو - ١٠٠»، كما كانت هناك نحو ٣٠ دبابة من دبابات «الفهد» الألمانية القديمة موزعة في مواقع ثابتة (معظمها في القطاع الشمالي) كمدافع مضادة للدبابات، وبلغت جملة المدرعات السورية في الجولان نحو ٢٦٠ دبابة وقانصاً، وجملة المدفعية المساندة للقوات نحو ٢٦٥ مدفعاً من عيار ١٢٢ مم، و١٥٢ مم، و ١٣٠ مم، ونحو ١٠٠ مدفع مضاد للطائرات. وكانت هذه القوات، خاصة الموجودة منها في الخط الدفاعي الأمامي، موزعة داخل مواقع محصنة، تضم خنادق ومنعات للرمي وملاجئ تحت الأرض مشيدة بالإسمنت المسلح، ومراكز قيادة محمية تماماً ضد قصف الطائرات والمدفعية والقصف الكيماوي، وتحيط بالمواقع أسلاك شائكة وحقول ألغام وموانع أخرى ضد الدبابات.

**ولم تكن كثافة القوات في الخط الأمامي كافية** لتحقيق سيطرة قوية على طول الخط، إذ كان كل لواء من الألوية الثلاثة المسند إليها دفاعات هذا الخط موزعاً على مواجهة عرضها نحو ٢٠ كم في المتوسط نظراً لأنها تقوم بالدفاع على جبهة جبلية عريضة. وتركزت الدفاعات الرئيسية على المحور الأوسط الذي اعتبر أكثر المحاور أهمية نظراً لسهولة اختراقه نسبياً بالمدرعات.

**وكانت القيادة السورية تعتمد، فيما يبدو،** على توجيه هجمات مضادة بوساطة ألوية المشاة الأربعة الموجودة في العمق العملياتي، ولوائي المدرعات المدعمين لها، الأمر الذي يفترض تحقق درجة معينة من السيطرة الجوية السورية على هضبة الجولان، التي يتعذر بدونها شن مثل هذه الهجمات المضادة خلال ساعات النهار.

**ب - الخطة الإسرائيلية للهجوم:**

**عند بدء الحرب في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧م لم يكن لدى قيادة المنطقة الشمالية، التي كان يتولاها العميد «دافيد العازر»، سوى لواء مشاة**

**واحد (هو لواء غولاني)، ولواء مدرع واحد بقيادة العقيد «إبراهام مندلر». وعقب انتهاء العمليات الحربية في الجبهة الأردنية دفعت الألوية المدرعة الثلاثة التي كانت مشتركة في القتال هناك إلى الجبهة السورية،كما نقل إليها لواء المظليين الذي اشترك في معركة القدس ولواء مشاة آخر ووحدات أخرى، بحيث أصبح لدى القيادة الشمالية عشية بدء الهجوم على الجولان يوم ١٩٦٧/٦/٩م ما جملته ٤ أولية مدرعة وكتيبة دبابات «باتون» مستقلة، ولواء مظليين وكتيبة مظليين مستقلة،و ٣ ألوية مشاة، (أحدها ميكانيكي وهو لواء غولاني) وكتائب ومدفعية وهندسة ونقل الخ، تضم جميعاً نحو ٣٠ ألف جندي، وحوالي ٢٥٠ دبابة (وذلك نتيجة للخسائر المختلفة التي نتجت خلال معارك الجبهة الأردنية). ووضعت خطة الهجوم الإسرائيلي على أساس اختراق الدفاعات السورية بضربة رئيسية في القطاع الشمالي من الجولان، حيث الأرض أكثر وعورة من القطاع الأوسط، ومن ثم فإن الاختراق هناك أقل توقعاً من جانب السوريين. وكانت القوة المكلفة بتنفيذ هذه الضربة تضم كل من اللواء المدرع الذي يقوده العقيد «مندلر»، ولواء «غولاني» ويساندهما في الاحتياطي لواء مدرع آخر (وهو اللواء الذي احتل جنين) بقيادة العقيد «موشى». ولقد وضعت خطة الهجوم المذكور على النحو التالي:**

**أ - يقوم الجزء الرئيسي من لواء «مندلر»** المدرع بخرق الدفاعات السورية عند موقع البحيرات، ثم يندفع عبر مواقع «غور العسكر» و«نعموش» نحو «زعورة» لمهاجمة موقع «القلع» من الشمال، على حين تشاغله قوة أخرى من اللواء نفسه من اتجاه موقع «سراديب» الواقع إلى الشمال الغربي منه. وبعد الاستيلاء على «القلع» يتقدم اللواء المدرع جنوباً إلى «واسط» ومن هناك يزحف غرباً للاستيلاء على «القنيطرة».

**ب - وفي الوقت نفسه يقوم لواء «غولاني» بتأمين الجناح الشمالي** لهجوم اللواء المدرع بوساطة احتلال موقعي «تل الفخار» و «العزيزيات»،

وتطهير منطقة «بانياس»، وتدعمه في عملياته هذه سريتا دبابات «شيرمان» من اللواء المدرع المذكور.

**ولتثبيت الجهود السورية وتحويل انتباهها عن اتجاه** الهجوم الرئيسي قررت القيادة الإسرائيلية توجيه بعض الهجمات الثانوية على المحور الأوسط تجاه مواقع «راوية» و «تل هلال» و «عشمورة» و «الدرباشية» و«جليبينة» بوساطة وحدات مختلطة من لواء مشاة وفوج مظليين ولواء مدرع. أما في الجنوب فقد خطط لتوجيه ضربة رئيسية أخرى، يتم تنفيذها بعد بدء الهجوم في القطاع الشمالي، وتقوم بها قوة تضم لواء مدرعاً ولواء مشاة محمول، وفوج مظليين منقول بطائرات هليكوبتر يتم إنزاله في العمق العملياتي على المحور الجنوبي في كل من«فيق» و «العلا» ثم «البطمية»، وتعاون قوات هذه المجموعة قوة مدرعة من ضمن قوات المحور الأوسط تتقدم من «الدرباشية» جنوباً نحو «البطمية ». كما تتقدم قوة مدرعة أخرى من قوات المحور الأوسط من «راوية» إلى «واسط»، ثم عمليات قوات «مندلر» المدرعة الزاحفة نحو «القنيطرة» من «القلع».

**جـ - عمليات القطاع الشمالي:**

**بدأت القيادة الإسرائيلية هجومها البري في الجبهة** السورية في **فجر يوم ٦/٩** بقصف جوي مركز على المواقع الدفاعية السورية الأمامية،وذلك بعد أن تم حسم الموقف العسكري نهائياً في الجبهتين المصرية والأردنية. وقد بقيت الجبهة السورية شبه راكدة طوال الأيام السابقة للحرب باستثناء بعض الهجمات الجوية التي قامت بها الطائرات السورية (١٢ طائرة ميغ ٢١) في الساعة ١١,٤٥ من صباح **يوم ٦/٥** على مصافي البترول في حيفا ومطار مجدو،وقد ردت الطائرات الإسرائيلية بهجوم في الساعة ١٢,١٥ من اليوم نفسه على المطارات السورية القريبة من دمشق ومن الجبهة عموماً أسفر عن تدمير نحو ٦٠ طائرة سورية من مختلف الأنواع، وانسحاب باقي الطيران

السوري إلى مطارات الشمال البعيدة عن الجبهة ومدى طيران العدو. كما قامت وحدات مشاة سورية صغيرة بشن هجمات على مستعمرات «شرياشوف» و «دان» و «دفنا» صباح **يوم ٦/٥** وأمكن صدها بسهولة. **وبعد ذلك اقتصر نشاط الجبهة السورية** على القصف المدفعي للمستعمرات الإسرائيلية التي تشرف عليها هضبة الجولان.

**وابتداء من الساعة ٩,٤٠ صباحاً، ركزت الطائرات الإسرائيلية** قصفها على بطاريات المدفعية والاستحكامات الموجودة في الخط الأمامي المباشر. وفي **تمام الساعة ١٠ صباحاً** بدأت وحدات لواء العقيد «**مندلر**» المدرع تقدمها عبر الحدود السورية من مستعمرة «كفر سلط» في شكل ٣ مجموعات قتال مدرعة تضم كتيبة الدبابات «**شيرمان**» رقم أ/٢١١، ومجموعة الدبابات «ب»، وكتيبة المشاة الميكانيكية التابعة للواء المدرع. وعلى الرغم من الدعم الجوي القريب للهجوم فقد تكبدت وحدة الاستطلاع ووحدة المهندسين، التي كانت تركب في ٨ جرافات (**بولدوزرات**)، خسائر شديدة نتيجة رمي مدافع الهاوتزر السورية الذي بدأت فور بدء تقدم المدرعات والعربات المدرعة الإسرائيلية، كما دمرت ٣ جرافات وقتلت العديد من جنودها وهم يشقون طريقاً للدبابات والآليات وسط حقول الألغام السورية. وأصيبت كذلك عدة سيارات جيب لجماعة الاستطلاع التي كانت تبحث عن الممر الذي تستخدمه الدوريات السورية وسط حقول الألغام، حتى يتسنى لكتيبة الدبابات أ/١١٢ الانحراف شرقاً في الوقت المناسب والتقدم مباشرة نحو «زعورة» وتحاشى الاصطدام مع موقع «سراديب» الدفاعي القوي أو التعرض لنيران مواقع «القلع» المنيعة التي تليه في العمق.

**ولكن جماعة الاستطلاع المذكورة أخفقت** في تحديد مكان ممر الدوريات في الوقت المناسب. وقد نجحت دبابات الكتيبة المشار إليها في التغلب على مقاومة مواقع «غور العسكر» و «نعموش» و «عقدة» الأمامية مستخدمة أسلوب الخرق بالحركة والنيران،تاركة للمشاة الميكانيكية الزاحفة

في أثرها مهام تصفية المقاومة المتبقية في المواقع المذكورة. وكان من نتيجة اقتحام الدبابات لموقع «العقدة» أن تقدمت نحو موقع «سراديب» بدلاً من أن تتجه يساراً نحو «زعورة»، وهناك تعرضت لنيران شديدة من المدافع المضادة للدبابات التي نجحت في إصابة عدد من الدبابات.

**وفي حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر اصطدمت** الكتيبة بموقع «القلع» المنيع، الذي ألحقت نيران مدافعه خسائر فادحة بالكتيبة، وأصبحت قوتها تضم ٢١ دبابة فقط، وجرح قائدها وقتل نائبه وتولى قيادتها إثر ذلك قائد إحدى السرايا.

**١ - معركة القلع: وفور تولي قائد السرية قيادة الكتيبة ربط سريته ببقية سرايا الكتيبة لاسلكياً واستعلم منها عن موقفها، ثم اتصل بالعقيد «البرت مندلر» قائد اللواء المدرع، وأخبره بموقف الكتيبة الحرج أمام تحصينات «القلع». وقد أمره «مندلر» بالاستمرار في مهاجمة «القلع»، على حين تولى هو قيادة بقية وحدات اللواء، واتجه يساراً نحو «زعورة» تنفيذاً لخطته الأصلية للالتفاف حول «القلع» من المؤخرة.**

**والقلع عبارة عن قرية صغيرة تقع على هضبة مرتفعة** تسيطر على المنطقة المحيطة بها سيطرة تامة، وينحدر الطريق المؤدي من «سراديب» إلى «القلع» انحداراً شديداً ثم يرتفع فجأة ويستدير يميناً نحو القمة حيث يقل الانحدار ثم يستدير يساراً ويميناً حتى مدخل القرية. وفي وسط المنحدر شيدت القوات السورية حواجز من الإسمنت المسلح مضادة للدبابات (أسنان التنين) على مسافة نحو ١٨٠٠ متر من مرتفع «القلع»،وحول الطريق كانت تتناثر مجموعة من المنعات المبنية بالإسمنت المسلح، وعند القرية نفسها كانت توجد بعض الدبابات والمدافع م/د الموزعة بين المنازل بطريقة جيدة الإخفاء وبحيث تسيطر بالنيران على الطريق المؤدي إلى القلع وإلى الشمال من القرية كان يوجد موقعان دفاعيان بهما دبابات ومدافع م/د أحدهما يسمى

«جيب الميس» والآخر مرتفع يشبه نعل الفرس، وفي جنوب الطريق قمة أخرى منبسطة وضعت فيها مدافع م/د أيضاً[1].

**وكانت الإحدى والعشرين دبابة الإسرائيلية المتبقية** لدى كتيبة الدبابات أ/١١٢ موزعة على ٣ سرايا وقد عهد قائد الكتيبة إلى إحدى سرايا دباباته بمهاجمة الموقع الشمالي الشبيه بنعل الفرس بعد أن قام الطيران بقصفه، ثم قامت سريتا الدبابات الأخريتان بإطلاق قذائف دخان لتحجب رؤية المدافع السورية المضادة للدبابات الموجودة جنوبي الطريق، على حين قدمت دبابات السرية الأولى دعماً نارياً من فوق نعل الفرس لدبابات السريتين الأخريتين أثناء زحفها عبر الطريق وإطلاقها النار بمدافعها عيار ١٠٥ مم على المنعات الدفاعية برمي مستقيم من مسافات قصيرة. **وفي الوقت ذاته كانت المدفعية الإسرائيلية** تقدم دعماً بالنيران يقوم بتصحيح اتجاهه قائد كتيبة الدبابات لاسلكياً، ثم أصاب مدفع م/د دبابة القائد فعطلها وأصاب القائد نفسه بجروح خفيفة، وانقطع اتصاله اللاسلكي بالمدفعية، فاضطر لمغادرة الدبابة وانتقل إلى دبابة قائد الفصيلة، حيث أمر السرية الموجودة على المرتفع الشمالي بالنزول إلى الطريق للمشاركة في اقتحامه بعد أن تعطل ودمر العديد من دبابات السريتين الأخريتين. وعهد إلى عشر دبابات كانت لا تزال قادرة على الحركة بمواصلة الحركة، ولم تصل قرية «القلع» سوى ٣ دبابات أصيبت إحداهما في أزقة القرية بقذيفة «رب ج - ٧» في مؤخرتها واشتعلت فيها النيران. وإثر ذلك شاهد قائد الكتيبة دبابة سورية من طراز «ت ٣٤» وقانصي دبابات «س يو ١٠٠» تتقدم نحو القرية كطليعة لقوة من ٧ دبابات سورية جاءت لتعزيز «القلع». وشعر على الفور بحرج موقفه، خاصة وأنه لم يعد لديه غير دبابتين، وما زالت منازل عدة في القرية مليئة بجنود سوريين يطلقون نيران

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٩١.

رشاشاتهم وقذائف القواذف المضادة للدبابات، ولذلك سارع بالاتصال لاسلكياً بقائد اللواء المدرع، العقيد «زعورة» طالباً منه سرعة تقديم دعم جوي قريب وإلا تعرضت دبابتاه للفناء المؤكد، ولكن «مندلر» أخبره أنه لا تتوفر طائرات حالياً، وأن عليه أن يصمد قليلاً حتى يصل هو بمدرعاته من «زعورة» ويهاجم «القلع» من الخلف.

**وظهرت الطائرات الإسرائيلية في آخر لحظات النهار** وأدى ظهورها إلى رفع معنويات جنود الدبابات الاسرائيلية، وبدء انسحاب الدبابات السورية قبل أن تعثر على الدبابات الإسرائيلية المختفية داخل «القلع»، ولاحقتها الطائرات بنيرانها وكذلك دبابات «مندلر» التي وصلت من «زعورة» وهاجمت «القلع» من الخلف، وكانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف، وهكذا أنقذت بقايا القوة الإسرائيلية المدرعة وسقطت القلع بعد دفاع عنيد أبدته حاميتها، بقيادة ضابط برتبة رائد يدعى «محمد سعيد يونس»، واستشهد مع عدد كبير من رجاله خلال المعركة، ولقد أدى إلى تدمير وتعطيل أكثر من ٤٠ دبابة إسرائيلية. ولكن بسالة هذا الموقع لم تثمر في وقف الاختراق الإسرائيلي للقطاع الشمالي، نظراً لأن سيطرة العدو الجوية حالت دون دفع المدرعات السورية الاحتياطية لشن هجمات معاكسة أو تعزيز دفاع المواقع الحصينة الأخرى مثل «زعورة» و «تل الفخار»، والتي اضطرت أن تقاتل معاركها الضارية بصورة منفصلة عن دعم بعضها لبعض ودعم القوات الاحتياطية المدرعة والميكانيكية لها، فضلاً عن انعدام المساندة الجوية، بل وضعف دعم خلال المرحلة الأولى من الخرق لخط الدفاع الأمامي، نظراً لأن الكتلة الرئيسية من المدفعية السورية استمرت خلال هذه المرحلة الحرجة من الهجوم الإسرائيلي تركز نيرانها على المستعمرات الإسرائيلية.

**٢ - معركة زعورة وتل الفخار: وفي الوقت نفسه خاضت حامية «زعورة»، التي كانت تقدر بقوة كتيبة مشاة، معركة ضارية استغرقت نحو ٥ ساعات حيث هاجمتها دبابات الكتيبة المدرعة الثانية ومعها بقية اللواء**

**المدرع بقيادة «مندلر» نفسه. ولقد اصطدم المهاجمون بمواقع الدفاع السورية التي كانت موزعة أسفل القرية وأعلاها، وتم الهجوم تحت دعم جوي قريب فعال تماماً، لم يقابله من الجانب السوري دعم مدفعي كاف للقوات المدافعة، ولذلك أمكن للدبابات الإسرائيلية أن تستولي على «زعورة» في حوالي الساعة الرابعة مساء.**

**وفي هذه الأثناء كان لواء المشاة الميكانيكي «غولاني» يهاجم مواقع** «تل الفخار»و«برج بابل» و«تل العزيزيات»، ابتداء من الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم نفسه، وذلك عبر الثغرة التي فتحها اللواء المدرع في خط الدفاع السوري، وأمكن لهذا اللواء الميكانيكي أن يستولي على «تل الفخار» في حوالي الساعة السادسة والنصف بعد قتال عنيف أسفر عن قتل ٣٠ جندياً إسرائيلياً وجرح ٧٠ آخرين مقابل ٦٠ قتيلاً سورية و٢٠ أسيراً، كما استولى اللواء بعد ذلك على موقعي «برج بابل»و«تل العزيزيات» بفضل هجوم مدعوم بدعم جوي قريب استخدم فيه النابالم على نطاق واسع، وقد تم الاستيلاء على «تل العزيزيات» خلال الليل، وبذلك تم تأمين الجناح الشمالي لهجوم اللواء المدرع، وفتح الطريق إلى «مسعدة»و«بانياس»، واستكمل خرق القطاع الشمالي من الجبهة السورية في «الجولان»[1].

**٣ - العمليات في القطاعات الأخرى: إلى الجنوب من الثغرة التي أحدثها لواء «مندلر» المدرع بكيلومترات قليلة، فتح سلاح المهندسين الإسرائيلي خلال ساعات الصباح وجزء من ساعات بعد الظهر ممرات وسط حقوق الألغام الإسرائيلية والسورية، عبرت من خلالها بعد ذلك وحدة من دبابات «أم إكس - ١٣»، تابعة للواء المدرع الذي اشترك من قبل في معركة «الكفير» بالجبهة الأردنية، وبعض وحدات من لواء مشاة حيث**

---

(١) مجموعة من الباحثين الروس، الحروب العربية - الإسرائيلية، ترجمة العميد صبحي الجابي، إصدار دمشق ١٩٧٥، ص ٢٤١

**هاجمت موقعين سوريين صغيرين تحت دعم جوي كامل. واستولت على قرية «راوية»، بعد أن أصيبت ٣ دبابات إسرائيلية بنيران المدافع المضادة للدبابات، وأصبحت عاجزة عن الاستمرار في القتال، وتوقفت هذه القوة بعد ذلك عن التقدم،وكانت الساعة قد بلغت السادسة مساءً. وإلى الجنوب بنحو ٩ كيلومترات أخرى قامت سرايا أخرى من المشاة تعززها سرية من دبابات «ام اكس - ١٣» بالاستيلاء على قرية «الدرباشية» في الساعة مساء، بعد أن اجتازت ممرات في حقول الألغام إلى الشمال مباشرة من بحيرة «الحولة» المجففة مستفيدة من دعم جوي قوي. واستولت وحدات أخرى من المشاة على «تل هلال» ومواقع أخرى كانت تشرف على مستعمرة «شامير» في وادي الحولة».**

**وهاجمت سريتا مظليين تدعمهما سرية دبابات «شيرمان»**، من اللواء المدرع المذكورة أيضاً، المواقع السورية القريبة من المحور الأوسط، واستولت خلال معركة بدأت في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على قرية «جليبينة» كخطوة تمهيدية لفتح الطريق العام المار من جسر بنات يعقوب، وذلك في حوالي الساعة الرابعة والنصف فجراً، وكانت هذه الهجمات كلها، تشكل أعمالاً ثانوية مساعدة للاختراق الرئيسي في القطاع الشمالي، فضلاً عن كونها تهدف إلى تشتيت جهود المدافعين. وهكذا تم اختراق خط الدفاع الأول السوري في أكثر من مكان في الشمال والوسط.

**عمليات يوم ١٠ حزيران (يونو): لم تقم القوات السورية خلال ليلة ٩-١٠ حزيران (يونيو) بأي هجوم معاكس، واكتفت بقصف القوات الإسرائيلية قصفاً متقطعاً بنيران المدفعية، على الرّغم من نشاط المدفعية والطيران الإسرائيليين المضاد طوال الليل، ويرجع ذلك إلى عدم وجود عدد كاف من الدبابات «ت٥٥» المجهزة بمعدات الرؤية الليلية وانخفاض مستوى تدريب المشاة والمدفعية بالنسبةللقتال الليلي، فضلاً عن حالة**

**الارتباك المعنوي الذي أصاب القيادات السياسية العسكرية. وفي فجر يوم ١٠ حزيران (يونيو) واصل لواء «مندلر» المدرع تقدمه من «القلع» نحو «واسط» تحت حماية دعم جوي، واشتبك مع بعض الدبابات السورية من طراز «ت٥٤»، إلا أن القصف الجوي والهجمات على الأجنحة دفعت هذه الدبابات (وهي جزء من لواء مدرع سوري) إلى الانسحاب. واحتل اللواء المدرع الإسرائيلي إثر ذلك «واسط» ثم أعاد تنظيم صفوفه، وواصل تقدمه نحو قرية «المنصورة»، التي تبعد نحو ٨ كم إلى الشرق من «واسط»، واستولى عليها بعد اشتباك قصير. ثم واصل اللواء المدرع انطلاقه بسرعة نحو «القنيطرة»، وذلك إثر بدء حركة انسحاب عام سورية من «الجولان»، بدأت حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً، استطاعت خلالها الألوية الأربعة الاحتياطية التي لم تشارك في القتال أن تنسحب بنظام.**

**وفي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر** اليوم نفسه دخلت المدرعات الإسرائيلية مدينة «القنيطرة» فوجدتها خالية من أية قوات سورية. وانتشرت معظم المدرعات الإسرائيلية شرقي المدينة لقطع الطريق المؤدي إلى «دمشق»، على حين اتجهت دورية مدرعة إلى بلدة «البطمية» على المحور الجنوبي، ووصلتها في الساعة الرابعة والنصف، حيث التقت هناك بوحدات المظليين الذين أنزلوا بطائرات الهليكوبتر على طول المحور الجنوبي. وفي الوقت نفسه كان لواء «غولاني» يدعمه لواء مدرع لم يسبق له الاشتراك في معارك اليوم السابق، قد هاجم «بانياس» واستولى عليها في الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه، ثم هاجم «مسعدة» واستولى عليها في ساعات بعد الظهر دون قتال، بسبب انسحاب القوات السورية منها وقيامها بنسف وتخريب الطريق المؤدي إليها، الأمر الذي أخر استيلاء القوات الإسرائيلية عليها حتى بعد الظهر لأنها اضطرت إلى استخدام المسالك الترابية الواقعة جنوبي «زعورة».

**وإثر ذلك شكلت قوة ضمت كتيبة دبابات «شيمان»** وسريتي مشاة ميكانيكية من لواء «غولاني» زحفت نحو «جبل الشيخ» وسيطرت على قممه الجنوبية في ساعات النهار الأخيرة.وهكذا جرى الاستيلاء على شمال «الجولان» كله حتى «النخيلة» عند الحدود اللبنانية.

**وزحفت كتيبتا دبابات اللواء المدرع الذي استولى** على «راوية» في اليوم السابق، بعد تمهيد جوي قوي، نحو قرية «قنّعبة» و «واسط»، حيث التقت هناك بقوة من لواء «مدلنر» المدرع، ولذلك اتجهت كتيبتا الدبابات جنوباً نحو «كفرنفاخ»، واشتبكتا أثناء ذلك التقدم بنحو ١٥ دبابة سورية بالقرب من «تل شيبان»، الأمر الذي اضطرهما للقيام بحركة التفاف لتجنب القتال بالمواجهة مع الدبابات السورية، ولذلك تم لهما الاستيلاء على «كفر نفاخ» في الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر، حيث كانت القوات السورية قد أخلت مواقعها قبل ذلك بنحو ساعتين إثر صدور الأمر العام بالانسحاب من القيادة السورية، التي كانت قد أعلنت في الساعة ٨,٤٥ من **صباح يوم ٦/١٠** سقوط «القنيطرة».

**وفي يوم ٦/١٠ التقى «دافيد اليعازر» بلواء العقيد «بن آرى»** المدرع، الذي كان يشكل الاحتياطي المدرع الوحيد المتبقي بعد زج ٣ ألوية مدرعة في القتال، وذلك في منطقة «الدرباشية» ومن هناك تقدم جنوباً محو «البطمية» حيث التقى في نهاية اليوم بقوات المظليين الإسرائيليين الذي أنزلوا بطائرات الهليوكوبتر، وتقدم إثر ذلك ليحتل قرية «الرفيد» القريبة. وقد توقف القتال في «الجولان» في حوالي الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم نفسه تنفيذاً لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار. ويقول الإسرائيليون إنهم دمروا وأعطبوا نحو ٧٠ دبابة سورية واستولوا على ٤٠ دبابة أخرى سليمة، وإذا صحت هذه الأرقام، فإن السوريين يكونون قد نجحوا في سحب ١٥٠ دبابة تقريباً سليمة من «الجولان» من جملة ٢٦٠ دبابة وقانصاً مدرعاً كانت

لديهم هناك عشية بدء الهجوم الإسرائيلي. وزعم الإسرائيليون أيضاً أن الخسائر السورية في الرجال بلغت نحو ١٠٠٠ قتيل و ٥٦٠ أسيراً، وذلك مقابل مقتل ١٥٢ إسرائيلياً وجرح ٣٠٦ آخرين. ولم تعلن المصادر الإسرائيلية أرقاماً نهائية عن خسائرها في المدرعات ونصف المجنزرات، إلا أنها تقدر بأكثر من ١٠٠ دبابة ونصف مجنزرة أمكن إصلاح العديد منها.

## سابعاً - النتائج العامة للحرب:

أسفرت الحرب العربية - الإسرائيلية الثالثة عن عدة نتائج عسكرية وإستراتيجية كان أبرزها النتائج التالية:

آ - **حطمت القوة العسكرية الرئيسية لمصر والأردن** وجانباً هاماً من القوة العسكرية السورية، على حين أن الخسائر الإسرائيلية في الأسلحة والعتاد والأفراد كانت ضئيلة للغاية بالقياس للخسائر العربية الفادحة،وبطبيعة الحال أدى ذلك إلى اختلال ميزان القوى العسكري العربي - الإسرائيلي لدرجة خطيرة خلال العام التالي للحرب إلى حين أن أتمَّ الاتحاد السوفييتي إعادة تسليح مصر وسورية.

**ب - كان لهذه النتيجة العسكرية المادية** آثارها المعنوية السيئة في الجانب العربي، كما أنها رفعت في الوقت نفسه معنويات الشعب والجيش في إسرائيل إلى درجة كبيرة، وأوجدت ثقة مبالغ فيها في القدرة العسكرية الإسرائيلية داخل وخارج إسرائيل، بل وفي قطاعات هامة من الرأي العام العربي أيضاً.

**جـ - سيطرت إسرائيل على مساحات كبيرة من الأراضي العربية** المحتلة تفوق بكثير مساحتها الأصلية البالغ قدرها ٢٠٧٠٠ كم مربع **عشية حرب ١٩٦٧م**، إذ تبلغ مساحة شبه جزيرة سيناء ٦١١٩٨ كم مربع، ومساحة

قطاع غزة ٣٦٣ كم مربع، ومساحة الضفة الغربية ٥٨٧٨ كم مربع، ومساحة الجولان، ١١٥٠ كم مربع، وبذلك أصبحت جملة الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل ٨٩٣٥٩ كم مربع. وأدى ذلك إلى تحسين الوضع الجغرافي - الاستراتيجي لإسرائيل إلى درجة كبيرة، نظراً لأن هذه الأراضي أضافت عمقاً استراتيجياً أفضل بكثير مما كان متاحاً لها قبل ذلك، بحيث أصبح في مقدروها اتباع إستراتيجية دفاعية على الجبهة المصرية في **بداية حرب ١٩٧٣م** دون أن يشكل ذلك خطراً مباشراً على أمنها، كما تحسن وضعها الدفاعي كثيراً على الجبهة الشرقية بعد إزالة نتوء الضفة الغربية، الذي كان يمثل خطراً كبيراً على قلب إسرائيل في حالة تواجد قوات عسكرية عربية فعالة هناك، وتقلصت حدودها مع الأردن من ٦٥٠ كم إلى ٤٨٠ كم فقط (من بينها ٨٣,٥كم طول البحر الميت).

هذا فضلاً عن زوال الخطر العسكري السوري المباشر على مستعمرات سهلي الحولة وطبريا.

**د - نتيجة لاحتلال شبه جزيرة سيناء والجولان والضفة الغربية** أصبح الطيران الإسرائيلي في وضع وقدرة أفضل على مواجهة العمق العربي، خاصة بالنسبة لمصر بعد أن أصبحت له قواعد جوية متقدمة، وقلت الفترة الزمنية للإنذار بالنسبة لأجهزة الرادار العربية. وبالمقابل تحسن وضع الدفاع الجوي الإسرائيلي نتيجة ابتعاد القواعد الجوية المصرية المتقدمة مسافة لا تقل عن ٢٠٠ كم عما كانت، ولإقامة أجهزة رادار إسرائيلية متقدمة فوق الجبال والمرتفعات القائمة في سيناء والضفة الغربية والجولان، ومن ثم زادت فترة الإنذار بالهجوم الجوي العربي كثيراً عما كانت عليه من قبل.

**هـ - فتحت إسرائيلي الملاحة في مضائق تيران** وسيطرت على شرم الشيخ بشكل يضمن لها حماية الملاحة إلى ميناء إيلات الحيوي.

**و - احتلت إسرائيل منابع النفط في سيناء** وصار بوسعها تأمين حاجاتها النفطية محلياً.

**ز - وصلت إسرائيل إلى خطوط دفاعية طبيعية** منيعة (قناة السويس ونهر الأردن ومرتفعات الجولان وجبل الشيخ) بحيث صار بوسعها تطبيق المناورة على الخطوط الداخلية بكفاءة أكبر.

**حـ - ربحت إسرائيل أعتدة حربية كثيرة** (دبابات ومدافع وصواريخ) لم تلبث أن عدلتها وأدخلتها في الخدمة داخل قواتها المسلحة.

**ط - زاد عدد العرب الخاضعين للاحتلال،** وزادت مساحة الأرض المحتلة، الأمر الذي خلق ظروفاً أكثر ملاءمة لنمو الثورة الفلسطينية.

**ي - حصلت إسرائيل على رهينة كبيرة (أراضٍ وسكان عرب)،** وأخذت تساوم على هذه الرهينة في سبيل إخضاع الدول العربية وإجبارها على قبول السلم الإسرائيلي، الأمر الذي أعد المناخ الملائم للحرب **العربية - الإسرائيلية الرابعة (١٩٧٣م)**[1].

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٩٤.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الفصل الثالث

# السياسة والحرب في بلاد الشام

# في أعوام ١٩٦٨م-١٩٧٢م

## أولاً - معركة الكرامة:

**تصاعد النشاط الفدائي العربي ضد الكيان الصهيوني بشكل ملحوظ،** في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧م وما خلفته من آثار سلبية في نفوس أبناء الأمة العربية وبخاصة في المواقع ذات التماس المباشر مع العدو الإسرائيلي. وفي إطار هذا النشاط برزت المقاومة الفلسطينية بشكل واضح، مما أثار القلق العميق في صفوف الرأي العام الإسرائيلي[١] الذي بدأ يطالب بوضع حد لهذه الأعمال التي تعرض أمنه للخطر. وقد كان لحادثة انفجار لغم زرعه الفدائيون جنوب صحراء النقب عندما مرت فوقه حافلة ركاب إسرائيلية تقل طبيباً و ٣٩ طالباً يوم ١٩٦٨/٣/١٨م، **(قتل فيها الطبيب وطالب واحد وأصيب عدد**

---

(١) دأبت أجهزة الإعلام الإسرائيلية، وبخاصة الصحافة بالتركيز على خطورة المقاومة، وما أخاف إسرائيل أن تتحول المقاومة إلى ثورة عربية شاملة حيث بدأ الكثير من الشباب العرب غير الفلسطيني بالانضمام إلى صفوفها كما أن قادة العدو يعلمون أن دولتهم قامت أساساً على مبدأ «حرب العصابات» ولذلك فهم يتخوفون من أية انتفاضة شعبية مسلحة لأنها ستكون البداية لإنهاء الكيان الصهيوني.

**من الطلاب الآخرين بجراح)** أثرٌ واضح في ارتفاع صوت المطالبين باتخاذ إجراءات انتقامية ضد الفدائيين الفلسطينيين الذي كان يتركز نشاطهم على الجبهة الأردنية.

**قامت القوات الإسرائيلية في ١٩٦٨/٣/٢١م بشن هجوم واسع النطاق** على الضفة الشرقية لنهر الأردن، في منطقة امتدت من جسر الأمير محمد (دامية) شمالاً حتى جنوبي البحر الميت. وكان هدف الهجوم كما أعلنت (إسرائيل) رسمياً القضاء على موقع الفدائيين الفلسطينيين في مخيم الكرامة الواقع على بُعد ٥ كم من جسر الملك حسين (اللنبي)، وفي مناطق أخرى إلى الجنوب من البحر الميت.

**والواقع أن هذا الهجوم لم يكن مفاجئاً لمنظمة فتح** ولا للقوات الفلسطينية الأخرى في المنطقة ولا القوات الأردنية، فقد شوهدت تحركات القوات الإسرائيلية قبل العملية بيومين. وأذاع ناطق باسم فتح يوم ١٩ آذار أن (إسرائيل) حشدت خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الأردن. وفي اليوم نفسه أعلن مندوب الأردن في الأمم المتحدة أن (إسرائيل) تعد العدة لشن هجوم كبير على الأردن[١].

**وقد رافقت هذه التحشدات تصريحات تهديدية من قبل المسؤولين الإسرائيليين** فقال رئيس الحكومة أمام الكنيست «**أن الأردن لا يفعل شيئاً لوضع حد لأعمال الفدائيين التي تنطلق من أراضية، وسنضطر نحن لحماية أمننا**»، وذلك خلال كلامه على حادث انفجار لغم تحت عربة ركاب كبيرة جنوبي النقب ، وكرر وزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات الإسرائيليون أقوالاً مماثلة.

---

(١) قبل أيام قليلة من معركة الكرامة، زار الجنرال (اودبول) كبير المراقبين الدوليين في الشرق الأوسط الملك حسين شخصياً، ونقل إليه تهديداً إسرائيلياً لإيقاف العمل الفدائي من الأردن، إلا أن الملك حسين أجاب الجنرال (اودبول) إن الظروف الداخلية لا تسمح له بذلك.

**حشدت (إسرائيل)** لتنفيذ العملية تبعاً للمصادر الأردنية أربعة ألوية (لواءين مدرعين ولواء المظليين ٣٥، ولواء المشاة ٨٠) تدعمها وحدات من المدفعية الميدانية (خمس كتائب مدفعية من عيار ١٠٥مم و ١٥٥ مم) ووحدات هندسة عسكرية، وتغطية جوية بأربعة أسراب نفاثة، بالإضافة إلى عدد من الحوامات يكفي لنقل كتيبتي مشاة مع معداتها. وقد بلغ عدد هذه القوات خمسة عشر ألف جندي.

**وفي الجانب العربي كانت وحدات رصد فتح تراقب تحركات وتحشدات القوات المعادية**، وتدارست قيادة فتح التدابير الواجب اتخاذها - وعلى الأخص المجابهة أو الانسحاب من المواقع المستهدفة من قبل العدو، لتأتي ضربته في الفراغ - وفقاً لمبادئ قتال الحرب الشعبية، وبعد مناقشة الموضوع بعمق قررت «الصمود الواعي» تحقيقاً للأهداف التالية:

**١ - رفع معنويات الجماهير الفلسطينية والعربية بعد نكسة حزيران ١٩٦٧م.**

**٢ - تحطيم معنويات العدو وإنزال أكبر الخسائر في صفوفه.**

**٣ - تحقيق الالتحام الثوري مع الجماهير حتى يصبح الشعب قوة منيعة.**

**٤ - زيادة التقارب والثقة بين قوات الثورة الفلسطينية ورجال الجيش الأردني.**

**٥ - تنمية القوى الثورية داخل صفوف الشعب العربي.**

**٦ - اختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في معارك المواجهة المباشرة مع قوات العدو.**

**وجرى تقسيم قوات المقاومة إلى ثلاث مجموعات: الأولى**: توزعت على عدة مراكز في الكرامة نفسها وحولها، ووزعت **الثانية** بشكل كمائن على امتداد الطرق المحتمل سلوكها من قبل العدو، وانسحبت **الثالثة** إلى المرتفعات المشرفة على المنطقة ليكون دعماً واحتياطياً.

**من جهة أخرى اتخذت القيادة الأردنية استعداداتها للتصدي للعدوان** الوشيك فوضعت القوات المقابلة للعدو في حالة استنفار وتعبئة انتظاراً للتطورات المتوقعة.

**تحركت القوات الإسرائيلية** في الساعة الخامسة والنصف من صباح ٢١ آذار ١٩٦٨م على أربعة محاور:

١ - **محور العارضة** من جسر الأمير محمد إلى مثلث المصري فطريق العارضة - السلط الرئيس.

٢ - **محور وادي شعيب** من جسر الملك حسين إلى الشونة الجنوبية فالطريق الرئيس المحاذي لوادي شعيب السلط.

٣ - **محور سويمة** من جسر الأمير عبد الله إلى غور الرامة - ناعور فعمان.

٤ - **محور الصافي** من جنوب البحر الميت إلى غور الصافي فطريق الكرك الرئيس. ولكن المعارك الرئيسية دارت فعلاً على المحاور الثلاثة الأولى.

**عبرت القوات الإسرائيلية النهر** تحت تغطية نيران المدفعية، ولكنها ما كادت تتقدم مسافة ٢٠٠م حتى اصطدمت بمقاومة عنيفة، أعاقت تحركها فدفعت بعناصر محمولة بالحوامات، أنزلت بعضها في غور الصافي للتمويه والتضليل، ولكن معظمها تم إنزاله في الكرامة - فتصدت لها القوات العربية وكبدتها خسائر كثيرة، مما اضطر القيادة الإسرائيلية إلى زج قواتها الجوية بكثافة كبيرة مركزة قصفها على مرابض المدفعية الأردنية ومواقع الفدائيين ومرابض الدبابات والمدافع المضادة للطائرات. وتابعت خلال ذلك الحوامات نقل عناصر إضافية والعودة بالجرحى وجثث القتلى. واستثمرت القوات المدرعة نتائج القصف الجوي والمدفعي المركز لمتابعة تقدمها فأمكنها في الساعة العاشرة تقريباً الاتصال بالقوات المنزلة جواً في الكرامة. ودارت بينها

وبين مجموعة من قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني معارك دامية بدأت البنادق والرمانات اليدوية ثم بالسلاح الأبيض. وقد خاضت القوات الأردنية أيضاً معارك عنيفة على المحاور الأخرى وأحبطت تقدم العدو ومنعته من تنفيذ مخططاته.

**وفي الساعة ١٤,٠٠ كانت خسائر الإسرائيليين قد تزايدت** واتضح لهم مدى الثمن الذي سيدفعونه لقاء كل تقدم - فادعوا أنهم أتموا تنفيذ المهمة المسندة إليهم وبدؤوا بالإنسحاب. وكانوا قد طلبوا وقف إطلاق النار في الساعة ١١,٣٠ بواسطة الجنرال اودبول كبير المراقبين الدوليين، ولكن رئيس الحكومة الأردنية رفض الطلب حتى انسحاب القوات الإسرائيلية بكاملها. وقد تم انسحاب آخر جندي إسرائيلي في الساعة ٢٠,٣٠. وتكبدت القوات الإسرائيلية خلال انسحابها أيضاً خسائر كبيرة، إذ تعرضت لها الكمائن التي بثتها قيادة المقاومة قبل المعركة.

**وبتوجيهات من وزير الدفاع اللواء حافظ الأسد قام رئيس الأركان اللواء مصطفى طلاس بإرسال العميد جبرائيل بيطار مدير إدارة الاستطلاع إلى الأردن** (منطقة الكرامة) لمعرفة حاجة الجيش الأردني من الأسلحة والذخيرة حتى نؤمنها له، وفي مقر عمليات القطاع الشمالي في الجبهة الأردنية (السلط) التقى العميد بيطار بالأخوة الأردنيين ونقل إليهم رسالة القائد حافظ الأسد وشكروه على هذه المبادرة. وفي تلك اللحظات وحوالي الساعة ١٤,٠٠ وصل الملك حسين إلى مقر القيادة الأردني، وأثنى على الضباط الذين أسهموا في قيادة المعركة وتأمين الدعم المدفعي لها(١).

**كان العدوان الإسرائيلي على الكرامة** أول مرة تتخطى فيها القوات الإسرائيلية نهر الأردن، فقد توغلت مسافة ١٠كم على جبهة امتدت من الشمال إلى الجنوب نحو ٥٠كم، وهي أول عملية على نطاق واسع قادها

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي، الفصل ٣٥.

رئيس الأركان الإسرائيلي الجديد آنذاك حاييم بارليف. وقد حشدت لها (إسرائيل) قوات كبيرة نسبياً أرادت منها أن تكون درساً رادعاً للفدائيين وللجيش الأردني، **وأن تحقق بوساطتها نصراً سريعاً تستغله في رفع معنويات السكان الإسرائيليين** التي بدأت تهتز تحت ضربات العمليات الفدائية في الأراضي المحتلة. ولم تكن النتائج كما كانت تتمناها (إسرائيل) فقد اعترف رئيس حكومتها أمام الكنيست يوم ٢٥ آذار أن الهجوم على الكرامة لم يحل مشكلة الإرهاب. وقال ناثان بيليد ممثل حزب المابام أن على إسرائيل أن تصوغ تكتيكها العسكري وفقاً لأساليب القتال المتبعة عند العدو والظروف السياسية المحيطة وطالب شموئيل تامير عضو الكنيست بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية للبحث في التعقيدات السياسية الناجمة عن عملية الكرامة، وأضاف أن تخطيط العملية وتنفيذها يثيران أسئلة كثيرة تتطلب الإجابة. وقد عبر يوري افنيري عن فشل العملية بقوله: إن المفهوم التكتيكي للعملية كان خاطئاً من الأساس وإن النتائج أدت إلى نصر سيكولوجي للعدو الذي كبدنا خسائر كبيرة.

**وأكثر من ذلك، فقد نظم جيش العدوان الصهيوني عشية المعركة، أوسع حشد للصحافيين ومراسلي وكالات الأنباء عند جسر اللنبي**، واعداً إياهم بالانتقال إلى الضفة الشرقية من نهر الأردن لمعاينة انتصارهم.وهو أمر لم يتحقق، وأكره جنرالات العدو على الاعتذار للصحافيين وأعادوهم إلى داخل فلسطين المحتلة، بعد أن واجه العدو، ومنذ لحظات عدوانه الأولى، مقاومة شديدة، مما أربك مخططاته الميدانية، واضطره للمرة الأولى إلى طلب وقف إطلاق النار في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم المعركة.

**كانت معركة الكرامة نقطة تحول كبرى** بالنسبة لحركة فتح بخاصة وباقي فصائل المقاومة الفلسطينية بعامة.وقد تجلى ذلك في سيل طلبات التطوع في المقاومة ولاسيما من قبل المثقفين وحملة الشهادات الجامعية كما

تجلى في التظاهرات الكبرى التي قوبل بها الشهداء في المدن العربية التي دُفنوا فيها، والاهتمام المتزايد من الصحافة الأجنبية بالمقاومة الفلسطينية، مما شجع بعض الشبان الأجانب على التطوع في صفوف المقاومة الفلسطينية. وقد أعطت معركة الكرامة معنى جديداً للمقاومة تجلى في التظاهرات المؤيدة للعرب والهتافات المعادية التي أطلقتها الجماهير في وجه وزير خارجية (إسرائيل) أبا **إيبان** أثناء جولته يوم ١٩٦٨/٥/٧م في النرويج والسويد، فقد سُمِعت ألوف الأصوات تهتف «**عاشت فتح**».

**أما على الصعيد العسكري فقد كانت معركة الكرامة** نوعاً من استرداد جزء من الكرامة التي فقدتها القوات المسلحة العربية في حزيران ١٩٦٧م التي لم تتح لها فرصة القتال - ففي معركة الكرامة أخفقت (إسرائيل) في تحقيق أهدافها العسكرية والإستراتيجية لرفع معنويات المستوطنين الإسرائيليين، بل ساهمت في زيادة خوفهم وانعزالهم.

**قُدِّرت خسائر الإسرائيليين** بحوالي ٧٠ قتيلاً وأكثر من ١٠٠ جريح و٤٠ دبابة و٢٥ عربة مجنزرة و ٢٧ آلية مختلفة، وخسر الجانب الفلسطيني ٧٠ شهيداً من فتح و ٢١ شهيداً من قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني، وأما الأردنيون فقد خسروا ٢٠ شهيداً و ٦٥ جريحاً من بينهم عدد من الضباط، و١٠ آليات مختلفة ومدفعين.

**دمر الإسرائيليون عدداً كبيراً من المنازل** وأخذوا معهم ١٤٧ عربياً من الفلاحين بحجة أنهم من الفدائيين.

**وأخيراً لا بدَّ من الإشارة إلى أن اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع السوري آنذاك أمر العقيد غازي أبو عقل مدير إدارة التوجيه المعنوي** أن يتوجه إلى «عمان» مع مجموعة من سيدات «الجمعية النسائية للرعاية الاجتماعية» يرافقهم الملحق العسكري لدى السفارة السورية العقيد «عدنان طيارة» حيث قاموا بزيارة للمستشفى المركزي في عمان لتفقد أحوال جرحى معركة الكرامة وتقديم الهدايا لهم....

**وقد أبدى المسؤولون** عن الخدمات الطبية والتوجيه المعنوي في الجيش الأردني شكرهم للجيش العربي السوري قادة وجنوداً، وأرسل الإخوة الجرحى بتحياتهم إلى أشقائهم في القطر العربي السوري.

**وعبر الجميع عن أملهم** في أن تجمعهم مع العدو معركة يخوضها جيش عربي واحد يقف وراءه شعب عربي واحد.

**في قرار يستهدف تصعيد حرب الاستنزاف على الجبهتين المصرية والسورية،** توالت اجتماعات مجلس الدفاع برئاسة الفريق الأسد وزير الدفاع خلال العُشر الأول من شهر حزيران لإقرار المكان والزمان والوسائل القتالية المناسبة لتطوير حرب الاستنزاف.

**وبناء على أوامر وزير الدفاع** قام كل من العميد أديب الأمير والعميد صباح أتاسي بتحضير إغارات قتالية على المواقع الإسرائيلية والتدريب على إغارة واحدة على الأقل على جبهة كل فرقة، وقُدمت الخطط من كل من قائدي الفرقتين وأُقرت في العاشر من حزيران، على أن تكون الإغارتان الأوليتان جاهزتين خلال أُسبوع.

**قامت كل من الفرقتين الخامسة والسابعة** بالتدريب على الإغارتين وتأمين عوامل نجاحهما. وقع اختيار قائد الفرقة السابعة على وحدة من المشاة المعززة لمهاجمة نقطة (نبع الصخر)، بينما ركز قائد الفرقة الخامسة العميد أديب الأمير على القيام بإغارة مدرعة، (ربما كان اختصاص العميد أديب الأمير قد أثر على قراره هذا) على النقطة القوية في تل شعاف السنديان.

**دار النقاش مطولاً في مجلس الدفاع حول المحصلة النهائية للإغارة المدرعة،** وهل تُعطي نتائجها الإيجابية لو أُصيبت دبابة أو مدرعة أو تُركت معطلة في الأراضي المحتلة، وحسم الفريق الأسد النقاش بقوله: اتركوا قائد الفرقة ينفذ ما هو قانع بنجاحه، ولا بأس من تنويع الإغارات بالحجم والوسائط.

**استدعى قائد الفرقة الملازم الأول توفيق جلول** قائد سرية دبابات من الفوج ١٢ دبابات وأعلمه بالمهمة وطلب منه استكمال تجهيز سريته حتى نسبة جاهزية ١٠٠% وعززه بسرية عربات مدرعة من اللواء ٤٥ ميكانيكي، وجرى اختيار موقع مماثل في قطاع الفرقة الخامسة للتدريب عليه.

**إلى جانب ذلك أُعطيت المهمات القتالية** لمدفعية اللواء ٣٣ ومدفعية الفرقة لتأمين التغطية النارية للعملية. ودققت مهام المدفعية على كامل قطاع الفرقة تحسباً لتطور المعركة.

**حددت القيادة يوم ١٩ حزيران موعداً لتنفيذ العملية**، ثم جرى تأجيل الموعد إلى يوم ٢٤ منه. كان لهذا التأجيل صدى سلبي على عناصر وحدة الإغارة، حيث كان الجنود في منتهى الحماس لاختراق خط العدو الدفاعي بالقوة لأول مرة في تاريخ الصراع العسكري مع العدو على مختلف الجبهات العربية.

**في مساء يوم ١٩٧٠/٦/٢٣م اتصل الفريق الأسد وزير الدفاع** عبر الهاتف الداخلي المباشر وطلب إلى رئيس الأركان اللواء طلاس أن استدعي الضابط المناوب في سلاح المدفعية وأُعطيه أمراً بالتوجه إلى قيادة الفرقة الخامسة ليعلم قائدها العميد الركن أديب الأمير بضرورة توجيه صبيب مدفعي قوي على مستعمرة «حبشور» المنشأة على السفح الغربي لتل الفرس، وذلك بالتزامن مع إغارة الفرقة على تل شعاف السنديان المقررة غداً.

**وشرح الفريق الأسد الغاية من هذه العملية**، وهي أننا قبلنا التحدي الإسرائيلي ليس فقط على مستوى احتلال الجولان عسكرياً بل يجب أن يفهموا أيضاً أن الاستيطان في الجولان لن يكون بعد اليوم نزهة، وإن صراعنا معهم على الاحتلال والاستيطان سيكون بالقدر نفسه من الأهمية.

**استدعي الضابط المناوب في سلاح المدفعية** وكان العقيد عبد القادر عبد القادر رئيس أركان إدارة المدفعية والصواريخ وطُلب إليه أن يتوجه

مباشرة إلى العميد الركن أديب الأمير قائد الفرقة الخامسة ويبلغه أوامر وزير الدفاع الشفهية وإننا اخترنا طريقة التبليغ المباشر كي لا نُعطي للعدو الفرصة لمعرفة نوايانا بالضربة المدفعية عبر الدخول على شبكة الاتصالات السلكية وقد يتم صدفة كشف العملية الأساسية المقررة غداً.

**وكان اختيار التزامن بالضربتين** هو الذي يُعطي المعنى السياسي لمقاومة الاحتلال والاستيطان في وقت واحد.

**توجه العقيد الركن عبد القادر إلى قيادة الفرقة الخامسة** فوصلها قبل الساعة الثانية عشرة وأبلغ العميد الركن أديب الأمير قائد الفرقة أوامر القيادة العامة مع ضرورة نقل جميع الأوامر شفهياً لضرورات السرية المطلقة.

**قام الضابطان** بفحص خطط الضربات المدفعية المحضرة في الفرقة مسبقاً فوجدا أنّ مستعمرة تل الفرس من بينها فأجريا بعض التعديلات بعد استدعاء رئيس مدفعية الفرقة العقيد أحمد الحراكي لزيادة كثافة الصبيب الناري على هذه المستعمرة لإفهام العدو بوضوح وتركيز أكبر الغاية السياسية من هذا القصف.

**كان توقيت الإغارة والضربة المدفعية هو الساعة ١٨,٤٥** من مساء ٦/٢٤ وكان لاختيار هذا التوقيت أكثر من سبب منها حالة استرخاء الجنود المستوطنين، استبعاد توجيه ضربة كبيرة في هذا الوقت غير الملائم حيث تكون الشمس تضرب عيون جنودنا، ولكن كان هناك سبب هام آخر وهو أن مفاجأة العدو وفي هذا الوقت بالذات لا تسمح له بتحركات برية ولا بتدخل طيرانه، قبل أن تكون المهمة المزدوجة قد استنفدت غاياتها وغابت الشمس.

**حسب الجدول الزمني للعملية وتنظيم التعاون** كان مقدراً أن تتم العملية: الاقتحام والاستيلاء على الوثائق والأسلحة وأسر أو قتل جميع جنود العدو الذين يحتلون النقطة أو يحمونها والعودة إلى قاعدة الإنطلاق /٤٢/ دقيقة.

**وقد نُفذت فعلاً بـــ /٤٣/** دقيقة ومن ضمنها قطر عربة مدرعة تعطلت عند النقطة المعادية كما وزرع جنودنا العلم السوري فوق مفرق الرفيد الذي لم يكن ضمن المهمة الأصلية.

**كان فرح الجنود العائدين** من انتصارهم هذا لا يوصف وأكثر ما كان يثير تعليقاتهم ويضاعف بهجتهم هو مشاهدة جنود وضباط العدو وهم يهربون أمامهم كالأرانب وأكثرهم يشد لباسه الداخلي الوحيد خوفاً من كشف عورته.

**أما على جبهة المستعمرة جيشور** فقد أعلنت إذاعة الجيش الإسرائيلي عن وقوع مائة وخمسين مستوطناً بين قتيل وجريح.

## ثانياً - الإغارة على تل شعاف السنديان في ٢٤ حزيران ١٩٧٠م:

**في شهر نيسان ١٩٧٠م قررت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة** أن تُنفذ إغارة على نقطة استناد معادية في الجولان المحتلة وأمام نطاق دفاع الفرقة الخامسة ميكا بقوام سرية دبابات.

**هدف العملية:** اقتحام النقطة، تدمير منشآتها وتحصيناتها، قتل من فيها وجلب أسرى ونماذج من أسلحة ووثائق النقطة إن وجدت فيها.

**أُسندت المهمة من قبل العميد أديب الأمير** وكان قائد الفرقة الخامسة في ذلك الوقت - إلى الفوج ١٢ دبابات قائده في ذلك الحين الرائد وليد حمدون.

**حددت السرية الثالثة** دبابات من الكتيبة ٣٥٦ د قائدها الملازم الأول توفيق ماجد جلول وعززت السرية بـــ فصيلة مشاة على ناقلات ب. ت. ر ١٥٢ - فصيلة هندسة تركب على ناقلات فصيلة المشاة. وأُلحقت السرية على اللواء ٣٣ مشاة لأنّ النقطة التي اختيرت تقع أمام قطاع دفاع هذه اللواء.

**حُددت النقطة: (تل شعاف السنديان) من قبل قائد الفرقة العميد أديب الأمير** إلى قائد سرية الدبابات الملازم الأول توفيق جلول بالذات بشكل شخصي وعلى الأرض.

**كُلف المقدم الركن هلال رجب رئيس أركان اللواء ٣٣ مشاة** بالتعاون مع الملازم أول قائد السرية بوضع خطة لتنفيذ الإغارة. واختيار نقطة مشابهة والتدريب عليها وفقاً للخطة على أن يعلم قائد الفرقة عند الجاهزية للتنفيذ.

**اختيرت خربة المطوق** شرق بلدة جاسم وتم التدريب عليها وأعلم قائد الفرقة عن جاهزية السرية للتنفيذ.

**وُضعت الخطة كالتالي:**

تُقسم السرية إلى ثلاث مجموعات: مجموعتي حماية. مجموعة اقتحام.

١ - **مجموعة حماية أُولى: قوامها فصيلة دبابات بإمرة الملازم فهد سويدان تتقدم على محور كودنا - الجويزة. جورة يحيى على طريق القنيطرة الرفيد. بمهمة منع نجدة النقطة من دبابات العدو التي تتمركز في معسكر الخشنية.**

٢ - **مجموعة حماية ثانية: قوامها فصيلة دبابات بأُمرة المساعد أول أحمد سوادة تتقدم على محور كودنا الجويزة وتتجه إلى الجنوب (تلول الشعاف) بمهمة منع نجدة النقطة من دبابات العدو التي تتمركز في منطقة تل الفرس ومعسكر الجوخدار.**

٣ - **مجموعة الاقتحام: قوامها سرية الدبابات ناقص ٢ فصيلة وبقيادة قائد السرية مهمتها اقتحام النقطة وتدمير منشآتها وتحصيناتها وقتل من فيها وجلب أسرى ونماذج أسلحة ووثائق إن وُجدت في النقطة تنفيذاً لقرار القيادة.**

أسلوب التنفيذ:

**مع بدء تمهيد المدفعية على النقطة** وعلى النقاط المجاورة، وعلى معسكرات الخشنية، وعلى تل الفرس وإعماء هذه النقاط والتأثير على الوحدات في أماكن تعسكرها.

**تحركت مجموعتا الحماية رقم ١ - رقم ٢ على المحور المحدد.** وفور تحركها واقترابها من نقطة الاستناد (نقطة شعاف السنديان) شرعت عناصر النقطة بالانسحاب المذعور من النقطة، وكان قبل الانطلاق بـــ ٣٠ دقيقة مجموعة من العسكريين الإسرائيليين على ظهر النقطة ومعهم خرائط يُرجح أنهم ضباط يستطلعون الحد الأمامي ويُرجح أنهم هم الذين انسحبوا بسرعة من النقطة، وعندما شاهدهم عناصر مجموعتي الحماية اندفعوا وراءهم بسرعة على الطريق العام مع الرمي من الحركة من رشاشات الدبابات، وعندها أصبحوا في حالة انهيار، وقبل قرية الجويزة ترجلوا من سيارتين ودخلوا بسرعة خلف الحيطان وداخل الأحراش المجانبة للطريق. وتابعت المجموعة تقدمها إلى المكان المحدد (جورة يحيى) وكان أمامها عربة إسرائيلية منسحبة تم قتل مجموعة من عسكرييها وسقطوا على الأرض وشوهدت السيارة تقف، وترجل عنصران لرفع أحد القتلى إلى السيارة.

**أما مجموعة الانقضاض** على النقطة بقيادة الملازم أول توفيق جلول. فقد دخلت إلى النقطة وإلى الساحة الداخلية بعد أن اقتلع باب النقطة الحديدي بمدفع الدبابة وتم تدمير البلوكوسات - ومحطتي رادار - ومسندي رشاشات ثقيلة وعثر فيها على أجهزة إشارة بحالة عمل والأسلحة الخفيفة للعناصر ولكن العناصر انهزموا وانسحبوا ولم نعثر على أسرى.

**ــ استغرقت العملية ٤٣ دقيقة.** اتصل قائد السرية مع قائد الفرقة وقال له أنا على الهدف تم تدمير بلوكوسين - محطة رادار - مسند رشاش أنتظر أي أوامر جديدة. وعندها تلقى أمراً بالانسحاب إلى منطقة تحشده قبل بدء العملية وانسحبت السرية تحت حماية بعضها البعض بالفصائل ووصلت إلى مكانها التي انطلقت منه كاملة بالعتاد والرجال وبمعنويات عالية جداً.

أعادت جاهزيتها وأحكمت دباباتها استعداد للأعمال القتالية المقبلة من جراء رد فعل العدو على الهزيمة التي لحقت به.

**الاستنتاجات:**

١ - إن كل عمل يخطط بشكل جيد ويُحضر له ويؤمن سينجح.

٢ - إن العدو إذا فوجئ وهوجم ينهزم لا محالة.

٣ - إن الجندي العربي السوري شجاع ومسلح بعقيدة وطنية يستسهل دمه في سبيلها.

٤ - كل وحدة تقاد بحزم في وقت السلم تنجح في الحرب.

**القصف الجوي يوم ٦/٢٥:**

**لم يكن باستطاعة العدو** الرد على العمليات براً بشكل مقبول، كما لم يعتد على تأخير الرد طويلاً فكان الرد بالطيران هو المنتظر.

**ولأنّ العملية الأساسية** أتت إليه من مصدرين رئيسيين هما الفرقة الخامسة والمدفعية بالذات فقد قرر توجيه ضربتين جويتين إلى هذين الهدفين وصعد ضربته إلى مدرسة المدفعية في قطنا وإلى الفرقة الخامسة بضرب المرابض والمقرات وبعض التجمعات الأخرى على امتداد جبهة الفرقة.

**ما جرى في الفرقة الخامسة** - وهي تعلم ما فعلت بالعدو - هو أن وحداتها لم تنم الليل إذ كانت مشغولة بتحضير المرابض والانتشار الواسع.

**حين ظهر الطيران المعادي** الساعة ١٢,٠٠ ظهر يوم ٦/٢٥ كان الجميع بانتظاره دون إنذار لأنهم تلقوا إنذاراً منذ الصباح الباكر وكانت الأوامر مشددة بعدم الظهور أو الرد إلاّ بأسلحة الدفاع الجوي على المدى المناسب.

**في المزرعة على حدود حوران - جبل العرب** - حيث معركة المجاهدين الشهيرة عام ١٩٢٥ كان هناك بلدوزر معطل في ورشة الهندسة وحين طال انتظار الطيران المعادي، لم يستطيع قائد الورشة أن ينتظر وربما قدر أن الإنذار الصباحي عن احتمال قصف معاد ربما كان نوعاً من الحذر لا

أكثر فاصطحب الميكانيكي ومساعداً وبدؤوا عملية الإصلاح - وحين بدأت الغارة الفعلية لم يستطيعوا الهروب فجرح ضابط صف واحد. وهذا كان فداء الفرقة الخامسة الوحيد من غارة العدو الانتقامية.

بينما كان المشهد مختلفاً كثيراً في مدرسة المدفعية بمعسكرات عدنان المالكي في قطنا. إذ فاجأهم الطيران المعادي على ارتفاعات منخفضة بست طائرات فانتوم وكانت المدرسة لم تتلق أي إنذار مسبق. واستمرت الغارة الجوية خمس دقائق بدأت بعدها عمليات إخلاء الجرحى إلى المستشفيين ٦٠٥ و ٦٠١ **وكانت الخسائر بالقوى البشرية كما يلي:**

شهداء ١٠١ - جرحى ٩٩.

**إثر ذلك اقترح رئيس الاركان على وزير الدفاع الفريق الأسد** حول ضرورة نقل المنشآت التعليمية في المنطقة الجنوبية إلى المناطق الوسطى والشمالية والشرقية حتى يكون الطلاب المتدربون يعيشون في جو مريح بعيد عن هاجس المعارك السورية التي تدور رحاها على الجبهة، وصادق القائد الأسد على هذا المقترح وبوشر بتنفيذه فوراً[1].

**الاختراق والهجوم المعاكس:**

**كان من الواضح للعيان أنّ الأمور لم تأخذ مداها على جبهة الفرقة الخامسة**، وأنّ العدو الإسرائيلي لا يمكن أن يكتفي بقصف جوي دون أية نتائج تذكر مقابل اختراق خطوطه والاستيلاء على إحدى نقاطه القوية يوم ٦/٢٤، لذلك استمرت الفرقة الخامسة في استعداداتها وراجعت جداول أهدافها

---

(١) تم نقل مدرسة المدفعية إلى حلب، وتم إسكانها في أحد ثكناتها العسكرية بدون أية مشاكل، كما نقلت مدرسة المشاة إلى دير الزور، ثم قرر الفريق الأسد بضرورة تعديل أمر التمركز إلى حلب لأنّ الحياة في دير الزور والكلام للعقيد الركن صلاح نعيسة، أصعب من القصف الإسرائيلي (راجع العماد طلاس، مرآة حياتي)..

وإحداثياتها وبدلت مرابضها ليلاً وأوقفت جميع التحركات والتجمعات غير الضرورية لمعركة اليوم التالي المحتملة.

تابعت القيادة اتصالاتها مع قائد الفرقة الخامسة العميد أديب الأمير وزودته بالمعلومات المتوفرة لديها عن إعادة تجمع العدو منذ الصباح الباكر.

**وفي الساعة ٩,٠٠ بدأ العدو قصفه الجوي** والمدفعي على مرابض المدفعية ووحدات الدفاع الجوي للفرقة ثم ركز قصفه الجوي والمدفعي على القاطع الجنوبي ما بين صيدا - عين ذكر - رسم الطلائع، واقتصر رد الفرقة الخامسة على التصدي للطيران المعادي مع قصف لبعض مرابض مدفعيته من البطاريات المناوبة. إذ كان تقدير قائد الفرقة أن هذا اليوم لابد أن يكون مكرساً للاختراق مقابل اختراق يوم ٦/٢٤. ولذلك قرر الاحتفاظ بقوته النارية للمرحلة التالية من اليوم وهي المرحلة الحاسمة.

**وفي الساعة ١٣,٤٥ من يوم ١٩٧٠/٦/٢٦م اخترق رتل دبابات معاد** يزيد على ٣٠ دبابة خط وقف إطلاق النار في المنطقة بين أم اللوقس وصيدا على نطاق الحيطة من قطاع دفاع الفرقة الخامسة. جرى التعامل مع الاختراق بقوى اللواء ٦١ المدافع عن القطاع بمساعدة مدفعية الفرقة. أنذر قائد الفوج ١٢ دبابات الرائد وليد حمدون بالاستعداد للقيام بالهجوم المقرر حسب الخطة القتالية المصدقة سابقاً. وأوعز قائد الفرقة للعقيد أحمد الحراكي بتحضير تمهيد مدفعي قدره ٢٥ دقيقة لصالح الهجوم المعاكس، بينما تحرك قائد الفرقة مع مجموعته القتالية المؤلفة من **رئيس فرع الاستطلاع النقيب إلياس رزق ورئيس المدفعية العقيد الحراكي وضباط عمليات لاحتلال** مرصد الفرقة في تل الجموع للإشراف المباشر بالنظر على سير المعركة وذلك تحت سمع وبصر وقصف طائرات الفانتوم التي كانت لا تتوقف عن الهدير في الجو، ثم لا تلبث أن تنقض على المرابض والمواقع القتالية.

**وفي الساعة ١٦,٠٠ وبعد إيقاف تقدم العدو** وتنفيذ التمهيد المدفعي انطلق الفوج ١٢ دبابات في هجومه المعاكس من الخط المقرر له، إلاّ أنه لم

يصل هذا الخط بسهولة لأنّ الطيران المعادي ركز معظم طلعاته على الفوج منذ بدء تحركه محاولاً تدميره أو إيقافه أو تأخيره....

**ومع ذلك فقد استطاع الفوج الوصول في الوقت المحدد ولكن الانتشار والسيطرة لم تتما كما ينبغي**، فبالرغم من أن أية إصابات مباشرة لم يحققها الطيران المعادي في الفوج، إلاّ أنّ كثافة الطلعات والقصف أفقد القادة حُسن توجيههم وسلامة انتشارهم.

**واقترح العقيد أحمد الحراكي** تمديد التمهيد المدفعي عشر دقائق أخرى ووافق قائد الفرقة، حتى وصل الفوج إلى خطوطه تقريباً في وضع أفضل. إلاّ أنّ وضع الارتباك الذي انتابه قبل الزج جعل اجتيازه لحقل الألغام - في طريقه لملاقاة العدو المخترق - مشكلة لم يستطع حلها وتعثر في الحقل.

**قدر العميد أديب الأمير قائد الفرقة**، وهو يرى من مرصده حركة الفوج المتعثر أن انتظار خروج الفوج من حقل الألغام لإتمام مهمته قد يكلفه باقي النهار، مما يعقد المعركة، ويترك احتمال بقاء العدو في بعض مواقع الفرقة على نطاق الحيطة قائماً، وهذا ما لا يمكن قبوله إطلاقاً لذلك أصدر قائد الفرقة أمره القتالي لمعالجة الموقف وهو يتألف من ثلاثة فقرات:

- **يتمركز الفوج ١٢ دبابات** حيث وهو ويشكل قاعدة إسناد نارية.

- **تتحرك كتيبة دبابات من اللواء ٦١** لتقوم بالهجوم المعاكس جبهوياً.

- **تتقدم كتيبة دبابات من اللواء** ٨٨ مدرع لتعزيز الهجوم المعاكس، وكانت أصلاً قرب المرصد في تل الجموع، وصل الأمر باللاسلكي إلى قائد الفوج ١٢ الرائد وليد حمدون، وبالهاتف **للمقدم مروان جوخدار** في اللواء ٦١، وشخصياً **للعقيد عبد الله الشيخ** الذي كان قد التحق بمرصد الفرقة إلى جانب **العميد أديب الأمير قائد الفرقة** كنسق ثان احتياطي.

**وتم طرد العدو** حوالي الساعة ١٨,٣٠ من مساء اليوم نفسه.

**ولا بد من الإشارة في هذا المجال** إلى أن قائد الفرقة الخامسة العميد الركن أديب الأمير اتخذ قراراً تكتيكياً جريئاً وبعيد النظر وعلى مسؤوليته في استخدام اللواء ٨٨ مدرع، ولذلك فقد أوعز إليه بالتحرك منذ بدأ العدو عملياته البرية ظهراً ليكون جاهزاً للتدخل إذ لزم الأمر.

**وعن تعثر الهجوم المعاكس للفوج ١٢**، وكانت القيادة تلاحقه مطالبة بالمعلومات المتعلقة بمعركة هذا الفوج وكان اللواء يوسف شكور هو الموكل بالاتصال به ثم بنقل الصورة إلى القيادة المجتمعة، وحين سأل اللواء شكور العميد أديب الأمير عن سبب التأخر عن تنفيذ المهمة أجابه أديب أنّ كثافة الطيران عطلت السيطرة على القوات وعلى الممرات في حقل الألغام، فقال له: ما هي طلباتك لتسريع العملية أجابه العميد أديب الأمير:

- **إما أن يخرج طيراننا** ليقوم على الأقل بتشتيت التركيز الجوي المعادي على الفوج - أو السماح لي باستخدام اللواء ٨٨ مدرع.

**طلب اللواء شكور مهلة وعرض الأمر علينا**، فتبين أن الأمرين شبه مستحيلين في الوقت الراهن فأعاد الاتصال بالعميد قائد الفرقة، وقال له كيف تستطيع استخدام اللواء ٨٨ وهو بعيد عنك مسيرة أكثر من ساعتين بين رخم وميدان المعركة؟

**أجابه العميد أديب الأمير قائد الفرقة**: لقد استخدمت صلاحياتي كقائد منطقة[١] وأمرته بالتحرك وهو الآن ما بين تل الجموع وداعل وإبطع، ويستطيع التدخل إذا سمحت القيادة بذلك.

---

(١) لم يكن اللواء ٨٨ مدرع من ضمن ألوية الفرقة ولكنه كان متمركزاً في منطقة رخم شرقاً كاحتياط قيادة عامة لصالح المنطقة الجنوبية، والتي تدافع عنها أصلاً الفرقة الخامسة، ولذلك كان الروتين يفترض لاستخدام هذا اللواء استئذان القيادة العامة قبل تحريكه، لولا أن ظروف الميدان لم تكن تسمح باحترام جميع الشكليات دائماً.

**يقول العماد مصطفى طلاس في مؤلفه (مرآة حياتي) وافق الفريق الأسد على خطة قائد الفرقة** وأبلغت الموافقة شفهياً إلى العميد أديب قائد الفرقة وتمت العملية بنجاح، ولكن بالرغم من نجاحها قد حزنت كثيراً لاستشهاد الرائد نصر الدين حسين قائد كتيبة دبابات لأنه خدم معي في **اللواء الخامس المدرع بعد ثورة آذار المجيدة.** ولكن الحق يقال لقد دفع شهيدنا الغالي حياته ثمناً لخطئه الشخصي، فأثناء إحدى الغارات الجوية على كتيبته قفز من الدبابة إلى الأرض فأصابه صاروخ مضاد للدبابات من الصواريخ الذي تقذفها الطائرات عشوائياً، وكان الأجدر به أن يظل في دبابته وهذا يعطيه احتمالاً أكبر لحماية نفسه وقد أكدت حرب تشرين ذلك، **فمعظم أطقم الدبابات نجوا من الإصابات القاتلة** لبقائهم في دباباتهم، وهذه القاعدة يجب ألاّ تغيب أبداً عن عقول رجال دباباتنا.

**بلغ حجم الخسائر في هذه المعركة الحاسمة كما يلي:**

**أ - لدى العدو:**

- **قتل وجرح ما لا يقل عن ٢٠٠ عنصر.**
- **تدمير ١٩ دبابة و ١١ ناقلة مدرعة وإبطال موقعي تل الفرس والرفيد.**
- **إسقاط طائرة وأسر طيار.**

**ب - خسائرنا:**

- **٥٢ شهيداً بينهم ٣ ضباط و ٩ ضباط صف.**
- **٢٥ جريحاً (٥ ضباط و ٢٠ ضابط صف).**

**- خسائر العتاد:**

تدمير ٨ مدافع دفاع جوي ٥٧مم و ٣ دبابات ت - ٣٤ و ٢ قانص مدرع و ٥ عربات.

## ثالثاً - مأثرة الرقّاد:

**في الساعة ٩,٣٠ من يوم ١٩٧٠/٦/٢٦م قام طيران العدو بشكل مفاجئ بقصف المعسكرين رقم ٤ و ٥ من معسكرات عدنان المالكي في قطنا**، كما قام حتى الساعة ١٢,٠٠ بتعزيز مواقعه الأمامية في مواجهة الفرقة السابعة، بعد ذلك، بدأ بقصف المواقع الأمامية في تل الظهور ورويسة القنديل وأوفانا وتل صاحي وتل الأحمر بالمدفعية والهاون والدبابات، حيث قامت قواتنا بالرد على مصادر النيران بشكل متقطع حتى ساعة انطلاق الإغارة على نقطة استناد جسر الرقاد المعادية.

**أمر الفريق الأسد وزير الدفاع** في الساعة ١٥,٤٥ في ١٩٧٠/٦/٢٦م بضرورة وأهمية تخفيف الضغط على الفرقة الخامسة في القطاع الجنوبي وطلب **إلى رئيس الأركان** أن يتصل **بالعميد الركن صباح الأتاسي قائد الفرقة السابعة** لتكليف إحدى سرايا الدبابات المعززة باجتياز خط وقف إطلاق النار والإغارة على نقطة استناد جسر الرقاد.. وعلى الفور **اتصل اللواء طلاس رئيس هيئة الأركان** هاتفياً بقائد الفرقة وأعلمه بتوجيهات القائد الأسد وإن عليه أن ينفذ الإغارة بعد ساعة واحدة فقط من صدور الأمر. وقال العميد المهمة معقدة؟، فأجابه طلاس من الناحية العسكرية والعملياتية معك الحق.. ولكن أوامر وزير الدفاع واجبة التنفيذ، وعلينا جميعاً أن نتذكر ما تعلمناه في الكلية الحربية في اليوم الأول إنّ واجب الجندي أن يُنفذ الأمر أولاً ثم يعترض ثانياً إذا شاء...

فأجابه: سوف أُنفذ الأمر ولن أعترض أبداً.

**- وفي الساعة ١٦,١٥ قامت مدفعيتنا وهاوناتنا مع الدبابات والقوانص والأسلحة المضادة للدبابات في الفرقة السابعة** بالاشتباك مع مواقع العدو على كامل مواجهة الفرقة عدا قطاع اللواء ٤١ مشاة، وذلك بقصد تضليل العدو ليقوم بدفع احتياطاته بعيداً عن قطاع دفاع هذا اللواء.

وفي الوقت نفسه، تحركت سرية دبابات من اللواء ٦٨ مشاة باتجاه تل الهوى، كما تقدمت سرية دبابات من اللواء ٥٢ مشاة باتجاه نبع الصخر - الرويحينه، وذلك بعملية خداعية لصالح الإغارة المبيتة على نقطة استناد الرقاد المعادية، كما تحركت في الوقت نفسه سرية دبابات من فوج الدبابات ٧٨ إلى منطة أيوبة لدعم اللواء ٤١ مشاة إذا دعت الضرورة.

**تحت ستار هذه النيران الكثيفة،** وفي الساعة ١٦,٤٥ تقدمت سرية دبابات من الكتيبة ١٦٩ دبابات من اللواء ٤١ مشاة، معززة بالمشاة من مواقعها في منطقة تل الشعار على محور خان أرنبة - الرقاد. وعند وصولها إلى الحد الأمامي للصديق، قامت الدبابات والقوانص وأسلحة الرمي المباشر لمواجهة **نقطة استناد جسر الرقاد بالرمي عليها بغزارة ودقة،** ثم تابعت سرية الدبابات تحركها على يمين الطريق العام (غرباً) **وقامت باقتحام النقطة المذكورة من الناحية الشمالية** حيث توقفت الدبابات على مشارف النقطة وقامت عناصر المشاة المحمولة المعززة للسرية بتطهير النقطة، ثم انسحبت بعد ذلك عناصر الإغارة إلى المواقع الدفاعية تحت ستار كثيف من رمايات المدفعية والهاونات الصديقة إلاّ أنها تعرضت خلال تحركها وانسحابها إلى قصف شديد من الطيران المعادي مما أدى إلى تدمير الناقلة المدرعة التي كانت تحمل عناصر المشاة قرب النقطة واستشهاد عنصرين كما قام الطيران المعادي، إثر الإغارة بقصف مرابض الفوج ١٧م/ط والكتيبة ١٦٨ مدفعية من اللواء ٤١ مشاة واستمرت الاشتباكات حتى الساعة ٢٠,٠٠ حيث توقفت على كامل مواجهة الفرقة السابعة. وقد تمكنت سرية الدبابات من الانسحاب بكاملها دون خسائر تذكر.

**هذه هي خلاصة عملية الرقاد كما وردت في وثائق العمليات،** إلاّ أن وراء هذه العملية قصة حقيقية من قصص البطولة النادرة، سطرها ببساطة وتواضع بعض رجالنا البواسل من جنود الفرقة السابعة، ننقلها بأمانة عفوية

كما وردت على لسان القادة والجنود الذين خاضوا هذه المعركة المشرفة وزعزعوا إلى حد كبير أسطورة العدو الذي لا يُقهر كما حطموا بإيمانهم وعزيمتهم وتضحياتهم غرور العدو وتبجحاته منذ حرب حزيران من العام ١٩٦٧م.

- **بدأت هذه القصة يوم ٢٦ حزيران ١٩٧٠م، الساعة ١٦,٣٠،** عندما انطلقت السرية الثانية دبابات من الكتيبة ١٦٩ دبابات من اللواء ٤١ مشاة مع جماعة مشاة من السرية الخاصة لهذا اللواء بمهمة اقتحام موقع الرقاد المحصن وتدمير حاميته، بهدف تخفيف الضغط عن رفاق السلاح في القطاع الجنوبي.

- **انطلقت السرية الثانية دبابات بإمرة قائدها الملازم الأول عمر حميدة،** وعبرت الخندق الأول الصديق في حوالي الساعة ١٧,٠٠ باتجاه الرقاد، ترافقها ناقلة مدرعة تحمل ١١ عنصراً من السرية الخاصة للواء ٤١ مشاة وما كادت هذه السرية تعبر الخندق الأول حتى سارع العدو إلى إرسال طائرات الفانتوم لتدمير السرية قبل بلوغ هدفها.

**كانت المعركة قاسية** جداً بين رجالنا وطائرات العدو التي كانت تتعاقب على موجات متلاحقة وتقصف سريتنا بالصواريخ والقنابل والرشاشات. استمرت هذه المعركة الضارية حوالي الساعتين والنصف منذ انطلاق السرية وحتى عودتها سالمة إلى الخطوط الصديقة.

**وهكذا تابعت دباباتنا القديمة (ت - ٣٤)** تقدمها رغم كل شيء حتى بلغت الهدف. هنا فتحت نيران مدافعها ورشاشاتها على عناصر الموقع فدمرت قسماً من منشآته وتحصيناته ثم بدأ رجالنا بالترجل من الناقلة التي كانت على مسافة /٣٠٠م/ من الموقع المذكور عندئذ انفجر بينهم صاروخ معاد أصاب الناقلة وجرح ثلاثة من رجالنا بينهم الرقيب الأول رجب الساعي قائد الجماعة، **واستشهد اثنان هما المجند محمود قوسي والمجند محمد**

**حبيب البيوش** كما جرح **المجند محمد منيف صبوح، رامي الرشاش،** ثم ما لبث أن استشهد فيما بعد عند دخوله إلى الوحدات الصديقة عندما كان يرمي من رشاشه الخفيف على طائرة منقضة، فأصابته إصابة مباشرة.

**أما الرجال الستة الآخرون،** الذين تركوا قائدهم الجريح قرب الناقلة يضمد جراحه، قد قرروا متابعة تنفيذ المهمة واقتحام موقع الرقاد المحصن بعد أن قسموا أنفسهم إلى قسمين: مجموعة للاقتحام ومجموعة للحماية.

**تألفت مجموعة الاقتحام من العريف فضل الله** حرب قائد المجموعة والعريف المجند عصمت سلامة والعريف المجند أسعد حمادة. كما تألفت مجموعة الحماية من العريف المجند مصطفى المكيس والمجند حمدان مصطفى والمجند ناصر وهبة.

**تقدمت مجموعة الاقتحام نحو مدخل الموقع المعادي،** وما كادت تبلغه حتى فاجأها العدو برمايات غزيرة من رشاش ثقيل. هنا قام العريف مصطفى المكيس والمجند حمدان مصطفى رامي السلاح المضاد للدبابات (ر.ب.ج - ٧) والمجند ناصر وهبة بالرمي على الرشاش المعادي فدمره بثلاث قذائف (ر.ب.ج - ٧) وبعدة رشات من أسلحتهم الفردية. عند مدخل الحصن، أصيب قائد المجموعة **العريف فضل الله حرب،** فوقع على الأرض وأخذ يضمد جراحه طالباً من رفيقيه متابعة المهمة تحت حمايته وتغطيته.

**دخل البطلان الموقع المحصن** وحدهما يحملان معهما كل الحقد على الظلم والعدوان وكل الحب لشعبنا النبيل وأرضنا الطيبة. وما كاد العدو يشعر بأن جنودنا داخل الموقع، حتى انقسم إلى قسمين: قسم خرج من الملجأ محاولاً الاختفاء داخل الخنادق، وعددهم حوالي عشرة جنود، فاستقبلهم البطلان عصمت وأسعد برشات غزيرة من الأسلحة الفردية وبالقنابل اليدوية، بينما هرب من مخرج النقطة قسم آخر باتجاه **قرية الحميدية (وعددهم خمسة جنود)،** حيث تصدى لهم الملازم أول عمر حميدة بعدة قذائف من دباباته فقتلهم على الفور.

**بعد أن انتهى العريف عصمت سلامة والعريف أسعد حمادة من قتل معظم جنود العدو**، وكادت تنفذ ذخيرتهما وقنابلهما اليدوية، عادا تحت قصف الطيران إلى الخطوط الصديقة دون أن يصابا بأي خدش «فلا نامت أعين الجبناء....».

**أما العريف فضل الله حرب**، الذي انتهى من تضميد جراحه وتغطية رفاقه، فقد رفض العودة قبل أن يضع ما يحمله من قنابل يدوية في طلاقة إحدى المنعات المعادية القريبة، **مدمراً من بقي فيها من رجال.** كذلك عادت مجموعة الحماية التي كان يقودها **العريف المجند مصطفى المكيس**، بسلام رغم التدخل المستمر للطيران المعادي.

وهكذا عادت جميع عناصرنا ودباباتنا عدا المجندين محمود قوسي ومحمد حبيب البوشي.

**هنا تبدأ المأثرة الرائعة الجديدة** لجنودنا الأبطال في البحث عن زميليهما المفقودين: فعلى الرغم من التعب والقصف الجوي، طلب رجالنا السماح لهم بالعودة ثانية للتفتيش عن زميليهما المفقودين. **ومن جديد دخل العريف عصمت سلامة والعريف أسعد حمادة والعريف مصطفى المكيس إلى الأرض المحتلة ولم يعودوا إلاّ بعد العثور على جثتي الشهيدين محمود قوسي ومحمد حبيب البوشي إلى جانب الناقلة المحترقة، فحملوهما وعادوا بهما إلى الخطوط الصديقة مقسمين على الثأر والانتقام.**

**خسائر الطرفين على طول الجبهة في ذلك اليوم المشهود:**

**أ - العدو:**

**١ - مقتل ١٥ جندياً في نقطة استناد جسر الرقاد.**

**٢ - احتمال وقوع الخسائر التالية نتيجة اشتباكات الفرقة السابعة:**

**- تدمير دبابة في نقطة استناد سحيتا بمن فيها من عناصر.**

- **تدمير ٣ منعات رشاش في نقطة استناد رويسة الحمراء بمن فيها من عناصر.**

- **تدمير مرصد في نقطة استناد رويسة الحمراء بمن فيه من عناصر.**

- **تدمير دبابة وناقلتين مدرعتين في جسر الرقاد.**

- **تدمير مرصد تل الشيخة.**

- **تدمير محطة رادار شمالي القحطانية.**

- **تدمير منعتين ودبابة في تل الذهب بمن فيها من عناصر.**

- **إسكات بطاريات مدفعية العدو وهاوناته** في المواقع التالية (نبع المشرفة - مرج بقعاتا - جورة أبي عبد الله - تل الشيخة - ظهرة الزبدة - ظهرة إبراهيم - ظهرة الخوين - ظهرة عساف - الحميدية - الغسانية - الريحانية).

- **إحداث تدمير كبير في مرصد جبل الشيخ** مع خسائر فادحة في معسكر الريحانية والغسانية.

- **إسقاط طائرتي ميراج وسكاي هوك** في منطقتي تل أبي الندى والقنيطرة.

**ب - الصديق:**

- **الشهداء: صف ضابط + ٤ أفراد.**

- **الجرحى: النقيب محي الدين توتنجي فوج (١٧م/ط) +٨ صف ضابط +٤ أفراد.**

- **المفقودون: فرد واحد.**

- **الخسائر بالعتاد: تدمير ناقلة مدرعة تحمل جهازين لاسلكيين ١١٢ و١١٣.**

**أخيراً، لا بدّ، قبل انتهاء الحديث عن هذه المأثرة الرائعة،** من التنويه **بدور رجال المدفعية في فوج المدفعية** والألوية الذين نجحوا في الحيلولة دون وصول احتياطات العدو إلى موقع جسر الرقاد على كافة المحاور رغم شراسة الطيران المعادي. **كما ظل رجال المدفعية المضادة يقفون كالأبطال صامدين** لحماية إخوانهم من الصنوف الأخرى رغم تعرضهم للغارات الجوية المتواصلة.

## أصداء معارك الأيام الثلاثة:

**أثارت أنباء الانتصارات التي حققتها قواتنا المسلحة في «معارك الأيام الثلاثة» من شهر حزيران ١٩٧٠م ضد العدو الصهيوني** مشاعر التقدير والإكبار في الأوساط العربية والدولية، واحتلت الصدارة في الصحف العربية التي أجمعت على أن بطولات قواتنا المسلحة في البر والجو تعتبر تطوراً جديداً وإيجابياً ستكون له آثاره القريبة والبعيدة في منطقة الشرق العربي.

**كما عبرت البرقيات العديدة،** التي تلقتها قيادة القوات المسلحة العربية السورية، عن مشاعر الفخر والإعجاب والأمل الذي غمر الجماهير العربية والقوات المسلحة في أنحاء الوطن العربي كافة.

**وأسهمت الصحافة في نقل أصداء هذه المعارك للشعب العربي في جميع أقطاره** مشيرة إلى الأحداث القتالية الرائعة، ومُشيدة ببطولة الجيش العربي السوري وهجماته الجريئة التي كبدت خسائر فادحة في الأرواح والمعدات.

**وأبرزت المعنويات العالية في تجاوز حرب المواقع في عام ١٩٦٧م** وانتقلت إلى التحرك المنظم والمبادرة الواعية. ورأت في الحدث مرحلة هامة على طريق التحرير الذي يخطط له عملياً حيث كان لا بد من أعمال تعرضية، وتعامل جدي مع العدو، فحرب التحرير لا تنطلق مرة واحدة من الخنادق.

ولابد من التنويه **أخيراً** في هذا المجال بأهم البرقيات التي تلقاها **السيد الفريق حافظ الأسد**، وزير الدفاع والتي تلقاها **رئيس هيئة أركان الجيش والقوات المسلحة**:

**- فقد تلقى السيد الفريق الجوي حافظ الأسد، وزير الدفاع، البرقية التالية من الماريشال أندريه غريتشكو وزير الدفاع السوفييتي آنذاك جاء فيها:**

**«الفريق الجوي حافظ الأسد، وزير الدفاع في الجمهورية العربية السورية المحترم:**

**إن القوات المسلحة السورية الباسلة قد ردّت برجولتها وبطولتها المعهودة التي تتميز بها على الغزاة الإمبرياليين رداً حاسماً في يوم ٢٦ من الشهر الجاري عندما اعتدى الإسرائيليون على القطاع الجنوبي من الجبهة، فأحبطت نواياهم وذلك بتدمير ٢٥ دبابة معادية و ٢٥٠ جندياً وضابطاً وإبطال عشر سرايا مدفعية.**

ثم أردف الماريشال **غريتشكو يقول**:

**«كما أن الطيارين السوريين قد أظهروا مهارتهم العالية في الطيران وجرأتهم المتناهية، وكانت أعمال قوات الدفاع الجوي ماهرة وسليمة، مما أدى إلى إسقاط ١١ طائرة معادية وتدميرها.**

- **السيد الوزير**: إننا سُررنا بنجاحاتكم القتالية، وأرجوكم أن تتقبلوا تهانينا الصريحة وأتمنى للشعب السوري الباسل وقواته المسلحة حياة حافلة بالانتصارات الجديدة من أجل سحق الغزاة الإسرائيليين سحقاً نهائياً.

**كما تلقى اللواء طلاس رئيس هيئة الأركان**، البرقية التالية من السيد الفريق محمد أحمد صادق، رئيس أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة:

«**إن البطولة والاستبسال** اللذين أبدتهما القوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية بمهاجمة قوات العدو في الأرض المغتصبة وتدميرها لقواته قد ضاعفت من إيماننا جميعاً بحتمية النصر في المعركة المصيرية.

**أرجو أن تتقبلوا خالص تحياتي** وتقدير رجال القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة إلى الأبطال في الجمهورية العربية السورية».

**كما تلقى السيد الفريق وزير الدفاع سيلاً من البرقيات من مختلف المنظمات الشعبية والنقابات في المحافظات كافة،** تشيد بالموقف البطولي الذي وقفه الجيش العربي السوري في مواجهة قوى الغدر والعدوان، معاهدين سيادته على الاستعداد للفداء والبذل والعطاء.



# البَابُ الخَامِسُ

## حرب تشرين التحريرية

## عام ١٩٧٣م



# الفَصْلُ الأَوَّلُ

## مراحل حرب تشرين الرئيسة ويومياتها

**تمهيد:**

**عملت إسرائيل، بعد المكاسب التي حققتها في حرب ١٩٦٧م**، على تجميد الأمر الواقع أطول فترة ممكنة بهدف تأمين ضم أجزاء كبيرة من الأراضي العربية المحتلة (مثل قطاع عزة، وشرم الشيخ والشاطئ الغربي لخليج العقبة المؤدي إليها، والضفة الغربية، والقدس، والجولان) والمساومة مع مصر على بقية أجزاء سيناء المحتلة من أجل فرض «السلام الإسرائيلي» عليها، فضلاً عن أن إطالة فترة احتلال سيناء كانت توفر لها مزيداً من نهب ثرواتها الطبيعية، ولا سيما بترول آبار أبورديس وبلاعيم الخ.. التي تؤمن لها ٦٠% من حاجاتها النفطية.

**ولذلك أخذت إسرائيل تساندها الولايات المتحدة الأمريكية، تماطل وتتهرب من تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢م**، الذي وافقت عليه هي والولايات المتحدة (كما وافقت عليه مصر والأردن) عند صدوره. وهو القرار الذي منحها ضمناً من الجانب العربي الرئيسي (مصر)،للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي، ضمان حدودها ووجودها السياسي في الأراضي الفلسطينية المحتلة في **حرب** ١٩٤٨، وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية

في المنطقة فضلاً عن تجاهله لقضية الشعب الفلسطيني المترتبة عن اغتصاب أرضه وطرده منها وتحويل القضية إلى مجرد مشكلة لاجئين تحتاج إلى تسوية عاجلة.

**وعلى الرغم من تضمين القرار ٢٤٢ لهذه النقاط التي ادعت إسرائيل أنها شنت حرب عام ١٩٦٧م العدوانية من أجل تحقيقها، فقد عمدت إسرائيل إلى التهرب من تنفيذ القرار في بنده الرئيسي الذي ينص على إزالة آثار عدوان ١٩٦٧م**، والذي يقضي بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها خلال هذه الحرب، وذلك وفقاً لقاعدة «**عدم شرعية الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب**» التي أوردها القرار المذكور في مقدمته. واستندت في تهربها هذا إلى تلاعب لفظي في تفسير النص الإنكليزي للقرار، مؤداه أن القرار إنما ينص على الانسحاب من «**أراضٍ**» احتلت وليس من «الأراضي» التي احتلت (كما جاء في النص الفرنسي للقرار، وهو التفسير الذي تتمسك به الدول العربية ومعها آنذاك الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية وبقية الدول المؤيدة للعرب).

**وطالبت إسرائيل مصر بالدخول معها في مفاوضات مباشرة تنتهي بعقد معاهدة سلام دائم كشرط مسبق** للنظر في تنفيذ القرار المذكور. وفي الوقت نفسه أخذت تعلن على لسان قادتها المختلفين وفي مناسبات متعددة عن نواياها التوسعية المتمثلة في ضم مناطق معينة إلى الأرض التي كانت تحتلها قبل حرب ١٩٦٧م،وكانت هذه المناطق تشمل: الجولان، والقدس، والضفة الغربية، وقطاع غزة، وشرم الشيخ.

**وقد بلورت إسرائيل مقترحاتها البديلة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢**، سواء بالنسبة إلى مصر أم إلى الدول العربية الأخرى، في مشروع تسوية سلمية عرضه وزير خارجيتها «**أبا إيبان**» في الأم المتحدة **يوم ١٩٦٨/١٠/٨م** كأساس لمباحثاتها مع الوسيط الدولي «**غونار يارينغ**»، الذي كان «**يوثانت**» السكرتير العام للأمم المتحدة قد عينه كممثل خاص له لإقامة

اتصالات مع الدول المذكورة بهذا الصدد. وتضمن المشروع الإسرائيلي ضرورة عقد اتفاقيات سلام دائم بشكل تعاقدي بين إسرائيل ودول المواجهة العربية،تحدد الحدود الآمنة لإسرائيل، وتضمن لها حرية الملاحة في الممرات المائية، وتعين حجم وتوزيع القوات العسكرية على الحدود، وضرورة أن تشمل محادثات السلام أيضاً كيفية الاستفادة المشتركة من موارد المنطقة الاقتصادية، بما يؤدي إلى جعل إسرائيل والدول العربية تشكل ما أسمته «**مجموعة شرق أوسطية**»الأمر الذي يؤمن لإسرائيل السيطرة الاقتصادية على ثروات المنطقة العربية ومواردها.

**ومضت إسرائيل في تسويفها. فرفضت وساطة الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا)**، التي تقدمت بها الدول المذكورة في ١٩٦٩/٤/٨م إلى الأمم المتحدة (**أي يوثانت**) والدول العربية وإسرائيل، والمتعلقة بضرورة سرعة تنفيذ قرار مجلس الأمن **رقم ٢٤٢**، ودعم جهود «**يارينغ**». وجاء هذا الرفض على لسان «**إيبان**» يوم ١٩٦٩/٤/١٣م الذي أعلن أن تدخل الدول الكبرى شل مهمة «**يارينغ**»، وأن إسرائيل عند موقفها الذي عبر عنه بمشروعه المذكور آنفاً.

**وفي هذه المرحلة من المماطلات الإسرائيلية، بدأت مصر حرب الاستنزاف يوم ١٩٦٩/٣/٨م**، وذلك بهدف تحقيق قدر من الضغط العسكري على إسرائيل لفترة طويلة نسبياً تجعلها تشعر بفداحة الثمن البشري والاقتصادي الذي تدفعه في سياستها المماطلة في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ من أجل تثبيت سياسة الأمر الواقع التي تفرضها، ودون السماح لها في الوقت نفسه باستخدام عناصر تفوقها العسكري في حرب الحركة الخاطفة المعتمدة على عمليات الطيران والمدرعات.

**وقدمت الولايات المتحدة لإسرائيل مزيداً من الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي** كي تصمد في حرب الاستنزاف وتحولها إلى

استنزاف مضاد لموارد مصر العسكرية والاقتصادية والمعنوية. فكانت صفقة طائرات «**الفانتوم**» الأولى، التي ضمت **٥٠ طائرة،** والتي اتفق عليها في نهاية العام **١٩٦٨م،** وبدأت تصل إلى إسرائيل في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩م، العنصر الرئيسي في الدعم العسكري الإمريكي الذي مكنها من شن سلسلة غارات جوية في العمق المصري في النصف الأول من العام ١٩٧٠م.

**ولكن مصر استطاعت أن تواصل عمليات حرب الاستنزاف، بفضل إرادة صمودها ومقابل تضحيات اقتصادية وبشرية كبيرة،** وبفضل تزايد الدعم العسكري السوفييتي لها الذي مكنها من إقامة شبكة قوية للدفاع الجوي تستند على صواريخ «سام٣»و«سام ٢» و«سام٧»، ومقاتلات معترضة من طراز «ميغ ٢١» المطورة(وبعض طائرات «سوخوي١٥» التي كان يقودها طيارون سوفييت،كما كان يدير بطاريات صواريخ «سام٣» في بداية وصولها جنود وخبراء سوفييت وبخاصة في العمق، إلى أن تم تدريب أطقم مصرية على استخدام هذه الصواريخ)[1].

**ونتيجة لذلك فقد توقفت غارات العمق الإسرائيلية،** وتزايدت خسائر الطيران في غارات الجبهة بصورة كبيرة نسبياً خلال النصف الأول من شهر تموز (**يوليو**) **١٩٧٠م** حتى بلغت ٨ طائرات «فانتوم» و ٦ «سكاي هوك» (اعترفت المصادر الإسرائيلية بسقوط ٥ طائرات فانتوم فقط)، **ثم توقفت غارات الجبهة أيضاً في ١٩٧٠/٧/١٩م، إلى أن تم وقف إطلاق النار بصورة فعلية في ١٩٧٠/٧/٣١م،** وبصورة رسمية في ١٩٧٠/٨/١٧م عقب إعلان موافقة مصر والأردن وإسرائيل على المشروع الأمريكي المعروف باسم «**مبادرة روجرز**»، الذي تقدمت به الولايات المتحدة إلى مصر يوم ١٩٧٠/٦/١٩م (في صورة رسالة موجهة من «**روجرز**» وزير الخارجية

---

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى محمود ، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٥٨٣.

الأمريكي إلى «**محمود رياض**» وزير الخارجية المصري)، **رداً على التحذير الذي كان الرئيس جمال عبد الناصر قد وجهه إليها في خطابه يوم أول أيار (مايو) ١٩٧٠م**، بأن مصالحها في الشرق الأوسط سوف تتعرض للخطر إذا استمرت في سياستها المساندة لإسرائيل على النحو المطلق الذي تمارسه. وقد تضمنت «**مبادرة روجرز**» موافقة مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار لمدة محدودة (٩٠ يوماً) وتجديد مهمة الوسيط الدولي «**يارينغ**» من أجل إيجاد الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

**إلا أن إسرائيل التي لم توافق على المبادرة الأمريكية إلا بعد أن حصلت على ضمانات باستمرار المساعدة العسكرية الأمريكية** من أجل الحفاظ على «توازن القوى» في المنطقة، فعملت منذ البداية على عرقلة مباحثات «**يارينغ**» عن طريق تقديم عدد من الشكاوى إلى لجنة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة، تتعلق بخرق مصر لاتفاقية وقف إطلاق النار عن طريق إقامة عدد من بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات في مناطق قريبة للغاية من الضفة الغربية للقناة بعد وقف إطلاق النار، وبصورة مخالفة لما اتفق عليه من ترتيبات أمنية عسكرية في الاتفاقية المذكورة، بوساطة الولايات المتحدة، التي أيدت هي الأخرى شكاوي إسرائيل في ١٩٧٠/٩/٣م، وزعمت أن صور طائرات الاستطلاع والأقمار الصناعية الأمريكية أكدت ذلك. وعلى إثر ذلك أعلنت إسرائيل في ١٩٧٠/٩/٦م تعليق مشاركتها في محادثات «**يارينغ**» إلى أن تنفذ مصر اتفاقية وقف إطلاق النار، وتسحب بطاريات الصواريخ بعيداً عن القناة.

**ولم تمض عشرة أيام على ذلك، حتى بدأت معركة** «**أيلول**» **في الأردن بين السلطة الأردنية والمقاومة الفلسطينية**، وانشغلت بها مصر والدول العربية الأخرى بصورة كلية. ثم **توفي الرئيس جمال عبد الناصر في ١٩٧٠/٩/٢٨م** م والصراع الأردني - الفلسطيني على أشده، وجددت فترة وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر أخرى في ١٩٧٠/١١/٤م بقرار من

الجمعية العامة للأمم المتحدة، تضمن أيضاً ضرورة إحياء مهمة «**يارينغ**». وقد قدمت له إسرائيل في ١٩٧١/١/٨م مشروعاً جديداً للسلام **مؤلفاً من ١٤ نقطة** كان أبرز ما تضمنه هو إصرارها على اتخاذ مصر والأردن قراراً صريحاً بإنهاء النزاع كلياً بما فيه ذلك المقاطعة الاقتصادية، وعقد معاهدة سلام تحدد فيها الأراضي التي تنسحب منها القوات الإسرائيلية على ضوء الحدود الآمنة المعترف بها والمتفق عليها.

**وقدمت مصر مشروعاً مضاداً في ١٩٧١/١/١٨م مؤلفاً من ٦ نقاط**، تضمن ضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧/٦/٤م مقابل إنهاء حالة الحرب، والسماح لإسرائيل بحرية الملاحة في الممرات المائية، وضمان الاستقلال السياسي لدول المنطقة عن طريق قوات طوارئ دولية، وإقامة مناطق منزوعة السلاح على كلا طرفي الحدود. ورفضت كل من مصر وإسرائيل مشروع الطرف الآخر. وعندما حل موعد انتهاء وقف إطلاق النار للمرة الثانية في ١٩٧١/٢/٢٥م، **أعلن الرئيس المصري أنور السادات** في اليوم السابق لانتهائه تمديد وقف إطلاق النار لمدة ٣٠ يوماً، واقترح أن تقوم إسرائيل خلال هذه الفترة بسحب قواتها مسافة ما من الضفة الشرقية للقناة، كخطوة أولى نحو وضع جدول زمني من أجل انسحابها الكامل **وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢**. وعندئذ ستقوم مصر بتنظيف القناة وجعلها صالحة للملاحة من جديد. إلاَّ أن إسرائيل رفضت هذه الشروط، وأبدت استعدادها للتفاوض على فتح القناة للملاحة كموضوع مستقل.

**وعندما حل موعد انتهاء فترة الثلاثين يوماً المذكورة في ١٩٧١/٣/٧م**، أعلن **الرئيس السادات** أن مصر لن تجدد وقف إطلاق النار لفترة أخرى، ولكنه أوضح أن ذلك ليس معناه بدء القتال فوراً، وإيقاف الجهود الدبلوماسية الهادفة إلى حل الأزمة[1].

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٦٩٦.

**وتوالت بعد ذلك مشروعات مختلفة التسوية** من جانب«**يارينغ**» ومصر وإسرائيل ورؤساء الدول الأفريقية طوال العام ١٩٧١م.وكان أبرزها مشروع طرحه **الرئيس السادات** حول تسوية جزئية كخطوة أولى نحو السلام العربي الإسرائيلي، وعرضه في حديث صحفي مع مجلة «**نيوزويك**» الأمريكية يوم ١٩٧١/٢/٤م، واقترح فيه انسحاب إسرائيل إلى خط يمتد من العريش شمالاً حتى رأس محمد جنوباً في سيناء (أي تبقى شرم الشيخ في أيدي إسرائيل مؤقتاً) مقابل أن تضمن مصر إعادة فتح قناة السويس للتجارة الدولية خلال ٦ أشهر، وتمدد وقف إطلاق النار لفترة تكفي لقيام «**يارينغ** بمهمته وفقاً للقرار ٢٤٢، وتضمن حرية الملاحة في مضائق تيران عن طريق وضع قوة طوارئ دولية في شرم الشيخ، كما أكد فيه استعداد مصر لعقد معاهدة سلام تضمن اعترافاً بالسلامة الإقليمية لكل دولة في المنطقة، بما فيها إسرائيل، إذا ما انسحبت الأخيرة من كافة المناطق العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧م.

**ولكن** «**غولدا مائير**» ، **رئيسة وزراء إسرائيل، ردت بالرفض،** وعرضت مشروعاً مضاداً في حديث نشرته صحيفة «**التايمز**» البريطانية في **١٩٧١/٣/١٢م**، طالبت فيه بأن تكون سيناء منطقة مجردة من السلاح، وأن تستمر السيطرة الإسرائيلية على شرم الشيخ، وعدم عودة قطاع غزة لإشراف مصر، على أن تعتني إسرائيل باللاجئين. وأكدت «**مائير**» أن بإمكان غزة أن تصبح مرفأً أردنياً، وأن إسرائيل لن تنسحب من مرتفعات الجولان، أما الضفة الغربية فيجب إجراء مفاوضات حول خط الحدود فيها، على ألا تعبر أية قوات عربية إليها، وأن تشكل هذه الحدود عاملاً فعالاً في الربط بين العرب وإسرائيل.

ورفضت **مائير** قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية، لأنها قد تشكل خطراً عسكرياً على إسرائيل.

**وردت مصر على هذه المقترحات في ١٩٧١/٤/١م. فرفضت فكرة جعل سيناء منطقة منزوعة السلاح**، واقترحت انسحاباً جزئياً للقوات الإسرائيلية يتيح إعادة فتح قناة السويس وعبور القوات المصرية إلى الضفة الشرقية، مع إقامة منطقة محايدة في سيناء بين الجيشين. ورفضت إسرائيل المقترحات المذكورة.

**وكررت مقترحاتها السابقة**، موضحة رفضها لفكرة الضمانات الدولية وقوات الطوارئ على الحدود، ومؤكدة على ضرورة ضم شرم الشيخ وقطاع غزة والجولان والقدس نهائياً إلى إسرائيل. وفي ١٩٧١/١١/٢٢م أعلنت الولايات المتحدة تعليق جهودها للوصول إلى تسوية جزئية في الشرق الأوسط تسمح بإعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية وذلك إثر اتهام **الرئيس السادات** لها بالمناورة في خطاب أعلن فيه أن جميع اتصالات مصر معها من أجل تحقيق التسوية السلمية قد توقفت.

**وهكذا استمرت حال «اللا سلم واللا حرب»** مسيطرة على المنطقة. ووصلت جهود التسوية السلمية، على الرغم من التنازلات الجوهرية التي قدمتها مصر، إلى طريق مسدود، وأصبح خيار الحرب هو الخيار المطروح أمام دول المواجهة العربية، وبالذات أمام مصر وسورية.

**وفي الوقت نفسه أخذت الحركة الجماهيرية** ممثلة بصورة رئيسية في تحركات الطلبة في مصر تعبر عن سخطها المتزايد من استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وتطالب بضرورة خوض حرب تحرير وطني ضده، وذلك ابتداء من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢م.

**وشهد النصف الأول من هذا العام توتراً في العلاقات المصرية - السوفييتية**، بسبب خلافات بين البلدين حول نوعيات معينة من الأسلحة المطلوبة للجيش المصري. وزاد من حدة الخلافات قيام بعض ضباط القيادة العسكرية المصرية بالتشكيك في فاعلية الأسلحة السوفييتية **(كان على رأسهم**

**الفريق أول محمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة)** نظراً لأنهم لم يكونوا راغبين في دخول حرب جديدة ضد إسرائيل، بدعوى عدم امتلاك القوات المصرية لأسلحة هجومية فعالة. وأدى هذا الوضع إلى تردي علاقات التعاون العسكري المصري - السوفييتي.

**وبلغ التردي أقصاه في تموز (يوليو) ١٩٧٢م، حين أنهى الرئيس السادات مهمة الخبراء والمستشارين السوفييت من القوات المسلحة المصرية**[1]، خاصة من كان منهم في شبكة الدفاع الجوي (حيث كانت توجد نحو ٥٠ بطارية صواريخ م/ط و ٧ مطارات للطائرات المقاتلة «ميغ ٢١» و«سوخوي ١٥» يديرها أو يشرف عليها جنود وضباط وطيارون سوفييت منذ العام ١٩٧٠م). وترتب على ذلك حدوث فتور شديد في العلاقات السياسية بين البلدين. **وفي ١٩٧٢/١٠/٢٦م عيّن الرئيس السادات الفريق أول أحمد إسماعيل علي وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة المصرية،** بعد أن نحى الفريق أول محمد صادق وعدداً من كبار معاونيه على إثر اجتماع عقده الرئيس لمجلس الأمن القومي في يوم ١٩٧٢/١٠/٢٤م، وتبين له فيه أنهم لا ينفذون بعض الإجراءات والمخططات اللازمة لإعداد القوات المسلحة لاحتمال خوض القتال ضد إسرائيل.

**وإثر اجتماع عقده الرئيس السادات للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي،** تم فيه بحث الموقف السياسي بالنسبة إلى جهود التسوية السلمية، والطريق المسدود الذي وصلت إليه، بدأت القيادة العسكرية المصرية تخطط لشن حرب ضد الاحتلال الإسرائيلي لسيناء، وبدأت القيادة السياسية المصرية في الوقت نفسه اتصالات مع القيادة السياسية السورية لاتخاذ موقف مشترك

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٣٦.

في هذا الخصوص. **وكان من نتائج هذه الاتصالات تشكيل قيادة عسكرية مشتركة بقيادة الفريق أول أحمد إسماعيل في ١٩٧٣/١/٢٨م، ضمت مصر وسورية والأردن. وفي ١٩٧٣/٢/٢٦م قام الفريق أول أحمد إسماعيل بزيارة للاتحاد السوفييتي على رأس وفد عسكري** على مستوى عال، وأجرى محادثات مع القادة السوفييت أسفرت عن إزالة التوتر والفتور الذي كان قد أصاب العلاقات العسكرية المصرية السوفييتية في صيف ١٩٧٢م، وترتب على هذا قيام الاتحاد السوفييتي بتزويد مصر بكميات جديدة من الأسلحة والمعدات اللازمة للقوات المسلحة المصرية، ضمت **دبابات «ت ٦٢» وصواريخ «سام ٦» وطائرات «ميغ ٢١»** مطورة وجسور عائمة حديثة الخ. وإثر ذلك قامت «غولدا مائير» بزيارة للولايات المتحدة في مطلع شهر آذار (مارس من العام نفسه أسفرت عن موافقة الولايات المتحدة على تزويد إسرائيل بنحو ٤٨ طائرة «فانتوم» و٤٨ طائرة «سكاي هوك» جديدة.

**وفي أواخر شهر آذار (مارس) أدلى الرئيس السادات بحديث صحفي مع «أرنو دو بوشغريف» مدير تحرير مجلة «نيوزويك» الأمريكية (نشر في عدد ١٩٧٣/٤/٩م)** أوضح فيه أنه لا بديل عن المعركة لاسترداد الأرض المحتلة بعد أن استنفذت مصر جميع الوسائل الأخرى لتحقيق السلام العادل، وإن الولايات المتحدة ترتكب أكبر الأخطاء إذا اعتقدت أن العرب مشلولون تماماً، وأنها سوف تستيقظ قريباً على صدمة في المنطقة، لأنها لم تدع للعرب سبيلاً آخر. وأنه من المتعذر على إسرائيل أن تحقق انتصاراً شاملاً على العرب، وأن الأيام المقبلة ستثبت عجزها عن البقاء في حالة «اللاسلم واللاحرب»، وأن استمرار القتال شرط هام وأساسي لإجراء مباحثات السلام، ثم أوضح أنه من الممكن بعد ذلك ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران بعد تسليم هذا الموقع للمجتمع الدولي.

**ولكن الولايات المتحدة وإسرائيل لم تأخذا تهديدات الرئيس السادات مأخذ الجد،** واعتبرتاها مجرد تصريحات تدخل ضمن اللعبة السياسية الهادفة

إلى الضغط عليهما من أجل البدء في تنفيذ القرار ٢٤٢، وذلك على الرغم من أن الاستخبارات الأمريكية توصلت إلى معلومات خلال شهر أيار (مايو) ١٩٧٣م تفيد احتمال نشوب حرب جديدة من جانب العرب في الخريف. ولكن المناخ النفسي العام المسيطر على القادة الإسرائيليين نتيجة انتصار ١٩٦٧م الخاطف، أشاع لديهم درجة مفرطة من الثقة بالنفس والتقليل من قدرة العرب القتالية وعدم جدية شعاراتهم السياسية.

وشل هذا الوضع النفسي القادة الإسرائيليين، ومنعهم من تقدير احتمالات تطور الموقف تقديراً واقعياً سليماً.

**ومضى القادة المصريون والسوريون يعدون للحرب بجدية وسرية، فقام الرئيس حافظ الأسد بزيارة سريعة للاتحاد السوفييتي في ١٩٧٣/٥/٣م**، أسفرت عن تدعيم الاتحاد السوفييتي لقدرات الدفاع الجوي السوري (صواريخ سام ٦ الخ) وتزويد الطيران السوري بمزيد من طائرات «ميغ ٢١» وبعدد من طائرات «سوخوي ٢٠»، فضلاً عن تزويد الجيش بكميات من دبابات «ت ٦٢»، وقدرت قيمة الأسلحة والعتاد السوفييتي الذي زودت به سورية خلال النصف الأول من العام ١٩٧٣م بنحو ١٨٥ مليون دولار، مقابل ٣٥ مليون دولار خلال عام ١٩٧٢م بأكمله. وقام **الفريق أول أحمد إسماعيل** بزيارة لسورية في ٧٣/٥/٩، كما زارها **الرئيس السادات** أيضاً مرتين الأولى في ٧٣/٥/١٩ والثانية في ٧٣/٥/١٢، وفي ٧٣/٦/٦ زار القاهرة **اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري**، وفي ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٧٣م **عقد اجتماع سري هام بين القادة العسكريين المصريين والسوريين في الإسكندرية لوضع اللمسات الأخيرة على خطط العمليات الهجومية على كلتا الجبهتين. وترك تحديد يوم الهجوم وساعته إلى**

**الرئيسين السادات والأسد والفريق أول أحمد إسماعيل بصفته القائد العام للجيشين المصري والسوري.**

**وقد طار الفريق أول أحمد إسماعيل إلى دمشق في يوم ٧٣/١٠/٣، واتفق على بدء الهجوم على كلتا الجبهتين في الساعة الثانية من بعد ظهر ٧٣/١٠/٦ بصورة نهائية**[1]**. وقد تحدد الهدف الاستراتيجي العام للحرب** على أساس أن يقوم الجيش المصري بعبور قناة السويس واختراق خط بارليف واحتلال شريط من الأرض على الضفة الشرقية للقناة كافٍ لصد الهجمات المضادة الإسرائيلية وتكبيدها أكبر قدر ممكن من الخسائر ولأطول فترة زمنية ممكنة، من ثم تأمين فتح القناة للملاحة بعد ذلك وإجبار إسرائيل والولايات المتحدة على البدء في تنفيذ تسوية سلمية مستندة إلى القرار **رقم ٢٤٢**، بعد إثبات فشل نظرية الأمن الإسرائيلية عسكرياً، واستحالة تثبيت «**الأمر الواقع**» المستند إلى استمرار حالة «**اللاسلم واللاحرب**». وأن يقوم الجيش السوري بالمهمة نفسها، ليسترد هضبة الجولان، كلها أو بعضها.

---

(١) جيهان الطاهري وأهرون بريغمان، العرب والكيان الصهيوني (حرب الخمسين عاماً)، ترجمة هشام حداد، إصدار مركز الدراسات العسكرية، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م، ص١٤٣ السطر الأول.

## أولاً - مرحلة الاقتحام:

### يوم ١٩٧٣/١٠/٦م تشرين الأول (أكتوبر ١٩٧٣م)

**تمر الساعات كأنها أيام في صباح العاشر من رمضان ١٩٧٣/١٠/٦م، متباطئة،** فالمهام القتالية أسندت إلى جميع قادة القوى والتشكيلات، الذين قاموا بدورهم بإبلاغها إلى المستويات الأدنى، وأصبح الجيش العربي السوري كخلية من النحل تعمل بكل جد ولكن بصمت مطبق مع الحرص الكامل على تنفيذ تدابير خطة التمويه العملياتي. وبكلمة واحدة، لقد دارت رحى الحرب وأصبح من المحال وقف عجلة الزمن أو إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

**اتصل اللواء قائد القوى الجوية والدفاع الجوي بالقيادة العامة في ضحى النهار،** وأبلغها أننا نمر الآن في أصعب مرحلة من مراحل الحرب ذلك أن الطائرات التي ستشترك بالضربة الجوية الأولى تذخر الآن بالقنابل وهي في ملاجئها... ولو شعر العدو بذلك وقام بتوجيه ضربة إحباط على مطاراتنا العسكرية كافة، لأربك كل خططنا وأعاق تنفيذ أعمالنا القتالية، ولم يكن باستطاعتنا عمل أي شيء سوى التوجه إلى الله بالدعاء لكي يُعمي أبصار العدو وبصيرته عن كل استعداداتنا وتدابيرنا، حتى تحين ساعة الصفر والتي اصطلح على تسميتها بالساعة (س).

**أبلغتْ القوى الجوية عن استعدادها التام لتنفيذ المهمة المسندة في الساعة ١٣,٠٠،** كما أبلغ قائد سلاح **مدفعية الميدان** عن جاهزية جميع الكتائب المشتركة برمي التمهيد للعمليات الهجومية... كما أبلغ قادة فرق النسق الأول عن جاهزية مجموعات الاقتحام لاجتياز خط التحصينات الإسرائيلية في هضبة الجولان بالقوة.

**كان التنسيق بين رمايات المدفعية والطيران يقضي** بأن تسقط أول قنبلة على الهدف في اللحظة نفسها التي تجتاز فيها تشكيلاتنا الجوية خط

الكشف الراداري المعادي، لذلك أُعطي الأمر للطائرات بالإقلاع لتنفيذ مهامها قبل أن تعطى الإشارة الرمزية لوحدات المدفعية بفتح النيران.

**أعلنت كل كتائب المدفعية جاهزيتها للتنفيذ في الساعة ١٣,٥٥** وصدرت الإشارة الرمزية الخاصة من القيادة التي تعني الموافقة على البدء حسب التوقيت المحدد.

**كان ما يقارب تسعمائة مدفع ومدفع هاون تصب نيرانها** على الموضع الأول المعادي **في الساعة ١٤,٠٠** وعلى جميع الأهداف الموجودة في الجولان والتي لم يخصص لها جهد جوي، كما كان **أكثر من ثمانين طائرة مقاتلة وقاذفة مقاتلة** تجتاز خط وقف إطلاق النار والحدود الدولية اللبنانية لتسقط قنابلها على مراكز توجيه الطائرات في ميرون وجبل الشيخ وتل أبو الندى وتل الفرس، وعلى تجميع الدبابات المعادي في منطقة العليقة كفر نفاخ وعلى الجسور القائمة على نهر الأردن كافةً[1].

**كانت نتائج الضربة الجوية الأولى والتمهيد المدفعي مؤثرة جداً**. وما أن انتقلت نيران المدفعية إلى عمق الدفاعات المعادية حتى بدأت مجموعات اقتحام فرق النسق الأول (٧، ٩، ٥) تقدمها للهجوم.

**كانت الفكرة العملياتية للهجوم على الجولان ترتكز أساساً على حشد القوى والوسائط المتفوقة على العدو سواء في قطاعات الخرق أو في كل مواجهة الجبهة،** مع حساب احتمال زج الاحتياطات القريبة المتحشدة غربي نهر الأردن، ثم صدم العدو بقوة على الاتجاهات كافة، وكان الهدف تدمير العدو المتحصن في الهضبة وسحقه نهائياً، فلا تقوم له قائمة. وكان اعتقاد القيادة راسخاً أننا إذا تمكنا من سحق وتدمير ٤ - ٥ ألوية مشاة ومدرعة إسرائيلية مع تعزيزاتها، فإن العدو لن يتمكن من شن هجوم معاكس واسع

---

(١) العميد الركن د . رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، إصدار دار المساعدة السورية للتأليف والترجمة والنشر، ط١، دمشق ٢٠٠٧م، ص١٤٦.

النطاق بقوى الجبهة الشمالية على سورية في حال تعثر الجبهة الغربية وتوقف زخمها القتالي.

**بدأ الهجوم في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم العاشر من رمضان ٦ تشرين الأول، أكتوبر ١٩٧٣م**، وكانت السماء صافية والشمس تزحف نحو الغرب داعية قواتنا المتحفزة على قاعدة الانطلاق، إلى الهجوم.

**قضت الخطة العملياتية بتوجيه ثلاث ضربات قوية بقوى فرق النسق الأول (٧، ٩، ٥)** مع توجيه ضربتين مساعدتين واحدة بقوى اللواء ٥٢ مشاة والثانية بقوات **التجريدة المغربية** التي جاءت سورية قبل الحرب الرابعة بثلاثة شهور أو ما يقاربها، للمشاركة في حرب التحرير وإنقاذ مدينة القدس من الاحتلال الإسرائيلي البغيض.

## العمليات يوم ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣م

### آ - القطاع الشمالي:

**قامت الفرقة السابعة مشاة بقيادة العميد الركن عمر الأبرش، مع وسائط تعزيزها بالهجوم في الساعة (س) موجهة الضربة الرئيسة باتجاه:** حلس - أوفانا - القلع مع هجوم مساند بقوى التجريدة المغربية والملحق عليها كتيبة ١٨٣ وحدات خاصة سورية من اتجاه حضر السفوح الشرقية لجبل الشيخ - مجدل شمس. خلال تمهيد مدفعي قوي استغرق /٩٠/ دقيقة شاركت فيه مجموعة مدفعية الجيش مع مجموعة مدفعية الفرقة ومدفعية القوات المهاجمة وبالرمي الدقيق على الأهداف المخططة لها بالتعاون مع الطيران السوري، ثم انتقلت لوضعية الدعم الناري أمام القوات[1].

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي ، المجلد ٣ القسم الثاني، إصدار دار طلاس، د.ت، ص٧٠٤.

**وقد تأخرت قوات النسق الأول للفرقة في عبور الخندق م / د عن التوقيت المحدد لها في الخطة العامة**، بسبب مقاومة العدو العنيفة وخاصة من الدبابات ومدافع التاو التي احتلت مسبقاً مصاطب الرمي، وبسبب إجراءات فتح الثغرات في حقول الألغام وردم الخندق م / د. ولكن اللواء ٨٥ مشاة تمكن من فتح أكثر من ثغرة في قطاع هجومه وعبورها ومهاجمة خط المقاومة الرئيس المعادي في السفوح الشمالية لمدينة القنيطرة، وتل محمد المخفي، والحميدية.

أما اللواء ٦٨ مشاة فقد توقفت كتائبه على الخندق وتعثر عبوره بسبب تدمير وسائط عبوره كلها.

**وخلال هذا التوقيت كانت هنالك /٤/ حوامات تجمع /٤/ مجموعات وحدات خاصة وتنزلهم على قمة جبل الشيخ** من الشمال الغربي لتشتبك وتهاجم المرصد الإسرائيلي وبالتعاون مع ك ٨٢ مظلات التي تسللت من اتجاه شبعا وتنفذ مهمتها بنجاح خلال النصف ساعة الأولى من بدء الهجوم وتأسر عناصره كافة.

**لقد استطاعت التجريدة المغربية مع كتيبة المظلات على اتجاه الهجوم المساند** أن تصل في الساعة ١٦,٠٠ إلى جنوب غرب سحيتا ومنطقة رويسة الحمراء وتشتبك معها وتحتل منعتين منها وحاصرت باقي القوات النقطة المكورة.

**أما الكتيبة ١٨٣ مغاوير** الملحقة على التجريدة فقد نفذت مهمتها بنجاح ووصلت في الساعة ١٨,٠٠ إلى سهل اليعفوري على مسافة /١/ كم من قرية مجدل شمس، ثم شاركت في صد الهجوم المعاكس للواء الأول الجولاني الذي حاول استرداد مرصد جبل الشيخ وأفشلت هجومه ومهمته.

**تعثر اللواء ٦٨ مشاة في عبور الخندق م/د فانخفضت وتيرة الهجوم على اتجاه الضربة الرئيسية** مما اضطر قائد الفرقة إلى زج النسق الثاني

اللواء ١٢١ ميكانيكي في المعركة على الاتجاه الناجح خلف اللواء ٨٥ مشاة مستفيداً من الثغرات التي فتحت على الخندق من هذا الاتجاه حيث عبر منها واندفع حتى خط المقاومة الرئيسي مشتبكاً بالتعاون مع اللواء ٨٥ مشاة مع نقاط الاستناد المعادية على المشارف الجنوبية الشرقية لتل الشيخة وضهرة الأرانب وضهرة إبراهيم وعلى الدبابات المتخندقة في مصاطب الرمي ومع كمائن ووسائط مدفعية التاو ومع انتشار صائدي الدبابات جنود المشاة المزودين بأسلحة الـــ (ر.ب.ج) تم تدمير عدداً كبيراً من دبابات العدو.

تدخل الطيران المعادي على هذا الاتجاه ورمى القوات السورية بالقذائف المتفجرة والنابالم وبمساندة المدفعية البعيدة المدى **أثر سلباً على وتيرة الهجوم وألحق خسائر كبيرة في الدبابات وعربات (ب م ب)** التي كانت تحاصر نقاط الاستناد المعادية، واستشهد العديد من الضباط والجنود الأبطال الذي رووا بدمائهم كل شبر حرروه على هذا الاتجاه، وهنا ابتدأت تعزيزات العدو وهجماته المعاكسة التأثير المباشر على القوات السورية مما أجبرتها على التشبث بالخطوط التي وصلت إليها.

**ولأهمية النجاح السريع على هذا الاتجاه بهجوم الفرقة السابعة ضمن الخطة العامة للقوات المسلحة** والذي يتوقف على نجاحه نجاح الضربة الرئيسية للجيش والقوات المسلحة على الهضبة من اتجاه الجنوب، قرر قائد الفرقة زج اللواء ٧٨ دبابات لإكمال خرق الدفاع الرئيسي للعدو على هذا الاتجاه، وكان توقيت الزج في الساعة ١٨,٠٠ مع الغروب تماماً، مما استوجب على هذا اللواء أن يقاتل في شروط تكتيكية معقدة جداً: فالمنطقة محصنة ونقاط الاستناد حاكمة لاتجاه الهجوم على خط زج الفرقة، والأرض ذات تضاريس صعبة الاجتياز، والمناورة محدودة جداً والهجوم ليلاً ولكن ما يتمتع به هذا اللواء من معنويات عالية وتصميم لا يعرف التردد على مقارعة العدو وتدميره بكل ما أوتي من خبرة ودقة في تنفيذ المهام. اندفع معها هذا اللواء متخذاً من الشهادة أو النصر شعاراً وإيماناً لتحقيق المهمة وشرع في

خرق الموضع الثاني المعادي حتى وصلت سرية دبابات منه مع فجر ١١/٧ إلى الطريق العام على مفرق المنصورة. هنا **اضطر العدو أيضاً أن يقوم بهجوم معاكس بباقي اللواء السابع على ثلاث اتجاهات:**

- كتيبة دبابات من اتجاه: مسعدة - ضهرة الأرانب.

- كتيبة دبابات من اتجاه: واسط - المنصورة.

- كتيبة دبابات من اتجاه: كفر نفاخ القنيطرة والسفوح الشمالية لها.

**ودارت معركة عنيفة جداً بين اللوائين واستمرت حتى صباح السابع من تشرين تداخلت فيها الدبابات من الطرفين** حتى مسافات قصيرة جداً كان يصعب معها قيادة النيران، استشهد خلالها العديد من قادة السرايا والفصائل ودًمرت العديد من دبابات الطرفين بحيث انخفضت القدرة القتالية للطرفين وكانت الخسائر شبه متساوية، وتمكن اللواء ٧٨ من التملص من المعركة لإعادة التجميع والإستعواض.

**حققت الكتيبة ١٨٣ مغاوير مهمتها بنجاح تام،** ووصلت في الساعة ١٨,٠٠ إلى سهل اليعفوري على مسافة ١ كم غربي قرية مجدل شمس. كما حققت الكتيبة ٨٢ مظلات مهمتها بنجاح، واستطاعت أن تستولي على المرصد المعادي في جبل الشيخ.

**أما القوات المغربية التي كانت تقاتل على هذا القطاع** فقد وصلت في الساعة ١٦,٠٠ إلى جنوب غربي سحيتا ومشارف رويسة أبي رميد، وقد استطاعت إحدى السرايا الالتفاف من الطرف الشمالي الغربي لنقطة استناد سحيتا، واحتلال منعتين منها، بينما حاصرت القوات الباقية النقطة المذكورة.

**ب - القطاع الأوسط:**

**قامت فرقة المشاة التاسعة مع وسائط تعزيزها،بقيادة العقيد الركن حسن توركماني بالهجوم موجهة الضربة الرئيسة في اتجاه:** كودنة -

الخشنية - الرزانية - القادرية. وقد تمكنت الكتيبة ٢٤٣ من اللواء ٣٣ مشاة من اقتحام الخندق المضاد للدبابات. أما اللواء ٥٢ مشاة، فقد عبرت منه الكتيبة ٢٢٢، وسرية من الكتيبة ١٥٩.

**وقد تعرض اللواء ٥١ دبابات أثناء عبوره وتقدمه لمقاومات معادية من غرب تل شعاف السنديان والعرايس وتل فزاره،** وقد اشتبك معها ودمرها، ثم تابع تقدمه حتى وصل إلى خط المشتى، تخوم السلوقية. وفي الساعة ٢٣,٠٠ أُعطيت التعليمات للواء ٤٣ دبابات بالعبور خلف اللواء ٥١ دبابات، ثم زج قواته في المعركة على يمين اللواء ٥١ دبابات. وقبل زج اللواء ٤٣ دبابات في المعركة، تحركت كتيبة منه بأمر من القيادة العامة باتجاه القنيطرة على محور الجويزة - عين زيوان - من أجل مساعدة اللواء ٥٢ مشاة في احتلال القنيطرة.

**احتلت كتيبة من قوات حطين التابعة لجيش التحرير الفلسطيني تل الشعاف الكبير ومنطقة تبعد ٥٠٠ متر إلى شمال تل عباس في الساعة ٢١,٠٠**، وتمكنت من تدمير دبابتين، ثم اتجهت باتجاه تل السماقات، وتوقفت على السفوح الشمالية لتل الشعاف الكبير.

### جـ - القطاع الجنوبي:

**قامت الفرقة الخامسة المشاة مع وسائط تعزيزها بقيادة العميد الركن علي أصلان بالهجوم بتوجيه الضربة الرئيسة في اتجاه:** أم اللوقس، تل الجوخدار - أم الدنانير - القصيبة الجديدة. وضربة أخرى مساعدة باتجاه: أم اللوقس - الجرنية - العال - فيق. وقد نجحت تشكيلات الفرقة ووحداتها في اقتحام الخندق المضاد للدبابات في تمام **الساعة ١٥,٣٠** وإقامة رأس جسر في قطاع هجوم اللواء ٦١ مشاة. وقد اضطر قائد الفرقة نتيجة للخسائر في الدبابات والعربات القتالية، إلى أن يزج لوائي النسق الثاني (اللواء ١٢ دبابات

واللواء ١٣٢ مشاة) لتطوير الهجوم في عمق الأرض المحتلة. استطاع اللواء ٦١ مشاة وقسم من اللواء ١١٢، مشاة أن يتابعا تقدمهما بعد زج النسق الثاني للفرقة، وبذلك تحققت المهمة المباشرة للفرقة في **الساعة ١٨,٠٠** وخلال **ليلة ٦ـــ٧ تشرين الأول** بدأت تشكيلات الفرقة بإعادة تنظيمها والتمسك بالخط المحتل والإمداد بالذخيرة والمحروقات[١].

**د - معركة تل السقي وناب:**

**كانت الحرب الخاطفة حجر الزاوية في خطط الغزو الاستعماري الاستيطاني الصهيوني التي يرسمونها...** غير أن بطولة المقاتلين العرب ورجولتهم كانتا أقوى من الحرب الخاطفة، وأقوى من الدروع الإسرائيلية... وإن معركة تل السقي وناب دليل مادي ملموس على تحطيم أسطورة الحرب الخاطفة، والقوة العسكرية الإسرائيلية التي لا تقهر...

في **الساعة ١٧,٣٠** من **يوم ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣م** تحرك اللواء ٣٢ مشاة ميكانيكي الذي يقوده **المقدم الركن ممدوح جعلوك** من الفرقة الخامسة مشاة باتجاه الخندق المعادي المضاد للدبابات، وأثناء عبور هذا الخندق، فتحت نقطة استناد العدو في رسم أبي رجم نيراناً قوية على قوات اللواء. وقد تم اسكاتها بقوى الكتيبة ٣٢٨.

**بعد العبور**، أمر قائد اللواء بأن تهاجم الكتيبة ١٩٩ على يمين الطريق العام: الرفيد العال، والكتيبة ٣٢٨ على يساره.

**وفي الساعة ٢٣,٠٠ اصطدمت الكتيبة اليسارية بمقاومة كبيرة من تل السقي**، وانقطع الاتصال في هذه الأثناء بقائد الكتيبة المذكورة. فما كان من قائد اللواء إلاّ أن أمر قائد المدفعية بأبطال المقاومة في تل السقي مع استخدام الإنارة... وقد نفذت المدفعية صبيباً نارياً كثيفاً.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي ، مصدر سابق ، ص٧٠٩.

**طلب قائد اللواء من قائد الكتيبة ١٩٩ الإسراع بالتقدم، غير أن الكتيبة بعد أن تابعت التقدم، اضطرت للتوقف** أمام حقل ألغام إلى يمين الطريق العام. حينئذ قرر قائد اللواء أن تتمسك الكتيبة بالخط الذي وصلته أمام **تل السقي**، وأمر في الوقت نفسه بتنفيذ رمايات مدفعيته على التل لمنعه من التأثير عليها. ومع أول ضوء من **نهار ٧ تشرين الأول** هاجمت الكتيبة ١٩٩ **تل السقي** واحتلته. حينئذٍ قرر قائد اللواء زج الكتيبة ٢٦٢ ميكانيكية من الخط: رسم هدهد - عين حديد، بمهمة احتلال البجورية خارجاً - خسفين خارجاً، ومتابعة التقدم على يمين الطريق العام.

**تقدمت الكتيبة ٢٦٢ حتى وصلت إلى ارتفاع تل السقي**، وتوقفت تحت تأثير نيران القواعد الصاروخية المعادية. وفي هذه الأثناء تقدم قائد اللواء إلى منطقة تل السقي، وأعطى أوامره إلى قائدة الكتيبة ١٩٩ وقائد الكتيبة ٢٦٢ بضرورة الإسراع بالتقدم والوصول بأية طريقة إلى عقدة العال - جبين، على أن تتقدم الكتيبة ٢٦٢ على يمين الطريق العام والكتيبة ١٩٩ على يساره.

**قدر قائد اللواء أن حقل الألغام الظاهري لا يعدو أن يكون حقلاً مسيجاً للرعي**، فما كان منه إلاّ أن اجتازه بناقلته ليكون قدوة حسنة لرجاله. وهكذا تابعت الكتيبة ٢٦٢ تقدمها خلف الدبابات، وأسرعت ملتفة حول الجانب الأيمن من مستوطنة خسفين، والتي احتلتها قرابة الساعة العاشرة.

**تعرضت الكتيبة ١٩٩ للقصف الجوي المعادي بالنابالم، فأخرها ذلك عن اللحاق بالكتيبة ٢٦٢ وسبب انقطاع الاتصال بها**، كما تعرض مرصد قائد اللواء للقصف بالنابالم، ولكنه ناور عدة مرات، ولم تتعرض إلا فصيلة الحراسة لبعض الخسائر، وهنا وجه قائد اللواء ضابط الاستطلاع إلى **تل السقي** للتأكد من وجود من يوجه الطيران المعادي، وفعلاً تم إلقاء القبض على موجه جوي مع جهازه اللاسلكي وضابط برتبة نقيب، اعترف أنه قائد سرية الدبابات التي قاومت في تل السقي، وعسكري آخر، واقتيد هؤلاء الأسرى الثلاثة إلى مؤخرة اللواء.

**وفي الساعة العاشرة**. أعلم قائد الفرقة أن اللواء ٤٧ دبابات سيزج في المعركة في **الساعة ١٣,٣٠** من الخط: البجورية خارجاً - خسفين خارجاً.

**طلب قائد اللواء ١٣٢ من قائد الكتيبة ٣٢٨ متابعة التقدم**، كما أمر قطعاته الأخرى بالتقدم لاحتلال الخط، ناب - كفر ألما، وذلك لضمان التمسك بمحوري العال وكفر ألما معاً.

**وقرابة الساعة ١٦,٣٠ تم احتلال الخط: ناب - كفر ألما. وفي هذا الوقت** أصبحت قوات اللواء ٤٧ دبابات على ارتفاع اللواء ١٣٢. وهنا فتح العدو نيراناً غزيرة على اللواء ٤٧ دبابات، فأُصيبت له أربع دبابات، وجرح أحد قادة السرايا.

**أصبح وضع اللواء ٤٧ دبابات غامضاً في الساعة ١٩,٠٠**، فاضطر قائد اللواء ١٣٢ إلى إصدار تعليماته بتنظيم الدفاع الدائري، والتمسك بمحوري: العال - خسفين، وجبين - كفر ألما.

**بدأت وحدات اللواء ١٣٢ تأخذ أماكنها حسب تعليمات قائد اللواء.** عند إشراقة أول ضوء في يوم ٨ تشرين الأول وقريباً من الساعة ٥,٣٠ أعلمت الوحدات كافة، عن احتلال الأماكن المحددة، وعن جاهزيتها.

**بدأ العدو برمايات غزيرة من القواعد الصاروخية في الساعة ٦,٠٠ يوم ٨ تشرين الأول**، وبدأ يحرك أرتاله على المحورين. قدرت قوة العدو على كل محور بكتيبة دبابات تعززها قواعد صاروخية. كان مرصد قائد اللواء في تل ناب، أما مقر القيادة ففي مستوطنة خسفين.

**كان للمدفعية دور هام في صد هجوم العدو على المحورين**، فقد تم تركيز جميع كتائب المدفعية على القوات المعادية المتقدمة، كما ركزت رمايات المدفعية على القواعد الصاروخية. وبلغت من التأثير والفعالية ما أسكتها مرات عدة.

**استمرت المعركة حتى الساعة ٩,٣٠ كانت معركة ضارية**، حارب فيها الرجال ببسالة وإقدام.. كانوا يوجهون الضربات إلى العدو، ويلحقون به

الخسائر في الأرواح والمعدات.. وانتشرت في أرض المعركة شظايا وحطام الدبابات المدمرة والمحترقة.

**أُصيبت ناقلة قائد اللواء ١٣٢ بصاروخ تبعته** عدة صواريخ. ونتجت عن ذلك إصابة **المقدم ممدوح جعلوك** قائد اللواء ١٣٢ بجراح، وكل من معه من الضباط في الناقلة المدرعة واستشهد ضابط إشارة المرصد. نقل قائد اللواء بعربة جيب، تعرضت أثناء تتحركها لكمين معاد في بصة الجوخدار، ومن تحت قميص قائد اللواء اندفع الدم من جديد وهو يتلوى.. لقد أُصيب للمرة الثانية... ولكن في هذه المرة أُصيب في يده، بعد أن أُصيب في المرة الأولى في فخذه.

**لقد انطبعت في أذهان جميع المقاتلين المأثرة البطولية لقائد اللواء**(١) الذي نجح في قيادة قطعاته بمهارة خلال سير الأعمال القتالية، وأشعر الأعداء أنهم يواجهون مقاتلين أشداء، واثقين بأنفسهم وسلاحهم، ويغمر أعماقهم إيمان لا يحد بالنصر أو الشهادة.

## الاقتحَام الرّأسي لجَبَل الشَيخ :

**اتسمت معركة جبل الشيخ بأهمية عسكرية بالغة. وهي تعتبر من الأحداث الهامة في حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م،** وتحتل مكاناً خاصاً في تاريخ هذه الحرب. فهي أول معركة استطاعت أن تحطم الغرور الصهيوني والإدعاء الإسرائيلي، وفيها تمكنت قواتنا الخاصة من احتلال قلعة منيعة من قلاع العدو، الذي صورته الدعاية الصهيونية أنه قوة لا تقهر.. ففي هذه المعركة أمكن تدمير الوحدات المعادية في مرصد جبل الشيخ، كما أمكن أسر عدد من الإسرائيليين بأقل وسائط ممكنة في تاريخ الحروب.

---

(١) منحت القيادة العامة المقدم الركن ممدوح جعلوك الوسام الحربي من الدرجة الممتازة تقديراً لبطولته في حرب تشرين التحريرية.

**إن مرصد جبل الشيخ الذي يرتفع عن سطح البحر ٢١٠٠ متر قوي جداً بطبيعته**.. وهو يسيطر على كل المناطق الممتدة من سفوح جبل الشيخ الشرقية، إلى غوطة دمشق وسهول حوران. وان السير عبر المسالك المؤدية إلى المرصد أمر في غاية الصعوبة.. وكان معلوماً لدى القيادة أن العدو جعل من هذا الموقع قلعة حصينة، وجهزه بأحدث الأجهزة الالكترونية للاتصال والمراقبة والتشويش(١) وأنشأ فيه دفاعاً قوياً.

إن احتلال المرصد المعادي في قمة جبل الشيخ الذي كان حلماً جميلاً، أصبح حقيقة واقعة.

**في ليلة ٦ تشرين الأول، وقبل بدء الهجوم، تمكنت مجموعة من الوحدات الخاصة من الوصول إلى محور شبعا**، جبل الشيخ، حيث نصبت كميناً لقطع الطريق على القوات المعادية القادمة لنجدة المرصد أثناء مهاجمته من قبل قواتنا.

**بعد ظهر ٦ تشرين الأول، ابتدأت المعركة من أجل احتلال المرصد المعادي، بعد بدء التمهيد الناري**، وفي هذه الأثناء تقدمت المجموعة الأولى من الوحدات الخاصة باتجاه المرصد المعادي وكان النقيب المظلي محمد الخير يشرف على تقدم المجموعات، إذ كان من المقرر أن يتم اقتحام المرصد على شكل موجات متلاحقة، وتتكون كل موجة من مجموعة من المقاتلين يتقدمهم ضابط. أما مجموعة الدعم الناري فقد تركزت مسبقاً في المنطقة الغربية من المرصد، ومهمتها تدمير أية قوات معادية تتقدم باتجاه المرصد.

**وعند وصول المجموعة الأولى إلى المرصد، اندفعت بقيادة الملازم أول جاسم الصالح نحو المدخل الخارجي**، وتمكنت من تدمير الرشاش ١٢,٧

---

(١) كان في مرصد جبل الشيخ ٥٦ جهازاً اليكترونياً للمراقبة والقيادة والتوجيه والتشويش تبلغ قيمتها حوالي مائتين وخمسين مليون دولار (حسب تصريحات الأسرى الإسرائيليين).

مم، الذي فتح نيراناً غزيرة عليها. وقد أصيب الملازم أول جاسم برشقة في صدره فسقط جريحاً أمام مسند الرشاش وهو يصرخ: «اثأروا لي....» ثم سقط جريح ثانٍ، وثالث.. حينئذ تولى النقيب **محمد الخير** قيادة المجموعة الأولى، وأمر الملازم **نايف العاقل** قائد المجموعة الثانية بالاقتحام خلف المجموعة الأولى، وفي هذه الأثناء كان المجند **علي أحمد العلي** يندفع باتجاه سارية العلم الإسرائيلي المرفوع فوق المرصد، وكان يمني نفسه أن يكون أول من يمزق هذا العلم البغيض، إلاّ أن رشقة نارية حالت دون وصوله إلى العلم / فسقط شهيداً مضرجاً بدمائه تحت السارية حيث كانت عربة مدرعة معادية عليها رشاش ١٢,٧ مم.

**قاوم الإسرائيليون بكل صلابة وعناد... واتخذ القتال طابع العنف الشديد**، ولا سيما عندما تم إنزال رأسي بوساطة إحدى طائراتنا العمودية فوق المرصد، واندفعت عناصر الإنزال بجرأة نادرة تقاتل جنباً إلى جنب مع عناصر المجموعتين. وبإشارة من النقيب **محمد الخير** قفز المجند **عبد الإله المهندس** على العربة المدرعة من فوق السور الداخلي، وتمكن من قتل الإسرائيليين الذين كانا يفتحان النيران على عناصرنا.

لم تذهب أُمنية الشهيد **علي أحمد العلي** سدى، فقد اندفع النقيب محمد الخير باتجاه سارية العلم... وحاول أحد الإسرائيليين قتله، فبادره بقنبلة يدوية أردته قتيلاً.

**وصعد النقيب الدرج المؤدي إلى سارية العلم. وعلى الرغم من النيران الإسرائيلية، أمسك بالعلم**، وأخذ يلوح به بيديه وهو يردد صيحة النصر: الله أكبر... الله أكبر. ولم يكد المقاتلون يسمعون صيحة النصر، تجلجل في الموقع حتى اندفعوا كالصواريخ وهم يرددون: الله أكبر... الله أكبر، التي انطلقت من حناجرهم هادرة كالرعد القاصف، واقتحموا الموقع الحصين، كل منهم إلى الهدف المحدد له...

**شاهد المجند يوسف زوزو ضابطاً إسرائيلياً يحاول قتل النقيب أثناء اندفاعه إلى سارية العلم**، فأسرع كالبرق الخاطف، وهدد الضابط الإسرائيلي بقنبلة هجومية طالباً منه رمي السلاح والاستسلام، فأسقط في يده، ورفع يديه مستسلماً.

**وأثناء القتال العنيف، الذي دار فوق المرصد، تم إنزال مجموعة أخرى** من الوحدات الخاصة بالحوامات إلى الغرب من المرصد المعادي، وعلى بعد ثلاثة كيلومترات، حيث نصبت المجموعة كميناً على محور مجدل شمس - جبل الشيخ.

**تحركت مجموعة التطهير بإمرة الملازم محمود معلا بعد نجاح عملية اقتحام المرصد، التي لم تستغرق سوى نصف ساعة،** وقامت بتطهير سراديب المرصد، وقد تمكنت من أسر عدد من الإسرائيليين، الذي كانوا مختبئين في الغرف الداخلية ضمن السراديب.

**قام العدو بقصف جوي ومدفعي متواصل وشديد على المرصد المحتل في صباح ٧ تشرين الأول،** إلاّ أنه لم يسفر عن أية نتيجة. وتابعت المجموعات القتالية أعمالها في تنظيم الدفاع عن المرصد، وإخلاء الشهداء والجرحى، كما تابعت تطهير الممرات والسراديب الداخلية، حيث ظلت بعض الغرف مغلقة بأبوابها الحديدية التي لا ينفذ منها الرصاص.

كلفت مجموعتان بمتابعة التطهير، مجموعة بقيادة الملازم أول محمود معلا، وأخرى بقيادة الملازم وليد تامر. وقد استعانت هاتان المجموعتان بالأسرى، لا سيما الشرقيين منهم، من أجل الاهتداء إلى مداخل المرصد ومخارجه.

**جرت عملية التطهير بصورة ناجحة على الرغم من بعض العناصر المعادية التي أبدت مقاومة كبيرة،** واحتمت خلف الأبواب الحديدية السميكة في الغرف الداخلية. إلا أن القنابل الدخانية والقنابل اليدوية الهجومية، التي

أُلقيت عليهم من فتحات التهوية في سطح المرصد. اضطرتهم للخروج والاستسلام وهم يصرخون: أمان عرب.... أمان عرب..... هدأ النقيب محمد من روعهم وأخبرهم أنهم سوف يعاملون كأسرى.... عجبوا لهذه المعاملة، التي لم تتم في الحقيقة إلاّ عن الشهامة العربية، فالقيادة الإسرائيلية قد غرست في أذهانهم أن العرب وحوش، ولاسيما المقاتلون السوريون.

**وفي صباح ٨ تشرين الأول كان مقاتلو الوحدات الخاصة في أماكنهم حول التباب المحيطة بالمرصد.** وفجأة مزق الهواء أزيز حاد، ثم دوى انفجار قنبلة طائرة فزلزل الأرض... وتبع الانفجار الأول ثانٍ وثالث... وتوالت الانفجارات من طيران العدو ومدفعيته.

**سمع الملازم أول أحمد الجوجو، قائد مجموعة الكمين على محور مجدل شمس - جبل الشيخ،** هدير محركات وصليلاً (سلاسل دبابات ومجنزرات...) وكان الجو يتميز بالضباب الكثيف، الذي ينقشع لفترة قصيرة ثم يعود... وما إن اشرأب بعنقه من موقعه الدفاعي حتى شاهد الدبابات المعادية تتقدم على محوري مجدل شمس - جبل الشيخ وشبعاً - جبل الشيخ باتجاه المرصد.

أخبر النقيب محمداً بالأمر، فقال له: خذ حذرك... وتهيأ مع رجالك للقتال.. كانت عناصر القواذف المضادة للدبابات موزعة ما بين المرصد والكمين على مجموعات، تتألف كل مجموعة من ثلاثة مقاتلين مزودين بالرشاشات الخفيفة والمتوسطة والقنابل المضادة للدبابات. وزعت الألغام على المحورين توزيعاً ظاهرياً لإرغام الدبابات على الوقوف، وترجل العدو لإزالتها فتكون هدفاً واضحاً للنيران.

**تابعت الدبابات المعادية تقدمها، وكمن المقاتلون في مواقعهم، منتظرين وصول أُولى الدبابات،** وما هي إلا نصف ساعة، حتى وصلت دبابات العدو وتوقفت أمام الألغام الملقاة بطريقة واضحة على الطريق،

وترجل منها الجنود الإسرائيليون لإزالة الألغام.. وهنا انهال المقاتلون على جنود العدو ودباباته، وأخذوا يقذفونها بالقنابل المضادة للدبابات، فاشتعلت النيران فيها.

ولقد قدر عدد الدبابات المتقدمة على محور مجدل شمس - جبل الشيخ بـــ ٣٥ دبابة ومجنزرة، وعلى محور شبعا - جبل الشيخ بحوالي ٤٥ دبابة ومجنزرة.

**وفي هذه الأثناء بدأت المعركة، وأخذ قائد المجموعات يتلقى تقارير القتال من مجموعات الهضاب الغربية عن تسلل عناصر معادية**. وكان الأمر: دمر العدو، وامنعه من التقدم.. ونشبت في منطقة الهضاب الغربية اشتباكات مباشرة بين رجالنا والإسرائيليين، استخدمت فيها الرشاشات والقنابل اليدوية والحراب...

أثناء القتال العنيف، تمكنت مجموعة معادية من التسلل من سفوح المرصد الجنوبية المقابلة لقرية حضر. إلاّ أن الملازم **يحيى نيوف** قام مع خمسة من عناصر مجموعته بالالتفاف حول السفوح الجنوبية للمرصد، بينما قام الملازم **محسن إبراهيم** بتثبيت العدو أمامه بالنيران وركز الملازم يحيى رشاشاً متوسطاً على إحدى الهضاب الغربية، وفتح النيران فجأة على العدو، وتمكن من تدميره ودحره، وقد أُصيب في هذا الاشتباك الملازم **يحيى نيوف** بطلقة من النوع المحرم دولياً (دمدم). حينئذ وضع يده على جرحه الذي ينزف بغزارة وأخذ يحث جنوده على الصمود ومتابعة القتال، مستثيراً نخوتهم وحماستهم.. فما كان من عناصره إلاّ أن انقضوا على الأعداء المنسحبين كالأسود وأجهزوا عليهم جميعهم.

**وعندما تابعت بقاياً من دبابات العدو تقدمها على المحورين المذكورين،** تكفلت بالقضاء عليهم المدافع المضادة للدبابات المتمركزة في الهضاب، واندفع المقاتلون يصبون سعيرهم عليها، وشتت اعصار النيران تشكيل العدو القتالي[١].

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، مصدر سابق، ص٧١٩.

**من المشاهد الرائعة قيام الجندي الاحتياط عماد زغبور بمأثرة بطولية...** فأثناء صد هجوم العدو المضاد، أمسك بقنبلة يدوية، وزحف باتجاه دبابة القائد المعادي، وانتظر حتى اقترب العملاق المدرع منه، وبقفزة واحدة كوثبة النمر، تسلق جسم الدبابة من أعلى، واستولى على برجها، وألقى بنفسه وبقنبلته اليدوية فيه..

وفجأة أصبحت الدبابة الرهيبة كتلة من الخردة والحديد المحترق.. وعندما تبدد الدخان، شاهد المقاتلون الدبابة مشتعلة واندفعوا بحماسة واقدام يثأرون للبطل الشهيد.. لقد استشهد **بطل الجمهورية عماد زغبور**، ولكن نور مأثرته أصبح مناراً يهتدي به رفاقه المقاتلون.

**كان صمود المظليين وحماستهم مفاجأة تامة للعدو، الذي سرعان ما لجأ إلى الفرار من أرض المعركة،** بعد أن خلف عشرات القتلى وراءه.. إلاّ أن المقاتلين من مغاوير الوحدات الخاصة كانوا للعدو المنسحب بالمرصاد... وقد تمكنت سرية مغاوير، كانت تعمل في منطقة مجدل شمس بإمرة قيادة القطاع الشمالي، من تدمير العناصر المعادية المنسحبة.

**كان من الواضح أن لواء النصر في المعركة سيعقد على هامات المقاتلين العرب...** فقد كانوا يهاجمون بجرأة ومهارة نادرتين، منزلين بالعدو خسائر فادحة في الأرواح والمعدات.

**إن هزيمة مجموعة الدبابات المعادية،** التي اندحرت في منطقة جبل الشيخ أصبحت مأثرة من مآثر البطولات الخارقة التي لا يرقى إليها الشك..

**وقد مُنح النقيب محمد الخير والملازم أول جاسم الصالح ونايف العاقل والمجند عبد الإله المهندس وسام «بطل الجمهورية»** تقديراً لما أبدوه من جرأة وشجاعة في هذه المعركة.

## الموقف في نهاية اليوم الأول من الحرب:

**انتهت عمليات اليوم الأول بنجاح عظيم، فقد عبرت معظم القوات الخندق المضاد للدبابات،** واستولت على معظم الموضع الأول المعادي، وجرفت القوات السورية الأعداء أمامها كالمياه الطامية، الأمر الذي بلغ تأثيره النفسي والمعنوي على القيادة الإسرائيلية مبلغاً عميقاً جداً.

**وقد قامت المدفعية بدور هام خلال الأعمال القتالية، وقدمت المساعدات القيمة لنجاح العبور،** كما نفذت القوى الجوية المهام المسندة إليها بنجاح عظيم، فكسبت معركة الجو قبل بدء الهجوم. وأحرزت تفوقاً جوياً ملحوظاً على طول مواجهة الجبهة ومنعت الطائرات المعادية من تحقيق أهدافها. كما أسهمت وحدات الدفاع الجوي بتغطية التجمع الرئيس للجيش وأسقطت عدداً كبيراً من طائرات العدو.

**تم الإنزال الجوي على مرصد جبل الشيخ المعادي في الساعة ١٥,٠٠ وتابعت معظم التشكيلات تقدمها.** وحتى نهاية اليوم الأول للهجوم كانت القوات تقاتل على الخط:

الفرقة ٧ مشاة: مرصد جبل الشيخ - الصوانة - مرج الطبل - المرتفع ٩٦٤.

الفرقة ٩ مشاة: ١ كم شرق القنيطرة - القحطانية - السفوح الشمالية والجنوبية لتل شعاف السنديان.

الفرقة ٥ مشاة: السفوح الشرقية لتل القلع - السفوح الشرقية لتل الجوخدار - التخوم الشرقية للجرنية - السفوح الشمالية الغربية لتل السقي.

### عمليات يوم ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م

**أصدرت القيادة العامة أوامرها إلى التشكيلات في ليلة ٦-٧ تشرين الأول بالإسراع** في احتلال المرتفعات والتمسك بها، لأن العدو أخذ يدفع

احتياطه من العمق لتعزيز وحداته في النقاط المحتلة، لا سيما على المرتفعات، والتمسك برؤوس الوديان.

**تابعت التشكيلات تقدمها في عمق مواقع العدو الدفاعية في أول ضوء من يوم ٧ تشرين الأول**، ومن أجل استثمار نجاح تشكيلات النسق الأول وسبق العدو في دفع احتياطاته، أمرت القيادة العامة في الساعة ٨,٠٠ **بزج الفرقة الأولى دبابات** في المعركة من الخط المقرر، على أن تكون على خط الزج في الساعة ١٠,٣٠، وقد تأخرت الفرقة في الوصول إلى خط الزج بسبب وعورة الأراضي وانشغال المحاور بوحدات تشكيلات النسق الأول، فوصلت إليه قرب الساعة ١٣,٠٠. وعلى الرغم من الهجمات المعاكسة الإسرائيلية، تابعت القوات ضغطها وتقدمها، وكان الاندفاع مركزاً على القطاعين الأوسط والجنوبي.

**لوحظ خلال هذا اليوم (٧ تشرين الأول) تركيز الهجمات الجوية والبرية على الجبهة العربية السورية**، إذ سرعان ما ظهرت الطائرات المعادية، وبدأت تنقض على قواتنا، واشتدت رمايات المدفعية. غير أن قواتنا الجوية ووسائط دفاعنا الجوي واجهت الطيران المعادي بجرأة وشجاعة، وحققت إصابات عالية في الطائرات المعادية. ولقد شعر الإسرائيليون بأن لا سبيل إلى تحليقهم فوق القوات السورية دون عقاب.

**القطاع الشمالي:**

واجهت كتيبتان من اللواء ٨٥ مشاة نيراناً شديدة من دبابات العدو في تل الشيخة وضهرة الأرانب في هذا اليوم، فاضطرتا للتراجع إلى غرب الخندق المضاد للدبابات، أما الكتيبة الثالثة فقد بقيت متوقفة أمام جسر الرقاد، وتبادلت الاشتباك بالنيران مع دبابات العدو.

**في الساعة ١,٠٠ يوم ٧ تشرين الأول قام العدو بتقديم احتياطه من العمق في الاتجاهات التالية:**

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه: مسعدة - ضهرة الأرانب.

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه: واسط - المنصورة.

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه: كفر نفاخ - القنيطرة المنصورة.

**وفي الساعة ١٢,١٥ احتلت الأرتال المعادية القائمة بالهجوم المعاكس الخط**: ضهرة الأرانب - السفوح الجنوبية الشرقية لتل الشيخة - تل البرم - ضهرة المنصورة - ضهرة إبراهيم - شمال شرق المنصورة بـــ ١ كم وتمكن من تشكيل سد في وجه **اللواء ٧٨ دبابات**. اشتبك معها هذا اللواء بالنيران، واستطاع الصمود وإنزال الخسائر الفادحة في الوحدات المعادية المذكورة، وبعد قتال عنيف تمكن اللواء ٧٨ من التملص من المعركة بعد أن تكبد خسائر كبيرة في العتاد القتالي.

**وفي الساعة ١٤,٢٥ زج لواء آخر هو اللواء ١٢١ مشاة لمهاجمة خط المقاومة الرئيسي للعدو**، وتعرض لنيران الهاون والمدفعية والدبابات من تل الشيخة - ضهرة الأرانب - الثلجيات. كما قامت مجموعة الفرقة بفتح نيرانها على مصادر نيران العدو وأسكتتها.

**القطاع الأوسط** :

**تمكن اللواء ٣٣ مشاة من إتمام اقتحام الخندق المضاد للدبابات بفضل اندفاع اللواء ٤٣ دبابات واللواء ٥١ دبابات**، واشتباكهما بالمقاومات خلف تل شعاف السنديان وتل فزارة.

**وصل اللواء ٣٣ مشاة في الساعة ١٤,٣٠ إلى الخط**: عين عيشة - السفوح الجنوبية الشرقية لتل يوسف - شمال الرمثانية. وقد أُسندت للواء مهمة تأمين زج الفرقة الأولى دبابات من الخط المحتل. وفي الساعة ١٢,٠٠ تحرك اللواء ٣٣ مشاة بأمر القيادة العامة باتجاه القنيطرة من أجل مساعدة اللواء ٥٢ مشاة على احتلالها.

**عبرت الكتيبة ٢١١ من اللواء ٤٣ دبابات الثغرات في الساعة ١,٠٠**، وتوجهت إلى القنيطرة بناء على أمر القيادة لمساعدة اللواء ٥٢ مشاة على احتلالها. وقد فوجئت الكتيبة عند وصولها إلى منطقة الغسانية بكمين دبابات وصواريخ مضادة للدبابات. وبعد قتال عنيف استمر ساعة دمر الجزء الأكبر من دباباتها. كما دُمّر للعدو عدد كبير من الدبابات.

**تمكنت الكتيبة ٢١٢ من اللواء ٤٣ دبابات من الوصول إلى الدبورة،** حيث اشتبكت في صراع بطولي مع دبابات العدو المتفوقة، ودمرت ١٥ دبابة معادية وعدداً من العربات المجنزرة. ولم يتبق من الكتيبة سوى ٣ دبابات التحقت باللواء في منطقة الخشنية.

**استمر قتال اللوائين ٥١ و ٤٣ دبابات حتى الساعة ٦,٠٠ ووصلاً إلى الخط**: الخشنية - تل الطلائع كما وصلت بعض الوحدات من اللواء ٥١ دبابات إلى الخط: المشتى - السلوقية، غير أنها اضطرت تحت ضغط العدو للتراجع إلى الخط: الخشنية - تل الطلائع. ولقد أعاد اللواءان تجميع قواتهما الموجودة في منطقة الخشنية وتل الطلائع، واشتبكا في قتال عنيف ضد الدبابات المعادية التي حاولت شق طريقها نحو الشرق بمعاونة المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات، ونجحا في إيقاف دبابات العدو[١].

**في القطاع الأوسط** أُعطيت التعليمات إلى اللوائين ٥١ و ٤٣ دبابات واللواء ٣٣ مشاة بالتمسك بالخطين اللذين احتلاهما، وتأمين زج الفرقة الأولى دبابات.

**تمكن اللواء ٥٢ مشاة من الوصول إلى المنطقة جنوب شرقي القحطانية، والتخوم الجنوبية الشرقية لبلدة القنيطرة**، والاشتباك في قتال عنيف مع العدو الذي استخدم كمائن الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي، مصدر سابق،المجلد الثالث، القسم الثاني، ص ٧٢٤.

وقد فوجئت إحدى قطعات اللواء بهجوم م معاكس من دبابات العدو، فتراجعت إلى شرق الخندق المضاد للدبابات. إلاّ أن قائد الفرقة شدد على قائد اللواء بضرورة تدمير العدو والاقتحام ثانية، وخصص له جزءاً كبيراً من المدفعية لدعم أعماله القتالية. وفي **الساعة ١٥,٠٠** الحق اللواء بأمر القيادة العامة بالفرقة ٧ مشاة، وعزز بكتيبة دبابات، وأسندت له مهمة احتلال مدينة القنيطرة بالتعاون مع اللواء ١٢١ مشاة.

**زج الفرقة الأولى دَبابات في الموقعة**

**تلقى قائد الفرقة الأولى دبابات العقيد الركن توفيق الجهني الأمر في الساعة** ٨,٠٠ **بزج قواته على الخط**: تل يوسف - السلوقية، باتجاه: كفر نفاخ - واسط، القلع، ومهمتها تدمير قوات العدو في المنطقة: حرش عين زيوان - كفر نفاخ، ثم التقدم باتجاه: البجة - واسط - سكيك - وتطويق القوات المعادية وتدميرها بالتعاون مع قوات الفرقة ٧ مشاة.

**وصلت وحدات اللواء ٩١ دبابات إلى خط الزج في الساعة ١١,١٥**، أما وحدات اللوء ٧٦ دبابات، فقد فتحت نيرانها قبل خط الزج بــ ٢ - ٢,٥ كم، وذلك لوجود مقاومات معادية في السلوقية ولفقدان قائد اللواء اتجاهه وهذا ما سبب تأخر وصوله إلى خط الزج.

**تعرضت وحدات النسق الأول للفرقة الأولى دبابات لنيران غزيرة من القواعد الصاروخية والدبابات المتخندقة في البساتين**، غربي تل يوسف والدلهمية والسنديانة والرزانية والسلوقية، مما اضطر ألوية النسق الأول إلى زج أنساقها الثانية قبل الأوان. وحتى الساعة ١٧,٠٠ كانت وحدات الفرقة قد وصلت إلى مشارف نهر الأردن. وهنا دار قتال شديد وعنيف، إذ اندفعت قوات مدرعة كبيرة ودخلت مع قواتنا المدرعة في معركة تصادمية. وقد أمكن تدمير أغلبها مع قتل وجرح أطقمها وإصابتهم بجروح، كما احترق عدد كبير من دبابات العدو، وتكبدت قواتنا خسائر في الرجال والعتاد، وخلال

الليل أُعطيت التعليمات للانتقال إلى الدفاع الدائري على الخط المحتل، مع الاستعداد لصد هجمات العدو المعاكسة قبل أول ضوء، وتنظيم التأمين المادي والفني والطبي[١].

**لم يتمكن اللواء ٥٨ ميكانيكي من زج قواته في المعركة حتى الساعة ١٧,٠٠**، على الرغم من تلقيه الأمر بذلك، بسبب مقاومة العدو والقصف الجوي المركز على أرتال هذا اللواء، مما اضطر قائد الفرقة إلى إعطائه الأمر بالانتقال إلى الدفاع على التخوم الشمالية الغربية والجنوبية الغربية لعين وردة، إذ كان قد وصل قسم من اللواء إليها بعد **الساعة** ١٧,٠٠.

**القطاع الجنوبي**:

**استأنفت الفرقة ٥ مشاة هجومها ابتداءً من صباح ٧ تشرين الأول، ووصلت حتى الساعة ١٠,٠٠ إلى خط المهمة القتالية**، وعلى هذا الخط بدأت تتعرض لنيران المدفعية المعادية والطيران الذي استخدم النابالم في قصف قطعات اللواء ١٣٢ في غارات متتالية. وفي الوقت نفسه بدأت بعض دبابات العدو المنسحبة، وبعض الدبابات القادمة من العمق، بشن هجمات جزئية متعددة ومن اتجاهات مختلفة ضد قوات الفرقة، بغية إيقافها وكسب الوقت لتقديم احتياطات من العمق، وفي هذا الموقف لم يكن باستطاعة تشكيلات الفرقة متابعة تقدمها، لما تكبدّته من خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات. وأصبحت في آن معرضة لهجوم معاكس محتمل بقوى كبيرة، فاضطر قائد الفرقة إلى أن يطلب من القيادة العامة الموافقة على زج اللواء ٤٧ دبابات في القتال لصالح معركة الفرقة، على أن تكون مهمته تطوير الهجوم في العمق واحتلال الخط: سكوفيا - فيق - خارجاً - الياقوصة، والتمسك بهذا الخط.

---

(١) العميد الدكتور رزق الياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق ، ص١٤٩.

**أسند رئيس أركان الفرقة الخامسة في الساعة ٥,٣٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م**، المهمة القتالية إلى اللواء بزجه في المعركة ابتداء من الخط: (قرية القريعة - عين جديد) والهجوم باتجاه فيق واحتلال الخط (فيق - سكوفيا) والتشبث به. وفي **الساعة ١١,٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م**، وصلت كتائب اللواء إلى خط الزج وبدأ اللواء هجومه بالاتجاه المذكور وكانت في النسق الأول الكتيبة الأولى إلى اليمين والكتيبة الثانية إلى اليسار. وكان هذا اللواء قد شُكل حديثاً ومعظم عناصره تجهل طبيعة الأرض في الجولان، لذلك اضطر قائد اللواء، وهو في هذا الموقف الصعب إلى أن يوزع مقر الرصد ومقر القيادة على الشكل التالي:

١ - قائد اللواء يرافق ويوجه أعمال الكتيبة اليمينية.

٢ - رئيس أركان اللواء يرافق ويوجه أعمال الكتيبة اليسارية.

**أعلم رئيس أركان اللواء قريباً من الساعة ١٤,٠٠، من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م، قائد اللواء بوجود مقاومة كبيرة أمام هجوم الكتيبة اليسارية**. وبعد وقت قصير من هذا الإعلام عاد وأعلم رئيس أركان اللواء قائد اللواء بصعوبة الموقف لدى هذه الكتيبة وطلب موافقته بزج النسق الثاني للواء، لصالح هذه الكتيبة وتمت الموافقة على ذلك. وزج النسق الثاني على الخط جنوب غربي خسفين /١كم/. أما القوة المعادية المواجهة لهاتين الكتيبتين فقد قدرت بما يقارب كتيبة دبابات معززة. ولم يتمكن قائد اللواء من مشاهدة معركة هذه الكتيبة لوجود وادٍ مانعٍ يفصل بين الكتيبتين. وقد تابعت الكتيبتان هجومهما بالاتجاه المطلوب حتى دخلت بعض الدبابات قرية العال وقد أُسر رئيس أركان اللواء **الرائد علي كلثوم** في التخوم الشمالية لقرية العال بعد أن دُمرت دبابته.

**ظهرت مقاومة أمام الكتيبة اليمنى في الساعة ١٤,٣٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٧م** في قرية جرنايا وبدأت معركة الكتيبة مع هذه المقاومة، من

الخط ١,٥ كم شمال شرقي جرنايا. وكان قائد اللواء مع هذه الكتيبة يراقب ويوجه أعمالها.

**وبعد معركة دامت زهاء /٤٥/ دقيقة بين الكتيبة والمقاومة المعادية التي تقدر بكتيبة دبابات معززة بقواعد صواريخ م/د**، خسرت الكتيبة /١٠/ دبابات من مجموع ٢١ دبابة استطاعت الوصول إلى هذا الخط، كما ألحق بالعدو الخسائر التالية: تدمير حوالي ١٣ دبابة وقاعدتي صواريخ. عندها بدأت الدبابات الأخرى تنفذ قتالاً تراجعياً باتجاه الشمال والشمال الشرقي بإمرة رئيس أركان الكتيبة، لأن دبابة قائد اللواء ودبابة قائد الكتيبة دمرتا في هذه المعركة.

**ظل قائد اللواء** يجهل مصير قائد هذه الكتيبة حتى اليوم الثاني من المعركة، حين تبين بأنه جريح وفي مستشفى إزرع.

**تم إعادة الاتصال بقائد الفرقة الخامسة قريباً من الساعة ١٦,٣٠** وبقي الاتصال بالكتائب الأخرى مفقوداً، وذلك نظراً لتدمير دبابة قائد اللواء الذي كان يقود شبكة اللواء من خلالها.

**أمر قائد الفرقة قائد اللواء في الساعة ٧,٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٨م بالتقدم بالدبابات المتبقية لديه إلى مكان اللواء ١٣٢**. وتم تنفيذ ذلك بعد أن أخذ قائد اللواء إحدى هذه الدبابات ليقود منها المجموعة. وحين وصول هذه المجموعة إلى **قرية (ناب)**، أي مكان اللواء ١٣٢، كان قد وصل هجوم العدو إلى هذا المكان. عندئذ نشر قائد اللواء هذه المجموعة مع /٣/ دبابات من اللواء ٤٧ بإمرة قائد الكتيبة الثالثة (التي وجدها في تلك المنطقة). ثم خاضت هذه المجموعة بالتعاون مع عدة دبابات من اللواء ١٣٢ ومدافع م/د من عيار ١٠٦مم تابعة لاحتياط م/د الفرقة الخامسة معركة دامت زهاء /٦٠/ دقيقة دُمر للعدو فيها /٤/ دبابات سنتوريون وقاعدتا صواريخ. وحتى **الساعة ١٠,٣٠**، احتل اللواء ٦١ مشاة الخط: تل البازوك - تل المنطار.

**واحتل اللواء ١١٢ مشاة نقطتي استناد تل القلع والرفيد بجزء من القوى وتابع التقدم بالجزء الباقي**، كما احتل بقوى كتيبة الخط: الفرج - أم الدنانير. أما تل الفرس، فقد تم تحريره بواسطة **قوات حطين** المنزلة بالطائرات العمودية (الهليوكبتر) في الساعة ١٧,٠٠، ولذا فقد احتل اللواء بجزء من قواته سفوحه الجنوبية والشرقية، وقام بفتح مرصد في التل.

**تمكن اللواء ١٢ دبابات من تدمير كل المقاومات التي اعترضته حتى الساعة ١,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول** وكان أبرزها هجمة معاكسة بقوى سرية دبابات معززة في منطقة صير الحوار، واحتل الخط - رسوم القطار - أم الدنانير وقضى على جميع محاولات العدو لاسترجاعه. وفي **الساعة ٥,٣٠** استأنف اللواء هجومه وتعرض على مسافة ٢ كم من قرية المشتى، لضربة معاكسة قوامها حتى ٥٠ دبابة تعززها الصواريخ وتدعمها نيران المدفعية والطيران، فاحتل خطأ مناسباً وقام بصدها من الثبات، وقد نجح بتدمير ١٥ دبابة و٤ عربات صاروخية، وأسر ١١ إسرائيلياً منهم ضابط برتبة نقيب، وتمكن من أسر طيارين. وقد احتلت الكتيبة ٣٥٥ من اللواء الخط: المشرفة - رسم الرمليات. وفي **الساعة ٨,٤٠**، وصلت الكتيبة ٢٠٣ إلى منطقة اليعربية، مع ثلاث سرايا دبابات معادية. وقد تمكنت حتى **الساعة ١٤,٠٠** من تدمير ١٩ دبابة منها، ولاذت الدبابات المتبقية بالفرار، إلاّ أن الصواريخ الكثيفة المضادة للدبابات أحدثت إصابات مباشرة في دباباتها، وبعد ساعتين من القتال لم يبق لدى الكتيبة سوى دبابتين وناقلة جنود.

وحتى **الساعة ١٠,٠٠** احتلت الكتيبة ٢٦٢ من اللواء ١٣٢ مشاة مستعمرة خسفين. ثم تابع قائد اللواء ١٣٢ مشاة التقدم بالوحدات الموجودة لديه واحتل حتى **الساعة ١٦,٣٠** الخط: ناب - كفر ألما.

## معركة كفر نَفَاخ

**إن معركة الدبابات، التي حمي وطيسها في منطقة كفر نفاخ،** هي معركة كبيرة في تاريخ الحرب الرابعة. كانت بسالة المقاتلين وولاؤهم لوطنهم، أقوى بكثير من الهجوم التصادمي لدبابات العدو.

**ففي الساعة ٨,١٥ من صباح ٧ تشرين الأول أُعطيت الأوامر للواء ٩١** المدرع الذي يعمل في قوام الفرقة المدرعة الأولى بالتحرك وتنفيذ الضربة المعاكسة من الخط: تل يوسف - عين وردة باتجاه ١,٥ كم إلى غرب تل أبي خنزير - و ١ كم غرب البجة - واسط.

**وفي الساعة المحددة، بدأ اللواء بتنفيذ المهمة المسندة إليه،** ولم يمض وقت طويل حتى بدأ اللواء معركته التصادمية، إذ وقع تحت تأثير نيران الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات المعادية من اتجاه غرب تل يوسف والدلهمية والسنديانة. ولم يكن من السهل التقدم في هذه الظروف الصعبة بسبب القذائف المنهمرة التي كانت تتساقط على القوات من جميع الاتجاهات.

**وعلى الرغم من كل ذلك، تابع اللواء ٩١ المدرع الهجوم بعد أن تمكن من تدمير القسم الأكبر من الدبابات المعادية،** وأرغم البقية على الانسحاب باتجاه الشمال الغربي. وعندما وصل اللواء ٩١ المدرع إلى ارتفاع الدلهمية تعرض لهجوم معاكس بقوة كتيبة. وفجأة أخذت تظهر ومضات من خلف التباب والمنحدرات ولم يكن هناك أي شك أنها قواعد صاروخية جيدة الإخفاء، تطلق الصواريخ على دباباتنا وفتحت النيران بسرعة، واشتبكت دباباتنا مع الدبابات المعادية في قتال عنيف انتهى بتدميرها جميعاً وأحبط الهجوم المعاكس المعادي. وعلى الأثر تابع اللواء ٩١ مدرع الهجوم، وعندما وصل إلى الخط: شمال غربي تل أبي خنزير، ١كم شرقي كفر نفاخ، تعرض لنيران الدبابات والقواعد الصاروخية التي انتشرت على تخوم كفر نفاخ الشرقية، ولنيران الدبابات والمجنزرات المتقدمة من القنيطرة باتجاه كفر نفاخ على محور الطريق العام. وهنا نشب قتال ضار، وغطت سحب الدخان السماء واتحدت مئات الانفجارات وأصوات الطلقات في هدير مضطرب وكانت أرض المعركة مغطاة بالدبابات المدمرة والمشتعلة. وقد استمر القتال، باستماتة وضراوة. من **الساعة ١٤,٣٠ حتى الساعة ١٥,٣٠** على مسافات

تتراوح بين ١٠٠ - ١٠٠٠ متر، دُمر للعدو في هذه المعركة أكثر من ٣٠ دبابة وقاعدة صاروخية.

**زج العدو بقوى جديدة من الدبابات في المعركة... غير أن قواتنا لم تتح للعدو أن يأخذها على حين غرة،** وكانت دباباتنا مستعدة لصده، إذا أن قائد اللواء زج نسقه الثاني على الطريق العام: القنيطرة - كفر نفاخ بغية تطوير الهجوم والإسراع في تحقيق مهمة اللواء. وفي **الساعة ١٦,٤٥** تعرض اللواء من جديد لنيران القواعد الصاروخية الموجودة في سفوح تل أبي الندى الغربية. وقد طبق اللواء مع هذه القواعد رمي تركيز السرايا فأسكتها، ثم تابع التقدم(١).

**لم تنجح الهجمات المدرعة الإسرائيلية المعاكسة في إيقاف تقدم اللواء. وعلى الرغم من هذا، فقد توالت هجماته.** وكان العدو، في كل مرة، مضطراً إلى التراجع، مخلفاً وراءه الدبابات المشتعلة والمدمرة وأعمدة الدخان المتصاعدة فوق أرض المعركة من هنا وهناك.

**تلقى قائد اللواء أمراً بمتابعة التقدم باتجاه ١,٥ كم غربي تل أبي خنزير ٥٠٠ متر غربي قرية البجة.** وهنا أُعلم قائد اللواء عن تحركات دبابات من شمال تل يوسف باتجاه شمال تل أبي خنزير - البجة، فطلب من عناصر المشاة رفع أعلام التعارف والتقدم باتجاه هذه الدبابات، ظناً منها أنها دبابات صديقة. فتحت هذه الدبابات نيراناً شديدة على دباباتنا. حينئذٍ قال قائد اللواء: «على ما يبدو، إن هذا الصديق خلبي....» وقد قدرت قوة هذا العدو بلواء مدرع. واصطدم الإسفين الفولاذي للقوات المدرعة الإسرائيلية بدروع ٩١ دبابات.

**اضطرت قوات اللواء تحت ضغط العدو، نيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات أن تتراجع إلى الخلف،** ولاسيما أن العدو أخذ يزج من

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، مصدر سابق ، مجلد ٣ ، ص٧٣١.

العمق باحتياطات جديدة. وعند حلول الظلام انتقل اللواء للدفاع عن الخط: شمال الدلهمية - السنديانة بما تبقى لديه من الدبابات. لم تحدث مع العدو أية اشتباكات في الليل، ولكن كانت هناك طلقات إفرادية، ورمايات مدفعية غير مؤثرة، وشهب وقنابل مضيئة.

## معركة الخِشنيّة

**كانت الصورة صباح ٧ تشرين الأول تبعث على الارتياح، فقد نجحت قواتنا، بعد ضربة مفاجئة، في عبور الخندق المضاد للدبابات،** واختراق المواقع الدفاعية المعادية... وما لبثت هذه القوات أن دعمت نجاحها بالتقدم بسرعة في الاتجاهات المحددة... كانت الضربة الرئيسة موجهة باتجاه الخشنية - كفر نفاخ.

**خاض اللواء ٥١ و ٤٣ دبابات، ابتداء من بعد ظهر ٦ تشرين الأول وحتى الساعة ٦,٠٠ من صباح اليوم التالي، معارك ضارية ضد العدو،** الذي كان يجهد في محاولات يائسة للضغط على بقايا الدبابات المتمسكة بالخط: الخشنية - تل الطلائع. وقد صدت قوى اللوائين ٥١ و٤٣ دبابات تلك المحاولات كافة، بفضل بطولة الجنود ورجولة الضباط وصف الضباط ومهارتهم.

**كان كل مقاتل يعلم خطورة الموقف، ويعرف واجبه بوضوح تام. ولقد أدى انضمام بقايا اللواء ٥١ دبابات إلى بقايا اللواء ٤٣ دبابات إلى رفع الروح المعنوية للمقاتلين.**

**دلت الهجمات المتتالية** بمجموعات صغيرة من الدبابات على أن قوات العدو في هذه المنطقة لا تقتصر على هذه المجموعات، بل أن هناك قوى أكبر حجماً.

**كان دفاع اللوائين، بحكم الضرورة، يحمل طابع الدفاع الخطي.** ولم يكن هناك نسق ثان، ولم يكن لديهما احتياط. أبلغ قائد اللواء ٤٣ دبابات **قائد**

**الفرقة** التاسعة المشاة بذلك كله، وتمكن مع قائد اللواء ٥١ دبابات، بما بذله الضباط من جهود، وخلال المعارك ذاتها من أن ينظما في فترة وجيزة مقاومة قوية ضد العدو، ومنعه من متابعة التقدم باتجاه الشرق. وسرعان ما ظهر لدى قائدي اللوائين تشكيل جديد من بقايا لوائيهما، كان بمثابة قوة كبرى لهما.

**ومنذ صباح ٨ تشرين الأول، ظهرت الطائرات المعادية في الأفق، وبدأت** تنقض على قواتنا المدرعة. واشتدت رمايات المدفعية والقواعد الصاروخية. وشرع الإسرائيليون يقذفون، دونما انقطاع، بقوى جديدة.

**حمي وطيس المعركة من جديد،** واستمر القتال إلى ما بعد غروب الشمس وساد الظلام وظهرت نيران ضخمة مشتعلة في الأمام... وكانت في الغالب الدبابات والمجنزرات التي دمرتها نيران دباباتنا ومدفعيتنا.

**التحق النقيب توفيق جلول في مساء ٨ تشرين الأول بدباباته الست عشرة، من اللواء ١٢ دبابات، وقرر المقدم وليد حمدون والمقدم عدنان بدر الحسن،** قائدا اللوائين ٥١ و ٤٣ دبابات، وضع دبابات النقيب جلول كاحتياط غربي الطريق العام: الرفيد - القنيطرة، لتدمير مجموعات العدو المدرعة، التي قد تتسلل من خلال الرمثانية، وأم الدنانير لتطويق بقايا اللوائين.

**أربك نشاط قواتنا وفعاليتها طوال يوم ٨ تشرين الأول القيادة الإسرائيلية. فقد واجهت هنا مقاومة لم تكن تنتظرها.** ورأت أن رجال الدبابات السوريين لا يكتفون بصد الهجوم بل ويهاجمون كذلك وإن لم تكن الهجمات ناجحة دائماً. ولا غرو بأن مقاتلي اللوائين عانوا أوقات حرجة وقاسية في امتحان النار. وكانت تشحذ قواهم إرادة القتال. وعلى هذا الأساس الوطيد استطاعوا أن ينجحوا في تدمير دبابات العدو وإيقاف هجومه.

**استأنف العدو هجومه المدرع منذ أول ضوء ٩ تشرين الأول وحانت لحظة الاصطدام وتقدم الإسرائيليون بمجموعات مدرعة من اتجاهات**

**مختلفة**، من قرى المشتى والتنورية وضهرة الجوبة وأم الدنانير.. وفي كل مرة كان العدو يتراجع مخلفاً وراءه عدداً كبيراً من الدبابات المحترقة. وهكذا أُصيب العدو بضربة قوية أوقفت هجومه.

**تقدمت كتيبة دبابات معادية عند الساعة ١٥,٣٠ من يوم ٩ تشرين الأول من اتجاه الفرج - الفحام، وكتيبة أخرى من اتجاه قرية المشتى.** حينئذ ناور قائد اللواء ٤٣ دبابات بثلاث دبابات من غرب الخشنية، حيث احتلت خطاً أمام رسم الخزعل، من أجل دعم دبابات النقيب توفيق جلول / الذي سبق أن تلقى أمراً باحتلال الخط: تل الطلائع - ١ كم شمال الفحام، والتمسك به. وقامت كتيبة مدفعية اللواء من مرابضها في ضهرة الشعاف باتخاذ مواضع جديدة لفتح النيران بالرمي المباشر على الدبابات المعادية المتقدمة على محور الفحام - تل الطلائع...

**استمر القتال**، وغطت سحب الدخان السماء فخبا ضوء الشمس. واتحدت مئات الانفجارات وأصوات الطلقات في هدير مضطرب. وتغطت أرض المعركة بالدبابات المدمرة والمشتعلة.

**واصلت دبابات العدو هجومها**، واستطاعت مجموعة أن تتسلل إلى الطريق العام: الرفيد، القنيطرة، كما أخذ العدو يضغط على قواتنا التي تحتل الخط: الخشنية - تل الطلائع. وبدأ القتال عن قرب، واختلط كل شيء في أزيز وهدير شاملين... وتصاعدت أعمدة الدخان فوق الدبابات المشتعلة هنا وهناك في أرض المعركة.

**ولم يمر وقت طويل حتى وقعت دباباتنا تحت تأثير النيران والصواريخ المضادة للدبابات**... ووقعت خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات... ودارت معركة ضارية بين دباباتنا ودبابات العدو.. وفي المساء أمر قائد الفرقة التاسعة المشاة **العقيد الركن حسن توركماني** باحتلال خط على السفوح الغربية لتل العرايس بما تبقى من الدبابات.

**توالت هجمات العدو في صباح ١٠ تشرين الأول تصاحبها نيران المدفعية** والصواريخ، غير أن دباباتنا الباقية كانت للعدو بالمرصاد، فتصدت لهجماته بالنيران، وأخذ رجالنا يصبون سعيرهم. واختفت ساحة المعركة بين سحب الدخان والغبار. وفي الوقت نفسه كانت المقاتلات والقاذفات السورية توجه ضرباتها إلى احتياطات العدو وأنساقه الثانية.

## معركة الدبُّورَة

**إن اصطدام الدبابات الذي استعر لهيبه في منطقة الدبورة يعد مأثرة بطولية في تاريخ الحرب الرابعة.** ففي الساعات الأولى من صباح ٧ تشرين الأول اقتحمت الكتيبة ٢١٢ من اللواء ٤٣ دبابات الخندق المعادي المضاد للدبابات، واندفعت اندفاعاً مفاجئاً وسريعاً في الاتجاه المحدد لها: تل فزارة - الرمثانية - السنديانية - العليقة - الدبورة، بقيادة الرائد **حمدان محفوض.** وعلى الرغم من المقاومات المعادية التي فتحت نيرانها على الكتيبة في أثناء تقدمها، فقد تمكنت من القضاء عليها بسرعة، ونجحت في الوصول إلى قرية الدبورة. وهنا دارت معركة دموية طاحنة بين دباباتنا ودبابات العدو التي انطلقت من مناطق تحشدها في وادي الجليبينة ووادي الفاجر، وهاجمت الكتيبة من المشارف الجنوبية والشمالية لقرية الدبورة، والتحمت الدبابات السورية بالدبابات الإسرائيلية، وبدأ القتال عن قرب، واختلط كل شيء في أعاصير من النيران، وتناثرت هنا وهناك كتل الدبابات الهامدة أو الدبابات التي كانت النيران ما تزال مشتعلة بها.

**اضطر العدو، تحت ضغط دباباتنا إلى التراجع مؤقتاً،** مخلفاً وراءه الدبابات المشتعلة أو المدمرة وكانت أعمدة الدخان تتصاعد فوق الدبابات المتناثرة هنا وهناك... وبعدها بوقت قصير، بدأت نيران المدفعية والصواريخ المعادية تنهال على دباباتنا. وأخذ الموقف الذي كان في صالح الكتيبة ٢١٢ دبابات يتحول فجأة لصالح العدو، عندما زج العدو بقوى مدرعة جديدة.

**كانت المعركة في ذروة احتدامها عندما لم يتبق من دباباتنا إلاّ العدد القليل، ونفد الجزء الأكبر من الذخيرة..** وكانت مفاجأة مذهلة للمعتدين الإسرائيليين أن تبلغ أعمال الدبابات السورية هذا المستوى، فقد أبدى رجالها من الصمود والبطولة ما برهن عملياً للقوات الإسرائيلية أنها ستواجه قتالاً مريراً وقاسياً[(1)].

**قاتلت الكتيبة حتى آخر طلقة**.. وقرب المساء لم تستطع الدبابات القليلة - وقد نفدت ذخيرتها - أن تتابع إطلاق النيران، فاندفعت نحو دبابات العدو والتحمت بها جسماً بجسم، وعندما لم يبق في دبابة قائد الكتيبة إلاّ سدين جريح، أخذ القائد بندقية، وقفز من الدبابة إلى الأرض وهو يطلق النيران صارخاً: « الله أكبر....» وسقط البطل شهيداً، مضرجاً بدماء العزة والكرامة..

**لقد قاتلت الكتيبة ٢١٢ دبابات، طوال نهار كامل، وأوقعت خسائر كبيرة في أرواح ومعدات العدو**، وكان الصراع البطولي النادر الذي خاضته دليلاً ساطعاً على صمود المقاتل العربي واستبساله. وتقديراً لأعمال هذه الكتيبة البطولية، منح قائدها **الرائد حمدان محفوض** وسام بطل الجمهورية.

## معركة المِشتى - اليَعربيَّة -

تمكنت قطعات اللواء ١٢ دبابات من عبور الخندق المعادي المضاد للدبابات في مساء ٦ تشرين الأول ١٩٧٣م، وتابعت التقدم باتجاه: الجوخدار - أم الدنانير.

وقد اعترضت تقدمها مقاومات العدو القوية في السفوح الشرقية والجنوبية لتل الجوخدار وتل الفرس. ولم يمض وقت طويل حتى شن الإسرائيليون هجمة معاكسة بقوة سريتي دبابات من اتجاه كريز الوادي. وفجأة أمطرت كتيبتا النسق الأول القوات المعادية القائمة بالهجوم المعاكس

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٣٧.

بالنيران، واستطاعتا أن تحبطا الهجوم المعاكس، وأن تتابعا التقدم. وفي الساعة ٢٠,٤٥ من يوم ٦ تشرين الأول، وصل اللواء إلى الخط: صير مقام الخيشومي - البغالة، حيث تلقى أمراً باحتلال الخط: رسوم القطار - أم الدنانير.

**احتل اللواء الخط المحدد في الساعة ١,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول، بعد أن دارت معركة صعبة مع المقاومات المعادية التي واجهها**، وبعد أن دمر هجوماً معاكساً ثانياً للعدو، اشتركت فيه سرية دبابات في منطقة صير الحوار. استخدم العدو في قتاله نيران القاعدة الصاروخية في المنطقة جنوب شرقي الفرج، و القاعدة الصاروخية في المنطقة غرب تل الفرس وإلى يمين المعسكر المعادي، ولقد حاول العدو منع قوات اللواء من التثبت على الخط: رسوم القطار - أم الدنانير، فقام في الساعة ٤,٣٠ من يوم ٧ تشرين الأول بهجوم اشتركت فيه الدبابات والقواعد الصاروخية المحمولة، غير أنه مني بالفشل واضطر للتراجع. وفي الساعة ٥,٣٠. تابع اللواء الهجوم في الاتجاه المحدد.

**تابعت الكتيبة ٣٥٦ تقدمها بالاتجاه المحدد حتى تجاوزت قرية المشتى إلى مسافة ٢ كم فتعرضت لهجوم معاكس** معاد اشتركت فيه ٢٠-٢٥ دبابة وقواعد صاروخية محمولة، ونيران الطيران والمدفعية. اشتبكت الكتيبة مع العدو من الثبات على الخط: غرب الجسر الأبيض - المشيرفة واستطاعت أن تدمر ١٤ - ١٥ دبابة و ٤ عربات صاروخية، وأن تأسر أحد عشر إسرائيلياً، بينهم ضابط برتبة نقيب، كما أسر جنود المشاة الملحقون بالكتيبة اثنين من الطيارين. ثم تابعت التقدم واحتلت صباح ٨ تشرين الأول الخط: خارجاً الجسر الأبيض - داخلاً المشيرفة.

**تابعت الكتيبة ٣٥٥ التقدم بالاتجاه المحدد، مدمرة المقاومات المعادية، التي كانت تظهر في اتجاهها. وفي الساعة ٩,٣٠ من يوم ٧ تشرين الأول** وصلت إلى منطقة الطبية **حتى الساعة ١٠,٣٠** لم تستطع

الكتيبة أن تتابع التقدم لوعورة المسالك، ولتعذر تجاوز المنطقة. وفي هذه الأثناء قرر قائد اللواء عودة الكتيبة إلى ضهرة الجوبة لمساعدة الكتيبة ٣٥٦ في القضاء على الهجوم المعاكس، والتمسك حتى **صباح ٨ تشرين الأول** بالخط: المشيرفة - الرمانة. وقد استطاعت الكتيبة ٣٥٥ أن تدمر ٨ دبابات معادية و ٤ عربات صاروخية(١).

**تقدمت الكتيبة ٢٠٣ خلف النسق الأول. وعندما توقفت الكتيبة ٣٥٦ لصد الهجوم المعاكس المعادي،** قرر قائد اللواء بغية تطوير الهجوم، زج الكتيبة في المعركة. وبعد تدمير المقاومات المعادية أمامها، وصلت في الساعة ٨,٤٠. من **يوم ٧ تشرين الأول** إلى منطقة اليعربية. وهنا اشتبكت في معركة عنيفة مع العدو الذي دفع إلى هذه المنطقة دبابات من نوع ت - ٥٤ و ت ٥٥ وسنتوريون وقد قدر قوام العدو بكتيبة، وقد تمكنت الكتيبة ٢٠٣ حتى **الساعة ١٤,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول** من تدمير ١٩ دبابة معادية.

## مَعركَة تلّ الفَرَس

**انطلقت الطائرات العمودية من قواعدها تحمل مجموعات الإنزال الجوي من قوات حطين** لتبدأ عملية تحرير تل الفرس عند الساعة ١٥,٠٠ بعد ظهر ٧ تشرين الأول.

**كان العدو قد أقام فوق التل موقعاً دفاعياً على سفوحه الشديدة الانحدار وبنى فيه مرصداً حصيناً، له** أهميته الكبيرة بالنسبة لـــ «إسرائيل». يتألف الملجأ الرئيس من ثلاثة طوابق. وهو أشبه بقلعة من الصخور السوداء أقامه العدو عقب عدوان حزيران عام ١٩٦٧م. وفي داخل المرصد ثلاثة محركات ديزل لتوليد الطاقة الكهربائية، وثلاث نظارات مزدوجة للرصد بعيد المدى، كما توجد ثلاث فتحات خاصة بالرصد، تسد في أثناء الأعمال القتالية بقطع حديدية سميكة، في منتصف كل قطعة فتحة خاصة للرصد في حالات

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٣٩.

القتال. يبلغ طول التل ٢٠٠ - ٢٥٠ م. وعرضه ١٠٠ - ١٥٠ م. جدران المرصد سميكة لا تؤثر فيها رمايات الطيران والمدفعية، وفوقها مجموعات من الطبقات، والطبقة عبارة عن كتلة من الأحجار السوداء. يستطيع العدو أن يرصد أية تحركات على مسافات بعيدة، وهو مزود بالأجهزة اللاسلكية للاتصال بالقيادة وإبلاغها بسرعة عن أي تحرك مضاد. كما يحوي المرصد أجهزة قيادة وتوجيه للطائرات وكذلك أجهزة تشويش اليكتروني.

**انطلقت الطائرات العمودية في اتجاه تل الفرس.. أبواب الحوامات مفتوحة.. المقاتلون** ينتظرون لحظة الصدام مع العدو... قائد مجموعات الانزال، النقيب **مصطفى محمد أبو دبوسة، يقول لهم:** «اليوم يومنا يا رجال... ونحن رجال جيش التحرير.. أريد منكم عملاً بطولياً لنثبت وجودنا... تحيا فلسطين.... تحيا سورية... تحيا الأمة العربية ».. وظل القائد طيلة فترة الطيران يلهب فيهم الحماسة والثأر لإخوانهم الأبطال، الذين استشهدوا في معارك الكفاح المسلح و التحرير.

**اقتربت الطائرات العمودية من تل الفرس... إنها الآن فوق التل..** العدو يفتح نيرانه عليها.. يرد المقاتلون على النيران بالمثل.. ويوجه قائد الطائرة العمودية الأمامية رشقة من الصواريخ إلى مصادر النيران المعادية. كان العدو يوجه نيرانه إلى غرفة قيادة الحوامة وبابها.. وعندما تابع العدو الرمي، رد قائد الحوامة برشقة أُخرى من الصواريخ.. وفي هذه الأثناء **جرح النقيب مصطفى** في ساقه اليسرى، إلاّ أنه لم يعلم بذلك سوى المساعد **توفيق يعقوبي،** الذي كان يجلس إلى جانبه، وما أن طلب قائد الطائرة الاستعداد للهبوط حتى قفز على الفور المجند **محمد الدربي،** الذي كان عند باب الطائرة، وتبعه قائد المجموعات، ثم بقية المقاتلين..

**تمت عملية الإنزال على الجانب الشمالي الشرقي لتل الفرس.. ودخل المقاتلون في معركة دموية مع مقاومات العدو،** وبعد أن طوقت المجموعات التل، هجم المحاربون هجمة رجل واحد.. وفي هذه اللحظة فقط انطلقت مع

النيران صيحة «الله أكبر» الغاضبة، وهم يطلقون النار من رشاشاتهم ويقذفون القنابل اليدوية على الإسرائيليين الغاصبين.. وما هي إلا ساعة من القتال، حتى تم **تحرير تل الفرس..** وأعطى قائد المجموعات أمراً بتنظيم الدفاع الدائري حول التل.

**كانت الضربات التي وجهتها قوة الإنزال من قوات حطين أقوى** من رمايات الطيران والمدفعية ولم يكن العدو يتوقع إنزالاً بالطائرات العمودية.. ولقد أحدث الإنزال المفاجئ ارتباكاً أشاع الموت والذعر في صفوف العدو..

**ومضى الليل وأطل صباح يوم جديد.. وفي الساعة ٦,٠٠ من يوم** ٨ **تشرين الأول** تقدمت سرية مشاة من الجيش العربي السوري باتجاه تل الفرس. وعند **الساعة ٧,٠٠**، وصلت عربة استطلاع، وأقامت مرصداً على التل لتأمين الاتصال بالقوات الصديقة..

**وهكذا قاتل رجال حطين، الذين يجيش في قلوبهم الحقد الدفين على العدو**، والرغبة الصادقة في الالتحام بها وجهاً لوجه،.. قاتلوا بعنف مظهرين عدم اكتراثهم بالموت.. وحتى أن النقيب مصطفى، قائد قوة الإنزال، الذي جرح في بداية العملية، لم يلق السلاح بل ظل يواصل القتال حتى تم اقتحام التل واحتلاله. وتقديراً من القيادة فقد منح هذا الضابط الشجاع وسام الشرف العسكري من درجة (فارس).

**الموقف في نهاية يوم القتال:**

**حتى نهاية يوم ٧ تشرين الأول، وصلت القوات إلى الخط:**

**الفرقة ٧ مشاة:** مزار أبي ذر الغفاري - ٥٠٠ م شرق تل الشيخة - ضهرة إبراهيم.

**الفرقة ٩ مشاة:** ٥٠٠ م شرق الخشنية - القحطانية - عين عيشة - الرمثانية - رؤوس الوديان المؤدية إلى بحيرة طبريا.

**الفرقة ٥ مشاة:** المشيرفة - النخيلة - تل البازوك - ١,٥ كم شمال خسفين - المنطار. رؤوس الوديان المؤدية إلى بحيرة طبريا.

**الفرقة ١ دبابات:** ١,٥ كم شمال وغرب تل أبي خنزير - ١ كم شمال غرب السنديانة - الرزانية.

## عَمَليّات ٨ - ١٠ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٧٣م

**كانت نتائج اليومين الأوليين من الحرب قاسية على العدو الإسرائيلي الذي ناء بها وأوشكت قواه المعنوية على الانهيار.** فقد تكبدت قواته المسلحة خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وبخاصة في الدبابات و الطائرات، وخيم شبح الخطر المميت فوق قوى الاحتلال، وأصبحت القيادة الإسرائيلية في وضع لا تحسد عليه، كما أصبح واضحاً أن «إسرائيل» عاجزة عن حماية نفسها فكيف تكون قادرة على حماية المصالح الأمريكية في المنطقة.

**كذلك رأى العالم أن القوات العربية السورية تملك إمكانات وطاقات كبيرة، كما اقتنع المجتمع الدولي بقوة المقاتلين العرب وقدرتهم على استخدام الأسلحة المتطورة..** كل ذلك أثبتته المعارك الطاحنة التي دارت على مرتفعات الجولان.

**لقد قاتل قسم كبير من وحداتنا وتشكيلاتنا ببطولة وشجاعة نادرتين،** وكانت تأتي في المرتبة الأول مهمة تدمير احتياطات العدو المدرعة المتقدمة من العمق، وهذا ما يعد موضوع حياة أو موت بالنسبة للعدو الإسرائيلي. وقد قام بهذه المهمة بكل جدارة سلاح الطيران وسلاح المدفعية عاملين بتضافر وتناسق، وصبَّا على رأس العدو المتقدم من الغرب الحمم النارية. فما تكاد قوات العدو تظهر أو يتم اكتشافها حتى ينقض عليها الطيران السوري. وعندما كانت أرتال العدو تصل إلى المدى المجدي للمدفعية، كانت هذه تصب عليه حممها حسب مديات الرمي، أن سلاح المدفعية السورية قام بدور مشرف في حرب تشرين التحريرية، هذه حقيقة يعرفها العدو قبل الصديق.

**القطاع الشمالي:**

**قامت الفرقة السابعة مشاة في الساعة ٢٠,٠٠ من يوم ٨ تشرين الأول،** مع وسائط تعزيزها، بهجوم صامت ليلي، بدون دبابات، وهدفها ومهمتها تدمير العدو المقابل، والوصول إلى الخط: عرضانية مسعدة - المنصورة، على أن تحتل بجزء من قواتها مدينة القنيطرة يعاونها اللواء ٥٢ مشاة.

**وفي الساعة ٢١,٠٠ بدأ العدو بإضاءة ساحة المعركة، وبفتح نيران المدفعية والهاون على القوات المهاجمة.** وقد ردت مدفعيتنا على مصادر النيران المعادية برمايات كثيفة. وتابعت قواتنا تقدمها نحو أهدافها تحت تأثير نيران المدفعية والهاونات المعادية. وعند **الساعة ٣,٠٠ من يوم ٩ تشرين الأول،** تمكن **اللواء ٦٨ مشاة** من احتلال سفوح تل وردة الغربية، وتل الجعيفري، والسفوح الشمالية الغربية لتل الشيخة، وتمكن **اللواء ٨٥ مشاة** من احتلال سفوح تل الشيخة الغربية وظهرة الأرانب، والقطرانة، **واحتل اللواء /١٢١/** مشاة ضهرة شمس الدين والسطح، ووصل نسقه الثاني إلى بير سيف. أما **اللواء ٥٢** مشاة فقد تمكنت إحدى كتائبه من الدخول إلى مدينة القنيطرة واشتبكت في قتال عنيف بالعدو المدافع، وخاضت كتيبة أخرى القتال على الخط: التخوم الجنوبية الشرقية لمدينة القنيطرة - القحطانية، ووصل النسق الثاني من اللواء إلى أرض عين الكرش.

**قام العدو بتركيز نيران المدفعية والهاون والدبابات على قوات الفرقة ابتداءً من فجر يوم ٩ تشرين الأول،** بالإضافة إلى القصف الجوي. وفي الساعة ٤,٠٠ تلقت الفرقة مهمة تطوير الهجوم الليلي مع أول ضوء يوم ٩ تشرين الأول على محور القنيطرة - جسر بنات يعقوب، بقوة **اللواء** ٨١ دبابات وتشكيلات الفرقة، ومهمتها تدمير القوات المعادية المقابلة والوصول إلى الخط: القلع - واسط - الدليوة - تل أبي خنزير، ثم متابعة الهجوم باتجاه

الحدود الدولية. وفي الساعة ٨,٤٥ من يوم ٩ تشرين الأول عبر اللواء ٨١ دبابات الخندق المضاد للدبابات، ووصل إلى خط الزج في الساعة ٩,٠٠.

وفي الساعة ١٠,٣٥ شوهدت أرتال معادية تتقدم من الاتجاهات التالية:

- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه بقعاتا - ضهرة الأرانب.
- رتل يقدر بكتيبتي دبابات من اتجاه واسط - تل البرم.
- رتل يقدر بكتيبة دبابات من اتجاه المويسه - المنصورة - تل محمد المخفي.

**وانتشرت على الخط:** السفوح الجنوبية لضهرة الأرانب - ضَهْرة خليف - السفوح الشرقية لتل البرم - تل محمد المخفي. وبدأت الدبابات المعادية بفتح نيران غزيرة على وحدات اللواء التي كانت تصد هجوم العدو المعاكس.

**خاضت القوات معارك ضارية، في مواجهة العدو الذي كان ضغطه ما يفتأ يزداد،** وكان الاصطدام شديداً وعنيفاً... وشرع الإسرائيليون يقذفون، دونما انقطاع، بقوى جديدة، بالإضافة إلى التركيز الجوي على الجبهة السورية.

ووقعت قواتنا تحت تأثير النيران والصواريخ المضادة للدبابات.. ولم يكن من السهل التقدم بسبب القذائف المنهمرة.. وبعد ذلك بوقت قصير، بدأت مدفعيتنا بقصف مركز على العدو، واختفت ساحة المعركة تحت سحابة من النيران والدخان.

**اضطر اللواء ٨١ دبابات تحت ضغط العدو، الذي كان مستمراً في زج قوى جديدة، إلى الانسحاب،** كما انسحبت قطعات الفرقة إلى مواقعها الدفاعية على حدود خط وقف إطلاق النار. وقريباً من **الساعة ٦,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول،** بدأ العدو بقصف المواقع الدفاعية بالمدفعية، مركزاً قصفه على منطقة خان أرينبه ومنطقة تل الظهور، فردت مدفعية الفرقة السابعة على

مرابض المدفعية المعادية وأسكتتها، وعند **الساعة ١٠,٠٠**، استأنف العدو رماياته على المنطقتين المذكورتين ذاتهما، بمعدلات كثيفة واستمر على ذلك حتى آخر ضوء من النهار وقامت مدفعية الفرقة بالرد على مصادر النيران المعادية المكتشفة، كما قامت بالرمي على مجموعة من العسكريين في رويسة الحمراء، تقوم بالاستطلاع، ويعتقد أنهم ضباط. وقام الطيران المعادي بعدة طلعات وقصف مرصد جبل الشيخ المحرر والمرتفع ١٤٨٠ وتل الظهور ومناطق مرابض المدفعية. وقد اشتبكت وسائط دفاعنا الجوي به وأسقطت له عدة طائرات.

**قام الطيران المعادي بقصف مواقع القوات المغربية في الساعة ٨,٤٠ يوم ١٠ تشرين الأول** مركزاً على الكشة والمرتفع ١٤٨٠ وضهرة الحدب.

**تقدم رتل مدرع معاد يقدر بكتيبة دبابات في الساعة ١١,١٥** من اتجاه مسعدة - سحيتا وفتحت مدفعية **القوات المغربية** النيران عليه. وعند **الساعة ١١,٤٠** انتشرت سرية دبابات وسرية مشاة محمولة على مجنزرات أمام سحيتا وبدأت بفتح النيران على **القوات المغربية**، التي ردت على النيران بالمثل، وأوقفت القوات المعادية على هذا الخط، وقريباً من الساعة ١٣,١٠، دفع العدو مجموعة من دباباته إلى مشارف جباتا، مما هدد الجانب الأيسر **للقوات المغربية**، كما تعرضت وحدات المشاة المغربية، المتمركزة في المرتفع ١٤٨٠ وضهرة الحدب والتلال غير المسماة ومنطقة مرج الجاموس، لقصف جوي ومدفعي شديدين. وقد اشتبكت **القوات المغربية** بالقوات المعادية، ثم انسحبت إلى مزرعة بيت جن.

**القطاع الأوسط:**

**تلقى العقيد الركن حسن توركماني قائد الفرقة التاسعة المشاة التعليمات بالحاق اللواء ٥٢ مشاة بالفرقة السابعة المشاة** من أجل احتلال مدينة القنيطرة بالتعاون مع اللواء ١٢١ مشاة.

وقد تمكن **اللواء ٣٣ مشاة** من صد عدة هجمات مدرعة معادية، وتمسك من **الساعة ١٥,٠٠ من يوم ٧ تشرين الأول** وحتى **الساعة ١٠,٠٠ يوم ١٠ تشرين الأول** بالخط المحتل: عين عيشة - تل يوسف - الرمثانية. وفي **الساعة ٨,٣٠ من يوم ١٠ تشرين الأول**، هوجم اللواء بمجموعات من الأرتال المدرعة من اتجاهات مختلفة اشتبك وإياها في قتال عنيف. وقد تمكنت بعض الدبابات المعادية من اقتحام إحدى سرايا مدفعية اللواء بعد أن تصدت لها السرية بالرمي المباشر ودمرت عدة دبابات معادية. وحيال ضغط العدو الشديد، الذي كان يزج بقوى جديدة باستمرار، انتقل اللواء إلى الدفاع شرقي الخط المحتل للتمسك بالمنطقة: عين عيشة - تل أبي قطيف - الجويزة، وليكون الجار الأيمن للفرقة الأولى دبابات(١).

**وفي الساعة ١٥,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول، تقدم العدو برتلي دبابات من الشمال والغرب**، بالإضافة إلى رمايات معادية من تل السماقات على وحدات اللواء، مما اضطر اللواء إلى التراجع لاحتلال الدفاع إلى شرقي خط وقف إطلاق النار، بعد أن قام الاحتياط المضاد للدبابات بتدمير قسم من الدبابات المعادية. ولقد تمكن اللواء من تدمير ٣ طائرات معادية بالصواريخ الفردية المضادة للطائرات خلال الفترة من ٦ - ١٠ تشرين الأول.

**هاجمت كتيبة حطين في يومي ٧ - ٨ تشرين الأول تل الذهب**، ولم تتمكن من احتلاله نظراً لمقاومة العدو في المنعات المجهزة بأسلحة مختلفة. وفي **يوم ٩ تشرين الأول**، استأنفت الكتيبة القتال ضد العدو في تل الذهب وأمام ضغط العدو انتقلت إلى الدفاع شرقي خط وقف إطلاق النار في **الساعة ١٥,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول.**

**في صباح ٨ تشرين الأول، انضمت إلى بقايا دبابات اللواءين ٥١ - ٤٣ المدرعين ١٦ دبابة من اللواء ١٢ دبابات وفي الساعة ١٢,٠٠، انتشر**

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٤٧.

**احتياط الفرقة المضاد للدبابات على الخط:** تل الطلائع - خارجاً - الفحام، لحماية مجنبة اللواءين من هجمات العدو الشديدة والمتكررة. وقد تمكن هذا الاحتياط من تدمير ٢٠ دبابة معادية وظل يصد هجمات العدو حتى دمره القصف الجوي والمدفعي الشديدان. وفي **الساعة ١٣,٠٠ من يوم ٩ تشرين الأول** حاول العدو الالتفاف على الوحدات المتبقية من **اللواءين ٥١ و ٤٣** من اتجاه السفوح الشمالية لتل الفرس، ومن الغرب والشمال الشرقي، بقوى كتيبة دبابات وعدد من القواعد الصاروخية المضادة للدبابات. وقد حاولت مدفعية الميدان وبعض السرايا المضادة للطائرات منع مناورة العدو وتدميره.

**غير أن العدد المتبقي من اللواءين لم يكن يتجاوز ١٥ دبابة**، بعد الاشتباك العنيف مع العدو، الذي كان ما يفتأ يشن الهجمات باستمرار. وازدادت حدة هجوم العدو وضغطه الشديد بالطيران والدبابات والمدفعية، وبذل اللواءان كل جهدهما في المحافظة على الخط: السفوح الغربية لتل شعاف السنديان - العرائس، إلا أن استمرار الهجوم المعادي بشتى الأسلحة لم يُبق من اللوائين سوى ٣ دبابات، فاضطر قائدا اللوائين للانتقال إلى السويسة في الساعة ١١,٠٠ من يوم ١٠ تشرين الأول.

### الفرقة الأولى دبابات:

**بعد أن تكبد العدو خسائر فادحة في يوم ٧ تشرين الأول، انسحب إلى الشمال الغربي من كفر نفاخ**، وإلى حرش عين زيوان، لاعادة تجميع قواته. كما تقدمت طلائع لواء مدرع من جسر بنات يعقوب على محور العليقة - كفر نفاخ، ومحور سنابر - عين سمسم. وابتداءً من **صباح يوم ٨ تشرين الأول** انتقل العدو للهجوم المعاكس بقوى لوائين مدرعين وكتيبة دبابات من بقايا اللواء السابق، من اتجاه عين سمسم - جنوب القادرية، واتجاه العليقة السنديانة، واتجاه المغير - شمال كفر نفاخ، ومن السفوح الشمالية الغربية لتل أبي خنزير، بعد أن قام بتمهيد مدفعي، وقصف جوي على قوات الفرقة.

**لم تستطع طائرات العدو ودباباته ومجنزراته تحطيم صمود الفرقة، التي اشتبكت في معارك تصادمية مع القوات المدرعة الإسرائيلية** الراغبة بإيقاف تقدم قواتنا. وأخفق هجوم العدو الأول من جراء تدمير عدد كبير من دباباته إلاّ أنه عاد إلى الهجوم، دافعاً بقواتٍ جديدة من النسق الثاني. وقد تمكن في **الساعة ١٣,٠٠ من يوم ٨ تشرين الأول** من الوصول إلى التخوم الغربية لقرية السنديانة، والتخوم الغربية لقرية الرزانية.

**وبعد معارك تصادمية ضارية بين دبابات الفرقة الأولى ودبابات العدو، في ظل تفوق جوي محلي،** وصل العدو في نهاية اليوم إلى الخط: الدلهمية - السنديانة - الرزانية.... وقد أسقط له خلال قصفه الجوي ٣ طائرات، وتم أسر أحد الطيارين، وسقط آخر في الأرض المحتلة، ثم قام بمحاولة أخرى باتجاه أم اللوقس، ولكن حظه كان أسوأ، اذ اضطر بتأثير المقاومة الكبيرة التي أبدتها هذه النقطة إلى الانسحاب، تاركاً خلفه عدداً من الدبابات المدمرة.

**وابتداءً من صباح ١٠ تشرين الأول، تقدمت كتيبة دبابات معادية تحت ستار نيران المدفعية والقواعد الصاروخية** باتجاه صيدا والحانوت في محاولة جديدة لاحتلالهما. وقد تصدت لها جميع الوسائط المضادة للدبابات، بالإضافة إلى رمايات المدفعية المركزة، وأكرهتها على الانسحاب، مخلفة وراءها عدداً كبيراً من الدبابات والناقلات المجنزرة. وقد قامت قوات الفرقة في المساء بسحب هذه الدبابات والناقلات المجنزرة من أمام نقاط الحراسة القتالية.

### الفرقة الثالثة دبابات:

**في يوم ٩ تشرين الأول ألحق اللواء ٢١ ميكانيكي بفرقة المشاة الخامسة، واللواء ٨١ دبابات بفرقة المشاة السابعة.**

**وعند الساعة ٥,١٥ أُسندت للواء ٨١ دبابات مهمة تدمير العدو في منطقة تل محمد المخفي والاستيلاء على الخط:** الدليوه - تل أبي خنزير، ثم تطوير الهجوم باتجاه: كفر نفاخ - جسر بنات يعقوب. وقد تمكنت معظم وحدات **اللواء ٨١ دبابات** من عبور الخندق المعادي المضاد للدبابات، ولكن لم تنجح إلا بعض الدبابات في الوصول إلى طريق المنصورة - مسعدة، وقد دمرت عند وصولها، فانسحب اللواء، بعد إعادة تجميعه، بإمرة رئيس أركانه إلى تل الشمس، حيث التحق به قائد اللواء في **الساعة ٢٢,٠٠ و**تلقى مهمة الدفاع عن التل المذكور بما تبقى من اللواء. أما **اللواء ٢١ ميكانيكي**، فقد زج كتيبة ميكانيكية وسرية دبابات في المعركة لصد الهجوم المعاكس على تل الفرس. وبعد الاشتباك في القتال مع العدو، وتحقيق المهمة، تلقى قائد اللواء أمراً بالتمركز في منطقة نوى (احتياط قيادة عامة).

**وفي يوم ١٠ تشرين الأول، التحقت كتيبة من اللواء ٩٠ مشاة بالفرقة الأولى دبابات** للدفاع عن تل الأحمر الغربي وتل الأحمر الشرقي، ثم كلف اللواء كله بهذه المهمة. وكلف **اللواء ٦٥ دبابات** باحتلال الدفاع في مواجهة حرفا - بيت جن، وانتقاء خط رمي من الثبات لتدمير العدو حول الحرش. أما **اللواء ٢١ ميكانيكي** فقد تلقى مهمة الدفاع باعتباره نسقاً ثانياً للفرقة الخامسة المشاة.

### الموقف في نهاية ١٠ تشرين الأول:

**كانت قواتنا تخوض المعارك الضارية ضد العدو الذي كان ضغطه ما يفتأ يزداد خلال أيام ٨ - ١٠ تشرين الأول**، وبالإضافة إلى القوى المدرعة التي كانت تعمل بالفعل في ميدان القتال، فقد أخذ العدو يزج في المعارك بقوى جديدة مدرعة وميكانيكية. **وحتى نهاية يوم ٩ تشرين الأول** كان موقف الفرق كما يلي:

**الفرقة ٧ مشاة:** تراجعت تشكيلاتها كافة إلى الضفة الشرقية للخندق المعادي، المضادة للدبابات.

**الفرقة ٩ مشاة:** عادت إلى الخط: اللواء ٥٢ مشاة في أم باطنة، واللواء ٣٣ مشاة في عين عيشة، وبقايا اللواءين ٤٣ و ٥١ المدرعين، في منطقة الخشنية.

**الفرقة الأولى دبابات:** بقيت متمسكة بالخط: عين عيشة - عين وردة - ٢ كم شرق السلوقية.

**الفرقة ٥ مشاة:** بقيت محتفظة بمنطقة الرفيد. أما التشكيلات الأخرى فقد عادت إلى خط وقف إطلاق النار. وفي آخر ضوء من نهار ٩ تشرين الأول تم سقوط تل الفرس بيد العدو.

**وخلال يوم ١٠ تشرين الأول، اقتصرت العمليات الحربية على متابعة القتال**، والتمسك بالخطوط المحتلة، ومنع العدو من احتلال التلال القريبة، مثل تلول شعاف السنديان والرفيد. كما لوحظ تركيز جهده الجوي على مناطق تحشد تشكيلات الفرقة ٧ مشاة ومرابض المدفعية ومقرات القيادة، تمهيداً لمهاجمتها صباح اليوم التالي.

## سير الأعمال القتالية الجوية في مرحلة الاقتحام :

**يوم (ي١) ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م.**

آ - **الصديق: تم التحضير للضربة الجوية الأولى بكتمان تام**، كما ذكرنا وأُسندت المهام القتالية إلى قادة الألوية الجوية، قبل بدء العملية بخمسة عشر يوماً، وإلى قادة الأسراب قبل أربع وعشرين ساعة.

**بعد تدقيق المهام**، واشتراك قادة الألوية الجوية بالتدقيق، في يومي ي - ٢ و ي - ١، انتقل قائد القوى الجوية والدفاع الجوي إلى مقر قيادته التعبوي صباح ي - ١، ورفع جاهزية القوى الجوية والدفاع الجوي إلى

الكامل، تنفيذاً لتوجيهات القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، واطلع على جاهزية الوحدات التنفيذية من جميع القطاعات الجوية ووسائط الدفاع الجوي[١].

**ابتدأت الأعمال القتالية** بتطبيق الخطة البديلة، للصراع من أجل كسب السيطرة الجوية وذلك بتوجيه **ضربة جوية كثيفة إلى الأهداف التالية:**

ميرون، مرصد جبل الشيخ، حُرش مسعدة، تل أبو الندى، كفر نفاخ، تل الفرس. كما وجهت في آن واحد رشقة صواريخ أرض - أرض من طراز (لونا) إلى مطار رامات دافيد. كما قامت القوات الجوية المصرية بتسديد ضربتها الجوية حسب الخطة الموضوعة.

**كان الموقف رائعاً للغاية، فمنذ عام ١٩٤٨م**، وبتحديد زمني أكثر دقة، منذ قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، لم تشهد الأمة العربية في تاريخها الحديث هذا العدد من الطائرات يقلع من سبع قواعد جوية وهو يتوجه لتنفيذ المهمة المحددة.... التي طالما تشوقنا إلى تنفيذها.

**هل كان ثمة من يصدق**، قبل حرب تشرين التحريرية، أن سورية قادرة على توجيه ثمانين طائرة قاذفة مقاتلة إلى العدو الإسرائيلي في الوقت الذي تضع فيه أربعين طائرة مقاتلة مناوبة في الجو من طراز ميغ ٢١، بينما تكون بقية الطائرات جاهزة في المطارات، للإقلاع على الفور، عند تلقي أية مهمة قتالية، وهي في حالة الاستعداد رقم (١)... أجل... لقد كان هذا يُعد قبل حرب رمضان من أحلام اليقظة... أما بعد حرب رمضان.. فقد أصبح حقيقة واقعة حية.

**لا يمكن للمرء أن يصف شعوره بالاعتزاز**، عندما يشاهد ثمانين طائرة من طائراتنا تتوجه إلى أهدافها في فلسطين المحتلة وروابي الجولان الحبيب

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص١٥٦.

على ارتفاع منخفض لا يجاوز بأي حال الـــ ٥٠ متراً... كما أن المرء لا يستطيع أن يتصور مدى فرحة العناصر الفنية في القوى الجوية وهم يقومون بواجبهم في تذخير الطائرات وملئها بالوقود والهواء المضغوط وتحميلها القنابل والصواريخ... لقد كانوا يعملون بصمت وهدوء، إنما بفعالية فائقة.

**عبرت طائراتنا خط الكشف الراداري المعادي، ولم يشعر بها الأعداء** فكأنهم قد ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**﴾[١].

وما هي إلا دقائق حتى كانت طائراتنا تنقض على أهدافها وتفرغ حمولاتها من القنابل والصواريخ، ثم تعود إلى قواعدها سالمة، باستثناء أربع طائرات أسقطتها وسائط الدفاع الجوي المعادي (مدفعية م/ط + صواريخ أرض - جو من طراز هوك).

**وبينما كانت طائراتنا تعود إلى مطاراتها بعد أن نفذت الضربة الجوية الأولى،** كانت هناك رشقة من صواريخ أرض - أرض من طراز (لونا) جاهزة للانطلاق إلى مطار (رامات دافيد)، فقد كانت هذه القاعدة الجوية الإسرائيلية الهامة هدفاً مثالياً لهذا النوع من الصواريخ..

**أعطيت الأوامر بإطلاق أول رشقة وما هي إلا ثوان حتى كانت الصواريخ** على مساراتها تتوجه إلى هدفها المحدد، ومرت الصواريخ (لونا) فوق مدينة طبرية وهي تصفر كالثعابين، فبعثت في نفوس السكان اليهود الخوف والذعر. وبعد مرور دقيقتين على إطلاقها، وصلت إلى هدفها مطار (رامات دافيد) وألحقت به أضراراً ثابتة[٢].

**وفي آن يكاد يكون واحداً،** تم الإنزال الجوي على جبل الشيخ، قامت به الوحدات الخاصة بواسطة أربع حوامات وتمكنت قواتنا من تحرير جبل الشيخ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) تم تدقيق المعلومات حول إصابة الصواريخ لونا لمطار رامات دافيد من قبل الطيارين الإسرائيليين الأسرى.

**وبعد ذلك انتقل الطيران المقاتل القاذف** إلى دعم القوات البرية مباشرة، كما قام الطيران المقاتل بتغطية القوات والأهداف الإستراتيجية في القطر.

**وقد نفذت القوات الجوية:**

٨٠ طلعة طائرة لإضعاف التجميع الجوي المعادي (الضربة الجوية الأولى).

٣٦ طلعة دعم أرضي.

٤ طلعات إنزال جوي بالطائرات العمودية (مي ٨).

١٤٨ طلعة تغطية للقوات ومظلات جوية فوق المطارات.

٢٦٨ المجموع.

الخسائر: ٤ طائرات، أشرنا إليها سابقاً، أسقطتها وسائط الدفاع الجوي المعادي.

**ونستطيع القول أننا حققنا في اليوم الأول:**

- تنفيذ الضربة الجوية الأولى تنفيذاً ناجحاً وتحقيق المفاجأة التامة.
- تنفيذ الإنزال الجوي على جبل الشيخ تنفيذاً ناجحاً.
- تأمين مهام التغطية تأميناً ناجحاً.

**أما العدو**، فقد قام بتغطية قواته وأغراض المؤخرة، كما حاول إيقاف تقدم قواتنا المهاجمة بتقديم الدعم الجوي لقواته، وقد حاول، لتحقيق هذا الهدف، مهاجمة كتائب صواريخنا المضادة للطائرات التي تغطي قوات النسق الأول، ولكنه أخفق في ذلك.

نفذ العدو في يوم (ي١) ٤٤٣ طلعة جوية.

وكانت خسائره ثلاث طائرات أسقطتها وسائط دفاعنا الجوي.

**يوم (ي٢) ٧ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تغطية القوات والأهداف الإستراتيجية في عمق القطر**، كما نفذت مهام الدعم الجوي للقوات البرية التي اقتحمت الجولان، وكذلك مهام الإنزال الجوي في تل الفرس ومهام الاستطلاع الجوي.

وقد بلغ عدد طلعات القوى الجوية مائتين وأربعاً وخمسين طلعة جوية، منها ست وأربعون طلعة دعم جوي، وأربع طلعات إنزال جوي.

**وعلى الرغم من أن هذا اليوم كان يوم الدفاع الجوي بلا منازع، فقد نفذت القوى الجوية مهمة تغطية** القوات القائمة بالهجوم ودعمها، كما نفذت مهمة إنزال جوي بالطائرات العمودية على تل الفرس، إضافة إلى مهام الاستطلاع بالتصوير والنظر، وقد تمكنت القوى الجوية من تحقيق السيطرة الجوية فوق منطقة الأعمال القتالية واشتبكت بطيران العدو ست مرات. وتم إسقاط خمس عشرة طائرة إسرائيلية في مجمل الاشتباكات الجوية كما خسرنا ١٥ طائرة كذلك... غير أن خسائر العدو الباهظة كانت بوسائط الدفاع الجوي لا سيما الصواريخ منها، إذ بلغ ما أسقطناه بواسطتها في اليوم الثاني **أربعاً وأربعين طائرة إسرائيلية** فيصبح مجموع ما أُسقط للعدو في اليوم الثاني من المعركة تسعاً وخمسين[1] طائرة. وهو رقم لا تستطيع تحمله دولة كبرى ولذلك كانت كارثة حقيقة.

---

(١) قد يلاحظ القارئ، بعض الاختلاف في الأرقام الواردة هنا وفي الأرقام التي ذكرها الناطق العسكري إبان حرب تشرين التحريرية. لذلك أردت أن أنوه بأن ما أذكره هنا هو رقم الطائرات الحقيقي، التي ثبت إسقاطها بدليل مادي (حطام طائرة أو أسير). ففي أثناء الاشتباكات قد تحصل بعض الأخطاء عن غير قصد، كأن يُعلم مرصدان عن سقوط طائرتين معاديتين وتكون واحدة في الحالتين، لأن كل مرصد رآها من زاوية مختلفة.

**يوم (ي٣) ٨ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**نفذت القوى الجوية والدفاع الجوي مهمة دعم القوات المهاجمة في الجولان.** وقد ركز على دعم فرقة الدبابات الأولى كما نفذت القوى الجوية مهمة استطلاع بالصور وقامت بنقل المؤن والعتاد الحربي إلى قوات الإنزال الجوي في جبل الشيخ وتل الفرس. كما قامت بصد الغارات الجوية التي قامت بها طائرات العدو على مراكز الرادار والمطارات وبلغ عدد الاشتباكات الجوية أحد عشر اشتباكاً، أسقطنا للعدو فيها اثنتين وعشرين طائرة وفقدنا ٢٠ طائرة، منها اثنتان دمرتا على الأرض في مطار الناصرية، كما بلغت خسائر العدو بالوسائط المضادة للطائرات ثلاثاً وعشرين طائرة وبذلك تكون خسارته في اليوم الثالث من المعركة خمساً وأربعين طائرة.

**يوم (ي٤) ٩/١٠/١٩٧٣م:**

**تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تنفيذ المهمة المسندة في تغطية القوات ودعم أعمالها القتالية، وقامت بإنزال جوي في منطقة واسط وكفر نفاخ،** كما نفذت الاستطلاع الجوي، وقد اشتركت **القوات الجوية العراقية** التي وصلت في يومي ٧ و ٨ / ١٠ / ١٩٧٣م والمؤلفة من سرب ميغ ٢١ وسربين سوخوي ٧، بأعمال التغطية والدعم. كما وقعت في هذا اليوم أربعة اشتباكات جوية أسقطنا فيها للعدو خمس طائرات وخسرنا ثلاث طائرات في الاشتباكات الجوية وتسع طائرات أسقطتها الوسائط المضادة المعادية، بينما أسقطت وسائط دفاعنا الجوي أربعاً وعشرين طائرة. وهكذا كان مجموع خسارة العدو في هذا اليوم تسعاً وعشرين طائرة.

**- يبدو أن الخسارات الكبيرة التي تكبدها العدو في سلاح طيرانه، والتي بلغت ١٣٦ طائرة على الجبهة السورية في اليوم الرابع من المعركة،** قد أفقدت قيادة العدو أعصابها، فأمرت بتوجيه غارة جوية على مدينة دمشق،

قوامها ست طائرات فانتوم، نفذت الغارة في **الساعة ١١,٣٠** وقصفت مساكن المواطنين القريبة من مبنى القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة وكذلك مساكن المواطنين القريبة من مبنى قيادة القوى الجوية. وقد استهدفت إسرائيل من هذا العمل الإجرامي التأثير على الروح المعنوية التي يتمتع بها شعبنا البطل، فأججت بعملها الإجرامي هذا حقد مواطنينا على العدو الصهيوني، كما جعلتهم يلتفون أكثر فأكثر بلحمة وطنية نادرة وقد أسقطنا أربع طائرات معادية من أصل ستة.

**يوم (ي٥) ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تنفيذ المهام المسندة إليها، كما قامت بصد عدة ضربات جوية كثيفة على المطارات،** ونفذت عمليات إنقاذ وإخلاء للجرحى بوساطة الحوامات، وقد منعت العدو من تحقيق أكثر مهماته. كما اشتبكت قواتنا الجوية بالطائرات الإسرائيلية خمس مرات أسقطنا خلالها ثماني عشرة طائرة معادية كما خسرنا العدد ذاته في الاشتباكات ومهمات الدعم بالإضافة إلى طائرتين عراقيتين.

**حاول العدو تحقيق السيطرة الجوية بتوجيه ضرباته إلى المطارات ومراكز الرادار.** كما قصف مصفاة البترول في حمص ومعامل توليد الطاقة الكهربائية. وحاول أيضاً منع الإمدادات القادمة من الإتحاد السوفييتي إلى سورية بقصف الموانئ والمطارات التي كشف نزول الإمدادات فيها (مطار حلب). إلا انه لم ينجح في تحقيق هذه المهمة، لأن مقاتلاتنا كانت تقوم بمواكبة طائرات النقل السوفييتية وتغطيتها على الفور من وصولها سماء بلادنا. كما أن تصميم شعبنا على دعم قواته المسلحة المقاتلة في الجبهة جعله يقوم بأعمال تفوق الوصف.

**وتبلغ مستوى المعجزات، سواء في ترميم الجسور وإصلاح المعابر** على طول خط الإمداد من اللاذقية إلى دمشق أو في تفريغ شحنات السلاح

من البواخر السوفييتية بسرعة فائقة. وقد أسقطت وسائط دفاعنا الجوي ٢٥ طائرة معادية. وبذلك يبلغ **مجموع ما أسقطناه في اليوم الخامس للحرب ٤٣ طائرة إسرائيلية.**

## العمليات البحرية في مرحلة الاقتحام

**المعركة البحرية الأولى:**

**الزمان: ليلة ٦ - ٧ تشرين الأول عام (١٩٧٣م).**

**المكان:** منطقة البحر الأبيض المتوسط الواقعة بين جزيرة قبرص غرباً، ورأس البسيط إلى بانياس على الساحل العربي السوري شرقاً.

**القوات المشتركة في هذه المعركة:**

| التبيان | زورق طوربيد | زورق صواريخ | كاسحة ألغام | وحدة غير معروفة بطيئة | وحدة غير معروفة سريعة | طائرات عمودية | سفن مساعدة | مدفعية ساحلية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| القوات الصديقة | ١ | ٣ | ١ | | | | | ٤ سرايا |
| القوات المعادية | | ٤ - ٦ | | ١٠ | ٢ - ٣ | ٦ - ٨ | ٢ | |

### سير المعركة:

**في الساعة (٢١,٠٠) من يوم ٦ تشرين الأول عام (١٩٧٣م)،** كانت الوحدات البحرية في مواقع انتشارها في الموانئ والمراسي، وكانت الزوارق والسفن المخصصة لأعمال المرور والدورية قد أخذت مكانها على خطوط الدورية، إلا زورقاً واحداً كان عليه أن يقوم على خط المرور بيروت - راس جريكو، غير أنه لم ينجح في اتخاذ موقعه لعطل طارئ في أجهزة الاتصال.

**كانت معلومات الاستطلاع تشير إلى أن** وحدات بحرية معادية تبحر نحو الشمال دون أن يكون هناك أي تحديد لحجم هذه القوات ونوعها، وما هي وجهتها الحقيقة والأعمال القتالية التي ستنفذها.

**انطلاقاً من هذه الحقائق وبعد حساب الزمن المتوقع لوصول هذه الوحدات إلى سواحلنا،** أعطيت الأوامر لقيادة لواء زوارق الطوربيد والصواريخ بوضع الوحدات في درجة الاستعداد الأولى والخروج إلى البحر إلى نقاط التجمع الأكثر ملاءمة لخوض الأعمال القتالية. أبحرت المجموعة الصاروخية المتمركزة في الموانئ الشمالية (اللاذقية وميناء البيضاء البحري) باتجاه طرطوس، وعندما كانت هذه المجموعة في الموقع جنوب غرب اللاذقية مسافة (٥ - ٦ أميال) أعلن قائد زورق الطوربيد[١] الذي يقوم بالدورية على خط المرور رأس البسيط - رأس أندريا، عن اشتباكه بثلاثة زوارق معادية بالمدفعية. واستمر في إعلان الموقف حتى فُقد الاتصال به، أعلن مركز القيادة الرئيسي للقوى البحرية عن وجود وحدات بحرية معادية واشتباك هذه الوحدات بزورق الدورية على خط البسيط - رأس أندريا، وأُبلغ ذلك إلى جميع وحداتنا البحرية وأُصدر الأمر إلى كاسحة الألغام الموجودة غربي اللاذقية بالانسحاب باتجاه الشاطئ لتكون تحت حماية المدفعية الساحلية وبعيدة عن مسرح الاشتباكات البحرية القادمة بين زوارقنا ووحدات العدو البحرية المقتربة.

**وفي الوقت ذاته، أعلنت مجموعة زوارق الصواريخ بقيادة المقدم البحري قاسم بيضون** عن اكتشاف مجموعة أهداف باتجاه ٢٧٥° - مسافة ٢٧ ميلاً من اللاذقية ومجموعة أهداف جنوب غربي اللاذقية، على مسافة (١٨) ميلاً. كان واضحاً كل الوضوح أن مجموعة الأهداف الأولى هي نفسها التي اشتبكت بزورق الدورية.

**صدرت الأوامر من مركز القيادة الرئيس إلى المجموعة الضاربة (مجموعة زوارق الصواريخ) بتدمير مجموعة الأهداف المكتشفة على مسافة (٢٧) ميلاً اتجاه (٢٧٥°)**. قامت المجموعة الضاربة بتوجيه ضربة

---

(١) قائد زورق الدورية (زورق الطوربيد) النقيب البحري علي يحيى .

صاروخية على مجموعة الأهداف المعادية. نفذت هذه الضربة بكل ثقة وتصميم. غير أن أحد صواريخ الزورق الرباعي لم ينطلق في أثناء المسير على خط سير القتال. عندئذ عزم قائد المجموعة وقائد الزورق على أن يصبا صواريخهما كلها على وحدات العدو بنفسٍ تجيش بالحقد عليه فأعادوا الكرة وأطلقا الصاروخ رغم معرفتهما بما في ذلك من خطر كبير على انسحابهم لاقتراب المسافة بينهم وبين العدو. وقد أعلن قائد المجموعة بكل ثقة وتأكيد على أن نتيجة الضربة التي وجهوها كلفت تدمير خمسة أهداف بحرية معادية رصدت إصاباتها على شاشة الرادار(١).

**بدأت بعد ذلك تظهر مجموعات الأهداف البحرية المعادية على شاشات الرادارات الساحلية حيث رصدت مجموعة أهداف سريعة مكونة من ثلاث أهداف على مسافة ١٨ ميلاً** من شمال غربي اللاذقية، ومجموعة أخرى مكونة من عشرة أهداف يسير كل هدفين منها، احدهما قرب الآخر. وكانت هذه المجموعة بطيئة الحركة، والمجموعتان باتجاه ميناء اللاذقية. كذلك أُعلن في الوقت ذاته عن وجود ثلاث طائرات عمودية فوق مربض المدفعية الساحلية قرب قرية الشامية شمال اللاذقية، كما أعلن عن وجود أربع طائرات عمودية فوق منطقة جبلة. وأفادت المشاهدات البصرية أن صواريخ تطلق باتجاه منطقة وجود الكاسحة.

**بدأت المدفعية الساحلية اشتباكها بالأهداف المعادية المتقدمة نحو ميناء اللاذقية بينما** كانت هذه الأهداف تدخل المدى الأقصى للمدفعية الساحلية. وعند وصولها إلى مسافة (٩ - ١٠ أميال) من الميناء، وتحت ضغط رمايات المدفعية الساحلية التي كانت كفاءتها في العمل عالية ومردودها ممتازاً، غيرت خط سيرها الجنوبي الشرقي واستمرت المدفعية بقصف الأهداف البحرية المعادية المتقدمة. انقسمت هذه الأهداف إلى مجموعتين،

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص١٥٩.

أحداهما مكونة من (٦) أهداف سريعة سيرها باتجاه الجنوب الشرقي متحاشية رمايات مدفعيتنا الساحلية. وقد رصدت في المنطقة رمايات صواريخ معادية واشتباكات بالمدفعية الخفيفة بين زوارقنا وزوارق العدو جنوب غربي جبلة وعلى مقربة من الساحل، وأثناء ذلك قطع الإتصال بمجموعة الزوارق الصاروخية. التي يقودها المقدم البحري قاسم بيضون ورئيس أركان المجموعة الشهيد الرائد البحري منير صقر، وقائد الزورق الصاروخي الرباعي الشهيد النقيب البحري نبيه زيفا **في الساعة (٠٠,٤٠) بدأت الوحدات البحرية المعادية بالانسحاب من مسرح العمليات البحري**. ثم رُصد عدد من الطائرات العمودية المعادية تعمل في منطقة الضربة التي قامت بها الزوارق الصديقة لمدة تزيد على الساعة بعد انسحاب الوحدات البحرية. كما رصدت وحدة بحرية كبيرة في المنطقة نفسها إلى جانب وحدة بحرية أُخرى على مسافة (٤٠) ميلاً من شمال غربي اللاذقية.

## ثانياً - مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس:

**لقد استطاعت الحرب الرابعة أن تثبت وجود الإنسان العربي**، وقدرته على القتال وتحرير الأرض.. وكان هدف العدو الإسرائيلي من الخرق هدفاً سياسياً أكثر مما كان عسكرياً. وذلك ليغطي خسائره الكبيرة في الأرواح والعتاد، وليعلن عن وجوده الرمزي شرقي خط وقف إطلاق النار السابق في الوقت الذي يعلم أن الجهود السياسية الدولية تبذل من أجل وقف الصراع المسلح في منطقة الشرق الأوسط.

**عمد العدو إلى الخرق باتجاه تل الشمس على محور القنيطرة - دمشق**، إلا أن قواتنا أجبرته على التوقف في جيب ناري وأرض قتل، مهددة إياه بالقوى البشرية ونيران الأسلحة المختلفة، من معظم الجهات.

**لم تستطع طائرات العدو ودباباته ومجنزراته أن تحطم إرادة قواتنا وصمودها**. ولم ينجح الإسرائيليون في قهرها كما كانوا يأملون.. وكان كل ما

استطاعوا إليه سبيلاً هو أن يحدثوا خرقاً بسيطاً متكبدين خسائر كبيرة في الوسائط المادية والأرواح.

**كان هدف القيادة العامة من توحيد جهود صنوف القوات المسلحة وأنواعها ومن تنسيق أعمالها، أن توقع أكبر الخسائر الممكنة بالعدو.** ولقد نجحت في ذلك طوال معارك **الأيام الأولى من الحرب ٦ - ١٠ تشرين الأول**. ولقد أثبتت قواتنا أنها شجاعة في ساعات الخطر، وتم تنفيذ كل التدابير اللازمة لتطويق القوات المعادية ضمن جيب لا يتعدى ١٠ - ١٥ كم طولاً وعرضاً. كما وجهت القيادة العامة بعض القوات إلى الاتجاهات الأكثر أهمية وذلك على جناح السرعة[١].

**لم يحقق الخرق الإسرائيلي على الجبهة السورية أي تقدم يتناسب مع حجم القوات الجوية والبرية المعادية المستخدمة.** وعلى الرغم من أن الطيران الإسرائيلي وضع كل ثقله لتحقيق السيطرة الجوية في الجبهة السورية، وزج قواته الاحتياطية المدرعة جميعها، فإنه لم يحقق أكثر من تقدم تكتيكي بسيط، هو عبارة عن مرحلة من مراحل الحرب.

**سير العمليات:**

**تابع العدو قصفه الجوي على تشكيلات الفرقة السابعة والتاسعة مشاة منذ أول ضوء من يوم ١١ تشرين،** ولا سيما المناطق طرنجة، خان أرنبة، تلول الحمر وبعد ذلك تقدمت بعض القطعات المعادية باتجاه قطاعي الفرقتين ٧ - ٩ مخترقة خط وقف إطلاق النار بقوى مجموعتي قتال على مواجهة الفرقة السابعة مجموعة باتجاه حضر مزرعة بيت جن، ومجموعة على اتجاه محور طريق القنيطرة دمشق، وتم اشتباكها مع وحدات النسق الأول للفرقة السابعة.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي، ج٣، مصدر سابق، ص٧٥٥.

**ولكن لم يكن إندفاع قوات الفرقة السابعة للقتال في الدفاع أقل ضراوة واستبسالاً عن تنفيذ الأعمال الهجومية**، وعلى الرغم من استمرارية القتال من **يوم ١٠/٦** نهاراً وليلاً دون انقطاع ولا راحة، ومع كل ساعة تمر كانت تكبد العدو خسائر جسيمة بالعتاد والأرواح.

**وأبرز هذه المعارك** في هذه المرحلة هي التي دارت على الحد الأمامي للدفاع الرئيسي للفرقة السابعة على اتجاه خان أرنبة - سعسع.

**حيث ركز العدو هجومه الرئيس على هذا الاتجاه بعد** ثلاث ساعات من بدء الهجوم على الجناح الشمالي للفرقة وبعد أن حقق نجاحاً فيه باحتلاله حضر، وحرفا وتوجهه باتجاه مزرعة بيت جن.

**فتصدى لهذا الهجوم قانصو الدبابات من حملة الـ (ر ب ج) مع وسائط الـ (م/د) مالوتكا ومع قسم من مدفعية** الميدان للواء والفرقة والتي تحولت للرمي المباشر على دبابات العدو وآلياته المزنجرة المهاجمة، فحصدت ودمرت منها في الموجة الأولى /١٧/ دبابة من وحدات استطلاع العدو. ثم تابعت بنفس الزخم قتالها الفعال مع القوات الرئيسة للواء /١٧/ دبابات حتى لم يبق منه إلا بضع دبابات صالحة للقتال. وكما ألحقت خسائر كبيرة باللواء ٧٩د المجاور، الأمر الذي اضطر معه العدو على وقف هجومه على هذا المحور قنيطرة - دمشق تجنباً لمزيد من الخسائر وناور باللواء المدرع الثالث للتحول بالهجوم من جنوب خان أرنبة لاحتلال تل شعار.

**ولكن هذا لم يمنع وحدات الفرقة من محاصرة اللواء ١٧ / د ليلاً واقتناص ما تبقى من دبابات بهجمات جريئة**، مما اضطر معها العدو لدفع كتيبة مظليين مع وحدتين من الدبابات لإنقاذ ما تبقى من هذا اللواء. وتم إلحاق بعض الخسائر بهما خلال **ليلة ١١ - ١٢** حيث قتل قائد إحدى الوحدتين وجرح الآخر.

**بهذه الروح المعنوية العالية والمثابرة على التصميم على القتال مارس ضباط وجنود الفرقة السابعة** قتالهم مع العدو الإسرائيلي حتى أن أحد رماة الــ (ر ب ج) حقق لوحده تدمير /٤/ دبابات إسرائيلية قبل أن يستشهد.

**وفي صباح ١٢ تشرين الأول ابتدأت عمليات العدو** بقصف جوي ومدفعي شديدين على المرتفعات: تل الشمس، تل الهوى، تل برقاله، تل قرين، تل المال، تل مسحرة، تل عنتر، تل العلاقية.

**بذلت القوات الإسرائيلية جهداً كبيراً لمتابعة تقدمها على محور القنيطرة** - سعسع - دمشق، وعلى محور طرنجة - مزرعة بيت جن. ولتوسيع الخرق باتجاه: ماعص - حمريت - كفر ناسج، وباتجاه: جبا - مسحرة. وفي **الساعة ١٤,٠٠ من** هذا اليوم، شنت **قوات صلاح الدين العراقية** هجوماً معاكساً بقوى اللواء الثاني عشر المدرع. تحرك اللواء المذكور من منطقة تحشده بوتيرة جيدة تسيطر عليه روح معنوية عالية زاد في تأججها حماسة أهل القرى التي كان يجتازها[١].

**وفي زهاء الساعة ١٧,٣٠، اصطدمت مقدمة اللواء بقوى معادية كانت تتقدم باتجاه كفر ناسج - تل عنتر** وقد استطاعت دحر العدو ورده على أعقابه، ثم بدأت مطاردة فلوله باتجاه تل حمد - كفر ناسج - تل الجبل - تل أيوبية - السفوح الشرقية لتل الشعار، وكانت صيحات عمال اللاسلكي تتعالى... إنهم يهربون كالكلاب يا سيدي القائد.. وكان يجيبهم بحماسة منقطعة النظير.... قاتلو يا «نشامى» قتيبة.... تقدموا يا أبطال يعرب...

**استطاع العدو تجميع قوة مدرعة غرب تل الشعار عند أول ضوء من يوم ١٠/١٣** وتعزيزها بقوة أخرى جديدة. وبعد تمهيد بالمدفعية والطيران، شن هجوماً معاكساً من اتجاهين: شمال تل الشعار وجنوبه. وقد جرت معركة ضارية استطاعت فيها قواتنا تكبيد العدو خسائر كبيرة بالدبابات. ولكنه تمكن

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص ١٥٤.

من الضغط عليها فتراجعت إلى نقطة كفر ناسج بعد أن تصدت له بكل عناد لتحول دون تقدمه باتجاه تل عنتر، وفي نهاية اليوم، كانت الوحدات المعادية تقاتل على مشارف مزرعة بيت جن، وعلى السفوح الجنوبية الغربية لتل شمس وفي منطقة حمريت - كفر ناسج - الطيمة - تل البزاق - جبا.

**تابع العدو قصفه الجوي والمدفعي خلال يوم ١٣ تشرين الأول** على مزرعة بيت جن وتل الشمس. وقد تمكن في نهاية اليوم من احتلال تل قرين وتل مسحرة.

**ركز العدو مجموعة من الدبابات في مساء يوم ١٠/١٣** في سفوح تل عنتر وأخذت ترمي قواتنا.. وكانت رماياتها مؤثرة، فأصدر قائد اللواء تعليماته بالرد عليها بنيران الدبابات.. وبعد فترة من الوقت، تم تدميرها جميعاً ما عدا دبابتين ظلتا ترميان رمايات مزعجة فأصدر قائد اللواء تعليماته إلى قائد **الكتيبة اليسارية الذي كان إلى جانبه أن يعمل على اسكاتهما:**

- رائد أحمد دَمِرْ ما بقي من دبابات العدو بوسائطك.

- حاضر يا سيدي.

وانطلق الرائد الركن أحمد إلى أقرب دبابة، فاجتمع هنيهة مع طاقمها على الأرض وصعد إليها بنفسه مع المعمر والسائق فقط. وتحركت الدبابة بهدوء وثبة تلو وثبة حتى غدت على مسافة لا تزيد عن ٨٠٠ م عن الهدف. وخلال برهة لا تتجوز الدقيقة انطلقت ثلاث قذائف باتجاه الدبابتين، أحالتهما إلى كتلة كبيرة من الدخان الأسود...

وكانت لحظة رائعة عندما عاد قائد الكتيبة ليقدم نفسه:

- نفذ الأمر سيدي.

لقد كان بنفسه قائد الدبابة والرامي في آن واحد.

**أعلم مرصد تل الشمس في الساعة ١,٤٥ من يوم ١٤ تشرين الأول أن العدو يهاجم التل**، واستمر القتال في التل حتى **الساعة** ٧,٠٠ حين سقط

التل بيد العدو. كما دار قتال عنيف في مزرعة بيت جن، وفي نهاية اليوم تمكن العدو من احتلالها، وتابع تقديم احتياطاته، ودفع وحداته باتجاه: سعسع - كناكر، إلا أنها لم تحرز نجاحاً في هذا الاتجاه، وتراجعت في المساء إلى مناطق تحشدها في تل الشمس ودورين ودير ماكر ومسحرة. وفي مساء هذا اليوم اتخذ قرار باستعادة تل الشمس ومزرعة بيت جن من يد العدو. واستمرت الأعمال القتالية بيننا وبين العدو طوال ليلة ١٤ – ١٥ تشرين الأول، ولكنها لم تؤد إلى نتيجة حاسمة. على أن يتم التنفيذ بعملية إغارة ليلية مباغتة مع الاستمرار بزرع حقول الألغام م/د على طول المواجهة والإسراع باستكمال احتلال الدفاع.

**وتم تشكيل مجموعة الإغارة من /٣٠٠/ مقاتل من مختلف الرتب والاختصاصات ومسلحين بأسلحة فردية يغلب عليها رماة الـــ (ر ب ج) مع سرية م / د من اللواء السعودي** وبدعم كامل من مدفعية الفرقة واللواء على هذا الاتجاه وأُنيطت القيادة **للمقدم عيد فارس** قائد كتيبة من **اللواء /١٢١/ ميكانيكي** وقد تم اختياره لهذه المهمة الهامة كونه من قرية الحميدية على مدخل مدينة القنيطرة التي هدمها العدو الإسرائيلي وحولها لنقطة استناد. وكان قد صرّح سابقاً أمام قائد الفرقة بأنه ينتظر اليوم المناسب ليأخذ ثأره منهم. وعندما سأله قائد الفرقة عند إبلاغه المهمة: هل أنت على وعدك يا فارس فأجاب فوراً ودون تردد: إنني عند وعدي ولن أعود إلا على دمي أو أُنفذ المهمة بنجاح.

**وهذا ما كان فعلاً ونفذ المهمة بنجاح كبير واحتل التل وتم تدمير ٦ دبابات وثلاث عربات قتالية وقتل العديد من الجنود الإسرائيليين.** وكان ذلك **صباح ١٠/١٦** واستشهد صباح اليوم التالي وهو يصد الهجوم المعاكس الإسرائيلي لاسترداد التل ويرمي بنفسه بسلاح الـــ (ر ب ج) فأصابته رشة من رشاش متوسط في صدره ورأسه وكان فعلاً عند وعده وكان مثالاً للفروسية.

**وفي اليوم نفسه تم تعزيز الفرقة السابعة باللواء ٩٠ / د** احتياط القيادة العامة فحددت له مهمة الدفاع عن المنطقة: دير العدس - دير البخت - غباغب وتم تنفيذ المهمة فوراً.

**هنا تراجعت فكرة العدو بالهجوم وتجمد الموقف على هذا النحو حتى وقف إطلاق النار.**

**بعد إخفاق الاختراق الإسرائيلي للجبهة السورية على الاتجاه الشمالي،** حيث نجحت قوات الفرقة السابعة في التصدي بعنف للهجوم الإسرائيلي المضاد واستطاعت أن تسحب قواتها ببطء وتماسك إلى خط الدفاع الثاني المعد مسبقاً:

كفر حور - تل شمس - كناكر - كفر ناسج وبالتعاون مع احتياط م /د الجيش مع تنفيذ إغارات ليلية متتابعة أرهقت العدو وأجبرته على التوقف، وخاصة مع وصول **القوات العراقية والأردنية** و التي شاركت في القتال على القطاع الأوسط بشكل أساسي وحيث استنفذت جهود القوات الإسرائيلية المدرعة وساعدت على ثبات الجبهة وحالت دون نجاح مناورات الالتفاف التي درجت عليها القوات المدرعة الإسرائيلية. وتجمد الموقف على هذا النحو[١].

**حينها ابتدأت القوات السورية تنظيمها وتمركزها** استعداداً للقيام بهجوم معاكس عام لاستعادة الجيب المشكل.

**هنا أُنيطت للفرقة السابعة مشاة المعززة بلواء مشاة سعودي مهمة احتلال الفرجة** التي تشكلت بينها وبين الفرقة التاسعة مشاة من خلال الأعمال القتالية وبمواجهة من كناكر حتى السفوح الشرقية لتل الحارّة، وفي العمق غباغب.

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٧٦١.

**ومع بدء تحرك الفرقة السابعة لاحتلال دفاعها الجديد، بدأ العدو بحشد مجموعة قتالية مؤلفة من ثلاثة ألوية دبابات في المناطق**: تل الشعار مسحرة - تل المال. فكان التقدير أن تقوم هذه المجموعة بهجوم مباغت باتجاه كفر ناسج - دير العدس - غباغب وتقطع الطريق العام دمشق - درعا وذلك لفصل محافظة حوران عن سورية.

**فكان لا بد من** إجراء عمل إيجابي سريع لمباغتة الإسرائيليين وتمكين الفرقة السابعة من استكمال إحتلالها للدفاع على هذا الاتجاه.

**فاستقر الرأي لقائد الفرقة السابعة على تحرير تل مرعي** المحتل بسرية دبابات وسرية ميكانيكية، نظراً لموقع هذا التل الهام على مواجهة حتى /٤/ كم في نطاق هجوم المجموعة القتالية الإسرائيلية.

## معركة ديـر العَدَس

### ١٢ - ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م

**من المشاهد الرائعة،** التي تكررت في **اللواء ٢١ ميكانيكي،** منظر المقاتلين الصامدين وهم يدمرون أقوى الدبابات الإسرائيلية.. وما معركة دير العدس إلاّ إحدى المعارك، التي تتحدث عن الصمود الحديدي الذي أبدته إحدى كتائب هذا اللواء..

**عاش النقيب كمال خزيم رئيس** أركان الكتيبة ١٦١ معركة دير العدس بكل مراحلها وتفاصيلها. وها هي كلماته. المدونة بخط يده في مذكراته، تحكي لنا قصة هذه المعركة التي لا تنسى[1]:

« **في القطاع الأوسط يشدد** العدو هجماته على منطقة دير العدس، فتصدر الأوامر **إلى الكتيبة ١٦١ من اللواء ٢١ ميكانيكي** لصد الهجوم

---

(١) العماد مصطفى طلاس ، مرآة حياتي، إصدار دار طلاس، د. ت المجلد ٣/٢/ الصفحة ٧٦٢.

هناك، فتندفع من مكان تمركزها في القطاع الشمالي بسرعة فائقة وروح معنوية عالية، وتصل المكان قبل الموعد المحدد، وتتركز فوق التلال المشرفة على أرض المعركة، حيث بدأ قائد الكتيبة الرائد الركن أحمد دليلة يُعطي تعليماته.

- ملازم وجدي تحرك بفصيلتك إلى الأمام وارصد تحركات العدو وابلغني كل التفاصيل.

**انفصلت هذه الفصيلة عن سريتها الثالثة** وتقدمت، فاتخذ كل مقاتل مكاناً يستطيع منه رؤية العدو وحركاته وسكناته. اتخذت الناقلات الصاروخية أماكنها وتأهبت لصد أي هجوم معاد.

**هدر صوت قائد الفصيلة** (تأهب) وانهالت رمايات مدفعية العدو الكثيفة ليتبعها زحف بالدبابات. كان رماة الصواريخ على استعداد كامل، ينتظرون بفارغ الصبر أن تصبح الدبابات المعادية على مرمى صواريخهم. تصايحوا من كل مكان. تقدموا أيها الجبناء. لن تمروا أيها الأوغاد. نحن بانتظاركم لن تنسو هذا الدرس.

**تابعت** قوات العدو تقدمها من قرب تل قرين وتل مرعي. المقاتلون يبتسمون وأعينهم مثبتة على الأهداف المتقدمة..

- **العريف المجند منيف** (لم يحن الوقت بعد للرمي... بقي مئة متر... خمسون... خذها أيها الجبان) وأطلق صاروخه... وما هي إلاّ ثوانٍ قليلة حتى انفجرت الدبابة وعلاها الدخان واللهب.

- **أطلق العريف أحمد صاروخاً وهو يصيح:**

- **سأُريكم أيها السفلة**... ها ها ها، لقد انفجرت «الملعونة» واستحالت كتلة من نار الدبابات المعادية ما تزال تصلي الموقع نيراناً حامية وهي تتقدم. كانت المسافة التي وصلت إليها كافية لتدميرها حتى بمدفع الناقلة. صاح العريف منيف: (بنت الخنزير بعدها عم تتقدم.. هه) وما هي إلاّ لحظات حتى

اندلعت النار في أحشائها... وتتابعت الانفجارات في آليات العدو مختلطة بزغاريد الأبطال العرب.

**أجال بعض قادة الدبابات** المعادية نظرهم في الأشلاء المتناثرة يميناً وشمالاً، فأعطوا أوامر التراجع بعد أن فوجئوا بتلك الإصابات المحكمة والأسلحة الفعالة، ليدعموا قوتهم ويتابعوا محاولة تقدمهم في اليوم الثاني بمزيد من الشراسة والحقد.

**جنود الفصيلة** يتوزعون في حفرهم ويتسامرون، **كرر العدو هجومه في** اليوم الثاني والثالث فلم يكن حظه بأفضل من اليوم الأول. حطام دبابات، ومعنويات منهارة... وخوف قاتل أخذ يشل حركة جنوده، فلا يكادون يتقدمون إلا بأوامر قسرية.

**ظهرت دبابة معادية وتبعتها أخرى**، وما كادت تصل إلى مدى رمي العريف أحمد، حتى أطلق قذيفة صاروخية وأتبعها بأخرى، فإذا الدبابتان كتلة نار، وإذا بأسطورة (السنتوريون والباتون) حطب تأكله نار قذائف هذا المقاتل.

**أيقن العدو أن هجومه** في هذه المنطقة أمر صعب فحاول أن يخلي دباباته المحطمة المحترقة وآلياته المبعثرة.

**ظهرت في الأُفق رافعة كبيرة** ودبابة نجدة جاءتا للغرض نفسه، فصاح العريف: «الحمد للّٰه جاؤوا... اقترب يا شاطر اقترب... أيوه خذها، وأطلق قذيفتين أصابتا الدبابة والرافعة... شوفوا يا شباب أليست هذه النار تلتهم الدبابة مثل النار في أعراسنا القروية».

**لم تكن الفصيلة تقاتل منعزلة**، بل كانت إلى جانبها وعلى الخط نفسه السرية الثالثة، تدعمها من الخلف سرية الهاون، بينما احتلت السرية الأولى موقعاً خلفياً على يمين تل عريد، وتوضعت فصيلتان كاحتياط على السفوح الأمامية لتل جعفر بيك، وتوسطت قيادة الكتيبة هذا التشكيل.

**انسحبت الفصيلة بعد أن أدت** مهمتها، غير أن العدو شدد هجماته بعد أن حسب أن المنطقة لا تملك غير هذه القوة الصغيرة، فاصطدم بالسرية الثانية التي كانت قد أخذت مكانها في قرية دير العدس. اندفعت القوات المعادية بعدد كبير **يقدّر بكتيبتي دبابات.**

**الأهداف المعادية تقترب شيئاً فشيئاً**، بينما تدوي صواريخ الرماة وزغاريدهم (محمد - ربيع - حسين - صالح)، فتتحطم الدبابات يميناً وشمالاً. أخذوا يصرخون بدون انتظام على جهاز اللاسلكي ليسمعهم القائد (حطمناها، حطمناها، إنها تشتعل، لقد دُمرت)، بينما يتحدث هو بهدوء وثقة:

- **اهدؤوا أيها الأحبة الأبطال.** إنكم تصنعون المعجزات. عليكم الآن أن تدمروا العدو بأعصاب ثابتة... اهدؤوا فسيعودون بعد قليل.

- «لعيونك أبو رامز».

**انسحب العدو ليتقدم بمجموعة جديدة** من الدبابات. الفصيلة الأولى من السرية الثانية تراقب الموقف بثبات وحذر.. الأهداف تتقدم... الملازم الأول يوسف قائد الفصيلة يدفع برماة القواذف (م/د) إلى الأمام ليساعدوا رماة ناقلات الصواريخ.

**ازداد تقدم الدبابات المعادية فعالجتها صواريخ الفصيلة ودمرت عدداً منها.** غير أن الهجمة كانت شرسة وحقودة.. تابع العدو تقدمه حتى مسافة خمسين متراً من الفصيلة، فانبرى له رماة قواذف (ر. ب. ج) بصواريخهم[١].

**الهجمة تزداد شراسة وجنودنا يزدادون صموداً**... قائد الكتيبة وقائد السرية يأمران بإجراء مناورة، فتحدث خسائر كبيرة في الدبابات المعادية تضطرها فيما بعد إلى الانسحاب.. قائد الفصيلة يشجع عناصره، ويلهب حماستهم، ثم يترك مرصده ويقفز إلى إحدى الحفر بين جنوده، فيتناول القاذف

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٦٧.

الصاروخي ويدمر دبابة، فتعاجله طلقة رشاش معاد، وتستقر في ذراعه اليمنى وهو يهم بتلقيم قذيفة أخرى... **جنوده يتكومون قربه لتضميد جرحه فيصرخ:**

(إنني سليم، اذهبوا إلى أماكنكم دمروا العدو أيها الأبطال... لن أترككم وفيّ قطرة دم).

**سمع قائد السرية الخبر،** فدفع حملة النقالات لإخلاء البطل الجريح تحت أزير الرصاص، فصاح قائد الفصيلة: «لا. لا. لن أترك جنودي».

**وبلغ النزيف أشده فحملوه إلى المستشفى..** حل الرقيب **عبيهل الأحمد** مكان قائد الفصيلة.. خبرات هذا الرقيب الطويلة في الجيش علمته كيف يقاتل، فكان خير خلف للملازم يوسف الجريح.

**كان مقاتلو السرية يزدادون حماسة وبسالة يوماً بعد يوم،** وصمودهم يفقد العدو صوابه، فيصمم على النيل منهم... فما كاد فجر السادس عشر من تشرين ينبلج، حتى أخذ يصب نيران صواريخه ومدفعيته على السرية، ثم أتبع ذلك بهجوم دبابات كبير من مرتفعات تل عنتر وتل العلاقية وتل مرعي، وعمد في هذه المرة إلى المخادعة، إذ أدار مدافع دباباته إلى الخلف ليوهم أبطال السرية بأنها دبابات صديقة، وعندما أصبح على مسافة ٢ كم أدار مدافعه باتجاههم، وأرسل سيلاً من قنابلها، فبدأت المعركة الضارية وأخذ رماة الصواريخ يدمرون أهدافهم.

**طلب قائد هذه السرية من الملازم ميشيل، قائد سرية الهاون، أن يبدأ الرمي على العدو المتقدم،** فانهالت قنابله على ناقلات العدو المجنزرة، واستقرت في قلب الدبابات المعادية وأمامها، فأربكت تقدم العدو وأجبرته على التوقف، مما أتاح لرماة الصواريخ أن يصيبوا أهدافهم، كانت النيران تشتعل في الدبابات المعادية واحدة تلو الأخرى... وكانت قذائف الـــ (ر. ب. ج) تنطلق بدورها لتلقي الهلع والخوف في صفوف العدو.

**مجموعة القواذف التي دفعها قائد السرية إلى الأمام بقيادة الرقيب مجيد، تكيل الضربات القاسية للدبابات المعادية**. ولقاء هذا الصمود توقف نسق الدبابات، وبدأ بالالتفاف نحو اليسار باتجاه عين عفا ويسار قرية دير العدس... كان هم العدو تطويق هذه السرية مع سرية الهاون وعزلهما.

**أعلم قائد الكتيبة بالموقف**، فأعطى أمره بالقتال حتى الاستشهاد، والمناورة بالسرية والدفاع الدائري حتى آخر لحظة. فعمدت سرية الهاون إلى الرمي في كل الاتجاهات.

**الرمي كثيف غزير، والاشتباك ضار، والعدو آخذ في تشديد حصاره على السرية التي كانت مثالاً للتضحية والفداء**... لم يترك جندي موقعه، تشبثوا بكل شبر من الأرض بقوة وعزيمة.

**أخذ قائد الكتيبة يدير المعركة بأعصاب حديدية، ويطلب رمايات المدفعية، ويقود نيرانها ومناورة الوحدات**... أعطى أمراً للسرية الأولى، التي تتمركز في تل عريد، لمساعدة جارتها، وفك طوق الحصار عنها، فأبدت حماسة لا تقل عن حماسة سائر وحدات الكتيبة.

**تقدمت الدبابات المعادية، وهي تتوهم أن تلك السرية أصبحت بين فكي كماشة**، فعاجلتها صواريخ السرية الأولى بقيادة الملازم الأول محمد، فدمرت ست دبابات معادية. ووسط هذا الوابل من نيران الصواريخ، تم فك الحصار عن السرية الثانية، وعن سرية الهاون، واندحرت الدبابات المعادية وقد خلفت وراءها حطاماً كثيراً متناثراً على أرضنا.

**هدأ المقاتلون وأحنوا رؤوسهم فترة إجلالاً لأرواح رفاقهم الشهداء** لقد ردوا العدو على أعقابه، وفوتوا عليه فرصة تحقيق حلمه في الوصول إلى غباغب للسيطرة على محور دمشق - شيخ مسكين - درعا. أما الرقيب الشهيد **عبيهل الأحمد** قائد الفصيلة الأولى من السرية الثانية، والشهيد **صالح بعريني** الذي دمر سبع دبابات معادية ظل على مقعد الرمي في الناقلة حتى

استشهد، والشهيد **حسين الزين** الذي دمر أربع دبابات للعدو يسانده الشهيد سائق الناقلة **فاروق أبو خليل**، فقد دفعوا دماءهم وأرواحهم ثمناً لهذا التراب. اتحدوا به حتى صاروا وإياه كلاً واحداً لا يفرقه الموت.

وجاء وقف إطلاق النار كغطاء محكم فوق قدر يغلي ماؤه.

**الجبهة يسودها الهدوء** بعد توقف إطلاق النار، والكتيبة ما تزال مكانها.

## معارك القطاع الشمالي من الجبهة

**تلقى اللواء المدرع ٦٥ مهمة ملاقاة العدو في الساعة ١٤,٣٠ من يوم ١٠/١١ (أكتوبر) ١٩٧٣م المتقدم على محور**: جباتا الخشب - طرنجة - بيت جن. وقد أسندت هذه المهمة شفهياً بواسطة اللاسلكي لضرورة السرعة.

**كان العدو قد بدأ بخرق خط وقف إطلاق النار بعد ظهيرة ذلك اليوم وبعد تركيز جوي ومدفعي كثيفين** بقوى مجموعة قتالية مؤلفة من لوائي دبابات ولواء مشاة ميكانيكي. وعندما تلقى **اللواء المدرع ٦٥** مهمته القتالية كانت طلائع قوات العدو قد وصلت إلى طرنجة.

**أعطى قائد اللواء المقدم الركن علي زيود أوامره إلى قائد الكتيبة ٣٦٣ دبابات مع وسائط تعزيزها ليشكل** كتيبة المقدمة في اللواء ويتحرك على الفور لتنفيذ المهمة الملقاة على عاتقه. وعلى الرغم من وعورة الطريق وإشغاله بالقوات الصديقة المنسحبة عليه، فقد تقدمت الكتيبة بجرأة واصطدمت بوحدات العدو المتقدمة في مزرعة بيت جن. كما تحرك في الوقت نفسه مقر رصد قائد اللواء إلى جنوب غربي كفر حور وبدأ يقود معركة كتيبة الطليعة. في حين تحركت سائر وحدات اللواء إلى القطيع الدفاعي متأهبة لدعم أعمال الطليعة وتغذية قواتها.. وقد تعرض مقر رصد قائد اللواء وكذلك وحدات

اللواء المتقدمة إلى ضربات كثيفة بالطيران وأصيبت عربة قائد اللواء وجرح سائقها كما دمر القصف الجوي أربعاً من دباباتنا.

**جرت معركة الطليعة في مزرعة بيت جن وقدم كل عنصر من عناصرها مثلاً حياً في التضحية والجرأة**، والاستبسال والصمود. وقد قام قائد اللواء بدعم كتيبة الطليعة وتعزيزها طوال فترة المعركة التصادمية التي استمرت زهاء ثلاثين ساعة متواصلة، حتى أنه أشرك معظم وحدات اللواء في معركة الطليعة.

**حاول العدو في أثناء المعركة تطويق قواتنا من اتجاه حرفا - مغر المير، فأعطيت الأوامر إلى سرية دبابات من الكتيبة ٣٦٥**، بالتحرك باتجاه مغر المير. تمكنت هذه السرية من صد دبابات العدو وتدمير سبع دبابات له، فاقدة أربع دبابات مقابل ذلك. وهكذا تم تأمين حماية المجنبة اليسرى للقطيع الدفاعي. وبعد أن تم إيقاف العدو وكسر شوكة هجومه من جراء الخسارة الكبيرة التي تكبدها في الأرواح والعتاد، اضطر للانتقال إلى الدفاع والتشبث بالخط الذي وصل إليه، مزرعة بيت جن - تل الشمس. كانت معركة الطليعة من أعنف المعارك التصادمية التي خاضتها دباباتنا ودبابات العدو. وقد كان للاستبسال والشجاعة والمقاومة العنيدة والتضحية دور كبير في شل إرادة العدو المتقدم ومنعه من تحقيق أهدافه وإرغامه على التوقف.

- أحد الضباط غير دباباته ثلاث مرات واستشهد في الثالثة.

- **أطقم الدبابات** أعادت تذخير الدبابات ثلاث مرات خلال المعركة وعلى الرغم من القصف الجوي والمدفعي. وقد استشهد عدد من الرجال في سبيل هذه المهمة.

- **أحد العناصر بقي** وحيداً في دبابته بعد أن استشهد كل رفاقه، واستمر يرمي في الدبابة إلى نهاية اليوم الثاني من المعركة.

- **سرية الدبابات** كانت تُدمر بكاملها ولا يبقى فيها سوى دبابة أو دبابتين، ومع ذلك تتابع القتال صامدة في مكانها ولا ترجع خطوة واحدة إلى الوراء، ويستمر صمودها إلى أن يأتيها التعزيز والدعم.

**سرية تُدمَر بكاملها أيضاً،** ومع ذلك فإن قائد الكتيبة يُعطي أوامره للسرية الثانية لكي تحل محلها، وكان قائد السرية يتقدم بكل رباطة جأش، عالماً أن الذين ذهبوا قبله لم يعودوا.. لكنه يقوم بالمهمة ولا يسأل عن النتيجة «لقد كان الوطن أغلى من كل شيء» وكانت هتافات رجال الدبابات مسموعة على اللاسلكي (لعيون الوطن)... وقد اعترف العدو الإسرائيلي بضراوة معركة الدبابات التي جرت في مزرعة بيت جن في إحدى النشرات التي وزعها على عناصره عشية اليوم الثاني من المعركة، تقول النشرة: «إن العمليات الحربية التي نديرها مع السوريين في المزرعة قاسية ومرة.. لا فراغ لدينا لنأكل.. رجال المدرعات يغوطون في العلب الفارغة المخصصة للأكل.. الدبابات تقاتل على مسافة التناطح... دبابة تنطح دبابة».

**كانت خسائر العدو في** هذه المعركة ٣١ دبابة ومجنزرة وكانت خسائرنا ٢٦ دبابة، وناقلة مدرعة واحدة، وعربة صحية واحدة.

**تم تنظيم إغارة مشتركة في يوم ١٠/١٤، (أكتوبر) ١٩٧٣م،** قوامها الدبابات من اللواء ٦٥، والمشاة المغاوير من سرايا الدفاع.

**وفي اليوم نفسه، وبينما كانت المعركة قد بلغت ذروة ضراوتها على محور حَضَرْ - مزرعة بيت جن،** وقواتنا تقوم بصد العدو وتدميره بكل بسالة، كانت قواتنا تقاتل العدو أيضاً على محور القنيطرة - سعسع. وهو محور تعرف القيادة العامة شأنه وخطره، لذلك أمرت قائد اللواء ٦٥ أن يقوم بتعزيزه بسريتي دبابات وتم تنفيذ هذا الإجراء على الفور وتقدمت دباباتنا بسرعة فائقة وضربت العدو من جنبه اليساري ودمرت له أربع دبابات ومجنزرتين وأرغمته على التراجع إلى خلف تل شمس.

**جرى تشكيل مجموعة إغارة مؤلفة من السرية الثانية المعززة بفصيلة مشاة في بيتيما، في ١٠/١٥ (أكتوبر) ١٩٧٣م**، وسرية مغاوير من الوحدات الخاصة مع ضابط الارتباط المقدم **عبد الله شاكر** وبعد تنسيق ليلي مع سرية من القوات الخاصة بقيادة الرائد **سليمان عيسى**، كانت المهمة تقضي بأن تقوم القوات الخاصة من اتجاه دربل ومن اتجاه حينة بمفاجأة العدو وتدمير كمائنه ودباباته وتمشيط المزرعة من جميع القوات المعادية تحت حماية نيران الدبابات والمدفعية، بعد ذلك تُعطى إشارة إلى الدبابات التي احتلت خطاً على الحد الشمالي الشرقي، للمزرعة، بالتقدم واحتلال جنوب غربي المزرعة، ثم تتقدم قوات أخرى من الدبابات لتعزيز الاحتلال، وقد قام قائد اللواء بوضع سرية دبابات بقيادة قائد الكتيبة /٣٥٤/ خلف السرية المهاجمة، مهمتها دعم الأعمال القتالية لقوات الإغارة وتعزيز القوات المهاجمة. وكلف قائد الكتيبة - ٣٥٤ - بقيادة القوات عند اشتراك السريتين معاً. قام قائد اللواء بتنظيم كمين مؤلف من فصيلة دبابات جنوب كفر حور وكمين آخر من فصيلة دبابات أخرى من الكتيبة - ٣٦٥ - عند مغر المير، حاسباً حساب احتمال أي خرق معاد للقوات الأمامية، سواء على محور بيتيما أو على محور بيت سابر.

**بدأت العملية على أساس وجود أربع دبابات معادية معززة فقط في المزرعة وكانت ساعة البدء - ٣,٣٠** وفعلاً بدأ الهجوم **الساعة - ٤,٣٠ -** ولكن الدبابات المعادية لم تكن أربعاً كما جاء في التعليمات المعطاة، واتضح وجود - ١٧ - دبابة مع الصواريخ م/ د وغيرها، ولم يمض نصف ساعة على بدء عملية الإغارة حتى طلبت هذه القوات النجدة حيث تركها العدو تدخل القرية بدون أن تشاهد شيئاً يذكر، لأن العدو انسحب ليلاً من أماكنه التي قامت القوات الصديقة باستطلاعها نهاراً. وعندما دخلت القوات الخاصة، طوقها العدو مما اضطرها لطلب النجدة، عند ذلك أمر قائد اللواء ٦٥ المدفعية بالرمي فوراً على الأطراف. وتقدمت الدبابات لدعم العناصر

المطوقة، وبعد مضي وقت قليل، أمكن نجدة معظم القوات المغيرة ولم يبق من عناصر القوات الخاصة إلا القسم المحاصر وهو قليل جداً وبقيت الدبابات تقاتل لوحدها، فعززها قائد اللواء بفصيلة دبابات من اتجاه مغر المير، واستطاعت قواتنا الصمود لاتباعها المناورة والحركة ولاستفادتها من درس المعركة الأولى. وقد تقدمت المجموعة والتفت من اليسار. ولولا فقد عنصر المشاة لأمكن استرجاع المزرعة لأن خسائرنا بالدبابات كانت كبيرة بسبب الكمائن المعادية من أسلحة م/د الصاروخية، سواء المحمولة منها على العربات أو الفردية.

**في أثناء المعركة، حاول العدو أن يطوق الكتيبة** - ٣٥٤ - من اليسار من اتجاه حرفا، فكلف قائد اللواء فصيلة دبابات من الكتيبة - ٣٦٥ - بالتقدم من اتجاه مغر المير وصد الهجوم المعادي بضربة من الجنب اليميني حيث دُمرت له دبابة، واستمر القتال العنيف هذا اليوم حتى المساء وحتى آخر دبابة. لقد دمر معظم دبابات الكتيبة ٣٥٤ ولم يبق سوى قائد الكتيبة بدبابته مع أربع دبابات من الكتيبة ٣٦٥ احتلت الخط المحدد وتمسكت به حتى وقف إطلاق النار.

**وكانت نتيجة المعركة كما يلي:**

**خسائر العدو:** ٤٣ دبابة بالإضافة إلى عدد من العربات المجنزرة دُمرت بنيران المدفعية والطيران، وعدد كبير من القتلى والجرحى.

**أما خسائرنا** فكانت تدمير ٢٥ دبابة وعُطب ثلاث واستشهاد أو جرح معظم أطقم الدبابات الصديقة المدمرة[١].

**وفي الأيام التي تلت هذه المعركة كان الموقف عبارة عن دفاع هادئ يتخلله محاولات تقدم لقوات العدو على اتجاه المزرعة وعلى اتجاه:** حرفا - مغر المير وكانت تصد بالدبابات والمدفعية، وكانت خسائر العدو في هذه

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٧٥.

الفترة أكثر من خسائرنا بكثير، وقد تخلل هذه الفترة، في كل يوم، تنظيم إغارات على العدو أعطت ثمارها، إذ استولت عناصر الإغارة على ثلاثة قواذف صاروخية أُرسلت للقيادة ورافق هذه الفترة رمايات متواصلة من المدفعية على محاور التقدم من إتجاه: حرفا المزرعة. أو من اتجاه: الطرنجة - المزرعة. أو على أي تجمع معاد يكتشف بواسطة الرصد.

**ومما يجدر ذكره** أن الرصد الدقيق الذي قامت به قواتنا كان تأثيره كبيراً في تدمير دبابات العدو ومشاته وزعزعة قواه المعنوية وإنزال خسائر كبيرة فيه.

**لقد قاتل اللواء المدرع ٦٥ في يومه الأول والثاني في ١١ و ١٩٧٣/١٠/١٢م وحتى ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/١٣م** وهو يخوض معارك تصادمية على اتجاه: بيتيما - مزرعة بيت جن وعلى اتجاه: مغر المير - حرفا، قتالاً بطولياً أجبر العدو على التوقف وقطع أمله باحتلال بيتيما - عين البرج وقطع طريق عيسم الفوقا - وموقع جبل الشيخ وفرض الحصار على القوات الموجودة هناك، وبالتالي تهديد قطنا - سعسع. وكان للسيطرة الكاملة التي تمكن منها قائد اللواء وقيادته المباشرة، من مقر رصده المتقدم في كفر حور، تأثير كبير في شجاعة المقاتلين واستبسالهم.

**ولم ينتقل اللواء للدفاع** إلاّ في اليوم الثالث من المعركة وبعد أن أوقف هجوم العدو بمعارك تصادمية اشترك فيها أكثر من ثلثي قوات اللواء.

**قام هذا اللواء أيضاً** بتخصيص جزء من قواته لصد العدو المتقدم على اتجاه سعسع، واستطاع دحره وتحويله عن هذا الاتجاه على الرغم من أن العدو أعلن في إذاعته عن سقوط سعسع بيد قواته، واستطاعت قواتنا دحره إلى مكان أقل خطورة.

**إضافة إلى كل ما ذكر،** قام هذا اللواء بأعمال نجدة الدبابات والعتاد المدرع وإخلائها تحت تأثير نيران العدو وإعادته إلى المعركة بسرعة متعاوناً

في ذلك مع سرايا الإخلاء والنجدة في الجيش التي قامت بدور بارز في هذا المجال.

## معركة مزرعة بيت جن وقرية بيت جن

## ١٣ - ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣م

**في تاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٧٣م كُلفت الوحدة ٥٦٩ بالقيام بإغارتين، إحداهما على مزرعة بيت جن، والأخرى على قرية بيت جن.** وقد خُصصت لتنفيذ هاتين الإغارتين مجموعتان من مقاتلي الوحدة ٥٦٩، انطلقتا في **الساعة ١,٣٠ من يوم ١٤ تشرين الأول** لتنفيذ المهام المسندة إليهما، بقيادة النقيب **فيصل ديب.**

**قُسمت مجموعة الإغارة على مزرعة بيت جن إلى زمرة حماية وزمرة اقتحام.** وفي **الساعة ٢,١٥ من يوم ١٤ تشرين الأول،** تحركت عناصر الإغارة بقيادة **الملازم عادل حمامة** على يمين محور المزرعة ويساره. وتمكنت من التقرب إلى تخوم المزرعة اليمينية. كانت المفاجأة التي قام بها المغيرون صاعقة. فالتقرب تم بمهارة وثقة وهدوء، لم يشعر العدو إلا والمغيرون ينقضون على دباباته في الحفر، ويهاجمونها بالأسلحة والقنابل المضادة للدبابات، وفجأة فتح العدو نيران رشاشاته بغزارة من المزرعة والمخفر وأضاء المنطقة بالشهب المضيئة.

**كان لدعم الدبابات الصديقة بالنيران أهمية عظيمة في سير عملية الإغارة، فقد ساعد المغيرين** على متابعة التقدم ضمن مزرعة بيت جن، حيث كانت تكمن دبابة إسرائيلية قرب المدرسة على الطريق العام. قام بعض المغيرين بتدمير الدبابة التي اشتعلت وتحولت بسرعة إلى كتلة من النيران والدخان. كما دمّر المغيرون دبابة معادية أخرى كانت تكمن في جنوب القرية. **وفي هذه الأثناء فتح العدو نيرانه المؤثرة على مجموعة الإغارة من**

**جميع الجهات**، الأمر الذي أعاق تقدمها واضطر قائد المجموعة إلى أن يجمع عناصره المتبقية، ويوزعها على محور حرفا، ويبدأ الرمي على المخفر ويدفع بجزء من قواته إلى يسار القرية، حيث استطاع التسلل عبر المنازل. وعلى الرغم من غزارة نيران العدو تمكن هذا الجزء من تدمير آلية ورشاش عيار ١٢,٧مم للعدو. وما هي إلاّ دقائق حتى بدأت مدفعيتنا بقصف القرية. وعبرت السماء فوق رؤوس المغيرين مجموعة من طائراتنا، محلقة في ثقة وهدوء، ثم أخذت تنقض الواحدة تلو الأخرى فوق العدو المتحشد في المنطقة اليسارية من القرية. وبعد قرابة ساعة، قام الطيران المعادي بقصف القرية ذاتها، وقد استشهد في أثناء القصف قائد الزمرة الثانية الملازم **محمد أحمد إسماعيل**.

**وفي الساعة ١٢,٠٠ من يوم ١٤ تشرين الأول، قامت مجموعة من دبابات ومجنزرات العدو بمحاولة تطويق قوة الإغارة في القرية.** أمر قائد القوة بالامتناع عن فتح النيران، والسماح للعدو بالتقدم حتى مسافة قريبة جداً. ونفذ المقاتلون هذا الأمر. فسمحوا للعدو بالتقدم نحوهم مسافة قريبة، وفجأة أمطروه بنيرانهم. ولكن دبابات العدو المهاجمة حاولت على الرغم من ذلك اختراق ستارة النيران والتقدم إلى الأمام. وحاول الإسرائيليون الالتفاف حول قواتنا وتطويقها، لكن المغيرين قاموا بمناورة سريعة ووجهوا إليهم ضربة عنيفة، ثم انتقلوا للدفاع عن المنطقة قرب جسر حرفا.

**وكانت خسائر العدو في هذه الإغارة تدمير خمس دبابات وعربتين مجنزرتين ودُمر لنا ست دبابات. واستشهد قائد المجموعة النقيب البطل فيصل ديب من الوحدة ٥٦٩.**

**أما مجموعة الإغارة الثانية**، فقد انطلقت في **الساعة ٢٤,٠٠ من يوم ١٣ تشرين الأول** بقيادة الملازم **علي سليمان** باتجاه أهدافها. وفي **الساعة ٤,٠٠ من يوم ١٤ تشرين الأول** وصلت قرية بيت جن. وكان العدو قد غادرها، قبل ثلاث ساعات من دخول مجموعة الإغارة. نظمت قواتنا دفاعاً

دائرياً عن القرية. وقد أفاد المدنيون أن دبابات ومجنزرات العدو لم تتمكن من متابعة التقدم باتجاه مزرعة بيت جن، بسبب تفجير الملغمة على المحور المؤدي إليها. قام العدو عندئذ بشق طريق ضمن قرية بيت جن، واحتلها. واستدعى من بقي من سكان القرية ومعظمهم من الشيوخ والعجزة بواسطة مكبرات الصوت، وجمع الأسلحة من المواطنين وأحرقها. وعندما حاول بعض المدنيين التملص والهرب، أطلق العدو النار عليهم وقتل بعضهم. بعد ذلك انسحب باتجاه قرية حضر.

**دمرت عناصر الإغارة دبابة معادية في الساعة ٩,٣٠ من يوم ١٤ تشرين الأول** كانت تقوم بدورية على طريق مزرعة بيت جن. وفي **الساعة ١٢,٠٠ من يوم ١٧ تشرين الأول** تقدمت فصيلة معادية، تدعمها الدبابات والمجنزرات بقوام ١٢ آلية متنوعة. توقفت هذه الآليات جنوب القرية، وأخذت تحمي بنيرانها فصيلة المشاة التي راحت تهاجم القرية. اشتبكت قوة الإغارة بالعدو المهاجم. وحمي وطيس المعركة بين قواتنا وقوات العدو. حارب المغيرون ببسالة رائعة وتفان مدهش. وكانوا يوجهون الضربات إلى العدو، ويلحقون به الخسائر في الأرواح والمعدات.

**كانت المعركة في ذروة اشتعالها**، وتناثرت هنا وهناك بعض الدبابات المدمرة والمحترقة... تمكنت مجموعة الإغارة من قتل قائد الفصيلة الإسرائيلية، تابع العدو هجومه، ودخل قرية بيت جن، واستطاع قسم من عناصره الالتجاء إلى مسجد القرية.

**تميزت المعركة** بقدر كبير من العنف والضراوة. ونشبت الالتحامات المباشرة بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية بين المقاتلين السوريين والمعتدين الإسرائيليين.

**غطت سماء القرية غشاوة من الدخان والغبار.** وتساقطت بعض العناصر متأثرة بالشظايا المتناثرة. وأُصيب في هذه المعركة المتلاحمة الملازم حكمت كريدي ومقاتلون آخرون.

**زج العدو في المعركة بقوى جديدة**، فانسحبت مجموعة الإغارة من قرية بيت جن مدمرة في طريقها دبابة معادية.

## كفاح الاحتياط المضاد للدبابات رقم ١

**لقد قاتل الاحتياط م/ د رقم ١ للجيش خمسة أيام بلياليها كان فيها مثالاً للصمود.**

**احتل هذا الاحتياط تسعة خطوط قتالية تعرض** فيها جميعاً لقصف المدفعية والصواريخ أرض/ أرض، وأحياناً لقصف الطيران. وكثيراً ما استمر القصف المدفعي ليلاً ونهاراً، ولاسيما في خط أوفانا وتل الشمس. كذلك قام بتنفيذ المناورة إحدى عشرة مرة، فكان، في مناورته وفي مقارعته العدو، مثال الانضباط والجرأة والتضحية والحزم.

**ففي خط أوفانا احتل الاحتياط م/ د** رقم ١ للجيش الخط تحت قصف المدفعية والصواريخ أرض/ أرض. وظل خلال ثلاثة أيام هدفاً لرمي الصواريخ والمدفعية والدبابات والطيران. حتى أن قائد الاحتياط ونائبه ومعهما ضابط آخر وصف ضابط، تعرضوا جميعاً لقصف جوي من طائرتي سكاي هوك وعلى ارتفاع ١٠٠ م فقط. واعتبرت تلك اللحظة عيد ميلاد لهم جميعاً، إذ لم يصب سوى قائد الاحتياط رقم ١ بتمزق غشاء الأذن اليسرى ونزف دموي يسير، فاستبشر الجميع خيراً.

**احتل الاحتياط م/ د رقم ١ الخط** دون وجود حفرة واحدة يستفيد منها، ولكن عوامل عدة، كحسن استثمار الأرض والانضباط الحازم والتمويه وسرعة الاحتلال بالتوجيه اللاسلكي الذي قام به قائد الاحتياط، حتى مستوى الجماعات - وكذلك ثبات العناصر في الأرض وبقائهم لفترة طويلة بدون حركة وسيطرة القادة على مختلف المستويات، فوتت على العدو فرصة النيل منه بأي سلاح كان.

**لقد اشتبك الاحتياط م/ د رقم ١ بالعدو خلال يومين** متتاليين ثلاث مرات، دُمر للعدو فيها ثماني دبابات من نوع سنتوريون، ولم يدمر لنا فيها سوى عربتين أصابتهما نيران المدفعية غير المباشرة.

**وقف الاحتياط م/ د رقم ١ للجيش، بكامله في وجه العدو صامداً جلدا تحت قصف مدفعيته،** متشبثاً بالأرض بعزم وثبات ولمدة ثلاثة أيام بلياليها، مترقباً ظهور أية دبابة معادية. لم يمض الاحتياط يوماً بترتيب قتاله الذي سبق. وإنما كان في كل يوم تطوير جديد في ترتيب قتاله ومهمات جديدة أخرى.. وذلك على ضوء الموقف الراهن ومما يستشف حصوله في المستقبل القريب.

**في صبيحة اليوم الرابع لحرب تشرين التحريرية صدر الأمر للاحتياط م/ د رقم ١ بإخلاء الخط إلى العمق انتظاراً** لتنفيذ مهمة أخرى. أُعطيت الأوامر مرمزة وأخذت الوحدات بإخلاء الخط تحت مراقبة القائد وسيطرته التامة بواسطة اللاسلكي وكان آخر من يخلي الخط هو قائد الاحتياط ضماناً لإخلاء جميع الوحدات ورفعاً لمعنويات عناصر الاحتياط م/د.

**أما في تل الشمس** فقد كان للاحتياط م/ د رقم ١ دور رئيسي أثناء المعركة بكاملها كحامي الظعينة الذي حمى قومه والظعينة حياً وميتاً.

**ففي الحادي عشر من شهر تشرين الأول في الساعة الخامسة عشر كان الاحتياط م/ د قد احتل خط تل الشمس بناء** على أمر القيادة العامة. مضى الليل بدون أي حادثة تذكر. واستيقظ الجميع في الخامسة صباحاً وأخذت مناظير العربات ونظاراتها تمسح أرض المعركة عمقاً واتجاهاً. وفي الساعة السادسة والنصف حررت الصواريخ من على السكك وانطلقت ثلاثة منها بكل ثقة حتى وصلت أهدافها، فأحالتها طعماً للنار. تقدمت عندئذ سرية دبابات معادية من طراز سنتوريون على المحور حلس (الكمب) - تقاطع محور حلس مع محور دورين - الويسه وخلفها على المدى البعيد ما يقارب ثلاثين دبابة.

**وفي آن وصلت أربع طائرات ميغ ١٧ وامتلأت** منطقة الأهداف غباراً ودخاناً دون تمكن الاحتياط م/ د من تمييز الدبابات للرمي عليها، فأوقف الرمي.

**لم تعد تقترب دبابات العدو من خط نار الاحتياط م/ د.** وتابع الجميع، ضباطاً وصف ضباطاً وأفراداً، مراقبة أرض المعركة وإعلام القائد على الفور[1].

**استمر القصف المدفعي المعادي من الصباح حتى المساء بدون انقطاع.** وقام طيران العدو بقصف ترتيب قتالنا وعلى فترات قصيرة بدون جدوى. ثم عادت دبابات العدو للهجوم بعد فترة قصيرة سبقها قصف شديد بالمدفعية وتقدم عدد من الدبابات يقارب الثلاثين. وعلى المدى البعيد كانت تبدو دبابات معادية وهي تتقدم على المحور أيوبه - الويسه - والمحور خان أرنبه الويسه. وكذلك حرفا - حلس. عند ذلك رأى قائد الاحتياط م/ د **المقدم علي هرمز** من المناسب أن يذكر رفاق السلاح حماة الوطن أنهم جميعاً جنباً إلى جنب قادة ومرؤوسين. وقد حان وقت الحصاد ونحن أمام الواجب، أمام تأدية الأمانة. وقال لهم بالحرف الواحد: «رفاق، هنا تل الشمس - هنا ساحة الشرف - لنا النصر أو الشهادة.. نار».

**لقد سبق لقائد الاحتياط م/ د أن قال لعناصره في أحد الدروس العملية والتدريب على تنفيذ النار وقيادتها،** قبل الهجوم المعادي بيوم واحد: «إننا نعلّمكم هنا كيف تقتلون العدو، إني لن آخذكم للمعركة من أجل أن تستشهدوا فقط بل من أجل أن تقتلوا العدو أيضاً.. لتدفعوا خطره عن الوطن وتعيشوا مع أسركم وأولادكم بأمن وسعادة».

**وبعد فترة قصيرة لم تبلغ الساعة الواحدة، عاد العدو يختبئ في الأحراش وخلف الصخور البعيدة في الوهيدات مخلّفاً وراءه خمس عشرة**

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس ، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق ، ص٧٨٣.

**دبابة تحترق**. لقد أخطأت بعض الصواريخ أهدافها ولكن القسم الأعظم منها وصل إلى أهدافه بكل تأكيد وأصيبت أكثر من دبابة بأكثر من صاروخ - مما زاد من نقمة العدو فأخذت مدفعيته تصب نيرانها على تراتيب قتال الاحتياط م/ د رقم (١) بشدة وضراوة.

**عاد العدو للمرة الثالثة ولكن هذه المرة تقدم في المواجهة وبالالتفاف من اليمين**. لم يكن حظه في المواجهة بأفضل مما سبق إلاّ بفارق الأهداف المعادية المدمرة وهي ثلاث عشرة دبابة معادية من نوع سنتوريون، وصهريج وقود ومقتل عدد من عناصر العدو كانت تقف إلى جانب الصهريج.

**ولكن الدبابات التي قامت بالالتفاف كانت بحدود ثلاث عشرة دبابة كلها من نوع سنتوريون**، فأمر قائد الاحتياط المجموعة رقم ثلاثة بتغطية هذا الجانب فلم يُجدِ ذلك، فأمر المجموعة رقم خمسة بتغطية الجانب الأيمن ولكن هذه العملية لم تُجْدِ أيضاً. فأمر قائد الاحتياط المجموعة رقم واحد بالتحرك وكذلك الملازم محمود من المجموعة رقم أربعة بالتحرك مع قاذفين لتنفيذ المهمة ونُفذت المناورة ودُمر للعدو ست دبابات بسبعة صواريخ فقط وفي أقل من دقيقتين. أما الدبابات الباقية فقد استطاعت اجتياح مؤخرة الخط من اليمين مجبرة الاحتياط م/ د على الإخلاء. ولكن هذه السرية التي دُمر نصفها لم تجرؤ على التوقف في منطقة الخط أو احتلاله بل تابعت باتجاه الغرب مخلية الخط لأن الذين اخلوا الخط من الصديق لا يتجاوزون العشرين عنصراً كما كان ظاهراً.

قام الاحتياط م/ د باحتلال الخط مرة أخرى في الساعة ٥,٣٠ من صباح اليوم التالي.

**استمر قصف مدفعية العدو على الخط طوال النهار**. ولكن لم تتقدم فيه سوى دبابة واحدة تُركت حتى وصلت على مسافة ٨٠٠م من عربات

القواذف. ولما يئس قائد الاحتياط من مجيء أو تقدم أية دبابة أخرى سمح للرقيب الأول ساروت برمي صاروخ واحد عليها، ولم تمضِ سوى ٨ إلى ١٠ ثوان حتى استقر الصاروخ في بطنها وأحالها ناراً ودخاناً.

**لقد نشبت معركة تل الشمس بعد وعد عجز عن تنفيذه موشي دايان بجيشه الذي لا يقهر كما تدعي العنجهية الصهيونية.** وكما زيفت الدعاية الصهيونية الإمبريالية وضللت. وعد هذا الرجل المغرور العالم بأنه خلال ساعات سيكون مع جيشه في دمشق. ألم يقرأ التاريخ ليعلم أن لعلي وخالد وطارق أحفاداً عاهدوا أمتهم على التضحية والوفاء.

**لقد قاتل هذا الاحتياط رقم ١ كتلة واحدة، قلباً وروحاً، قادة ومرؤوسين.**

لقد صبروا لأيام طويلة صبر الحديد على النار ودفع العدو الثمن. وهذه بعض الصور عن تماسك أفراد هذا الاحتياط وبطولاتهم.

**قائد جماعة الشهيد الملازم دلول:**

**كان مثال الرجل، مثال المقاتل الشجاع.** لقد دخل المعركة رقيباً أول، قائد جماعة. ولما دُمرت عربته الأولى واستشهد سائقه إلى جانبه، تسلم عربة أخرى لم تلبث أن دُمرت أيضاً مع إصابة سائقها إصابات بالغة دخل بعدها المستشفى وما تزال الشظايا تملأ جبينه، وتسلم العربة الثالثة. وهكذا كان فرسان أمتنا العربية، من صهوة جواد كبا إلى صهوة جواد أخرى حتى بلوغ النصر أو الشهادة... أجل.. لقد استشهد هذا البطل وأعطى كل ما يمكن أن يقدمه لوطنه.. لأمته... لأسرته.. لأطفاله.. بعد أن دمر للعدو أربع دبابات في معركة **يوم ١٢/١٠/١٩٧٣م.**

**قائد جماعة الملازم عبد الرحيم الخطيب:**

**لقد كان هذا المقاتل الشجاع مثال البطولة.** قاتل وحيداً في عربته وهو يعمل سائقاً ورامياً في آن واحد واستطاع أن يُدمر ثلاث عشرة دبابة، ثلاث

منها في أوفانا وعشر منها في تل الشمس في ١٩٧٣/١٠/١٢م في معركة واحدة. وتقديراً لهذه المأثرة، **منحته القيادة وسام بطل الجمهورية ورقي إلى رتبة ملازم.**

**وهذه صورة أخرى لبطولات الاحتياط م/ د رقم ١ كما يرويها المقاتل رشاد بزاخ بقلمه:**

«لقد هيأنا أنفسنا لخوض المعركة وكنا مطمئنين إلى الانتصار فيها، لما كنا نلمسه ونراه من الاستعدادات العسكرية في قواتنا سواء منها القوات البرية أو وسائط الدفاع الجوي التي كنا نشاهدها عن كثب. وكانت تغمرني رغبة صادقة في أن أكون طليعة المقاتلين الذين سيعبرون الخندق الأول المعادي. وكنت أشتاق كثيراً إلى رؤية قرانا الحبيبة علينا من مرتفعات الجولان.. تل البريقة، بير عجم، القنيطرة، والمنصورة، لأنني كنت قد أمضيت فترات جميلة من أيام شبابي فيها. ما كنت أصدق أن تنشب المعركة مرة أخرى لنسترد تلك الربوع الحبيبة.

**وعندما بدأ التمهيد المدفعي، كانت الأوامر أن يكون كل قائد جماعة قريباً** من عربته مستعداً للتحرك خلف قائد السرية. وعندما رأيت عربة زميلي الرقيب أول **مصطفى صويص** التي عُينت عربة استطلاع للسرية تتحرك، أسرعت لمساعدته في نزع شبكة التمويه اختصاراً للزمن حتى ثوانٍ معدودة، لأنني كنت مستاءً من بقائنا في منطقة التمركز بعد بداية التمهيد، وكنت لا أتصور أن لا يكون لنا دور في المعركة إذا نجحت القوات الصديقة في تحرير الأرض. وتخيلت نفسي وأنا أستمع إلى قصص البطولات من رفاقي المقاتلين الذين نالوا شرف تحرير الأرض ووفروا علينا عناء الاشتباك بالعدو. ولكن تطورات المعركة أتاحت لي أن أُكلف بمهمة المناورة بأمر من قيادة الاحتياط م/د رقم ١ التي كلفت الملازم محمود عبد الحميد بتنفيذها بعربتين. وكانت العربتان لي ولزميلي الرقيب الأول مصطفى صويص. كان

هدف المناورة تدمير ست دبابات معادية تسلقت إلى تل الشمس لتأسر قيادة الاحتياط أو تدمرها، وقد قطعت هذه الدبابات الطريق العام - سعسع - دورين من الجهة الشمالية الغربية. وكنا نحن في الجهة الجنوبية من تل الشمس، وكانت المناورة تتطلب أن نلتف حول التل من اليسار ونقطع مسافة تقارب **ستة كيلو مترات**، حتى أصبحنا خلف الدبابات المعادية بدون أن ترانا، وقد وصلت عربتي إلى مسافة أقل من خمسماية متر منها وهي المسافة التي لا تمكنني من قيادة الصاروخ. عند ذلك تدخل الملازم محمد عبد الحميد وأعطاني أمراً بالرجوع إلى الخلف مسافة ٢٠٠ متر. وبعد وقوفي على يمين الطريق بـــ **١٠٠ متر**. أخذت أراقب بالمنظار مبتدئاً من الجهة اليمنى فلم أرَ شيئاً، فتابعت المراقبة باتجاه اليسار فوجدت دبابة لا تبعد سوى ٩٠٠ متر عني أخذت أدقق النظر فيها وأنا أتذكر صور الدبابات المعادية التي كنت أراها في ندوة الجنود.

**عرفت أنها دبابة معادية من نوع سنتوريون وكانت الدبابات الباقية وراءها على مسافات غير بعيدة وكلها تصعد إلى التل.** وكانت الدبابة السادسة آخر دبابة عبرت الطريق العام. وبعد هذه الجولة أعدت المنظار إلى الدبابة الأولى ورميتها بصاروخ، ومنذ أن انفجر الصاروخ في الدبابة انطلق الصاروخ الثاني إلى الدبابة الثانية وكنت أريد أن يسرع الصاروخ أو أن يذهب بنفسه للهدف (بدون قيادة وتوجيه)، لأنني كنت أضعه على المسار الصحيح، كي أطلق الصاروخ التالي على هدف جديد. ولكن بعد إصابة الدبابة الثالثة بالصاورخ الثالث، تهيأ لي أنها تتحرك فصممت على أن أرميها بصاروخ آخر وهكذا كان وانفجرت الدبابة. وكانت الرابعة تناور باتجاه اليسار ولكنها لم تكد تنتهي من مناوراتها حتى أصبتها جبهياً، وحركت المنظار باتجاه الخامسة وكانت تدور حول نفسها بقصد الانسحاب فأطلقت عليها الصاروخ السادس وأصبتها وانفجرت.

**لم يبقَ على السكك طلقات صاروخية. وبقيت دبابة في أرض المعركة، فأمرت السائق أن يلقم صاروخاً على السكة وأخبرته أن يعلمني عن الجاهزية على الفور.** فدخل من النافذة التي تصل مقر القيادة بالقاذف ووضع صاروخاً على إحدى السكك وقال: جاهز. وما أن لفظها حتى ضغط على زر الإطلاق وخرج الصاروخ إلى الهدف والسائق ما يزال في غرفة القاذف. وكنت أفكر وأنا أوجه الصاروخ إلى الهدف: هل أصيب السائق أم لا؟... وكان علي أن أنتظره ريثما يخرج من غرفة القاذف إلى القيادة، كانت الدبابة تنسحب ولم يظهر منها سوى البرج والسبطانة وبعد إصابتها رأيت بعض الجنود ينسحبون منها ويهربون.

**استغرق تدمير الدبابات الست زهاء دقيقتين. وبعد ذلك لقمت العربة بنفسي وخرجت منها أفتش عن الأهداف.** وهنا اندفع الملازم محمود ليعانقني بحرارة. لم أكن أخشى في أثناء الرمي ميل العربة الشديد الذي بلغ قرابة خمس درجات، بينما الميل المسموح به ثلاث درجات كحد أقصى. قلت للملازم محمود أرني دبابات لأدمرها، وكان الملازم محمود قد منع زميلي من الرمي وكلفه حماية الجانب الأيمن من المربض».

**لقد كان لتدمير كل دبابة معادية في أرض المعركة قصة بطولية كاملة ابتداءً من اقتراب الدبابة** من خط النار، إلى اكتشافها من قبل أحد قادة الجماعات أو الضباط، ثم وقوف قيادة الاحتياط على حقيقة الأمر وتبدأ عملية السيطرة الحكيمة على النار، فقد يكون الرامي الذي رأى الهدف مضطرباً لشدة نقمته على العدو. وإن تريثه بناءً على أمر القائد يهدئ أعصابه شيئاً فشيئاً. إنه يريد أن يرمي الهدف على الفور من رؤيته. أما أوامر القائد فهي: «انتظر، لم يدخل خط النار بعد... النار بأمر من القائد.. تابع مراقبة الهدف.. الحد الأقصى في المكان كذا». كل ذلك امتصاص لنقمة الرماة وتهدئة لأعصابهم. حتى إذا ما دخل الهدف إلى خط النار وأخذ الرامي أمراً بفتح النار يكون في ظروف نفسية مواتية لتدمير الهدف، هادئ الأعصاب، واثقاً

من أن الهدف أصبح داخل المدى المجدي للصاروخ. وكان الرماة يستمدون القسم الأكبر من شجاعتهم من سماع صوت قائدهم الذي يرصد مسير الصاروخ ووصوله إلى الهدف.

**لقد ضحى كثيراً هذا الاحتياط م/ د رقم ١ وصمد طويلاً** وأوقع الخسائر بقوى العدو المادية والبشرية، وكان مثال الشجاعة، كتلة واحدة، وجسماً واحداً بروح واحدة، من القائد حتى أدنى المرؤوسين رتبة. إنه تلاحم يثير الفخر والاعتزاز.

**لقد دخلت هذه العناصر المعركة وعانتها عن كثب، عاشتها ثانية فثانية، عجمت عودهم المعركة** وصهرتهم وشدت تلاحمهم أكثر فأكثر. زادت ثقتهم بأنفسهم وبأسلحتهم وبقيادتهم. كانوا مثال الجنود المنضبطين. دافعوا دفاع الأبطال عن وطنهم وعن قضيتهم. هؤلاء هم جنود الاحتياط م/ د رقم ١ للجيش الشجعان.. قاتلوا في حرب تشرين التحريرية بكل شرف وبسالة فاستحقوا بذلك تقدير الوطن ومحبة الشعب، وتكريماً للأعمال المجيدة التي قام بها احتياطاً م/د الجيش رقم ١، منحت القيادة العامة المقدم الركن **علي هرمز** قائد الاحتياط م/ د وسام بطل الجمهورية. كما منحت علم الفوج ٦٥ الذي ينتمي إليه الاحتياط م/ د الوسام نفسه أيضاً.

## سير الأعمال القتالية الجوية
## في مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس:
## يوم (ي٦) ١١ /١٠ / ١٩٧٣م:

**قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بتنفيذ المهام المسندة إليها وتمكنت من صد ضربات العدو بكفاءة عالية**، كما نفذت إنزالات جوية في مزرعة بيت جن وقد حصل اشتباك جوي واحد فقط أسقطنا فيه للعدو ثلاث طائرات كما خسرنا طائرتين.

**ولقد تابع العدو مهمة قصف المطارات الصديقة لتحقيق السيطرة الجوية كما** تابع قصف الأهداف الحيوية (الموانئ، مصفاة البترول، خزانات النفط) ونفذ العدو مهمة دعم قواته التي قامت بخرق دفاعاتنا في القطاع الشمالي من الجبهة.

**بلغ عدد طلعات العدو المكتشفة ٨٧٨ طلعة طائرة**، بينما بلغ عدد طلعات العدو على الجبهة المصرية ٣٥ طلعة طائرة فقط، وبدا واضحاً أن العدو يوجه مجهوده الرئيسي إلى الجبهة السورية. وهذا ما اعترف به رسمياً الجنرال موشيه دايان وزير دفاع العدو بعد وقف إطلاق النار.

**وقد أسقطت وسائط دفاعنا الجوي ٧٦ طائرة، وبذلك يكون عدد الطائرات** المسقطة في اليوم السادس ٧٩ طائرة(١).

**يوم (ي٧) ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**نفذت القوى الجوية والدفاع الجوي المهام المسندة إليها وقامت بصد العديد من غارات العدو الكثيفة على المطارات والقوات والأهداف الحيوية.** إلا أن المفخرة الحقيقية لسلاح الطيران السوري كانت تكمن بتنفيذ طلعات الدعم لقواتنا البرية التي كانت تقاتل في القطاع الشمالي من الجبهة. فلم تترك القوى الجوية قنبلة نابالم في مستودعاتها إلا وألقتها فوق رأس القوات الإسرائيلية، ولأول مرة ذاق الصهاينة في حياتهم طعم النابالم الذي استخدموه في الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة (حزيران ١٩٦٧) وفي حرب تشرين التحريرية (١٩٧٣م). كما أننا لم نبخل عليهم بالقنابل الحارقة الأخرى

---

(١) تمكنت إسرائيل في اليوم السادس للحرب من تجنيد طيارين من اليهود العاملين في سلاح الطيران الأمريكي ومن المرتزقة لتغطية خسارتها الفادحة في الطيارين. كما قامت الولايات المتحدة بتزويدها بالطائرات، لتعويضها عما خسرته في حرب تشرين التحريرية.

بأنواعها وأشكالها المختلفة، كما استخدامنا الصواريخ جو / أرض، المضادة للدبابات والآليات، بالإضافة إلى القنابل شديدة الانفجار الكلاسيكية... حتى أن اللواء ٧٠ جوي استطاع أن يقدم خلال ساعة واحدة ١٠٨ طلعات دعم بلوائه وحده.. أي أن كل طيار من طياريه قام بطلعتين أو ثلاث طلعات دعم في أقل من ساعة. إنها معجزة دونما شك نسجلها بكل اعتزاز لقواتنا الجوية ولأبطال اللواء الجوي ٧٠ ولأسراب البعث في اللواء ٧٠ ولقائد اللواء الفذ الذي ضرب مثلاً رائعاً في الجاهزية القتالية.

**لقد دمر سلاحنا الجوي أرتال العدو المتقدمة باتجاه سعسع، بل أكاد أقول سحقها لكثرة ما ألقى فوقها من القنابل المحرقة والصواريخ** والقنابل الشديدة الانفجار، وهذا ما زاد في رسوخ قوى قواتنا البرية، المعنوية وعزز صمودنا في مواقعها في القطاع الشمالي من الجبهة، ومكنها من تدمير دبابات العدو التي نجت من ضرباتنا الجوية. وقد بلغ عدد الاشتباكات الجوية ثمانية اشتباكات أسقطنا فيها للعدو أربع طائرات كما بلغت خسائرنا في الاشتباكات بالوسائط المضادة المعادية، ١٥ طائرة بالإضافة إلى طائرتين عراقيتين. كما أسقطنا للعدو بالوسائط المضادة ثلاثين طائرة وبذلك تبلغ خسارة العدو في **اليوم السابع للحرب أربعاً وثلاثين طائرة.**

**يوم (ي٨) ١٣ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**تابعت القوى الجوية والدفاع الجوي تنفيذ المهام المسندة إليها وصدت ضربات العدو بنجاح.** كما كان الدعم الجوي للقوى البرية فعالاً وأسهم، بالإضافة إلى نيران المدفعية السورية والوسائط المضادة للدبابات والدبابات، في تسمير العدو الإسرائيلي في مكانه وحالت دون حريته في المناورة والحركة وألحقت به خسائر فادحة.

**وفي هذا النهار**، اشتبكت قواتنا الجوية بطيران العدو مرتين، أسقطنا فيها للعدو **أربع عشرة طائرة** وخسرنا ثماني عشرة طائرة، منها طائرتان عموديتان.

**يوم (ي٩) ١٤ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**قامت القوى الجوية متعاونة والدفاع الجوي بمهمة صد الضربات الجوية الكثيفة المعادية ومهمة تغطية القوات ودعمها**، كما نفذت بعض طلعات الدعم والاستطلاع الجوي واشتبكت مرة واحدة بطيران العدو. وكانت خسائر العدو في هذا اليوم طائرتين وخسارتنا ثلاث طائرات بالإضافة إلى طائرتين عراقيتين أسقطتهما نيران وسائط الدفاع الجوية المعادية.

**وقد ركز العدو جهوده الجوية على مطار المزة متوخياً إخراجه من المعركة وشل فعاليته لأطوال مدة ممكنة** (وذلك لتخفيف ضغط مقاتلاتنا القاذفة على قواته البرية). ولتحقيق هذه الغاية ركز العدو على تدمير المهابط والمنشآت الفنية ومراكز تجمع العاملين في المطار. ولكن شجاعة رجال قاعدة المزة الجوية وصلابتهم، أحبطت مساعي العدو ونواياه الخبيثة، وكان لتضحية الضباط وصف الضباط والجنود والعمال الفنيين أكبر الفضل في إعادة القاعدة إلى العمل من جديد بعد الغارات الجوية في وقت قصير لم يبلغ ساعة واحدة، في أسوأ الحالات.

**كما كان للعمال المدنيين** الذين وضعهم السيد **محمود الأيوبي رئيس مجلس الوزراء** تحت تصرف المجهود الحربي إبان حرب تشرين التحريرية، دور فعال في مساعدة القواعد الجوية على امتصاص نتائج القصف الجوي المعادي وإعادة المطارات الحربية إلى العمل في زمن قياسي يعتبر مفخرة لجيشنا وشعبنا.

## العمليات القتالية البحرية

## في مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس

## من ١٠/١١ ولغاية ١٤/١٠/١٩٧٣م

**المعركة البحرية الثانية:**

**الزمان:** ليلة ١٠ - ١١ تشرين الأول لعام (١٩٧٣م).

**المكان:** على طول الساحل العربي السوري وعمقاً حتى (٣٠) ميل.

**القوات التي اشتركت في هذه المعركة:**

| التبيان | زورق طوربيد | زورق صواريخ | غواصة | حوامة | سفن | وحدة غير معروفة | مد/سا |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| القوات الصديقة | | ٥ | | | | | ٢ كتيبة |
| القوات المعادية | ٤ - ٦ | ٤ | ١ـــ٢ | ٤ــ٦ | ١ | ٤ | |

**سير المعركة:**

**في نهار ذلك اليوم كان العدو قد قام بقصف القاعدة البحرية (ميناء البيضاء) وأعلن أنه دمر قيادة القوى البحرية**، الرادارات تعمل وفق خطتها، والمراقبة البصرية تأخذ دورها والآذان تصغي وتحصي كل صوت وكل حركة على الشاطئ. وفي البحر وفي **الساعة (٢٣,٠٠) من يوم ١٠ تشرين الأول**، ظهرت على شاشات الرادار أهداف صغيرة في مناطق متفرقة على الساحل، لا سيما أمام ميناءي اللاذقية وطرطوس. كما أعلن عن وجود وحدات بحرية صغيرة رُصدت بالسمع وبالبصر إلى شمال اللاذقية وجنوبي طرطوس. كان اكتشاف هذه الوحدات يشير إلى اقتراب نشوب المعركة. لذلك رفعت درجة استعداد جميع الوحدات لخوض الأعمال القتالية. وفي **الساعة (٠٠,٥٠) يوم ١١ / ١٠**، أعلن عن اكتشاف مجموعة أهداف مكونة من (٦)

أهداف جنوب غربي اللاذقية على مسافة (٢٥) ميلاً. **وفي الساعة (١,٠٥ - ١,١٠)** من التاريخ ذاته، ظهرت في آن واحد **مجموعات الأهداف التالية، نعددها من الشمال إلى الجنوب:**

- مجموعة (٣-٤) أهداف إلى شمال غربي اللاذقية، على مسافة (٢٠) ميلاً.
- مجموعة (٣) أهداف إلى غربي طرنجة، على مسافة (١٧) ميلاً.
- مجموعة (٣ــ٤) أهداف إلى غربي رأس ابن هاني على مسافة (١٢) ميلاً.
- هدف واحد غربي بانياس، على مسافة (١٢) ميلاً.
- مجموعة (٤ــ٦) أهداف إلى شمال غربي طرطوس، على مسافة (١٧) ميلاً.

أُعلن عن اكتشاف طائرات عمودية فوق منطقة اللاذقية وطرطوس وبانياس، كما أُعلن عن سماع تفجيرات في البحر في مواقع متفرقة.

**وبعد تحليل الموقف صدرت الأوامر لمجموعة زوارق الصواريخ المتمركزة في اللاذقية** (زورق صاروخي رباعي + زورقي صواريخ ثنائية) بقيادة المقدم أسيمة المحتشم لتوجيه ضربات بالصواريخ إلى المجموعات المعادية المتقدمة نحو ميناء اللاذقية من الشمال والشمال الغربي، كما صدرت الأوامر في آن واحد إلى سرب زوارق صواريخ (٢ زورق صواريخ ثنائي) بقيادة النقيب محمد إبراهيم العلي يتمركز في طرطوس لتوجيه ضربة بالصواريخ على مجموعة الأهداف المتقدمة نحو بانياس.

**في الساعة (١,٣٥) قامت مجموعة زوارق الصواريخ في منطقة اللاذقية بتوجيه ضربات صاروخية إلى الأهداف المحددة وأعلنت عن إصابة (٣) أهداف رُصدت بالرادار.** وبدأت بالانسحاب نحو الميناء بعد أن نفذت

ضرباتها الصاروخية وبينما كانت الزوارق المعادية توجه صواريخها إليها. اشتبكت مدفعية الزوارق بالصواريخ المعادية وهي تتفاداها بالمناورة الماهرة، وقد تمكنت، بفضل يقظة القادة ومهارتهم، على الرغم من كثافة نيران مدفعية العدو وصواريخه، من دخول الميناء سالمة، وأخص بالذكر، الزورق الصاروخي الرباعي الذي تعرض لأربعة صواريخ معادية، تمكن من إسقاط أثنين منها بمدفعيته وتفادى اثنين آخرين بالمناورة الماهرة.

**وفي أثناء انسحاب زوارقنا إلى ميناء اللاذقية بدأت مدفعيتنا الساحلية بفتح نيرانها على وحدات العدو البحرية التي حاولت تدمير زوارقنا**، وتدمير خزانات البترول في اللاذقية وتدمير ميناء اللاذقية في محاولات يائسة استمرت قرابة الساعة الكاملة، **انكفأت بعدها مرتدة تحت ضغط نيران المدفعية الساحلية بدون أن تتمكن من تحقيق أي من أهدافها: (خزانات البترول - المرفأ - الوحدات البحرية التي وجهت ضربتها)**. فعلى الرغم من استماتة العدو في سبيل تحقيق أهداف هجومه ، تمكنت نيران مدفعيتنا الساحلية من رده على أعقابه، واعترف العدو بإصابة أربعة من أهدافه. شاركت المدفعية المضادة في الرمي على الأهداف البحرية المعادية ضمن مديات الرمي وكان ذلك مجدياً وفعالاً، إذ تحقق التعاون بوضوح.

**وبينما كانت تدور هذه المعركة في القطاع الشمالي كانت تدور معركة مشابهة لها في القطاع الجنوبي** (بانياس وطرطوس) فقد قام سرب زوارق الصواريخ بتوجيه ضربة إلى الأهداف المتقدمة نحو طرطوس وأعلن عن تحقيق إصابة هدف معاد رصدت على شاشة الرادار وانسحب سرب زوارقنا باتجاه طرطوس حيث لحقت به زوارق معادية محاولة تدميره. إلا أن المدفعية الساحلية فتحت نيرانها على الزوارق المعادية وأجبرتها على التراجع. وحاولت مجموعة من زورقين معاديين قصف خزانات البترول في طرطوس إلا أن المدفعية الساحلية فتحت نيرانها على هذه الزوارق وأجبرتها على الانسحاب بعد إخفاقها في تحقيق مهمتها.

**وفي الساعة (١,٤٥)**، أعلن أن خزانات البترول في بانياس قد قصفت من البحر وأن النيران بدأت تشتعل فيها، كما أن وحدة بحرية عادت وقصفت الخزانات مرة ثانية في الساعة (٢,٣٠).

بدات الوحدات المعادية بالانسحاب من مسرح العمليات البحري في **الساعة (٢,٤٠) من صباح يوم ١٩٧٣/١٠/١١م**، وانتهى الرصد الراداري لجميع الأهداف على مسرح العمليات في **الساعة (٣,٤٠)** من اليوم ذاته.

**المعركة البحرية الثالثة :**

**الزمان: ليلة ١١ - ١٢ تشرين الأول عام (١٩٧٣م).**

**المكان:** الساحل العربي السوري من الحدود اللبنانية جنوباً وحتى طرطوس شمالاً وعمقاً في البحر حتى (٢٠) ميلاً.

**القوات التي اشتركت في هذه المعركة:**

| التبيان | غواصة | زورق صواريخ | وحدة مجهولة سريعة | مدفعية ساحلية | قارب صغير | طائرة عمودية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| القوات الصديقة | | ٢ | | ٤ سرايا | | |
| القوات المعادية | ٢ | | ٧ - ٨ | | ٤ - ٦ | ٢ -٣ |

**سير المعركة:**

**بدأت ترد إلى مركز القيادة الرئيس معلومات تنبئ عن اكتشاف أهداف بحرية صغيرة شوهدت بالنظر وبالرادارات.** كما أعلن عن اكتشاف طائرات

عمودية فوق مناطق اللاذقية وبانياس وطرطوس. واستمر ورود المعلومات عن الأهداف المعادية بدون انقطاع مدة خمس ساعات. أسندت مهمة البحث عن الزوارق الصغيرة المعلن عنها إلى زوارق الطوربيد في الاتجاهات الخطرة ولكنها لم تعثر على أي منها.

**في الساعة (٢٣,٣٠)، أُعلن عن رصد مجموعتي أهداف بحرية، الأولى إلى غربي الخرابة - الحدود على مسافة (١٠) أميال، والثانية إلى غربي الحميدية على مسافة (١٧) ميلاً.** كما رصد هدف واحد غربي العريضة على مسافة (٧) أميال. بعد تحليل الموقف وحساب خطوط السير والسرعات، صدرت الأوامر لسرب زوارق صواريخ ثنائي في طرطوس، كما صدرت الأوامر لكتيبة المدفعية الساحلية بفتح النار على الأهداف المعادية المقتربة من الساحل عند دخولها المدى المجدلي للسلاح. وفي **الساعة (٠٠,٥٠) من تاريخ ١٢ / ١٠**، نفذ سرب زوارق الصواريخ رشقة ثنائية وأعلم عن تدمير هدف رصد بالرادار. ولم يتمكن الزورق الثاني من إطلاق صواريخه لغزارة النيران والصواريخ التي وجهت إلى السرب بعد إطلاق الصواريخ من زورق القيادة. واستطاع الزورق الذي نفذ الإطلاق الإفلات من صواريخ العدو بالمناورة والمدفعية وكذلك الزورق الثاني. غير انه ارتطم في أثناء مناورته بحاجز الأمواج فتعطل، وفي آن واحد، بدأت المدفعية الساحلية بفتح النار على الأهداف البحرية المعادية لتحمي انسحاب الزوارق الصديقة ولتدمر الزوارق المعادية المقتربة من الساحل، إذ أن الوحدات المعادية حاولت رمي خزانات البترول في طرطوس، فأرغمتها نيران المدفعية الساحلية على الانسحاب بعد أن أخفقت في تنفيذ مهمتها. استمرت معركة المدفعية مع الوحدات البحرية المعادية زهاء(٤٥) دقيقة، انسحب بعدها العدو.

## ثالثاً - مرحلة التوازن الاستراتيجي للجبهتين:

**السورية والإسرائيلية: ١٥ - ١٩٧٣/١٠/٢٤م**

**العمليات القتالية البرية:**

**لقد انتهى زخم الهجوم الإسرائيلي المعاكس على الجبهة السورية ابتداءً من صباح ١٩٧٣/١٠/١٥م وأيقنت** القيادة العسكرية الإسرائيلية أن التقدم إلى دمشق يعني تدمير الجيش الإسرائيلي وإن الاستمرار بالعناد والمكابرة سيؤدي إلى مذبحة حقيقية للقوات المسلحة الإسرائيلية.. فلقد تكبد العدو ٤٦ دبابة وناقلة مدرعة على محور دير العدس غباغب، كما تكبد ٣٧ دبابة وعربة مدرعة على محور القنيطرة - سعسع و ٦٥ دبابة ومجنزرة على محور حضر - مزرعة بيت جن.

**اقتصرت العمليات يوم ١٥ تشرين الأول على التمسك بالمواضع، وبُذلت أقصى الجهود من قبل قواتنا** لاسترداد التلال المشرفة والنقاط الهامة ولكن بدون جدوى، بسبب مقاومة العدو الشديدة وتعزيزها بقوى جديدة. وخلال **ليلة ١٤ - ١٥ تشرين الأول**، اتخذ قرار بالقيام بهجوم معاكس بقوات **صلاح الدين العراقية واللواء ٤٠ أردني**، واستمرت التحضيرات لتنفيذ الخطة المقررة.

**نُفذ يوم ١٦ تشرين الأول الهجوم المعاكس بقوات صلاح الدين واللواء ٤٠ أردني**، إلاّ أن هذا الهجوم لم يحرز نجاحاً بسبب الرمايات التي تعرض لها، وتمسك القوات المعادية بالتلال المشرفة والمسيطرة على المنطقة. وفي المساء اضطرت قوات صلاح الدين للتراجع، فلاحقها العدو، وتمكن من الوصول إلى عين عفا، غير أن القوات السورية استطاعت استردادها وأجبرت العدو على التراجع عنها. كذلك استمرت فرقة الدبابات الثالثة بمهاجمة تل الشمس طيلة هذا اليوم، غير أنها لم تتمكن من استرداده. كما قامت قوات الفرقة المشاة الخامسة ببعض الإغارات على الرفيد وتل السقي والجوخدار، ودمرت هذه المواقع، وعادت بدون أن تتكبد أية خسائر.

**اقتصرت العمليات خلال يوم ١٧ تشرين الأول على تكليف فرقة الدبابات الثالثة وفرقة المشاة السابعة وقوات صلاح الدين بالقيام بإغارات على تل الشمس وتل عريد وتل مرعي وتل عنتر وتل العلاقية واحتلالها**. إلاّ أن هذه الإغارات لم تؤد إلى نتيجة بسبب تمسك العدو الشديد بهذه النقاط وتعزيزها ودعمها برمايات المدفعية وقصف الطيران. وبقيت القوات المعادية متمسكة بالخط المحتل ومحافظة عليه. واستمر التراشق بنيران المدفعية ونشاط الطيران، كما ازدادت الأعمال النشطة في القطاع الجنوبي، ونفذت بعض الإغارات والكمائن على نقطة الرفيد والجوخدار وتل السقي.

**قام العدو يوم ١٨ تشرين الأول بإغارة على أماكن انتشار احتياط الجيش المضادة للدبابات في السفوح الجنوبية لتل الشيح**، إلاّ أن هذه الإغارة أخفقت في تحقيق غرضها، وأمكن العثور على بعض الأسلحة الفردية كانت تحملها عناصر هذه الإغارة. كما قامت **قوات صلاح الدين** بالإغارة على تل عنتر، وقد تمكنت من تدمير ١٢ دبابة معادية وعادت بدون أن تتمسك بالتل.

**ابتدأت عمليات العدو منذ صباح ١٩ تشرين الأول بمهاجمة أم باطنة، وقد** تمكن من احتلالها في **الساعة ١,٣٠**، بعد قتال مرير خاضته إحدى كتائب **لواء المشاة ٥٢**، التي كانت تحتل موقعاً دفاعياً. وقد اضطرت هذه الكتيبة للتراجع بسبب كثافة القوات المعادية، وقوة الضغط المتزايدة عليها، إلى منطقة ممتنة، وكان قائدها قد جرح. وعلى ضوء هذا الموقف طلب من اللواء ٤٠ **الأردني** أن يقوم بهجوم مضاد لاستعادة أم باطنة بالتعاون مع وحدات من اللواء ٥٢ مشاة. وقد تأخر اللواء الأردني في تنفيذ الهجوم المضاد، ولم يحرز نجاحاً كبيراً بسبب رمايات المدفعية والطيران المعادية الكثيفة، وحدوث خسائر كبيرة بين صفوفه. ولكن على الرغم من هذا، تمكن من إيقاف تقدم العدو باتجاه نبع الصخر، واضطره للتراجع إلى أم باطنة والتمسك بها. وفي **الساعة ٦,٠٠** تمكنت قوات **صلاح الدين العراقية** من

القيام بإغارة صامتة على تل عنتر واحتلاله، وفي **الساعة ٧,٣٠** تابعت هجومها واحتلت تل العلاقية، وظلت متمسكة بهذين التلين حتى **الساعة ١٥,٣٠** حيث اضطرت للتراجع بسبب زيادة ضغط العدو، وكثافة رمايات المدفعية والطيران وحدوث خسائر في الأرواح والعتاد.

**اقتصرت العمليات يوم ٢٠ تشرين الأول على التراشق بالمدفعية والطيران** وقد قام الطيران الصديق في **الساعة ٥,١٥** بقصف أحد المصانع في حيفا، وأحدث فيه خسائر كبيرة، كما نشطت أعمال الإغارات والكمائن في منطقة تل مرعي وعين عفا والهبارية.

**وفي يوم ٢١ تشرين الأول استمر التراشق بالمدفعية والطيران، ونفذت بعض الأعمال النشطة مثل مهاجمة تل مرعي.** وقد دار قتال عنيف مع الوحدات المعادية، وإنما بدون جدوى، إذ اضطرت وحداتنا للانسحاب بسبب زيادة ضغط العدو. وفي **الساعة ١٥,٣٠** قام العدو بقصف مرصد جبل الشيخ، وأنزل قوات حملتها ١٠ طائرات عمودية (هيلو كبتر). وجرى اشتباك عنيف بين قواتنا وقوات العدو. ثم تابع العدو تعزيز وحداته المنزلة جواً، سواءً عن طريق الجو أو عن طريق البر، كما قصف المرصد بالمدفعية والهاونات بالإضافة إلى القصف الجوي المركز. وبعد معارك ضارية استمرت زهاء ١٧ ساعة، تمكن العدو من احتلال المرصد في **الساعة ٨,٣٠ من صباح ١٠/٢٢ (اكتوبر) ١٩٧٣م.**

**وبينما كانت قواتنا تخوض معارك طاحنة في جبل الشيخ كانت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تضع اللمسات الأخيرة على خطة الهجوم العام المعاكس السوري الذي خطط لتنفيذه في صباح ١٠/٢٣ (اكتوبر) ١٩٧٣م** غير أن توقف إطلاق النار على الجبهة المصرية وقبول مصر وإسرائيل قرار مجلس الأمن ٣٣٨ بوقف إطلاق النار، قد أخل بمبدأ التوازن الاستراتيجي للجبهتين السورية والمصرية، وهذا ما حدا بالرئيس حافظ الأسد

أن يأمر بوقف الإجراءات الخاصة بتنفيذ العملية في الدقيقة الخامسة من **صباح ١٠/٢٣ (اكتوبر) ١٩٧٣م.**

**وبعد صدور هذا الأمر في** الدقائق الأولى من **صباح يوم ٢٣ تشرين الأول،** اقتصرت الأعمال القتالية في هذا اليوم على الاشتباكات الجوية بين الطرفين، وخسرت القوات الجوية المعادية عدداً كبيراً من الطائرات، وقد شدد العدو قصفه على قرى عرنة وريمة ومقروصة.

**وفي الساعة ٢١,٠٠ صدرت التعليمات إلى قائدي فرقتي، الثالثة دبابات والسابعة المشاة** بإعطاء التعليمات المشددة إلى قادة الوحدات لدفع الدوريات والكمائن إلى أقرب ما يمكن من العدو، وتعزيز الدفاع عن قرى عرنة ودربل وحينه.

في خلال يوم ٢٤ تشرين الأول أعلن في مجلس الأمن عن موافقة سورية على قرار هذا المجلس بوقف إطلاق النار وموافقة إسرائيل على ذلك.
**وصدرت التعليمات بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣م، وهي تتضمن ما يلي:**

١ - توقف النشاطات الإيجابية.

٢ - تكون القوات كلها جاهزة للرد على أي عدوان.

٣ - تنظيم الدفاع المنيع على الخطوط والهيئات التي توقفت عليها القوات.

## العمليات القتالية الجوية في مرحلة التوازن:

**يوم (ي١٠) ١٥ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد ضربات العدو الجوية كما نفذت مهمة دعم القوات البرية دعماً فعالاً، وكذلك مهمة الاستطلاع بالنظر والتصوير. واشتبكت بالطيران المعادي مرة واحدة أسقطنا فيها أربع طائرات معادية، وخسرنا أربع طائرات. وفي هذا اليوم أوقف العدو محاولاته لتحقيق السيطرة الجوية على السماء السورية لا سيما فوق مسرح الأعمال القتالية، لتكبده خسائر

كبيرة دون أن يحقق نتيجة ملموسة. وقد تابع في هذا اليوم أيضاً محاولاته في تدمير المنشآت النفطية على الساحل السوري. إلا أن من يراقب سير الأمور يستنتج استنتاجاً قاطعاً أن جهد العدو الجوي قد تناقص تناقصاً ملحوظاً.

**يوم (ي١١) ١٦ / ١٠ / ١٩٧٤م:**

**نجحت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد غارات العدو كما نجحت القوى الجوية في تنفيذ مهمة دعم القوات دعماً جيداً.** واشتبكت طائراتنا بالطائرات المعادية ست مرات أسقطنا فيها للعدو ثلاث طائرات كما بلغت خسائرنا تسع طائرات، ثلاثاً منها في الاشتباكات الجوية وستاً بوسائط الدفاع المعادية المضادة للطائرات.

**قام العدو بقصف سد الرستن** ولكن السد أثبت أنه أقوى من أن يتأثر بقنابل الطائرات... واستمر تناقص مجهود العدو الجوي تناقصاً ملحوظاً وأخفق نهائياً في تحقيق السيطرة الجوية.

**يوم (ي١٢) ١٧ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**قامت القوى الجوية، والدفاع الجوي، بصد غارات العدو وتغطية القوات** ودعم أعمالها القتالية واشتبكت بطيران العدو ست مرات أسقطنا له فيها ثماني طائرات وخسرنا ست طائرات. كما أسقطت له وسائط دفاعنا الجوي طائرتين، فبلغت خسارته في هذا اليوم عشر طائرات. وقد قصف العدو بعض المنشآت المدنية في اللاذقية كما وجه ضربة جوية على مستودعات قارة.

**يوم (ي١٣) ١٨ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**نفذت القوى الجوية والدفاع الجوي** مهمة تغطية القوات وأغراض المؤخرة ولم تحدث أية اشتباكات جوية كما لم يقم العدو بأي نشاط يذكر.

**يوم (ي١٤) ١٩ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد غارات العدو كما نفذت مهمة دعم القوات بنجاح** واشتبكت بالعدو مرة واحدة، أسقطنا له فيها طائرة واحدة كما خسرنا طائرة واحدة من القوات الجوية العراقية.

**يوم (ي١٥) ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد غارات العدو كما قصفت القوى الجوية أحد المصانع في حيفا** وقد خسرنا طائرة واحدة من طراز سو ٢٠، سقطت قرب حيفا وهي من التشكيل الذي قام بهذه المهمة. ومن الجدير بالذكر أن طائراتنا تمكنت من الوصول إلى حيفا وطيران العدو عاجز عن اعتراضها وملاقاتها. كما استطاعت أيضاً تفادي نيران الوسائط المضادة للطائرات المعادية. ولم تسقط منها سوى طائرة واحدة بعد أن نفذت مهمتها.

**يوم (ي ١٦) ٢١ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد الضربة الجوية عن منشآتنا المدنية والعسكرية في العريضة وتل كلخ كما قامت** بدعم القوات البرية وبإنزال جوي على جبل الشيخ وقد اشتبكت بالعدو سبع مرات، **أسقطنا له فيها عشر طائرات** كما أسقط لنا سبع طائرات، كما أسقطت وسائط دفاعنا الجوي طائرتين، فأصبح مجموع ما أسقط للعدو في هذا اليوم **أثنتا عشرة طائرة**. وهكذا أيضاً اقترن إخفاق طيران العدو بخسائره الكبيرة.

**يوم (ي١٧) ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بتغطية القوات والمنشآت المدنية والعسكرية والمطارات وبدعم القوات البرية**. وقد ركز العدو جهده الجوي

على قصف قطعاتنا في جبل الشيخ للتمهيد لقواته البرية والمنزلة جواً في احتلال المرصد.

**اشتبكت قواتنا الجوية بطائرات العدو** ست مرات أسقطنا له فيها سبع طائرات كما خسرنا ست طائرات، كما أسقطت وسائط دفاعنا الجوي طائرة واحدة وبذلك تبلغ خسارة العدو في هذا **اليوم ثماني طائرات.**

**يوم (ي١٨) ٢٣ / ١٠ / ١٩٧٣م:**

**قامت القوى الجوية والدفاع الجوي بصد الضربة الجوية عن الأهداف المدنية والعسكرية** وتغطية المطارات والقوات البرية، واشتبكت قواتنا الجوية أربع مرات.

## العمليات القتالية البحرية في مرحلة التوازن

**المعركة البحرية الرابعة :**

**الزمان: ليلة ٢٣ - ٢٤ تشرين الأول عام (١٩٧٣م).**

**المكان:** الساحل العربي السوري، من اللاذقية شمالاً وحتى طرطوس جنوباً.

**القوات التي اشتركت في المعركة:**

| التبيان | سفينة قيادة | وحدة بحرية غير معروفة | زورق صواريخ | طائرة عمودية | مد/سا |
|---|---|---|---|---|---|
| القوات الصديقة | | | ٢ | | |
| القوات المعادية | ١ | ٨ -٩ | | ٤ - ٦ | |

**سير المعركة:**

**بدأت هذه المعركة عندما أعلن في الساعة ٠٢٣,٠٠) عن اكتشاف هدف بحري على مسافة (٢٠) ميلاً شمال غربي طرطوس،** وفي آن واحد عن اكتشاف مجموعة أهداف بحرية مكونة من (٨) أهداف بحرية على مسافة (٢٤) ميلاً غربي بانياس، ومتجهة إليها. ثم انفصل منها زورقان اتجها إلى اللاذقية بخط سير شمالي شرقي، كما أعلن عن وجود طائرات عمودية فوق مناطق طرطوس - بانياس - اللاذقية. عمم هذا الموقف، وصدرت الأوامر إلى زورق صواريخ رباعي[1] في طرطوس لتوجيه ضربة بالصواريخ إلى الأهداف المتقدمة نحو بانياس. وكذلك صدر الأوامر على زورق صواريخ ثنائي[2] من اللاذقية بتوجيه ضربة بالصواريخ إلى الأهداف المتقدمة إلى جنوبي اللاذقية، وصدرت الأوامر إلى زورق صواريخ ثنائي آخر من اللاذقية بضرب الأهداف المعادية، المشاهدة أمام بانياس، عند انسحابها ووصولها إلى منطقة تتيح الإطلاق عليها.

**في الساعة (٢٣,٤٥)**، رُصدت وحدات بحرية تقوم بالرمي على خزانات النفط في بانياس وطائرات عمودية تضيء جو المعركة وتقوم أيضاً بقصف الخزانات.

**نفذت زوارق الصواريخ رشقتين ثنائيتين في وقت واحد من الجنوب (طرطوس)**، ومن الشمال (اللاذقية) ثم تلتهما رشقة ثنائية ثانية من الجنوب على الأهداف المحددة. أُعلن عن إصابة وحدتين رصدتا بالرادار وشوهدتا بالعين المجردة من نقاط المراقبة على الساحل وعادت وحداتنا إلى قواعدها سالمة.

---

(١) قاد زورق الصواريخ الرباعي الرائد البحري قتيبة الصفدي الذي سبق واشترك في المعركة الثانية قائداً للزورق ذاته ضمن مجموعته.

(٢) قاد زورق الصواريخ الثنائي من اللاذقية النقيب البحري وائل ناصر الذي سبق أن اشترك في المعركة الثانية ضمن مجموعة زوارق الصواريخ في اللاذقية.

**في الساعة (١,٣٥) بدأت وحدات العدو البحرية التي قصفت** خزانات النفط في بانياس، بالانسحاب وتجمعت في النقطة (١٢) ميلاً غربي بانياس واتجهت غرباً.

**استمر وجود الطائرات العمودية على طول الساحل، من طرطوس إلى اللاذقية، حتى الساعة (٢,١٥) - ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣م** واشتبكت المدفعية المضادة وكذلك الصواريخ المضادة المتمركزة في اللاذقية بهذه الطائرات. وفي الساعة (١,١٥) فتحت النار على طائرة عمودية مرت فوق محطة الرادار في الرويسة.

## رابعاً - الاستعدادات للهجوم المعاكس السوري العام:

**لقد أعطت حرب تشرين التحريرية دروساً قيمة للعلم العسكري ولفن الحرب** وستكون معارك هذه الحرب مادة هامة تدرس في الأكاديميات العسكرية ومراكز الدراسات الإستراتيجية.

**من هذه الدروس الهامة تبرز أهمية التأمين المادي للحرب بكل أبعادها**، إذ تصبح معركة الإمدادات بعد الأيام الأولى للحرب هي الجانب الهام من الصراع المسلح الدائر بين الطرفين، لا سيما في الدول التي لا تملك صناعة حربية متقدمة، وهذا ما حصل في حربنا الرابعة مع العدو الإسرائيلي.

**إن التطور التقني لوسائط الصراع المسلح جعل نسبة الإصابة كبيرة، لا سيما في إصابة الأهداف الهامة** كالطائرات والطائرات العمودية والدبابات والعربات المدرعة والسفن والزوارق، ولذلك فإن نسبة فقدان العتاد، لا سيما الدبابات فاقت كل النسب المحتملة والمتوقعة (من خبرات الحرب العالمية الثانية ومن تجارب الحروب الثورية في الصين... وكوريا وفيتنام وكذلك من خبرات الحروب الهندية والباكستانية). لذلك بدأ الاتحاد السوفيتي بتزويد سورية ومصر بأنواع من الأعتدة الحربية المفقودة، لا سيما (طائرات -

دبابات) وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتزويد إسرائيل بأنواع من الأعتدة المفقودة، لا سيما (طائرات - دبابات - قواعد صاروخية م/د). وكانت شحنات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل تأتي عن طريق الجو إلى مطار اللد، وعن طريق البحر إلى ميناء حيفا بالنسبة للأسلحة التي تعزز بها إسرائيل الجبهة الشمالية، وعن طريق ميناء العريش بالنسبة للأسلحة التي تعزز بها إسرائيل الجبهة الجنوبية.

**أما الاتحاد السوفييتي فكان الجسر الجوي ينقل العتاد الحربي إلى مطار حلب، ومطار القاهرة في مصر، كما كانت السفن الروسية تفرغ شحناتها في مرفأ اللاذقية في سورية ومرفأ الإسكندرية في مصر.** ولهذا السبب كانت الدبابات القادمة من روسياً تتأخر تأخراً نسبياً عن الدبابات القادمة من أمريكا، لان المسافة بين اللاذقية والجبهة تقدر بأربعمائة كم، وكذلك الأمر بالنسبة للجبهة المصرية، فالمسافة بين قناة السويس، والإسكندرية تقدر بأربعمائة كم أيضاً. أما الدبابات الأمريكية فكان وصولها أسرع، لأن المسافة بين حيفا ومرتفعات الجولان ٦٠ كم، والمسافة بين العريش وقناة السويس ٦٠ كم أيضاً. ومع ذلك فقد خاض الشعب السوري وقواته المسلحة معركة الإمداد بكل بسالة وتصميم رافعين شعار « يجب أن يصل السلاح إلى أيدي المقاتلين مهما بلغت التضحيات ».

**وقد حاولت إسرائيل في بادئ الأمر عرقلة الإمداد الجوي إلى سورية عن طريق قصف مطار حلب والتصدي للطائرات السوفييتية، فقد قصف مطار حلب بزوج طائرات فانتوم في الساعة ١٧،٠٠ من يوم ١٩٧٣/١٠/٨م** وأصيبت طائرة (أنطونوف ١٢) روسية كانت تفرغ شحنتها في المطار، كما جرح أحد الملاحين السوفييت. عند ذلك تم التنسيق بين الجانب السوري والجانب السوفييتي على أن يتولى السوفييت حماية طائراتهم حتى دخولها الأجواء السورية وكانت الحراسة والتغطية تتم بطائرات مقاتلة من طراز ميغ

٢٥. وعندما تصل طائرات النقل السوفييتية الأجواء السورية، كان سلاح الطيران السوري يتولى حمايتها وتغطيتها بطائرات مقاتلة من طراز ميغ ٢١ (م)، وبعد تنفيذ هذا الإجراء لم يحدث أي شيء يذكر من شانه عرقلة الجسر الجوي السوفييتي إلى سورية[١].

**أما في البحر، فلم تحاول إسرائيل مداعبة السفن الروسية لأنها تعلم أنها ستدفع الثمن غالياً**، لذلك قامت بضرب ميناء اللاذقية وطرطوس عدة مرات، وكانت الغارات متزامنة مع وصول الإمدادات السوفييتية، وإضافة إلى ذلك فقد قامت إسرائيل بضرب كل الجسور والمعابر الواقعة على طريق اللاذقية - طرطوس - حمص.

**كانت أطقم الدبابات التي جمعت من الجبهة تزدلف إلى اللاذقية بكل وسائل النقل البري والجوي وعلى المحاور**، وكان عمال المرفأ الشجعان مع أطقم الدبابات يتسلقون السفن الروسية كالفهود ليباشروا عملية ربط الدبابة بحبال الرافعة، وما هي إلا ثوان معدودة حتى تبدأ الدبابة بالارتفاع عن سطح الباخرة وقد ركب فيها سدنتها، وما تكاد الدبابة تلامس الرصيف حتى يكون السائق قد أدار محرك الدبابة وانطلق بها إفرادياً على الطريق المؤدي إلى الجبهة ليصل بعد قليل إلى مكان التسليح والتذخير والملئ بالمحروقات. وبعد أن تتم هذه العملية، كان السائق يتوجه دون توقف لمتابعة المسير باتجاه الجبهة... نادراً ما كانت دبابتنا تشاهد جسراً مقصوفاً أو معبراً مخرباً، ذلك أن أبناء شعبنا رجالاً ونساءً كانوا يتوجهون مباشرة بعد القصف الجوي المعادي إلى مكان الحادث ليعاونوا الجيش الشعبي والدفاع المدني ورجال الأمن في إصلاح ما تهدم على الرغم من القنابل الموقوتة التي كان يلقيها العدو الإسرائيلي، وما هي إلا دقائق، نادراً ما كانت تبلغ الساعة، حتى يكون الجسر او المعبر قد أصبح جاهزاً لمرور الدبابات.

---

(١) العميد الدكتور رزق إلياس ، مسيرة تحرير الجولان، مصدر سابق، ص ١٦١ .

**تمكنت القيادة العامة للقوات المسلحة السورية من تجهيز عدة ألوية مدرعة بدبابات (ت٦٢) بفضل** الإمدادات العسكرية التي قدمها الشعب السوفييتي **والحكومة السوفييتية** في أثناء حرب تشرين التحريرية[١]، كما كانت **قوات صلاح الدين العراقية** قد استكملت وحداتها، وأصبحت تضم فرقتين مدرعتين ولواء مشاة جبلي. كما أن القوات الأردنية عززت اللواء ٤٠ الذي شارك في العمليات الأخيرة بلواء مدرع آخر هو اللواء (٩٢) بالإضافة إلى قيادة الفرقة الثالثة مشاة أردنية. وقد كانت هذه القوات متأهبة لشن الهجوم العام المعاكس على العدو ابتداء من **يوم ٢١ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٧٣م.**

**وبعد دراسة خطة العملية الهجومية من قبل القيادة العامة السورية** والتي اشترك فيها الضباط القادة العراقيون والأردنيون تمت الموافقة على شن الضربة المعاكسة. في الساعة الخامسة من يوم ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.

**كانت القيادة السورية تريد الاستعجال في تسديد الضربة المعاكسة لسببين:**

- الأول: عدم إتاحة الفرصة للعدو لالتقاط أنفاسه وتحسين مواقعه الدفاعية.
- الثاني: تخفيف الضغط عن الجبهة الغربية بعد الخرق الذي قام به العدو في منطقة الدفرسوار. وجذب جهد العدو مرة أخرى للجبهة السورية.

**وعلى الرغم من أهمية الأسباب التي ذكرتها آنفاً فقد كان العراقيون والأردنيون يرون تأجيل التنفيذ** حتى **صباح ٢٣، ١٠ (أكتوبر) ١٩٧٣م،**

---

(١) لا بد من الإشارة في هذا المجال إلى أن قسماً كبيراً من العتاد الحربي السوفييتي الذي شحن إلى سورية إبان حرب تشرين التحريرية قد تم دفع قيمته بالعملة الصعبة من قبل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والرئيسين هواري بومدين ومعمر القذافي، كما تلقت سورية بعض الأعتدة الحربية دون مقابل من الدول الاشتراكية الصديقة.

لكي يتم استكمال القوات بكل أنواع التأمينات المادية والبشرية ويتاح الوقت اللازم للقادة، على مختلف المستويات، ليقوموا باستطلاع أرض المعركة بأنفسهم.

**ثم إن الجبهة السورية كانت قد استقرت وكسرت شوكة الهجوم الإسرائيلي، وإذ كان من جملة المبادئ الرئيسية** التي أخذت بعين الاعتبار عند التخطيط لحرب تشرين التحريرية، إطالة أمد الحرب ما أمكن ذلك، فقد تمت الاستجابة لطلب الأخوة العراقيين والأردنيين بتأجيل تنفيذ الضربة حتى صباح ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.

**في ليلة ٢٠-٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م** أُسندت المهام القتالية للفرق الأولى والثالثة والسابعة والتاسعة وقوات صلاح الدين العراقية وقوات الفرقة الثالثة الأردنية. وكان حجم القوى والوسائط كافياً لسحق القوات الإسرائيلية المتمركزة في قطاع الخرق وتدميرها. ثم القيام بتحرير الجولان بكل القوى والاحتياطات الموجودة والاحتياطات الموجودة في الجبهة السورية.

**لكن، في صبيحة يوم ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م على وجه التحديد، حدثت مفاجأة هامة**، وهي قبول القيادة السياسية في جمهورية مصر العربية بوقف إطلاق النار على الجبهة الغربية، بعد المساعي الدولية التي بذلك في هذا المجال، ووضعنا من جديد أمام الاختيار الصعب.

**كان صدور قرار مجلس الأمن رقم «٣٣٨» مفاجأة لسورية بل إنها لم تعلم بوجود مشروع القرار أو بدعوة مجلس الأمن** للانعقاد إلا بعد أن تناقلته دور الإذاعة ووكالات الأنباء.

**وهكذا كان... فقد درس قرار مجلس الأمن في سورية بشعور عميق بالمسؤولية انطلاقاً من المصلحة القومية والالتزام بالمبادئ والأهداف** التي قاتلنا في سبيلها. وعقد الرئيس حافظ الأسد لهذه الغاية سلسلة من الاجتماعات منذ **صباح الثاني والعشرين من شهر تشرين الأول ١٩٧٣م** وحتى نهاية الثالث والعشرين من الشهر نفسه.

**استهل الرئيس الأسد اجتماعاته مع مجلس الدفاع العسكري في سورية ثم عقد اجتماعات مطولة للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والقيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية... كما أجرى اتصالات هاتفية مع ملوك الدول العربية ورؤسائها** تبادل معهم خلالها الرأي حول الموقف الراهن كما أجرى اتصالات مع الاتحاد السوفييتي.

**وعبر هذه الاتصالات التي أجراها الرئيس حافظ الأسد أكد له الرئيس أنور السادات انه تلقى من القادة السوفييت ضمانات بأن يتم انسحاب إسرائيل انسحاباً كاملاً من جميع الأراضي العربية المحتلة**، كما أكد الاتحاد السوفييتي للرئيس حافظ الأسد أن موقفه في كل هذا الأمر ينسجم ويتجاوب مع موقف سورية ومصالحها.

**وبنتيجة الاتصالات التي أجراها الرئيس حافظ الأسد، لا سيما مع الشقيقة جمهورية مصر العربية، ومع الاتحاد السوفييتي باعتباره أحدى الدولتين صاحبتي مشروع القرار**، فقد استنتجت القيادة السياسية في سورية أن قرار مجلس الأمن رقم «٣٣٨» يعني انسحاب إسرائيلي الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة، كما فهمت أيضاً أن هذا القرار يعني عدم المساس بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الذي سيكون وحده صاحب الرأي الأول والأخير وصاحب القرار النهائي عند أي بحث لقضيته.

**وعلى أساس هذا الفهم لقرار مجلس الأمن، وبعد أن وافقت عليه جمهورية مصر العربية في ضوء القناعات التي تكونت لدى الرئيس أنور السادات**، فقد وافقت القيادة السياسية في الجمهورية العربية السورية على قرار مجلس الأمن، وصدرت إلى القوات المسلحة الأوامر بوقف إطلاق النار، بشرط أن يلتزم العدو بذلك، كما أُعطيت التعليمات اللازمة لقوتنا المسلحة بان تكون على أُهبة الاستعداد لاستئناف القتال عندما تدعو الضرورة إليه.

**ونتيجة لقبول سورية وقف إطلاق النار فقد صدر قرار تأجيل الهجوم العام المعاكس السوري في الدقيقة الخامسة من يوم ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.**

## معارك جبل الشيخ الدفاعية :

**يدور الحديث هنا عن المقاتلين المغاوير، الذين تبدَّت صفاتهم البطولية** في أكثر الأيام بلاءً وصموداً، فوق مرتفعات جبل الشيخ. وإن خلف كل صخرة، وكل تبة، من مأثرة الدفاع البطولي، الذي تجسد في شجاعة المحاربين المغاوير وتفانيهم.

**كان جبل الشيخ موضع اهتمام القيادة العسكرية الإسرائيلية[١] الزائد،** وكان تفكيرهم مركزاً على استعادة المرصد الذي أقاموه فوق جبل الشيخ من أيدي القوات العربية السورية. ومنذ أن سقط المرصد المعادي في أيدي المقاتلين السوريين، وعشرات الطائرات الإسرائيلية تغير في موجات على المواقع الدفاعية فوق التباب المحيطة بالمرصد.... وإن ما حدث في **٢١ و٢٢ تشرين الأول عام ١٩٧٣م** في منطقة جبل الشيخ أمر يفوق التصور والخيال. ففي هذه المنطقة جرت معركة دفاعية ضارية.. كان زئير الطائرات المنقضة يختلط بالقصف المدفعي ورمي الهاونات، محدثاً دوياً مستمراً، وكان يبدو من المحال في بعض الأحيان، أن يظل المرء حياً، وان يصمد في هذا الخضم من النيران.

**عبر ثلاثة أيام،** قبل بداية هذه المعركة الدفاعية، كانت الطائرات الإسرائيلية توالي انقضاضها على مرصد جبل الشيخ وعلى المواقع الدفاعية المحيطة به.

---

(١) لقد كانت «إسرائيل» تعلم بكل ما يجري في مجلس الأمن من مشاورات بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا بخصوص فرض وقف إطلاق النار على الطرفين المتصارعين لذلك فقد اختارت الوقت المناسب لتنفيذ العملية وإنهائها مع بدء وقف إطلاق النار.

**وفي الساعة ١٥,١٥ من يوم ٢١ تشرين الأول، اتصل النقيب سليمان الحسن قائد الكتيبة ٨٢ مظلات،** بالمرصد الصديق في جبل الشيخ يستفسر عن الموقف. كان الموقف ينبئ عن معركة عنيفة ستدور بالقرب من المرصد الصديق، ولا سيما أن العدو الإسرائيلي قد ركز نيرانه على هذه المنطقة، منذ الدقائق الأولى للمعركة، تركيزاً خاصاً. وهنا، دوى فجأة صوت طلقات على التباب المحيطة بالمرصد القديم[١]، التي هبطت عليها طائرات عمودية (هليكوبتر) معادية، تحمل مجموعات من «الكوماندوس» الإسرائيليين.

**واصل المقاتلون في المرصد القديم مقاومتهم باستبسال وضراوة، ولم يلقوا من أيدهم السلاح.** كانت مقاومتهم تزداد مع ازدياد عدد الطائرات العمودية المعادية التي كانت تهبط في منطقة المرصد الصديق. استمر القتال في هذه المنطقة ساعة ونيفاً بشراسة لم يعرف لها مثيل. واستطاعت مجموعة من المقاتلين السوريين، أحاط بها عدو متفوق في العدد والعتاد، أن تدافع عن الأرض الطاهرة بصمود وثبات خارقين. وكان المقاتلون السوريون في المرصد الصديق يقاتلون حتى عندما استخدم العدو نيران مدافع الهاون التي أسقطها بوساطة الطائرات العمودية.

**إن المعركة الطاحنة** في المرصد القديم، لم تجر فقط على الأرض بعد الإنزال، بل وفي الجو أيضاً قبل الهبوط.

**لم يكن هجوم العدو الإسرائيلي** على المرصد الصديق إلا تمهيداً للهجوم الكبير على المرصد الجديد[٢] الذي احتلته قواتنا في أول يوم من أيام حرب رمضان.

---

(١) المرصد القديم هو المرصد السوري على جبل الشيخ.

(٢) المرصد الجديد هو المرصد الذي أقامه العدو على جبل الشيخ في عام ١٩٦٧ والذي تم تحريره في يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م.

**لم يكن أحد يشك في أن العدو الصهيوني على الرغم من تكبده خسائر كبيرة**، وكونه بحاجة ماسة إلى استعادة قواه، سوف يزج بقوى جديدة، وبأعداد كبيرة، من أجل إعادة احتلال المرصد الذي أصبح في أيدي القوات السورية.

**كانت قوات المظلات** والمغاوير تشغل المرتفعات المسيطر حول مرصد جبل الشيخ، وكانت تتمتع بإمكانية رصد جيدة.

**ولم يمض وقت طويل** حتى شدد العدو قصفه الجوي ورمايات مدفعيته وهاوناته على منطقة المرصد الجديد، الذي يحتله المقاتلون السوريون.

**غربت الشمس**، ولكن الجو ما زال مضيئاً. وهنا فوق المرتفعات والتباب بدت السماء حمراء كالدم. وليس من الصعب أن تحكم أن سبب هذه الحمرة هو الانفجارات والأنوار الكاشفة، وليس شفق الشمس الغاربة. لقد توهج الليل بومضات ملتهبة، وغرق كل شيء في القصف الشديد الذي يصم الآذان ويهز الأرض.

**لم تغمض في هذه الليلة عيون المقاتلين الصامدين**. كان عليهم أن يكونوا يقظين كل اليقظة كي لا يتيحوا للعدو فرصة التسلل في جنح الظلام، ولا يمكنوه من الضربة المفاجئة.

**كان المقاتلون المغاوير، الذين يقودهم الملازم الأول محسن سلوم**، موزعين على ثلاثة مجموعات:

- **المجموعة الأولى**، بقيادة الملازم **صبري خازم**، تدافع باتجاه مجدل شمس ومسعدة.
- **المجموعة الثانية**، بقيادة الرقيب **منير عيسى**، تدافع باتجاه بانياس.
- **المجموعة الثالثة**، بقيادة الملازم **سميع شحرور**، تدافع باتجاه حضر والقنيطرة.

وفي الدقيقة الثلاثين من يوم ٢٢ تشرين الأول أخبر قادة المجموعات الملازم الأول محسن أن دبابات العدو وآلياته تتقدم على **ثلاثة محاور تؤدي إلى مرصد جبل الشيخ**:

- محور عين قنية - مرصد جبل الشيخ.
- محور مرصد جبل الروس - مرصد جبل الشيخ.
- محور مركز التزلج (محور ترابي).

**أخبر الملازم الأول بدوره**، رئيس أركان الكتيبة ١٣٣ مغاوير النقيب **صبحي الطيب** بالموقف، وكانت تعليمات النقيب صبحي تقضي بالامتناع عن فتح النيران، والسماح للعدو بالتقدم حتى مسافة قريبة جداً.

**وفي الدقيقة الخامسة والأربعين بدأت عناصر الأسلحة م/د (ر.ب.ج٧) بالرمي على الدبابات المعادية المتقدمة على المحاور الثلاثة**. وفي الوقت ذاته أخبر الملازم صبري أن العناصر المعادية ترجلت من الآليات، والتفت حول موقع المجموعة الأولى من الجهة الخلفية. ولم تكد تصبح على مسافة قريبة حتى أمطرها المقاتلون المغاوير بنيران مفاجئة، أثارت في صفوفها الرعب والفوضى. وبعد اشتباك عنيف سقط عدد كبير من الأعداء يقدر بثمانين جندياً، وتم تدمير عدد من الدبابات[1].

**وجه مغاوير المجموعة الثانية ضربة نارية مميتة إلى العدو المتقدم، أشاعت الفوضى في صفوفه**. وفي صوت واحد غاضب غطى ميدان القتال، كانت تجلجل صيحة النصر « الله أكبر». ومن الخنادق، والحفر الفردية، تدفق سيل من النيران، وأوقع خسائر كبيرة في قلب القوات المعادية المهاجمة.

**كانت هذه أول ضربة نارية كاسحة، كبدت العدو خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد**، وقد انتهت كل المحاولات الهجومية التي قام بها العدو

---

(١) العماد أول مصطفى طلاس، مرآة حياتي ، ج٣، مصدر سابق، ص٨٠٦.

الإسرائيلي للوصول إلى مرصد جبل الشيخ، لاستعادته من القوات السورية، بالفشل الذريع. وأصبحت المحاور الثلاثة المؤدية إلى المرصد تحت نيران كل أسلحة السرية الثالثة من كتيبة المغاوير ١٣٣.

**أعطت المواقع الدفاعية**، وقد غطتها مدفعية العدو بالقذائف، وطائراته بالقنابل، صورة مشرفة عن الدفاع البطولي الصامد.

**ومضى الليل**، وأطل **صباح يوم ٢٢ تشرين الأول**.. عند ذلك لاحظ الجميع أن القصف أصبح الآن قوياً يصم الآذان ويهز الأرض.

**اتصل الرقيب الأول منير عيسى قائد المجموعة الثانية بالملازم الأول محسن**، واخبره أن العدو بدأ بإنزال طائراته العمودية شمال غربي المرصد، وأن قوات الكوماندوس الإسرائيلية الهابطة على بعد ٥٠٠ - ٨٠٠ متر، بدأت تتقدم على أنساق، وأن العدو أنزل عدداً من الطائرات أيضاً على المرتفع ١٢٢٤ الموجود شرقي المرصد، ترجل منها عدد من العناصر المعادية، أقامت كمائن ونقاطاً نارية، راحت ترمي على المرصد من الاتجاه الشمالي والشمالي الشرقي بالتعاون مع القوات المهاجمة، على المحاور الثلاثة السابقة نفسها.

**وفي هذه الأثناء** كانت المواقع الدفاعية الصديقة معزولة، تحيط بها القوات الإسرائيلية التي حاصرتها كالخاتم.

**اتصل الملازم سميح شحرور** بالملازم الأول محسن، وأخبره بان العدو قد بدأ هجومه الثاني مستخدما الدبابات استخداماً كثيفاً.

**ولم يكد العدو** يقترب من المواقع الدفاعية الصديقة حتى بدا الاشتباك بالأنساق المعادية المهاجمة.

ثم فجأة وكما تنقض الصاعقة، انهمرت القذائف على الأنساق المعادية المتقدمة. وغطت سماء المعركة سحب من الدخان والغبار.

**سمح المقاتلون المغاوير للعدو بالتقدم نحوهم حتى مسافة قريبة، وفجأة أمطروه بنيراهم.** غير أن الدبابات المهاجمة حاولت على الرغم من ذلك اختراق ستارة النيران والتقدم إلى الأمام، وحاول الإسرائيليون الالتفاف حول قواتنا عن طريق الوديان، إلا أن المقاتلين المغاوير قاموا بمناورة سريعة ووجهوا إليهم ضربة مميتة.

**أصبحت المعركة صعبة ودموية بالنسبة للمدافعين عن المرصد،** فالقصف الجوي الثقيل، ورمايات المدفعية المتواصلة، وتزايد هجوم القوات الإسرائيلية، والتفوق العددي الكبير - كل هذا جعل القتال أكثر عنفاً وضراوة مما كان عليه... وعلى طول الخطوط الدفاعية، كان يسمع دوي الرشاشات، وقصف مدافع الهاون، وأزيز الرصاص.

**ولقد أثارت** هذه الإستماته في المقاومة حنق القادة الإسرائيليين، الذين كانوا يقودون الهجوم على المرصد، فلم يكونوا يتوقعون مثل هذا الصمود.

**كان الدخان والغبار يجففان أفوان المقاتلين. وكانوا يعانون في دفاعهم عن المرصد** أشد التجارب قسوة وصعوبة. وكان الظمأ أقسى تجربة مروا بها منذ بداية الحرب، وعلى الرغم من هذا، كان المقاتلون يحصلون على الماء من الأعداء أنفسهم.

**كانت هذه المعركة الدفاعية قاسية لما تميزت به من طابع العنف والبسالة،** كان المقاتلون يحاربون في ظروف الجوع والإنهاك، ويقاومون العدو في غضب وشجاعة. وحتى أولئك الذين جرحوا أكثر من مرة لم يلقوا السلاح، بل ظلوا يواصلون القتال.

**وفي هذا القتال الدامي،** وجد المقاتلون المغاوير قوة هائلة في أنفسهم لخوض معركة غير متكافئة مستخدمين القنابل اليدوية والأسلحة الفردية والجماعية، قاتلين وجارحين عدداً لا يستهان به من الإسرائيليين. ولقد أرغموا العدو للمرة الثانية على التراجع، وبعد أن أوقعوا الارتباك في صفوفه.

**ولم يمض وقت طويل** حتى شن العدو هجومه للمرة الثالثة زاجاً في المعركة بقوى جديدة. وفجأة تحولت المرتفعات والتباب المحيطة بالمرصد إلى خط ناري هادر. وعادت مدفعيته تصب قذائفها على المواقع الدفاعية وقد ملأ الدخان والغبار المرتفعات والتباب المحيطة بالمرصد.

**نشبت في المواقع الدفاعية الإلتحامات المباشرة بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية** بين المعتدين الإسرائيليين والمقاتلين السوريين... وارتفع هنا وهناك دوري الانفجارات المفاجئة العنيفة. وصمد المقاتلون المغاوير أبطالاً يواصلون معركتهم الدامية.

إن مأثرة هؤلاء المقاتلين المغاوير مثل من أمثلة الإخلاص والوفاء اللذين أبداهما المقاتلون العرب تجاه الأمة والوطن.

**ولن ينسى رفاق السلاح الشهيد الأول منير عيسى** الذي استشهد وهو يؤدي الواجب العسكري في أشرف معركة دفاعية، **والشهيد المجند محمد نور المنجد**، الذي كان صائماً، وكان يردد « ما أحلى الشهادة في رمضان» **والشهيد العريف نايف كنعان، وغيرهم من الشهداء**، الذين سجلوا بدمائهم صفحة رائعة من صفحات التضحية والفداء.

**لقد سقط المرصد بيد العدو في الساعة الثامنة والنصف من صباح ٢٢ /١٠ / ١٩٧٣م** بعد أن تكبد العدو ما يقارب ألف وخمسمائة إصابة بين قتيل وجريح (٦٠٠ قتيل و ٩٠٠ جريح[١]). وبعد أن نفذت الذخيرة من أيدي الرجال الذين استهلكوا خمس وحدات نارية في أقل من أربع وعشرين ساعة. أما خسائرنا فكانت ٧٦ شهيداً و١٢٣ جريحاً و٧٣ أسيراً.

---

(١) عندما قامت غولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني بزيارة جرحى جبل الشيخ الذين وضعوا في ثلاث مستشفيات في تل أبيب أغمي عليها ثلاث مرات لهول المشاهد التي رأتها مرتسمة على وجوه الجرحى.

**كان اللواء الخامس الجبلي الذي وصل من القطر العراقي** الشقيق للمساهمة في حرب تشرين التحريرية هو الوحدة النموذجية بنظر الأخوة ضباط الارتباط العراقيين لاسترداد مرصد جبل الشيخ من يد العدو وذلك لخبرته في خوض الأعمال القتالية في الجبال وبالفعل فقد تم إسناد المهمة لهذا اللواء من قبل القيادة السورية كما تم تعيين ضباط الاتجاهات الذين سيوجهون اللواء الخامس الجبلي إلى مهمته الجديدة.

**وفي صباح ٢٢/١٠/١٩٧٣م تحرك اللواء المذكور من منطقة قطنا باتجاه جبل الشيخ** على محور بقعسم - عرنة، إلا أن هذا اللواء لم يتمكن من الوصول إلاّ إلى مشارف عرنة، لتعرضه إلى القصف الجوي المعادي وإلى رمايات الهاون المعادية وقفل راجعاً إلى قاعدة انطلاقه في تل أبو سية.



# الفَصْلُ الثَّانِي

# نظرة تحليلية للعمليات البرية في قطاعات الجبهة السورية

## أولاً - خطة الهجوم السوري:

**ليست المنحدرات الشرقية لهضبة الجولان في وعورة وارتفاع المنحدرات الغربية للهضبة**، إذا لا توجد بها مرتفعات يصعب ارتقاؤها مثلما هو حال الحد الغربي للهضبة المواجه لبحيرتي الحولة وطبريا، كما أنها لا تقطعها أنهار أو وديان عميقة، ولذلك لا تشكل طبيعة الأرض فيها أي مانع طبيعي ضد حركة المدرعات والآليات بصفة عامة على امتداد المواجهة البالغ طولها نحو ٥٥ كم ابتداءً من سفوح «جبل الشيخ» في الشمال حتى الضفة الشمالية لنهر «اليرموك» في الجنوب. ولهذا كان من الطبيعي أن تحافظ القيادة السورية لهجومها بأسلوب وتكتيكات تختلف عن أسلوب وتكتيكات القيادة المصرية التي كانت تواجه مشكلات اجتياز القناة والجدار الترابي المقام على ضفتها الشرقية[١].

**وعلى هذا الأساس خططت القيادة السورية لهجوم مدرع** ميكانيكي سريع الحركة منذ اللحظات الأولى يتيح لها إمكانية اختراق محاور التقدم

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٠.

الرئيسية في الهضبة التي يبلغ عمقها في الوسط، بين « القنيطرة » وجسر « بنات يعقوب »، نحو ١٨ كم فقط.

**وتحددت اتجاهات الهجوم على أساس قيام فرقة المشاة الميكانيكية السابعة (بقيادة العميد عمر أبرش) بالتقدم** من منطقة الأحمدية في اتجاهين أحدهما نحو الغرب والآخر نحو الجنوب الغربي إلى الشمال من « القنيطرة » والطريق الرئيسي المؤدي إلى جسر « **بنات يعقوب** »،على أن يقوم لواء مشاة مستقل بالزحف جنوب سفوح « **جبل الشيخ** » السفلى نحو الجنوب الغربي تجاه طريق « بانياس - القنيطرة» لحماية الجناح الأيمن للفرقة السابعة. وفي الوقت نفسه تتقدم فرقة المشاة الميكانيكية التاسعة(**بقيادة العقيد الركن حسن تركماني)** من المنطقة الواقعة غرب « تل الحارّة » في اتجاه الغرب إلى الشمال مباشرة من «الخشنيه » وذلك على شكل شعبتين متوازيتين إحداهما نحو طريق « القنيطرة - جسر بنات يعقوب » لقطعه غرباً والآخر يتجه إلى « كفر نفاخ » الواقعة في منتصف الطريق المذكور تقريباً، والتي توجد فيها قيادة القوات الإسرائيلية في الجولان. وعلى المحور الجنوبي كان على فرقة المشاة الميكانيكية الخامسة **(بقيادة العميد مصطفى شربا)** أن تهاجم من منطقة « الرفيد » نحو الجنوب الغربي تجاه بحيرة «طبرية».

**وبالإضافة إلى هذه الهجمات الرئيسية كان على وحدة خاصة من المغاوير محمولة جواً أن تهاجم مرصد جبل الشيخ بوساطة طائرات الهيكوبتر وتستولي عليه في إغارة مفاجئة** لتحرم القيادة الإسرائيلية من محطة الرادار وأجهزة الرصد المشرفة على مسرح العمليات البرية منذ بداية الهجوم، وتضعها في خدمة القيادة السورية بعد ذلك. وخصصت وحدات مشاة مغربية لمهاجمة السفوح السفلى لجبل الشيخ لمنع الهجمات المعاكسة الإسرائيلية التي قد توجه ضد قوات المغاوير إثر استيلائها على المرصد المذكور.

**وفي النسق الثاني للقوات السورية** كانت **توجد فرقتان مدرعتان ولواءان مدرعان مستقلان. وكانت** كل فرقة مشاة ميكانيكية تتألف من لوائي مشاة في كل منهما كتيبة دبابات ولواء مشاة ميكانيكي ولواء مدرع، وقدر عدد الدبابات الملحقة بفرق المشاة الميكانيكية الثلاث المشار إليها آنفاً بنحو ٥٤٠ دبابة (أي بواقع ١٨٠ دبابة في الفرقة الواحدة)، كما قدر عدد الدبابات الموجودة بالفرقتين المدرعتين معاً ٤٦٠ دبابة.

**وساندت قوات الهجوم حشود قوية من المدفعية** قدرت بنحو ١٠٤ بطاريات مدفعية وقاذف صواريخ كاتيوشا (ضمت مدفعية عيار ١٢٢ مم، ١٣٠ مم، ١٥٢ مم). وقد أعدت القيادة السورية **خطين دفاعيين** في العمق العملياتي للجبهة، الأول يقع على مسافة نحو ٢٠ كم شرق خط إطلاق النار، ابتداء من نقطة تبعد قليلاً إلى الغرب من « قطنا » على الطريق المؤدي إلى جبل الشيخ في الشمال ماراً بسعسع على الطريق بين « دمشق » و « القنيطرة » ومنتهياً عند « الصنمين » الواقعة على الطريق المؤدي إلى « الرفيد » على المحور الجنوبي. **أما الخط الدفاعي** الثاني فقد أقيم على مسافة تبعد نحو ١٠ إلى ١٥ كم شرقي الخط الأول من نقطة تقع إلى الشمال الغربي من « دمشق » على الطريق المؤدي إلى « القنيطرة » ويمتد جنوباً حتى بلدة « الكسوة » الواقعة على الطريق المؤدي إلى « الصنمين » و « الشيخ مسكين » و « درعا » كما تركزت شبكة صواريخ سام المضادة للطائرات بمختلف أنواعها على طريق « دمشق - الشيخ مسكين ».

## ثانياً - أوضاع القوات الإسرائيلية في الجولان:

**في ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣م نفذ السلاح الجوي الإسرائيلي عملية استطلاع جوي كبير للساحل السوري** صاحبها إعداد كمين جوي للمقاتلات المعترضة السورية (أسفر عن إسقاط ١٣ طائرة «ميغ ٢١ » وفقاً لرواية

المصادر الإسرائيلية مقابل إسقاط طائرة ميراج، أما المصادر السورية فقالت إنها أسقطت ٥ طائرات إسرائيلية وفقدت ٨ طائرات) وتوقعت القيادة العسكرية الإسرائيلية في المنطقة الشمالية حدوث اشتباكات خطيرة في الجولان، ولا سيما بعد أن أوضحت تقارير الاستطلاع الجوي يوم ٢٤ / ٩ بأن عدد الدبابات السورية المحتشدة في الجبهة قد ارتفع إلى ٦٧٠ دبابة بعد أن كان كان حوالي ٥٠٠ دبابة يوم ١١ / ٩، وأن عدد بطاريات المدفعية قد زاد في الفترة نفسها من ٦٩ بطارية إلى ١٠٠ بطارية، وأن هناك ثلاث فرق مشاة قد احتلت خط الدفاع الأول.

وبذلك عقد اجتماع في رئاسة الأركان الإسرائيلية في يوم ٢٤ / ٩ حضره اللواء «إسحق حوفي » قائد المنطقة الشمالية واللواء « **دافيد اليعازر** » رئيس الأركان و« موشي دايان » وزير الدفاع لبحث الموقف، وقد أوضح « **حوفي** » في الجلسة المذكورة أن حجم القوات السورية الموجودة في الخط الأمامي يسمح لها بشن هجوم كبير دون سابق إنذار. وقد أثار هذا الموقف شكوك ومخاوف « **دايان** » فقام بزيارة تفقدية لجبهة الجولان يوم ٢٦ / ٩ حيث شاهد بنفسه حشوداً كبيرة لمدفعية سورية متوسطة، وعلى إثر ذلك أصدر إلى رئيس الأركان أمراً بضرورة تعزيز قوات الجولان المؤلفة أصلا من لواء مشاة ميكانيكي (لواء « **غولاني** ») منتشر على طول الجبهة في مواقع دفاعية قوية التحصين تحمي طرق الاقتراب المحتملة، ويبلغ عددها ١١ موقعاً ابتداء من شرق « مسعده » في أقصى الشمال إلى « تل الساقي » في أقصى الجنوب شرقي « العال »، ويمتد أمامها خندق مضاد للدبابات عرضه نحو ٤ أمتار وعمقه ٣ أمتار، يعلوه من حافته الغربية جدار ترابي ارتفاعه نحو ٨ أمتار، وتمتد أمام الخندق حقول ألغام، ويعزز لواء المشاة المذكور اللواء المدرع ٣٧، الذي يسميه الإسرائيليون لواء « **براك** »، وكان يضم ٣ كتائب دبابات (الكتائب ٣، ٤، ٥)، وقد وزعت فصائل دبابات في مواقع دفاعية خط ثاني يبعد نحو ٣-٥ كيلومترات وراء الخط الأول، جهزت

بحفر لرماية دبابات والمدافع المضادة للدبابات ومدفعية الميدان، وأحيطت بالأسلاك الشائكة والألغام.

**وقد أمرت رئاسة الأركان اللواء المدرع السابع بتعزيز القوات العاملة المدافعة عن الجولان**، وبالفعل وصلت كتيبة الدبابات السابعة إلى منطقة « كفر نفاخ» قبل بدء نشوب الحرب بعشرة أيام، كما قام قائد اللواء ومعه ضباط الاستطلاع والمدفعية التابعين للواء بتفقد خط الجبهة وتحديد الأهداف المحتملة ومواقع رماية الدبابات والمدفعية ووضع خطط الهجمات المعاكسة المتوقع القيام بها. وبذلك أصبح لدى قيادة الجولان ٤ كتائب دبابات (كانت كلها وقتئذ خاضعة لقيادة اللواء المدرع ٣٧) وبلغ عدد دباباتها يوم ٢ / ١٠/ ٧٣، وفقاً للمصادر الإسرائيلية، ١٧٧ دبابة، فضلاً عن لواء المشاة الميكانيكي الموزع على امتداد الجبهة، وبلغ عدد بطاريات المدفعية في ذلك اليوم ١١ بطارية.

كما تم إبلاغ وحدات مجمعات الألوية الاحتياطية المعدة للقتال في الجبهة الشمالية، وهي مجموعة ألوية « **دان لانر** » ومجموعة ألوية « **رفول أيتان** »، باحتمال إعلان التعبئة العامة، وأعدت ترتيبات إخلاء الهضبة من سكان المستوطنات المدنيين. كما بثت آلاف الألغام الجديدة أمام الخندق المضاد للدبابات وحول المواقع الدفاعية وجرى تعميق الخندق المضاد للدبابات. وفي فجر يوم ٦ / ١٠ استدعي « **إسحق حوفي** » إلى اجتماع في رئاسة الأركان حضره قادة الجبهات الثلاث، وأبلغ « **دافيد اليعازر** » قادة الجبهات بأن الحرب قد تنشب في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه، وأن أوامر التعبئة العامة على وشك الصدور. وكانت بقية كتائب اللواء المدرع السابع (الكتائب١، ٢ المدرعة وكتيبة المشاة الميكانيكية) قد تم تحريكها إلى منطقة «كفر نفاخ - واسط - سنديانه » خلال يوم ٥ / ١٠، وعندما أبلغ قائد اللواء صباح يوم ٦ / ١٠ باحتمال نشوب الحرب خلال هذا اليوم، حددت مهمة اللواء بحماية القطاع الشمالي من « القنيطرة » حتى سفوح « جبل الشيخ » وألحقت به كتيبة الدبابات الرابعة التابعة للواء المدرع ٣٧ نظراً

لوجودها عند « القنيطرة » أصلاً، ولذلك ألحقت كتيبة الدبابات الثانية للواء السابع باللواء ٣٧ عوضاً عنها لتقاتل معه في القطاع الجنوبي الممتد حتى «الرفيد»، حيث كانت القيادة الإسرائيلية تتوقع أن يكون هناك المجهود الثانوي للهجوم السوري،نظراً لأن صور الاستطلاع الجوي كانت توضح أن حوالي ٦٠% من بطاريات المدفعية السورية كانت محتشدة في القطاع الشمالي من الجولان[١].

**وعلى هذا الأساس أصبح لدى اللواء المدرع السابع كتائب الدبابات ١، ٤، ٧** فضلاً عن كتيبة المشاة الميكانيكية التي ألحقت بها سرية دبابات واعتبرت بمثابة احتياطي اللواء. أما اللواء المدرع ٣٧ فقد أصبح يتألف من كتائب الدبابات ٢، ٥ فضلاً عن بقية وحداته المعاونة. واحتفظ بالكتيبة ٣ كاحتياطي لدى قائد الجبهة وبذلك أصبح لدى القوات الإسرائيلية في «الجولان» عند بدء الهجوم السوري لواءان مدرعان يضمان ٥ كتائب دبابات، فضلاً عن كتيبة الدبابات الاحتياطية وكتيبة دبابات لواء غولاني الميكانيكي، أي ما مجموعه ٧ كتائب دبابات.

**وفي مقابل ذلك كان لدى القوات السورية التي ستبدأ الهجوم في اليوم الأول** حوالي ٧٠٠ دبابة بالإضافة إلى الفرقتين المدرعتين الاحتياطيتين. وقد وزع قائد اللواء المدرع السابع كتيبة الدبابات الأولى في المنطقة الواقعة بين الموقع الدفاعي الأول المقابل لمسعدة، المسمى «أ-١» (كانت جميع المواقع يرمز إليها برقم مسلسل إلى جانب حرف أ) والسفوح الجنوبية لجبل الشيخ. كما وزع كتيبة الدبابات الرابعة بين موقعي «أ - ٢» و «أ - ٣» عند «تل البوستر » شمال «القنيطرة » وتمركزت قيادتها في مدينة «القنيطرة » ذاتها، أما الكتيبة السابعة دبابات فكانت موزعة على طريق «كفرنفاخ - واسط ».

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٥٩٢.

وعلى مقربة منها كانت هناك كتيبة المشاة الميكانيكية المعززة بسرية دبابات والمعدة كاحتياطي للواء.

**أما قائد اللواء المدرع ٣٧ فقد وزع كتيبة الدبابات الثانية** بواقع سرية بين موقعي «أ - ٥» و «أ - ٦» اللذين يوجد بينهما «**تل عكاشة** ». وسرية ثانية على مفترق طريق. «الفريد عند موقع «أ - ٧»، حيث يلتقي الطريق الجنوبي القادم من «**العال**» إلى «**البطمية**» **و** «**الصنمين**» بالطريق القادم من «القنيطرة» إلى «**نوى**»، وسرية ثالثة عند موقع «أ - ١١ » المواجه لتل الساقي في أقصى الجنوب. كما وزع كتيبة الدبابات الخامسة بين المواقع «أ - ٦» و «أ - ٩ » على كلا جانبي خط أنابيب النفط «**تابلاين**»، وتمركزت قيادتها على تل «**الجوخدار**». أما قيادة اللواء فكانت في «كفرنفاخ »، وكذلك كانت هناك أيضاً قيادة اللواء المدرع السابع، حيث عقد قائده اجتماعاً ظهر يوم ١٠/٦ لقادة الكتائب، لإبلاغهم باحتمال نشوب الحرب في الساعة السادسة مساء اليوم نفسه قطعه بدء القصف المدفعي التمهيدي للهجوم السوري.

## ثالثاً - الهجوم السوري في الجولان:

**في تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/٦م بدأت المدفعية السورية رميها التمهيدي السابق لهجوم المدرعات والمشاة الميكانيكية الذي استمر نحو** ٩٠ دقيقة، واشترك فيه نحو ١٠٠٠ مدفع، كما أغارت مجموعات من طائرات «الميغ ٢١ » و «سوخوي ٧» على المواقع والتجمعات الإسرائيلية، من ارتفاعات منخفضة. وإثر بدء الرمي المدفعي بقليل، بدأت الموجات الأولى من الدبابات وناقلات الجنود المدرعة السورية تقدمها نحو الخطوط الإسرائيلية تصاحبها «**البلدوزرات** » والدبابات حاملة الجسور، التي أخذت تردم الخندق المضاد للدبابات وتقيم عليه المعابر. وبهذا

أصبح الرمي المدفعي بمثابة مساندة قريبة بالنيران للوحدات المدرعة والميكانيكية خلال المرحلة الأولى من بدء هجومها[1].

وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر كانت الدبابات وناقلات الجنود السورية قد اجتازت الخندق المضاد للدبابات في نقطتي الاختراق الرئيسيتين، الأولى كانت عند «القنيطرة» متجهة نحو الجنوب الغربي، في منطقة بين موقعي «أ - ٢» و «أ - ٣»، والثانية عند «الفريد» متجهة نحو الشمال الغربي على الطريق المؤدي إلى «الخشنية»، حيث كانت الفرقة «٩ » تتقدم في منطقة «تل عكاشة » بين موقعي «أ - ٥ » و «أ - ٦». وكانت الدبابات السورية تتقدم في مجموعات تضم ٧-١٠ دبابات و ٢-٣ ناقلة جنود مدرعة، **ولكن المدرعات كانت تسير متقاربة** من بعضها، ولذلك تعرضت لخسائر فادحة من الدبابات الإسرائيلية المتخندقة في مواقع رماية معدة مسبقاً في الخط الثاني خلال الساعات الأولى من الهجوم ، وحتى لا تقلل المدرعات السورية من سرعة هجومها وتعطي الفرصة للعدو كي يستجمع قواه ويركزها، **عمدت إلى الالتفاف** حول المواقع الدفاعية واندفعت إلى العمق متجنبة السير على الطريق.

وفي الوقت الذي بدأت فيه المدرعات والمشاة الميكانيكية هجومها الرئيسي هذا، كانت هناك **٤ طائرات هليكوبتر من طراز** «س٨» تحمل قوة من المغاوير السوريين وتنزلهم على قمة جبل الشيخ من الخلف حيث هاجموا حامية المرصد الإسرائيلي البالغ عددها نحو ٥٥ جندياً (كان معظمهم يلعبون طاولة الزهر)، وقد تم الاستيلاء على المرصد بعد نصف ساعة من القتال العنيف الذي لم ينج منه سوى ١١ جندياً إسرائيلياً استطاعوا الفرار من الموقع. وقد حاول لواء «غولاني» استرداد المرصد بهجوم معاكس **إلاّ أن**

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١١.

**وحدات المشاة المغربية المرابطة عند سفوح جبل الشيخ** استطاعت أن تصد الهجوم وتقتل ٢٢ جندياً إسرائيلياً وتصيب ٥٠ آخرين بجراح.

## رابعاً - القتال في القطاع الجنوبي من الجولان:

**حقق الهجوم السوري في قطاعي فرقتي المشاة الميكانيكية التاسعة والخامسة بجنوب الجولان نجاحات أولية سريعة**، إذ تمكن اللواءان المدرعان ٤٨ و ٥١ من اختراق خط الدفاع الإسرائيلي جنوب الموقع «أ ٦» عند تل كودنا، واجتازا خط «التابلاين» بالقرب من الخشنية وتقدما بمحاذاة طريق اليهودية إلى عمق نحو ٢٠ كم داخل الهضبة، حتى أصبحا على مشارف بحيرة طبريا. كما استطاع اللواء المدرع ٤٧ واللواء الميكانيكي ١٣٢ اختراق خط الدفاع الإسرائيلي في أقصى جنوب الجولان قرب البطمية، واجتازا طريق «التابلاين » والموقعين الدفاعيين «أ ٩ »و «أ ١٠»، وتقدما نحو قرية العال. وقد واصل قسم من اللواء المدرع ٤٧ تقدمه شمالاً نحو اليهودية، على حين اشتبك القسم الآخر من اللواء ومعه وحدات اللواء الميكانيكي ١٣٢ بطلائع وحدات الاحتياط المدرعة الإسرائيلية التي بدأت تصل إلى المحور الجنوبي للجولان ضمن مجموعة ألوية «دان لانر » مساء يوم ١٠/٦ (إذ كانت هذه المجموعة قد بدأ استدعاؤها منذ صباح يوم ١٠/٦ إثر ورود التقارير التي حصلت عليها الاستخبارات الإسرائيلية فجر ذلك اليوم).

**وتقدمت وراء هذه الألوية المدرعة والميكانيكية بقية وحدات الفرقتين السوريتين** التاسعة والخامسة، وطهرت معظم المواقع الدفاعية الإسرائيلية التي كانت تدافع عنها وحدات من لواء «غولاني»، كما استولت وحدة من مغاوير جيش التحرير الفلسطيني المحمولين بطائرات الهيلكوبتر على «تل فرس» وطهرته من القوة الإسرائيلية التي كانت تدافع عنه.

**ونتيجة لذلك الاختراق شبه الكامل للقطاع الجنوبي من الجولان خلال الساعات** الأولى لبدء القتال، (على الرغم من محاولات الطيران الإسرائيلي اليائسة لإيقاف تقدم المدرعات السورية التي ترتب عليها وقوع خسائر فادحة به نتيجة قوة الدفاع الجوي السوري المستند أساساً إلى صواريخ سام ٦ ومدافع «زد س يو ٢٣ - ٤» الموجهة بالرادار)، تحطم اللواء المدرع الإسرائيلي ٣٧ الذي كان يدافع عن هذا القطاع، ولم يبق لديه في صباح يوم ١٠/٧ سوى ١٢ دبابة انسحبت مع قائد اللواء «بن شوهام» إلى منطقة كفرنفاخ على المحور الأوسط، وسارعت القيادة الإسرائيلية باستكمال تعبئة وحدات الاحتياط وإرسالها بسرعة إلى هضبة الجولان مساء يوم ١٠/٦ وطوال ليلة ٦-٧.

**وكان اللواء المدرع ١٧ (أحد ألوية مجموعة دان لانر) هو أول هذه الوحدات التي** وصلت إلى القطاع الجنوبي من الجولان، وقد دفع قسم من هذا اللواء إلى «العال» لصد القوات السورية المتقدمة نحوها، وعزز بكتيبة مدرعة أخرى تابعة للواء المدرع ١٩ خلال الليل،وأمكن لهذه القوة بعد أن وصلتها تعزيزات أخرى ودعمتها هجمات الطيران الإسرائيلي أن تصد الزحف السوري في هذا القطاع خلال نهار يوم ١٠/٧، بعد قتال عنيف دار في الحقول الواقعة بين «العال» ومستوطنة «رمات مكشيميم». وفي الوقت نفسه كان قسم آخر من اللواء المدرع ١٧ يخوض قتالاً عنيفاً ضد جزء من اللواء المدرع السوري ٤٧ تقدم نحو اليهودية، وتمكن من إيقاف تقدمه. كما وصل اللواء المدرع الاحتياطي ١٤ تعززه بعض وحدات من اللواء المدرع ١٧ على الطريق الموازي لليهودية واشتبك في قتال صد عنيف مع اللوائين المدرعين السوريين ٤٣، ٥١ على مساقة ١٠ كم تقريباً نهر الأردن[(١)].

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٥٩٥.

**وعند ظهر يوم ١٠/٧ تقدمت قوة مدرعة سورية أخرى (تابعة للفرقة المدرعة** الأولى) من منطقة الخشنية وسنديانة نحو معسكر كفرنفاخ، حيث كانت توجد قيادة الجولان ومقر قيادة «**رفول إيتان**»، واستطاعت أن تستولي عليه بعد معركة قصيرة انتهت حوالي الساعة ١,١٥ من بعد ظهر اليوم نفسه بفرار «رفول » من المعسكر والقضاء على بقية اللواء المدرع ٣٧ ومقتل قائده ونائبه وضابط العمليات الخاص به. إلا أن اللواء المدرع الاحتياط ٧٩ استطاع أن يسترد المعسكر في مساء اليوم نفسه بعد قيامه بهجوم معاكس فقد فيه عدداً من دباباته.

**وفي الوقت الذي كانت مجموعة ألوية «دان لانر » تقوم فيه بصد الاندفاع السوري على المحور الجنوبي عند «العال» وتجاه «اليهودية» ويبذل فيه اللواء ٧٩** جهوده لمنع التفاف المدرعات السورية حول مؤخرة قوات مجموعة «**رفول**» التي تقاتل على المحورين الأوسط والشمالي عبر كفرنفاخ، **كانت مجموعة ألوية «موشي بيلد» تقترب** من المحور الجنوبي بسرعة لتساهم في صد الهجوم السوري. وقد عقد اجتماع في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٠/٧ في مقر القيادة العسكرية الإسرائيلية الشمالية، حضره «**حاييم بارليف**» كمندوب عن القيادة العامة بتكليف من «**غولدا مائير**» رئيسة الوزراء، و «**إسحق حوفي** » قائد الجبهة الشمالية، و «**بيلد** »، وعدد من كبار ضباط هذه القيادة، جرى فيه بحث الموقف العسكري الخطير في الجولان، وتقرر على ضوء ذلك شن هجوم مضاد في القطاع الجنوبي صباح اليوم التالي ١٠/٨ بهدف دفع الفرقة الخامسة السورية نحو مفترق «الرفيد - البطمية »، وتهديد الجناح الجنوبي للفرقة التاسعة والفرقة المدرعة الأولى السوريتين اللتين تتخذان من الخشنية مركزاً قيادياً وإدارياً لإدارة وتوجيه الهجوم السوري الرئيسي الذي كان متشعباً إلى ٣ شعب «**الأولى عند كفرنفاخ والثانية إلى الغرب قليلاً** من الأولى لقطع طريق «كفرنفاخ - **جسر بنات يعقوب** »، والثالثة متجهة غرباً على محور «اليهودية» نحو الطرف الشمالي

لبحيرة **طبريا**. وعلى أن يتبع ذلك محاولة تطويق هاتين الفرقتين حو ل الخشنية من الشمال والجنوب.

**وعلى أساس هذه الخطة، أعيد تنظيم وتوزيع قوات مجموعات الألوية الثلاث** العاملة في الجولان، بحيث أصبحت مجموعة «دان لانر» تتألف من اللوائين المدرعين ١٧ و ١٩، ومهمتها الضغط من الشرق قرب «اليهودية » ومن الشمال عند «كفرنفاخ» و «سنديانة ». **وأصبحت مجموعة «موشي بيلد»** تضم الألوية المدرعة ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٦٠، ومهمتها التقدم نحو « البطمية » على محور «العال - الرفيد» بوساطة اللوائين ١٩ و ٦٠، على أن يقوم اللواء المدرع الاحتياطي ١٤ بالزحف شمال هذا الحور نحو مزرعة «القنيطرة» ومستوطنة «غيشور» ثم «الخشنية ». على حين ضمت **مجموعة «رفول إيتان»** في القطاع الشمالي من الجولان، اللواء المدرع السابع وكتيبة مدرعة من الاحتياط كانت تابعة للواء ٣٧ (الذي دمرت كتيبتاه العاملتان) ولواء المظليين الميكانيكي ٣١ ولواء مشاة «غولاني» الميكانيكي، وقد عهد إليها الاستمرار في صد هجوم فرقة المشاة السابعة السورية عند «القنيطرة » وإلى الشمال منها وتأمين الجناح الأيسر لمجموعة «دان لانر»[(١)].

**وقد بدأ هجوم مجموعة «بيلد» في الساعة ٨,٣٠ من صباح يوم ١٠/٨ بهجمات** جوية كثيفة استخدم فيها النابالم وبرمي مدفعي تمهيدي. ثم تقدم اللواء المدرع ١٩ بمنطقة «العال» حيث واجه مقاومة سورية شديدة ألحقت الكثير من الخسائر في دباباته، ولذلك دفع «**بيلد** » بكتيبة من اللواء المدرع ٢٠ إلى يمين اللواء ١٩ للالتفاف حول المواقع السورية في اتجاه «**تل السقي** » ولكنها وقعت في كمين يضم صواريخ مضادة للدبابات ومدافع عديمة الارتداد ١٠٦مم ألحق بها خسائر فادحة. واضطر «بيلد» إلى دفع

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٢.

لوائيه ١٩ و ١٤ فضلاً عن بقية اللواء ٢٠ لاقتحام الدفاع السوري م/د، الذي أقامه اللواء الميكانيكي ١٣٢ بعد انسحابه من منطقة «العال» في المنطقة الواقعة بين «**تل السقي** » و «**الجوخدار**» على كلا جانبي طريق «**العال - الرفيد**»، وكان يضم ٣ سرايا عربات مدرعة مسلحة بصواريخ م/د «ساغر »، وسريتي مدافع ١٠٦، فضلاً عن دعم مدفعي وبعض الدبابات وقد استمرت المعركة حتى حلول مساء يوم ١٠/٨، حيث تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال القسم الأكبر من الدفاعات السورية بعد أن تكبدت خسائر فادحة، ووصلت إثر ذلك إلى مستوطنة «غيشور» و «الجوخدار ».

**وفي الوقت نفسه كانت مجموعة «لانر» تخوض غمار قتال عنيف طوال اليوم. وتكبد اللواء المدرع ١٧ خسائر فادحة على طريق «اليهودية»، كما دمرت له ١٣ دبابة** دفعة واحدة نتيجة لوقوعها في كمين م/د. وفي نهاية اليوم أصبح اللواء يضم كتيبة مدرعة واحدة فقط ووحدة استطلاع وطوال نهار اليوم نفسه كان اللواء المدرع ٧٩ يناور على محور «**التابلاين**» بين «**كفرنفاخ**» و «**سنديانة** »، وفي المساء هاجم اللواء «سنديانة » واستولى عليها بعد أن تكبد خسائر شديدة في الدبابات والأفراد. وقد حاول اللواء المدرع السوري ٩١ (أحد ألوية الفرقة المدرعة الأولى) استرداد «سنديان » في صباح يوم ١٠/٩ بهجوم مضاد مهدت له المدفعية الصاروخية برمي كثيف، إلا أن الهجوم لم ينجح في تحقيق هدفه. وشن اللواء المدرع الإسرائيلي ٧٩ هجوماً آخر في مساء اليوم نفسه على تل «رمثانية » والقرية القريبة منه واستولى عليه قبل الغروب بعد قتال مرير. وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع ١٧ يقترب من محور «**التابلاين** » من جهة الغرب، وبذلك أصبحت مجموعة «**لانر**» توشك أن تغلق الطرف الشمالي للكماشة المطبقة على «الخشنية» من جهة الشمال الغربي.

**أما في الجنوب فقد جددت مجموعة ألوية «بيلد» هجومها صباح يوم ١٠/٩** (وفي هذا اليوم خف الدفاع الجوي السوري في الجبهة بعض الشيء

نظراً لسحب بعض بطاريات صواريخ سام ٦ منها لمواجهة القصف الجوي الإسرائيلي لدمشق وبعض مناطق العمق السوري) فهاجم اللواء المدرع ٢٠ على محور «العال - الرفيد» والى يساره اللواء المدرع ١٤ ثم اللواء المدرع ١٩، الذي نجح في الوصول حوالي الساعة ١١ صباحاً إلى الهضبة المشرفة على **الخشنية** من الجنوب الشرقي. ولقد أنزلت القوات السورية المدافعة عن منطقة الخشنية خسائر كبيرة بقوات الجناح الأيسر للواء ١٤، وحاول اللواء ١٩ تعاونه كتيبة مدرعة من اللواء ١٧ (التابع لمجموعة لانر)، احتلال الهضبة المذكورة، إلا أن المحاولة فشلت بعد أن أصيب عدد كبير من الدبابات الإسرائيلية في الدقائق العشر الأولى للهجوم.

**أما في قطاع اللواء ٢٠، حيث كان اللواء الميكانيكي ١٣٢ السوري قد انسحب لإعادة التنظيم**، وحل محله اللواء المدرع ٤٧، فقد أمكن للإسرائيليين أن يصلوا إلى مشارف «**تل فرس**» عند ظهر اليوم نفسه في وجه مقاومة سورية شديدة ترتب عليها وقوع خسائر كبيرة بين صفوف الإسرائيليين. **وقد شنت وحدات سورية هجوماً معاكساً** إثر ذلك من «**الخشنية**» على مجموعة «**بيلد**» تجاه الشرق، ونتج عن ذلك أن أصبح اللواء المدرع ٢٠ متعرضاً للضغط السوري من الشرق والغرب في آن واحد. **ولذلك دفع** «**بيلد**» باللواء ١٤ للهجوم في وسط جبهته، ونجح هذا اللواء في قطع طريق «**الخشنية - الرفيد** » وبذلك أزال الضغط السوري على اللواء ٢٠ من جهة «الخشنية » (أي على جناحه الأيسر).

وإثر ذلك هاجم اللواء المذكور «**تل فرس**» واستولى عليه بعد تكبده خسائر شديدة، خاصة في وحدة الاستطلاع التابعة له.

**وفي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه، جدد اللواء ١٩ هجومه على الهضبة** المشرفة على «الخشنية» من جهة الجنوب الشرقي مستخدماً كتيبتي دبابات وبمساندة قوية من المدفعية والطيران، الذي ساهم بدور فعال

في التمهيد للهجوم بعد أن ضعف الدفاع الجوي الصاروخي السوري في المنطقة، فاستطاع احتلال الهضبة المذكورة بعد قتال عنيف ضد وحدات اللواء المدرع ٤٣ السوري، ثم أوقف التقدم الإسرائيلي قرب «**الخشنية**» نفسها بعد أن تكبد اللواء ١٩ خسائر فادحة ولم يتبق لديه سوى عديد قليل من الدبابات الصالحة للقتال. وإثر ذلك حاصرت القوات السورية اللواء ١٩ ولكنه استطاع أن يفلت من الحصار خلال ليلة ١٠/٩ وخلال الليلة نفسها قام اللواء **٥١ السوري** بهجوم معاكس من الشرق لتعزيز موقف الفرقة المدرعة الأولى في «الخشنية »، ولكن اللواء المدرع ٢٠ الإسرائيلي استطاع أن يصد الهجوم عند «**تل فرس**». وفي صباح يوم ١٠/١٠ واصلت مجموعة «**بيلد**» هجومها في القطاع الجنوبي، فتقدم اللواء المدرع ٦٠ (الذي كان يحمي الجناح الأيمن طيلة يومي ٨ و ٩ ولم يشترك في القتال) نحو خط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧م عند «الرفيد» واحتل تل «**حانوط**»، كما احتل اللواء ٢٠ بعض المواقع السورية الواقعة في الغرب من «**الرفيد**»، وتقدم اللواء ١٤ في اتجاه الموقع الدفاعي السابق «أ - ٦ »، وتقدم اللواء ١٩ عبر صفوف اللواء ١٤ نحو تل «**كودنا**» واجتاز خلال تقدمة هذا خط وقف إطلاق النار بقوة نصف كتيبة دبابات، إلا أنه اضطر للتوقف نظراً لشدة النيران السورية الصادرة عن التل المذكور التي كادت أن تقضي على دباباته تماماً.

**وعموماً فقد تعرضت جميع الألوية المدرعة الإسرائيلية المشار إليها لمقاومة سورية** شديدة نتج عنها إلحاق خسائر كبيرة بها اضطر معها «حوفي» أن يصدر أمراً إلى «بيلد» بإيقاف هجومه خشية أن تستمر مجموعة الألوية في فقدان دباباتها بنفس المعدل. وفي الوقت نفسه واصلت مجموعة ألوية «لانر» هجومها يوم ١٠/١٠ فتقدم اللواء ٧٩ من جنوبي «القنيطرة » نحو «الخشنية» معتقداً أن القوات السورية قد انسحبت منها ولكنه فوجئ بنيران قاتلة من الصواريخ والمدافع م/د دمرت له ٥ دبابات على الفور كانت تشكل قوة المقدمة. ثم استطاع احتلال التلال القريبة من «الخشنية » بعد أن

بدأت القوات السورية الموجودة بها في الانسحاب خشية تطويقها من الجنوب والشمال. وفي الوقت نفسه كان اللواء ١٧ يهاجم «الرمثانية».

**وعند الظهر أتمت القوات السورية انسحابها فاحتلت المدرعات الإسرائيلية** «الخشنية»، واكتملت بذلك تصفية الاختراق السوري للقطاع الجنوبي من الجولان[1].

## خامساً - القتال في القطاع الشمالي من الجولان:

**قامت فرقة المشاة الميكانيكية السابعة السورية، يدعمها اللواء المدرع** ٧٨ بالهجوم في المنطقة الواقعة بين موقعي « أ - ٢ » و «أ - ٣» الدفاعيين إلى الشمال من مدينة «**القنيطرة**»، تحت حماية المدفعية التي شكلت سداً نارياً زاحفاً أمام المدرعات السورية. وقد ألحقت دبابات الكتيبة المدرعة الرابعة الإسرائيلية (التابعة للواء المدرع السابع) خسائر عديدة بالمدرعات السورية خلال ساعات بعد ظهر يوم ١٠/٦، إلا أن المدرعات السورية استمرت في هجومها باندفاع وقوة، وكانت الدبابات التي تتعطل منها تستمر في الرمي كمدفعية ثابتة.

**واستمر الهجوم خلال الليل، نظراً لأن الدبابات السورية** كانت مجهزة بمعدات الرؤية الليلية، وانتشر جنود المشاة السوريون المسلحون بقواذف «الآر بي جي ٧» في المنطقة لاصطياد الدبابات الإسرائيلية التي أخذت تناور بالحركة وتبدل مواقع إطلاق النار. واشتركت المدفعية الإسرائيلية بعيدة المدى من عيار ١٧٥مم في مساندة المواقع الدفاعية التي حاصرتها القوات السورية. وفي الفترة الواقعة بين الساعة العاشرة من ليلة ٦-٧ حتى الساعة الثالثة من فجر يوم ١٠/٧ درات معركة دبابات عنيفة بين اللواء المدرع

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٤.

السابع الإسرائيلي والمدرعات السورية في السهل الممتد بين مستوطنتي «**حرمونيت**» و «**بوستر** » أسفرت عن إصابة نحو ٤٠ دبابة سورية وعدد كبير من الدبابات الإسرائيلية، كما أصيبت نحو ٣٠ دبابة سورية أخرى في المنطقة الواقعة بين «القنيطرة » والموقع «أـ٤» وصُدت عن التقدم قوة مدرعة سورية أخرى كانت تزحف خلال الليل على طريق «الرفيد - القنيطرة » من الجنوب.

**وأدى ارتفاع خسائر المدرعات السورية، ومناعة المواقع الدفاعية الإسرائيلية** (خاصة فوق التلال المحيطة بالقنيطرة مثل تل أبو الندى)، والتجهيز الجيد المسبق لمواقع إطلاق نار دبابات اللواء المدرع السابع، إلى فقدان الهجوم السوري في الشمال زخمه الرئيسي، وعدم سقوط «القنيطرة» على الرغم من تطويقها من الشمال والجنوب. وبالإضافة إلى ذلك فإن هجوم لواء المشاة المستقل، الذي كان سيحمي الجناح الأيمن لفرقة المشاة السابعة، في أقصى شمال الجبهة فشل، الأمر الذي ترتب عليه تعريض جناح الفرقة الأيمن لهجمات معاكسة من هناك اضطرتها لإيقاف هجومها بعد سلسلة من المعارك استمرت طوال يومي ٧،٨ تشرين الأول (أكتوبر)، تداخلت فيها دبابات الطرفين في كثير من الحالات إلى حد تعذر معه إدارة المعركة بصورة منظمة[١].

**وفي صباح يوم ١٠/٨ لم يبق في اللواء المدرع السابع الإسرائيلي سوى ٣٠ دبابة صالحة للقتال.** ثم وصلت تعزيزات إسرائيلية جديدة إلى اللواء المذكور، فضلاً عن استمرار الدعم الجوي، الذي ساعد في إيقاف الهجوم السوري، خاصة وأن الخسائر في الدبابات كانت كبيرة **(حوالي ٢٦٠ - ٣٠٠ دبابة). ويقول الإسرائيليون إنَّ القوات السورية تركت وراءها في**

---

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٠٠.

**الجولان ٨٦٧ دبابة ما بين مدمرة ومصابة وسليمة. ولا يذكرون خسائرهم المقابلة خلال هذه المرحلة من الحرب، التي يبدو إنها كانت فادحة** هي الأخرى، ولكن نظراً لسيطرة القوات الإسرائيلية على أرض المعركة، واضطرار القوات السورية المهاجمة إلى الانسحاب قبل أن يتوفر لها الوقت الكافي لسحب أو إصلاح الدبابات المصابة إصابات قابلة للإصلاح، فقد كان من الضروري أن تصبح الحصيلة النهائية للخسائر السورية في الدبابات والآليات المدرعة عموماً أكثر من الحصيلة النهائية للخسائر الإسرائيلية المماثلة،وأصبح من الصعب للغاية التوصل إلى معرفة النسبة الفعلية لمعدل الإصابات بالنسبة إلى الطرفين، نظراً لأن أطقم التسليح والصيانة الإسرائيلية تمكنت بطبيعة الحال أن تصلح العديد من الدبابات الإسرائيلية المصابة، بل والسورية أيضاً فيما بعد.

**إلا أنه يبدو وعلى الرغم من ذلك أن معدل الإصابات والخسائر السورية كان أعلى من معدل الإصابات الإسرائيلية** نظراً لكثرة الإصابات التي لحقت بالدبابات السورية المهاجمة نتيجة لدقة الرمي المضاد الإسرائيلي من المواقع المجهزة سلفاً، والتدريب المسبق على أرض المعركة، وتحديد مسافات الرمي إلخ، ونظراً للدور الذي لعبه الطيران الإسرائيلي على الرغم من الخسائر الفادحة التي لحقت به (والتي بلغت في اليوم الأول وحده ٣٠ طائرة «سكاي هوك» و ١٠ طائرات «فانتوم»، خاصة بعد أن ضعف الدفاع الصاروخي الجوي السوري نسبياً،وتعمقت المدرعات السورية داخل الهضبة، واضطرت القيادة السورية إلى سحب بعض بطاريات الصواريخ إلى العاصمة دمشق لحمايتها من القصف الجوي الإسرائيلي[١].

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٤.

## سادساً - القتال في جيب «سعسع»:

**في مساء يوم ١٠/١٠ عقب قيام القوات الإسرائيلية بصد الهجوم السوري** في الجولان واستعادة سيطرتها الكاملة على المنطقة الواقعة غربي خط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧م (باستثناء جبل الشيخ الذي كانت قمته لا تزال في أيدي القوات السورية) قررت القيادة الإسرائيلية مواصلة هجومها المضاد داخل الأراضي السورية بغية الوصول إلى دمشق أو تهديدها بصورة تدفع سورية إلى إنهاء القتال والخروج من تحالفها العسكري مع مصر في هذه الحرب، ومن ثم تتوفر الظروف الملائمة للتركيز على الجبهة المصرية.

لتعويض خسائرها في الدبابات وإمدادها بصواريخ م/ط جديدة، فرض على القيادة الإسرائيلية ضرورة مواصلة هجومها دون توقف للحيلولة دون استعادة الجبهة الشمالية لتوازنها، الأمر الذي سيترتب عليه إعطاء الفرصة المناسبة لتطوير الجيش المصري هجومه شرقاً نحو الممرات. ولذلك تجدد الهجوم المضاد الإسرائيلي في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٠/١١، **وتركز هذه المرة في القطاع الشمالي من الجبهة الذي يعد أقصر محاور التقدم نحو «دمشق »، كما أنه يعتبر** أقل تحصيناً نسبياً نظراً لعدم ملاءمة أرضه الصخرية لحركة المدرعات، ومن ثم اعتبرت القيادة الإسرائيلية القيام بهجوم مدرع في هذا القطاع سيكون غير متوقع لدى القيادة السورية، هذا فصلاً عن أن جبل الشيخ يشكل الجناح الأيسر للقوات الإسرائيلية المهاجمة ومن ثم يتعذر تهديدها بالمدرعات من هناك.

**وبدأت مجموعة «رفول » الهجوم بقصف مدفعي شديد سانده قصف جوي** مركز، ثم تقدمت دبابات اللواء المدرع السابع (بعد أن أعيد تجهيزه بدبابات ووحدات جديدة)، الذي أصبح يضم ٤ كتائب مدرعة، يساندها لواء المظليين الميكانيكي ٣١ نحو « حضر » ومزرعة « بيت جن » و« جبعاتا » «حلاس» و «تل شمس». وبعد ساعتين بدأت مجموعة «لانر» هجوماً آخر

إلى الجنوب قليلاً من مجموعة «رفول »، وذلك على الطريق الرئيسي «القنيطرة - خان أرنبة - سعسع»، بوساطة اللوائين المدرعين ١٧ و ١٩.

**وقد استطاعت وحدات اللواء المدرع السابع أن تحتل «حضر» بعد قتال عنيف اضطر معه لواء المشاة ٦٨ السوري إلى إخلاء القرية**، وقد حاولت هذه الوحدات بعد ذلك احتلال مزرعة «بيت جن» ولكن ٤٠ دبابة سورية شنت عليها هجوماً معاكساً بمساندة الطيران استطاعت أن تصد تقدمها طوال اليوم، كما تمكنت وحدات أخرى من اللواء السابع أن تسيطر على تل صغير يشرف على «**خان أرنبة**»[1] بعد مقاومة سورية عنيفة، ونتيجة لذلك تكونت ثغرة بين الجناح الأيمن لمجموعة «رفول » والجناح الأيسر لمجموعة «لانر»، التي تعرضت هي الأخرى لمقاومة سورية عنيفة للغاية على طريق «القنيطرة - سعسع » أدت إلى إصابة ١٧ دبابة من وحدة استطلاع اللواء المدرع ١٧.

**كما لحقت خسائر شديدة باللواء المدرع ٧٩ أيضاً، الأمر الذي اضطر «لانر» إلى وقف هجومه على هذا المحور تجنباً لمزيد من الخسائر غير** المجدية، ودفع اللواء المدرع ١٩ جنوب الطريق حيث احتل «**تل الشعار**». وقد تعرضت وحدات اللواء المدرع ١٧ خلال الليل لهجمات وحدات مشاة سورية مسلحة بقواذف «آر بي جي »، كانت قد تجاوزتها خلال النهار قرب خان أرنبة (لم يكن لدى اللواء سوى ٥ دبابات فقط صالحة للقتال في نهاية اليوم والباقي إما محطم أو معطل) ولذلك دفع «لانر» بكتيبة مترجلة من المظليين في المنطقة خلال الليل لتطهيرها من قانصي الدبابات السوريين، كما دفع اللواء المدرع ٧٩ بوحدتين لإنقاذ بقايا اللواء ١٧ المحاصرة، وتكبد بعض الخسائر نتيجة لذلك خلال ليلة ١١ -١٢، وقتل قائد إحدى الوحدتين وجرح قائد الأخرى.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفغى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٠٢.

**وفي يوم ١٠/١٢ واصلت وحدات من اللواء المدرع السابع هجومها واستطاعت بعد قتال عنيف استمر حتى الخامسة من مساء اليوم نفسه،** تخللته عدة هجمات معاكسة سورية، أن تستولي على مزرعة «**بيت جن**» التي تعرضت إثر ذلك مباشرة لقصف جوي ومدفعي سوري مركز ، وخلال اليوم نفسه حاولت كتيبتا دبابات من اللواء نفسه احتلال «**تل شمس**»، إلا أن نيران الأسلحة م/د والصواريخ «ساغر» حالت بينها وبين تحقيق هدفها وكبدتها خسائر فادحة. ولذلك دفع «**رفول**» بقوة من المظليين قامت بزحف ليلي صامت ثم هاجمت التل واشتبكت في قتال متلاحم عنيف مع المدافعين أسفر عن احتلال التل في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٠/١٣، وإثر ذلك ركزت المدفعية والطيران السوريين نيرانهما على التل لمدة ٣ ساعات، ثم شن المشاة السوريون تساندهم بعض الدبابات ٣ هجمات معاكسة قوية خلال الأيام الثلاثة التالية لاسترداد التل كبدوا فيها القوات الإسرائيلية خسائر فادحة ومنعوها من مواصلة التقدم في هذه المنطقة تماماً، ولكن التل بقي في أيدي الإسرائيليين حتى نهاية الحرب. وفي اليوم نفسه حاولت مجموعة «**لانر**» التقدم نحو «**كناكر**» إلى الجنوب من الطريق في محاولة للالتفاف حول «**سعسع**»، إلاّ أنها فشلت في محاولتها هذه، وتكبد لواءاها ١٧ و١٩ خسائر فادحة، وأسفرت هذه المحاولة عن احتلال «**كفرناسج**» و «التل ١٢٧» الواقع على بعد ٤ كم جنوبي «كناكر».

## سابعاً - الهجمات المعاكسة العراقية والأردنية:

**إثر نشوب الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة في ١٠/٦ قررت الحكومة العراقية** المشاركة فيها، على الرغم من عدم علمها المسبق بقرار مصر وسورية ببدء القتال في اليوم المذكور، ولذلك طار رئيس الأركان العراقي **الفريق أول عبد الجبار شنشل ومعه** عدد من كبار الضباط إلى دمشق صباح يوم ١٠/٧ لبحث تفاصيل الدعم العسكري العراقي مع القادة

السورين. واتفق على **إرسال الفرقتين المدرعتين الثالثة والسادسة العراقيتين** إلى الجبهة السورية في أسرع وقت ممكن، فضلاً عن سرب من طائرات «ميغ٢١»، وسربي «سوخوي - ٧»، وسرب «ميغ -١٧»[1].

**وقد وصل اللواء المدرع ١٢ التابع للفرقة المدرعة الثالثة إلى دمشق** ليلة ١٠ -١١ **بعد رحلة قطع فيها ١٢٠٠كم**، وتمركز مساء يوم ١٠/١١ في «الصنمين» على بُعد نحو ٥٠ كم جنوب دمشق على الطريق المؤدي إلى «**الشيخ مسكين**» و «**درعا**»، ليكون في موقع يمكنه من سد الثغرة التي وجدت بين الفرقة التاسعة السورية التي تصد الهجوم الإسرائيلي عند محور «**القنيطرة** - سعسع» والفرقة الخامسة التي انتشرت على الطريقين المتفرعين من «الفرفيد» إلى كل من «**نوى والصنمين**» في القطاع الجنوبي من الجبهة، وهي ثغرة كانت القيادة السورية تخشى قيام المدرعات الإسرائيلية بحركة التفاف تتم عبرها حول الجناح الجنوبي لخط الدفاع السوري الذي تعذر عليها اختراقه في الشمال والوسط.

**وقد بدأ اللواء المدرع ١٢ يستعد لشن هجوم معاكس** على الجناح الجنوبي لمجموعة «لانر»، دون أن تتوفر له فرصة كافية لإجراء استطلاع دقيق لمسرح عملياته المتوقعة أو لتنظيم دخوله المعركة بصورة سليمة نظراً لضيق الوقت المتاح له، ولذلك قام اللواء بهجومه هذا في صباح يوم ١٠/١٢ في المنطقة الواقعة بين «**مسحرة** » و «**كفرناسج**» حيث تعرض لنيران كمين رادع إسرائيلي أقامته مجموعة «لانر». ونشبت على الأثر معركة عنيفة استمرت حتى الفجر فقد خلالها اللواء المدرع العراقي نحو ٤٠ دبابة.

**وفي اليوم نفسه عبر اللواء المدرع ٤٠ الأردني الحدود السورية واحتشد في منطقة «الشيخ مسكين»، ثم تقدم يوم ١٠/١٦ في اتجاه «تل**

---

1 - الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٥.

**مسحرة**» وعندما وصل إلى مقابل تل «**المال**» توجه غرباً وهناك اصطدم باللواء المدرع ١٧ الإسرائيلي وفقد نحو ٢٠ دبابة. وشن **اللواء المدرع ٦ العراقي** الذي وصل إلى الجبهة، هجوماً خلال اليوم نفسه من «**كفرشمس**» في اتجاه تل «**عنتر** » و «**العليقة**» صده اللواءان المدرعان الإسرائيليان ١٩ و ٢٠.

**وفي يوم ١٧ /١٠ حلت مجموعة «بيلد محل مجموعة «لانر» في القطاع الجنوبي من** الجيب، نظراً لشدة الخسائر والإرهاق الذي لحق المجموعة المذكورة، ولكن اللوائين ١٩ و ٢٠ ظلا في القطاع نفسه تحت قيادة «**بيلد**». وقامت كتيبة مظليين إسرائيلية تابعة للواء ٣١ بهجوم خلال ليلة ١٧-١٨ استولت فيه على قرية «**أم باطنة**» الواقعة على بعد ٦ كم شرقي «**القنيطرة**»، وذلك بهدف توسيع قاعدة الجيب الإسرائيلي تجاه الجنوب[١].

**وفي يوم ١٩ /١٠ شن اللواء المدرع السادس وجزء من اللواء الثامن الميكانيكي (التابعان للفرقة المدرعة العراقية الثالثة) هجوماً معاكساً على القوات الإسرائيلية** في تل «**عنتر**» **وتل** «**العلاقية**» اشتركت فيه نحو ١٣٠ دبابة و ١٠٠ ناقلة جنود مدرعة مهدت له المدفعية برمي مركز، وتصدى اللواءان المدرعان ١٩ و ٢٠ لهذا الهجوم، الذي اتخذ شكل ٣ هجمات متتابعة، واستمر القتال لمدة ٧ ساعات تقلصت خلالها قوة اللواء المدرع ٢٠ الإسرائيلي، التي كانت تضم كتيبة ونصف من الدبابات، إلى نصف كتيبة فقط. وفي الوقت نفسه **قام اللواء المدرع ٤٠ الأردني بهجوم معاكس من منطقة تل** «**الحارّة**» نحو جناح قوات «بيلد» في تل «مسحرة»

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعهة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٠٤.

وتل «المال»، واستمر القتال بين الطرفين حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر، ثم انسحب اللواء الأردني بعد أن أصيبت ٢٠ دبابة من دباباته، وكذلك أمكن للقوات الإسرائيلية أن تصد الهجوم العراقي (الذي تكرر في هذا اليوم ثلاث مرات) بعد أن تكبدت خسائر فادحة.

وطوال هذه الفترة كانت تجري في القطاعين الأوسط والشمالي هجمات إسرائيلية وأخرى سورية صغيرة، معظمها ليلة، تستهدف تحسين المواقع التكتيكية للطرفين.

**وهكذا فشل الاختراق الإسرائيلي للجبهة السورية التي نجحت قواتها في التصدي بعنف للهجوم المضاد الإسرائيلي**، واستطاعت أن تسحب قواتها ببطء وتماسك نحو خط الدفاع الثاني المعد مسبقاً على محور «سعسع» حيث أوقف الهجوم تماماً، خاصة وأن وصول القوات العراقية والأردنية إلى الجبهة وحمايتها لجناحها الجنوبي وقيامها بهجمات معاكسة استنزفت جهود القوات المدرعة الإسرائيلية، قد ساعد على ثبات الجبهة، وحال دون نجاح مناورات الالتفاف التي درجت عليها المدرعات الإسرائيلية من قبل. وقد تجمد الموقف بعد ذلك على هذا النحو **وأخذت القوات السورية التي أعادت تنظيمها والقوات العراقية التي تكاملت في هذا القطاع، (الفرقة المدرعة ٣ والفرقة المدرعة ٦ ولواء قوات خاصة ولواء المشاة ٢٠) واللواءان الأردنيان (٤٠ و ٩٢) تستعد لشن** هجوم معاكس لتصفية جيب (سعسع).

**ولكن هذا الهجوم لم يتم بسبب صدور قرار وقف إطلاق النار وتنفيذه يوم ٢٣ / ١٠.**

وفي يوم ٢١ / ١٠ قام لواء غولاني وكتيبة مظليين محمولة بطائرات الهليكوبتر بهجوم على جبل الشيخ ونجح في استرداد المرصد الموجود في قمته من القوات السورية.

وتقدر الخسائر السورية في هذه الحرب بنحو ٣٥٠٠ شهيد و٣٧٠ أسيراً ونحو ١١٥٠ دبابة، أما القوات العراقية فكانت خسائرها ١١١ دبابة وناقلة جنود مدرعة و٢٤٩ آلية نقل ٨٣٥ شهيداً و٧٣ مفقوداً و٢٧١ جريحاً، وفقدت القوات الأردنية نحو ٥٠ دبابة. وليست هناك أرقام دقيقة عن خسائر الطيران (بالنسبة إلى الطرفين) وتزعم المصادر الاسرائيلية أنها خسرت نحو ٢٥٠ دبابة و٧٧٢ قتيلاً و ٢٤٥٢ جريحاً و ٦٥ أسيراً، وما أخفته إسرائيل أعظم!؟.



## الفَصْلُ الثَّالِثُ

# نظرة تحليلية للعمليات الجوية والبحرية والإلكترونية في حرب عام ١٩٧٣م

### أولاً - العمليات الجوية في حرب ١٩٧٣م:

**عند بدء الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية انطلقت نحو ٢٠٠ طائرة فوق سيناء، من بينها ٣٤ طائرة هنتر عراقية، لتساند الهجوم البري بقصف جوي في العمق العملياتي استهدف مطارات (المليز) و (بير تمادا) و (رأس نصراني) (والأخير يقع** في منطقة شرم الشيخ على خليج العقبة)، و١٠ مواقع صواريخ أرض - جو طراز (هوك)، وموقعي مدفعية بعيدة المدى من طراز (م - ١٠٧) عيار ١٧٥ مم، وثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وإنذار، ومحطتا تشويش إلكتروني في (أم خشيب)و (أم مرجم) و(الأولى تقع على جبل قريب من ممر الجدي والثانية تقع على جبل شمالي غربي مطار (والمليز) قرب (بير جفجافة)، و٣ مناطق شؤون إدارية، وإحدى نقاط خط بارليف القوية شرق بور فؤاد (قرب بور سعيد). كما قدمت الطائرات دعماً قريباً للقوات المهاجمة لخط بارليف أثناء عمليات العبور الأولى التي رافقها قصف مدفعي مركز. وقد شاركت في هذه العمليات

طائرات من طراز (ميغ ٢١م ف) و (سوخري - ٧) و (ميغ ١٧) وكانت تحلق في الوقت نفسه مظلة جوية فوق الأراضي المصرية تضم ٢٤ طائرة (ميغ ٢١) أخرى[١].

**وفي الوقت نفسه كانت زهاء ١٠٠ طائرة سورية من الأنواع المذكورة تهاجم معسكري (شرياشوف) و (مشمار هايردين) في سهل الحولة والمعسكرات الأخرى الموجودة في هضبة الجولان، مثل معسكر كفر نفاخ، وموقع جبل الشيخ،** ودارت خلال هذه الهجمات بعض الاشتباكات الجوية مع الطيران الإسرائيلي. وإثر ذلك بوقت قصير (نحو ٤٠ دقيقة على الجبهة المصرية) بدأت الطائرات الاسرائيلية محاولات هجومية على القوات المصرية التي بدأت عبور القناة والمدرعات السورية المتقدمة في الجولان، ولكنها اصطدمت بشبكة الدفاع الجوي القوي في كلتا الجبهتين، التي استندت على تنسيق **فعال بين مختلف أنواع المدفعية م / ط والصواريخ سام ٢ و ٣ و ٦ و ٧**، وحالت بينها وبين تحقيق أهدافها، ملحقة بها خسائر فادحة (خاصة عند المعابر والجسور الجاري إقامتها في القناة)، وقد بلغ عدد طلعات الطيران الاسرائيلي خلال ساعات النهار المتبقية من يوم ٦ / ١٠ فوق الجبهة المصرية ٤٤٦ طلعة، كما بلغ عدد الطلعات خلال ليلة ٦ - ٧ فوق الجبهة نفسها ٢٦٢ طلعة.

**وفي صباح يوم ٧/ ١٠ استأنف الطيران الإسرائيلي هجماته التكتيكية على الجبهتين، مركزاً جهوده الرئيسية على الجبهة السورية التي كانت تشكل خطراً** مباشراً على الأرض المحتلة في فلسطين، وتحمّل خلال ذلك الهجوم مزيداً من الخسائر الفادحة بوساطة الدفاع الجوي في معظم الحالات. وقد حاولت الطائرات الإسرائيلية في صباح ذلك اليوم أن تدمر الجسور

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٦.

العائمة المقامة فوق القناة بهجمات جرت على ارتفاعات شديدة الانخفاض، إلا أن المدافع م / ط والرشاشات (خاصة رشاشات «زد س يو - ٢٣- ٤» الرباعية السبطانات والموجهة بالرادار من فوق مجنزرات) وصواريخ سام ٧ (التي كانت تطلق من فوق أكتاف الجنود أو في شكل صليات جماعية من العربات المدرعة التي تحمل الواحدة منها ٦ - ٨ صواريخ) استطاعت أن تصدها عن الاستمرار في الاقتراب من أهدافها على هذا النحو وأجبرتها على الارتفاع خارج المدى المؤثر لها، فتلقفتها صواريخ « سام ٦» وأسقطت العديد منها.

**وإثر ذلك ركز الطيران الإسرائيلي هجماته على القواعد الجوية المصرية في «القطامية» و«المنصورة» و«قويسنا» و«شبراخيت» و«الصالحية» و«طنطا» و «أبو حماد » و «جناكليس » و «بير عرضية» و «بني سويف»**، إلا أن فاعلية الدفاع المستند إلى تعاون وثيق بين طائرات «الميغ - ٢١» المعترضة والصواريخ والمدفعية م/ط وأجهزة الرادار الخاصة بالإنذار المبكر وإدارة النيران والمراقبين البصريين المنتشرين عند جميع طرق الاقتراب المحتملة، حالت دون وصول الطائرات الإسرائيلية إلى المطارات، باستثناء مطارين فقط، ولم تدمر أية طائرة مصرية على الأرض طوال أيام الهجوم الجوي الإسرائيلي على هذه القواعد، والتي استمرت سبعة أيام، نظراً لاحتمائها بملاجئ مبنية من الإسمنت المسلح، كما أن الإصابات التي لحقت بمدارج الطائرات أمكن إصلاحها بسرعة نظراً لوجود وحدات مهندسين جيدة الإعداد والتدريب قادرة على إبطال مفعول القنابل الموقوتة التي تلقيها الطائرات الإسرائيلية وإصلاح المدارج بسرعة إثر ذلك[١].

**وكانت طائرات«الميغ ٢١» بمثابة الخط الدفاعي الأول الذي يصد الطائرات الإسرائيلية عادة فوق البحر أو عند أطراف الدلتا الشمالية**

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٣٢.

**ويجبرها** على إلقاء حمولتها من القنابل بعيداً عن أهدافها في معظم الحالات، وإسقاط بعضها في معارك جوية، أثبتت فيها «الميغ ٢١» قدرة كبيرة على المناورة وتحدي «الفانتوم» و «الميراج ٣ سي» في الارتفاعات العالية. وقد حاول الطيران الإسرائيلي بعد ذلك مهاجمة محطات الرادار المصرية لفتح ثغرة في الدفاع الجوي، إلا أن محاولاته لم تسفر إلا عن إلحاق بعض الأضرار ببعض الأجهزة، دون أن تفتح مثل هذه الثغرة، ومقابل خسائر شديدة ألحقتها به المدفعية والرشاشات التي كانت تحمي هذه المحطات.

كما أن وسائل التشويش الإلكتروني التي كانت تستخدمها طائرات المظلة الجوية الإسرائيلية أثناء الهجمات لم تكن ذات أثر كبير على أجهزة الدفاع الجوي التي عرفت كيف تواجهها بعمليات مضادة. كما تركزت الغارات الجوية الإسرائيلية على مدينة بورسعيد، لفتح ثغرة في جدار الصواريخ من شمال الجبهة، ولاجتذاب جزء من احتياطي القيادة البرية المصرية إلى المنطقة على أساس إيهامها بأن القصف الجوي الإسرائيلي لبور سعيد على هذا النحو المكثف ليس إلا تمهيداً لعملية إنزال جوي وبحري، ودارت معارك عنيفة طوال الفترة الواقعة بين يومي ١٠/٨ و ١٠/١٥ فوق المدينة بين الطائرات الإسرائيلية وأسلحة الدفاع الجوي المصرية أُسقط فيها كثير من الطائرات المعادية، كما دُمرت خلالها ٤ بطاريات صواريخ سام مصرية وعند نهاية القتال في ٢٤ /١٠ /٧٣ كان الطيران الإسرائيلي قد قام بنحو ٩٣٠ طلعة طيران فوق المدينة، فقد خلالها عشرات من طائراته.

**وبقي دور الطيران الإسرائيلي المساند للقوات البرية على الجبهة المصرية مجمد الفاعلية من الناحية الإيجابية طوال الفترة الواقعة بين ١٠/٦ و ١٦ ١٠، نظراً لأن القوات** البرية المصرية كانت تقاتل تحت مظلة الصواريخ، إلى أن عبرت قوات «**شارون**» إلى الضفة الغربية عبر ثغرة الدفرسوار وأخذت تهاجم بطاريات الصواريخ القريبة،وتدمر بعضها وتجبر بعضها الآخر على الانسحاب إلى الخلف بعض الشيء، وكان نتيجة هذا

الهجوم (خاصة بعد أن توسع غرباً وجنوباً خلال الأيام التالية حتى يوم ٢٣ و ١٠/٢٤) أن اكتسب الطيران الإسرائيلي درجة أكبر من حرية الحركة والمناورة على الجبهة المصرية، ساعدت على تطوير عمليات القوات المدرعة الإسرائيلية التي انتهت بتطويق مدينة السويس وعزل جزء من قوات الجيش المصري الثالث على الضفة الشرقية.

**وقد اضطرت القيادة الجوية المصرية أن تدفع بجزء كبير من قوتها خلال هذه المرحلة الحرجة من الحرب لتسد النقص** في وسائل الدفاع الجوي فوق مسرح العمليات الحربية، وتحاول صد تقدم القوات البرية الإسرائيلية، وتخفف من وطأة الهجمات الجوية على القوات المشتركة في معارك الثغرة. وقد استخدمت خلال هذه الفترة قاذفات «ت يو - ١٦» في قصف ليلي لمنطقة العبور، كما استخدمت طائرات الهيلكوبتر في إلقاء النابالم على المناطق الزراعية المغطاة بنباتات كثيفة على الضفة الغربية للقناة قرب «الدفرسوار» و «فايد»، فضلاً عن استخدام الأنواع الأخرى من الطائرات (ميغ ٢١ وميغ ١٧ وسوخوي ٧). ونشبت خلال هذه المرحلة معارك جوية عدة بين الطرفين تكبد فيها الطيران المصري خسائر كبيرة نسبياً بالقياس للمرحلة السابقة من القتال.

**أما في الجبهة السورية فقد استمر الطيران الإسرائيلي في تركيزه الهجومي على** المدرعات والقوات الميكانيكية السورية المهاجمة في الجولان خلال الأيام الثلاثة الأولى من الحرب، على الرغم من فداحة الخسائر التي تحملها نتيجة لقوة الدفاع الجوي السوري، وأدى ذلك إلى تدمير عدد كبير من المدرعات السورية، الأمر الذي ساعد القوات البرية الإسرائيلية على صد الهجوم السوري والانتقال إلى الهجوم المضاد.

**وابتداءً من يوم ١٠/٨ أخذ الطيران الإسرائيلي يهاجم العمق** السوري بعنف، فقصفت أهدافاً عسكرية ومدنية في دمشق، كما هاجم محطة الكهرباء

ومصفاة النفط في حمص، وخزانات النفط في طرطوس واللاذقية، ودارت معارك جوية عديدة بينه وبين الطيران السوري فقد خلالها عدداً من الطائرات، واستمر الطيران السوري يقدم دعمه القريب للقوات البرية خلال معارك صد الهجوم المضاد الإسرائيلي في جيب سعسع وفوق جبل الشيخ حتى نهاية الحرب.

**وليس هناك من شك في أن الأسلحة الجوية العربية، أي السلاحان الجويان المصري والسوري أساساً (شارك سرب من طائرات الهنتر العراقية فوق الجبهة المصرية وسرب من طائرات ميغ ٢١ وسربين من طائرات سوخوي ٧ وسرب ميغ - ١٧ العراقية أيضاً فوق الجبهة السورية، كما قدمت ليبيا ٣٨ طائرة ميراج** إلى مصر استخدمها طيارون مصريون في بعض العمليات الهجومية داخل سيناء) قد لعبت دوراً هاماً في حرب ١٩٧٣م، يختلف جذرياً عن حرب ١٩٦٧م التي دُمرت فيها معظم الطائرات العربية على الأرض في اليوم الأول، كما أنها استطاعت أن تبقى على تواجدها الهجومي المحدد نسبياً طوال فترة الحرب، فضلاً عن تواجدها الدفاعي الأكثر فاعلية في التصدي للهجمات الجوية الإسرائيلية في العمق، خاصة فوق الدلتا في مصر، إلا أن الطيران الإسرائيلي استمر محافظاً على تفوقه فوق عمق الخطوط الإسرائيلية، ومن ثم لم تتعرقل كثيراً عمليات نقل القوات الاحتياطية البرية إلى جبهتي سيناء والجولان، وكذلك لم تتأثر كثيراً خطوط مواصلات هذه القوات وحركة إمدادها بمتطلبات شؤونها الإدارية، كما أدى ذلك أيضاً إلى تقييد مدى عمليات القوات البرية العربية بمدى فاعلية شبكة الصواريخ المضادة للطائرات، خاصة في سيناء، الأمر الذي كان له نتائجه غير المباشرة على تطور العمليات البرية.

## ثانياً: العمليات البحرية في حرب ١٩٧٣م:

**عشية نشوب الحرب كان ميزان القوى البحرية بين الطرفين على النحو التالي:**

سورية: أما السلاح البحري السوري فكان يضم ٨ زوارق صورايخ (٦ كومار و ٢ أوسا) و ١٧ زورق طوربيد (سوفييتية الصنع)، و٣ زوارق دورية (فرنسية بنيت عام ١٩٣٩)، و ٤ كاسحات ألغام (سوفييتية الصنع ٢ منها للأسطول و ٢ ساحلية).

إسرائيل: كان لدى البحرية الإسرائيلية غواصتان (إنجليزية الصنع)، و ١٤ زورق صواريخ (١٢ منها طراز «ساعر» فرنسية الصنع، و ٢ طراز «رشاف» صنعت في إسرائيل تحت إشراف فرنسي، وكلها مسلحة بصواريخ «غبرييل») و ٩ زوارق طوربيد (يابانية وفرنسية الصنع)، و ٢٠ زورق دورية (يابانية وألمانية وبريطانية وأمريكية الصنع أو التصميم)، و ١٠ سفن إنزال صغيرة.

آ- العمليات البحرية على الجبهة المصرية: كانت وحدات الأسطول المصري موزعة على البحرين الأبيض والأحمر(وكذلك كانت الوحدات الإسرائيلية) وتعمل في قاعدتي الإسكندرية وبورسعيد في البحر الأبيض المتوسط، والغردقة وسفاجة في البحر الأحمر. ونتيجة لغلق قناة السويس منذ حرب ١٩٦٧م، واستحالة المرور فيها، تم تنظيم وإعداد قواعد كل من البحرين بحيث تكون مستقلة تماماً ومسؤولة عن إدارة علمياتها بمفردها. وقد أعدت خطة العمليات البحرية المصرية بحيث تكون عمليات مساندة لعمليات القوات البرية وأن يجري معظمها، خاصة في البحر الأبيض المتوسط، ضمن إطار الدفاع الجوي البري حتى لا تتعرض السفن لمخاطر التفوق الجوي الإسرائيلي، في ظل عدم تخطي عمليات الطيران المصري لإطار عمليات المساندة القريبة والإغارة في العمق العملياتي للعدو ضمن حدود معينة. فقام يوم ١٠/٦ سرب من زوارق الدورية من طراز «سوي» المسلحة بقواذف الصواريخ العادية بقصف تجمعات العدو وموقع لمدفعيته الثقيلة عند «رمانة » الواقعة على مسافة نحو ٤٠ كم شرقي القناة قرب شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وفي الوقت نفسه قصف زورق آخر من

**الطراز المذكور مرسى للعدو في «رأس برون» الواقع إلى الشمال من «رمانة»، حيث دمرت محطة رادار كان العدو الإسرائيلي قد أقامها هناك لمراقبة تحركات السفن أمام بور سعيد.**

**وفي البحر الأحمر قامت بعض الزوارق المذكورة بقصف** مواقع العدو في منطقة «**رأس سدر**» على الشاطئ الشرقي لخليج السويس، كما قام سرب من زوارق الصواريخ الموجهة بقصف مواقع العدو في «شرم الشيخ» عند مدخل العقبة في مضائق تيران، وقامت وحدة من الضفادع البشرية بتعطيل أجهزة الحفر في آبار البترول البحرية المقامة في «بلاعيم» قرب الشاطئ الشرقي لخليج السويس إلى الجنوب من «أبو رديس».

**ولم تلاق هذه العمليات التي جرت يوم ١٠/٦ أية مقاومة بحرية مضادة. وفي اليوم نفسه قامت قوة من مدمرتين وغواصتين بإغلاق مضيق** باب المندب في أقصى جنوب البحر الأحمر في وجه الملاحة الإسرائيلية، وقد رست المدمرتان بالقرب من ميناء عدن بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، على حين كانت الغواصتان تقومان بأعمال الدورية إلى الشمال منها حيث اعترضتا سفينة نقل إسرائيلية وإصابتها إحدى الغواصتين بطوربيدين عيار ٢١ بوصة (ومن المعتقد أنها غرقت). وكان معدل السفن الإسرائيلية التي تجتاز مضيق باب المندب قبل نشوب حرب ١٩٧٣م يبلغ ١٨ سفينة في الشهر، وإثر فرض الحصار توقفت الملاحة الإسرائيلية عبره تماماً حتى رفع الحصار في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه[١].

**وفي ليلة ٧-٨ تشرين الأول (اكتوبر) اشتبكت بعض زوارق** الصواريخ الموجهة المصرية مع وحدات بحرية إسرائيلية قرب المنطقة المواجهة لرمانة في البحر الأبيض المتوسط وأغرقت قطعة منها (مجهولة

---

(١) اللواء د. إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٣٦.

النوع). كما اشتبكت مجموعة من زوارق الصواريخ المذكورة في ليلة ٨-٩ مع ثلاث مجموعات من زوارق الصواريخ الإسرائيلية، كل منها تضم ٣ زوارق، وذلك في منطقة تقع بين «دمياط » وبحيرة «البرلس» في شمال الدلتا، وكانت طائرات الهليكوبتر المسلحة بصواريخ مضادة للسفن مشتركة في المعركة من الجانب الإسرائيلي. وقد أغرقت البحرية المصرية خلال هذا الاشتباك ٤ زوارق إسرائيلية يقال إنها خسرت ثلاثة زوارق بالمقابل. **وكانت هذه هي أول معركة بحرية في العالم تجري بالصواريخ سطح - سطح من الطرفين.**

**وفي ليلة ٩-١٠ أغارت فصيلة من المغاوير البحريين المصريين على منطقة** «أبو ردبة» على الشاطئ الشرقي لخليج السويس ولغمت مفارق الطرق البرية بالمنطقة ونسفت مستودعات البترول الموجودة فيها. كما قامت وحدة بحرية بزرع ألغام في الممرات المائية المؤدية إلى مرفأ بلاعيم. وقد أدى ذلك إلى إغراق ناقلة نفط تبلغ حمولتها ٤٦ ألف طن اسمها «سيروس»، بالإضافة لسفينة حمولتها ٢٠٠٠ طن.

**كما حاولت وحدات خاصة من المغاوير البحريين والضفادع البشرية التابعين للبحرية الإسرائيلية الإغارة في ليلة ١١-١٢ على مرسى «الأدبية» و «السادات» قرب** السويس، وفقدت نتيجة لذلك زورق دورية من طراز «دبور» الأمريكي وزوارق مطاط.

**وفي ليلة ١٥ -١٦ دارت معركة كبيرة قرب شاطئ «أبو قير» الواقعة على بعد** كيلومترات قليلة شرقي الإسكندرية بين سرب من زوارق الصواريخ الموجهة المصرية، كان يكمن خلف جزيرة **«دسوقي»** قرب مرسى «أبو قير»، ساندته صواريخ ساحلية أرض - بحر من طراز **«ساملييت»**، مع أربعة زوارق صواريخ إسرائيلية كانت تحاول مهاجمة مرسى **«أبو قير»**، وقد أغرقت ٣ زوارق من الزوارق الإسرائيلية في

المعركة التي استمرت حتى فجر اليوم التالي، حيث أجهزت الطائرات على الزورق الثالث الذي كان مصاباً أمام رشيد، وقد حصلت عناصر الاستطلاع البحري المصري على صاروخ «**غبرييل**» بكامله في هذا الزورق قبل غرقه، وتم فحصه فنياً حيث تبين أنه تجميع لأجزاء فرنسية وإيطالية وبه بعض الإضافات الإسرائيلية البسيطة.

**وفي الليلة نفسها أغارت مجموعة من المغاوير البحريين المصرية على منطقة** «الشيخ بيتان» جنوب «الطور» على شاطئ خليج السويس الشرقي. وفي ليلة ١٦-١٧ أغارت مجموعة من الضفادع البشرية الإسرائيلية على ميناء بور سعيد فقتل عدد منهم، وأغرق قارب مطاط لهم. كما أغارت مجموعة أخرى من المغاوير الإسرائيليين ليلة ١٤ -١٥ على مرسى «رأس غارب» على الشاطئ الغربي لخليج السويس. وطوال فترة العمليات كانت الغواصات المصرية تقوم بأعمال الدوريات في شرق البحر الأبيض المتوسط تجاه الطرق المائية المؤدية إلى الموانئ الموجودة بفلسطين المحتلة مثل «حيفا» و «تل أبيب» و «أشدود»، ولذلك انخفض عدد السفن التي كانت تدخل هذه الموانئ من ٢٠٠ سفينة في المتوسط شهرياً إلى ٢٣ سفينة فقط في الفترة ما بين ٧٣/١٠/٦ و ١٩٧٣/١٠/٣٠م ، ويعتقد أن الغواصات المصرية أغرقت خلال هذه الفترة سفينتي نقل إسرائيليتين في البحر الأبيض المتوسط.

**ب - العمليات على الجبهة السورية: اتخذ السلاح البحري السوري موقف الدفاع طوال فترة الحرب، نظراً لأن ميزان القوة البحري وعدم توفر المساندة الجوية الكافية لم يسمحا له بممارسة عمليات هجومية، خاصة وأن الساحل اللبناني كان يفصل بينه وبين الساحل الفلسطيني، ومن ثم كانت المسافة كبيرة نسبياً بين قواعده في «اللاذقية» و «طرطوس» وبين الموانئ والأهداف الساحلية الإسرائيلية. أما البحرية الإسرائيلية قد مارست نشاطاً هجومياً مكثفاً على الموانئ السورية، بمساعدة ودعم الطيران وطائرات الهليكوبتر المسلحة بالصواريخ. إذ هاجمت «اللاذقية» و«طرطوس» في ليلتي**

**١١ - ١٢ و ١٢ - ١٣ تشرين الأول (أكتوبر)، بمعاونة الطيران والهليكوبتر، وقصفت صهاريج البترول والمنشآت الموجودة بهما وكذلك في «بانياس».**

**وفي يومي ١٠/١٤ و ٢٠ /١٠ نشبت معركتان بحريتان بين الزوارق** السورية، تساندها المدفعية الساحلية (المعركة الأولى جرت خلال الليل)، والزوارق الإسرائيلية أسفرت عن إغراق ٤ زوارق إسرائيلية، ولا تعرف الخسائر السورية بدقة[١].

**وعموماً فقد أتاح التفوق الجوي الإسرائيلي، خارج إطار الدفاع الجوي العربي، قدرة كبيرة لزوارق الصواريخ الإسرائيلية على الحركة الهجومية السريعة في البحر الأبيض المتوسط، على الرغم من أن معظم العمليات كانت تجري تحت ستار الظلام،** وذلك لأن الحماية الجوية كانت تكفل لها سبيل مواصلة الانسحاب خلال النهار دون أن تخشى كثيراً من مطاردة الطيران أو البحرية لهما، **واقتصر دور البحرية المصرية على** المساندة التكتيكية للقوات البرية في شمال سيناء، وتنفيذ الإغارات البرمائية بوساطة الوحدات الخاصة (وبالذات في البحر الأحمر)، والدفاع الفعّال عن موانئ الإسكندرية وبورسعيد والغردقة وسفاجة،فضلاً عن الدور الاستراتيجي غير المباشر الذي لعبته في فرض حصار باب المندب،الذي شكل أول تطبيق فعّال للخنق الاستراتيجي المضاد لإسرائيل في البحر الأحمر منذ العام ١٩٥٦ (ولفترة قصيرة للغاية قبيل حرب ١٩٦٧م)، حين احتلت القوات الإسرائيلية شرم الشيخ. ولقد كشف هذاالخنق زيف نظرية الأمن الإسرائيلية التي تعتبر أن السيطرة على مضايق تيران تكفل لها حرية الملاحة عبر خليج العقبة وضمان تجارة إسرائيل مع شرق وجنوب أفريقيا وآسيا وحصولها على النفط

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٩.

الإيراني، ومن ثم تعتبر «شرم الشيخ» جزءاً من حدودها الآمنة في أقصى الجنوب.

### ثالثاً: الجانب الإلكتروني من الحرب:

**فاجأ انتهاء حرب الاستنزاف، ووضع قرار وقف إطلاق النار موضع التنفيذ في** ٧ آب (أغسطس) ١٩٧٠م، الجانبين المصري والإسرائيلي وهما في غمرة استعدادهما لخوض جولة ثانية من الصراع. واستمر تدفق الأسلحة المتطورة عليهما، فاستقبلت مصر المزيد من صواريخ «سام -٢» المعدلة وصواريخ «سام - ٣» وسائر معدات الإسناد الراداري اللازمة لهما، كما حصلت في الأسابيع القليلة التي أعقبت وقف إطلاق النار على معدات سوفياتية حديثة تضمنت المدافع ذاتية الحركة المضادة للطائرات «شيلكا زد - اس - يو - ٢٣ - ٤» -ZSU ٢٣-٤، كما تضمنت أعداداً قليلة من صواريخ «سام - ٤» المحملة على عربات مجنزرة، وكلاهما يظهر لأول مرة خارج نطاق دول حلف وارسو. وفي الجانب المقابل، استقبلت إسرائيل ما لا يقل عن مئتين من حواضن الطائرات الإلكترونية المضادة من أحدث الأنواع، وهي تتميز بأنها تعطي إشارة ضوئية في مقصورة الطيار تنذره بانطلاق صاروخ معاد واتجاهه نحوه لتمكينه من التشويش والقيام بمناورة لتفادي الخطر، وعند ذلك تنطلق موجات مضادة من رادار التشويش على متن الطائرة أوتوماتيكياً على الترددات السوفياتية نفسها لتحدث اضطراباً في توجيه الصواريخ(١).

**وعلى الرغم من قرار وقف إطلاق النار، فقد أخذت مصر في تحريك قواعد** صواريخها باتجاه منطقة وقف إطلاق النيران، وفي إدخال قواعد

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧١٩.

إطلاق صواريخ «سام - ٣» لأول مرة إلى المواقع المتقدمة من الجبهة. وبدا واضحاً أن الخطة المصرية تهدف إلى إنشاء جدار من الصواريخ في منطقة وقف إطلاق النار نفسها، يزحف ببطء نحو القناة وذلك بهدف حرمان خط بارليف من غطائه الجوي الفعال، وقد أكدت ذلك تقارير تقدمت بها إسرائيل إلى المحافل الدولية تشكو فيها قيام مصر بخرق شروط وقف إطلاق النار. ففي ٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠م قدم تقرير يشير إلى أن ٤٥ موقعاً للصواريخ تم إنشاؤها داخل منطقة وقف إطلاق النار تحوي ما يقارب ٢٧٠ قاعدة لإطلاق الصواريخ. وفي ١١ أيلول (سبتمبر) قدم تقرير آخر يشير إلى وجود ٩٠ موقعاً لإطلاق الصواريخ في تلك المنطقة، بما فيها صواريخ «سام - ٣». وفي ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٠م صرح «**أهارون ياريف**» رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية آنذاك: «أن نظام الدفاع الصاروخي الذي أقيم بمحاذاة الضفة الغربية للقناة، وهو أحد أكثر الأنظمة تقدماً في العالم»، وأضاف أنه يحوي عدداً من قواعد الإطلاق يتراوح بين (٥٠٠ - ٦٠٠) قاعدة. وفي ٣ كانون الأول (ديسمبر) صرح ناطق إسرائيلي عسكري مشيراً إلى أن عدد مواقع إطلاق صواريخ «سام - ٣» أصبح يتراوح بين (٧٥ - ٨٥) موقعاً.

**وقد تميز جدار الصواريخ المصري الجديد بأن معظم قواعد الإطلاق فيه أصبحت** قواعد محمولة، بما في ذلك قواعد إطلاق «سام - ٢»، مما يضفي عليه طابع المرونة، بالمقارنة بالجدار السابق الذي بني إبان حرب الاستنزاف، وكان يعتمد في غالبيته على القواعد الترسانية الثابتة. وفي المقابل، فقد استمرت شحنات الأسلحة الأمريكية المتقدمة إلى إسرائيل وعلى وجه الخصوص أعداداً ضخمة من طائرات الفانتوم والسكايهوك.

**أما بالنسبة إلى الجبهة السورية، فقد شمل الغموض شحنات الأسلحة الإلكترونية المتطورة التي وصلتها من الاتحاد السوفياتي في المرحلة ما بين حرب** ١٩٦٧موحرب ١٩٧٣م، ولم تظهر على حقيقتها إلا بعد نشوب القتال.

**واستمر السباق حتى يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م، عندما نشبت المعركة الإلكترونية الثانية في التاريخ، واستطاعت مصر وسورية مفاجئة العدو الصهيوني والعالم فيها بشبكة من الصواريخ أرض** - جو الموجهة التي قامت بتأمين التغطية على جبهتي السويس والجولان، وإسقاط أعداد كبيرة من الطائرات المعادية التي حاولت اختراق الجبهتين المذكورتين. وقد ضمت هذه الشبكة صواريخ سوفياتية الصنع من طراز «**سام - ٢**» المعدل، و«**سام - ٣**» و«سام - ٤»، و«سام٦»، و«**سام ٧**» المحمول بوساطة الأفراد والآليات، ومدافع شيلكا ذاتية الحركة. وبهذه الشبكة أمكن تحقيق حماية فعالة متكاملة الأبعاد ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة ومرتفعة. وقد فقد العدو الكثير من طائراته في الأيام الأولى للقتال بفضل الصاروخ «سام - ٦»، وكانت تحاول المناورة إلى الأعلى لتجنبه فتجد أمامها الصاروخ (سام-٢) أو (سام-٣)، كما كانت تحاول المناورة إلى الأسفل فتجد أمامها الصاروخ «سام - ٧» أو نيران المدافع المضادة الموجهة بالرادار من طراز «شيلكا زد.أس. يو - ٢٣ - ٤».

**وقد بذل العدو الصهيوني أقصى ما يمكنه** لاستعادة سيطرته الجوية السابقة أثناء الحرب، **واستخدمت أحدث ما في الترسانة الأمريكية من أجهزة إلكترونية** مضادة. ولقد استخدم الأجهزة المضادة للرادار، وصواريخ شرايك، وطريقة بث بالونات أو **دفقات حرارية** لتضليل صواريخ «سام - ٦» و«سام - ٧»، ولكن ليس هناك ما يدل على أن إجراءاته أدت مهماتها بنجاح يماثل فعالية هذه الصواريخ، لأن ما استخدم فعلاً لم يعط نتائج جيدة. وقد اضطر العدو للاعتماد بشكل واسع على النصلات التي تلقيها الطائرات **واستخدم بشكل خاص موزع النصلات (رقائق معدنية أو زجاجية تلقى من الجو ولها خاصية عكس الموجات الرادارية والتشويش عليها) المحمول جواً من طراز AN/ALE-٢٩. كما بذلت الولايات المتحدة جهدها في دعم العدو الصهيوني، ومن مظاهر هذا الدعم: قيام سلاح الجو الأمريكي بتوجيه طلب**

إلى **شركة (لندي** إلكترونيكس Lundy Electronics)، وهي المزود الرئيسي له بالنصلات الزجاجية، من أجل تحويل إنتاجها من النصلات لمدة شهرين إلى دولة الكيان الصهيوني. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم تحويل أكثر من ٥٠٠٠٠ حزمة من النصلات من مخازن سلاح الجو الأمريكي إلى العدو خلال الأسبوع الأول من اندلاع القتال وأرسل إلى إسرائيل ٢٠موزع نصلات من نوع (AN/ALE-٣٨) الذي يحمل ما زنته ١٥٠ كيلو غرام من النصلات. وتم أيضاً تعديل معدات التشويش الإلكتروني الأمريكية التي يستخدمها العدو، وتشمل: حواضن (AN/ALQ-٧١) من صنع شركة هيوز، وحواضن (QRC-٣٣٥) من صنع شركة وستنغهاوس، وحواضن (AN/ALT-٢٧) من صنع شركة لينون، لتحييد قواعد صواريخ «سام - ٢» و«سام - ٣» الثابتة. أما قواعد «سام - ٦» المتحركة فقد كانت تشكل المعضلة الأكثر التي لم تستطع معدات التشويش الإلكتروني مواجهتها لعدم وجود جهاز باستطاعته التشويش ضمن نطاق ترددات نطاق واسع جداً(١).

**ولما لم تأت الوسائل سابقة الذكر بالفائدة المرجوة**، لجأ طيارو العدو إلى إطلاق دفقات أو بالونات حرارية لتضليل أجهزة توجيه صاروخي«سام - ٦» و«سام - ٧» التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء، ثم القيام بمناورات جوية لتجنبهما. وعلى الرغم من أن هذه الوسيلة كانت تنجح أحياناً، إلا أنها كانت تضع الطائرات المعادية في مواجهة وسائط النار المضادة الأخرى، خاصة وإن وسائل النيران المضادة التقليدية استخدمت بفعالية كبيرة في الحرب من قبل الجانب العربي، إلا أنها كانت وسائل متطورة موجهة رادارياً.

**وبالإضافة إلى أنظمة الصواريخ أرض - جو الموجهة، فقد استخدمت في الصراع الإلكتروني الدائر بين الطائرة ووسائل الدفاع الأرضية صواريخ**

---

(١) اللواء الدكتور: إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٤١

**أخرى موجهة تحملها** الطائرات (صواريخ جو - جو، وجو - أرض). وقد استخدمت الصواريخ جو - جو على نطاق محدود في المواجهات الجوية بين الطائرات العربية والصهيونية ومنها: الصواريخ الموجهة بالرادار مثل الصاروخ الأميركي «**سبارو** - ٣» الذي تحمله طائرات الفانتوم والسكايهوك. والصواريخ الموجهة بأجهزة توجيه حرارية (بالأشعة تحت الحمراء مثل الصاروخ «**سايدوندر**» الأميركي الذي تحمله طائرات الفانتوم. والسكاي هوك أيضاً ومن هذه الصواريخ «**أتول Atoll**» الذي تحمله طائرات «الميغ - ٢١» السوفييتية، و «شفرير» المصنوع في إسرائيل.

**كما استخدمت الطائرات المعادية صواريخ جو - أرض موجهة لضرب شبكات** الصواريخ العربية الأرضية المضادة، مثل صاروخ «شرايك» ذو التوجيه السلبي لتدمير هوائيات الرادارات الأرضية. ولكن يبدو أن استخدام هذا الصاروخ لم يكن فعالاً، وخصوصاً بعد استخدام صواريخ «سام - ٦ - » المحمولة ذات أنظمة التوجيه المتطورة، بدليل ضخامة خسائر سلاح جو العدو وبدليل المساعدات التقنية المتخصصة الضخمة التي تلقاها من الولايات المتحدة أثناء وبعد الحرب لمواجهة الحرب الإلكترونية العربية. وقد تلقى العدو صواريخ جو - أرض تكتيكية أخرى من الأنواع التالية: «ستاندر آرم» الموجهة ضد شبكات الرادار الأرضية أيضاً. و «مافريك» الموجهة بوساطة كاميرا تلفيزيونية في رأس الصاروخ، ويتم توجيهها بأن يختار الطيار الهدف الذي يظهر على شاشة تلفيزيونية في مقصورته ويناور بحيث تلتقط الكاميرا التلفيزيونية في الصاروخ صورة الهدف ثم يطلقه فيتوجه أوتوماتيكياً نحوه. وقد صممت هذه الصواريخ أساساً لقصف الدروع والمنعات المحصنة، ولكل منها رأس حربي خارق يزن ٥٩ كيلوغرام، ويبلغ مداه حوالي ٨ كيلو مترات.

**ولم يقتصر استخدام الطائرات المعادية لصواريخ جو** - أرض الموجهة، بل تعدى ذلك إلى استخدام أنواع من قنابل الطائرات التكتيكية

المزودة بأجهزة ملاحة وتوجيه إلكترونية توجهها نحو الهدف. وقد تلقى العدو أثناء وبعد حرب ١٩٧٣م عدداً من هذه القنابل - الباهظة التكلفة - لقصف الأهداف العربية الأرضية التكتيكية، وهي قنابل «سمارت» بنوعيها الموجهة بأشعة ليزر والموجهة بالتلفزيون[١].

**وتنبغي ملاحظة أن جميع هذه الأنظمة والأسلحة المتطورة التي استخدمها العدو** والتي حصل عليها من الولايات المتحدة، من أجل إعادة فرض سيطرته فوق الأجواء العربية، لم تثبت جدواها حتى في حرب الاستنزاف على جبهة الجولان السورية. وبقي نظام «سام - ٦» والأنظمة الدفاعية الأخرى المساندة **(مثل نظام شيلكا)** يحد من هذه السيطرة. كما تجدر الإشارة إلى أن ارتفاع خسائر العدو الجوية في المعدات والأفراد نتيجة كفاءة وفعالية أنظمة الدفاع العربية، وفشل إجراءاته الإلكترونية المضادة، جعله يلجأ إلى استخدام الطائرات الموجهة عن بعد والتي تطير بدون طيارين من طراز (رايان فايربي) بشكل مكثف لغايات الاستطلاع والتشويش الإلكتروني للتخفيف من خسائره البشرية. إلا أن العديد من هذه الطائرات أسقط وبالتالي لم يكن استخدامها كبير الفاعلية.

**وكان لأقمار التجسس العسكرية السوفياتية والأميركية دورها**، أيضاً. في هذا الصراع، وقد جرت العادة على قيام الدولتين الأعظم باستخدام هذه الأقمار في مواجهة إحداهما الأخرى، ولكنها استُخدمت استثناءً إبان حرب ١٩٧٣م، وساعدت على تعزيز اطّلاع حكومة كل من الدولتين على مجريات المعارك. ومرة أخرى، تفوقت الإجراءات الإلكترونية السوفياتية: فقد حصل السوفيات، بوساطة الأقمار، على معلومات عن المعارك أكثر من أي طرف دولي آخر، إذا كان لديهم ثلاثة أقمار عاملة في الوقت نفسه - من طراز

---

(١) الموسوعة العسكرية - إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت عام ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص٧٢١.

«**كوزموس**» يتم استعادتها وإطلاق غيرها كل ثلاثة أيام، طيلة مدة القتال. ولهذا فقد كان بإمكانهم الحصول على معلومات دقيقة عن المعارك وتحرك القوات من خلال الإرسال اللاسلكي - التلفزيوني الذي تبثه الأقمار، وعن طريق استعادة المشاهد المصورة من الأقمار بعد إعادتها.

**أما في الجانب المقابل، فقد فاجأت حرب ١٩٧٣م الولايات المتحدة في حين لم** يكن لديها سوى مركبة فضائية واحدة أطلقتها في السابع من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣م. وعلى الرغم من أن الجرم الفضائي الأميركي الضخم «٦٤٧» الذي يدور في مدار دائم على ارتفاع يبلغ ٣٨ ألف كيلو متر فوق المحيط الهندي بسرعة تساوي سرعة الأرض حول محورها، كان بإمكانه مراقبة ما يجري من زاوية معينة، إلا أنه لم يكن من المتاح الاعتماد عليه بشكل أساسي لهذا السبب من جهة، ولكونه يحتاج إلى وساطة شبكة استقبال أرضية وأقمار اتصال أخرى في نقل المعلومات إلى البيت الأبيض في الطرف الآخر من الكرة الأرضية من جهة ثانية.

**وقد دلت الدروس المستفادة من حرب ١٩٧٣م على أهمية قمر التجسس** كعامل استطلاع فعال في المعركة، إذ مكنته التطورات الهامة في العلوم الفضائية وفي البصريات والإلكترونيات، من سماع ومشاهدة أدق التفاصيل على الأرض في النقاط التي يوجه إليها مسبقاً، وتكوين فكرة شاملة عنها من دون أن تعيقه حدود الأفق بالنظر لارتفاعه الشاهق في السماء وحركته حول الأرض. وبالتالي فقد دخل باب المبارزة الواسع بين الإلكترونيات والإلكترونيات المضادة.

# الفَصْلُ الرَّابِعُ

## الإبداع في السياسة والحرب
## في حرب تشرين عام ١٩٧٣م

**إن استقراء ماضي أمة من الأمم وفهم حاضرها، يقدم دلالات ومعطيات تمدنا** بالخطوط العريضة لمستقبل هذه الأمة... والأمة العربية التي خلقت أقدم الحضارات، التي لاتزال أوابدها ماثلة للعيان في كل قطر، وحضارتها خالدة في كل سفر، قد تعرضت لموجات من الغزو التتري والمغولي والصليبي، والتركي، والأوروبي الحديث، وخرجت منها جميعاً متحررة منتصرة، هذه الأمة هي اليوم أمام موجة استعمارية استيطانية لم يشهد تاريخ البشرية لها مثيلاً خلال آلاف السنين، فأبسط وصف لها أنها تجميع من المغامرين يقتلون ويشردون شعباً آمناً عن وطنه وأرضه.

**إن كل هذه المئات من السنين العجاف من الاستعمار والذل،** والقهر كانت قد طبعت الإنسان العربي بالصبر والجلد، كما أن هذه السنين الأليمة قد خلقت الكبت تلو الكبت، والضغط تلو الضغط، لآمال العرب العادلة، وتطلعاتهم الحقة، حتى كان وجود إسرائيل العامل الأول في زيادة حدة هذه الضغوط ولا سيَّما بعد عدوان حزيران عام ١٩٦٧م؟

**إن خمسة وعشرين عاماً، من الصلف والغرور العسكري الإسرائيلي، ومن** الجهل والتجاهل العربي، حيث لم تكن الحكومات العربية قد عرفت

نفسها واختبرت أساليبها حتى كان حزيران كشفاً لفشل الاستراتيجية العربية، ومنعطفاً للدراسة العلمية للاستراتيجية المعتمدة ووضع الأسس الكفيلة لنجاحها مستقبلاً. وهكذا بدأت دراسة عميقة ومستفيضة للاعتبارات التي أصبحت مطلوبة والعوامل التي ظهرت بعد عدوان حزيران١٩٦٧م الذي زلزل الوجدان العربي كما زلزل العقل العربي.

**أ - دروس حزيران ١٩٦٧م:**

**لقد كان حزيران نكسة عسكرية** مرة، كما كان ولادة لعقل عربي جديد. عقل يبحث عما خلف الظواهر ليصل الأسباب فيدركها، وهكذا بدأت عملية تشريح حزيران وما قبل حزيران لأن شخصية الأمة تاريخها. كما بدأت عملية تحليل الواقع بكل أبعاده، **فكانت النتائج التالية دروساً حفرت بعمق في الوعي العربي وهي:**

**أولاً:** إنَّ العالم لا يحترم إلا الأقوياء.

**ثانياً:** إنَّ ما أُخذ بالقوة لا يُستردُّ بغير القوة.

**ثالثاً:** يمكن أن تكون للوحدة العربية صور متعددة، ولكن أهم ما يجب العمل على تحقيقه، هو عقدة الهدف.

**رابعاً:** ترى بعض القوى في العالم أن من مصلحتها الإبقاء على حالة اللاسلم واللاحرب.

**خامساً:** الدعم الأمريكي الكامل لإسرائيل في جميع المجالات ولاسيَّما في مجال التسليح.

**سادساً:** غرور إسرائيل وتحديها للرأي العام العالمي وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وإصرارها على البقاء في الأراضي العربية المحتلة بالقوة ورفضها الاعتراف بالكيان الفلسطيني.

**سابعاً:** يعتمد العدو على نظام التعبئة والذي يُعتقد أنه دقيق وسريع.

**ثامناً**: يتمتع العدو بتفوق جويّ وبقدرته على تهديد أهدافنا في العمق.

**تاسعاً**: يرتكز العدو على مانع مائي قوي أقام خلفه مباشرة خطاً دفاعياً حصيناً (خط بارليف).

**عاشراً**: اقتناع العدو بكفاءة أجهزة مخابراته وبحصانة مواقعه الدفاعية وبتفوق قواته.

**حادي عشر**: تشكيل القوة الرئيسية للقوات الإسرائيلية من المدرعات والعناصر الميكانيكية وتمتعها بخفة حركية عالية وقدرة كبيرة على المناورة.

**ثاني عشر**: قدرة إسرائيل محدودة على خوض حرب طويلة.

**ثالث عشر**: تحقق لإسرائيل عمق استراتيجي وفرته سيناء بعد عدوان عام ١٩٦٧م، ومدى تأثير ذلك على عمليات العدو وعملياتنا.

**رابع عشر**: ضرورة وجود نظام دفاعي جوي عربي حديث وقوي.

**خامس عشر**: التفوق الساحق لعناصر مدفعية الميدان العربية.

**سادس عشر**: التفوق العددي للقوة العربية البشرية.

**سابع عشر**: ضرورة ارتفاع كفاءة ونوعية المقاتل العربي بعد حرب عام ١٩٦٧م، بالتدريب والتوعية[١].

### ب - أسس الاستراتيجية العربية التي خلقت تشرين:

على ضوء الدروس السابقة وعلى ضوء هذه الاعتبارات وغيرها رسمت القيادة السياسية العربية استراتيجيتها الجديدة اعتماداً **على أسس ومبادئ أهمها مايلي**:

**أولاً** : وضع دول العالم أمام مسؤولياتها.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٤٦.

**ثانياً** : عزل إسرائيل سياسياً.

**ثالثاً** : العمل على إقناع القوى الكبرى العالمية بأن مصلحتها الحقيقية بيد العرب.

**رابعاً:** اتخاذ سياسة إعلامية مدروسة ومتناسقة لخدمة الهدف السياسي العام.

**خامساً:** حسن استخدام كل الطاقات المتاحة في المعركة حتى يمكن ضمان تحقيق النجاح.

**سادساً:** الاستمرار بالظهور بمظهر من يستجدي الحل السلمي.

**سابعاً:** الاستفادة إلى أقصى حد من نقاط ضعف العدو ولا سيَّما الغرور الإسرائيلي.

**ثامناً** : هدم نظرية الأمن الإسرائيلي، التي تعتمد على الحدود الآمنة.

**تاسعاً:** حرمان العدو من المبادأة ولا سيَّما حين بدء القتال.

**عاشراً:** تأكيدنا وترسيخنا لقناعة العدو أننا مسالمون مخذولون وأن الوقت مازال مبكراً جداً على تمام الاستعداد للمعركة.

**حادي عشر:** العمل على إزالة الفتور في العلاقات العربية.

**ثاني عشر:** التنسيق الكامل والعلمي في كل الأصعدة بين القطرين العربيين سورية ومصر.

**ج - أسباب قرار الحرب:**

لقد خرجت القيادة السياسية العربية بنتيجة، بعد أن أعادت دراسة الموقف ومؤداها أن لاحلّ ولا اتجاه نحو أي حل إلا **بالقيام بعمل عسكري لأسباب هي:**

**أولاً: مصلحة القوى العالمية الكبرى في الإبقاء على الوضع كما هو**

**وذلك تجنباً** للصراع فيما بينها ولبقاء إسرائيل ضاغطة على الدول العربية لمنعها من ملاحقة التطور وإبقائها على ما هي عليه من تخلف وذلك تيسيراً للقوى الكبرى العالمية للاستمرار في استنزاف ثروات شعوب المنطقة واستغلال مواردها وطاقاتها لخدمة مصالحها.

**ثانياً: لقد وصل الغرور الإسرائيلي بعد عدوان حزيران١٩٦٧م إلى** حدود خيالية، بدرجة أسكرت إسرائيل، فهي تتحدى ليس الدول المحيطة بها فقط، أو حتى الدول العربية كلها وإنما تتحدى أيضاً الرأي العام العالمي وقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة وتصر على الاستمرار في احتلال أراضي الغير بالقوة وترفض أن تعترف ليس بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وإنما بالوجود الفلسطيني ذاته أيضاً.

**ثالثاً: إنَّ إسرائيل قد أخذت تعربد بقوتها العسكرية في المنطقة** بشكل جعل العالم ينظر إلى سكوت العرب على أنه استسلام الضعيف وليس على أنه صبر القادر، من كل هذا اتخذت القيادة السياسية العربية قرار الحرب فكان قراراً تاريخياً لم يقتصر أثره على منطقتنا فحسب بل شمل العالم أجمع، كما لم يكن هذا الأثر محدوداً بوقت القتال فحسب بل إنه يتعداه إلى آماد طويلة مقبلة، ولم يكن أثر القرار محصوراً في النواحي العسكرية، ولكنه أثر أيضاً في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

**ثم انتقل قرار الحرب إلى القيادة العسكرية لترسم خططها بعد اجتماع** عام عقد في الإسكندرية وتتالت الاجتماعات ونوقشت ودرست الخطط الموضوعة من كل الوجوه، وكان التركيز على تطبيق معظم مبادئ الحرب ولاسيَّما المفاجأة التي سنوضحها بدراسة ما أبدعه العرب في ميادين الزمان والمكان ووسائل الصراع وطرائق استخدام وسائط الصراع.

### د - الإبداع بخطة الخداع السياسي:

**أولاً: قال الرسول العربي: (الحرب خدعة) وهكذا قام العرب** في

سورية ومصر بأروع مناورة سياسية لخدمة وتحقيق أهدافهم الحربية العادلة، فقد أوعز لأجهزة الإعلام في الجمهورية العربية السورية أن تبرز أهمية زيارة الرئيس حافظ الأسد القادمة للمناطق الشرقية، وهكذا ركزت وسائل التلفزيون والإذاعة والصحف معظم أنبائها عن الاستعدادات للترتيبات لزيارة السيد الرئيس الأسد وأهداف هذه الزيارة. كان ذلك قبل حرب تشرين بأيام، مما طمأن العدو الصهيوني على انشغال الدولة بكاملها بالأمور الداخلية عن كل ماهو حرب أو تحرير[١].

كما **بدأت أجهزة الإعلام العربية في القطرين العربيين مصر وسورية بحملة** كبيرة تظهر خوف الجمهوريتين، ولاسيَّما القطر العربي السوري من هجوم إسرائيلي مباغت بحرب خاطفة، وكثرت النداءات إلى دول العالم لتأخذ مسؤولياتها في حفظ الأمن والسلام الدوليين من المحتلين الصهاينة، كما أثار الإعلام العربي موضوع الحل السلمي وضرورة إيجاد حل بالطرق الدبلوماسية للوضع في المنطقة، مع العلم المسبق أن إسرائيل لا تنسحب من أي شبر دون قتال.

**ثانياً: لم تكن جولة حافظ إسماعيل مستشار رئيس جمهورية مصر آنذاك عام ١٩٧٣م، إلى موسكو ولندن وواشنطن، وحضوره اجتماعات الأمم المتحدة، ثم زيارته لبون، إلا حلقة من حلقات الخداع الاستراتيجي، وكذلك ذهاب وزير خارجية مصر** السيد محمد حسن الزيات آنذاك إلى نيودلهي وبكين، ثم اجتماعه يوم الخامس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م مع الدكتور هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ووزراء خارجية المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والجمهورية اللبنانية. وصرح ماكلوسكي المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية بأن

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص ٦٤٨.

اجتماعات كيسنجر مع الوزراء العرب لم تأتِ بجديد، مالم يقدم كيسنجر مشروعاً جديداً للسلام في الشرق الأوسط، وأنه اتفق مع أبا **إيبان** وزير خارجية إسرائيل على أن يستأنف معه مناقشة أزمة الشرق الأوسط عند عودة **إيبان** للولايات المتحدة الأمريكية في كانون عام ١٩٧٣م.

**ثالثاً: للولايات المتحدة الأمريكية في دولة إيران قاعدة سرية، وبالضبط في جنوبها قرب الخليج العربي** مهمتها التقاط واستماع الرسائل الإذاعية السياسية والعسكرية في دول الشرق الأوسط، إلا أنه عندما سألت المخابرات الإسرائيلية المخابرات الأمريكية عن نوايا مصر في الهجوم قيل لهم إن مصر تعد لمواجهة ضربة إسرائيلية متوقعة تقوم بها انتقاماً لما حدث في معسكر (شونار) بالنمسا وقالت جولدا **مائير آنذاك**:

(طمئنوا العرب فإننا لن نقوم بهجوم عليهم).

**وهكذا** اكتملت حلقة أخرى من حلقات الخداع الاستراتيجي، على الرغم من وجود هذه القاعدة التجسسية، وعلى الرغم من وجود مخابرات أمريكا وغيرها في المنطقة.

**رابعاً: كما قد صدرت الأوامر التحذيرية للباعة والتجار بتأمين حاجيات الشعب** في شهر رمضان المبارك، ولاسيَّما المواد التموينية الأساسية، وقد تناقلته وكالات الأنباء سريعاً كدلالة على انشغال الحكومة المصرية في المشاكل الداخلية، وهو بلا شك دليل خادع على ضعف الحكومة وانشغالها عن كل ما يتعلق باحتلال الأرض أو نوايا التحرير.

**خامساً: كما قامت القيادة العسكرية في القطر العربي السوري بتسريح مجموعات من العسكريين الموجودين فعلاً** في الخدمة العسكرية، وهذا العمل كان في نظر القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية، لاسيَّما بعد عدم الرد بالصواريخ على هجومهم الجوي قبيل حرب تشرين، دليلاً قاطعاً على عدم استعداد العرب السوريين للحرب أو لأي عمل عسكري.

**سادساً: وفي جمهورية مصر العربية أصدرت القيادة العسكرية أوامرها بالسماح للعسكريين بالذهاب في إجازات الحج**، وقد منحت القيادة عدداً كبيراً من العسكريين إجازات مختلفة، وإذا بشوارع مصر تعج بالمجازين، وهذا مظهر يدل على عدم استنفار الجيش. كما أصدرت القيادة العسكرية المصرية أوامرها في صباح السادس من تشرين الأول ١٩٧٣م إلى مجموعات من الجنود العرب المصريين بخلع ثيابهم والسباحة الهادئة في قناة السويس كما قامت مجموعات أخرى بالجلوس على الطريقة الشرقية وتظاهرت بالكسل والتثاؤب والعبث بالمياه كما صدرت الأوامر للآخرين باللعب واللهو الظاهر للعدو بمختلف أنواعه، وهكذا نام العسكر في خنادقهم منذ الليلة السابقة للهجوم بدون خوذ ودون أن يظهر أي منهم رأسه خارج الخندق باستثناء المكلفين كمجموعات خداع ورصد.

## هـ - الإبداع في الزمان:

**أولاً: إنَّ تحديد يوم السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م ، وبالضبط** الساعة الثانية ظهراً، لم يكن من قبيل المصادفة، أو كيفما اتفق، وإنما تحدد اليوم، وتحددت الساعة بعد دراسات مستفيضة، فقد كان هنالك اختلاف بين طبيعة الجبهتين المصرية والسورية من الناحية التضاريسية والطوبوغرافية والمناخية[١].

**ثانياً: كان القادة والمختصون قد طرحوا للبحث والنقاش رأيين متباينين،** ومختلفين، فالمصريون لا يمكنهم العبور إلا بعد دراسات علمية هائلة لطبيعة المد والجزر لبرزخ السويس ومعرفة منسوب المياه في اليوم والساعة وسرعة تيارات المياه لتحديد ارتفاع الجسور ولدراسة تأثير ذلك على مجمل العمليات الحربية.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٥٠.

كما لايمكنهم الهجوم صباحاً لأن ذلك يعطي الإسرائيليين أثمن وقت في النهار لمدة اثنتي عشرة ساعة يستطيعون خلالها تدمير رؤوس الجسور بالطيران، كما كان المصريون بأمس الحاجة لليلة مقمرة كي يتمكن المهندسون من تركيب الجسور خلال الليل وكي تتمكن القوات من إتمام عبورها ليلاً إضافة إلى أن هجومهم إن تم صباحاً فتكون الشمس في وجوههم، وفي ظهر العدو مما يجعل معظم عمليات الرصد والمراقبة والطيران وغيره في غير صالح العرب المصريين. وأمكن تلخيص ما يريدون بليلة مقمرة ومنسوب مياه معين ومد وجزر معين في القناة والهجوم مساء إضافة إلى العوامل الهامة الأخرى مثل: وقت يكون فيه الإسرائيليون غير مستعدين، ويوم يفضل أن يكون أحد أعيادهم.

**أما العرب السوريون، فقد طرحوا ما يريدون، أنهم يفضلون الهجوم صباحاً لأن** ذلك وحسب طبيعة الجولان يجعل الشمس في ظهورهم، وهي في وجوه العدو، ومن يصعد إلى قمم التلال في الجولان، ولا سيَّما تل الفرس، وتل أحمر، وجبل الشيخ وغيرها، يدرك قيمة هذا الكلام(*).

**كما أنهم يفضلون الهجوم صباحاً، لأن طبيعة الجولان تهيئ مع الفجر** تمويها وإخفاء عجيباً بوساطة الغيوم، المنخفضة، ولا سيَّما في الساعات الأولى للصباح ولا أشك أن أي مقاتل في الجولان يعرف قيمة هذه العوامل، ولاغرو في أن هناك تبايناً واضحاً فيما تريده أو تفرضه طبيعة كل جبهة.

**ثالثاً: حين عرض الأمر على الرئيس الأسد قرر بما عُرف** عنه من نظرة قومية شمولية، أن يتم الهجوم في الوقت الذي يهيئ للرجال العرب المصريين أفضل الظروف، ولو لم تكن هذه الظروف لصالح القوات العربية السورية، لأن نجاح مصر هو نجاح العرب ونجاح سورية هو نجاح العرب أيضاً.

---

(*) كان المؤلف في مرصد في تل (أحمر غربي) مقابل تل الفرس، عندما كان رئيس أركان الكتيبة ١٨٧ من اللواء ٣٣ مشاة في عام ١٩٧٦م.

**رابعاً: وهكذا وقع الاختيار على يوم السبت السادس من** تشرين الأول ١٩٧٣م لأنه يؤمن معظم المطلوب، فهو عيد الغفران اليهودي، كما أنه يؤمن ليلة مقمرة تهيئ جو العمل لتركيب الجسور العربية والمصرية على قناة السويس. كما حددت الساعة الثانية ظهراً لأن ذلك يعطي فرصة للطيران العربي السوري والمصري لدقة القصف، كما يكون معظم الجنود الإسرائيليين يتناولون الطعام أو في حالات الاستراحة، كما أنه لا يتوقع إطلاقاً الهجوم بمثل هذا الوقت مما يحتم نجاح المفاجأة كما يجعل الليل كله لصالح العرب.

### و - الإبداع في المكان:

**إن الهجوم الذي تمَّ على طول الجبهتين العربيتين المصرية والسورية الكامل بطول وصل في سورية إلى زهاء ثمانين كيلومتر،** وفي الجبهة العربية المصرية زهاء ١٧٠كيلومتر، لم يكن إلا نتيجة دراسات علمية دقيقة، فالمعروف أن مبادئ الحرب تتفاعل فيما بينها بدرجة كبيرة، فقد وجد القادة العرب أن هجوماً عربياً شاملاً على كامل طول الجبهتين يحقق مجموعة من المزايا الأساسية لا يمكن تحقيقها فيما لو تمَّ الهجوم على قطاع معين أو اتجاه معين **وهذه المزايا والفوائد الحربية هي:**

**أولاً:** إنَّ الهجوم على طول الجبهتين الكامل قد أعمى العدو عن اتجاه الضربة الرئيسية لقوات العرب.

**ثانياً: إنَّ** مثل هذا الهجوم يجبر العدو على بعثرة قواته باتجاهات شتى.

**ثالثاً: إنَّ الهجوم** في نطاق أضيق من الجبهة يجعل بيد العدو القدرة على توجيه ضربة جوية محكمة للقوات العربية المهاجمة فحقق الهجوم العربي على طول الجبهتين إفساد قدرة الطيران الإسرائيلي وبعثرة جهوده.

**رابعاً: إنَّ الهجوم** على كامل طول الجبهتين يحقق احتمالات أكبر فقد هاجمت وبوقت واحد ثلاث فرق إضافة إلى الوحدات الخاصة وغيرها وفي

الجبهة العربية المصرية تدفقت القوات عبر خمس عشرة منطقة عبور مما حقق النجاح المذهل لاختراق وعبور جيشين هما الثاني والثالث، كما حرم العدو من التعرف على اتجاه المجهود الرئيسي[١].

**خامساً: لا يغرب عنا أن ظروف الحروب الحديثة** وما تمتلكه الأطراف المتحاربة من أسلحة تدمير شامل لاسيَّما إمكانية استخدامها من قبل إسرائيل التي عرفت طوال تاريخها بضربها عرض الحائط بكل القيم والأعراف والقوانين الإنسانية والدولية. فقد كان هناك احتمال لاستخدام إسرائيل للغازات السامة والأسلحة الجرثومية والقنابل المحرقة والتي قد استخدمتها إسرائيل فعلاً، إضافة إلى احتمال استخدام إسرائيل لقنبلة ذرية تكتيكية، كل هذه العوامل جعلت العرب يقررون الهجوم على قطاع الجبهتين الكامل حتى يفوتوا الفرصة على العدو في ضرب وحداتنا بمثل هذه الأسلحة.

**سادساً: إنَّ معظم المفكرين العسكريين يقرون الحشد** الكثيف بالقوات ولاسيَّما إذا كانت قوات كبيرة في مساحات ضيقة أوقطاعات لعبور الحواجز الطبيعية والصناعية كالتي يدافع عنها ويحتمي بها الإسرائيليون، مثل قناة السويس وخط بارليف في الجبهة المصرية، وتلال الجولان وخط آلون في الجبهة السورية، وهكذا ففي الجبهة السورية الصغيرة تتهيأ كل الظروف للقضاء على أكثر من تشكيل بضربة ذرية تكتيكية واحدة. من كل هذه الحسابات والتقييمات كان الهجوم العربي على طول الجبهتين الكامل هو قرار يحمل المفاجأة بقدر ما يحمل من الجرأة.

### ز - الإبداع باستخدام وسائط جديدة للصراع:

**أولاً: لقد كانت حرب** تشرين حرب المفاجأة حقاً، فقد فاجأ العرب

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٥٢.

الإسرائيليين المعتدين الغاصبين مثلما فاجؤوا العالم قاطبة أيضاً، ففي مجال استخدام وسائط صراع جديدة نستطيع أن نقول **إنَّ حرب تشرين كانت حرب صواريخ**.

**ثانياً**: **على المستوى** التكتيكي فقد أقام العرب شبكة متكاملة من **الصواريخ** أرض - جو من مختلف الأنواع: سام ٢ - سام ٣ - سام ٦ - سام ٧، إضافة إلى مختلف عيارات وأنواع المدفعية م/ط والرشاشات الرباعية عيار ٢٣مم وغيرها... هذه الصواريخ كانت مكشوفة أو الأصح يعلم العدو بوجودها في مصر ولكنه كان يشك بوجودها في سورية ولكنه قرر أن يعرف بشكل مؤكد هل في سورية صواريخ أرض- جو ؟ وإنْ وجدت فهل أصبح العرب السوريون قادرين على استخدامها وما هو مدى مهارتهم في استخدامها؟ فكان أن قام بهجوم جوي عنيف وبكثافة زهاء ٧٠ طائرة قبيل الحرب وكان **قرار القائد حافظ الأسد أن** يتم التصدي لطائرات العدو بالطائرات فقط، ودارت معركة رهيبة أبسط ما يقال فيها إنها كانت معركة البطولة والتضحية، وعاد الطيارون الإسرائيليون وقد عمت علائم الاطمئنان على وجوه القادة الصهاينة وغمر الفرح قلوبهم... لايوجد في سورية صواريخ أرض جو وهي إن وجدت فهم غير قادرين على استخدامها. ولما حل اليوم الموعود السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م، كانت المفاجأة صاعقة، **إنَّ سورية غابة صواريخ ومصر كذلك**، وخسر العدو من المفاجأة في هذا السلاح الجديد مئات الطائرات.

**ثالثاً**: لا تقل المفاجأة باستخدام **الصواريخ ساجر وسنابر** عن استخدام صواريخ سام، فهذا أذهل العدو في السماء وذاك دوخهم في الأرض، فقد خسر الصهاينة في مطلع الحرب زهاء خمسمئة دبابة، وهكذا قالت مجلة (التايمز) في عددها الصادر في ٢٢ تشرين الأول عام ١٩٧٣م. إن العدو اللدود الذي واجهته القوات الإسرائيلية في حرب تشرين الأول هو التكنولوجيا الحديثة والتكتيكات الجديدة التي استخدامها العرب.

**رابعاً**: لقد **قام العرب بإنشاء ملاجئ لطائراتهم على ضوء دراساتهم لحرب** ١٩٦٧م، مما حدا بخبراء (حلف الأطلسي) أن بنوا لطائراتهم مثيلاً لها وقد أتت هذه الملاجئ فوائدها في حرب تشرين، وفي مصر أنشئت ملاجئ ودشم لبعض أنواع صواريخ (سام) كذلك.

**خامساً**: لقد كان فخراً للهندسة العسكرية العربية على مدى الأيام إبداعها **لطريقة (التجريف المائي) التي خلقها مهندس عربي مصري شاب استطاع بذكائه وعبقريته التغلب وقهر أعجب مانع في العالم. إضافة إلى سقوط أقوى خطين دفاعيين في** التاريخ بلا مبالغة هما (خط بارليف) و(خط آلون). لقد تم تحديد ارتفاع الساتر الترابي على الضفة الشرقية للقناة وعلى طول مواجهة الجيش الثاني المصري باستخدام الأجهزة البصرية، ثم تم إنشاء ساتر ترابي داخل (جزيرة البلاح) لإجراء تجارب عملية داخل نطاق الجيش لتحديد معدل تجريف المياه للرمل، ووجد أن كل متر مكعب رمال يحتاج إلى متر مكعب مياه لإزالته من الساتر. ولزيادة تأكيد المعلومات ولاسيَّما في الاتجاهات المخطط إنشاء الجسور فيها[١].

**كما تم دفع دوريات خلال شهري أب وأيلول عام ١٩٧٣م حققت ماسبق الحصول** عليه من بيانات، ولذا فقد تمت عملية فتح الممرات في الساتر الترابي بنجاح كبير، وكان الزمن الذي استغرقته في الجيش الثاني يتراوح من)(٤-٦) ساعات بعد بدء الهجوم.

**سادساً: كما قام المهندسون العرب بإبداع خلائط إسمنتية من نوع معين وباستخدام خاص تمكنوا بوساطتها من إصلاح التخريبات** التي كانت تحصل من القصف الجوي الإسرائيلي للمطارات، وقد تجاوز العرب الزمن في إصلاح الأعطال ولاسيَّما في القوى الجوية، فقد أبدعوا مواد لصق جديدة

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٥٤.

بدلاً من اللحام العادي، أي تجاوز المعدلات الزمنية لبقية الجيوش. كما أبدع العرب نوعاً من الخلائط الإسمنتية السائلة أي التي تشتد وتتماسك ضمن الماء استطاعوا بها إغلاق فوهات خزانات النابالم التي كانت تحوي ٤٦٠٠طن من النابالم موزعة على ٢٣ نقطة بمعدل ٢٠٠ طن لكل خزان.

### ح - الإبداع في طرائق القتال:

لقد بينا ما أبدعه الفكر العسكري العربي في ميادين الزمان والمكان والوسائط فها هم أحفاد هانيبال وحنظلة بن ثعلبة وخالد بن الوليد وسعد أبي وقاص وطارق بن زياد يعيدون أمجاد الأجداد. والمقصود بالإبدا ع في طرائق القتال أي ماذا قدمت حرب تشرين من إبداع طرائق جديدة وأساليب حديثة لم تعرف من قبل لاستخدام وسائط الصراع. وسنحاول هنا الإجابة على هذا التساؤل الكبير.

**أولاً:** ستبقى أكاديميات العالم العسكرية ومفكروها سنين طويلة في دراسة وتقصي ما أبدعه العرب من طرائق جديدة، في عصر العلم والتقنية وفي حرب الصاروخ والإلكترون، تعتبر ثورات في الفكر العسكري. فقد كانت معظم النظريات الحربية والعقائد القتالية تضع أو تقرر أن الدبابة تلاقى وتقاتل بالدبابة ولكن العرب كانوا أمام حالة خاصة فهم أمام عدو هو الصهيونية متمثلة في إسرائيل، طفل الولايات المتحدة الأمريكية المدلل، الذي تفتح أمامه أبواب مخزونات الجيش الأمريكي على مصاريعها للحصول على أكثر مما يطلب من الدبابات والطائرات، بحيث يبقى الميزان العسكري في كل الوسائل راجحاً وبشكل دائم لصالح إسرائيل. فكان أن أجرى العرب تدريبات على **ملاقاة الدبابات الأمريكية بالمقاتل العربي المزود بالصواريخ م/د.** وتحققت المعجزة وخلق الانقلاب في المفاهيم العسكرية، إذ استطاع المقاتل العربي من سلاح المشاة الصمود وتدمير دبابات الباتون ودبابات

(م٦٠) وغيرها من أحدث الدبابات الأمريكية مما جعل كل الدول تعيد النظر في تصميم وصناعة دباباتها من حيث جعلها تحقق الخفة والسرعة والحركية العالية، والتصفيح الذي لايخرق بالصواريخ م/د، وهكذا خلقت أمام المختصين معضلة مستعصية وهي التوفيق بين زيادة الوزن وخفة الحركة للدبابة. كما بدأت الكثير من الدول تعيد النظر في مكانة الدبابات لديها وما تتطلبه في قتالها على ضوء خبرات تشرين.

**ثانياً: بروز دور المشاة بشكل كبير ففي الجبهة السورية** قد احتلوا جبل الشيخ ومعظم التلال، كما أنهم في الجبهة المصرية قد حملوا عبء القتال على طول الجبهة لمدة الأيام الثلاثة الأولى تقريباً كما قام المشاة بالعمل خلف خطوط العدو. علماً أنه قبل حرب تشرين كادت أهمية المشاة أن تتلاشى فإذا بها تحتل الصدارة.

**ثالثاً: لقد حطمت حرب تشرين مبدأ الدفاع الساكن** ليسود محله مبدأ الحركة والهجوم، فهذه المرة الأولى منذ أكثر من سبعمئة سنة يخوض فيها العرب حرباً هجومية وهذه هي المرة الأولى في تاريخ العسكرية العربية تطبق مبادئ **الهجوم. المفاجأة والحركية العالية. إذ** من المعروف أن المنظرين العسكريين الإسرائيليين قد بنوا استراتيجيتهم على الاطمئنان لأقوى مانع في العالم، قناة السويس، وخط بارليف في الجبهة الغربية وخط آلون وتلال الجولان في الجبهة العربية السورية. حتى أطلق على هذه النظرية العسكرية **(نظرية الحدود الآمنة)** أي شكل الأرض أو صنع شكل فيها يعطي الأمان لمن يستثمرها. وبعد أن سقط خطا بارليف وآلون **سقطت هذه النظرية الباطلة**[1].

**رابعاً: لقد انقلبت نظريات الحرب الآلية،** فلأول مرة يشترك مثل هذا العدد الضخم من الدبابات والآليات في مثل هذا المسرح العملياتي الضيق نسبياً والمحدد المسالك في مثل هذا الوقت دون إحراز نتائج فاصلة...

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٥٥.

فقد قرر الخبراء أن جبهة الجولان قد استوعبت زهاء، ٢٣٠٠ دبابة وهو رقم قياسي لا مثيل له في أكبر معارك الدبابات التي حدثت في التاريخ مثل معركة العلمين أومعركة ستالينغراد... ففي العلمين زجَّ البريطانيون ١٤٤٠ دبابة مقابل ٥٥٠ دبابة ألمانية وإيطالية، وفي الثانية كانت هناك ٨٩٤ دبابة روسية مقابل ٩٧٥ دبابة ألمانية.

**خامساً:** لكل المعارك المدرعة معدلات فلكل معركة وتيرة ما، حتى كانت حرب تشرين لتسجل **أعلى وتيرة حربية لمعارك** الدبابات في العالم، من حيث الكثافة والسرعة والحركية العالية. وفي استنباط طرائق قتال جديدة تتلاءم مع أغرب مسرح عمليات في العالم وهو الجولان، ففيه الجبال والتلال والوديان والسهول والأنهار والمجاري والصخور..في بقعة ضيقة نسبياً مما جعل مثل هذا المسرح يخلق تكتيكاً جديداً.

**سادساً:** سقوط كل النظريات السابقة حول عمل **السلاح المدرع مع سلاح المشاة،** فقد كانت إسرائيل تقدم الدبابات أولاً تليها المشاة للتطهير، وهذا ماتقره كثير من النظريات العسكرية ذات الأولويات في الفكر العسكري قبل حرب تشرين. ولكن هذه النظريات سقطت على الجبهتين، ففي جبهة الجولان هاجم الإسرائيليون تل شمس بالدبابات، **ويصف حاييم هرتسوغ ذلك السقوط الذريع بقوله:**

(أنا أريد أن استشهد على جهل قوادنا العسكريين بأهمية قوات الكوماندوس في الحرب الحديثة بمعركة تل شمس في سورية. ففي حرب ١٩٧٣م أراد قواد إسرائيل اقتحام موقع تل شمس في سورية فماذا نراهم فعلوا؟ لقد أرسل أؤلئك القواد الكتيبة السابعة المدرعة لاقتحام تل الشمس مواجهة. ولما بدأت المدرعات الإسرائيلية تزحف - مواجهة - على التل قابلها السوريون بنيران حامية دمرت المدرعات وقتلت وجرحت من فيها وفشل الهجوم المواجه فشلاً مروعاً. وهذا الفشل الذريع أصاب قوادنا بنكسة جعلتهم يقدرون مبلغ جهلهم).

**ولن نعلق على أقوال حاييم هرتسوغ. ونسوق مثالاً آخر، وهو أسوأ كارثة بالتاريخ الإسرائيلي حققها اللواء (غالي) العربي المصري قائد الفرقة (١٨) عندما أعد منطقة** القتال مسبقاً بكل وسائط (م/د) للكتيبة - ١٩٠ - الإسرائيلية وكتيبتين أخرتين، عندما علم بهجوم هذه الكتائب على قواته، ونتج عن هذا تدمير (٧٥) دبابة وأسر (٢٥) دبابة وأسر العقيد (عساف ياجوري).

**سابعاً: سقوط نظرية السيطرة الجوية بالطائرات، التي سيطرت على الفكر العسكري قبل حرب تشرين التحريرية، وظهور نظرية التكامل** في الدفاع الجوي والقوى الجوية، فقد كانت الآراء في الفكر العسكري أنه لا توجد طريقة تتيح حرية العمل للقوات البرية إلا بالحصول على أكبر قوة وعدد من الطائرات الحديثة ولكن النظرية العربية الجديدة ونظرية التكامل بين القوى الجوية والدفاع الجوي جعلت النظرية السابقة تسقط كما سقط الكثير من النظريات الأخرى، فالتطبيق الدقيق **لمبدأ التكامل في الدفاع الجوي مابين عائلة سام والمدافع عيار ٢٢مم** الرباعية مع كل عيارات وأنواع المدافع م/ط قد جعل السيطرة الجوية للعدو حلماً بعيد المنال، وهكذا تهيأت الظروف للمقاتل العربي لأخذ دوره وبيان كفاءته وقدراته على عكس ماجرى في حزيران عام ١٩٦٧م، حيث كان العدو يسيطر على سماء المعركة سيطرة كاملة، مما كبل قدرات المقاتل العربي. ولم يقف العرب عند تطبيقهم الدقيق لمبدأ التكامل في الدفاع الجوي بل كانوا يناورون في صواريخهم مابين مواضع تبادلية واحتياطية وثانوية، إضافة إلى بنائهم قواعد صواريخ هيكلية مما جعل معظم القدرة النارية الإسرائيلية تذهب هباء.

**ثامناً: بروز أهمية، تنظيم تعاون مختلف صنوف الأسلحة ففي حين كانت** الطائرات الإسرائيلية تقع فريسة الصواريخ العربية كانت الطائرات العربية غالباً ما تعمل ضمن حماية الصواريخ العربية، كذلك في حين كانت الدبابات الإسرائيلية تقع بسهولة أمام مقاتل المشاة العربي بصاروخه كان

المشاة في معظم الأحيان يتعاونون مع الدبابات في القوى العربية، وهكذا ظهرت نظرية جديدة في الفكر العسكري المعاصر.

**تاسعاً**: لقد أظهرت حرب تشرين **فشل نظريات اللوجستيك الإسرائيلي** - أي التأمين الإداري والفني وغيرها - ومن الأمثلة على ذلك تصريح موشيه دايان التالي:

لقد نفذت... ذخائرنا ودمرت طائراتنا ودباباتنا، ولولا تدفق المعونات الحربية الأمريكية من الجو والبحر علينا لضاعت إسرائيل، وقد كان هذا أكبر نكسة لإسرائيل، وسمعة إسرائيل في العالم. كما ظهر أن الدبابات الإسرائيلية في جبهة السويس لم تكن تحمل سوى قنابل خارقة، أي مضادة للدبابات، بينما لم تكن تحمل قنابل متفجرة - أي ضد المشاة. وقد جرى بعد حرب تشرين ظهور نظريات في الفكر العسكري جديدة لكيفية إعداد القوائم التي كان يجري على أساسها تخزين المعدات والذخائر. وقد اعترف دايان بأن الجيش الإسرائيلي يعاني من نفاد الذخائر...

ويكفي هنا التنويه إلى أن الولايات المتحدة الأميركية قد أرسلت لإسرائيل ١٥٠ **ألف طن** شرائط معدنية للتشويش ضد الصواريخ وقد استخدمت بسرعة وكان ذلك في اليوم ١١ تشرين الأول اليوم السادس من القتال. حتى أن الخبراء يقرون أن إسرائيل لم يبق لديها في اليوم الثامن ما يكفيها للقتال إلا أربعة أيام فقط، على الرغم من أن طلائع الإمداد الأمريكي قد بدأت في اليوم الثالث، ولكن ما إن حل اليوم الرابع عشر أي اليوم التاسع من القتال حتى أصبح الإمداد الأمريكي بلا حدود مطلقاً.

ويجب أن ننوه إلى أن هذه السرعة الهائلة في نفاد الذخيرة سببها الكثافة الأكبر في الاستخدام بما فاق معدلات استخدام وخسائر أية حرب سابقة.

**عاشراً**: **سقوط نظريات المعدلات الزمنية**، إذ إنه من المعروف أن كل

دولة تقوم بتجارب على المعدلات الزمنية المثالية لمعظم الأعمال العسكرية فمثلاً تركيب جزء من جسر دمر أثناء القتال وعملية التركيب تجري في جو المعركة الحقيقي قد لا تكتمل عملية التركيب إلا بعد ساعات في معظم جيوش العالم في حين استطاع العرب أن يعيدوا الجسور سليمة كما كانت بعد (٣٠) دقيقة من تدميرها. كما قدر الخبراء **العسكريون الغربيون والشرقيون أن من يريد عبور السويس لابد من أنه قد أصر على العبور مع خسران (٨٠٠٠٠) قتيل في حين أن العرب عبروا بخسارة (٢٢٠) شهيد فقط. كما ساعد على سرعة معدلات العبور إبداع** نوع من الحافلات يجرها الجند خلفهم تحمل كل منها (٢٥-٣٥كغ) في حين حدد مكان كل جندي في القارب مسبقاً. كما كان لاختراع طريقة الدلالة بالحبال الملونة حيث كان كل حبل إشارة ملون بلون خاص لدلالة كل وحدة مدرعة إلى المكان المحدد لها مع وحدات المشاة.

**حادي عشر: لقد قلبت حرب تشرين نظريات النقل والإمداد الجوي العسكري.** فهي قد أحدثت شروطاً كبرى في مجال النقل الجوي، إذ دارت مختلف الأسئلة حول حجم طائرات النقل الاستراتيجية وحمولتها وسرعتها وكيفية استخدامها، لأن حرب تشرين قد أظهرت أهمية وصول أكبر كمية من المعدات والأسلحة بأسرع وقت، فحتى الثانية لها كل القيمة في الحرب الحديثة. وهكذا اتخذت القيادة الأمريكية، وهيئة الأركان في البنتاغون مجموعة من الإجراءات والتدابير لتعديل نموذجي الطائرتين المستخدمتين حالياً في القوات المسلحة وهما (البوينغ ٧٤٧ ود.س ١—٣—٤-) وذلك **بهدف (إجراء تطور كبير في مجال النقل الجوي العسكري)** وكان الحافز لإجراء التعديلات المطلوبةهو الرغبة في الزيادة وتطوير قدرة الطائرة لحمل عدد أكبر من الرجال ومزيد من الأسلحة والعتاد بالنسبة لما تحمله الطائرة (ج١٤١و ج٥) الموجودة. وتحقيق هذه الزيادة على طريق الإفادة من زيادة طول الجوف على الطائرة (ج١٤١) بحيث يتم اكتساب ما يقارب الثلاثين بالمائة في رفع قدرة الطائرة على الحمل. والقيادة الأمريكية **تطلب تعديل**

**الطائرات** لأن أسطولها الحالي للنقل الجوي والمكرس لنقل القوات العسكرية، يضم نماذج رئيسية هي: (لوكهيد ٧٩ و جـــ ٥ ـــ أ، و ٢٧٥ لوكيد، وج ١٤١) وإنَّ هذه النماذج غير قادرة على نقل فرقة من القوات المتمركزة فوق أرض الولايات المتحدة والوصول بها إلى أوروبا خلال فترة تقل عن تسعة عشر يوماً. وهذا يوضح قناعة القيادة الأمريكية بعجز أسطولها، وقد عبر وزير الدفاع الأمريكي (جيمس شليسنجر) عن هذه الحاجة بقوله: (إنني لا أرى سبيلاً لتطوير استراتيجية الردع نحو الأفضل لإحباط كل هجوم يشن على دول حلف شمال الأطلسي إلا إذا أمكن إجراء التجارب الناجحة، للبرهان على أن باستطاعة الولايات المتحدة الأمريكية نقل فرق كاملة إلى أوروبا مع ماتتطلبه هذه الفرق من أسلحة ومركبات وأعتدة لتستطيع هذه الفرق الدخول في المعركة مباشرة ومعها قوات الدعم الضرورية وتنفيذ ذلك خلال أيام قليلة فقط)[١].

**ثاني عشر: لقد كانت حرب تشرين صراعاً بين خطين، فالقيادة** العربية حاولت خلال الحرب الرابعة استغلال هامش العمل الصغير المتوفر لديها وإطالة أمد الحرب إلى أطول مدة ممكنة تسمح بها الظروف الدولية وإحباط الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تحقيق الحسم في أقصر وقت ممكن ولكن محاولاتها هذه كانت محكومة بحدود لا تستطيع تجاوزها إذْ إنها كانت تخوض حرباً تقليدية بأسلحة مستوردة. (فأوروبا) ترى أن أي نزاع مسلح طويل في الشرق الأوسط يهدد رخاءها. و(الولايات المتحدة) و (الاتحاد السوفياتي) على الرغم من مصالحهما وعلى الرغم من إرادتهما مجبران على التدخل، فلن يسمح أي منهما للآخر بتحقيق نصر، **وهكذا نجد أن البلد الصغير الذي يود تحقيق أغراضه العسكرية بوسائط تقليدية، وأسلحة متطورة (مستوردة أساساً) مضطر إلى تحقيق هذه الأغراض بسرعة وقبل**

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٥٩.

**نفاد ذخيرته**، وإلا وجد نفسه مضطراً إلى مطابقة الوتيرة القتالية مع وتيرة الإمداد اليومي الذي يتأثر إلى حد بعيد بإرادة الممون. وكل تجاوز لهذه التحديات والقواعد يجعله يواجه خلال القتال مأزقاً استراتيجياً لامنفذ له. ويقودنا هذا الحديث إلى حديث أشد خطورة لأنه يتعلق بتدخل الدول العظمى في الصراعات المحدودة، ويختلف التدخل هنا باختلاف الدول، ولقد شهدنا خطر الحرب الرابعة ضد الولايات المتحدة الأمريكية عندما استنفر الرئيس نيكسون قواته الذرية الاستراتيجية دون استشارتها. **أما الدولتان الأعظم فلم يمنعهما الوفاق الدولي من مد الدول المتحاربة بكل ماتحتاجه من أسلحة ومعدات وذخائر وخبرات. إن هذا التحليل** يقودنا إلى نتائج بل حقائق بكاملها، فلا العرب ولا إسرائيل في موقف يسمح لهما بخوض معركة تتجاوز في حدودها إرادة الدولتين العظميين بصورة خاصة على اعتبار أن مفاتيح التسلح في أيديهما. وإنَّ هذا السبب هو الذي يدفع (إسرائيل) حالياً - كما في الماضي - إلى زيادة اعتمادها على قدرتها الذاتية وبناء تسلحها للتحرك قدر المستطاع في الحصول على هامش أكبر من حرية العمل، وهذا أيضاً ما يفرض على العرب بالمقابل تصعيد اعتمادهم على قدرتهم الذاتية في جميع المجالات ولاسيَّما في مجال التسلح.

وهكذا نستنتج أنه من دروس (حرب تشرين التحريرية): **قصر الحرب العربية الإسرائيلية، ومحدودية الحرب بمصالح وإرادة الدول الكبرى.**

**ثالث عشر: إن الغرض العسكري محدد بالغرض السياسي**، وهذا ما أثبتته حرب تشرين التحريرية، فعلى الجبهة المصرية، كان الهدف واضحاً وهو زحزحة موقف الجمود الدولي، وهذا مادفع إسرائيل إلى تركيز جهودها على الجبهة السورية في المراحل الأولى للحرب. كما كان للغرض السياسي المحدود أثره على الخطة العسكرية وإدارة العمليات وعمقها وأثره على مستوى العنف بحيث لم يتم اللجوء إلى العنف الأقصى حتى لا تستنفذ درجة العنف القصوى في الولايات المتحدة الأمريكية وتدفعها إلى التدخل .

**رابع عشر**: لقد سطر العرب في حرب تشرين التحريرية فكراً عسكرياً جديراً ولا سيَّما **على صعيد الحرب الجوية**، فقد ابتكر العرب وطبقوا **نظرية الدفاع عن المطارات ضد الطيران المنخفض إضافة إلى تكامل وسائط الدفاع الجوي واستخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية. كما استحدث العرب استخدام (طائرات إعادة** الإذاعة)، لنقل المعلومات إلى الطائرات أثناء الطيران المنخفض، حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جداً إلا الطائرات ذات الارتفاع العالي، كما أبدع العرب طريقة لاستخدام وسائط الصراع الجوية - الطائرات - أي اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتي لكل مجموعة من الطائرات، في إعادة الملء للتزود بالوقود والتزود بالقنابل والصواريخ في زمن بلغ من قصره أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها بلا توقف. ولسوف يذكر التاريخ أنه **قد حطم الطيارون العرب الرقم القياسي العالمي في الدنيا وهو (٣-٤) طلعات إذ حقق معظمهم (٦-٧) طلعات في اليوم الواحد مثلما اخترقوا** الزمن التقليدي للاشتباك الجوي وهو (٧-١٠) دقائق إذ دامت بعض المعارك زهاء ٥٠ دقيقة،ولاسيَّما تلك التي تركزت فوق بور سعيد، ولعلَّ السبب هو تعدد الطائرات المعادية بكثافة بلغت أحياناً ٦٠-٧٠ طائرة في آونة واحدة، فضلاً عن توفر الوقود لدى طائراتنا لأن المعارك كانت تتم فوق مناطق غير بعيدة عن مطاراتها. كما أن إبداع **نظريات وطرائق جديدة وتطبيقها الرائع في الحرب الرابعة(١٩٧٣م)، لإصلاح المطارات** أدى إلى أنه لم يتعطل أي مطار أو قاعدة جوية أكثر من ٦-٨ساعات، على الرغم من قصفه مرات عديدة.

**كما أن العدو كثيراً ما تشدّق بأنه يستطيع إعادة ملء الطائرة بالوقود والذخيرة** خلال ٨ دقائق، فإذا بالعرب يحطمون هذا الرقم وينجزون كل ذلك خلال ٦ دقائق كما كانت جداول الرمي النظرية المرسومة من خبرات الحرب العالمية الثانية وحرب عام ١٩٦٧م، وغيرهما تستلزم لتدمير دبابة واحدة من

٢-٣هجمة طائرة، غير أن النسور العرب حققوا إمكانية تدمير أكثر من دبابة بهجمة واحدة.

## ط - نتائج حرب تشرين عربياً وإسرائيلياً ودولياً:

### ١ - على الصعيد العربي:

**أولاً: كان السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣م بمثابة نقطة تحول في علاقة** العرب بالعالم، ووجد العرب أنفسهم أمام وحدة حقيقية بسبب النجاح العربي الذي تحقق لهم في ميدان القتال،وتجلّى التضامن العربي في ظل استخدام البترول كذلك كسلاح سياسي لتعزيز الكفاح العربي ضد إسرائيل والإمبريالية العالمية، فقد بادرت الدول العربية المنتجة للبترول إلى اتخاذ إجراءات الحظر، أو تقييد تصدير البترول إلى الدول الموالية لإسرائيل مع خفض الإنتاج بنسبة محدودة شهرياً، وعلى الرغم من كل ملابسات حرب البترول فقد ثبت أن العرب قد نجحوا في أن يضعوا أيديهم على أخطر شرايين الحياة في الكيانات الدولية المعادية للعرب.

**ثانياً:** الحقيقة أن وقف إطلاق النار عقب حرب تشرين التحريرية يختلف كل **الاختلاف عن وقف إطلاق النار طوال تاريخ الحروب مع إسرائيل، فقد قبل العرب وقف** إطلاق النار في أعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧م، وهم مهزومون، ولكن العرب في هذه الحرب قد قبلوا وقف إطلاق النار، وللمرة الأولى، من موقع القوة وليس من موقع الضعف.

**ثالثاً:** ولئن كانت حرب تشرين التحريرية حلقة في سلسلة الصراعات العربية الإسرائيلية التي لن تنتهي إلا بانتهاء الظلم الناتج عن احتلال أراضي الغير بالقوة، فإنّ **هذه الحرب هي التحول الجذري في تاريخ العرب الحديث وفي تاريخ عسكريتهم** وفكرهم العسكري، هذا التحول هو انتقالهم من الدفاع إلى الهجوم وإثبات الحق، بعد أن طال السبات العميق منذ أيام صلاح الدين.

**رابعاً**: لقد برهنت حرب تشرين التحريرية **أن الاختلافات الآنية بين الدول العربية تنصهر حيال المصلحة وتعريض كيان العرب للخطر ليتحول العرب إلى جيش واحد ضد** المعتدين، ولكن ماذا قدمت بعض الحكومات في حرب عام ١٩٦٧م، ولنذكر أن القدرة القتالية العربية، لو زجّت كاملة لكل الدول العربية وفق تخطيط على المستوى نفسه من الذكاء لعاد الحق كاملاً إلى نصابه.

**خامساً**: لقد **كان الاكتشاف الأهم في حرب تشرين التحريرية** هو اكتشاف الإنسان العربي لذاته وترسيخ ثقته بنفسه وقدراته بعد أن عصفت بكل ذلك نكسة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، والتأثيرات المختلفة للحرب النفسية المعادية، لقد انتصر العرب وأول ما انتصر العرب انتصروا على أنفسهم وهذا الانتصار هو السر في الانتصارات الأخرى[١].

**سادساً**: إن تصعيد دائرة الصراع، وزيادة القوى الإسرائيلية واستمرارية العدوان دفع البلدان العربية إلى تصعيد قوتها العسكرية، وهكذا **كان كل صراع عربي - إسرائيلي أعظم من سابقه**، وهكذا نتج عن حرب تشرين أن تصعيد دائرة الصراع يخلق القوة، كما برهنت هذه الحرب الرابعة على **سقوط فكرة (الهوة التكنولوجية)** كذلك اتضح أن الزمن في مجال السباق نحو التفوق الاستراتيجي العام يسير لصالح الدول العربية لا لصالح إسرائيل. وكل ذلك يدل على مخاض نصر عربي في عمر الشعوب قريب.

**سابعاً**: كأننا بأحفاد طارق بن زياد وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص يعيدون أمجاد الأجداد، فها هم يعيدون للعسكرية العربية **وللفكر العسكري العربي مكانته العالمية** التي سبق أن تجاهلها العالم، ولا يزال معظم العالم يتجاهلها، والسبب في هذا التجاهل واضح وهو أن معظم دور النشر في العالم تسيطر عليها الصهيونية، والبرهان على ذلك مئات الكتب التي صدرت

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٦٢.

بعد حرب عام ١٩٦٧م، في حين إننا لا نجد ما يوازي ذلك من الكتب التي صدرت عقب الحرب الرابعة، حرب تشرين.

**٢ - على الصعيد الإسرائيلي:**

لقد تركت حرب تشرين آثاراً كبرى على الصعيد الإسرائيلي، فكأنما قد حل بإسرائيل إعصار هائل ترك في جانب من الحياة أثراً **وأهم هذه الآثار والنتائج:**

**أولاً: نشوء انفصام واضح بين غالبية القيادة السياسية** والعسكرية من جهة. وبين جماهير الشعب والجنود من جهة أخرى، فالذين في القمة لا يحسون، كما ينبغي بمشاعر الشعب، وظهور التأرجح في الجبهة الداخلية، إضافة إلى مئات الألوف من الجنود النظاميين والاحتياطيين الذين في أذهانهم أسئلة لا حد لها ولايجدون أجوبة لها.

**ثانياً: ظهور الائتلافات الجديدة في إسرائيل، إذا لا يوجد** شخص في القيادة مستعد لأن يستخلص فوراً، النتائج الشخصية فيما يتعلق بالتقصير الذي حدث، وليس ثمة شخص يفكر بالذهاب، فالمتحدثون يتكلمون عن إمكانية ذهاب الآخرين لا ذهابهم هم، فالأشخاص يضمنون لأنفسهم الحماية المتبادلة، والحقيقة هي أن كل شخص يخشى زميله، ونشأت ظاهرة هي: إن المتورطين في التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن أنفسهم وتجريم الآخرين، إذا تطلب الأمر، أي أنهم يجمعون وثائق تسجيل ذاكرة الشهود، وهذا واضح في تصريحات (حاييم هرتسوغ) و (جولدا مائير) و (موشيه دايان) و **(شارون)** وغيرهم.

**ثالثاً: شعور الإسرائيلي بالمرارة بسقوط حصن من الوهم رهن** نفسه فيه، فها هي كل البراهين والنظريات، ولا سيَّما نظرية - الحدود الآمنة - تسقط وتنهد فترك هذا القلق يسري وبفتك في نفس كل فرد إسرائيلي.

**رابعاً: طالما تشدّق الإسرائيليون بأن لديهم صناعة حربية هائلة** تستطيع سد حاجات إسرائيل وبعض دول العالم أيضاً، بينما انكشف كذب هذا الإدعاء من أفواههم أنفسهم، إذ لولا تدارك الولايات المتحدة لهم لخروا وخرت دولتهم، فظهرت الصناعة الإسرائيلية آنذاك على أنها صناعة تركيبية. لأن أجزاءها كلها مستوردة. كما ظهر فشل اللوجستيك وتقدير الاحتياجات العسكرية، ولاسيَّما ما يتعلق بالذخائر والمعدات، وقد اعترف دايان وغيره بهول ذلك.

**خامساً: لقد كشفت حرب تشرين قلة الانضباط وضعف التدريب** في الجيش الإسرائيلي، ولاسيَّما بعد أن هوت أسطورة التفوق النوعي التكنولوجي. حيث تعرضت إسرائيل إلى أكبر خسائر في تاريخها على صعيد الدبابات والطائرات وباقي الأسلحة، إضافة إلى أكبر عدد من القتلى في تاريخها أيضاً.

**سادساً: لقد كشفت حرب تشرين خطأ تقديرات القيادة العسكرية الإسرائيلية والسياسية أيضاً. فهم أخطؤوا في تقدير القوة العربية وأخطؤوا أيضاً** في تقدير المنظومات الصاروخية العربية ولاسيَّما السورية منها. كما أخطؤوا في تقدير القوة النارية. وأخطؤوا في النظرية والتطبيق[١].

**٣ - على الصعيد العالمي:**

**أولاً: لقد امتدت آثار حرب تشرين إلى أفريقيا، فقد دعت** قرارات منظمة الوحدة الأفريقية إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وفعلاً فقد قطعت الأكثرية الساحقة من الدول الأفريقية علاقاتها مع إسرائيل، طبعاً ماعدا جنوب أفريقيا، آنذاك كما قامت منظمة الوحدة بجهاز أمانتها العامة في أديس أبابا بإعداد دراسة مستفيضة عن حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣م،

---

(١) مصدر سابق ، ص٦٦٣.

والدروس التي يمكن لأفريقيا أن تخرج بها في قضايا التحرير، وما يلازمها من مواقف دولية وتحركات سياسية ونوعية الأسلحة السياسية والعسكرية والاقتصادية المستخدمة.

**ثانياً: لأول مرة في تاريخ أوروبا الغربية الحديث والمعاصر وبفعل حرب** تشرين اجتمعت دول الجماعة الأوروبية في أوائل كانون الأول ١٩٧٣م، وأقرت بياناً تضمَّن للمرة الأولى تأييداً غير مشروط لحقوق العرب المشروعة، كما أدانت في بياناتها سياسة اغتصاب الأراضي والاحتفاظ بها بالقوة والتي تنتهجها إسرائيل، ولا غرو في أن هذا البيان الذي كان انعطافاً كبيراً في السياسة الدولية، بفعل حرب تشرين. وهكذا ظهر التباين واضحاً بين المصالح الأمريكية والمصالح الأوروبية مما أحدث تصدعاً ملحوظاً وشرخاً في تحالف هذه القوى.

**ثالثاً: وعلى صعيد دول العالم الإسلامي** فقد تنادت هذه الدول إلى مؤتمر القمة الإسلامي الذي انعقد في لاهور، وبه أمكن انتهاج موقف جماعي إسلامي موحد ووضع شروط رئيسية للسلام العادل والدائم في الشرق الأوسط وفي مقدمتها عروبة القدس، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وتأكيد المشروعية الدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية والانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م.

ولا شك أن للدور الذي قام به وفد الجمهورية العربية السورية مع عدد من الدول العربية أكبر الأثر في تحقيق هذا النصر السياسي في هذا البيان والتأكيدات والدعم الدولي، كل ذلك تمَّ بناء على ما أحدثته حرب تشرين التحريرية.

**رابعاً: كما كان لحرب تشرين التحريرية أكبر الأثر في زيادة** موقف دول عدم الانحياز قوة ودفاعاً في جميع مؤتمرات هذه الدول عن الحق العربي العادل وفي المحافل الدولية، كاجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة

ومجلس الأمن ومنظمات الأمم المتحدة الأخرى وفي مجالات السياسة الدولية الأخرى.

**خامساً: لقد أبرزت حرب تشرين التحريرية عدالة** القضية العربية بشكل عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص للرأي العام العالمي، حيث توالت الاعترافات بمنظمة التحرير الفلسطينية، كما توالت التأييدات لها في معظم بيانات المؤتمرات الدولية كمؤتمر دول عدم الانحياز ومؤتمر المجموعة الأوروبية والمؤتمرات العربية إجمالاً ولاسيَّما القمة منها.

**سادساً: لقد برهنت حرب تشرين للدول الأوروبية أن الأمن** الأوروبي مرتبط بشكل أو بآخر بالأمن العربي، وهكذا منحت حرب تشرين أوروبا الخطوة الأولى نحو الاستقلال عن الاستعمار الإمبريالي الأمريكي.

**سابعاً: كما هزت حرب تشرين التقارب بين الولايات المتحدة** الأمريكية والاتحاد السوفياتي، ولاسيَّما إبان الحرب، فقد صدرت الأوامر لكل القوات الأمريكية في كل البحار والمحيطات وفي كل القواعد في كل أرجاء الأرض لتكون بحالة تأهب كامل، كذلك أصدرت القيادة العسكرية السوفياتية أوامرها لجميع قواتها البرية والبحرية والجوية حتي القوات الاستراتيجية الذرية لتكون على أهبة الاستعداد للتدخل، ولا أدل على ذلك من الجسرين الجويين اللذين امتدا من الاتحاد السوفياتي إلى مصر وسورية، ومن الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل حتى كادت بوادر اصطدام القوتين تظهر بقوة بين القوتين العظميين.

**ثامناً: لقد كان لحظر البترول والتخوف من مقاطعة** اقتصادية عربية شاملة وتعامل كثير من الدول (أو محاولة تعاملها) مع الدول العربية المنتجة مباشرة وظهور احتمال فقدان الشركات الأمريكية لأوضاعها وامتيازاتها أثر في تغيير نسبي في موقف الولايات المتحدة الأمريكية واتجاهها الذي أسمته التحرك نحو السلام. ولايغرب عنا أن هذا الموقف يختلف عن ميوعة

المواقف الأمريكية السابقة قبل حرب تشرين، فبهذه الحرب قد حركت القضية الفلسطينية من جمودها وأعطتها أبعاداً جديدة كليةً[1].

**علنا قد وقفنا في بيان ما للعرب من يد طولى، وقدح معلّى،** في ميدان علم الحرب وفنه خلال آلاف السنين، على الرغم من تيار الإجحاف الذي بينّاه وفنّدناه بتيار الإنصاف وبيان ما للعسكرية العربية والفكر العسكري العربي من إبداع وابتكار لوسائط الصراع المسلح وإبداع وابتكار لطرائق استخدام وسائط الصراع عبر التاريخ.

**من ذلك بينا أن حرب تشرين التحريرية كانت ولادة جديدة** للفكر العسكري العربي، وأنها كانت ذات أبعاد وآفاق جديدة، وهامة على صعيد الفكر العسكري العربي والعالمي، كما بينا نتائج حرب تشرين وآثارها على الصعيد العربي والإسرائيلي والعالمي. وهكذا لم تكن حرب تشرين طفرة وانتهت وإنما كانت ولادة منتظرة، فها هم أحفاد هانيبال وخالد وطارق وسعد وقتيبة يخططون ويقررون وينفذون فيبدعون وينتصرون، فإذا الحلم حقيقة، والأماني نصر مؤزّر.... فكأني بأمتي بمخاض جديد.

## ي - الصراع على قمة جبل الشيخ في حرب الاستنزاف:

**(قاتلوهم... واهبطوهم... فليس لهم أن يعلونا)** [2].

**الرسول العربي (e)**

**يعتبر البعد الثالث[3] ذا أهمية خاصة في تقرير نتيجة المعركـــة إيجابياً**

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق، ص٦٦٥.

(٢) من توجيهات الرسول العربي (صلى الله عليه وسلم) العملياتية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في موقعة أحد عندما حاول خالد بن الوليد مع كوكبة من فرسان المشركين أن يصعدوا إلى قمة جبل أحد ليكونوا أعلى من المسلمين. (راجع كتاب الرسول العربي وفن الحرب ص ١٧٠).

(٣) البعد الأول: عرض الجبهة والبعد الثاني عمق الجبهة.

لمن يسيطر على الموقع الأعلى المشرف على ميدان القتال. وقد زاد من أهمية هذا البعد اختراع المناطيد والطائرات والأقمار الصناعية، وأصبح بإمكان القيادة العسكرية التي تملك هذه الوسائل أن ترى مواقع الخصم بصورة أفضل، وبذلك تتعامل معه على أساس المعرفة الدقيقة وليس (رجماً بالغيب)، وقد أشار معظم المنظرين العسكريين في كتاباتهم إلى هذه الناحية الهامة وأولوها عناية خاصة...

**١- الأهمية العسكرية لجبل الشيخ على الاتجاه العملياتي دمشق - القنيطرة):**

إن تقدير الأهمية العسكرية لجبل حرمون وقمته جبل الشيخ يمكن إدراكها بسهولة، لأن جبل الشيخ يشرف موضعياً على الأراضي المحيطة به كافة حتى الأفق. فمن هذا المرتفع يمكن القيام بأعمال المراقبة بالنظر بوساطة أجهزة المراقبة البصرية عشرات الكيلو مترات ورصد كامل الإتجاه العملياتي لدمشق - القنيطرة وكذلك لمناطق نوى، درعا، القنيطرة، الصنمين، ضواحي دمشق الجنوبية وغيرها. ويمكن متابعة كل تحركات القوات وتقدمها في الإتجاه العملياتي لدمشق، كما يمكن من مرتفع جبل الشيخ تصحيح نيران المدفعية وضربات الطيران.

**في الوقت نفسه يغطي مرتفع جبل** الشيخ ما خلفه ضد المراقبة الأرضية من الجانب السوري لتقدم القوات المعادية، لأن بإمكانه إخفاء تحشد تجميعات قوات العدو كلية.

**يقدم مرتفع جبل الشيخ شروطاً ملائمة لحجب الرؤية الرادارية، حيث يخفي تقدم** طائرات العدو على ارتفاع منخفض.

**ومن جهة أخرى،** فإن محطات الرادار والمراقبة في قمة جبل الشيخ تسمح بكشف الطائرات العربية السورية التي تطير على ارتفاعات منخفضة منذ لحظة إقلاعها من المطارات الموجودة في منطقة دمشق وجنوبها.

ولذلك فلا نعجب أبداً من احتلال العدو الإسرائيلي لموقع المرصد الكائن على الذروة المتاخمة لمرتفعات الجولان السورية في المرتفع ٢٢٢٤ في عدوان ١٩٦٧م.

**٢ - الموقف العسكري السياسي قبل حرب الاستنزاف:**

**توالى النشاط والتحرك السياسي والدبلوماسي على نطاق واسع على مختلف** الأصعدة، خلال الفترة التي أعقبت حرب تشرين التحريرية ومؤتمر القمة العربي السادس الذي انعقد في الجزائر بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٤م. وعلى الرغم من القرارات الهامة التي اتخذها هذا المؤتمر والتي تعكس صورة التضامن العربي والتي تؤكد على التحرير الكامل لجميع الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧م وتحرير مدينة القدس والالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، فقد بدا واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية تخطط للإلتفاف على نتائج حرب تشرين المجيدة ومعطياتها الإيجابية بغية زعزعة التضامن العربي وإضعافه، وبذر الخلاف والشقاق بين الدول العربية، وإعطاء العدو الصهيوني الفرصة لالتقاط أنفاسه وكسب الوقت حتى يعود إلى سياسة المناورة والخداع والمماطلة والتشبث بالعدوان واحتلال الأرض العربية.

**لقد تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من تحذير سورية من استدراج** مصر إلى الفخ. وتم توقيع اتفاقية فصل القوات بمعزل عن سورية.

**لقد كان رفضنا لفصل القوات على جبهة واحدة وعدم موافقتنا عليه نابعاً من** موقفنا المبدئي الذي يتجلى في رفض تجزئة القضية الواحدة.

ورفض الخطوات الجزئية المنفردة والإتفاقات الثنائية لأنها لا تخدم في الحقيقة سوى العدو الصهيوني. وتسهم في تمزيق الصف العربي وتؤدي في النهاية إلى وضع مكاسب حرب تشرين في مهب الريح الإمبريالية الصهيونية العاتية.

**في ١٨/١/١٩٧٤م تم توقيع اتفاقية الفصل المصرية والإسرائيلية، وكنتيجة طبيعية لذلك أخذ الموقف العربي يتراجع ويفقد الكثير من صلابته وبدأ الحديث عن** رفع حظر النفط. إلى آخر الإسطوانة، وأصبح واضحاً للعيان أن سورية أصبحت تقف وحيدة في الميدان في مواجهة المخططات الصهيونية والإمبريالية. فكان لا بد لسورية من المبادرة مرة اخرى إلى التصدي للقيام بمسؤوليتها القومية. وإعادة التضامن العربي إلى المستوى اللائق الذي فرضته دماء شهداء حرب تشرين، والمحافظة على المعطيات والمآثر التي أبرزتها هذه الحرب المجيدة... وهكذا كان القرار التاريخي الشجاع اتخذته الجمهورية العربية السورية بالعودة إلى خوض القتال من جديد وشن حرب الاستنزاف ضد العدو الصهيوني... **وهكذا اندلعت حرب الاستنزاف** في الجولان وجبل الشيخ في ٨/٣/١٩٧٤م واستمرت ٨٢ يوماً متواصلاً.

### ٣ - الإغارة على قمة جبل الشيخ:

**كانت توجيهات القائد العام للجيش والقوات المسلحة تتلخص بأن** تبدأ حرب الاستنزاف ضد العدو الإسرائيلي على طول الجبهة ولا يجوز أبداً أن نسمح للعدو بالاستقرار والتشبث بالأراضي التي يحتلها، ويجب ضرب أي تحرك معاد ترصده قواتنا بأمر من قادة التشكيلات الميدانية ودون الرجوع إلى القيادة. وبكلمة واحدة إلحاق الخسائر المادية والبشرية بالعدو الإسرائيلي كلما أمكن ذلك.

**لقد وضعت توجيهات القائد العام موضع التنفيذ، ولما كان موقع جبل الشيخ** يشكل أهمية خاصة ذات تأثير فاعل على الاتجاه العملياتي - دمشق -

القنيطرة فقد قررت القيادة السورية أن لا تسمح للعدو الإسرائيلي بالاستقرار أبداً في هذا الموقع الهام... فبدأنا بشق طريق إلى القمة يمكنها من وضع دباباتنا على هذا المرتفع وعندما عرف العدو الإسرائيلي بالأمر بوساطة التصوير الجوي بادر هو الآخر بشق طريق مقابل من الطرف الذي يحتله على مرتفعات الجولان. كما خُططت رمايات إزعاج وإبطال نفذها سلاح المدفعية والصواريخ بشكل نموذجي لكي نجعل حياة العدو جحيماً لا يطاق في ثلج جبل الشيخ. ولكي تبرز أهمية الجبل أصدر وزير الدفاع توجيهاً عملياتياً إلى قائد الوحدات الخاصة بتاريخ ١٩٧٤/٤/٦م هذا نصه:

(يعتبر الصراع بيننا وبين العدو الإسرائيلي على جبل الشيخ من أهم النشاطات اللقتالية في المنطقة، لذلك يجب أن تبذل من قبلكم كافة الجهود للتمسك البطولي بالموقع ٢٨١٤ وعدم السماح للعدو بالسيطرة عليه مهما كلف الأمر من تضحيات.

إن نائب القائد العام - وزير الدفاع إذ يوجه إليكم هذا الأمر فلأنه يعتبر أن التمسك بمرتفع جبل الشيخ لا يهم فقط الوحدات الخاصة فحسب، وإنما يهم قبل كل شيء شرف الوطن وشرف القوات المسلحة السورية وتاريخها.

إن صمود القطر العربي السوري في وجه التحدي الصهيوني يتعلق إلى حد بعيد بصمودكم على قمة الجبل الأشم... فكونوا يقظين باستمرار... جاهزين باستمرار.... فلا يجوز أبداً أن تسمحوا للغزاة الصهاينة بتدنيس الجبل الطاهر الذي تكلل هامته الثلوج النقية البيضاء التي تذكرنا بعيون أطفالنا البريئة.

إن قصر الأمير العربي شبيب التبعي موجود في ذروة الجبل هناك. فلا تتركوا الأعداء ولصوص الآثار يسرقون التاريخ. في ١٧ نيسان القادم سنحتفل بتقليد علمكم وسام الشرف العسكري فكونوا جديرين بحمل هذه المسؤولية يا أشجع الرجال).

**وكتب العماد مصطفى طلاس ما يلي:**

**واستمر الصراع على الجبل** وتمكن العدو بفضل سيطرته الجوية من إيصال فصيلة دبابات وجماعة مشاة ميكانيكية إلى السفح الخلفي للقمة، وكانت نيران مدفعيتنا لا تطالها بسبب تضاريس الأرض، فقررنا بناء على توجيهات الرئيس حافظ الأسد أن نقتلعهم بسواعد الرجال.

**اتصلت بقائد الوحدات الخاصة المقدم علي حيدر في الأسبوع الأخير من شهر نيسان ١٩٧٤م**، وطلبت إليه أن يحضّر عملية إغارة على المرتفع ٢٥٠٠ بمهمة تدمير الموقع المعادي وجلب الجنود الإسرائيليين كأسرى ما أمكن من ذلك، وطلبت إليه بناءً على توجيهات الأمين العام للحزب أن يكون المساهمون كافة في الإغارة من الأعضاء العاملين في حزب البعث العربي الإشتراكي حتى يكون الرفاق قدوة وأمثولة تحتذى في البطولة والتضحية وطليعة الفداء في قواتنا المسلحة الباسلة.

ومع ملاحظة أن يكون التطوع للقيام بهذه الإغارة اختيارياً لمن يرغب.. وعندما قلت هذا الكلام شخصياً في معسكر الكتيبة ٨٢ مظلات تطوع في لحظات أربعون ضابطاً من رجال الوحدات الخاصة للقيام بهذه المهمة الصعبة، فاختار منهم قائد الوحدات عشرة ضباط كما اختار ثلاثين جندياً وصف ضابط من العناصر الراغبة في الانخراط في صفوف المغيرين. وكلهم كما ذكرت من الرفاق العاملين في الحزب... من قائد الإغارة حتى أصغر رتبة عسكرية.

**اختار النقيب أحمد ديوب من الكتيبة ٨٢ تسعة ضباط للإشتراك معه في الإغارة على جبل الشيخ مع ٢٧ صف ضابط وجندي**، وقسم الجنود على الضباط بحيث كان نصيب كل ضابط ثلاثة جنود فقط، وهذا الأمر ما كان بالإمكان قبوله من الوجهة العسكرية لولا جسامة المهمة التي سينفذها الرجال... لذلك لم يحتج أي ضابط على قلة العناصر التي وضعت تحت إمرته.

**قسم النقيب أحمد عناصره إلى ثلاث مجموعات** بشكل تهاجم فيه مجموعتان فيه من الغرب إلى الشرق، والمجموعة الثانية تهاجم من الشرق إلى الغرب ومن ثم تنحدر إلى الأراضي اللبنانية ويتم الإزدلاف في نقطة محددة.

**ارتدى العناصر كافة رداءاً أبيضاً فوق ثياب الميدان**، وكان الرداء مصمماً بشكل يمكن المقاتل من التخلص منه بسرعة، وصعد الرجال باتجاه القمة ٢٥٠٠ التي تقع خلف القمة الرئيسية لجبل الشيخ، وكان يتمركز فيها أربع دبابات إسرائيلية وناقلة جنود تحتوي جماعة مشاة. وكان قوام المفرزة الإسرائيلية حوالي ٢٥ ضابطاً وعسكرياً.. اقترب رجالنا من الهدف بصمت مطبق وسمحت لهم لياقتهم البدنية بأن لا يظهر التعب والإعياء عليهم، لذلك لم يشعر العدو الإسرائيلي باقترابهم أبداً... بل لم تكن هذه الفكرة تخطر له على بال.

**وصل الرجال في الساعة ١,١٥ من يوم ١٩٧٤/٥/٢م إلى بعد ٢٥ متراً من الهدف**، وكان الإسرائيليون يضعون خفيراً واحداً على كل دبابة وناقلة مجنزرة وبذلك كان مجموع العناصر المعادية اليقظة خمسة، أي حوالي خمس القوة وهذا يعتبر من الناحية العسكرية أمراً جيداً.

**وعندما شاهد رجالنا الأعداء** أمامهم وعلى مرمى حجر منهم لم يصدقوا ما تراه أعينهم فقد أصبح الحلم حقيقة وهاهم أمام العدو وجهاً لوجه وسوف يعطونه درساً لن ينساه أبداً.

**كانت الأسلحة الملقمة كل بارودة بــ٧٥ طلقة، فقد ابتكر مغاويرنا طريقة في ربط المخازن وتجميعها بحيث أصبح بالإمكان تلقيم ثلاثة مخازن في البندقية ولا يحتاج** الأمر إلا إلى قلب المخزن وتبديل وضعيته حتى تصبح البندقية مذخرة من جديد. وبحركة واحدة تم نقل ذراع الأمان إلى وضعية الإطلاق وصرخ الرجال بصوت واحد (الله أكبر) واندفعوا كالإعصار

باتجاه المفرزة الإسرائيلية، وفي الوقت نفسه كانت قاعدة الدعم النارية تصلي الأهداف المعادية ناراً حامية. بينما قذف مغاويرنا الدبابات الإسرائيلية السنتوريون والناقلات المجنزرة بالقنابل اليدوية، وخلال ثوان معدودات وثب رجالنا على الدبابات الإسرائيلية واشتبكوا مع جنود العدو بالأيدي، وكان جنودنا وضباطنا يسحبون الجندي الإسرائيلي من دبابته وعندما يصبح هذا الجندي على ظهر الدبابة كانوا يوجهون له ضربة شديدة بحد كفهم على رقبته ثم يطرحون به من أعلى الدبابة إلى سفح الجبل. وكان الجندي الإسرائيلي يهوي على الأرض جثة لا حراك فيها.

**بعد خمس دقائق انتهت المقاومة الإسرائيلية.** وفي الساعة ١,٢٠ من صباح ١٩٧٤/٥/٢م سيطر رجالنا على المرتفع ٢٥٠٠ بعد أن قتلوا ٢٢ جندياً إسرائيلياً، وغنموا رشاش ١٢,٧ مم وهاون ٨٢ المركب على الناقلة المجنزرة وكافة الأسلحة الفردية وخرائط الموقع ومخططات النيران وفرشات الميدان الخاصة بالمناطق الباردة، وبكلمة واحدة لم يبق في المواقع سوى الحديد البارد المدمر لأن رجالنا وضعوا قنابل بلاستيكية لاصقة على الدبابات وفجروها وأحرقوها ولم يتركوا مسماراً واحداً في الموقع لم يحملوه معهم. بعد الانتهاء من تنفيذ الإغارة، أعطيت إشارة الإنسحاب لكافة المجموعات وفق الخطة المحددة وباتجاه منطقة الإزدلاف في قرية ريمة، وعادت المجموعتان اللتان هاجمتا من الغرب إلى الأراضي السورية مصطحبة معها الأسرى الثلاثة والغنائم الحربية الأخرى،

**بينما توجهت المجموعة الثالثة باتجاه الأراضي اللبنانية وهي تحمل قائدها الجريح الملازم أول فهيم اسماعيل.** وكانت مأثرة حقيقة لهؤلاء الرجال الذين حملوا قائدهم طوال ٧ ساعات على ظهورهم وهو ينزف دماً، ولم يتركوه للأعداء، **ونال شرف الشهادة وهو محمول على أكتاف رجاله.** وفي الأراضي اللبنانية، التقى رجالنا مع إخوتهم فصائل الثورة الفلسطينية الذين قاموا بنقلهم إلى دمشق، حيث وصلوا إلى وحداتهم بعد ظهر يوم

١٩٧٤/٥/٢م. ومعهم قائدهم الشهيد الذي قدم أروع البطولات في اقتحام الموقع المعادي ضارباً المثل في الشجاعة والجرأة.

**وقبل أن تصل المجموعتان الأخريان** إلى قرب بلدة عرنة، حاول أحد الأسرى الإسرائيليين الفرار من قبضة رجالنا فوكزه الجندي المكلف بحراسته فقضى عليه، وكان هذا الحادث درساً لرفاقه الآخرين كي لا يحذوا حذوه.

**وكتب العماد طلاس أيضاً:**

**لم أشعر بحياتي بسعادة تغمر كل كياني أكثر من السعادة التي شعرت بها عندما كلمني على الهاتف اللواء عبد الرزاق الدردري رئيس شعبة العمليات قائلاً:**

(عرب... نحن في طريق العودة ومعنا ثلاثة حمير)، وكنت أعلم أن كلمة عرب تعني الكود الرمزي نجاح الإغارة، وللأمانة لم أكن نائماً عندما كلمني اللواء عبد الرزاق الدردري لأنني كنتُ أقدر أهمية العمل الذي تقوم به قواتنا الخاصة على جبل الشيخ... وفي الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة اتصلت بسيادة الرئيس حافظ الأسد وأعلمته بنجاح الإغارة، وكان سروره بالغاً وطلب إلي أن اجتمع فوراً بالعناصر المنفذة وأن أنقل إليهم تحياته، وأن أقلدهم الأوسمة والرتب العسكرية التي منحهم إياها القائد العام للجيش والقوات المسلحة تقديراً لبطولتهم.

**لم نعلن أي خبر عن الموضوع إمعاناً في مضايقة العدو نفسياً، ولكن الجنرال الإسرائيلي إرئيل شارون لم يكتم الخبر وصرح قائلاً** (إنها عملية يجب أن ينظر إليها بإهتمام، إذ استطاع المظليون السوريون أن يتسلقوا جبلاً شاهقاً، وأن يهاجموا من الحركة جنوداً إسرائيليين متمركزين، فروا أمامهم مذعورين تاركين دباباتهم وأسلحتهم) وإن هذه العملية تحدث لأول مرة في الجيش الإسرائيلي، لقد أدركنا أهمية ما قام به رجالنا الشجعان من أقوال الدكتور هنري كيسنجر الذي قابل الرئيس الأسد في مساء يوم ١٩٧٤/٥/٣م ورجاه أن يطمئنه عن الأسرى ما إذا كانوا على قيد الحياة أم لا ؟..[١].

---

(١) العماد مصطفى طلاس، مرآة حياتي، الفصل الثالث والستون.

**وأردف كيسنجر قائلاً:** (**إن هذا الطلب لم يطلبه مني فقط وزير الدفاع الإسرائيلي وإنما مجلس الوزراء الإسرائيلي بكامله**).

**وكتب أيضاً:**

**أعلمني «جنرال الجيش» سيرغييف إيغور ديميتريفيتش، وزير الدفاع الروسي السابق،** بمعلومة سرية عن حرب تشرين التحريرية لم تشر إليها واسطة إعلام إطلاقاً في أرجاء العالم كافة.. **وتتلخص المعلومة بما يلي:**

**في اليوم العاشر للحرب،** وعندما بدأت القوات الإسرائيلية عملية العبور غربي قناة السويس وتطويق الجيش الثالث والتوجه إلى القاهرة على محور «السويس - القاهرة» والوصول إلى علامة المرور التي تبعد مائة كيلو متر عن العاصمة وبدأت كفة الحرب تميل لصالح الجيش الإسرائيلي، **تلقى العقيد (سيرغييف إيغور ديميتريفيتش)**[1] **أمراً إنذارياً من القيادة - وكان في حينها قائداً لفوج صواريخ (أرض - أرض) استراتيجية مزودة برؤوس نووية يصل مداها حتى أربعة آلاف كم وبدقة /٢٥/ متراً (كمحيد احتمالي) عن مركز الهدف** - كان فحوى الأمر الذي تلقاه بأن يقوم بفك الرؤوس النووية عن قواعد الإطلاق واستبدالها برؤوس تقليدية يبلغ وزن الواحد منها ألفي كيلو غرام من مادة (ت. ن. ت.) الشديدة الانفجار. وتم بالفعل استبدال /١٢/ رأساً نووياً بما يماثلها من الرؤوس التقليدية.. وكانت الأهداف المحددة: القاعدة الجوية الإسرائيلية القريبة من «حيفا»[2] مطار «رامات دافيد»، والهدف الثاني المفاعل الذري في «ديمونة»، والهدف الثالث مصفاة تكرير النفط في «حيفا».

---

(١) هكذا كانت رتبته العسكرية في العام ١٩٧٣م.

(٢) تقع قاعدة « رامات دافيد » الجوية شرق مدينة حيفا بحوالي /٢٥/ كم ويتمركز فيها حوالي / ١٢٠ / طائرة حربية متنوعة آنذاك.

ونظراً لتمركز الفوج الصاروخي في جمهورية أوكرانيا قرب مدينة «كييف»، فإن مدى الصواريخ يطال الأهداف المذكورة بكل تأكيد.

ولكن توقف الوحدات الإسرائيلية عند العلامة /١٠٠ كم/ على طريق السويس - القاهرة وتفاهم أمريكا وروسيا على ضرورة وقف إطلاق النار، جعل القيادة العسكرية السوفييتية تعدل عن قرارها بضرب أهداف إسرائيلية إستراتيجية هامة.

وقد قام العقيد الركن عز الدين إدريس نائب مدير الإدارة السياسية والملازم أول إبراهيم مصطفى المحمود بجولة على الجبهة السورية بتكليف من القائد العام للجيش والقوات المسلحة لتدقيق الموقف المتشكل على الأرض ميدانياً، وذلك أثناء بداية الخرق الإسرائيلي في القطاع الشمالي.

ومن الجدير بالذكر أن الإدارة السياسية قد لعبت دوراً هاماً في حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م. حيث تم إرسال ضباط ارتباط إلى قطاعات الجبهة كما يلي: القطاع الشمالي الملازم أول إبراهيم مصطفى المحمود، القطاع الأوسط، الملازم أول شريح طيارة القطاع الجنوبي النقيب محمود الخولي.

كما غطت القطاعات بالبعثات الإعلامية والتي شارك فيها ضباط الإدارة السياسية حسب عملهم واختصاصهم. حيث كانت البعثة الإعلامية في القطاع الشمالي مكونة من الملازم رياض عصمت والمصور حسن مرشد وغيرهما.

كما تمت تغطية القطاعات الأخرى ببعثات إعلامية أخرى. وكان ضباط الارتباط والبعثات الإعلامية تتحرك وتتمركز حسب تطورات الموقف المتشكل.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الباب السادس

## السياسة والحرب في بلاد الشام في الثمانينيات


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الفَصْلُ الأَوَّلُ

## حرب عام ١٩٨٢م

## في الاستراتيجيات الدولية والإقليمية

### أولاً - تمهيد:

**هل حصلت إسرائيل على موافقة الولايات المتحدة لغزو لبنان في السادس من حزيران (يونيو) ١٩٨٢؟ لا أعتقد أن الولايات المتحدة دفعت إسرائيل علناً إلى هذا العمل، بل سراً لأنها لم تعارض مطلقاً عملية الغزو. فقد قام شارون بزيارة سرية إلى وزارة الدفاع الأمريكية مطلع حزيران. ويصعب التصديق أن وزير الدفاع الإسرائيلي لم يلمِّح أمامَ مضيفيهِ إلى العملية العسكرية التي ينوي القيام بها بُعيدَ أيام معدودة. ربمّا كان لدى الجانب الأمريكي اعتراضات ما أو شكوك، ولكن ليس رفضاً للغزو المزمع. ويكتب ويليام كوانت أن الوزير هيغ حين علم من مسؤول المخابرات العسكرية الإسرائيلية عن الغزو المرتقب اكتفى بالقول: «ليس قبل الانسحاب من سيناء».**

**فقرار غزو لبنان اتخذ في تل أبيب**، أما الولايات المتحدة فأخذت تنفي علاقتها بالعملية الإسرائيلية قبل تنفيذها على أرض الواقع. ولم يشكل هذا الأمر عقبة حقيقية أمام إسرائيل التي نشطت في لبنان بدون أي وازع

يردعها، معتبرة أن ليس أمام واشنطن سوى تأييدها. وعندما انصرف هيغ من وزارة الخارجية كتبت الصحافة الأميركية أن أسباب استقالته «المبالغة في التمثيل» مع الإسرائيليين، **لكن الحق يُقال:** إن القيادة الإسرائيلية هي التي «بالغت بالتمثيل» مع البيت الأبيض.

انتصر في أواسط عام ١٩٨٢م خط التركيز على لبنان في كل من وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية الأميركية.

**لدى مجيئه إلى السلطة عام ١٩٨١م وصف الرئيس ريغان لبنان** بأنه ساحة «المصالح الحيوية الأميركية» بصرف النظر عن أن الأحداث الجارية في لبنان لا تهدد مصالح الولايات المتحدة السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية. إلاَّ أنَّ الاهتمام الأميركي انصبَّ على الشؤون اللبنانية بعد الغزو الإسرائيلي للبنان في حزيران (يونيو) من العام ١٩٨٢.

**ويمكن الاستنتاج إذاً،** أنَّ واشنطن كانت تنظر إلى الأحداث اللبنانية ارتباطاً بسعيها أولاً، ليس إلى تحصين الاتفاق المصري. الإسرائيلي فحسب الذي تحقق بعد جهود مضنية، واستكمال، ربما، سياسة الاتفاق المنفرد على حساب لبنان والأردن. وثانياً، عدم السماح للأحداث اللبنانية أن تتطور إلى حرب إسرائيلية. سورية، الأمر الذي سينسف الاستقرار العام في الشرق الأوسط آنذاك. كذلك كانت الولايات المتحدة تخشى من أنه في حال نجاح العملية الإسرائيلية ضد منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان قد يؤدي ذلك إلى تقوية مواقع الداعين في القيادة الإسرائيلية إلى قلب نظام الملك حسين و «حلّ» القضية الفلسطينية في إطار الضفة الشرقية لنهر الأردن.

**وكانت الولايات المتحدة ضد مثل هذا الحلّ الذي يضحّي بالأردن.** أما في ما خصّ الأحداث اللبنانية الداخلية فليس من المعقول ألا تفهم واشنطن أن انتصار أي طرف. سواء كان من المسيحيين أم من المسلمين. سيخلق التربة

الخصبة للأمزجة المعادية لأمريكا في البلدان العربية ذات الأنظمة المحافظة، وبخاصة بلدان الخليج النفطية.

**وعقد ريغان وإدارته الآمال الكبيرة** على المنحى العالمي لمظاهر القوة الأمريكية في لبنان. وعندما أعلن ريغان أن لبنان «يحتل موقعاً مركزاً في إظهار الإمكانيات الحقيقية للولايات المتحدة على المستوى العالمي» إنما كان يعني المواجهة مع الاتحاد السوفياتي.

**انعقد اجتماع لموظفي وزارة الخارجية الأمريكية** في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢م أبدى خلاله الوزير هيغ تخوفه على مصير الاتفاق المصري - الإسرائيلي بعد مقتل السادات. وبعد أسبوع من الاجتياح الإسرائيلي للبنان أعلن هيغ في مقابلة تلفزيونية يوم ١٣ حزيران (يونيو): «لم تمت كمب ديفيد. وأعتقد جازماً أن الأوضاع المأساوية في لبنان ستطرح إمكانيات جديدة من أجل بعث هذه العملية السلمية».

**وفي الشهر ذاته من العام ١٩٨٢ أعلن جورج بول** النائب السابق لوزير الخارجية ومندوب أميركا السابق لدى الأمم المتحدة، أمام لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس «أن غزو لبنان مهّد أما إسرائيل الطريق لضم الأراضي المحتلة بدون أي عوائق». **وأضاف بول**: «أثناء حديثي مع الجنرال **شارون** في إسرائيل أفهمني صراحة أن استراتيجيته طويلة الأمد في طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية والإبقاء، **كما قال**، على العدد المطلوب لليد العاملة فقط».

**ووجدت الولايات المتحدة نفسها في وضع لا تحسد عليه**، ففي التاسع من حزيران (يونيو) حاصرت القوات الإسرائيلية مدينة صيدا وشارفت على أبواب الدامور وغدت على مسافة ١٥ كيلو متر من بيروت. وفي محاولة لقطع الطريق على القوات السورية المنتشرة في سهل البقاع التي بدأ الإسرائيليون المواجهات معها في ذاك اليوم بالذات، استخدمت الولايات

المتحدة حق النقض «**الفيتو**» على نص قرار لمجلس الأمن الدولي يمهل إسرائيل ست ساعات لوقف إطلاق النار وسحب قواتها إلى خارج الحدود الدولية مع لبنان، فيما صوّت بقية الأعضاء الأربعة عشر لصالح مشروع القرار(١).

**وفي السادس والعشرين من حزيران** (يونيو) استخدمت الولايات المتحدة «**الفيتو**» **مرة أخرى** ضد مشروع قرار فرنسي يطلب فصل القوات - في بيروت. وحظي هذا المشروع بأصوات بقية أعضاء المجلس كافة. وكانت إسرائيل في هذا الوقت قد أحكمت طوق الحصار على بيروت الغربية وقطعت الطريق التي تربط بين بيروت ودمشق، وبدأت قصف العاصمة اللبنانية استعداداً لاجتياحها. وفي اليوم التالي بقيت الولايات المتحدة وإسرائيل وحيدتين في عزلة في الجمعية العامة للأمم المتحدة التي صوتت بغالبية ١٢٧ صوتاً (ضد اثنين) على قرار يطالب القوات الإسرائيلية بالانسحاب من لبنان.

**وتواصل اجتياح بيروت** على الرغم من اقتراح عرفات التفاوض من أجل إخلاء مقاتليه من بيروت صوناً لحياة المدنيين. وقد أيدت كل من فرنسا ومصر فصل القوات وإخراج المقاتلين الفلسطينيين وانسحاب إسرائيل إلى مسافة خمسة كيلومترات عن بيروت، على أن يرتبط ذلك كله بالتحرك نحو تسوية شاملة للنزاع. لكن الحكومة الإسرائيلية قرّرت رفض هذه الصيغة.

**وأخذت الولايات المتحدة تبحث عن مخرج من الموقف الحرج** الذي هي فيه. ففي ٢٩ تموز (يوليو) لم يشارك المندوب الأمريكي في التصويت على قرار يدعو إسرائيل إلى فك الحصار عن بيروت، وفي الرابع من آب (أغسطس) امتنع عن التصويت على قرار يدعو إسرائيل للانسحاب إلى مواقع ما قبل الأول من آب (أغسطس) تحت طائلة فرض عقوبات عليها.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٧١.

لكن هذه القرارات لم تنفذ، فقد أرسلت إسرائيل رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تعلن فيها رفضها سحب قواتها من بيروت الغربية. عندها تقدم الاتحاد السوفياتي بمشروع قرار يطالب باتخاذ جميع الإجراءات المناسبة لضمان تنفيذ القرارات الصادرة سابقاً، وعلى رأسها وقف إطلاق النار ونشر مراقبي الأمم المتحدة في بيروت ومحيطها. وصوّت إلى جانب هذا المشروع أحد عشر عضواً وامتنع ثلاثة (بريطانيا وزائير وتوغو) ولجأت الولايات المتحدة **إلى «الفيتو» مجدداً**. ومع ذلك تم الاتفاق في العاشر من آب (أغسطس) على خطة خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت. وقد عادت مواقف الولايات المتحدة في الأمم المتحدة عليها بخسائر كبيرة في العالم العربي، مما هدّد دور الولايات المتحدة المتقدّم في تسوية النزاع الشرق أوسطي، هذا الدور الذي رسمته «بأبهى صورة» الدبلوماسية الأميركية في كامب دايفيد.

**بيد أن نظرة إسرائيل إلى الأحداث اللبنانية** لم تكن لتتطابق كلياً مع سلّم الأهداف الأميركية. فالقيادة الإسرائيلية ركّزت على هزيمة قوات منظمة التحرير وإخراج الفلسطينيين من لبنان وربط ذلك بإمكانية ضم الضفة الغربية وغزة. وانطلقت إسرائيل، أيضاً. من أن عمليتها في لبنان ينبغي لها أن تضعف سورية، مع احتمال توجيه ضربات مباشرة للقوات السورية في لبنان، بل وربّما خارج حدوده أيضاً.

وهذه الصورة للأهداف الأميركية والإسرائيلية تؤكدها التصريحات والمذكرات والوقائع التي كشف عنها لاحقاً.

**وفي ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٨٢م قال الجنرال شارون** في مقابلة نشرتها مجلة «تايم» «كلما كانت ضرباتنا أقوى والخسائر أكبر في البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية، أبدى العرب في الضفة وقطاع غزة استعدادهم للتفاوض والتعايش معنا».

**وبعد لقائه مع وزير خارجية أميركا الجديد جورج شولتز** في واشنطن بتاريخ **٢٧ آب (أغسطس) ١٩٨٢م،** أعلن **شارون** أمام غابة من ميكروفونات الصحافيين: «إسرائيل لم توافق يوماً ولن توافق على قيام دولة فلسطينية.. فالدولة الفلسطينية موجودة. الأردن هو الدولة الفلسطينية».

**وكتب أوينون** المسؤول السابق في وزارة الخارجية الإسرائيلية: «السياسة الإسرائيلية، في أوقات السلم كما في أوقات الحرب، يجب أن تخضع لهدف أوحد ألا وهو زوال الأردن بنظامه الحالي.. ونمو الهجرة الفلسطينية من غرب الضفة إلى شرقها»(١).

**واهتزّ العالم بأسره للجريمة** الدموية التي نظمتها القيادة الإسرائيلية ونفذها الكتائبيون بحق اللاجئين الفلسطينيين، بمن فيهم الأطفال والنساء، في مخيمي **صبرا وشاتيلا**. أما الأميركيون فكثفوا نشاطهم لوضع اتفاق إسرائيلي - لبناني، ولهذا الغرض قام الوزير شولتز بجولات مكوكية على مدار أسبوعين بين إسرائيل ولبنان لمتابعة تفاصيل الاتفاق الذي لحظ قيام «منظمة أمنية » في جنوب لبنان. هكذا كان ثمن خروج القوات الإسرائيلية، وهكذا أُرغم لبنان على توقيع اتفاقية السابع عشر من أيار (مايو) ١٩٨٣م.

**وفي أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٢م** دخلت «القوات المتعددة الجنسية» إلى لبنان وتضم ١٢٠٠ من جنود البحرية الأمريكية ووحدات عسكرية من فرنسا وإيطاليا.

**وفي وصفه للاتفاقية اللبنانية - الإسرائيلية قال الرئيس حافظ الأسد** في حديث مع كاتب هذه السطور(٢) في الثاني من حزيران عام ١٩٨٣ في

---

(١) المقالة نشرت في مجلة «كيفونيم» (الاتجاهات). وأوردتها:
**Middle East International, 31X, 1982,p.13**

(٢) يفغيني بريماكوف، الشرق الأوسط، ترجمة علي العرب، دمشق، دار اسكندرون، ط١ ٢٠٠٦م، ص٢١٩

دمشق «الاتفاقية مرفوضة من قبلنا **لسببين رئيسيين. أولاً**، انطلاقاً من مصلحة أمن سورية الوطني. **وثانياً**، لأنها تحدّ من سيادة لبنان وتقيّد حريته في قراراته، الحرية التي تستخدمها أية دولة مستقلة.

**احكموا بأنفسكم**: ماذا يعني أن يحرم الاتفاق لبنان من امتلاك صواريخ أرض جو على أراضيه لا يزيد مداها على خمسة كيلو مترات. هذا يعني أن إسرائيلي سوف تتحكم بالأجواء اللبنانية بدون أي وازع. إلى جانب ذلك يحظر الاتفاق على الطيران اللبناني التحليق فوق الأجزاء الجنوبية من البلاد، والتي هي أرض لبنانية، إلاّ بعلم مسبق من قبل إسرائيل. أو لنأخذ نقطة أخرى مهينة وتتناقض مع حقوق لبنان السيادية، إذ ينص الاتفاق على أن أية دولة عربية أو غير عربية، لا تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل لا يحق لها نقل أسلحة بوساطة الترانزيت عبر الأراضي أو الأجواء والمياه الإقليمية اللبنانية. وماذا يعني أيضاً أن جميع القرارات المتعلقة بجنوب لبنان ينبغي أن تكون مشتركة بين لبنان وإسرائيل؟».

**ومما قاله الرئيس حافظ الأسد أيضاً**: أنه بموجب عقد الاتفاق سيغدو الجنود الإسرائيليون على مسافة أربعة وعشرين كيلو متر من دمشق بينما الجنود السوريون على مسافة ٢٥٠ كيلو متر من تل أبيب.

وختم مستخلصاً «أليس واضحاً أن هذا الوضع يحتم موقف سورية السلبي من الاتفاق، فنحن في حالة حرب مع إسرائيل»؟

**وهكذا يُعدُّ الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م** جزءاً من الأعمال العسكرية التي تخدم الإستراتيجية الأمريكية العليا، والتي تعمدت الدولة الصهيونية القيام بها في المنطقة العربية مقابل حصولها على الدعم الأمريكي في جميع المجالات، وبغية تحقيق الإستراتيجية الصهيونية في الوصول إلى أهدافها القديمة - الحديثة التي تتضمن:

**١ - التوسع على حساب الأرض العربية.**

**٢ - ضرب قوى التحرير العربية.**

**٣ - السيطرة على المنطقة العربية والمشاركة في نهب ثرواتها.**

t **وفي السياق التاريخي لنضال الشعب العربي الفلسطيني** من أجل استرداد وطنه وحقوقه، تعتبر حرب عام ١٩٨٢م أول وأهم مواجهة فلسطينية إسرائيلية منذ ما قبل عام ١٩٤٨م، فقد جاءت المجابهات الفلسطينية الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨م وحتى عام ١٩٨٢م في إطار المواجهات العربية - الإسرائيلية العامة، أو في إطار مواجهات جزئية متقطعة هي عمليات كر وفر فلسطينية - إسرائيلية بين قوات الثورة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي.

t **كما أن نتائج حرب تشرين التحريرية** قد تركت آثاراً سلبية على المجتمع الإسرائيلي، ولا يمكن إزالة هذه الآثار إلا بإحراز نصر عسكري واسع.

t **ومن جهة أخرى فإن الحرب التي خططتها الصهيونية** في أرض لبنان كانت تستهدف بشكل أو بآخر القوات السورية، لأن سورية ظلت هي الدولة الوحيدة من دول المواجهة التي تتبنى بشكل مبدئي وعلني القضية الفلسطينية، وتدعم المقاومة الفلسطينية، وتقف في وجه كل المخططات الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية.

t **ويمكن القول: إن حرب لبنان قد تضمنت ثلاثة أشكال حربية تختلف فيما بينها بالطبيعة والأهداف والنتائج.**

**فالشكل الأول** كان مجابهة بين القوات الإسرائيلية النظامية، والقوات شبه النظامية الفلسطينية والمدربة أساساً على حرب العصابات وكان الطابع الغالب على هذه المجابهة «حرب المدن»، والتي انتهت بحصار بيروت وخروج قوات منظمة التحرير منها.

t **والشكل الثاني** كان مجابهة تقليدية بين الجيشين النظاميين السوري والإسرائيلي، وقد تميزت هذه المجابهة بالمناورات المحدودة، وباصطدامات

واسعة النطاق بين المدرعات والطائرات ووسائط الـــ م / ط، وانتهت بوقوف كل من الطرفين على خطوط جديدة في البقاع والجبل ضمن وضع استراتيجي عسكري غير مستقر ينطوي على احتمالات المواجهة مجدداً.

t **أما الشكل الثالث** فهو حرب الاستنزاف التي خاضتها المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي فأوقعت أكبر الخسائر البشرية به، وانتزعت زمام المبادرة والمفاجأة من أيدي القوات الإسرائيلية حتى الانسحاب الإسرائيلي شبه التام من لبنان.

## ثانياً - الوضع الدولي والإقليمي قبيل الحرب [ ١٩٨٢م]

**أ - الإطار الإستراتيجي:**

**من الحكمة أن ننظر إلى حرب عام ١٩٨٢م**، بوضعها في إطارها الاستراتيجي الشامل، وهو ما أطلق عليه في إسرائيل مصطلح استراتيجية إسرائيل في الثمانيات. ولعل في التقرير الذي قدمه وزير الدفاع **إرئيل شارون** في ندوة حول شؤون الأمن الإسرائيلي ما يلقي بعض الضوء على ذلك. **قال شارون**: (تعود أهم مشاكلنا الأمنية في الثمانينيات وفقاً لما أراه إلى مخاطر خارجية تتعرض لها إسرائيل وسلامتها وحقوقها السيادية **وتأتي هذه المخاطر من مصدرين: أولهما** المواجهة العربية، **وثانيهما** التوسع السوفييتي المرتكز على المواجهة العربية والذي يزود هذه المواجهة بالأدوات السياسية والعسكرية. **وعلى هذا فإن محور استراتيجية إسرائيل هو مواجهة المواجهة العربية (نتيجة لتشكيل جبهة الصمود والتصدي)**، وذلك بقهر الإرادة العربية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً والتوسع في الأرض العربية والقضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية والسيطرة على المنطقة العربية وتصفية النفوذ السوفييتي فيها وجعلها خالصة للهيمنة الأمريكية - الإسرائيلية.

**تركت مهمة ترتيب الأولويات** بين هذه الأغراض للقيادة الإسرائيلية، فكان أن أصبحت تصفية م. ت. ف تصفية كيانية تتناول تشكيلاتها المقاتلة

ومؤسساتها القيادية واجتثاث الوجود الفلسطيني من لبنان وتطبيق مبادىء كمب ديفيد ونهجها في لبنان ، في مقدمة سلم أولويات الاستراتيجية الإسرائيلية.

**وليس هذا فحسب** وإنما ينبغي أيضاً أن ينظر إلى حرب عام ١٩٨٢م في ضوء التطورات التي حصلت منذ اتفاق وقف إطلاق النار بين الثورة الفلسطينية وإسرائيل وهو الاتفاق الذي وقع في ١٩٨١/٧/٢٤، بعد أربعة عشر شهراً من حرب استنزاف شديدة ومتصاعدة.

**لقد خلق اتفاق وقف إطلاق النار**، الذي جرى التوقيع عليه بين رئيس اللجنة التنفيذية لــ م.ت.ف والجنرال **كالاهان** قائد قوات الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان يونيفل)، وضعاً سياسياً جديداً، أساسه أن م.ت.ف و«دولة إسرئيل» أصبحتا طرفين متحاربين متساويين في الحقوق والواجبات أمام القانون الدولي، على الأقل، بصفتهما طرفين متحاربين. وهذا ما أقر في وعي الرأي العام العالمي وفي المحافل الدولية. وبذلك اكتسب مسار تبلور الشرعية الدولية للمنظمة بعداً جديداً كبير الأهمية والخطورة تجاه إسرائيل ذاتها، ولدى دول العالم، وفي الأمم المتحدة. يضاف إلى ذلك، أن المنظمة لم توقع الاتفاق كطرف مهزوم، وأن إسرائيل لم توقعه بصفة المنتصر[١].

**ولقد أدى اتفاق وقف إطلاق النار هذا إلى النتائج الآتية:**

١ - **ارتفاع مكانة م.ت.ف في العالم.**

٢ - **أصبحت إسرائيل مقيدة** بعدم إمكاناتها مواصلة «الحرب الوقائية» ضد الثورة الفلسطينية، إذا لم تخرق م.ت.ف الاتفاق.

٣ - **كان وقف إطلاق النار فرصة جيدة** تأخذ الثورة فيها بعض النفس والراحة، وتعيد تنظيم صفوفها، وتستعد لجولة قادمة إذا ما خرقت إسرائيل الاتفاق.

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٧٦.

٤- **أصبح زمام المبادرة بيد الثورة الفلسطينية**، بنفس المقدار الذي هو بيد إسرائيل في حال رغبتها في خرق الاتفاق.

٥- **تعزيز وضع المنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني**. وأصبحت المسافة بين الاعتراف الدولي الرسمي الواسع لها، وبين الاعتراف بها كطرف كامل متساو مع بقية الأطراف في النزاع، قصيرة جداً.

**لقد جاءت هذه المكاسب الهامة** التي حازتها الثورة الفلسطينية نتيجة لعملية صيف ١٩٨١م، واتفاق وقف إطلاق النار الذي تلاها، لتكون من بين أهم العوامل المؤثرة في استراتيجية حرب ١٩٨٢م، وفي أحد أهدافها الرئيسية، وهو القضاء على م.ت.ف كقوة ثورية عسكرية.

**كما نشبت حرب لبنان في وقت أعادت فيه الاستراتيجية الإسرائيلية** الاعتبار والتقدير لمفهوم الذرائع، أي الأسباب المبررة للحرب. وكانت إسرائيل، بعد حرب ١٩٦٧م، قد اطمأنت إلى نظرية «الحدود الآمنة» التي انهارت إثر حرب ١٩٧٣م. فأعادت إسرائيل،في مطلع الثمانينيات الحياة إلى مفهوم الذرائع، واشتد التمسك به، وبخاصة أن هناك سببين آخرين أسهما في ذلك: **أولهما** تعاظم القوة العسكرية العربية، نوعاً وكماً، وإدراك إسرائيل أنها بلغت حدود قدرتها العسكرية على التطوير الكمي لجيشها. وأعلن وزير دفاعها أنها أوقفت سباق التسلح، وأنها لن تتنافس مع الجيوش العربية في معدات التدمير، وهي، حسب قوله، ستواصل تطوير الأسلحة والحصول عليها لتغيير المعدات القديمة فقط.

وأعلن: **أن إسرائيل ملزمة بالرد على الحالات التالية**:

١- **خرق الترتيبات الأمنية** التي تحددها الاتفاقيات مع مصر وسورية.

٢- **إرسال قوات عراقية إلى الأردن**، أو إلى جنوبي سورية، أو إرسال قوات سورية إلى الأردن بصورة كثيفة.

٣ - **خرق الوضع الراهن في جنوبي لبنان.**

٤ - **توجه دول المواجهة العربية نحو السلاح النووي.**

**ولم تكن هذه الذرائع جامدة أو ثابتة لا تتغير،** وإنما هي قابلة للإضافة والتعديل، كمثل ما فعل وزير الدفاع الإسرائيلي حين أضاف، فيما بعد، ذريعة جديدة هي «نشر شبكة صواريخ مضادة للطائرات على امتداد نهر الأردن شمالاً»، وكمثل ما فعل رئيس الوزراء **حين قال:** «إن من يسيطر على جبل صنين والأجواء اللبنانية، سيسيطر على لبنان كله حتى الحدود اللبنانية - الإسرائيلية. وليس في ذلك أدنى شك. وعندئذ ستواجه إسرائيل خطراً يهدد وجودها، ولن يكون هناك من سبيل لمنع الحرب»[1].

**وهكذا أصبحت** «دوافع الحرب الإسرائيلية» شبكة متداخلة من الخطوط الحمراء، شكلت محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن يوم ١٩٨٢/٦/٣م، أحد تلك الخطوط.

**ب - التحالف الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل:**

**لم تبدأ إسرائيل غزوها للبنان** إلا بعد أن طورت علاقتها بالولايات المتحدة تطويراً استراتيجياً هاماً، تمثل فيما يسمى «مذكرة التفاهم».

**وقد وقع وزيرا الدفاع الأمريكي والإسرائيلي** على المذكرة في واشنطن يوم ١٩٨١/١١/٣٠م. وبعد ذلك بيومين، أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي، في معرض رده على المعارضة، عن وجود بنود سرية في الاتفاقية، إذ قال: «هذه الاتفاقية لم تصنع للنشر في الصحف. هل يستطيع أحد أن يتصور إمكانية عرض تفصيلات مثل هذه الاتفاق بشكل علني. هل هناك مثال في العالم على اتفاقية مفتوحة تشير بوضوح إلى عدد الدبابات والأعتدة والتعاون الأمني وغيرها لأي طرف؟».

---

(١) خطاب مناحيم بيغن في الكنسيت ١٩٨١/٥/١١.

**رأت إسرائيل في هذه الاتفاقية سبيلاً** لكي تطلب من الجانب الأمريكي رفع حجم المعونات الأمريكية العسكرية والاقتصادية إلى ثلاثة مليارات دولار سنوياً. كما اعتبرتها تتويجاً للعلاقات الأميركية - الإسرائيلية «ووضع الأسس لتحالف عسكري استراتيجي بين الدولتين».

**جاء إعلان التحالف الإستراتيجي** بين الولايات المتحدة وإسرائيل ثمرة طبيعية لتاريخ العلاقات بينهما وتطويرها، وتعبيراً جديداً عن الالتقاء في المصالح والأهداف في سياق التطورات والتبدلات التي جرت في الوطن العربي في السبعينيات، وبخاصة إثر خروج مصر من دائرة العمل العسكري العربي.

**إن خطورة هذه الاتفاقية** لا تكمن فقط في رفع قدرات العدو الإسرائيلي عسكرياً واقتصادياً، بما يضمن استمرار تفوقه على العرب، وتكريس احتلاله للأراضي العربية، ورفع وتيرة اعتداءاته وتوسعاته، وإنما تكمن، أيضاً، في إقدام الولايات المتحدة على التحالف العسكري الاستراتيجي مع كيان هو في حالة حرب مع الدول العربية، (باستثناء مصر).

**يضاف إلى ذلك كله،** أن الولايات المتحدة نادت بما أسمته «الإجماع الإستراتيجي»، الذي يهدف إلى تحقيق ما اسماه الرئيس ريغن «الاستقرار الإقليمي في الشرق الأوسط، بحيث يمكن التصدي الصارم للأخطار الإستراتيجية الخارجية وأخطار التدخل الأجنبي التي تهدد استقلال دول المنطقة». ولم يجد المشروع استجابة لدى الدول العربية.

**وهكذا تركت الدوائر الثلاث:** التحالف الأمريكي - الإسرائيلي، ونهج كمب ديفيد، والإجماع الإستراتيجي، أثرها وبصماتها على الأرضية التي انطلقت منها إسرائيل في غزوها للبنان. ولقد استند تخطيط الغزو وتنفيذه إلى مرتكزات سياسة الإدارة الأمريكية حيال الصراع العربي الإسرائيلي وقضية فلسطين، **وأبرز هذه المرتكزات:**

١- **رفض الاعتراف بـــ م.ت.ف**، أو التفاوض معها، فهي، في نظر حكومة الرئيس ريغن، «منظمة إرهابية».

٢- **رفض حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني**، ورفض إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

٣- **اعتبار إسرائيل حليفاً إستراتيجياً** ومرتكزاً جغرافياً وسياسياً وعسكرياً تستند الولايات المتحدة إليه في المنطقة العربية.

٤- **دعم السياسة العدوانية لإسرائيل**، وبخاصة في مجال الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان، والعمل على تصفية القضية الفلسطينية خلال القضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية، وتطبيق أحكام اتفاقيتي كمب ديفيد بشأن الإدارة الذاتية في الضفة والقطاع.

**انطلقت إسرائيل في غزوها مستندة إلى هذه المرتكزات**، وإلى التخطيط المشترك بينها وبين الولايات المتحدة، وإلى التسلح الحديث الغزير الذي زودتها به هذه الدولة الحليفة، من أجل تحقيق الأهداف المشتركة والأهداف الإسرائيلية الخاصة، وفي مقدمتها الاحتلال والتوسع.

**وفي إطار هذا التحالف**، تكفلت الولايات المتحدة وتكلفت بالتغطية والحماية السياسية لإسرائيل وغزوها في إطار الأمم المتحدة. وكمثال على ذلك، استعملت الولايات المتحدة حق النقض، في النصف الأول من العام ١٩٨٢م فقط، ست مرات في مجلس الأمن، لإسقاط قرارات أيدها المجلس بأكثريته الساحقة. وهذه القرارات تتعلق بالوضع في الأراضي الفلسطينية المحتلة والجولان وبلبنان واعتداءات إسرائيل عليه(١).

---

(٢) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٧٩.

**كان من النتائج المباشرة** لهذا السلوك الأمريكي في مرحلة ما قبل حرب ١٩٨٢م، أن أصبحت إسرائيل قادرة على الاستمرار في تطبيق خططها العدوانية وسياساتها الاستعمارية. **وعلى هذا انطلقت إسرائيل في أعمالها العدوانية التالية:**

**١ - الاستمرار في تنفيذ الضم الواقعي للضفة الغربية وقطاع غزة.**

**٢ - ضم الجولان.**

**٣ - الاحتلال الواقعي لجنوب لبنان، والتدخل المستمر في الشؤون الداخلية اللبنانية.**

**٤ - تهديد الدول العربية.**

**وما ضرب المفاعل النووي العراقي (حزيران ١٩٨١م)** المنشأ لأغراض سلمية، والغارة على مقر م.ت.ف في تونس (تشرين الأول ١٩٨٥)، سوى مثالين على ذلك.

**لقد أثبتت مقدمات الحرب** وظروف الإعداد والتخطيط لها، وعوامل وعناصر تنفيذها، كما أثبتت مجريات المعركة ذاتها، وأحداث ما بعد وقف إطلاق النار، أن حرب ١٩٨٢م جرت بمعرفة الولايات المتحدة وبتأييد منها، وبحمايتها وبأسلحتها. ويأتي ذلك من خلال التحالف الاستراتيجي بينها وبين إسرائيل، وتطابق الأهداف، وتبادل المكاسب. ولقد تواترت الأدلة والشهادات التي تثبت ذلك، ولم ينكرها أو يصححها أحد.

**إن وزير الخارجية الأمريكية الكسندر هيغ**، ووزير الدفاع **كاسبار وإينبرغر** ومستشار الأمن القومي **وليم كلارك**، ونائب الرئيس **جورج بوش**، والرئيس الأمريكي نفسه، كانوا قد تعهدوا، منذ شهر أيار ١٩٨٢م، بمساندة الغزو الإسرائيلي للبنان. وكان **واينبرغر وكلارك** قد وافقا على العمليات البحرية والجوية التي صدرت الأوامر بها قبل الغزو في ١٩٨٢/٦/٦م.

**وثمة شهادة أخرى، هي قول الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر** أن الرئيس **رونالد ريغن** كان على علم مسبق بعملية **«سلام الجليل»**، وأنه أعطى الضوء الأخضر لتنفيذها. وقال كارتر: «قامت قوة إسرائيلية بالدخول إلى لبنان، حيث وصلت إلى بيروت دون مواجهة عقبات جدية. وقد برّر الإسرائيليون هجومهم باغتيال سفيرهم **شلومو أرغوف** في لندن، مع أن مجموعة أخرى غير تابعة للمنظمة أعلنت مسؤوليتها عن الحادث. قبل ذلك وخلال فترة سابقة من العام نفسه، تم إبلاغ موظفين في وزارة الخارجية الأمريكية بتفاصيل خطة عامة أشرف عليها **أرئيل شارون**، وتدور حول قيام إسرائيل بعملية في لبنان».

**جـ - الوضع العربي:**

**انتهزت إسرائيل فرصة انهيار التضامن العربي**، عندما بلغ هذا الانهيار، قبيل الحرب وفي أثنائها، حداً لم يبلغه من قبل، ولم تنفع جميع العلاجات في مداواته. وفي حين جاءت التدابير الإسرائيلية - الأمريكية، وبخاصة إثر خروج مصر من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي - وبعد التحالف الإستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة، لتكفل ازدياد نمو القدرة العسكرية الإسرائيلية، جاء انهيار التضامن العربي ليعمل على إنقاص القوة العسكرية العربية وإضعافها حتى الهزال، على الرغم من التنامي الظاهري المحقق لهذه القوة.

**أنقذ الوضع العربي هذا إسرائيل من بعض المعضلات** التي تواجه إستراتيجيتها العسكرية، كالقتال عل أكثر من جبهة واحدة، والتفوق الكمي العسكري العربي، بشراً وسلاحاً وغير ذلك. وهكذا ساعد الوضع العربي إسرائيل على تبسيط عناصر إستراتيجيتها العسكرية في حرب ١٩٨٢، فلم تعد مضطرة إلى القتال على جبهتين أو أكثر، أو إلى مواجهة حشد عسكري

عربي كبير، أو إلى تشتيت جهدها العسكري من أجل منع وصول القوات العربية إلى منطقة التحشد العملياتي وهي جنوب لبنان. في حين ركز الجهدان الأمريكي والإسرائيلي عل تعزيز القوة العسكرية لإسرائيل، بحرية وأمان، أسهم الوضع العربي في تحرير تلك القوة من هواجسها ومعضلاتها الإستراتيجية، وجعل ميزان القوى في المنطقة، وفي حرب ١٩٨٢ بالذات، ميزاناً عسكرياً بحتاً بين القوات الإسرائيلية من جهة وبين قوات الثورة الفلسطينية والقوات السورية الموجودة في إطار قوات الردع العربية في لبنان من جهة أخرى.

## ثالثاً - الأهداف:

**ليست الأطماع الاستعمارية الصهيونية في لبنان** وليدة الظروف والنتائج التي آلت إليها الأوضاع اللبنانية إثر الحرب الأهلية التي اندلعت في نيسان ١٩٧٥م، وإنما تعود تلك الأطماع إلى بداية إنشاء الحركة الصهيونية، التي وضعت لبنان في مقدمة اهتماماتها الإستراتيجية، وخططت لتحقيق أطماعها فيه، عندما تتاح لها الفرصة. وقد جاءت الظروف اللبنانية والعربية في صيف ١٩٨٢ م لتمنح الكيان الصهيوني تلك الفرصة.

### ١ - المياه :

**من يراجع أدبيات الحركة الصهيونية**، منذ نشوئها حتى اليوم، يلاحظ تركيز المفكرين والزعماء الصهيونيين على لبنان ومصادر المياه فيه. ويتضح من مجمل الوثائق والتصريحات التي أصدرتها مؤتمرات الحركة الصهيونية وزعماؤها، قبل قيام الكيان الصهيوني، كما يتضح من مجمل المشروعات التنموية والمائية التي سعى هذا الكيان، بعد قيامه، إلى تنفيذها، أن إسرائيل طامعة في الحصول على موارد المياه في الجنوب اللبناني، **وبخاصة مياه نهري الليطاني والحاصباني**، وذلك إضافة على الأهداف الاستعمارية

والتوسعية الأخرى الملازمة للحركة الصهيونية وكيانها إسرائيل. وكمثال عل ذلك، نذكر أن **موشيه شاريت**، أحد رؤساء الحكومات الإسرائيلية السابقين، كان يرى أن عدم إدراج **نهر الليطاني** ضمن مشروعات إسرائيل المائية هو خطيئة أساسية ارتكبتها حكومته.

**٢ - العمق:**

**وضعت إسرائيل في إستراتيجيتها** العسكرية لحرب ١٩٨٢م، الحصول على عمق إستراتيجي في لبنان، مماثل لذلك العمق الذي حصلت عليه في معاهدة السلام مع مصر (١٩٧٩)، بل يفوقه أهمية.

**فإذا كان للعمق الذي نتج عن المعاهدة المصرية** - الإسرائيلية قاصراً على الأراضي المصرية وحدها، ومنها سيناء، فإن العمق، الذي يمكن أن توفره معاهدة سلام لبنانية - إسرائيلية مماثلة، يمتد إلى العمق السوري، بحيث يشمل المناطق السكنية المكتظة بالسكان (دمشق - حمص - طرطوس) ومنطقة الجبهة السورية - الإسرائيلية كلها، ومناطق الحشد والحركة الاستراتيجيين. وقد جسّدت اتفاقية ١٩٨٣/٥/١٧ التي سقطت فيما بعد، هذا المطمع الإسرائيلي في العمق الإستراتيجي اللبناني - السوري.

**٣ - نفي الوجود الفلسطيني:**

**وثمة غرض رئيسي** آخر سعت إليه إسرائيل في إستراتيجيتها هو "نفي الوجود الفلسطيني من لبنان" وقد تجسد هذا الغرض في ثلاثة أهداف يتلو أحدها الآخر:

**١ - إبعاد البندقية الفلسطينية عن الحدود ٤٠ــ ٤٥ كم.**

**٢ - إخراج قوات الثورة الفلسطينية في لبنان.**

**٣ - اجتثاث الوجود الفلسطيني في لبنان بوساطة المذابح والإرهاب.**

وقد تحقق الهدف الأول، وتحقق الهدف الثاني بمعظمه، وفشلت إسرائيل في تحقيق الهدف الثالث على الرغم من مذبحة صبرا وشاتيلا وما كان ينتظر أن يتبعها من مذابح وأعمال عنف وإرهاب[*].

## رابعاً - السبب المباشر للحرب:

t **أُطلقت النار على السفير الإسرائيلي في لندن "شلومو آرغوف" مساء ٣/ حزيران/ ١٩٨٢م**،من قبل ثلاثة أشخاص، ليقوم الطيران الإسرائيلي في اليوم التالي بالإغارة على الأهداف الفلسطينية والتي كان من ضمنها مباني القيادة في بيروت، حيث اعتبر ياسر عرفات ذلك تحدياً، فرد بقصف مدفعي دام أربعاً وعشرين ساعة على شمال الجليل وجيب حداد.

t **اجتمعت الوزارة الإسرائيليـــة** بكامل أعضائهـــا، **يوم السبت ١٩٨٢/٦/٥م**، وقررت الهجوم بعد أن كانت قد حصلت على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة لتوقيت العدوان كما مر معنا سابقاً، وقال بيغن: "لا لن نسمح بإصابة سفير إسرائيل، لأن إصابته مثل إصابة إسرائيل بأكملها" وعلى هذا سيأتي الرد[١].

t **في الساعة ١١،٠٠ من صباح ١٩٨٢/٦/٦م بدأت القوات الإسرائيلية** عملية سلام الجليل وتقدمت باتجاه لبنان.

**أهداف العملية:**

**١ - تصفية الوجود العسكري والسياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية.**

---

(١) العماد مصطفى طلاس، الغزو الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢، مصدر سابق، ص١١٣ - ١١٤ - ١١٥.

(٢) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٨٢.

**٢ - إخراج القوات السورية من لبنان.**

**٣ - دعم القوى التي تستطيع الارتباط معها، بوساطة القوة العسكرية وتمكنها من السيطرة على الحكم تحقيقاً لاعتراف متبادل.**

**فكرة العملية:**

**تقضي بتوجيه الضربة الرئيسية** بالاتجاه العام أرنون - النبطية - صيدا مع ضربة مساعدة على الاتجاه الساحلي الناقورة - صور - صيدا، وبالتعاون مع الانزالات البحرية على الساحل للعمل في مؤخرات قوات المقاومة الفلسطينية وإرباك عمليات القيادة والسيطرة والمناورة والإمداد. تتدفع القوات البرية بأقصى سرعة للوصول إلى أهدافها مع الأخذ بعين الاعتبار تنفيذ أعمال مشاغلة وتثبيت على الاتجاه الشرقي في المرحلة الأولى بهدف التضليل بأن العملية محدودة تستهدف فقط مواقع المقاومة الفلسطينية الرئيسية التي كانت تؤثر على مستعمرات شمالي فلسطين المحتلة دون التعرض للمواقع السورية الأمامية في بداية الغزو.

## خامساً - ميزان القوى وانتشار القوات

**ذهبت بعض التقديرات إلى أن قوات الثورة الفلسطينية** قد بلغت ٢٥٠٠ مقاتل مسلحين جيداً بأسلحة متنوعة بما في ذلك دبابات ومدفعية متعددة الأنواع ومخزون ضخم جداً من الذخائر، وهناك أرقام أخرى. لكن قد يكون الأقرب إلى الصحة أن الرقم يتراوح بين ١٢٠٠٠ مقاتل و١٤٠٠٠ مقاتل[١]. وكانت تشكيلات المقاومة الفلسطينية مزودة ببنادق آلية ورشاشات عيار ٧,٦٢-١٢,٧ ومدافع عيار ٨٥ - ١٢٢ - ١٣٠ - ١٥٥ مم وراجمات

---

(١) د. هيثم الكيلاني، إستراتيجية إسرائيل في حروبها، إصدار جامعة الدول العربية، تونس ١٩٨٦، ص٩٨.

صواريخ عيار ١٠٧ مم، ١٢٢ مم ودبابات ت ٣٤-٥٤-٥٥ وعربات مصفحة.

| دبابات | مد ١٣٠- ١٥٥ | مد/صا بم ٢١ | مد م/د | ها/ مختلفة | ناقلة/ مدرعة | أسلحة مشاة فردية أو جماعية |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ٨ - ١٠٠/د | ٤٨ | ٨٠ | ٧٧ | ٦٠ | ٢٠ | عدة آلاف |

**كما قدرت بعض المصادر القوات السورية العاملة في إطار قوات الردع العربية في لبنان** عشية الحرب بفرقة مدرعة معززة قوامها حوالي ٣٠,٠٠٠ جندي منتشرة على كامل الأراضي اللبنانية ومزودة بحوالي ٣٠٠/د و٣٠٠/ مد وأسلحة أخرى.

**انتشرت القوات السورية في لبنان لتحقيق هدفين:**

**١ - الفصل بين القوات اللبنانية المتنازعة.**

**٢ - الدفاع (التحصن) في مواجهة احتمال قيام الجيش الإسرائيلي بمهاجمة دمشق عبر سهل البقاع**[٢].

**تحصنت القوات الفلسطينية** في (٥) قطاعات رئيسية إضافة إلى مدينة بيروت على النحو التالي:

١ - **قطاع الشريط الساحلي يضم صيدا - صور - النبطية - جباع** تمركز فيه لواء القسطل حوالي ٥٠٠٠ مقاتل.

٢ - **قطاع العيشية**: انتشر فيه لواء اليرموك حوالي ٦٠٠ مقاتل.

٣ - **قطاع العرقوب** انتشرت فيه لواء الكرامة، وضم حوالي ١٥٠٠ مقاتل.

---

(١) المصدر نفسه.

٤ - **قطاع الزهراني - الأولي**: وكان يتبع عسكرياً لقطاع الشريط الساحلي وانتشرت فيه كتيبة أيلول التابعة للواء القسطل، ووصل مجموع الفدائيين في هذا القطاع إلى (١٥٠٠) مقاتل.

٥ - **قطاع الأولي - الدامور**: وكان في عهدة قوات (عين جالوت) التابعة لجيش التحرير الفلسطيني.

٦ - **قطاع بيروت**: وينتشر فيه نحو (٤٠٠٠) فدائي إضافة إلى عدد غير محدد من الدبابات والمدفعية والأسلحة م/د والـــ م/ط.

٧ - **تمركزت القوات المشتركة** في الجنوب تحسباً للعدوان الإسرائيلي المتوقع وتتألف من قوات الثورة الفلسطينية وقوات أخرى وطنية ولبنانية.

**t أما الجيش الإسرائيلي العامل** - دون القوات الاحتياطية فتألف عشية الحرب من ١٦٩٠٠٠ جندي، وقد اشترك منهم في الحرب (١٢٥ - ١٥٠) ألف ومعهم حوالي ١٦٠٠/د + ١٦٠٠ ناقلة مدرعة وحوالي ٦٠٠ مدفع وراجمة صواريخ بالإضافة إلى القوات الجوية والقوات البحرية.

**وبهذا فإن نسبة القوات المشتركة** إلى قوات الغزو مختلة بشكل كبير ويمكن أن تكون على **الشكل التالي**:

| **الصنف / النوع** | **القوات المشتركة** | **قوات الغزو** |
|---|---|---|
| القوات البرية | ١ | ١٢ - ١٥ |
| الدبابات | ١ | ١١٦ - ٢٠ |
| المدفعية | ١ | ٣ |

مع عدم توفر أية قوى جوية أو بحرية للقوات المشتركة.

t **وقد تم حشد القوات الإسرائيلية على النحو التالي:**

أ - فرقة مدرعة في منطقة الخالصة - المطلة - النخيل.

**ب** - فرقة مدرعة في منطقة علما - الصفصاف - صفد.

**ج** - فرقة مدرعة على الاتجاه الساحلي في منطقة عين يعقوب - البصة.

t **كما تحشدت الأنساق الثانية** في عمق الجولان ومنطقة سهل الحولة "روشبينا - نجمة الصبح".

وهكذا أنهى العدو الإسرائيلي إنشاء التجمعات الضاربة وأصبحت قواته في جاهزية قتالية في ١ / ٦ / ١٩٨٢م.

## سادساً - مراحل العملية:

**أ - المرحلة الأولى: من سعت ١١٠٠ ي ٦/٦ ولغاية ي ٦/٨ بهدف: تدمير القوات الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية في المناطق التالية: حاصبيا - برغوث - أرنون - النبطية - صور - صيدا - الدامور والاستيلاء على الخط: خلدة - الباروك - جزين ويحمر وعين عطا. وتأمين وصول سريع للقوات الرئيسية إلى منطقة بيروت في الاتجاه الساحلي وإلى طريق دمشق - بيروت في الاتجاه المركزي.**

**ب - المرحلة الثانية: اعتباراً من صباح ٩ /٦ لغاية سعت ١٢٠٠ ي١١ /٦ (سعت وقف إطلاق النار) على الخط: خلدة - عين دارة - الصعلوك - جب جنين - ينطا.**

بهدف تدمير القوات السورية في سهل البقاع وتقسيمها بتوجيه ضربات أمامية وجانبية وعزل مدينة بيروت.

**جـ - المرحلة الثالثة: بين ٦/١٢ - ١٠/٢ بهدف:**

- **استكمال عزل بيروت والوصول إلى طريق دمشق - بيروت.**
- **تدمير تشكيلات المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية في بيروت الغربية.**
- **تهديد وتقسيم وتطويق القوات السورية من الشمال[١].**

---

(١) رزق الياس، تقييم عملية الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، ص١.

# الفصل الثاني

## حرب عام ١٩٨٢م

**لقد كانت حرب لبنان أطول الحروب العربية الإسرائيلية**، وأكثرها تأثيراً في الكفاح المسلح الفلسطيني، ذلك لأن إسرائيل هدفت إلى ضرب عدوها التاريخي وحركته الوطنية وقيادة نضاله، وسعت إلى أن تكرر بطريقة أخرى ما قامت به في حرب ١٩٤٨ بشأن اجتثاث الشعب الفلسطيني وإبادة أكبر قسم منه.

**سبقت الحرب عمليتان كبيرتان ضد المقاومة الفلسطينية** في جنوب لبنان وقعتا في عامي ١٩٧٨م و ١٩٨١م وكانتا في منزلة المقدمة لحرب ١٩٨٢م، وقد احتلت «إسرائيل» في هذه الحرب نحو نصف مساحة لبنان، وظلت فيه ثلاث سنوات، واستمر النضال فيها ضد قوات الاحتلال بطرائق متعددة، وإلى أن انتهى اندحار تلك القوات وانسحابها من الأراضي اللبنانية في حزيران ١٩٨٥م، مع احتفاظها بشريط متاخم للحدود في الجنوب، ثم أكملت «إسرائيل» انسحابها من جنوب لبنان، اندحاراً في أيار سنة ٢٠٠٠م، غير أنها أبقت مزارع شبعا اللبنانية تحت سيطرتها بذريعة أن احتلالها تم في حرب ١٩٦٧م، وأن الانسحاب منها رهن بالمفاوضات مع سورية.

**لم تحقق «إسرائيل» الأهداف** التي حددتها لنفسها من هذه الحرب، إذ فوجئت بعنف الرد الفلسطيني والسوري واللبناني الوطني. وكان مجلس الأمن قد أصدر يوم ١٩٨٢/٦/٥م قراره رقم ٥٠٨ الذي نصّ على وقف النشاطات

العسكرية كافة داخل الأراضي اللبنانية وعبر الحدود. بيد أن «إسرائيل » لم تتقيد بهذا القرار، ولا بالقرارات التي صدرت بعده، وساعدتها الولايات المتحدة الأمريكية على تعطيل قرارات المجلس باستخدام حق النقض (الفيتو) أكثر من مرة. وحمل صيف ١٩٨٢م معه وضعاً عربياً ودولياً ملائماً للعدوان الإسرائيلي على قواعد منظمة التحرير الفلسطينية والمخيمات الفلسطينية في لبنان، فقد كانت الدول العربية منشغلة بحرب الخليج الأولى (ما بين العراق وإيران)، وكانت مصر قد خرجت من دائرة العمل العربي بسبب اتفاقيات كامب ديفيد (معاهدة السلام بين مصر، و «إسرائيل») ونقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس، في حين حصلت «إسرائيل» على دعم الولايات المتحدة باتفاقية تعاون استراتيجي ١٩٨١م وأطلقت يدها ضمنياً. وقد أفادت مصادر الأمم المتحدة أن «إسرائيل» خرقت المجال الجوي اللبناني في المدة من ٧/٢٤/ ١٩٨١م إلى ١٩٨٢/٦/٤م نحو ٢١٢٥ مرة.

**اتخذت** «**إسرائيل**» **من وجود قوات الردع العربية**، وخاصة القوات السورية، **ذريعة لعدوانها** على لبنان وعدته خطراً استراتيجياً عليها. وكانت المقاومة الفلسطينية تحتّل في الساحة اللبنانية وزناً نضالياً فعّالاً ومؤثراً، وتضم ما لا يقل عن ١٢ إلى ١٤ ألف مقاتل مزودين بدبابات ومدافع متنوعة ومخزون كبير من الذخائر. **وكانت ميليشيا** «**القوات اللبنانية** » **المؤلفة من نحو ٢٥ ألف مقاتل** على عداء مع المقاومة الفلسطينية. وطال الاعتداء ثلاثة أطراف عربية في آن واحد هي **لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية وقوات الردع العربية**، وامتد أمد الحرب أكثر من المعتاد بمقاييس الصراع العربي الإسرائيلي.

**وقد منيت** «**إسرائيل**» نتيجة هذه الحرب بعزلة دولية واضحة، وحاولت الولايات المتحدة تخفيف هذه العزلة بمد «إسرائيل» بالمساعدات العسكرية والمالية وتوسيع إطار تعاونها الاستراتيجي والسياسي معها. وكانت قوات الردع العربية - وهي سورية في معظمها - تتألف من فرقة مدرعة معززة،

قوامها نحو ٣٠ ألف جندي، وإلى جانبها قوات مشتركة لبنانية تضم فئات وطنية مختلفة، وكانت نسبة هذه القوة العددية في مواجهة قوات العدو تعادل ١ إلى ١٢-١٥، أما الدبابات فكانت نسبتها ١ مقابل ٥٠ لدى العدو الإسرائيلي، وكانت القوات الإسرائيلية عشية الحرب تتألف من ١٦٩ ألف جندي وأكثر من ٣٢٠٠ دبابة و ٧٠٠ طائرة، أما القوات التي شاركت في الغزو فعلاً فبلغت نحو ١٢٥ ألف جندي وجميع القوات الجوية والبحرية.

**تقسم حرب ١٩٨٢م إلى مرحلتين أساسيتين**، تفصل بينهما واقعة خروج القوات الفلسطينية من بيروت، استمرت **المرحلة الأولى** نحو ٣ اشهر (من ٦/٦ حتى ١٩٨٢/٨/٣١م)، وقد تذرعت «إسرائيل» بمحاولة اغتيال سفيرها في لندن، فقامت بقصف الساحل اللبناني من البر والبحر والجو، وفي يوم ٦/٦ شرعت القوات الإسرائيلية بالتقدم براً من جهة الساحل ومتابعة مسيرها شمالاً على الرغم من المقاومة الفلسطينية واللبنانية والسورية[١].

**وقد تمكن المبعوث الأمريكي** من إقناع جيش الغزو بعدم التعرض للقوات السورية بدءاً من ظهر ١٩٨٢/٦/١١م، ومع إعلان «إسرائيل » عدم نيتها الاصطدام بالقوات السورية، وأن غرضها إبعاد القوات الفلسطينية إلى مسافة ٤٠-٥٠ كم عن الحدود الإسرائيلية الشمالية، **إلا أنها هاجمت القوات السورية في البقاع**، وتابعت تقدم قواتها في مختلف المناطق وعلى جميع المحاور نحو بيروت، وكانت العاصمة اللبنانية (عشية الغزو) مقسّمة بين «القوات اللبنانية (بيروت الشرقية) والقوة الوطنية (بيروت الغربية) ومعها القوات الفلسطينية والسورية». **استمرت معركة بيروت ٦٥ يوماً وقسّمت إلى خمس مراحل:**

**١ - التقدم من جنوب خلدة إلى المطار.**

---

(١) اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود، موسوعة السياسة والحرب عند العرب، مصدر سابق ، ص٦٨٨.

**٢ - تطويق بيروت.**

**٣ - التقدم إلى تخوم المناطق الآهلة.**

**٤ - الاستنزاف المتبادل.**

**٥ - التورط في القتال في المناطق الآهلة. وإزاء الإخفاق الذي منيت به القوات الإسرائيلية في احتلال بيروت كلها، قبلت وقف إطلاق النار الذي أقره مجلس الأمن يوم ١٢ /١٩٨٢/٨م بالقرار ٥١٨.**

**بدأت المرحلة الثانية (أيلول ١٩٨٢م حتى حزيران ١٩٨٥م)** باستقرار الوجود العسكري الإسرائيلي في المناطق التي احتلتها. وفي ١٤ /١٩٨٥/١م قررت «إسرائيل»، تحت ضغط المقاومة اللبنانية وتعاظم الخسائر التي نزلت بها، سحب قواتها من لبنان باستثناء الشريط الحدودي، وأنجز الانسحاب قبل مطلع حزيران ١٩٨٥م.

**ودخلت الحكومة اللبنانية و «إسرائيل»، في مفاوضات متعددة الأطراف** إلى أن توصلت إلى مشروع اتفاقية ١٧ أيار ١٩٨٣م التي أسقطتها المقاومة، وقد نص قرار وقف إطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن على إرسال قوات متعددة الجنسيات للفصل بين الطرفين، وتألفت هذه القوات من وحدات من الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا (نحو ٣٨٠٠ فرد) بدأت بالوصول إلى بيروت في ٨/٢١/ ١٩٨٢م، وبعد أن تم انسحاب القوات الفلسطينية والسورية من بيروت غادرت القوات المتعددة الجنسيات لبنان (١٠الى ١٣ /٩/ ١٩٨٢م). غير أن اغتيال الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل في ١٩٨٢/٩/١٤م، حفز «إسرائيل» على متابعة غزو بيروت وضربت طوقاً على مخيمي صبرا وشاتيلا[١]، وخططت لمذبحة تقوم بها

---

(١) العميد بهيج بحليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، بيروت، دار نوبليس، ط١ ٢٠٠٤م، المجلد السادس، ص١٠٤.

القوات اللبنانية بإشراف وزير الدفاع الإسرائيلي **إرئيل شارون** الشخصي، وتم تنفيذ العملية في ١٦-١٩٨٢/٩/١٨م، ووقع ضحية المذبحة ٣٢٩٧ شهيداً، وكان ذلك سبباً في عودة القوات المتعددة الجنسيات بناءً على طلب رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد، فوصلت طلائعها إلى بيروت يوم ٩/٢١، في حين أخذت القوات الإسرائيلية تنسحب من بيروت حتى أخلتها يوم ٩/٢٩، ونهجت القوة الأمريكية على التدخل في الشؤون اللبنانية الداخلية والانحياز إلى طرف دون آخر.

**فقاومتها المقاومة الوطنية اللبنانية**، وفجرت يوم ١٩٨٣/٤/١٨م السفارة الأمريكية في بيروت، فقتل نحو ٨٠ شخصاً، كما قتل نحو ٢٣٩ جندياً أمريكياً بقصف مدفعي على قيادة القوة الأمريكية في جوار مطار بيروت يوم ١٠/٢٣، كذلك تعرضت الوحدات والمؤسسات الفرنسية لبعض ما تعرضت له الوحدات والمؤسسات الأمريكية، فقررت هذه القوات الانسحاب من لبنان في ١٩٨٤/٢/٢٢م، وأنهت انسحابها في ٣/٣١، في حين تركزت عمليات المقاومة الوطنية اللبنانية على «حرب استنزاف» للعدو الإسرائيلي، ألحقت به خسائر كبيرة، واضطرت الحكومة الإسرائيلية أخيراً إلى سحب قواتها من لبنان بقرار من جانب واحد مقرة بتورطها الاستراتيجي وإخفاقها في لبنان[١].

## أولاً - سيناريوهات الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية:

**الخطط القتالية تبقى سراً** لا ينشر بأي شكل كان، وما ينشر منها هو المسموح به فقط، ومن الطبيعي أن يراعى في ذلك حساب ردّات الفعل داخل "إسرائيل"وخارجها، وبالعودة إلى ما تم نشره يمكن الوقوف عند القواسم

---

(١) الموسوعة العربية، دمشق إصدار هيئة الموسوعة العربية، صدر منها حتى الآن ١٧ مجلداً، المجلد الثامن، ص٢١٩-٢٢٠.

المشتركة التي وردت بوضوح على لسان /ريتشارد غابرئيل/ الذي أوضح أنه قبل أكثر من خمسة أشهر من بدء الحرب كانت هناك على الأقل ثلاثة سيناريوهات تناقش بين أعضاء القيادتين السياسية والعسكرية، وتمت مناقشة كل منها بشكل مستفيض من قبل صانعي القرار «من سياسيين وعسكريين» في "إسرائيل".

آ - **السيناريو الأول: يتضمن غزو لبنان وتدمير منظمة التحرير الفلسطينية في الجنوب، وإنهاء الهجمات على المستوطنات الحدودية الإسرائيلية، بحيث تشن الحرب فقط ضد منظمة التحرير الفلسطينية على أن يتم تجنب الاشتباك مع القوات السورية بأي ثمن، ويتم تقدم الجيش الإسرائيلي على ألا يتجاوز نهر العوالي "الأولي"، أي على عمق /٤٠كم/ من الحدود بدءاً من رأس الناقورة، وضرب منظمة التحرير بأشد ما يمكن من دون التحرك باتجاه بيروت أو دخولها، وهذه الخطة هي عملية مشابهة لعملية الليطاني التي نفذها الجيش الإسرائيلي عام ١٩٧٨م، لكنها أوسع نطاقاً منها.**

ب - **السيناريو الثاني: توجيه ضربة ضد قوى منظمة التحرير الفلسطينية من دون دخول حرب مع سورية، لكن تقوم القوات الإسرائيلية بالتوغل شمالاً حتى بيروت، ولا يدخل الإسرائيليون المدينة بالقوة، بل يعتمدون على حلفائهم "الكتائب" لتدمير ما يتبقى من منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة، ومرة أخرى تمَّ ذكر خط الأربعين كيلو متراً بشكل علني، ولكن هذه المرة مبتدئاً من (المطلة) - وهي أقرب مستوطنة إسرائيلية من الحدود الشمالية - مما يعني وصول الجيش الإسرائيلي إلى خط يحاذي مدينة بيروت.**

ج - **السيناريو الثالث: وهو الذي نفذ ميدانياً، وعرف في أوساط الجيش**

**الإسرائيلي باسم "الخطة الكبرى"، وهي الخطة الأكثر طموحاً والتي تدعو لحرب ضد منظمة التحرير الفلسطينية وضد القوات العربية السورية، وكانت تتضمن التقدم حتى بيروت ضمناً، حيث تعمل القوات الإسرائيلية - بالتعاون مع قوات /الكتائب/ - على أن يقع العبء الأكبر في القتال على /الكتائب/، وهنا أيضاً يوضع خط الأربعين كيلو متراً بدءاً من المطلة.**

**بالعودة إلى المقابلات التي أجريت مع بعض أعضاء الكنيست يتبين أنه** - قبل محاولة اغتيال "**آرغوف**" في /٣ حزيران ١٩٨٢م/ - لم يكن هناك أي قرار رسمي من الحكومة الإسرائيلية قد اتخذ بالغزو، كما لم يكن قد عرف أي شيء حول كيفية تنفيذ العمليات الميدانية. وفي أثناء المناقشات التي جرت قبل صدور القرار الفعلي للغزو كادت حكومة /تل أبيب/ تنقسم على نفسها إلى عدة أطراف كل منها يفضل خطة مختلفة؛ فرئيس الوزراء **/بيغن/** مع معظم القادة المدنيين فضلوا الخطة الأولى وفق ما جاء في السيناريو الأول مع تعديلات طفيفة تصل القوات الإسرائيلية بموجبها إلى نقطة أقرب من بيروت، في حين فضّل وزير الحرب **/آرييل شارون/** خياراً آخر لم يفصح عنه بشكل واضح، وتبين أنه كان يستعجل غزو لبنان، معتمداً على قدرة الجيش الإسرائيلي وسرعته في تعبئة الاحتياط، ففي المتوسط يحتاج الجيش الإسرائيلي إلى /٢٤/ ساعة لتعبئة احتياطية بنسبة تصل إلى /٦٠%/ من قواته، وإلى /٤٨/ ساعة للقيام بالتعبئة العامة.

**بعد أن تقرر دخول لبنان على ثلاثة محاور أساسية تم تقسيم مسرح العمليات إلى ثلاثة قطاعات عملياتية:**

**القطاع الساحلي: ويمتد من رأس الناقورة حتى بيروت، و سمي بالقطاع الغربي.**

**القطاع الأوسط: ويشمل مرجعيون -جزين - طريق دمشق - بيروت الدولي.**

**القطاع الشرقي: ويمتد من الحدود الشمالية الشرقية لفلسطين المحتلة وحتى منطقة البقاع الشرقي، ويشمل حاصبيا - راشيا الوادي - بحيرة القرعون - وسط البقاع - ينطا - رياق - بعلبك.**

**وكان لكل قطاع قائده الخاص**، كما كان لكل فرقة أو قوة توازيها قائدها الخاص.

**في ضوء ما تقدم تقرر بدء الهجوم بثلاث فرق عسكرية تقدمت لتنفيذ الخطة الإسرائيلية للحرب:**

- **الفرقة /٣٦/ بقيادة "أفيغدور كاهالاني"**، وكانت موجودة في مواقعها في مرتفعات الجولان.
- **الفرقة /١٦٢/ بقيادة العميد "مناحيم عينان"**، وكان عليها أن تتحرك مع رجالها ومعداتها - بما في ذلك أكثر من /٣٠٠/ دبابة وناقلة جنود - من وادي الأردن.
- **الفرقة /٢٥٢/ بقيادة العميد "عمانوئيل ساكيل"**، وكان عليها أن تتحرك من أقصى الجنوب لتعمل كقوة أساسية في القطاع الشرقي، ولهذا كان عليها الانتقال من المنطقة الجنوبية في فلسطين المحتلة عبر الطريق الساحلية باتجاه الناقورة لتنعطف يميناً باتجاه السفوح الغربية لسلسلة حرمون للعمل في القطاع الشرقي.

**على الرغم من أن خطط الانتشار كانت موجودة مسبقاً**، وأن الجيش الإسرائيلي يتدرب باستمرار على إعادة انتشار قواته في مختلف الاتجاهات إلا أنه تمَّ طلب تعبئة الوحدات الاحتياطية العضوية والقيام بإجراءات تحضيرية واسعة.

**تم اتخاذ القرار بالهجوم البري مساء يوم السبت في الخامس من حزيران**، وكان من المنتظر أن يبدأ الجيش الإسرائيلي هجومه في اليوم التالي، وقد نشرت الصحافة الإسرائيلية لاحقاً تفاصيل بدء الهجوم، مبينة أنه

تم إعطاء المهام ليلاً، وقد طلب رئيس الأركان آنذاك **/روفائيل إيتان/** مزيداً من الوقت، فقيل له: إن السرعة ضرورية لتجنب قيام الأمريكيين بالضغط على"إسرائيل" ومنعها من القيام بأي عمل إطلاقاً[1]، وطلب منه البدء بالتقدم بأسرع ما يمكن، وحدد موعد الهجوم الساعة /١٢/ ظهراً، وقد تبين فيما بعد أن التحرك بدأ في الساعة الحادية عشرة صباحاً، وهناك إشارات عدة تبين أن بعض الوحدات - وبخاصة في الجهة الشرقية - قد تحركت بأقل من قوتها العادية، وقام بعضها الآخر باستعارة بعض القوات العضوية من الوحدات المجاورة للقيام بمهام أقل أهمية.

**تجمعت القوة الإسرائيلية الكبرى، وتحشدت للحرب أمام القوات السورية**، وقام جزء منها بأعمال تظاهرية في مواجهة قوات منظمة التحرير الفلسطينية، حيث حشد الجيش الإسرائيلي أربع فرق و/٨٠٠/ دبابة وعدداً كافياً من **القوات الاحتياطية ورجال الكوماندوس** في مواجهة مواقع قواتنا المسلحة في الشرق، وقد تبين أننا أمام قوة تفوقنا عدداً وعدةً بأكثر من الضعف، رغم أن كل التصريحات الصادرة عن /تل أبيب/ كانت تهدف لإقناعنا بأن الحرب ستكون فقط ضد منظمة التحرير الفلسطينية، ومع ذلك فقد أثار تحشد معظم القوات الإسرائيلية قبالة مواقعنا الشكوك بالنوايا الإسرائيلية والتوجس من قيامها بأعمال عسكرية مباشرة ضد قواتنا العاملة في لبنان، وهنا بدأت قواتنا استعدادها لخوض حرب واسعة النطاق يقيناً منها أن من خطط للحرب كان يدرك أن قواتنا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام أي تهديد.

**لقد كان /شارون/ الذي يرغب في توسيع نطاق الحرب يدرك أن كل**

---

(١) تسويق مثل هذه الأفكار في الصحافة والمطبوعات الإسرائيلية مُتَعَمَّد بهدف إعطاء قدر من المصداقية للدور الأمريكي ليبقى مقبولاً لدى الرأي العام العربي والدولي، مع العلم أن الوثائق الإسرائيلية ذاتها تثبت أن العدوان تم بالتنسيق مع واشنطن وبمباركتها وبدعمها المباشر.

ما يحتاجه لتحقيق هذا الهدف هو التحرش بقواتنا المسلحة العاملة في لبنان، كما كان يتطلع إلى إقحام بيروت في الحرب، وهو على يقين بأن /الكتائب/ ستتحرك بلهفة ضد منظمة التحرير فور وصول الجيش الإسرائيلي إلى أبواب المدينة، وأن بدء حرب مع القوات السورية عملية سهلة، لأنها لن تسمح بالاعتداء عليها على الرغم من الفرق الكبير في موازين القوى العسكرية، وقد تناسى /شارون/ وأركاناته أن رجال الجيش العربي السوري لا يساومون على الكرامة ولا يقبلون الضيم،وهم يعشقون الشهادة، ويستعذبون الموت في سبيل أداء الواجب المقدس، فالشهادة غدت مدرسة راسخة البنيان ضاربة الجذور في أعماق الوجدان العربي السوري، وجميع أبناء قواتنا المسلحة الباسلة حفظوا في عقولهم وحفروا في قلوبهم شعار: "الشهادة أو النصر، والشهادة أولاً؛ لأنها طريقنا إلى النصر ".

## ثانياً - خطط الحرب:

الفكر الصهيوني عدواني منذ النشأة، وجوهره يتمحور حول اغتصاب ما أمكن من أرض وحقوق، والاستيلاء على ممتلكات أبناء المنطقة بشتى الوسائل وفي مقدمتها استخدام القوة العسكرية، ولذا يتميز التجمع الصهيوني عن بقية المجتمعات الإنسانية بأنه تجمع حربي بجميع أفراده ومكوناته إلى درجة استبدل فيها المؤسسون الأوائل للفكر الصهيوني المقولة الفلسفية التي تتضمن: «أنا أفكر إذاً أنا موجود»، بمقولة أخرى فحواها: «أنا أحارب إذاً أنا موجود»، والحرب ليست مجرد كلام يقال بل لها متطلبات لا بد من توافرها ليتمكن من يفكر بالحرب من الإقدام على شن الحرب والعدوان، وبما أن الكيان الصهيوني رأس حربة للمشروع الاستعماري في المنطقة فإن التأهيل الذي يخضع له قادته العسكريون يتضمن أحدث ما وصل إليه العلم العسكري في الدول التي تدعم ذاك الكيان مادياً وعسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً، إضافةً إلى المعارف والخبرات النظرية

**والعملية المتعلقة بالعدوان والتخطيط له بشكل مسبق، مع الأخذ بالحسبان مختلف السيناريوهات وتقدير التكلفة والمردود، ومن ثم اعتماد أنسب الخيارات التي تمكّن من تحقيق الأهداف المرسومة، لكن مهما بلغت دقة الأعمال والتخطيط الذي يسبق أية حرب تبقى النتائج مفتوحة على كل الاحتمالات، وبخاصة في ظل تنامي أهمية الإنسان ودوره الفاعل في المعركة في شتى مراحلها لأنه سيد المعركة أولاً وأخيراً، وعليه وحده تتوقف إمكانية تحقيق الانتصار، ومن السذاجة بمكان التفكير بأن الكيان الصهيوني قد يقدم على تصعيد عسكري على هذه الجبهة أو تلك كرد فعل سريع ومتهور على حادثة ما مهما تكن تلك الحادثة، بل يتخذ من الحادثة ذريعة ومسوغاً لشن حرب سبق وأن أعدّ لها كل ما يلزم من خطط ومتطلبات، وفي ضوء هذا كان الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان /١٩٧٨م/، وتكرر عام /١٩٨٢م/، وهو ما حدث أيضاً في صيف /٢٠٠٦م/. وفي عام ٢٠٠٨م مما تقدم يتبين أن غزو لبنان كان أمراً محسوماً لدى قادة تل أبيب ومن يقف إلى جانبهم، وقد عمل الفكر العسكري الصهيوني على تقديم** خطة عسكرية متكاملة للحرب تضمنت تقسيم لبنان إلى ثلاث مناطق عملياتية:

١ - **المنطقة الأولى**: تمتد على طول الساحل من الحدود الإسرائيلية وحتى بيروت، وتشكل"القطاع الغربي".

٢ - **المنطقة الثانية**: "القطاع الأوسط"، وتمتد من مرجعيون جنوباً إلى جزين ثم إلى الشرق.

٣ - **المنطقة الثالثة**: "القطاع الشرقي"، وتمتد عبر حاصبيا باتجاه راشيا الوادي - بحيرة القرعون.

**كان لكل منطقة من هذه المناطق قائدها الخاص** بها، وللمرة الأولى في تاريخ الجيش الإسرائيلي تم تشكيل قيادة ميدانية على مستوى فيلق بقيادة اللواء /أفيغدور بن غال (**يانوش**)/ الذي قاد الوحدات في القطاع الشرقي، أما في الوسط والغرب فلم يتم تعيين قائد ميداني عام (قائد فيلق)؛ مما أعطى قادة

الفرق العاملة في هذين القطاعين نوعاً من الاستقلالية، وكانت تابعيتهم مباشرة لقيادة المنطقة الشمالية بقيادة اللواء **/أمير دروري/** ونائبه اللواء **/أوري سميحوني/**، وقد عكس تشكيل قيادة فيلق في الشرق الحاجة لخلق قيادات مؤقتة بين الفرق والمنطقة الشمالية للسيطرة على القوة الكبيرة التي كانت مؤلفة من حوالي أربع فرق تضم /٣٨٠٠٠/ رجل و /٨٠٠/ دبابة وعدداً كافياً من الاحتياطيين.

آ - **الخطة في القطاع الغربي:**

**قضت الخطة التكتيكية الإسرائيلية في القطاع الغربي** أن يتم الهجوم بقوام فرقة على طول الطريق الساحلي، وأن يقوم الجيش الإسرائيلي بالاندفاع نحو صور وصيدا بسرعة وتطويق عناصر منظمة التحرير الفلسطينية في داخل المدن والمخيمات، وبعد ذلك تقوم قوات المشاة السريعة المحمولة في ناقلات الجنود بالترجل والاشتباك مع أفراد منظمة التحرير في المخيمات والمدن، ويقوم رأس حربة بقوام لواء مدرع بعد الوصول إلى الدامور بشق طريقه إلى ضواحي بيروت حيث ينتشر هناك.

كانت خطة الهجوم مثالية للجيش الإسرائيلي، وقد اعتمدت هذه الخطة على التقدم السريع والدروع الثقيلة وتجاوز مراكز تجمع المقاومة ومفاجأة "العدو" في المؤخرة.

**أُوكل أمر التنفيذ في الغرب إلى قوتين رئيستين:**

- **الفرقة /٩١/ بقيادة /إسحق مردخاي/**، وهي تضم ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية، وعدداً من الدبابات بحدود المئة، إضافة إلى ما يفوق ملاكها من ناقلات الجنود المدرعة، كما تم استدعاء ستة ألوية احتياطية لصالح الفرقة معظمها من مشاة الناحال والمظليين.

- **الفرقة /٣٦/ دبابات بقيادة الجنرال /أفيغدور كاهلاني/**، وقد سمح لها بالاعتماد على الاحتياطيين عندما تحركت القوات الإسرائيلية باتجاه صور

وصيدا، وفي اليوم الثالث للهجوم كان بوسع **/مردخاي/** قائد الفرقة/٩١/ إضافة لواء مظلي آخر إلى قوته ليصبح حجمها بحدود فرقتين، ومع استمرار العملية ترك أحد الألوية قوة **/مردخاي/** وانضم إلى قيادة "**عاموس يارون**" ثم انفصل لواء آخر لينضم إلى قوة **/كاهلاني/**، أما اللواء الذي شكل رأس الحربة وتقدم إلى صور وصيدا ثم تابع إلى الدامور فقد كان أساساً يتبع للفرقة /١٦٢/، وهو اللواء الـــ /٢١١/ بقيادة العقيد **/إيلي جيفا/**.

**كان من المفترض** أن تتقدم قوة لواء من بنت جبيل باتجاه قلاوية لتلتقي بالقوات القادمة من صور، وتحاصر منظمة التحرير الفلسطينية في المثلث الحديدي، وفي الوقت نفسه يقود /يارون/ قوة خاصة تابعة للفرقة /٩٦/ في هجوم برمائي خلف صيدا مستخدماً كتيبة لإقامة حاجز أمام الفلسطينيين تنضم لرأس الحربة المتحرك شمالاً باتجاه الدامور، ويكون رأسُ الحربة للإنزال البرمائي الكتيبةَ الـــخمسين من اللواء المظلي /٣٥/، وهي قوة صد خاصة بقيادة العقيد /بارير ياروم/ المعروف باسم /يايا/، وكانت مهمة الكتيبة الإنزال البحري السريع خلف صيدا ومحاصرة منظمة التحرير لتصبح بين فكي كماشة.

**ب - الخطة في القطاع الأوسط:**

**توقف نجاح الخطة في عمليات القطاع الأوسط على إمكانية اندفاع قوة بحجم فرقة عبر نهر الليطاني في نقطتين: الأولى**: جنوب قلعة الشقيف، **والثانية**: شمال قلعة الشقيف لاحتلال مفرق الطريق الرئيس شمال النبطية في منطقة تسمى مرتفعات عرنون، حيث يوجد في وسط هذه المنطقة مفرق تتلاقى فيه **خمس طرق رئيسة منها**: **طريق تصل إلى شمال جزين** وإلى طريق بيروت - دمشق الدولي، **وطريق أخرى تؤدي إلى جبال الباروك**، (ويؤمن احتلالُها السيطرةَ على السلسلة الغربية للبقاع)، والطريق الرئيسة المؤدية إلى الغرب "المديرج"، ويمكن لأية قوة تحكم سيطرتها على هذا

المفرق أن توجه ضرباتها في ثلاثة أو أربعة اتجاهات بما في ذلك الغرب باتجاه الساحل، حيث يمكن محاصرة قوات منظمة التحرير بين صيدا والقوة الإسرائيلية المتقدمة على الطريق الساحلية.

**لقد انضوت خطة العمليات** في القطاع الأوسط على مغامرة تكتيكية جوهرها يتضمن: إنه إذا لم تستطع القوة الإسرائيلية لأي سبب من الأسباب احتلال هذا المفرق فإن الخطة التكتيكية في الغرب والوسط بأكملها تحتاج إلى مراجعة جديدة في النقاط التي تكون قد وصلت إليها وإلا ستفشل.

**كلفت الفرقة /٣٦/ دبابات** بقيادة العميد /أفيغدور كاهلاني/ بمهمة احتلال مرتفعات عرنون، وهي فرقة معروفة بأنها أفضل الفرق المدرعة في الجيش الإسرائيلي، وتتألف هذه الفرقة - بشكلها الطبيعي - من ثلاثة ألوية دبابات، وقد ألحق بها لواء مشاة محمول (لواء جولاني) وأربع كتائب مدفعية. لكن الفرقة/٣٦/ لم تنتشر بكامل قوامها، إذ أعير اللواء السابع من هذه الفرقة للعمل على الجبهة الشرقية في قوام القوة التي يقودها/عمانوئيل ساكيل/

**كانت مهمة الفرقة /٣٦/** الانتشار من المطلة إلى المنطقة الممتدة بين شرق النبطية وغربها، ثم عبور نهر الليطاني على جسرين: جسر الخردلي والجسر الواقع جنوبه إلى الشمال من قلعة الشقيف، ومن ثم الاتجاه نحو مرتفعات (عرنون) وفتح الطريق إلى جزين، وبعد احتلال الطريق والمفرق كان على قوة /كاهلاني/ الالتفاف غرباً على أربعة محاور والتقدم باتجاه الساحل، وهناك تلتقي مع قوة /الفرقة٩١/ على الطريق الساحلية عند مفرق الزهراني، ومن ثم تتحرك شمالاً باتجاه صيدا. كانت المهمة النهائية التي حددت للفرقة /٣٦/ هي ضرب صيدا من الشرق والإحاطة بمخيم عين الحلوة، ومن ثم فتح الطريق إلى الدامور.

**كان من الضروري فتح هذه الطريق** للسماح لرأس الحربة اللواء /٢١١/ بالتقدم وضرب الدامور، وفي الطريق إلى النبطية، وبعد إحاطة

القوات المهاجمة بقلعة الشقيف كان على لواء المشاة (الجولاني) أن ينفصل عن الفرقة، ويهاجم القلعة من المؤخرة.

**الجزء الثاني من قوة القطاع الأوسط** هو الفرقة /١٦٢/ التي يقودها العميد **/مناحيم عينان/**، وكانت مهمتها اللحاق بالفرقة /٣٦/ حتى النبطية، وعند احتلال مفرق الطرق والتفاف قوة **/كاهلاني/** إلى الغرب باتجاه الساحل تتحرك الفرقة /١٦٢/ باتجاه الشمال إلى طريق جزين. وكان عليها - وهي تقترب من جزين - أن تلتف يساراً وتعبر نهر/بيسري/، وتسير على الأرض الوعرة حتى الطريق إلى بيت الدين، ومن ثم تتجه شرقاً إلى **الباروك** ومنها إلى **عين زحلتا**.

كان هذا هو رأس الحربة الرئيس الذي أُنيطت به مهمة الالتفاف على قواتنا العاملة في لبنان وضرب القوة الرئيسة التي تدافع عن طريق دمشق - بيروت في الوسط.

**جـ - الخطة في القطاع الشرقي:**

**كانت الفكرة الأساسية تقوم على "سد المنافذ** على قواتنا في القطاع الأوسط والشرقي عند مدخل النهاية الشمالية لجبل الباروك والسيطرة على البقاع من قمم سلسلة الجبال الممتدة على طول الجانب الغربي لوادي البقاع، وكان على جزء من قوة /بيليد/ التحرك شمالاً للاستيلاء على طريق بيروت - دمشق، بالرغم من أن هذه القوة أساساً ستنتشر في البقاع الأوسط، وإذا أصبح من الضروري الاشتباك مع قواتنا هناك فإن القوة في القطاع الأوسط ستكون في موقع تستطيع فيه خرق المنطقة في البقاع قرب بحيرة القرعون، والتحرك باتجاه جب جنين لاحتلال وادي البقاع، وحتى إذا لم يتم الاشتباك مع قواتنا، فإن عمليات الالتفاف شرقها وغربها ستضع هذه القوات في موقف حرج للغاية.

**لقد واجه الإسرائيليون فرقتين مدرعتين سوريتين**: واحدة منهما فقط كانت بكامل ملاكها في البقاع عند بدء الحرب الفرقة الأولى المدرعة بقيادة العميد الركن **/إبراهيم صافي/**، إضافة إلى المجموعة العملياتية التي كانت تقود الألوية المستقلة ل/٨٥/ مشاة - ل/٦٢/ميكا - ل/٥١/د/، وفي يوم الجمعة /١٩٨٢/٦/١١م/ اتخذ القرار بزج الفرقة الثالثة دبابات بقيادة العميد الركن /شفيق فياض/ **في حين شارك في الهجوم الإسرائيلي ما يزيد عن ستة فرق إسرائيلية وهي**:

الفرقة /٩٠/ - الفرقة /٩١/ - الفرقة /١٦٢/ - الفرقة /٢٥٢/ - الفرقة /٣٦/ - الفرقة /٨٨٠/، بالإضافة إلى جزء من الفرقة /٩٦/ عملت كقوة إنزال بحري شمال صيدا، وعدد من الألوية المستقلة وبعض ألوية النخبة، ومعظم سلاحي المدفعية والمهندسين، ومختلف أنواع التأمين، وغالبية القطع البحرية، وسلاحُ الجو بالقوام الكامل.

## ثالثاً - القوام القتالي للقوات الإسرائيلية في القطاع الشرقي:

**ركزت القوات الإسرائيلية جهودها على القطاع الشرقي**، وحشدت لتنفيذ مهامها في هذا القطاع تجميعاً عملياتياً ضارباً بقيادة اللواء /بن غال/ ضم في قوامه خيرة التشكيلات، **وفق ما يلي**:

### آ - **الفرقة ٢٥٢**:

**الفرقة /٢٥٢/ بقيادة "عمانوئيل ساكيل"**، وتتألف من لواءي دبابات ولواء مشاة ميكانيكي بالإضافة إلى اللواء السابع من الفرقة /٣٦/د/ ولواء كامل من المدفعية ذاتية الحركة. أعير اللواء المدرع /٦٤٠/ إلى قوة /داني فاردي/ ليصبح قوامها لواءَين كقوة مستقلة للعمل قرب جزين، وكانت مهمة الفرقة /٢٥٢/ الهجوم من مرتفعات الجولان الشمالية الغربية على خطي تقدم:

**الأول على طول سفوح جبل الشيخ عبر شبعا** - وادي فقعة على طريق طوله /١٢كم/ تشقه بنفسها.

**والثاني عبر وادي شبعا** - الشويا إلى حاصبيا على طول الطريق المؤدية إلى كفير الزيات وراشيا الوادي باتجاه كفردينس - خربة روحة في حركة التفاف واسعة موازية للحدود السورية مهمتها محاصرة القوات السورية، وقطع الطريق عليها إلى دمشق إذا أرادت الانسحاب.

**ب - الفرقة ٩٠:**

**الفرقة /٩٠/ ويقودها الجنرال /جوار ليف/**، وهي فرقة كاملة الملاك مهمتها مهاجمة القطاع الأوسط والهجوم من المطلة عبر مرجعيون وضرب قواتنا المسلحة المتمركزة عند بحيرة القرعون، وكانت جب جنين هي هدفها الأساسي، والضربة الرئيسة كانت ستقع على الجانب الأيمن من بحيرة سد القرعون، أي على جب جنين، وفي الوقت نفسه الذي تتحرك فيه قوة الالتفاف بقيادة العقيد **/ميكي شاكار/** على طول الجناح الأيمن على الطريق تتصل بكتيبة من قوة **/ساكيل/** (قا.فر٢٥٢) على مشارف مدينة ينطا، ثم تتابع شمالاً لتحتل طريق دمشق - بيروت في منطقة المصنع اللبناني لتكمل الالتحام غرباً مع قوة /فاردي/ جنوب طريق دمشق - بيروت.

**ج - قوة فاردي:**

**قوة /فاردي/ - نسبة لقائدها العقيد /داني فاردي/** ــ وكانت قوة مستقلة مجهزة بشكل خاص، وتتألف من لواءين، وكان عماد هذه القوة لواء الدبابات /٦٤٠/ (استعير من فر٢٥٢) بقيادة العقيد /هاجاي كوهين/، وكان على قوة /فاردي/ التحرك من مفرق النبطية لاحتلال جزين وفتح الطريق شمالاً،وفي أثناء التحرك على الطريق الضيقة بين جزين ويحمر كان عليها احتلال مفرق مشغرة، كما تضمنت المهمة المسندة لقوة /فاردي/ التحرك

شمالاً على الطريق الرئيسة غرب بحيرة القرعون لتشكل إحدى مجنبات الهجوم ذي الاتجاهين على طرفي البحيرة.

**د - قوة المناورات الخاصة:**

**قوة المناورة الخاصة، ويقودها العميد /يوسي بيليد/،** وهي قوة م/د مجهزة بتشكيل خاص، وتتألف من لواءين - وللإسرائيليين ميل قوي لتشكيل وحداتهم وفقاً لكل مهمة يريدون تنفيذها - ومهمة هذه القوة تدمير الدبابات السورية ومنع وصول التعزيزات - وبخاصة المدرعة منها - إلى وادي البقاع.

**كانت هذه القوة الإسرائيلية المضادة للدروع** والمؤلفة من المظليين والمشاة مجهزة بأسلحة الـــ م/د مثل قذائف /تاو/ وناقلات الجنود المدرعة، والحوامات، وكان عليها التحرك على طريق جزين بعد فتحه من قبل قوة **/هاجاي كوهين/** التابعة لقوة **/فاردي/** باتجاه سلسلة جبال الباروك، وبعد ذلك كان عليها التحرك على الطريق الثانوية، صاعدة باتجاه معاصر الشوف بعد أن يشق المهندسون الطريق، بحيث تستطيع السيطرة من السفوح الشرقية لجبل الباروك على وادي البقاع، عندها تكون قوة **/بيليد/** الخاصة قد وصلت إلى الطريق الرئيسة للبقاع، وبذلك تتحكم بكل الجانب الغربي لبحيرة القرعون والبقاع، وتكون مهمتها وقف أية محاولة لنقل التعزيزات لقواتنا السورية في البقاع(١).

**هـــ - الفرقة ٨٨٠:**

**الفرقة /٨٨٠.د/ بقيادة العميد /ينطوف تامير/،** وهي قوة كاملة الملاك تستخدم كاحتياط استراتيجي للمنطقة الشمالية أو (كنسق عملياتي ثانٍ للفيلق)،

---

(١) إن قوة المناورة هذه بقيادة العميد /يوسي بيليد/ احتلت جبل الباروك، وكادت أن تصل إلى ظهر البيدر، ووحدات الـــ م / د سريعة الحركة الخاصة بها هي التي اصطدمت مع اللواء ٨١/ د في منطقة تلة الصعلوك وشمال شبرقية عميق.

لذلك لم تساهم إلا في جزء من الأعمال القتالية، وقد انتشرت خلف بقية القوات قرب محور /ميشا/: محور راشيا الوادي - السلطان يعقوب، وبعض وحداتها أنقذت الوحدات التي تعرضت لكمائن في السلطان يعقوب في التلال العليا لوادي البقاع.

**كما يؤخذ بالحسبان قوة الاحتياط الإستراتيجية الأكبر المتمركزة** في مرتفعات الجولان بقيادة الجنرال /باركوشبا/، وهي تتألف من فرقتين من الاحتياطيين المعبئين، ولواء آخر معزز من الفرقة /٣٦/، وكانت مهمة هذه القوة الاحتياطية تركيز قوة كبيرة في مرتفعات الجولان تستطيع وقف قواتنا فيما لو قامت بتنفيذ أعمال هجومية على اتجاه الجولان لضرب المؤخرة الإسرائيلية في لبنان، وبالتالي منع قواتنا من القيام بأي هجوم عبر مرتفعات الجولان.

**و - لواء جولاني:**

كما عمل في القطاع الشرقي أيضاً لواء جولاني.

وكان من أبرز القادة الإسرائيليين في القطاع الشرقي:

١ - قائد المنطقة الشمالية: اللواء /أمير دروري/، وكان نائبه اللواء /أوري سميحوني/.

٢ - قائد القطاع الشرقي: /أفيغدور بن غال/، ونائبه /أيهود باراك/.

٣ - قائد الفرقة /٢٥٢/: /عمانوئيل ساكيل/.

٤ - قائد الفرقة /٩٠/ /جوارليف/.

٥ - قائد الفرقة /٨٨٠/ /ينطوف تامير/ (فرقة احتياط استراتيجي).

٦ - قوة /فاردي/ نسبة لقائدها "فاردي فارمري"، عمادها /ل ٦٤٠/د/ من الفرقة /٢٥٢/ بقيادة العقيد /هاجاي كوهين/.

٧ - قوة المناورة الخاصة بقيادة /يوسي بيليد/.

## رابعاً - أيام الحرب:

**الأحد ١٩٨٢/٦/٦:**

**بدأت القوات الإسرائيلية اجتياحاً واسعاً** لجنوب لبنان على اتجاه البقاع في أعقاب يومين من القصف المركز براً وجواً وبحراً، حيث تقدمت في القطاع الشرقي من منطقة مرجعيون باتجاه /كوكبا/، وفي المساء لجأت القوات الإسرائيلية إلى احتلال كوكبا، ودفعت بجزء من قواتها باتجاه /قليه/.

**بدأت الاشتباكات السورية - الإسرائيلية بالمدفعية والطيران** بعد ظهر يوم الأحد ١٩٨٢/٦/٦م، وقد صدر في هذا اليوم العديد من التصريحات السياسية كان أهمها:

- **تأكيد الرئيس حافظ الأسد تضامن سورية مع لبنان، وإن الدفاع عن الأراضي اللبنانية واجب وطني وقومي، وإن سورية تقف بكل إمكاناتها إلى جانب لبنان للدفاع عن أرضه، وسوف تقوم بكل ما يستلزمه الموقف.**
- **إعلان القيادة العامة عن أن القوات العربية السورية في لبنان قد وضعت في حالة تأهب قصوى، وأنه قد صدرت إليها الأوامر بالتصدي للقوات الإسرائيلية الغازية.**
- **تصريح ناطق عسكري سوري يتضمن أن القوات الإسرائيلية التي اخترقت الحدود اللبنانية تتابع التقدم على محاور الطرق باتجاه القوات السورية المنتشرة في البقاع، وأصبحت على تماس معها في مواقع الجرمق وبرغوث ومفرق حاصبيا، وقد صدرت الأوامر للقوات السورية بالتصدي للقوات الإسرائيلية الغازية.**

**على أرض الميدان** تقدمت الفرقة /٩١/ يوم الأحد/٦/٦/ نحو صور متجاوزة مخيمات الفلسطينيين لتلتقي مع الفرقة /٣٦/ المهاجمة من المطلة باتجاه النبطية عابرة نهر الأولي في منطقة صيدا.

**في القطاع الشرقي** تحركت الفرقة /٢٥٢/ بكامل قوتها على محورين للوصول إلى قواتنا المنتشرة في البقاع:

**المحور الأول على طول سفوح جبل الشيخ بين الطرق الثانوية ذات التضاريس الصعبة عبر وادي شبعا، وكان على المهندسين الإسرائيليين أن يشقوا طريقاً طوله /١٢كم/ عبر الوادي، لكي تتمكن القوات المدرعة والمدفعية من العبور.**

المحور الثاني عبر الوادي متجهاً نحو حاصبيا وكوكبا على الطريق الرئيسة ثم الالتفاف يميناً والمتابعة على الطريق إلى راشيا. وكلتا حركتي التقدم على المحورين شكلت حركة التفاف واسعة على ميسرة قواتنا بهدف قطع طريق التراجع إلى دمشق، وفي الوقت ذاتِه تحركت الفرقة /٩٠/ بقيادة الجنرال /جوار ليف/ من مدينة مرجعيون باتجاه الطريق المؤدية إلى بحيرة القرعون، وبدأت تشق طريقها باتجاه منطقة البحيرة على يمين مدينة مشغرة، وقد غطى ميمنتها لواء بقيادة /**ميكي شاكار**/ الذي كان يتابع التقدم على الطريق الرئيسة باتجاه البقاع الشرقي.

**اندفعت الفرقة /٩٠/ مباشرة إلى القطاع الأوسط** باتجاه بحيرة القرعون، ووصلت إلى خط حاصبيا - كوكبا، حيث توقفت في الصباح الباكر من يوم /٧/ حزيران، كما اندفعت قوة /فاردي/ بمهمة التقدم على طريق مشغرة، وقام أحد ألويتها بقيادة /هاجاي كوهين/ بالتقدم على الطريق باتجاه جزين بمهمة احتلالها والتوجه إلى مشغرة من الغرب؛ مما يجعل البلدة عرضة للهجوم من جهتين.

**قوة المناورة الخاصة بقيادة /يوسي بيليد/** المدربة على تدمير الدبابات بدأت التحرك عبر جزين بعد تطهيرها من لواء /كوهين/ وإحكام السيطرة على سلسلة جبال الباروك، وكان على /بيليد/ وقف أية محاولة سورية للتعزيز سواء في البقاع الأوسط والغربي أم على اتجاه ضهر البيدر -

المديرج، وأن يكون في موقف يستطيع فيه مساعدة /مناحيم عينان/ قائد الفرقة /١٦٢/ فيما لو طلب منه ذلك عندما يتحرك هذا الأخير إلى عين زحلتا، وفي نهاية اليوم الأول من القتال حققت معظم القوات الإسرائيلية أهدافها بالرغم من أن التقدم في القطاع الغربي قد سار بشكل أبطأ مما هو متوقع.

**الإثنين ١٩٨٢/٦/٧:**

**اتسعت رقعة العمليات العسكرية الإسرائيلية** البرية والجوية على اتجاه البقاع، وتابعت القوات الإسرائيلية تقدمها على عدة اتجاهات:

**حاصبيا - كفير الزيات.**

**كوكبا - دنيبة (مرج الزهور).**

**كوكبا - قليه - يحمر البقاع.**

**تصدت قواتنا الأمامية المتمركزة في المناطق:** ميمس - قليه - برغوث - عايشية للقوات المعادية المهاجمة وأجبرتها على التوقف على الخطوط التي وصلت إليها: /جبل الروس - حاصبيا –كوكبا - كفر تبنيت - جوايا - صور/، وكلفت قوات جديدة لمتابعة التقدم، وفي الليل أعادت القوات الإسرائيلية تجميع قواتها، وزجت بوحدات مدرعة جديدة على اتجاه كوكبا - قليه بهدف احتلالها وقطع طريق الإمداد، وقد اعترف الجنرال /روفائيل إيتان/ رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك بضراوة القتال، وحاول تبرير عجز القوات الإسرائيلية بذريعة أنها تعمل في مناطق جبلية ووعرة، كما أكدت تقارير الصحافة الإسرائيلية في حينه أن الكيان الصهيوني يعيش حالة حرب تامة، وأن قوات الاحتياط تم استدعاؤها بشكل كامل تماشياً مع هذه الحالة.

**الثلاثاء ١٩٨٢/٦/٨:**

**بدءاً من صباح ذاك اليوم قصف العدو بالمدفعية** عدداً من مواقع قواتنا في مناطق: راشياً الوادي - كفر مشكي - مشغرة - عين التينة - البيرة -

القرعون - جب جنين، وتابعت القوات الإسرائيلية تقدمها شمالاً فاصطدمت بوحدات الحراسة الأمامية التي قاتلت ببسالة عظيمة وصمدت في مواقعها في مناطق: بطحانية - قلية - عين التينة (جنوب مشغرة)، وأوقعت في صفوف الوحدات الإسرائيلية الكثير من الخسائر في الدبابات والقوى البشرية، وأرغم العدو على التوقف على خط: عين عطا - كفير الزيات - زلايا نتيجة لرمايات المدفعية الكثيفة ولمشاركة الحوامات م/د السورية بالاشتباك مع الدبابات الإسرائيلية وتدمير قسم منها...

**وفي الساعة /١٤,٠٠/ حاولت بعض الوحدات المدرعة الإسرائيلية تنفيذ مناورة تكتيكية** لاحتلال عدد من المواقع والمناطق الهامة في عين حرشة - قلعة عبد الرحمن،كما سلك رتل مدرع إسرائيلي المنعطفات القريبة من جبل حرمون على محور شبعا - وادي فقعة - راشيا الوادي، وعندما وصلت الوحدات الإسرائيلية إلى وادي فقعة نفذت تحركاً جانبياً باتجاه: عين عطا - عين حرشة - دنيبة، بهدف الوصول إلى بيت لهيه - العقبة، والالتقاء مع الوحدات التي كانت تتابع تقدمها باتجاه راشيا الوادي.

**في هذه المرحلة تعرضت الأرتال الإسرائيلية إلى قصف مدفعي** كثيف نفذته مدفعية الفرقة الأولى المدرعة، بالإضافة إلى رمايات كمائن الـــ م /د ومساهمة الحوامات م/د بقصف الأرتال التي تداخلت في أكثر من مكان وأجبرت بعد ذلك على التوقف واحتلال الخط الدفاعي: وادي فقعة - عين حرشة - حوش الدنيبة - لباية - قلعة عبد الرحمن.

**زجت القيادة الإسرائيلية بقوات جديدة** على اتجاه كفير الزيات - عين عطا وعلى اتجاه وادي فقعة - راشيا الوادي، ولتسهيل مهمة هذه الوحدات الجديدة نفذت إنزالاً جوياً بقوى سرية معززة في منطقة شمال عين عطا لتطويق مواقع قواتنا هناك، ومنع وصول الإمدادات إليها، والاندفاع لاحقاً باتجاه عين حرشة لاحتلالها.

**حتى ساعة متأخرة من الليل كانت القوات الإسرائيلية** التي تتحرك على المحور الغربي في منطقة الشوف قد حققت نجاحاً على هذا الاتجاه، ووصلت إلى منطقة معاصر الشوف للعبور منها إلى البقاع في محاولة لضرب مجنبة قواتنا وتطويقها في مناطق السفوح الشرقية لجبل الباروك، وخلال ليل /٨ - ١٩٨٢/٦/٩م/ نفذت وحدات من قواتنا الخاصة إغارات ليلية على عدد من مناطق تحشد الدبابات الإسرائيلية في مناطق حاصبيا كفير الزيات - قليه - برغوث، ودمرت للعدو عدداً من الدبابات والآليات، وأوقعت في صفوفه الكثير من الخسائر البشرية.

**في مقابلات أجرتها بعض الصحف الإسرائيلية** مع عدد من القادة الإسرائيليين أكدوا أن القتال في البقاع كان ضارياً للغاية، وأعنف من معارك تشرين الأول عام ١٩٧٣م، ونتيجة المقاومة الفعالة التي نفذتها قواتنا في ذاك اليوم توقف العدو على خط: شبعا - حاصبيا - مشغرة - جزين.

**الأربعاء ١٩٨٢/٦/٩م**

**تغير الموقف السياسي في التاسع من حزيران** بعد أن أعطى رئيس الوزراء **/مناحيم بيغن/** الصلاحيات لوزير الدفاع **/شارون/** بتدمير الصواريخ السورية في وادي البقاع.

**تابعت القوات الإسرائيلية تقدمها** شمالاً تحت ستارة كثيفة من نيران المدفعية والطيران على محور: زلايا - يحمر البقاع - سحمر للوصول إلى القرعون التي تعدُّ بوابة العبور إلى البقاع الأوسط، والالتقاء مع القوات التي نجحت في الوصول إلى الباروك، فاصطدمت الوحدات المهاجمة بقواتنا المتمركزة في مواقع: عين التينة - يحمر - مشغرة، واشتبكت معها، كما خاضت على هذا الاتجاه وحدات **/سرايا الصراع/** المضادة للدروع معارك طاحنة مع الدبابات الإسرائيلية من خطوط رمي من الثبات في مناطق البحصيص والسفوح الجنوبية - الشرقية لجبل عبرة.

**تحت تغطية جوية كبيرة اندفع رتل مدرع إسرائيلي آخر باتجاه:** بيت لهية - راشيا الوادي - إيحه، وباتجاه: راشيا - العقبة، فتصدت له وحداتنا التي كانت متمركزة في منطقة: كفرقوق - ضهر الأحمر - جب فرح، وأجبرته على التوقف على خط: عيحا - كوكبا بوعرب - جب جنين - عين زبدة - ٣كم غرب عانا - الباروك، وبعد ظهر ذلك اليوم بدأت الطائرات الإسرائيلية بمهاجمة بطاريات صواريخ /سام/ في وادي البقاع، وفي الساعة /١٤,٠٠/ هاجمت /٩٦/ طائرة إسرائيلية طراز /إف ١٥ و/إف ١٦/ تسع عشرة بطارية صواريخ في البقاع، وهبّ سلاح الجو السوري للدفاع، وفي الساعة /١٥,٥٠/ ضربت موجة أخرى من /٩٢/ طائرة قواعد الصواريخ، ودمرت عدداً من بطارياتها، وفي أثناء مناقشة تدمير بطاريات الصواريخ وصف /شارون/ الغارة على أنها «نقطة التحول في الحرب»، حيث سيطر الإسرائيليون بشكل كامل على الأجواء، وأصبحت جميع القوات السورية والفلسطينية عرضة للهجمات الجوية، وبذلك تكون الهجمات الجوية الإسرائيلية في البقاع حققت هدفين أساسيين لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر، ويحتاج كل منهما للمناقشة المفصلة:

**<u>الأول</u>: تدمير عدد لا بأس به من الطائرات السورية.**

**<u>الثاني</u>: تدمير بطاريات مضادة للطائرات ذات طبيعة تقنية عالية، وكان لكلتا الغارتين تأثير واضح في العمليات العسكرية الأخرى.**

**قامت القوات البرية الإسرائيلية** بعد ذلك بهجوم خاطف متقدمة في الوسط حول منطقة بحيرة القرعون وغابتها وادي البقاع، كما بدأت القوات الإسرائيلية أيضاً بالتحرك باتجاه جب جنين وذلك بالهجوم على طرفي البحيرة، وتمت تغطية التقدم على الجانب الغربي من قبل قوات **/يوسي بيليد/،** حيث احتلت مرتفعات جبل الباروك وسيطرت عليها، وخلال يومين سعت القوات الإسرائيلية لاختراق مواقع قواتنا بهدف تأمين أغراضها

وحمايتها، وتحقيق أكثر ما يمكن من الإصابات في صفوف قواتنا المدافعة، أما قوة **/ليف/** (الفرقة٩٠) التي كانت تتمركز في القطاع الأوسط بانتظار القرار السياسي بالتحرك، فقد بدأت التقدم بعد الغارة على مواقع الصواريخ باتجاه أهدافها في وادي البقاع، **وبذلك تغير مجرى الحرب في الشرق لصالح الإسرائيليين**، حيث تزايد الضغط على القوات السورية على طول الخط في مواجهة القوات الإسرائيلية المتقدمة على أربعة محاور رئيسة شرقاً، فعلى المحاور الشرقية للبقاع احتلت قوات /ساكيل/ (فر٢٥٢) بلدة راشيا الوادي، وتحركت عبر كفر قوق اللبنانية واحتلت المواقع المحيطة بينطا التي تقع على بعد ٢٥كم من دمشق، وقد تم التقدم إلى ينطا بالالتقاء مع كتيبة من قوات /ليف/ (فر٩٠) التي تحركت باتجاه المنطقة.وفي هذه الأثناء سقطت جب جنين، وسيطر /بيليد/ على جبال الباروك لضمان عدم تمكن السوريين من تعزيز قواتهم في الجانب الغربي لبحيرة القرعون.

**باتجاه جب جنين على جانبي بحيرة القرعون** جرت اشتباكات ضارية كان المقاتل السوري فيها نموذجاً في البطولة والصمود، حيث كمن رماة الـــ م/د للدبابات المتقدمة، وأنزلوا بها خسائر كبيرة، كما أدخلت حوامات /غازيل/ المسلحة بصواريخ /هوت/ الحرب، وأثبتت فعاليتها بشكل جيد، مما زرع الرعب في قلوب طواقم الدبابات الإسرائيلية.

**خاض اللواء /٧٦/ دبابات بقيادة** العقيد الركن /علي محمود حسن/ قتالاً ضارياً على هذا الاتجاه، أما على اتجاه طريق الجامعة العربية (محور مرج الزهور - جب فرح - ينطا، ومحور راشيا الوادي - كفر قوق اللبنانية - ينطا) **فقد صمد اللواء /٩١/ دبابات** بقيادة العميد الركن /محمد عثمان الصباغ/ في وجه القوات المعادية، وخاض معارك بطولية دمر فيها عدداً لا بأس به من الدبابات في منطقة مرج الزهور وراشيا الوادي،إلا **أن الملحمة الكبرى للتصدي السوري للقوات الغازية كانت في السلطان يعقوب**، حيث إن حسن التخطيط والصمود النفسي وإدارة المعركة برباطة جأش يثمر

نجاحاً مميزاً، وهذا ما تجسد في بداية الأمر في **استدراج قوة إسرائيلية تقدر بأكثر من كتيبة دبابات معززة إلى مصيدة قاتلة**، وكانت هذه القوة قد بدأت بالتحرك من جب جنين على مفارق الطرق باتجاه بلدة السلطان يعقوب، وقوة أخرى من اتجاه الغرب، **حيث كان الهجوم الإسرائيلي من اتجاهين**:

**الاتجاه الأول**: الرفيد - البيرة - بيادر العدس - السلطان يعقوب.

**الاتجاه الثاني**: جب جنين - كامد اللوز - الفالوج - السلطان يعقوب.

**بدأت كتيبة مدرعة بالسير على الطريق باتجاه السلطان يعقوب**، لكن هذه الكتيبة وقعت في الجيب الناري المجهز من قبل قطعات اللواء /٥٨/ ميكا **بقيادة العميد الركن /علي حبيب/** بصواريخ ومدافع الـــ م/د والدروع وبالمدفعية، وبدأت النيران تنهمر على الإسرائيليين مما تسبب في سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى، وتدمير عدد من دبابات /الباتون/ المعدلة بنيران القوى المدافعة، وقد طلب الإسرائيليون التعزيزات والدعم المدفعي للرمي على الوحدات التي كمنت لهم في محاولة لتغطية الانسحاب، **وبعد معركة ليلية دامت ست ساعات من القتال** تمكنت القوة الإسرائيلية من الانسحاب والتراجع بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

**وفي نهاية يوم الأربعاء /٩/٦/١٩٨٢م/** توقف العدو على خط: وادي المزراب - عيحا - راشيا الوادي - كوكبا بو عرب - لالا - الباروك - عين زحلتا - جنوب الدامور.

**الخميس ١٠/٦/١٩٨٢م**:

تمكنت قواتنا الباسلة من خوض معارك ضارية في ظروف التفوق الجوي الإسرائيلي، وتصدت ببسالة للقوات المدرعة الإسرائيلية المتقدمة على العديد من الاتجاهات، وقد وجّه الرئيس حافظ الأسد كلمة إلى القوات السورية العاملة في لبنان **قال فيها**:

**«لقد رفعت مواقفكم رأس وطننا وأمتنا عالياً، وإن شعبنا العربي الذي رفعتم معنوياته بنضالكم وتصديكم البطولي هو معكم وإلى جانبكم ينظر إليكم باعتزاز. إنني أحيي فيكم هذا الفداء وهذه الرجولة، أعتز وأفتخر بكم، وإني معكم دائماً أطلب إليكم البقاء في هذا المستوى من الصمود لتحقيق النصر وتدمير العدو متمسكين بشعارنا الشهادة أو النصر»**(١) .

**وهذا ماجسده المقاتلون** حقيقة حية على أرض الواقع، حيث خاضت قواتنا معارك ضارية ضد القوات المدرعة الإسرائيلية التي كانت **تتقدم على عدة محاور في البقاع**:

- عيحا - كفر قوق - ينطا.
- ضهر الأحمر - البيرة - مزرعة عزة - السلطان يعقوب.
- كفر مشكي - مجدل بلهيص - وادي السكي - كامد اللوز.
- القرعون - بعلول - لالا - جبلة الأراضي.
- مشغرة - عيتنيت - عين الزبدة - كفريا.

**وقد اتسمت تلك المعارك بالدفاع العنيد والفعّال**، حيث خاضت ألوية الفرقة الأولى المدرعة بقيادة العميد الركن /إبراهيم صافي/ قتالاً ضارياً ومتواصلاً أجبرت فيه العدو الإسرائيلي على التوقف على خط: جبل الشيخ فرج - خربة روحة - جبل الصلايح - جب جنين - كفريا، وبعد ذلك نفذت القوات الإسرائيلية في القطاع الشرقي إعادة تجميع وتنظيم سريعة، حيث دفعت بأنساقها الثانية لتغذية وتيرة الهجوم في القطاع الشرقي بغية تحقيق هدف الحرب وتنفيذاً لأوامر **/يانوش/**الجنرال /أفيغدور بنغال/ ومعاونه /إيهود باراك/ اللذين أصرّا على تنفيذ المهمة للوصول إلى الطريق الدولية:

---

(١) العماد طلاس ومجموعة من الباحثين، الغزو الإسرائيلي للبنان، إصدار مؤسسة تشرين للصحافة والنشر عام ١٩٨٣م، ص٢١٤.

دمشق - بيروت، واحتلال ما عرف عندهم بعقدة المصنع والسيطرة عليها للوصول إلى مرتفعات: الدوارات - جعيلة - شمال السلطان يعقوب - مجدل عنجر - تل الدبور - الباروك، واحتلالها بغية السيطرة على الطريق الدولي من منطقة المصنع حتى ضهر البيدر، **ولتنفيذ ذلك تحركت القوات الإسرائيلية على المحاور التالية**:

١ - كفر قوق - ينطا.

٢ - السفوح الشرقية لجبل الشيخ فرج - جبل البياضة - بكا.

٣ - خربة روحة - مدوخة.

٤ - الرفيد - البيرة - بيادر العدس - السلطان يعقوب.

٥ - وادي السكي - كامد اللوز - الفالوج (جنوب السلطان يعقوب).

٦ - جب جنين - كامد اللوز - السلطان يعقوب.

٧ - جب جنين - غزة.

٨ - جزين - معاصر الشوف - جبل معاصر، **باتجاهين**:

أ - اتجاه جبل معاصر - جبل الباروك - ضهر البيدر.

**ب** - اتجاه جبل معاصر - كفريا - الصعلوك، ونتيجة المقاومة العنيفة توقف العدو على خط: وادي المزراب - بكا - بركة البيدر - كفريا - بمهرية.

**ولمواجهة الموقف الجديد المتشكل في ميدان المعركة تمّ اتخاذ قرار بتغيير المهمة القتالية للواء /٥٨ميكا/** للمرة الثالثة، وأصبحت تتضمن **الانتقال للدفاع عن قطاع**: مسيل عين صفصاف - تل المدور (غرب قرية مدوخة) - النبي زريق - الصويري بغية إيقاف التقدم السريع للعدو وتدميره ومنعه من متابعة الخرق باتجاه الطريق الدولي والوصول إلى منطقة المصنع اللبنانية، بدلاً من احتلال الدفاع وفق الموقف الراهن بمسك الطريق الدولية دمشق - بيروت في منطقة المصنع - شتورا.

وتنفيذاً للمهمة القتالية الجديدة المسندة تحرك اللواء /٥٨ ميكا/ على المحور: مجدل عنجر - المصنع - بيادر العدس، واحتل القطاع الدفاعي المحدد له منتظراً قدوم العدو وتلقينه درساً عنوانه «معركة السلطان يعقوب».

**الجمعة ١٩٨٢/٦/١١:**

**استمرت معركة السلطان يعقوب بضراوة،** حيث ازدادت شدتها في صبيحة يوم الجمعة ١١ حزيران ١٩٨٢م بين اللواء /٥٨ ميكا/ من الفرقة الأولى المدرعة وبين القوات الإسرائيلية التي حاولت تطوير الهجوم باتجاه المصنع اللبناني، واستمرت حتى الساعة /١٢,٣٠/ ظهراً من ذلك اليوم، وسنأتي على ذكر هذه المعركة بشيء من التفصيل لاحقاً.

**أعلن وقف إطلاق النار عند ظهر يوم الجمعة /١١ حزيران/،** وقبل أن يسري مفعول وقف إطلاق النار حاول الإسرائيليون الوصول إلى الطريق الدولي: دمشق - بيروت بشتى الوسائط والسبل وبأسرع وقت ممكن، فأسندت المهمة إلى قوة المناورة الخاصة بقيادة/يوسي بيليد/، وكلفت بقطع الطريق المركزي دمشق - بيروت، وقد تمكنت من الوصول إلى خط: تلة الصعلوك - شبرقية عمّيق.

**قرأت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة هذه التحركات الإسرائيلية وغاياتها،** ولمنع العدو الإسرائيلي من تحقيق أهدافه والحيلولة دون وصوله إلى الطريق المركزي دمشق - بيروت في منطقة البقاع الأوسط (شتورا) قامت القيادة السورية **بزج اللواء /٨١/** دبابات من الفرقة الثالثة المدرعة، حيث تحرك رتل دبابات /ت٧٢/ على طول الطريق من شتورا باتجاه صبغين لمواجهة الأرتال الإسرائيلية في الوادي، لكنه تعرض للكمائن بأسلحة الــ م/د الإسرائيلية فور دخوله مسرح الأعمال القتالية، وأسندت له المهمة الدفاعية في المنطقة التي وصل إليها، حيث احتل القطاع الدفاعي يميناً من الغرب: تلة الصعلوك - يساراً: شبرقية عمّيق (من الشرق)، وأصبح

مجرى نهر الرياشي فاصلاً بين القوات الإسرائيلية التي احتلت الكمائن مسبقاً وبين اللواء /٨١/ دبابات.

## خامساً - الخداع الإسرائيلي في حرب عام ١٩٨٢م:

**لقد انتهزت إسرائيل في أثناء اختيارها بدء العدوان** على حركة المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية في لبنان عام ١٩٨٢م مجموعة من العوامل المناسبة لها وخاصة التطورات في النزاع العسكري الإيراني والعراقي، كانتقال المبادرة إلى إيران وازدياد قلق العالم العربي تجاه منطقة الخليج العربي. علاوة على ذلك فإن القيادة الإسرائيلية اعتمدت على أن انتباه المجتمع الدولي الذي كان في هذه الفترة موجه إلى النزاع الأرجنتيني - الإنكليزي، وكان الإعداد للعدوان من قبل إسرائيل قد بدأ منذ كانون الأول عام ١٩٨١م وكما في السابق فقد أعير انتباه كبير لإجراءات تضليل الطرف الآخر على المستويين الإستراتيجي والعملياتي - التكتيكي.

**إذا كانت تل أبيب في أثناء الإعداد لعدوان ١٩٦٧م** قد ارتكزت على إبراز الطابع السلمي لنواياها مظهرة رعاية أبوية للسكان العرب في إسرائيل، فإن الإسرئيليين وأثناء الإعداد للهجوم على لبنان صيف ١٩٨٢م فعلوا العكس تماماً. فقد صعدوا عن عمد حدة التوتر، وانهالوا بصورة منتظمة كالإعصار تهديداً ووعيداً على الفلسطينيين واللبنانيين **بهدف تحطيم العرب نفسياً** والعمل على إضعاف يقظتهم، والسعي إلى هزيمتهم بضربة خاطفة. وقد تمكنت تل أبيب على الصعيد الدولي بسلوكها التقليدي الكاذب من تضليل المجتمع الدولي مرة أخرى، وتوجيه انتباهه إلى رغبة إسرائيل في حل الأزمة بالطرائق السلمية، ونشرت وسائل الإعلام الإسرائيلية قبل أسبوعين من بدء الهجوم خبراً مفاده: «أنه على الرغم من النقاش الذي دام خمس ساعات في مكتب مجلس الوزراء حول إمكانية القيام بتوجيه ضربة للفلسطينيين فإن قراراً بهذا الشأن لم يتخذ، أما في واقع الأمر فإن خطة العدوان كانت قد أقرت».

**تناقلت الصحافة الإسرائيلية** قبل الهجوم على لبنان مباشرة خبراً حول قيام القوات المسلحة بتدريبات غير مخططة، وفي غضون ذلك استدرك إكمال مسائل نقل بعض الوحدات والتشكيلات من داخل مناطق البلاد إلى الحدود اللبنانية.

**وقد زاد الإسرائيليون من وراء هذه الإجراءات تضليل الفلسطينيين واللبنانيين** فيما يتعلق بفترة بدء الاعتداء والقوام المحتمل لمجموعات القوات المشاركة فيه، وقد نظمت كذلك عملية تسرب معلومات عن تحشد للقوات الإسرائيلية على الحدود مع لبنان. حيث بدا أن الضربة يمكن أن تكون موجهة إلى ملتقى الحدود الإسرائيلية - اللبنانية - السورية، والإسرائيليون لا يستطيعون اجتياز المنطقة المراقبة من قبل قوات هيئة الأمم المتحدة في الجزء الجنوبي، أما في حقيقة الأمر فإن الضربة كانت قد وجهت في ثلاثة اتجاهات في آن واحد، بما في ذلك اتجاه قاعدة قوات الأمم المتحدة.

**ولم يكن مصادفة اختيار تاريخ الاجتياح،** فالإسرائيليون افترضوا بصورة معقولة أن العرب الذين تربطهم بيوم /٥/ حزيران /١٩٦٧م/ يوم بدء الحرب ذكريات مؤلمة عن الهزيمة ومنذ ذلك الوقت وكتقليد، يؤيدون في مثل هذا التاريخ رفع الجاهزية القتالية لقواتهم المسلحة ثم يفقدون في اليوم الثاني اليقظة. أما الولايات المتحدة الأمريكية وأثناء الإعداد لهجوم إسرائيل على لبنان، كما في سابق عهدها قامت بتأمين التغطية السياسية للعدوان مؤكدة للحكومة اللبنانية بشكل رسمي نوايا تل أبيب السلمية(*).

**ولكن وزير الدفاع الإسرائيلي قام** بزيارة لواشنطن قبل الاعتداء حيث حصل عملياً عن طريق وزير الخارجية الأمريكية الكساندرهيغ على موافقة القيادة العسكرية - السياسية الأمريكية على تنفيذ الغزو، وقد أمن كل ذلك للمعتدي المفاجأة العملياتية والنجاحات الأولى.

---

(*) العماد حسن توركماني، الدهاء في الحرب، بيروت، دار الفكر، ط عام ٢٠٠٠م، ص٢٣٦

**قامت القيادة الإسرائيلية بالإضافة إلى إجراءات وتدابير التمويه العملياتي بالتنفيذ الفعال للإجراءات والتدابير التمويهية الهندسية**، كاستخدام شبكات التمويه وإبقاء أغطية الآليات العسكرية في أماكن حددت مسبقاً كرحبات للآليات. وعلى هذا النحو تم نشر القطعات ووحدات الفرقة ٣٦ دبابات المرابطة في هضبة الجولان، وتم تقليد وجود القوات على مسافة ٥ - ١٠ كم من مكان تعسكرها الدائم، بينما جرى تمويه الأماكن الحقيقية لتحشدها. واستخدمت في أثناء ذلك شبكات التمويه والنباتات، فعلى سبيل المثال، أبقى في منطقة التعسكر الدائم للواء الدبابات ١٣٢ وفي الساحات المكشوفة تركت أغطية المركبات القتالية في مكان وقوف تلك المركبات سابقاً، كذلك في مطارات عاقر ورامات دافيد وحاتسريم وغيرها.وكانت جميع أماكن إقلاع وهبوط الطيران ومواقف الطائرات، الملاجئ، وهنغارات الطائرات، والعتاد الجوي العائد للمطار مموهة، وعلى هذا النحو نجد أن جدلية الحفاظ على سر فكرة العملية وسرية إعداد القوات للأعمال اللاحقة ظهرت بشكل عميق في الظروف السابقة لبدء الحرب.

**قامت القوات الإسرائيلية بالأعمال الهجومية** على اتجاهات محددة آخذة بعين الاعتبار ظروف المناطق الجبلية وتشكيلات الفلسطينيين واللبنانيين وقامت القوات الإسرائيلية بأعمال هجومية على اتجاهات مستقلة، وبشكل رئيسي على الطرق بالألوية وفي بعض الحالات بالكتائب بترتيب ما قبل القتال. واستخدمت في الأعمال القتالية على نطاق واسع الهجمات المفاجأة الليلية واختراق الترتيبات القتالية للعدو والالتفاف على نقاط الاستناد (الدشم) مع محاصرتها لاحقاً بقوى الأنساق الثانية. وقد أمنت أساليب الدهاء العسكري هذه وتلك للمهاجمين وتائراً عالية في التقدم.

**كما استخدم الإسرائيليون الدهاء والخداع للرأي العام العالمي وحتى الإسرائيلي** بما فيه بعض عناصر الحكومة الإسرائيلية في التمويه على الهدف النهائي لهجوم القوات، حيث كانوا يروجون دوماً أنهم يرغبون في **القضاء**

**على البنية التحتية لقوات المقاومة الفلسطينية** ولا يرغبون في الاصطدام بالقوات السورية في لبنان وحددوا عمق العملية بـــ٤٠كم تقريباً، إلا أن الحقيقة أنهم توغلوا عميقاً واحتلوا بيروت عاصمة لبنان واصطدموا بالقوات السورية **وحاولوا جاهدين عزل أكبر ما يمكن من القوات السورية**، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك(*).

## سادساً - الاستنتاجات والدروس المستفادة:

**كانت الحرب في لبنان فرصة كبيرة للجيش الإسرائيلي** كي يختبر آلته الحربية الجديدة، وبشكل عام يمكن الاستفادة من الأعمال القتالية التي خاضتها جميع الأطراف المشتركة في هذه الحرب والتوصل إلى دروس يستفاد منها عسكرياً، **وهي**:

١- **يتميز القتال في الأراضي الجبلية** وفي المدن الآهلة بالسكان بتكتيك خاص، كما أنه يتطلب نماذج من القوات والتسليح والتعاون بين الأسلحة المستخدمة، وهذا كله يتطلب تدريباً خاصاً وتطويراً مستمراً.

٢- **تبين أن دور المشاة في المعارك**، التي تنفذ في الأراضي الجبلية (كثيرة التضاريس) أو المدن، يعتبر أساسياً، بل يجب أن تنفذ الأعمال القتالية بعمليات مشاة تدعمها الدروع والمدفعية، لذا يجب أن يشكل المشاة غطاءاً متقدماً عند استخدام الدبابات والناقلات المدرعة.

٣- **تبين أن استخدام الأرض ومعرفتها بشكل جيد** من قبل الطرف المدافع له الدور الكبير في صد هجوم القوى المتفوقة كماً ونوعاً، بل إنه يجبر الطرف المهاجم على تغيير أهدافه وخططه وأساليبه نتيجة الخسائر التي سيمنى بها بالتأكيد.

---

(*) العماد حسن توركماني، الدهاء في الحرب، بيروت، دار الفكر، د.ت ص٢٣٨

٤- **يعتبر القتال بطريقة الكمائن،** مع استخدام الوحدات بشكل أساسي والقطعات أحياناً، هو الأسلوب الأنجع في المعركة الدفاعية ضمن أراض متنوعة التضاريس. لذا يجب التركيز على تدريب الوحدات الصغرى لتنفيذ أعمال قتالية ناجحة في مثل هذه الظروف.

٥- **يجب أن يدرب القادة المرؤوسين** على اتخاذ القرار المناسب بمبادرة سريعة وحسب معطيات الموقف، مع إعطائهم قدراً من الاستقلالية.

٦- **يعتبر التطور النوعي في مجال الاتصالات** خطوة ذات أهمية كبيرة. لكن ميل القادة في المستويات الدنيا إلى استشارة المستويات العليا عند كل ظرف معقد، وميل المستوى الأعلى إلى قيادة القطعات والوحدات في بعض الظروف (مركزياً)، سيقلل من إمكانية ونوعية القادة المرؤوسين وتطوير إمكانياتهم.

٧- **إن تبديل القيادة أثناء تنفيذ الأعمال القتالية،** أو تغيير التشكيلات والقطعات، يشكل خطراً كبيراً على تكامل القيادة، وعقبة في تنفيذ المهمة الملقاة. لذا يجب التقليل منها ما أمكن، أو تأهيل القادة القادرين على القيادة في جميع الظروف والأوقات.

٨- **إن تنفيذ حرب العصابات في الأراضي** المتنوعة والمدن يعتبر الأسلوب الأفضل، خاصة عندما يكون العدو متفوقاً بالعدد والعتاد، ويحقق هذا الأسلوب نجاحاً كبيراً أثناء التنفيذ.

٩- **إن إمكانية الدبابة / ميركافا/** في استيعاب عشرة جنود مسلحين أو أربع حمالات للجرحى، يساهم كثيراً في نقل الجنود إلى ساحة المعركة وإخلاء الجرحى والمصابين عند الضرورة.

١٠- **إن كثرة التضاريس وتنوع وكثرة العتاد والأسلحة المستخدمة** تستوجب إيجاد نظام تعاون وتعارف مناسب، يجنب الوقوع في أخطاء قد تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها.

١١- **تبين أن للمدفعية دوراً كبيراً في تقديم الدعم اللازم للقوات المتقدمة**، على الرغم من أن طبيعة التضاريس قد تقلل من فعاليتها، مما يوجب تعويض ذلك بإعادة انتشار المدفعية في الزمان والمكان المناسبين، يساعد في ذلك أيضاً تقديم المعلومات الدقيقة من وسائط السطع خاصة الحديثة منها. هذا مع توفر الغطاء الجوي المناسب.

١٢- **أكدت الحرب على أهمية استخدام** مدافع ذاتية الحركة والهاونات متعددة العيارات والأمدية، لأنها تسهل التنقل وتبديل المرابض، وبالتالي تخفف من تأثير الرمايات المعاكسة للبطاريات.

١٣- **أكدت الحرب على أهمية استخدام القذائف المنثارية** لأن تأثيرها على الجنود المكشوفين في نطاق التجمع أو الراكبين داخل عربات مكشوفة من الأعلى (مفتوحة) أكبر بكثير من تأثير القذائف المتفجرة.

١٤- **بغية المحافظة على المعنويات** وعلى إمكانية شفاء الجرحى والمصابين بصورة أفضل وأسرع، يجب توفير فصيلة طبية مع كل طبيب لكل وحدة مقاتلة، تستطيع تقديم الإسعافات الأولية في مكان الإصابة، مع توفر إمكانية الإخلاء بالحوامات.

١٥- **لقد تبين أن لسلاح الهندسة** دوراً هاماً بل متميزاً في المناطق كثيرة التضاريس. وتزداد مهامه بدءاً من شق الطرق الجديدة وبناء الجسور لضرورات تكتيكية، إضافة إلى أعمال التلغيم...

١٦- **بروز دور الحوامات في عملية الإمداد والنقل**، بسبب عدم توفر الطرائق الملائمة لتنفيذ هذه الأعمال بالآليات المخصصة لذلك.

١٧- **لقد تبين في هذه الحرب أهمية دور الحماية الجوية** أثناء تقدم الأرتال لتعزيز تشكيلات أو تبديل تشكيلات أخرى.

١٨- **نجحت الحوامات م/د في أعمالها النوعية** في تلك المناطق نجاحاً نوعياً، إضافة إلى أنها تستطيع القيام بأعمال أخرى. كما قامت بدورها في تدمير قواعد الصواريخ م/ط عند اللزوم، تلك التي يفترض

أن تقوم هي بإصابتها وتدميرها. لذا يجب إيجاد الأسلوب والسلاح الفعال ضدها.

١٩- **يبقى القرار الصحيح والمعلل** هو ذلك القرار الذي يعتمد على معلومات السطع الدقيقة، خاصة عند استخدام التطور التكنولوجي العسكري، الذي مكن القوات الإسرائيلية من الحصول على المعلومات في حينها، إضافة إلى تعزيز ذلك من مصادر أخرى متنوعة.

٢٠- **إن التطور التكنولوجي**، وخاصة في مجال القوى الجوية والدفاع الجوي، يتطلب توفير نظام قيادة وسيطرة موثوق ومستمر يعتمد على وسائط إلكترونية حديثة ومتطورة لا تتأثر بالتشويش الإلكتروني المعادي مع توفر الكادر المدرب.

٢١- **تمكن سلاح البحرية الإسرائيلي** من اختبار وسائطه القتالية، ونظراً للنجاح الكبير الذي حققه، فقد أضيف من جديد لمعارك جيش الدفاع الإسرائيلي، وهذا له أهمية كبرى في المستقبل.

٢٢- **استخدم العدو الإسرائيلي** أساليب حرب نفسية ومعنوية مدروسة جيداً تنسجم مع أهدافه ومع طبيعة الخصم المقابل وقد قامت القوات السورية بتنفيذ طرائق مختلفة للحرب النفسية كانت ناجحة وذات فعالية. وهذا ما يجب أخذه بعين الاعتبار مستقبلاً أيضاً.

٢- **أثبت تنظيم وتنفيذ الدفاع بالوحدات المدرعة** فعالية كبيرة من أجل الدفاع الجيد عن النطاق والقطاعات والقطيعات الدفاعية، حسب المعدلات التكتيكية المعروفة، في نظام قتال المدرعات، وبالانتشار بترتيب قتال على نسق مع احتياط أو على نسقين أو على ثلاثة أنساق.

٢٤- **إن فعالية المعارك الدفاعية للوحدات المدرعة** تتحقق بالمناورة بالقوى والوسائط والعمل المنظم من قبل القادة على المستويات كافة. ويجب ألا تقتصر المناورة فقط على الأنساق الثانية أو الاحتياطية، بل يمكن أن تشمل الأنساق الأولى أيضاً.

٢٥- **إن تنفيذ الضربات المعاكسة** يجب أن يتم قبل أن يتمكن العدو من توسيع خرقه، وقبل أن يعزز الخط الذي يصل إليه.

٢٦- **ضرورة تنظيم التعاون وبصورة كاملة** مع الجوار وحتى العاملين ضمن نطاق الدفاع. كما أن التعاون بين الدبابات والحوامات م/ د هو على درجة كبيرة من الأهمية(*).

٢٧- **إن سلاح الــ م/ د بمختلف أنواعه** سلاح فعال جداً قد يهدد مستقبل الدروع.

٢٨- **ضرورة التركيز على التمويه الميداني**، واختصار حجم العتاد الداخل في قوام مقرات السيطرة، وتطوير وسائط الاتصال فيها مع توفير حوامات قيادة لقيادة التشكيلات.

٢٩- **في القتال، في مثل تلك الظروف**، من الضروري وجود ممثل جوي على مستوى كل ك/ د.

٣٠- **ضرورة إدخال (ف سطع) عضوية في تنظيم كتائب الدبابات**، وكذلك س ها محمول في ملاك ل. د.

٣١- **زيادة ذخيرة الدبابات من الأنواع الخارقة والجوفاء على حساب المتفجرة**، خاصة عند توفر بطاريات مدفعية من عيار كبير.

٣٢- **من أجل تسهيل عمل وقيادة عناصر المشاة المحمولة** من المفضل وجود قائد ثان للوحدة (س) لقيادة عربات القتال في حال رجّل المشاة منها.

٣٣- **ضرورة استمرار تدريب القوات خلال الأعمال القتالية** طبقاً للظروف والحاجة والموقف.

---

(*) العماد إبراهيم صافي، سورية جيش مدافع، دمشق، الإدارة السياسية، ط٢٠٠٧م، ص٣١١ - ٣١٤

# الفصل الثالث

## معركة السلطان يعقوب[1]

### أولاً - خصوصية المعركة:

**في سهل البقاع الخصيب (في منطقة البقاع الأوسط) وعلى تل يعلو عن سطح البحر قرابة /١٣٠٠/ متر تتربع قرية وادعة شامخة أبيةٌ منيعة آلى ثراها إلا أن يبقى طاهراً عصياً على تدنيس أقدام الغزاة الصهاينة... إنها قرية السلطان يعقوب المطلّة على سهل البقاع الخصيب، ذي الأهمية الإستراتيجية من وجهة النظر العسكرية الإسرائيلية، كونه يشكل بعرف قادة /تل أبيب/ امتداداً شمالياً لعمق "إسرائيل" الاستراتيجي الذي يضمن أمن المستعمرات الإسرائيلية والدفاع عن الأراضي التي احتلت في عدوان حزيران /١٩٦٧م/، وذلك لتميزه بالخصائص التالية:**

١ - **يؤمن عزل جبهة الجولان** على أكثر من اتجاه، ويسهل نقل الجهود العسكرية إلى جبهات أخرى، كما أنه يمنع القوات السورية من تحقيق

---

(١) للاستزادة ينصح بقراءة كتاب (معركة السلطان يعقوب)، تأليف العماد علي حبيب، الذي قاد تلك المعركة، والكتاب من إصدار الإدارة السياسية في الجيش السوري، ط١، دمشق عام ٢٠٠٩م.

مناورة ضرب القوات الإسرائيلية المتمركزة في الجولان من الاتجاه اللبناني إذا ما فكرت القيادة العسكرية السورية بذلك.

٢ - **يؤمن سهولة نقل الحرب إلى** الأراضي العربية السورية واللبنانية من دون أن تشكل الحرب تهديداً فعلياً للعمق الاقتصادي والعسكري "لإسرائيل".

٣ - **يؤمن الانتقال بالخيارات العسكرية الإسرائيلية** إلى مواقع جديدة تؤمن لها الانفراج والقدرة على توفير ضمانات دفاعية جيدة، وتشكيل قوة رادعة كافية ضد أية محاولة عربية لخوض حرب مفاجئة من جانب العرب كما حدث في تشرين الأول /١٩٧٣م/.

٤ - **يؤمن الرصد المباشر من خلال** مرتفعاته للتحركات العسكرية براً وجواً وبحراً عبر ترابط الرصد والمراقبة والتنصت، حيث تتوزع على أطرافه جبال حاكمة، وهي جبل الشيخ وجبل الباروك وجبل صنين.

**هذه الأهمية الإستراتيجية التي يتمتع بها سهل البقاع** دفعت "إسرائيل" للتفكير بالسيطرة عليه والوصول إلى طريق دمشق - بيروت الدولية، ولتنفيذ ذلك **اعتمدت القوات العسكرية الإسرائيلية في عملياتها ضد قواتنا المسلحة في البقاع المبادئ التالية**:

١ - **تكثيف حجم القوات المشتركة** من مختلف الصنوف مع تقديم الدعم الناري لها بأفضل ما يمكن، وبخاصة الدعم الجوي.

٢ - **تحقيق المفاجأة والمناورة والالتفاف والتطويق** لتجنب المواجهة العسكرية المباشرة ما أمكن مع القوات العربية السورية، وذلك من أجل تأمين الاندفاع السريع باتجاه الشمال بأقل خسائر ممكنة.

٣ - **تأمين كثافة نارية كبيرة** واستخدام أحدث الأسلحة بغية تخفيض الروح المعنوية لقواتنا المدافعة، وإيقاع أكبر الخسائر الممكنة فيها، حيث تمَّ

استخدام أحدث الأسلحة الإسرائيلية والقذائف التي كانت ما تزال سرية، وقد تبين أن من بين القذائف المستخدمة القنابل الانشطارية والعنقودية، وغيرها من الأسلحة المحرمة دولياً بغية تحقيق أعلى أشكال الفتك والدمار لدب الرعب في صفوف قواتنا المسلحة، لكن ذلك لم يزد جنودنا الميامين إلا تصميماً أكبر على القتال والمواجهة بعزيمة صلبة وهمة لا تلين دفاعاً عن العزة والكرامة الوطنية والقومية.

٤ - **الاستفادة من طبيعة الأرض** في تحقيق التسرب على أجناب قواتنا ومؤخراتها، وتأمين التقرب السريع لأنساقها الثانية واحتياطاتها والضرب بقوة لتحقيق الحسم السريع.

٥ - **تثبيت قواتنا المسلحة على جبهة الجولان من خلال** دفع قوات مدرعة جديدة إلى بعض مناطق الهضبة السورية المحتلة قدرت بحدود فرقتي دبابات، علماً أن القوة الأساسية العاملة في الجولان هي الفرقة /٣٦.د/، وقد نقلت للعمل على اتجاه لبنان بعد تعديل طرأ على بنيتها التنظيمية لتتماشى ومسرح الأعمال القتالية.

**اعتمدت** "**إسرائيل**" **في مواجهتها لقواتنا المسلحة** على اتجاه البقاع **أسلوب قتال خاص** بغية تحقيق أهداف الحرب العدوانية التي شنتها، **وقد تميز هذا الأسلوب بما يلي:**

١ - **استخدام المستجدات التكنولوجية والتكتيكية** الطارئة على مسرح العمليات.

٢ - **القيام بتكثيف القوى براً وجواً** على اتجاه الهجمات المعاكسة للقوات السورية لمنع تلك الهجمات من تحقيق أهدافها.

٣ - **عزل ميدان المعركة** ومنع تعزيز المواقع الدفاعية للقوات السورية بالاحتياطات والأنساق الثانية عن طريق الاستفادة حتى أقصى حد

ممكن من نواحي التفوق التي تمتعت بها القوات الجوية الإسرائيلية.

٤- **اعتماد العمليات الألكترونية** ووسائل الرصد والإنذار والاستطلاع والتحكم والتشويش، وبصورة خاصة على الأجيال الجديدة من الذخائر الموجهة.

٥- **الاعتماد على الكثافة النارية** والقصف الكثيف لمناطق تمركز القوات وللمناطق الآهلة بالسكان.

**كانت المعارك في البقاع جزءاً يؤثر ويتأثر بمعارك أخرى** جرت على الساحة اللبنانية جرّاء سياسة "إسرائيل" العدوانية، بهدف فرض الأمر الواقع لتغييب القوى العسكرية الفاعلة لسورية. ولا يستطيع أحد أن ينكر أن عمليات البقاع - وفي مقدمتها معركة السلطان يعقوب - كانت نوعاً متطوراً في العمل العسكري بفضل الاستخدام الأمثل للأسلحة والذخيرة، وأسلوب القتال المعتمد على الرغم من عدم التكافؤ الذي كان واضحاً في معركة السلطان يعقوب بشكل خاص، وغياب عنصر التوازن في بنية القوى والوسائط المشتركة، لكن مقاتلي **اللواء/٥٨ميكا/** الذين خاضوا هذه المعركة كانت تتوفر لديهم القناعة التامة والإيمان العميق بقول السيد الرئيس حافظ الأسد:

**«من يربح المعركة هو الإنسان بشجاعته وتصميمه، وهذه حقيقة ثابتة مهما تطور السلاح. لنقاتل العدو وفي ذاكرتنا قول راسخ لا ننساه أبداً: الشهادة أو النصر..».**

**لقد خططت** "**إسرائيل**" **لقتالها مع** قواتنا العاملة في البقاع بحيث تكون هذه الحرب غير معلنة وتقليدية وقصيرة لخفض احتمالات الحرب الواسعة من جهة، ومن جهة ثانية لتذكير سورية بأن "إسرائيل" قوة لا تهزم عسكرياً، وأنه لا جدوى من الصراع المسلح أو المجابهة العسكرية في سبيل ما تسعى إليه سورية من أجل استعادة ما احتل من أرض واغتصب من حقوق، والقيادة

السورية لم تتفاجأ بالغزو الإسرائيلي للبنان؛ لأنها تدرك الطبيعة العدوانية "لإسرائيل"، وكانت على يقين أن القوات الإسرائيلية ستهاجم القوات السورية في البقاع إذا ما خرقت الجنوب اللبناني، لأن دوافع "إسرائيل" لا تتصل بالوجود الفلسطيني وحده على الساحة اللبنانية، وإنما تنطلق من اعتبارات تتعلق بالرغبة في إسقاط إمكانات سورية في مواجهة الخيار العسكري الإسرائيلي لشل فاعلية دورها الوطني والقومي وإشاعة مناخ الاستسلام في المنطقة.

## ثانياً - التدريب والحرب:

**بدأ العام /١٩٨١/م بارداً في مناخه وحاراً في** تقلباته السياسية، ففي نيسان من هذا العام صدرت أوامر القيادة العامة للفرقة الأولى دبابات بالاستعداد لتنفيذ مهام قتالية (خوض أعمال قتالية - دفاعية) في البقاع اللبناني. رفعت الجاهزية القتالية للفرقة بشكل هادئ وسلس، **وانتقل /اللواء ٩١/د/** من معسكره إلى منطقة تحشده في منطقة جديدة يابوس على الحدود السورية - اللبنانية بإمرة العميد الركن /محمد الصباغ/ واستعدت الكتيبة /٢٤٢/د/ منه للذهاب إلى منطقة راشيا الوادي، وتم تحضير وإعداد باقي تشكيلات وقطعات ووحدات الفرقة للأعمال القتالية والاستعداد لاستلام الإشارة من القيادة العامة.

**مضى العام /١٩٨١م/ وكان حافلاً بتكثيف التدريب النوعي،** ففي نهاية ربيع ذاك العام وبدء الصيف نفذت القيادة العامة مشروعاً تكتيكياً **للواء /٥٨/ميكا/ بقيادة العميد الركن /علي حبيب/** في مواجهة اللواء /٥١/د/ بقيادة العميد الركن /علي عبدو كلثوم/ بموضوع المعركة التصادمية، كانت نتيجة المشروع لصالح الشماليين (اللواء ٥٨/ميكا/من الفرقة الأولى دبابات)، وقد أشاد مدير المشروع **اللواء /محمد سعيد الحمصي/** بالأداء المميز للطرفين،

الأمر الذي كان موضع ارتياح قائد الفرقة الأولى **العميد الركن /إبراهيم صافي/** الذي عبر عن **ذلك بقوله**: "من ينفذ هذا المشروع بهذه الدقة والحكمة والواقعية يكسب المعركة"، وهذا الكلام كان دقيقاً وواقعياً، فالعلاقة التي تربط المقاتل بقائده كانت مميزة وكفيلة ببلوغ النصر في أية مواجهة مع العدو، ولم يكن هذا هو المشروع الوحيد الذي نفذه اللواء قبل حرب لبنان، **بل سبق ذلك تنفيذ ثلاثة مشاريع**:

مشروع الفرقة بالقوات في تشرين الثاني من العام /١٩٧٩م/.

مشروع دفاعي للواء في العام /١٩٨٠م/.

مشروع بموضوع المعركة التصادمية في عام /١٩٨١م/، وفي المشاريع الثلاثة كان أداء اللواء مميزاً ومتفوقاً، وهذا ما أعطى مقاتليه خبرة وقدرة على إدارة المعركة بنجاح[1].

**عاد اللواء /٥٨ ميكا/ إلى معسكره** الدائم فور انتهاء المشروع، والجميع كان يتوقع الذهاب إلى الساحة اللبنانية في أقرب وقت، وذلك من خلال قراءة الموقف السياسي واهتمام القيادة العامة بتوفير الحاملات لنقل اللواء دفعة واحدة من دون انتظار، ولهذا كانت الحاملات المعدة لنقل العتاد المزنجر في منطقة التحميل جاهزة عندما تقرر إسناد مهمة قتالية للواء.

**انتهى العام التدريبي /١٩٨١م/، وكان قد برز حدثان هامان**:

ــ الأول: ضرب المفاعل النووي العراقي.

ــ الثاني: قرار الكنيست الإسرائيلي بضم الجولان في عهد **/مناحيم بيغن/**.

**في بداية شهر شباط من العام /١٩٨٢م/ رفعت الجاهزية القتالية**

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، إصدار الإدارة السياسية ، سورية، دمشق، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩م، ص٨٢م.

**للفرقة الأولى** دبابات استعداداً لأعمال قتالية محتملة على الاتجاه اللبناني، وبعد مدة قصيرة عادت الجاهزية القتالية إلى حالتها العادية، وهذه الدورة من حالة الجاهزية القتالية أعطت الوقت الكافي لدراسة مسرح الأعمال القتالية، وكذلك التأمين القتالي للفرقة بجميع أنواعه، وبخاصة المادي منه، واستعداد القادة كافة لملاقاة العدو، وكان القادة يدرسون الخطة ومسرح الأعمال القتالية بروح عالية من المسؤولية تخزِّن في الذاكرة عدة فرضيات عند خوض الأعمال القتالية الحقيقية، وتضع الحلول الأنسب لها.

**جاء شهر حزيران من العام /١٩٨٢م/**، وفي بدايته نفذت الفرقة الأولى مشروع قيادة وأركان على اتجاه الجولان بإدارة **اللواء /ياسين شفيق مزيك/** رئيس شعبة العمليات، كما اشترك اللواء /٩١ د/ في تنفيذ المشروع وهو في الساحة اللبنانية، وفي أثناء تنظيم المعركة الدفاعية للواء /٥٨/ميكا على صندوق رمل **شارك العميد الركن /رزق الياس/** معاون مدير المشروع لشؤون الاستطلاع قائد اللواء في تنظيم وتأمين الاستطلاع للواء، وأوضح أنه يفضل الحالة التي يقود فيها قائد سرية الاستطلاع الدورية الأساسية (عناصر سطع اللواء العاملة على الاتجاه الرئيسي)، وهذا ما حصل في معركة السلطان يعقوب.

**انتهى المشروع على الحد الأمامي** على اتجاه الجولان في منطقة جبا - تل الكروم، وما لَبِثَت القيادات والأركانات أن وصلت إلى أماكن معسكراتها الدائمة، واستراحت استراحة مقاتل إلى أن تلقت الفرقة إشارة الجاهزية القتالية الكاملة /استعداد رقم١/، ويبدو أن قائد الفرقة كان بانتظار ذلك، وهذا ما اتضح من خلال زيارته لمعسكر سطع الفرقة ليلاً على السفوح الغربية لجبل المضيع، وسأل أكثر من مرة خلال زيارته الضابط المناوب في المعسكر: هل جاءك شيء من مقر قيادة الفرقة.

**أمر قائد الفرقة** بتعزيز الكتيبة /٢٤٢د/ بقيادة المقدم الركن /محرز

صافي قاهر/ في راشيا الوادي ودفع الكتيبة /٢٧٢/د/ بقيادة الرائد /نور الدين نقار/ إلى منطقة: كفر مشكي - مرج الزهور - جب فرح. والكتيبة /١٧٣/د/ نسق٢ اللواء/٩١ د/ بقيادة الرائد /منير عثمان جبور/ في منطقة: سهل البيرة - تل ندوى، أما اللواء /٧٦د/ بقيادة العقيد الركن /علي محمود حسن/ فقد تحرك من منطقة تعسكره ليحتل قطاعه الدفاعي في منطقة: مشغرة - عين التينة - القرعون، كما تحرك الفوج /١٤١مد/ بقيادة العميد الركن /علي قنطار/ واحتل مرابضه المقررة في البقاع الأوسط والغربي، وكذلك الفوج /١٠٦م/ط/ بقيادة العقيد الركن /محمد نصر تقلا/، وكان اللواء /٥٨ ميكا/ بقيادة العميد الركن /علي حبيب/ جاهزاً للتحرك من مكان معسكره الدائم.

**يوم الإثنين ١٩٨٢/٦/٧م غادر قائد الفرقة مقر قيادة اللواء حوالي سعت /١١,٠٠/ صباحاً متوجهاً إلى مقر قيادة الفرقة، جمع قائد اللواء رؤساء الأقسام وقادة الكتائب والسرايا المستقلة قائلاً لهم: أيها الرفاق! إن تعليمات وتوجيهات قائد الفرقة تتضمن أن تخاطبوا مرؤوسيكم وترفعوا لهم الروح المعنوية، كما قال: "أطعموا المرؤوسين وجبة ساخنة، وعودوا إلى وحداتكم للقاء المقاتلين ورفع روحهم المعنوية"، وفور الوصول إلى أماكن تواجد وحدات اللواء /٥٨ميكا/ كان العتاد المزنجر على الحاملات، وطلب قائد اللواء ثانيةً رؤساء الأقسام وقادة الكتائب والسرايا المستقلة وأبلغهم: إن تعليمات القيادة تقتضي تحريك اللواء، وإنه لو لم تكن القيادة ترى ضرورة الوصول بجاهزية قتالية كاملة لما تم التحرك في وضح النهار.**

**انتظم اللواء بترتيب التحرك وتمت الأمور وكأن اللواء ينفذ مشروعه بالقوات**، وكان للموقف الإعلامي واتضاح الموقف السياسي وموقف سورية من الحرب أثره على الشارع، فحركة **اللواء /٥٨ميكا/** كانت في وضح النهار وعلى محور: المعسكر الدائم - طريق درعا القديم - مفرق صحنايا - المزة - أوتوستراد - دمشق - بيروت - دير العشاير، وقد ترافق هذا التحرك بالتفاف الجماهير جانبي طريق أشرفية صحنايا - صحنايا - داريا،

وكعادة السوريين في حالتهم العاطفية وتفاعلهم مع الأحداث رفع المواطنون لافتات كتب عليها (الله معكم)، واللاّفت هنا أن أحد الأطفال كان قد كتب على جلبابه باللون الأسود (الله معكم.. الله ينصركم)...، وأخذ يلوّح بيده، وهذا ما زال منقوشاً في ذاكرة عسكريي هذا اللواء.

**بات اللواء /٥٨ميكا/ في منطقة تحشده في دير العشاير ليلتين،** وحضر إلى منطقة تحشده **اللواء /علي أصلان/**، وطلب من قائد اللواء تدقيق قراره، وأخبره بأنّ العدو يتقدّم باتجاه البقاع الغربي، وتتحرك الجرافات في مقدمة الأرتال، الأمر الذي يستنتج منه أن هدف العدو هو شق محاور للمناورة أو زج قوات إضافية عند اللزوم، وكان مقاتلو اللواء يشاهدون بأعينهم - وبخاصة ليلاً - كيف تنهال القذائف العنقودية بغزارة من الطائرات الإسرائيلية على المحاور في أثناء تقدم الدبابات الإسرائيلية لتأمين تقدمها، ومع ذلك كان قائد اللواء يؤكد لمرؤوسيه أن هذا لا يساوي شيئاً أمام قوات مدربة تثق بنفسها وبسلاحها، وتؤمن بالوطن وقائد الوطن، كما كان قائد اللواء يؤكد في كل اجتماع له مع الضباط أنه على ثقة بقدرة اللواء على القتال بكفاءة عالية ومواجهة القوات المعادية بكل رجولة واستبسال، وأنه في أية مواجهة سيرفع مقاتلو اللواء رأس شعبنا وقواتنا المسلحة عالياً.

### ثالثاً - مهام متعددة لمقاتلين نوعيين :

**إخراج القوات العربية السورية من لبنان كان أحد الأهداف الرئيسة للغزو الإسرائيلي الذي أخفق في ذلك، ومنع العدو من تحقيق هذا الهدف واجب مقدس تفخر قواتنا المسلحة الباسلة بالاضطلاع به بقيادة القائد الخالد حافظ الأسد الذي ما لانت له قناة قط في مواجهة الأعداء، ولم يذعن في يوم من الأيام لإملاءات الخارج، يقيناً منه أن أبناء الوطن قادرون على الصمود والدفاع المشترك مهما كانت همجية العدوان وقدراته العسكرية، وقد أثبت المقاتل العربي السوري أنه عند حسن الظن والثقة به، وأنه مقاتل نوعي**

**بكل ما تعنيه الكلمة، والمقاتل النوعي قادر على الاضطلاع بمهام نوعية، وهذا ما تجسد بوضوح في معركة السلطان يعقوب ففي صباح يوم الأربعاء /١٩٨٢/٦/٩م/، تم استلام أمر قائد الفرقة المتضمن أن يقوم اللواء /٥٨ميكا/ باحتلال قطاعه الدفاعي في الأراضي اللبنانية، وتمّ التنفيذ فوراً كما هو مخطط في قرار قائد اللواء المصادق عليه من قائد الفرقة، حيث تم احتلال النطاق الدفاعي في المنطقة: كامد اللوز - المرج - عنجر، وتوضع مرصد قائد اللواء في منطقة المصنع اللبناني جنوب شرق النقطة /٩٦٨/، في حين توضع مقر القيادة في وادي الحرير (النقطة /١١٦٢/) ومقر قيادة المؤخرة في الدوارات شمال المرتفع /١٤٥٠/.**

**ما لبث الموقف أن تغير**، وحصلت تبدلات حادة في الموقف العسكري على الأرض، ووردت معلومات مؤكدة مفادها أن القوات الإسرائيلية تتقدم في منطقة الشوف باتجاه صوفر وباتجاه نبع الصفا بوتيرة عالية بغية الوصول إلى الطريق الدولية: دمشق - بيروت، مما اضطر القيادة إلى إسناد **مهمة جديدة للواء /٥٨ ميكا/** لاحتلال الدفاع باتجاه الغرب (المصنع - النبي زاعور - شتورة).

**تم فتح مرصد سطع اللواء** في بناية أنشئت حديثاً في بلدة المرج، كما عملت دورية استطلاع مستقلة للواء باتجاه شتورة - المريجات، وبدأت الأنباء تتوارد عن قصف مركّز وكثيف على مقر قيادة الفرقة في المحيطية (المحيدثة) جنوب الرفيد، مما اضطرّ قائد الفرقة إلى نقل مقرّ قيادته إلى مزرعة عزة[١].

**بعد ظهر يوم الأربعاء أعطى قائد اللواء /٥٨ ميكا/** تعليماته إلى المقاتلين، وقد كان مقاتلو اللواء على يقين أنهم سيخوضون المعركة الحاسمة من دون تغطية جوية.

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب،مصدر سابق، ص٨٨.

**صباح يوم الخميس /١٩٨٢/٦/١٠م/** استدعى قائد الفرقة الأولى العميد الركن /إبراهيم صافي/ قائد اللواء /٥٨ميكا/ فحضر بعربته /ب.م.ب١/ ومعه طاقم مرصد قائد اللواء (رئيس سطع. عمليات. مدفعية. إشارة)، واستلم المهمة القتالية الجديدة من قائد الفرقة.

**في هذه الأثناء** التقى قائد الكتيبة /٣٦٤ ميكا/ مع قائد سرية سطع اللواء في منطقة: كامد اللوز - غرب تلة عطفايا، وسأله عن الموقف قائلاً: لقد كلفني قائد الفرقة بمسك محور كامد اللوز - مزرعة عزة بسرية ميكا معززة، فما هي المعطيات الجديدة لديك؟ فردّ قائد سرية سطع اللواء لا جديد إلا القصف الجوي لجبل الباروك والمحاور، وبعد مضي بضع دقائق وصل قائد اللواء وأمر قائد الكتيبة /٣٦٤ ميكا/ بتنفيذ الأمر الذي تلقاه من قائد الفرقة، وكان الجديد في القرار السابق أن العدو سيتحرك على محور: راشيا الوادي - السلطان يعقوب كقوة رئيسة، وبقوة أخرى من وادي السكي باتجاه كامد اللوز والقوة اليمينية: مشغرة - الصعلوك ومشغرة - القرعون - جب جنين، وبناء على ذلك **كان قرار قائد اللواء ما يلي:**

- **نقل الكتيبة /٣٦٠ميكا/ بقيادة العقيد الركن /فؤاد إبراهيم سنيح/** من قطيع دفاعها غرب مجدل عنجر إلى المنطقة: شرق البيرة - مسيل عين صفصاف - تل ندوى للإمساك بمحور: راشيا الوادي - المصنع، ومحور: خربة روحة - مفرق عين عرب - مدوخة،والتحرك على المحور: دكوة - السلطان يعقوب - مزرعة عزة - القطيع الدفاعي الجديد، وبناءً على طلب قائد اللواء /٩١/د/، وبقرار قائد الفرقة الأولى العميد الركن /إبراهيم صافي/ أرسلت السرية الأولى ميكا من هذه الكتيبة "بقيادة النقيب /شعيب سليمان/ إلى اللواء /٩١/د/ لتأمين الحماية والدفاع القريب عن الدبابات ليلاً، حيث ألحقت باللواء المذكور اعتباراً من مساء يوم الأربعاء /١٩٨٢/٦/٩م/.

- **تتحرك الكتيبة /٣٦٢ ميكا/ بقيادة الرائد /محمد عزيز حسان/** من منطقة دفاعها غرب عنجر على المحور: عنجر - المصنع - السلطان يعقوب

لتحتل قطيعها الدفاعي في مزرعة: عزة - نقور عزة - عقوب الجدي - قرنة عارف، وكانت إحدى سرايا الميكا التابعة لهذه الكتيبة قد كلفت بقيادة النقيب /يوسف مباركة/ بتأمين الحماية والحراسة لكتائب الصواريخ في البقاع اللبناني منذ ربيع العام /١٩٨١ م/.

- **أسندت إلى الكتيبة /٣٦٤ميكا/ بقيادة الرائد /ثابت زريق غصن/** مهمة جديدة لاحتلال القطيع الدفاعي: جبل عطفايا - شرق كامد اللوز - السفوح الشرقية لمرتفع عريض الباط - غرب المرتفع /١٠٦٥/.

- **الكتيبة /٣٦٦مد/ بقيادة الرائد /محمود زيني/** تحتل مرابضها في منطقة الصويري.

- **عناصر سطع اللواء /٥٨/ميكا/** مراصد سطع - دورية استطلاع مستقلة ينتشرون وفق القرار الجديد على **النحو التالي**:

**١ - دورية استطلاع مستقلة في كامد اللوز.**

**٢ - مرصد سطع /رقم١/ في مرتفعات**: البيرة - عريض الباط - القسم الشرقي من جبل عربي شرق وادي السكي.

**٣ - مرصد سطع /رقم٢/ في تل عريض** الهوى مع قائد سرية سطع ودورية سطع مستقلة رقم١ تعمل باتجاه: مدوخة - خربة روحة - كفر دينس بقيادة النقيب /مالك اليوسف/، ودورية سطع مستقلة /رقم٢/ احتياط سطع اللواء مع مقر القيادة.

- **الاحتياط المشترك بقوام السرية الرابعة** دبابات بقيادة الملازم الأول /عبد الحميد شريف/ يتوضع في المنطقة غرب الطريق العام /٢كم/ شمال شرق قرية السلطان يعقوب بالقرب من مقر القيادة جاهزاً لتنفيذ أية مهمة تسند له في حينه.

**رابعاً - إدارة معركة السلطان يعقوب:**

- **نُفِّذَ قرار قائد اللواء /٥٨/ميكا/** عملياً على الأرض بشكل متطابق مع الموقف القتالي الطارئ وتعليمات القتال المسندة من قائد الفرقة إلى قائد اللواء، وخلال الأعمال القتالية **تقدم العدو على المحاور التالية:**

**١ - عين التينة - مشغرة - الصعلوك.**

**٢ - يحمر البقاع - سحمر - القرعون - جب جنين. جبلة الأراضي.**

**٣ - مرج الزهور - وادي السكي - كامد اللوز**، وتقدم جزء من القوات المتحركة على هذا المحور باتجاه: كامد اللوز - مزرعة عزة - السلطان يعقوب - بيدر العدس، والجزء الآخر غيَّر اتجاه تحركه وتابع تقدمه باتجاه بلدة غزة غرب السلطان يعقوب.

**٤ - وادي فقعة - راشيا الوادي - ضهر الأحمر** - الرفيد - البيرة - بيادر العدس - السلطان يعقوب كاتجاه هجوم رئيسي، وجزء من هذه القوات تحرك باتجاه: كفر دنيس - خربة روحة - مدوخة.

**٥ - وادي فقعة - عيحا - كفر قوق اللبنانية – ينطا.**

**نقل قائد اللواء /٥٨/ميكا/ مرصده (م.ق.م) إلى المرتفع (متقوبة)** الواقع بين جبل عطفايا والسلطان يعقوب الفوقا، مما وفر القيادة المباشرة لكتائب اللواء التي أصبحت جميعها تحت الأنظار بما فيها كتيبة المدفعية المتمركزة في الصويري ومقر قيادة اللواء الرئيسي المتمركز في منطقة منارة حمّارة والاحتياطات الموجودة معه.

**احتلت الكتيبة /٣٦٤ ميكا/** ومعها السرية الثالثة دبابات قطيعها الدفاعي في المنطقة: جبل عطفايا شمال عين صفصاف - التخوم الشرقية لكامد اللوز، وأحكمت سيطرتها على محور: كامد اللوز - مزرعة عزة بمهمة صد وتدمير العدو المتقدم من اتجاه جب جنين - كامد اللوز، ومن

وادي السكي - كامد اللوز باتجاه كامد اللوز - الفالوج (مزرعة عزة) وتدمير العدو المخترق على محور: البيرة - الفالوج.

**الكتيبة /٣٦٢ ميكا/** ناقص سرية ميكا ومعها السرية الثانية دبابات في قطيعها الدفاعي في المنطقة: بيادر العدس - عقوب الجدي ١كم غرب نقور عزة جاهزة لتدمير العدو المخترق والسيطرة على الاتجاه الرئيسي: محور الفالوج - بيادر العدس - السلطان يعقوب.

**الكتيبة /٣٦٠ ميكا/** ومعها السرية الأولى دبابات تحركت على محور: مجدل عنجر - السلطان يعقوب - بيادر العدس لتحتل قطيعها الدفاعي في المنطقة /٥٠٠ متر/ شرق ضهرة عيّاش غرب مدوخة - ندوى والسيطرة على هذا الاتجاه، وعلى محور الرفيد: المرتفع /١٠٦٥/ ومحور: ضهر الأحمر - خربة روحة - مدوخة.

**السرية الرابعة دبابات بقيت** احتياط قائد اللواء، وتوضعت مع مقر قيادة اللواء في منطقة الصويري (شمال قرية المنارة)، وكان قائد اللواء قد خطط لها مهمّةً قتالية، وتنفيذاً لذلك أقام تجهيزاً تحصينياً (جيباً نارياً) قبيل الاشتباك مع العدو بساعات قليلة لتحتله حين اللزوم بعد أن تم تجهيزه كجيب ناري متكامل بغية تدمير العدو المتقدم وأسره في حال تمكن من متابعة التقدم والخرق.

## خامساً - سير الأعمال القتالية [(١)]:

**عند تحرك اللواء /٥٨ ميكا/ صباح يوم** الخميس /١٠/ ١٩٨٢/٦م/ لاحتلال القطاع الدفاعي المقرر تعرضت الكتيبة /٣٦٠ ميكا/ لغارات جوية في المنطقة الواقعة بين بيادر العدس وجبل ندوى بغية عرقلة تحركها

---

(١) راجع كتاب معركة السلطان يعقوب، تأليف العماد علي حبيب، مصدر سابق. ص٩٧-٩٨.

وتأخيرها ما أمكن، ومنعها من احتلال الدفاع، وتهيئة الظروف المواتية للقوات الإسرائيلية الغازية المتقدمة على محور: ضهر الأحمر - الرفيد - البيرة - بيادر العدس - السلطان يعقوب، فتابعت الكتيبة تقدمها على المحور المحدد، ووصلت إلى قطيعها الدفاعي في الوقت المحدد، وتابعت إجراءات التحضير للأعمال القتالية والاستعداد لملاقاة العدو في حينه.

**تصدت وحدات التغطية (الدفاع الجوي العضوية)** للطيران الإسرائيلي ومنعته من تحقيق أهدافه بدقة، وكان قد اشتبك مع الطيران الإسرائيلي في هذه الأثناء سرية /التشيلكا/ التي كانت تغطي الكتيبة بقيادة **/الرائد سليمان عبد الله /** الذي نفذ مهمته بجرأة وحزم وتصدى لطيران العدو ببسالة وبطولة إلى أن نال شرف الشهادة على السفوح الشمالية الغربية لقرنة عارف (منطقة بيادر العدس).

**بحدود الساعة /١٣,٤٠/** من ذاك اليوم الذي بدأ صباحه ساخناً ليس في مناخه فقط وإنما في الموقف العسكري للفرقة الأولى بشكل عام واللواء/ ٥٨ميكا/ بشكل خاص، فشمس حزيران اشتدت حرارتها والدخان الأسود بدأ يغطي مسرح الأعمال القتالية من غرب مرتفعات الباروك وحتى جبل /الشيخ فرج/ لينتقل شرقاً حيث يصل /جورة عاجية/.

نهارٌ صعبٌ في الميدان وقاسٍ وحاسمٍ، فالعدو بدأ يقترب من الحدود السورية والمجنبة اليمينية للواء ٥٨ميكا أصبحت مكشوفة.

**النسق الأول للفرقة** اهتز بعد قتال عنيف وغير متكافئ بالعتاد والعدة، فاللواء /٩١/ دبابات بدأ باحتلال قطاع دفاعي على خط: الرابيات - ١كم جنوب ينطا - جبل الشجرة.

**كتائب الصواريخ م/ط كفادرات** التي تعرضت للقصف الجوي المعادي الكثيف بدأت تحتل مواقع جديدة وفق التوجيهات والأوامر الصادرة بما يتناسب مع الموقف المستجد.

**ضعفت التغطية الجوية للفرقة الأولى،** وبقي اللواء **/٥٨/**ميكا/ - الناقص سريتين - الوحيد تقريباً في مسرح الأعمال القتالية، تسانده كتيبة مدفعية من الفوج (١٤١/مد) لتقديم الدعم الناري.

**الكتيبة /٣٦٤/ميكا/** احتياط قائد الفرقة بقيت في منطقة دكوة ضمن القطيع الدفاعي المخصص لها، وسرعان ما عادت لتلتحق باللواء /٥٨ ميكا/ بدلاً من بقائها احتياط قائد الفرقة.

**- تعقد الموقف وأصبح محرجاً للغاية:**

**اللواء /٨٥ مش مل/** أصبح محاصراً في بيروت، **و اللواء /٦٢مشاة/** واللواء /٥١د/ في وضع معقد رغم ظهور بعض البطولات الفردية في الميدان.

**في ذلك الوقت وصل** إلى أرض الميدان توجيه من الرئيس القائد حافظ الأسد مضمونه: إن العالم بأجمعه يتابع قتال السوريين، وإنه ينتظر النتيجة، هذه الكلمات المنقوشة في أذهان وصدور عسكريي اللواء /٥٨ ميكا/ كان لها وقعها الخاص في نفوس مقاتلي هذا اللواء الذي كان متمسكاً بدفاعه بثبات وصمود وعناد ينتظر ساعة ملاقاة العدو.

**بدأت قطعات ووحدات اللواء /٥٨/ميكا/** تتأهب لخوض الأعمال القتالية وتستعد لملاقاة العدو، وكان قائد الفرقة يولي الاهتمام الكبير بمعركة هذا التشكيل؛ لأنها معركة الحسم الصعبة، بل معركة الفصل، وربما الحرب بأكملها، وهذا ما حصل عملياً على الأرض.

**الساعة /١٣,٠٠/ يوم** الخميس الواقع في /١٠/ ١٩٨٢/٦م/. **تسللت حوامتان** من طراز /هيوز ٥٠٠/ (وقد ظن المقاتلون أنهما حوامتا /كازيل/، وذلك لزيادة التقارب والشبه بينهما، حيث كانتا مموهتين تماماً كالحوامة /كازيل/ ورسم عليهما العلم السوري، وبشكل دائري كما هو معتمد بالرسم الخاص على الحوامة كازيل، كما أن طاقم كل منهما مؤلف من شخصين

يرتديان اللباس الخاص بطياري الحوامة كازيل من حيث اللون)، تسللت هاتان الحوامتان من جهة العدو فوق مرتفعات المحيدثة باتجاه القوات الصديقة (فوق مدوخة) ثم اتجهتا غرباً باتجاه مرتفع عريض الباط، وقصفتا مربض رشاش م/ط رباعي من عيار /١٤,٥مم/ عائد لمنظمة التحرير الفلسطينية، لكن الحوامتين لم تتمكنا من إصابة الناقلة /ب م ب١/ سطع العائدة لسرية سطع اللواء /٥٨/ميكا/ والدبابة /تشيلكا/، وقد نفذت الحوامتان الرمي على القوات الصديقة رغم إعطاء إشارة التعارف، عندها تم التأكد أنهما حوامتان معاديتان وتم إعلام قائد اللواء بالموقف، وقد تبين أن هاتين الحوامتين استخدمتا لأغراض التسلل وضرب مربض الرشاش الذي تعذر إصابته بالطيران القتالي كونه يتمركز على تبدل انحدار، وقد كان العدو يرى في تدميره أمراً ضرورياً لضمان نجاح عملية إنزال إسرائيلية (وحدة م/د).

**بعد ذلك تمكن العدو من إنزال /وحدة م/د/** على مرتفع عريض الباط شمال البيرة، حيث أطلق عدة صواريخ دمرت بعض الأهداف الصديقة في الكتيبة /٣٦٠ ميكا/ وسرية الدبابات العاملة معها، حيث أصابت دبابة قائد السرية أولاً ثم العربة المدرعة الخاصة بضابط إشارة الكتيبة /٣٦٠ميكا/ وكذلك ناقلة /ب م ب١+٢.د/. أعلم قائد اللواء بالموقف، وحُدِّد مكان الإنزال بدقة، حيث كانت منطقة الإنزال تبعد /١٥٠٠م/ شمال مئذنة قرية البيرة، ونفذت كتيبة المدفعية التأثير الناري عليها برشقة من نيرانها، وذلك لتعذر إصابتها بأسلحة الرمي المباشر.

**بعد ذلك بقليل** بدأت طلائع الأرتال المدرعة الإسرائيلية بالظهور،وأخذ بعضها بالتجمع شرق قرية الرفيد اللبنانية.

**تم تحديد مواقع هذه الأرتال** واتجاه تقدمها، ونفذ التأثير الناري عليها؛ مما أدى إلى توقف حركتها، لكنها سرعان ما نفذت عملية التجميع (إعادة التنظيم) على المحور (في المنطقة شرق المحيدثة مقابل مفرق قرية الرفيد)،

وبدأت المدفعية المعادية رماياتها الغزيرة تحت غطاء كثيف من الطيران القتالي ونشاط مستمر للطيران المسير.

**في هذه الأثناء كانت السرية التي يقودها الملازم الأول /محمد حسن محمد السوقي/** من الكتيبة /٣٦٠ ميكا/ تدافع عن ذاك المحور، وقد تمكنت من إيقاف تقدم العدو الإسرائيلي ليلاً بعد أن أثرت - وبشكل فعال - على قواته نهاراً، وفي الساعة /٠٠,٣٠/ من ليل /١٠ - ١٩٨٢/٦/١١م/ دمرت هذه السرية خمس دبابات معادية من نوع باتون المعدلة، مما أجبر العدو على التوقف والتخفي على جانبي الطريق مقابل قرية الرفيد لإعادة تنظيم قواته من جديد، وهذا ما اعترف به العدو الإسرائيلي وأكده الكاتبان /زائيف شيف/ و/إيهود يعاري/، كما أكدت الأمر ذاته دورية الاستطلاع المستقلة العائدة للواء /٥٨ ميكا/ بقيادة النقيب /مالك اليوسف/ والتي كانت تعمل في منطقة: كفر دينس - خربة روحة.

**كان الملازم الأول /محمد حسن محمد السوقي/** - كما وصفه قادته - بطلاً ثابت العزيمة، انتظر بكل شجاعة ورباطة جأش وصول أرتال الدبابات والمزنجرات المعادية إلى مدى تأثير الوسائط النارية لسريته، وعندها بدأ باصطياد الدبابات المعادية واحدة تلو الأخرى ملقناً العدو درساً لن ينساه، **وقد شارك في هذه المعركة الملازم الأول /سمير حكمت/ وهو** من الضباط المميزين والأبطال الميامين الذين ما فتئوا يحثون مرؤوسيهم على استعذاب الشهادة في سبيل الوطن إلى أن **نال شرف الشهادة**، كما كان **للملازم الأول /عيد عليا/** شرف المشاركة في هذه المعركة والتصدي للعدو الإسرائيلي ومنعه من الخرق من الجانب الأيسر للواء، فكان مثال الضابط الشجاع والمقاتل النوعي الذي تمكن بمهارته واستخدامه المميز للصاروخ /مالوتكا/ من تدمير خمس دبابات إسرائيلية وتدمير عدد من مزنجرات العدو بالاشتراك مع باقي مقاتلي وحدته وإجبار العدو الإسرائيلي المتقدم على التوقف على محور: خربة روحة - مدوخة.

**مع اقتراب الليل بدأت دبابات العدو بالتقدم**، وأصبح من واجب رجال الاستطلاع كشف العدو بدقة والإعلام عنه، وهنا ظهرت بوضوح نتائج التدريب المتواصل الذي كان ينفذه مقاتلو اللواء في أرض التدريب تنفيذاً للتوجيهات التي كانت تركز على أهمية الجاهزية القتالية وضرورة الاستثمار الكامل لإمكانيات السلاح وخصائصه الفنية والتعبوية، وأعطيت الأوامر لتحضير أجهزة الرؤية الليلية والاستعداد لخوض الأعمال القتالية ليلاً.

**لم تكن المواجهة مقتصرة على القوى البرية بل** شملت باقي صنوف الأسلحة، وعلى الرغم من التفوق الجوي المعادي فقد **قدم الطيارون السوريون بطولات خارقة** في تصديهم للطيران المعادي ومنعه من تحقيق أهدافه بعد أن أصبحت الأجواء مكشوفة جراء تدمير بطاريات الصواريخ المضادة للطيران.

**حاولت القوات الإسرائيلية يوم** الجمعة /١٩٨٢/٦/١١م/ تعزيز مواقعها الدفاعية والخطوط التي وصلت إليها، وخاضت قواتنا المسلحة معارك قاسية لمنعها من تحقيق ذلك، وتابعت التصدي للقوات الغازية التي كانت تتقدم ببطء على المحاور المذكورة سابقاً، والتأثير عليها بمختلف وسائط النيران مما أرغمها على التوقف والتقهقر، لكنها سرعان ما نفذت عملية إعادة التجميع والتنظيم لمتابعة الأعمال القتالية والزحف شمالاً لتحقيق الأهداف المخططة للحرب(١).

**وصل قائد الفرقة ليلاً ومعه رئيس سطع الفرقة وقائد الفوج /١٤١مد/ إلى مقر قائد اللواء الكائن** في مثقوبة الواقعة بين السلطان يعقوب ومرتفع عطفايا، وكان حديث قائد الفرقة لقائد اللواء /٥٨ ميكا/ يدل على مدى أهمية المعركة القادمة إذ **قال له**:

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٠٣.

لم يبق غيركم، والجميع ينتظرون معركة هذا اللواء، عليكم حماية المجنبة اليمينية وإيقاف العدو، فأجابه قائد اللواء: "والله لن يمروا من هنا ونحن أحياء، والله سنقاتل حتى آخر طلقة وآخر رجل".

في هذه الأثناء أمر قائد الفوج /١٤١مد/ الكتيبة /١٠٤ مد.صا/ بقيادة الرائد /تركي عقلة الصالح/ بالتأثير الناري في العدو ومنعه من التقدم، فقامت السرية الأولى منها بقيادة النقيب /علي علوش/ بتنفيذ الرمي الغزير بقوام /٦/ قواذف /ب. م ٢١/، حيث أمطرت أرتال العدو المتقدم بوابل من النيران، وساهمت بشكلٍ فعال مع وحدات وقطعات اللواء /٥٨ميكا/ في إضعاف وتيرة تقدم العدو فتوقف هجومه، وبدأت فصائل الدبابات المعادية تتمركز على رؤوس التلال والهيئات الحاكمة لتنفيذ الاستطلاع الدقيق، وكشف جهاز النيران لوحدات وقطعات اللواء /٥٨ ميكا/.

**تمّ الإعلام عن الدبابات الإسرائيلية بأنها دبابات /باتون إم ٦٠ - آ - ١/** حيث لم يكن متوفراً لإدارة الاستطلاع معلومات عن الدبابة /باتون إم٤٨آ - ٥/ والدبابة باتون /إم٦٠آ١/ هي الأقرب لها، وبعد دراسة الدبابات المستولى عليها المدمرة منها والجاهزة تبين أن العدو عدل الدبابة القديمة باتون /إم ٤٨آ٣/ ووضع لها برج الدبابة باتون /إم٦٠آ١/، وأطلق عليها اسم الدبابة باتون /إم ٤٨أ - ٥/، حيث ظهر هنا التصفيح الحديث والتدريع الفعال الذي جاء نتيجة لدراسة مسرح الأعمال القتالية بدقة كما ذكر سابقاً.(١)

**بدءاً من الساعة ٠٠,٣٠ من** ليل /١٠ - ٦/١١/ عاود العدو هجومه من جديد بقوام كتيبة دبابات تعمل كطليعة بمهمة الوصول إلى منطقة المصنع وقطع طريق دمشق - بيروت واحتلاله، وتقدمت القوات المعادية المهاجمة بقوام /١٥د/ "باتون إم ٤٨ آ"/ وناقلات جند /إم ١١٣/ على محور: الرفيد - السلطان يعقوب، وتمّ الاشتباك معها بمدافع الــ ب م ب١ والصواريخ م/د

(١) انظر الملحق رقم (١)

مالوتكا، والقواذف أر بي جي، لكنها تمكنت من متابعة التقدم فاشتبكت ثانيةً مع النسق الثاني للواء في منطقة مزرعة عزة - بيادر العدس، وهنا تم تدمير معظمها ومنعها من متابعة التقدم.

**عاود العدو هجومه حيث دفع كتيبة دبابات ثانية ليلاً حوالي سعت: /٠١,٣٠/** ليلة /١٠ - ٦/١١/ على محور: الرفيد - السلطان يعقوب - المصنع؛ بهدف خرق دفاع اللواء على امتداد الطريق العام (مزرعة - عزة - بيادر العدس - الحمارة - الصويري - المصنع)؛ بغية الوصول إلى عقدة المصنع واحتلالها وقطع طريق دمشق - بيروت قبل سريان موعد وقف إطلاق النار، وذلك تنفيذاً لأوامر قيادة القطاع الشرقي، وتابع العدو تقدمه حيث زج القوى الرئيسة للواء المعادي المتقدم على الاتجاهذاته، بعد أن فشلت كتيبة الطليعة ليلاً، ولما كان مثلث تفرع الطرق (بيادر العدس) منخفضاً وذا أهمية إستراتيجية فقد فضّل العدو احتلال رأس جسر في مكان مرتفع قليلاً إلى الشمال من تلة السلطان يعقوب لكنه لم يفلح في ذلك.

**عاود العدو هجومه من جديد على دفعات** مع استخدام القنابل المضيئة بشكل كثيف لكنه لم يفلح في تحقيق أي خرق أو نجاح على أرض الميدان، وفي الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة /٦/١١/ بدأ العدو يكثف هجماته لكنه أخفق أيضاً في تحقيق أي نجاح، ومع بزوغ الفجر بلغت خسائر العدو /٢٧/ دبابة أخرى، إضافة للدبابات الــ/١٥/ التي كان قد خسرها سابقاً على هذا المحور، وحوالي سعت /٥,٠٠/ من صباح يوم الجمعة/١٩٨٢/٦/١١م/ شوهدت بعض الدبابات المعادية تنسحب بسرعة خلفية وهي تحترق، وكان نصيبها أن تصاب أكثر من مرة بمدفع الدبابة /ت٦٢/، وبصواريخ المالوتكا.

**تعرض مرصد قائد اللواء في مثقوبة صبيحة** يوم الجمعة /٦/١١/ ١٩٨٢م/ إلى الرمي المباشر من قبل "ف. د" (٣ دبابة معادية) كانت متمركزة على مرتفعات: عريض الباط - شمال ضهرة عياش، وشوهدت تنفث دخاناً أخضر اللون من عوادمها، مما يدل على أنها ضمن قوام (ف سطع) لقوات

إضافية جديدة سوف تدخل المعركة، ويحتمل أن يكون ذلك للدلالة على الأهداف، والمساعدة في نجدة القوة الإسرائيلية التي أصبحت محاصرة بين قطعات ووحدات اللواء /٥٨ميكا/، أو لدلالة الطيران القتالي (الحوامات م/د) على أهدافها.

**إن تواصل الأعمال القتالية قد مكن العدو من كشف جهاز نيران اللواء /٥٨ ميكا/ بدقة أكبر**، وجراء ذلك بدأت النيران تنهال بغزارة على وحدات وقطعات الفرقة، وتركز معظمها على اللواء /٥٨ميكا/، وهنا بدا واضحاً أن العدو يركز جهده على هذا الاتجاه: محور راشيا الوادي - السلطان يعقوب - المصنع بوصفه هدفاً رئيساً للعدو الإسرائيلي، وببلوغ هذا الهدف يتحقق هدف الحرب بأكملها[١].

**تابع العدو الإسرائيلي هجومه** الضاغط لتحقيق هدفه بزج قوىً جديدة في المعركة لزيادة وتيرة هجومه وتحقيق هدف الحرب، حيث بدأ الوقت بالنفاد قبل دخول اتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، لكنه فوجئ بقتال عنيف ومقاومة شرسة.

**في الساعات الأولى من** صباح يوم /٦/١١/ استكملت قطعات ووحدات اللواء /٥٨/ ميكا تشكيل الجيب الناري، وأصبحت موجودة في الأمام والغرب كما نجحت بإدخال قوة إلى الشمال الشرقي، وعملت على غلق الجنوب الغربي محور جب جنين - كامد اللوز - الفالوج، وقد اعترف العدو بأن هذا الجيب الناري شكل مصيدة للدبابات الإسرائيلية، حتى أُطْلِقَ على تلك المنطقة اسم «**سهل المصيدة**»، ويبدو أن قائد القوة العسكرية الإسرائيلية على هذا المحور قرأ الموقف جيداً، وعرف أنه يواجه تشكيلاً من نوع آخر رسم مقاتلوه خطاً أحمر يحظر على القوات الإسرائيلية تجاوزه أو الوصول إليه.

---

(١) لمزيد من الاطلاع يمكن العودة إلى ما اعترف به العدو الإسرائيلي في صحافته الرسمية التي تحدثت عن معركة السلطان يعقوب.

**لقد قرر قائد اللواء المعادي دفع إحدى الكتائب المتبقية** لديه أملاً في أن يتمكن عناصرها من إنقاذ الكتيبة الأمامية، وفجأة اشتعلت النار في العتاد المدمر من كلا الطرفين، فانسحب العدو الإسرائيلي إلى الوراء بعد القرية، وكان من الممكن رؤية النار المشتعلة في الدبابات الإسرائيلية واستمرت القوات الأمامية بالاشتباك مع رجال قواتنا الذين صمموا على الانتصار، وكتابة فصل جديد في تاريخ الصراع العربي - الصهيوني.

**خلال مدة قصيرة جداً** بدأت الكتيبة المعادية تتبعثر، وانتشرت الدبابات والمصفحات الإسرائيلية بين البيوت بمحاذاة التلال الصغيرة، وأصيبت إحدى الدبابات في المؤخرة و عند دخولها إلى المرج نزل قائدها وأعضاء طاقم الدبابة واختبؤوا تحت جنح الظلام، لم تكن هذه القوات في وضع صعب على مستوى الإصابات، لكن التعب أنهك عناصرها كثيراً و لم يغمضوا عيناً طيلة الليل، وسيطر على قيادة القوات الإسرائيلية الإحساس بوجود قوات سورية تحاول الوصول إليهم ليلاً (فصائل و سرايا من اللواء /٥٨/ ميكا)، وتهديد كامل القوة الإسرائيلية بالإبادة والتدمير أو الأسر، وقد تجسد هذا الإحساس فعلاً بتقرب مقاتلي فصائل وسرايا اللواء /٥٨/ ميكا بين أشجار الكرمة والشجيرات الحراجية إلى مسافات قريبة من العدو، وفتحوا النيران من كل اتجاه، الأمر الذي اضطر الجنرال /أفيغادور بنغال/ قائد القطاع الشرقي على اتخاذ القرار بإدخال الفرقة /٨٨٠/ في المعركة لتولي مسؤولية الخط المركزي ومن ثم معالجة وضع القوة التي توقفت في السلطان يعقوب، حيث هوجمت الكتيبة الثانية التي كانت تتحرك على محور الرفيد - السلطان يعقوب بالصواريخ، وتوقفت على مسافة /٥ كم/ من الكتيبة المحاصرة.

**هذه النجاحات والانتصارات التي حققها مقاتلو اللواء /٥٨/ ميكا** خلقت وضعاً جديداً، احتاج القادة الإسرائيليون الذين دخلوا المعركة حديثاً إلى وقتٍ لفهم حقيقة ما جرى ميدانياً.

**دخلت القوة الجديدة التي تقدمت من الجنوب** في معركة مع قطعات اللواء /٥٨/ ميكا قبل وصولها إلى المرتفع /١٠٦٥/ - تل ندوة، حيث اشتبكت مع النسق الأول للواء /٥٨/ ميكا الذي يدافع على اتجاه محور الرفيد - السلطان يعقوب، وكان عليها مواجهة قواتنا جنوب الخط المركزي دمشق – بيروت(١).

**من المفيد هنا التذكير بأن اللواء /٥٨/ ميكا** - وبعد تبدل مهمته - عمد إلى تجهيز خطوط رمي من الثبات قبل الاشتباك مع العدو بساعات قليلة، وهذا ما ترك آثاره في سير الأعمال القتالية، حيث تمكنت الدبابات والناقلات المدرعة /ب م ب/ المزودة بالمدافع والصواريخ من احتلال مساند الرمي المحضرة للاشتراك في الرمايات وتدمير العدو المتقدم، وهذا يفسر تمكّن مقاتلي اللواء /٥٨/ ميكا من إنزال أكبر الخسائر والإصابات في الدبابات المعادية المهاجمة،فقد اقتربت مجموعات من مشاة اللواء /٥٨/ ميكا حاملة القذائف الصاروخية لمسافة مئات الأمتار من الدبابات الإسرائيلية وتحرك عناصرها خفية بين الأشواك الطويلة والشجيرات الحراجية المنتشرة في تلك المنطقة، ومن هناك نفذوا الرمايات على الدبابات والمصفحات الإسرائيلية بقذائفهم الصاروخية، وأنزلوا فيها أفدح الخسائر على الرغم من تدريعها الفعال وتصفيحها الإضافي، فمقاتلونا الأبطال كانوا يتقنون إصابة المدرعات المعادية في نقاط ضعفها، مما ألزم طواقمها بالهروب منها، وهذا ما زاد من نسبة الإصابات في صفوف الجنود الإسرائيليين وزرع الخوف والهلع في قلوبهم.

**لقد تم استثمار جميع القوى والوسائط واستخدام الأرض بالشكل الأمثل لتنفيذ المهمة بنجاح**، والتفوق النوعي العسكري للقوات الإسرائيلية لم يكن قادراً على مصادرة إرادة القتال والصمود لدى مقاتلينا الميامين، بل كان

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٠٨-١٠٩.

حافزاً للتفكير في كيفية تصحيح الخلل في موازين القوى عبر تفعيل القدرات الذاتية والإبداع في الدفاع والتصدي للقوات المهاجمة، فقبيل غروب شمس **يوم** الخميس /١٠ / ٦ / ١٩٨٢م/ استدعى قائد اللواء /٥٨ ميكا/ قائد الاحتياط المدرع /رئيس أركان الكتيبة /٣٧٠/ دبابات/ لتدقيق المهمة، وكان الاحتياط بقوام السرية الرابعة دبابات التي كلفت باحتلال الخط المحدد مسبقاً و المجهز هندسياً لتشكيل جيب ناري يمين و يسار الطريق العام المعروف بمحور السلطان يعقوب - المصنع، وبالتالي تمّ إكمال تشكيل جيب ناري مع وحدات الكتيبة /٣٦٢/ ميكا (النسق الثاني للواء /٥٨/ ميكا) وجزء من الكتيبة اليمينية /٣٦٤/ ميكا.

في الساعات الأولى من يوم الجمعة /٦/١١/ ١٩٨٢م/ قام العدو بتنفيذ تمهيد ناري كثيف بمختلف أنواع القذائف و خاصة الفوسفورية منها على مربض الكتيبة الصاروخية من الفوج /١٤١/ مدفعية المتوضع بالقرب من مفرق السلطان يعقوب.

**صبيحة** يوم الجمعة /١٩٨٢/٦/١١م/ أسندت المهمة للسرية الرابعة دبابات، حيث اختصر قائد اللواء /٥٨/ميكا إسناد المهمة إلى رئيس أركان اللواء **العميد الركن /حسن قاسم صالح/** بالقول: "**حرّك الاحتياط لاحتلال الخط المحدد**"، وتنفيذاً لذلك تم تكليف السرية الرابعة دبابات من اللواء /٥٨/ ميكا بقيادة **الملازم الأول /عبد الحميد شريف/** بمهمة صد قوة الدبابات المتقدمة باتجاه الفالوج - المنارة، فتقدمت بكل جرأة وحزم، ونفذت المهمة المسندة لها بنجاح، وتصدت للرتل المدرع المعادي المؤلف من /١٧/ مزنجرة على محور: الفالوج - بيادر العدس - السلطان يعقوب باتجاه المصنع، ودمرت عدداً كبيراً منه، وأوقفت هجومه على هذا المحور، حيث كان لاستخدام الأرض على الوجه الأمثل، وتنفيذ المناورة في الوقت المناسب لقطعات ووحدات اللواء /٥٨/ ميكا دور كبير في حرمان العدو الإسرائيلي من كشف تمركز قواتنا ومعرفة جهاز نيرانها، وإفقاده فاعلية التأثير الناري عليها.

**لقد فوجئ العدو الإسرائيلي** المتقدم على محور المصنع المذكور سابقاً باحتياط الدبابات المتوضع على الخط المحدد مسبقاً، والمجهز هندسياً، ووجدت القوات المهاجمة نفسها في جيب ناري محكم بين احتياط الدبابات من جهة و جهاز نار الكتيبة /٣٦٢/ ميكا النسق الثاني للواء من جهة ثانية.

**فوجئ جزء من قوة الدبابات** - قرابة سرية دبابات من الكتيبة التي تقدمت من اتجاه كامد اللوز باتجاه الفالوج - بأنه في مرمى نيران القوات السورية (وحدات وقطعات اللواء /٥٨/ ميكا) من اليمين والأمام جهة الشرق والشمال، فبعد أن اتجهت تلك الدبابات جنوباً باتجاه الفالوج – المرتفع /١٠٦٥/ - الرفيد فتحت عليها النيران من الكتيبة /٣٦٠/ ميكا ودمرت جميعها، وكانت مؤلفة من ثماني دبابات، وقد شوهدت إحدى الدبابات تنسحب بسرعة خلفية وهي تحترق إلى أن أصيبت ثانية بصاروخ مالوتكا من الكتيبة /٣٦٠/ ميكا النسق الأول للواء من السفوح الجنوبية الغربية لتل ندوى.

**إن وقوع العدو الإسرائيلي في هذا الجيب الناري و تعرضه لمختلف وسائط التأثير - وبخاصة الرمايات المباشرة من الدبابات، وصواريخ المالوتكا المركبة على الناقلات /ب م ب١/ذ - أجبَرَهُ على ترك دباباته الثماني من نوع (باتون أم ٤٨ أ -٥) جاهزة في أرض** المعركة وفرّ جنودها هاربين، وبقيت محركات بعض دباباتهم تعمل حتى فرغت من الوقود، وقد أحضرت جميع هذه الدبابات إلى دمشق، كما خلّف العدو المنسحب وراءه الدبابات المصابة (المدمرة والمعطلة) والكثير من جنوده القتلى، وقد أكد عدد من الكتاب الغربيين موضحين أن مقاتلي اللواء /٥٨/ ميكا تمكنوا بفضل الاستخدام المبدع للأرض والتدريب النوعي والاستخدام الأمثل للسلاح من تدمير كتيبة دبابات إسرائيلية لم ينج منها إلا اليسير.

بحدود الساعة العاشرة صباحاً كان قائد السرية الرابعة دبابات الملازم الأول **/عبد الحميد شريف/ قد نال شرف الشهادة** مع عدد من رفاقه منهم **الملازم/بديع سمرة/ جراء** إصابة دبابة قائد السرية الرابعة إصابة مباشرة بقذيفة

من قذائف الطيران القتالي من الوزن الثقيل، حيث كان العدو الإسرائيلي قد حقق سيطرة جوية كاملة، وبدأ تنفيذ أعماله بحرية شبه تامة، وكان قد سبق شهداء هذه المعركة الملازم **/فاضل عبده حنحون/** قائد دورية الاستطلاع المستقلة (احتياط سطع) من اللواء /٥٨/ ميكا مع عدد من رفاقه في أثناء تنفيذ مهمة قتالية، فأدى واجبه بكل جرأة وحزم، واستشهد في سبيل تأدية هذا الواجب المقدس، حيث تحرك ليلاً كقائد دورية سطع أمام السرية الرابعة دبابات حتى اصطدم بالعدو بكل جرأة وشجاعة وقاتل إلى أن نال شرف الشهادة.

**والجدير بالذكر هنا أن العدو** قد درس - ولمدة عام كامل - نوعية الدبابة التي يجب أن تخوض هذا النوع من الأعمال القتالية على مثل هذا الاتجاه من مسرح الأعمال القتالية (هضاب ومرتفعات وغابات ومناطق آهلة بالسكان)، كما درس سلاح الخصم (القوات الصديقة)، وضرورة تفادي خطر القاذف م/د آ ر ب جي٧، وهو سلاح م/د الأساسي لدى الوحدات الصغرى، ولتلافي ذلك اعتمدت فكرة التدريع الفعال "التصفيح الإضافي" للدبابات وناقلات الجند الإسرائيلية.

**كما تم تكليف وحدات من اللواء /٥٨/ ميكا** بتأمين الحماية الكافية لمفارز إخلاء الجيش، ومنذ صباح يوم الجمعة/ ٦/١١ / استطاعت الكتيبة /٣٦٠/ ميكا إيقاف هجوم العدو ثلاث مرات وفي المحاولة الرابعة - وبعد استشهاد **الملازم الأول /سمير حكمت/** وجرح **الملازم الأول /محمد حسن محمد السوقي/** قائد السرية اليمينية - نفذ العدو إعماء كاملاً وسداً نارياً واسعاً بمختلف وسائط التأثير وبخاصة المدفعية والهاونات، وكانت وحدة هاون الكتيبة (كتائب العدو) من عيار /١٠٦,٧مم/ تنفذ الرمي بقذائف فوسفورية ودخانية على تل ندوى باستمرار.

**لقد كان التعاون والتنسيق مميزاً بين قطعات ووحدات اللواء /٥٨/ ميكا في أرض المعركة**، فعلى سبيل المثال عندما أصيبت عربة الاستطلاع

/ب.م.ب١/ تعطل جهاز الرمي الخاص بصواريخ المالوتكا، فتم نقل الصواريخ إلى عربة قائد فصيلة ميكا من الكتيبة /٣٦٠/ ميكا **الملازم الأول /عيد عليا/**، وذلك لمتابعة الصمود والتصدي وتدمير العدو المتقدم، وقد شاركت الكتيبة /٣٦٢/ ميكا المدافعة في النسق الثاني للواء كتائب النسق الأول في تدمير الدبابات المعادية المخترقة في مزرعة عزة...، كما أن الكتيبة /٣٦٤/ ميكا المدافعة في النسق الأول للواء وعلى اليمين شاركت أيضاً بالرمي على أرتال العدو المتقدمة من جب جنين ووادي السكي، باتجاه كامد اللوز - الفالوج، وباتجاه كامد اللوز - عطفايا، وفي تدمير العدو المخترق في منطقة «القتل» في سهل الفالوج - مراح القطاط - مزرعة عزة.

**وقد تحدث عن هذه المعركة** الرقيب الإسرائيلي /يغرام/ الذي فرّ من المعركة، وقال في معرض حديثه لأحد زملائه: «لو رأيت كيف حاربنا السوريون... لقد تمركزوا في بساتين البقاع ثم فتحوا فجأة علينا نيران أسلحة الــ م/ د من مسافات قصيرة.... لقد فقدنا دباباتنا والعشرات من القتلى والجرحى»[1].

**قبيل وقف إطلاق النار** بمدة قصيرة اتخذ القرار بدخول الفرقة الثالثة دبابات مسرح الأعمال القتالية بقيادة **العميد الركن شفيق فياض**، وتم زج اللواء /٨١. د/ بقيادة **العميد الركن /توفيق جلول/**، حيث دفعت إحدى كتائبه للعمل كمقدمة للواء بقيادة المقدم الركن /علي أسعد/ على محور: المصنع - شتورا - قب الياس، باتجاه الصعلوك، وتقدمتها سرية رهط حراسة أمامي من الكتيبة ذاتها بقيادة الملازم الأول /لؤي معلا/.

**تم زج اللواء /٨١. د/** لإغلاق الثغرة الحاصلة باتجاه الصعلوك - قب

(١) العماد أول مصطفى طلاس ومجموعة من الباحثين ، الغزو الإسرائيلي للبنان، د.ت، ص٢١٨.

الياس ومنع القوات الإسرائيلية المتحركة على اتجاه محور البقاع الغربي: القرعون - شتورة من الوصول إلى الطريق الدولية: شتورة - المصنع.

بعد دخول القوى الرئيسة للواء /٨١. د/ الأراضي اللبنانية قام الطيران المعادي بقصف مؤخرة اللواء في وادي الحرير شرق منطقة المصنع اللبناني، مما أدى إلى قطع محور المصنع - جديدة يابوس عدة ساعات.

**انتقل اللواء /٨١. د/ للدفاع عن القطاع /٢/**كم شمال تلة الصعلوك - شرق شبرقية عميق - شمال غزة - المرج، وكان الحد الفاصل بينه وبين القوات الإسرائيلية من الأمام مجرى نهر الريّاشي ومن اليسار مجرى نهر الليطاني.

**أما اللواء /٤٧. د/** فقد كان يقاتل أمام اللواء /٨١. د/ في المنطقة نفسها على اتجاه قب الياس - تلة الصعلوك - كفريا، وعلى اتجاه شبرقية عميق - خيارة... وقد تسلم اللواء /٤٧. د/ مهمة الدفاع عن المنطقة ذاتها بعد تكليف اللواء /٨١. د/ بمهمة جديدة.

**بين سعت /١٢,٠٠/ وسعت /١٢,٣٠/ من يوم الجمعة (١١/٦/١٩٨٢)** دخلت اتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، وفي **يوم السبت (١٢/٦/١٩٨٢)** حضر **العماد مصطفى طلاس** إلى منطقة السلطان يعقوب ومعه بعض ضباط القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة ومنهم: **اللواء /حسن علي توركماني/** مدير الإدارة السياسية، واللواء **/علي مصطفى علي/** مدير إدارة الإشارة، **والعميد الركن /إبراهيم صافي/** قائد الفرقة الأولى المدرعة، **والعميد الركن /شفيق فياض/** قائد الفرقة الثالثة المدرعة، واطلعوا على نتائج سير الأعمال القتالية ميدانياً، وصعد وزير الدفاع على إحدى الدبابات الإسرائيلية المستولى عليها، وقد طلب **اللواء /حسن توركماني/** من السيد العماد وزير الدفاع السماح **للإدارة السياسية** باستدعاء بعض وسائل الإعلام الغربي لتصوير الدبابات المستولى عليها وهي في جاهزية قتالية

كاملة، وتعميم ذلك في وسائل الإعلام العربية والأجنبية بهدف دحض الدعاية الإسرائيلية التي تتبجح بأن الجندي الإسرائيلي لا يترك عتاده في أرض المعركة، والتأكيد بالدلائل القاطعة أن الجندي الإسرائيلي جبان يترك سلاحه ويفر من أرض المعركة هارباً إذا شعر بأي خطر يهدد حياته، كما أن عَرْضَ ذلك يرفع من الروح المعنوية للمقاتل السوري.

**هذه الحقائق اعترف بها العدو** الإسرائيلي لاحقاً بمرارة، ففي حديث لقائد اللواء المدرع الإسرائيلي الذي واجهت قطعاته ووحداته اللواء /٥٨/ ميكا في منطقة السلطان يعقوب **قال**: إن قائد دورية السطع الذي أرسله باتجاه السلطان يعقوب كان قد أبلغه أن الطريق حرة، ولولا ذلك لم يدفع بدباباته تلك على ذاك الاتجاه، وكانت النتيجة أن قائد سرية الدبابات شعر أنه وقع في كمين معادٍ "جهاز نار اللواء /٥٨/ ميكا"، ولهذا تركت طواقم الدبابات الثّماني عتادها وهربت راجلة.

**يبدو أن الدبابات الإسرائيلية** التي دمرت ليلاً لم تُحصَ بدقة، فقد كان عدد المدرعات الإسرائيلية المدمرة - دبابات وناقلات جند باعتراف القادة الإسرائيليين - أكثر مما تمّ الإعلان عنه في أثناء سير الأعمال القتالية، ويؤكد معظم المراقبين لهذه الحرب أن الكتيبة التي عملت طليعة للواء المدرع الإسرائيلي والتي وقعت في الجيب الناري للواء /٥٨/ ميكا وكانت بكامل قوامها وتعزيزاتها قد دمرت بغالبيتها، ولم ينج من هذه الكتيبة المعادية سوى عشر مزنجرات فقط[١] بحسب كلام الإسرائيليين، واستناداً إلى ذلك يمكن حساب خسائر العدو على النحو التالي:

**كل كتيبة دبابات إسرائيلية - في ذلك** الوقت - تضم في قوامها /٣٦/ دبابة قتال و/٣١/ عربة إم /١١٣/ إضافة إلى أربع عربات مزنجرة تحمل الهاون /١٠٦,٧/ مم، وبذلك يكون مجموع المزنجرات في الكتيبة هو /٧١/

---

(١) حرب الظلال، الفصل التاسع، الحرب مع السوريين، ص١٩٦.

مزنجرة (دبابة و ناقلة جند)[1]، أي أن عدد المزنجرات المدمرة والمعطوبة يبلغ /٦١/ مزنجرة.

**بفضل الأعمال البطولية لمقاتلي اللواء/ ٥٨/ ميكا** اندحر العدو الإسرائيلي جنوباً لمسافة تزيد عن /٦/ كم (وهي مسافة الخرق الذي كان العدو قد أحدثه ضمن القطاع الدفاعي للواء /٥٨/ميكا)، مخلفاً عدداً كبيراً من عتاده المزنجر الجاهز والمدمر الذي تم إخلاؤه من أرض المعركة من قبل مفارز إخلاء الجيش، وبعضه أصبح في حقول الرمي والتدريب العائدة للفرقة الأولى وغيرها من تشكيلات قواتنا المسلحة الباسلة، هذا عدا الدبابات والناقلات التي تمكن العدو من إخلائها....

**تكبدت القوات الإسرائيلية خسائر فادحة** جرّاء المعارك، مما أدى إلى توقفها نهائياً عن متابعة التقدم شمالاً، واضطرها للموافقة على وقف إطلاق النار.

**وافقت القيادة السورية على اقتراح** تقدم به المبعوث الأمريكي /فيليب حبيب/ لإيقاف النار بين الجانبين اعتباراً من الساعة /١٢,٠٠/ من يوم الجمعة (١١/٦/١٩٨٢م) على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي اللبنانية التي احتلتها في عدوان /٦/ حزيران /١٩٨٢م/.

**لقد تركت معركة السلطان يعقوب آثارها** البالغة على العدو الصهيوني إلى درجة عرفت فيها في الأوساط الإسرائيلية بـــ **/حرب المأساة/**، كما عرفت منطقة السلطان يعقوب محور: بيادر العدس - السلطان يعقوب - المصنع بـــ **/عقدة شارون/.**

---

(١) انظر الملحق رقم (٢٠) بعنوان: الكمين السوري لكتيبة دبابات إسرائيلية في السلطان يعقوب ليلة ١٠ - ١١ / ١٩٨٢/٦م في كتاب /مسيرة تحرير الجولان/ للعميد الركن المتقاعد الدكتور /رزق الياس/.

## سادساً - خرق وقف إطلاق النار:

**عند وقف إطلاق النار احتلت** الفرقة الأولى نطاقها الدفاعي الذي يمر حدُّه الأمامي من خط: كامد اللوز - مرتفعات شميس الحمى - الكهيا كاد - ينطا - حتى جورة عاجية، وكانت **مهمة اللواء /٥٨/ميكا** تتضمن: الانتقال للدفاع عن قطاع: عقوب الجدي - المرملة - "الكهيا كاد" - وقفي موقف العرب، وتحصينه في مواجهة العدو الإسرائيلي الذي كان مشغولاً في أعمال التجهيز التحصيني، وكان من الواضح أن تجهيزات العدو المقابل وتحصيناته وتأميناته وبخاصة اللوجستية منها هي الأفضل بكثير بسبب الإمكانيات المادية والعتاد الهندسي الأفضل. وكان العدو يعمل لإقامة نقطة استناد على كل هضبة محتلة، ويخصص بلدوزرات من /٣ - ٤/ لتنفيذ ذلك.

**كان العميد الركن /إبراهيم صافي/** قائد الفرقة الأولى المدرعة يحضر بشكل مستمر مع **العميد الركن /علي حبيب/** قائد اللواء /٥٨/ ميكا إلى الحد الأمامي للوقوف على معنويات المقاتلين واستعداداتهم والتأكد من جاهزيتهم، وكانا يترددان إلى مرصد قائد سرية سطع اللواء على الحد الأمامي النقيب /مالك اليوسف/ في مرتفعات شميس الحمي (منطقة الراقم /١٢٩٣/)، وكثيراً ما كان يصافح العسكريين، ويتبادل معهم الحديث ويستمع إلى آرائهم، ويقول لقائد اللواء ورئيس سطع الفرقة «ليك ها لعساكر بتنباس للباسها الجيد، ونظافتها الشخصية وهي على الحد الأمامي تستعد لخوض الأعمال القتالية»، كما زار **السيد العماد وزير الدفاع** يرافقه قائد الفرقة بعض النقاط على الحد الأمامي خلال شهر واحد مرتين، وفي إحدى زيارات وزير الدفاع وقائد الفرقة لمرصد قائد سرية سطع اللواء /٥٨/ ميكا على الحد الأمامي - للوقوف على الحالة المعنوية للمقاتلين - شاهدا الاستعداد لتنفيذ إغارة على العدو في (عقوب الوردة) المقابلة في حال إقدامه على أي خرق لوقف إطلاق

النار. وقد كان الأمر واضحاً ويتضمن التبرع بشكل ذاتي للاشتراك بالإغارة، وتبين أن عدد من سجلوا أسماءهم للاشتراك في تنفيذ الإغارة كبير وأكثر من المطلوب، ولذا تم اختيار بعض الأسماء. أحد العسكريين من سرية سطع اللواء /٥٨/ ميكا جلس قرب شجرة حراجية قصيرة وعيونه تدمع، ولدى سؤاله عن سبب ذلك أجاب: لماذا استبعدت أنا من الاشتراك بتنفيذ الإغارة، وأنتم طلبتم نخبة الرجال، ألست رجلاً؟ وقد تم إفهامه أن الاختيار لم يقع عليه لأنه متزوج وعنده أولاد وليس لأي سبب آخر[١].

**بعد يومين من زيارة وزير الدفاع قام** رئيس مجلس الشعب آنذاك بزيارة إلى الحد الأمامي ووقف لمدة تقدر بـــ /٤٠/ دقيقة ومعه قائد الفرقة، كما زار المقاتلين في أرض الميدان عضو القيادة القطرية الرفيق /عز الدين ناصر/ مع وفد عمالي من دول عربية وأجنبية وقام قائد الفرقة بسرد قصة الحرب لهم، وفي هذه الأثناء حضر الرائد /منذر يوسف/ قائد إحدى كتائب اللواء /٥٨/ ميكا، وقامت الصحفية /ندى شحود/ والصحفي /حسين الحموي/ بإجراء مقابلة معه ومع شقيقه قائد سرية سطع اللواء، وكان من ضمن الأسئلة الموجهة إلى قائد السرية: ما هو شعورك وأنت وشقيقك في معركة واحدة... والآن أنتما على الحد الأمامي وعلى مسافة خطوات من العدو؟ وكان الجواب: جميع عسكريي هذا التشكيل أخوةٌ لنا بل أشقاؤنا. وواقع الأمر هكذا كانت القناعة لدى مقاتلي هذا اللواء، وكان هذا الأمر في أول سلّم اهتمامات قيادة اللواء، حيث كان يتم التأكيد المستمر على أهمية تحقيق الانسجام النفسي بين المقاتلين وسيادة الروح الرفاقية بينهم؛ لأن ذلك شرط أساسي لتحقيق النصر في أية مواجهة مع العدو.

**استمر وقف إطلاق النار ساري المفعول حتى** يوم الخميس (١٩٨٢/٧/٢٢م) الذي كان يصادف ثاني أيام عيد الفطر السعيد، وكان العدو

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٢٠.

في تلك الفترة وبشكل يومي يقوم بتدقيق موقف قواتنا بواسطة مختلف وسائط السطع، وكانت قواتنا المسلحة تدرك ذلك وتستعد له، حيث تبقى الوحدات المناوبة - وبخاصةٍ المدفعية - تقوم بالاستعدادات التدريبية والبقاء في جاهزية قتالية كاملة لتنفيذ أية أعمال قتالية يفرضها الموقف بأسرع وقت ممكن.

**اعتباراً من الساعة /١٦,٣٠/من** يوم الخميس (١٩٨٢/٧/٢٢م) بدأ العدو - وبشكل مفاجئ - بخرق وقف إطلاق النار مستخدماً الطيران القتالي ورمايات المدفعية، وبخاصة العنقودية منها، وأسلحة الرمي المباشر (الدبابات والـــ م/د) على كامل الجبهة من تلة الصعلوك غرباً وحتى رخلة في اليسار مما أوقع بعض الخسائر في صفوف قواتنا، وكانت بداية أعماله القتالية قصف مراصد الحد الأمامي، حيث انهالت القذائف على مرصد قائد سرية سطع اللواء وأصابت إحداها نظارة الرصد، وكانت المسافة الفاصلة بين مدفع الدبابة الإسرائيلية ومنظار قا.س سطع اللواء /٧٣٥/م (إذ إن المسافة مَقِيْسَةٌ بدقة بقائس المسافات الليزري الخاص بسلاح المدفعية).

**لم يكن خرق وقف أطلاق النار نزهة** للقوات الإسرائيلية، إذ جاء الرد سريعاً وقاسياً ومؤلماً، فالاستعداد كان على أتمه انطلاقاً من المعرفة الدقيقة بنوايا العدو، وقد أتاح وجود قائد اللواء في مقر الرصد آنذاك سرعة الرد على العدو في غضون دقائق معدودة، وهكذا استؤنفت الأعمال القتالية عصر يوم الخميس، وبدأت مدفعية اللواء مباشرة بالرد على مصادر النيران المعادية، وتابعت القيادة العسكرية تطور الأعمال القتالية لحظة بلحظة، وكان رد القائد **حافظ الأسد** على العدو الإسرائيلي واضحاً وحاسماً، حيث أعلن عبر الإذاعة والتلفزيون أنه: "**في حال كرر العدو الإسرائيلي ذلك فسيكون الرد قاسياً ومؤلماً وبأسلحة يعلمها وأخرى لا يعلمها**".

## سابعاً - معركة السلطان يعقوب في الصحافة الأجنبية:

**لم تكن معركة السلطان يعقوب كغيرها من المعارك** التي اشتبكت فيها القوات الإسرائيلية مع المقاتلين السوريين المصممين على التمسك بعناد ورجولة بالأرض والدفاع عنها حتى آخر قطرة دم بغض النظر عن الفرق الهائل في وسائط الصراع المستخدمة، فالتفوق الجوي الذي تمتعت به القوات الإسرائيلية طيلة أيام الحرب لم يُجدِ نفعاً، وتم تحييده كلياً جراء التداخل بين القوات، وهذا ما كان يتم التركيز عليه مراراً مع التأكيد على أن الطريقة المثلى لتفادي تأثير الطيران المعادي هي الاشتباك مع قواته، وهذا ما حدث.

**إن تضحية قواتنا وبسالتها برهنت على أن هذه القوات آمنت بشرعية أعمالها**، وحولت هذا الإيمان إلى واقع ملموس في ميدان المعركة دفاعاً عن القطر اللبناني الشقيق، حيث دارت فوق أرضه وفي سمائه أشد المعارك البرية والجوية وأقساها من حيث حجوم الأسلحة التي استخدمت فيها وأنواعها.

**لقد شدت موقعة البقاع الانتباه المحلي والغربي والدولي بشكل كبير**، وبالرغم من نشوب حروب عديدة واحتدام عشرات الأزمات والأحداث الدولية، حيث خاضت القوات السورية القتال وحدها ضد قوات ضخمة حشدتها "إسرائيل" براً وجواً، واستطاعت قواتنا الباسلة منع العدو من تحقيق أهدافه النهائية، وذلك بفضل المقاومة الصلبة التي أبدتها في البقاع بشكل عام وفي السلطان يعقوب بشكل خاص.

**لم تقتصر تداعيات معركة السلطان يعقوب على الخسائر الميدانية** التي أنزلها مقاتلونا الأبطال في صفوف قواته المهاجمة بالأرواح والعتاد، وما أسفر ذلك عنه من فرار مذل من أرض المعركة وترك العتاد جاهزاً للاستخدام بما فيه الدبابات التي تم تعديلها / إم ٤٨آ - ٥/ المحدثة، بل إن الآثار المعنوية والنفسية التي خلفتها معركة السلطان يعقوب في صفوف

المدنيين والعسكريين والسياسيين والإعلاميين الإسرائيليين على حد سواء كانت كبيرةً، وهذا ما ظهر واضحاً في الكتب والمقالات والدراسات التي نشرت بعد الحرب عن معركة السلطان يعقوب التي غدت كابوساً يؤرق الجميع.

**لقد تحدث عدد من القادة والمراسلين عن معارك البقاع** و وصفوها بالضراوة الشديدة والعنف غير المسبوق، وأكدوا أن القوات السورية استطاعت الصمود في وجه الغزو والتصدي للقوات الإسرائيلية المعتدية بكل جرأة وبسالة، وهذا ما جاء على لسان اللواء /أمير دروري/ قائد المنطقة الشمالية حيث قال:

«**يجب عدم الاستهانة بالسوريين... فالجنود السوريون قاتلوا بشكل جيد وهم مسلحون بأفضل أنواع الأسلحة**»، كما أن العديد من المصادر الأجنبية ذكرت أن القوات السورية منعت القوات الإسرائيلية من تحقيق كامل أهدافها في الوصول إلى بعض مناطق البقاع الشمالي، **وقد نشرت مجلة التايمز مقالاً جاء فيه**(١):

«**إن الروح المعنوية القتالية العالية للقوات السورية التي تصدت للغزو الإسرائيلي في البقاع كانت موضع الإعجاب**»، واعترف /شارون/ في مؤتمره الصحفي يوم الجمعة بتاريخ (١٩٨٢/٦/١١م) بذلك حيث قال:

«**إن الجيش السوري منذ اليوم الأول للقتال قد تصدى بنيران المدفعية لوحداتنا المتقدمة وزج بطائراته ضد طائراتنا وذلك ما عرقل تقدمنا**»، وكذلك الجنرال/روفائيل إيتان/ رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك اعترف لصحيفة هاآرتس بتاريخ (١٩٨٢/٧/٢٩م) بكفاءة المقاتل السوري وعناده فقال: «**إن تصلب وعناد السوريين أمران معروفان دوماً وأبداً**»، ونشرت جريدة النجم الأحمر السوفييتية في عددها الصادر بتاريخ (١٩٨٢/٧/٢٩م)

---

(١) الغزو الإسرائيلي للبنان، العماد مصطفى طلاس،مصدر سابق، ص ٢٠١.

مقالاً مطولاً أشادت فيه بمهارة القوات السورية في البقاع، وبخاصةٍ معركة السلطان يعقوب، ومما جاء في ذلك العدد: إن القوات السورية أظهرتْ مهارة عالية في استخدام الأسلحة والمعدات الحربية التي تمتلكها، **وتصدت بنجاح لهجمات القوات المعتدية وكبدتها خسائر كبيرة** بلغت أكثر من /١٢٠/ دبابة وناقلة مدرعة، وقد أكد هذه الحقائق اللواء /باركو خفا/ قائد سلاح الدبابات الإسرائيلي عندما قال: إن الحرب في البقاع جرت في جبهة واحدة، وخلاصة ما أراه هنا هو أنني أوافق الجهات التي تقول إن القوات السورية لم تصب بزعزعة أو ضربة قاصمة، وإن ثقتها بنفسها ما تزال قائمة وقوية.

ومما جاء في جريدة النجم الأحمر السوفييتية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٢/٩/١م ما يلي:

«صرحت المصادر الإسرائيلية بالنصر.. ولكن النتائج كانت مغايرة كلياً.. لقد صمد السوريون ببسالة فائقة أمام هجمات القوات الإسرائيلية، وإذا حقق الإسرائيليون بعض النجاحات فذلك كان عبر خسائر كبيرة،حتى إن الإسرائيليين أرغموا في أكثر من موقع على التراجع والهرب تاركين وراءَهم أسلحتَهم وعتادَهم».

وقد أكد عدد من القادة الإسرائيليين في مقابلات أجرتها معهم بعض الصحف الإسرائيلية أن القتال في البقاع كان ضارياً للغاية، وأنها أشد وأعنف من معارك تشرين الأول عام /١٩٧٣م/.

وقالت مجلة (لونفيل أوبسر فاتور) التي صدرت بتاريخ (١٥/١٠/١٩٨٢م) في مقال لها بعنوان الدوافع من أجل الحرب في لبنان:

"**السوريون قاتلوا بضراوة وبشكل رائع أكثر مما كان يتوقعه البعض، فقد استطاع السوريون إيقاف تقدم الأرتال الثلاثة الإسرائيلية**، خاصة الرتل الذي كان في الوسط (على محور الرفيد - الفالوج - السلطان يعقوب، لقد طلب قائد هذا الرتل المحاصر الدعم الجوي والمدفعي ليتاح له فتح ممر العبور لكن **لم ينج منه إلاّ القلائل**".

**باختصار يمكن القول:** إن القوات الإسرائيلية فشلت في تحقيق أهدافها العسكرية النهائية التي سعت إليها من حيث محاولتها إبعاد قواتنا في لبنان إلى ما وراء الحدود، وإيقاع الخسائر الكبيرة فيها كيلا تستطيع بعد ذلك أن توجه أي تهديد مباشر للقوات الإسرائيلية على الأقل في المدى المنظور، فمنذ اللحظات الأولى للغزو - وبالضبط حين بدا أنه سيتابع في اجتياح كامل وعلى مراحل وموجات ضاغطة دافعة - أعلنت سورية التزامها القومي تجاه لبنان الشقيق، واستنفرت قواتها المسلحة العاملة ضمن قوات الردع العربية، وأكدت القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة أن الأوامر أعطيت للقوات هناك بالتصدي للغزو الإسرائيلي بالوسائل كافة.

## ثامناً - معركة السلطان يعقوب في الصحافة الإسرائيلية:

أقضَّ مضاجع قادة تل أبيب الحديث عن معركة السلطان يعقوب وتداعياتها وما خلفته من آثار، ولم يقتصر هذا الأمر على كاتب أو دارس، بل امتد ليفرض ذاته شبحاً يخيم حتى على الصحافة الإسرائيلية التي تحدثت عن إخفاق الجيش الإسرائيلي في تحقيق أهداف الحرب التي تم الإعداد والتخطيط لها بشكل مسبق،وقلما خلت صحيفة إسرائيلية من تناول هذا الأمر بعد انتهاء المواجهة الميدانية، لكن أسلوب تناول هذا الأمر والأسباب الكامنة وراء الإخفاق كانت تختلف من دراسة إلى أخرى ومن كاتب إلى سواه، ويمكن باختصار ذكر بعض الأمثلة على ما ورد في الصحافة الإسرائيلية من مقالات ودراسات تتناول معركة السلطان يعقوب ونتائجها:

**الفشل المؤلم في السلطان يعقوب:** وهذا عنوان مقال نشرته صحيفة **/هاآرتس/ في عددها الصادر بتاريخ (١٥/٨/١٩٩١م) بقلم /يرح تال/ الذي يقول: إنه بعد مرور عشر سنوات على المعركة فالإسرائيليون يتذكرون بكثير من الأسى والمرارة تلك المعركة الضارية التي دارت يومي (١٠ - ١١حزيران**

**١٩٨٢م) مع الجيش السوري في منطقة السلطان يعقوب في القطاع الشرقي من لبنان**، حيث بدأت الاشتباكات من ظهر يوم الخميس(١٠/٦/ ١٩٨٢م) واستمرت طيلة ليل (١٠ - ١١ / ٦ / ١٩٨٢م) وحتى ظهر يوم الجمعة(١١/٦/ ١٩٨٢م)، وأكدت الصحيفة كل ما تم ذكره سابقاً.

**لقد دارت المعركة في قطاع ضيق** حيث تَقَدَّمت كتيبة مدرعات إسرائيلية بقيادة ضابط اسمه **/عيرا/** من التشكيل التابع للواء /أفيغدور بن غال/ ولم تكن تعرف الانتشار الدقيق للسوريين في المنطقة، وعدم معرفة ذلك أدى إلى **وقوع القوات الإسرائيلية في فخ مميت**، فقد قتل في المعركة/٢٠/[١] عنصراً من جنود الجيش الإسرائيلي وجرح العشرات.

**لقد تم بحث معركة السلطان يعقوب منذ الحرب عدة مرات في جيش الدفاع**، ولكن أسئلة كثيرة بقيت حتى الآن من دون أجوبة، والجواب عليها يمكن أن يوضح: كيف وصلت كتيبة مدرعات إسرائيلية إلى منطقة يسيطر عليها السوريون؟!

**كان الهدف العام يكمن في الاستمرار بتقدم القوات** من خلال استغلال النجاح واحتلال منطقة حيوية من أجل سبق القوات السورية التي كانت

---

(١) يحق لأي قارئ أن يتساءل هنا: هل يعقل أن يتم وقوع كتيبة كاملة في جيبٍ ناريٍ محكم وتدمر فيه بحيث لا ينجو منها إلا عشر مزنجرات من أصل ست وثلاثين دبابة من نوع باتون المعدلة وست وثلاثين مزنجرة على الأقل من نوع /إم ١١٣/، ويكون عدد القتلى لا يتجاوز عشرين قتيلاً، علماً أن طاقم كل دبابة مؤلف من أربعة عناصر: قائد - رامي - معمِّر - سائق، إضافة إلى طواقم المزنجرات التي من بينها سرية ميكا تضم في قوامها ثلاث عشرة ناقلة مزنجرة، منها إحدى عشرة ناقلة جنود، وطاقم كل ناقلة أحد عشر مقاتلاً على الأقل، وهذا يدل على أن ما كان يتم ترويجه في الصحافة الإسرائيلية غير دقيق، ويهدف إلى التقليل قدر الإمكان من حجم الخسائر في صفوف الجنود الإسرائيليين، وأية أرقام يتم الإعلان عنها تكون مزيفة، وتكون الخسائر أضعاف ما يتم الإعلان عنه.

تتحرك إلى منطقة المعارك والتقدم إلى محور طريق بيروت - دمشق الذي كان هدف المهمة.

**حدد اللواء /باراك/** المهمة بدقة للواء مدرع إسرائيلي حوالي الساعة /١٩,٠٠/من يوم الخميس (٦/١٠) على الشكل التالي:

**احتلال مثلث الطريق الحيوي والتمسك به** (يقصد بذلك مثلث بيادر العدس) لمواجهة تقدم القوات السورية، وبدأت حركة الدبابات في منتصف الليل، وعند تحرك الدبابات فتحت نيران باتجاه القوة المهاجمة وأصيبت دبابتان وقتل خمسة جنود، وفي الفترة الواقعة بين الواحدة والثانية ليلاً وصلت الكتيبة إلى مفرق الطريق وكان هناك كتيبتان من نفس اللواء تتحركان وراء الكتيبة الأولى، وقد تحركت القوة شمالاً وهدفها النهائي هو طريق دمشق - بيروت على الرغم من أن هذه المهمة كانت قد ألغيت في تلك الأثناء.

دراسة أخرى حملت عنوان "**كابوس السلطان يعقوب - عشر سنوات على الفشل**"(١)، ونشرت في صحيفة يديعوت أحرنوت بقلم / يوفال فيلنغ/، وهذا ملخص لأهم ما ورد فيها.

**يقول /فلينغ/:** سيجلس على الطاولات كل من المقاتلين وعقيلاتهم وأبناء العائلات الثكلى وأسر المفقودين، وسيتم تجديد الذكريات بمساعدة أشرطة التسجيل عن هذه المعركة الدامية، وكان هناك من أعرب عن خشيته من هذا اللقاء، وقال: إنه من المحظور فتح الجراح التي تجمدت، وأعرب آخرون عن فرحتهم لأنهم يستطيعون الالتقاء مرة أخرى مع الأصدقاء الذين افترقوا عنهم منذ حرب لبنان.

"**كابوس السلطان يعقوب**" و "**فشل حرب لبنان**" بعض الأوصاف التي أعطيت للمعركة التي جرت في الليلة الواقعة بين /١٠ و ١١/ حزيران /١٩٨٢م/ بعد أربعة أيام من بداية الحرب.

---

(١) كابوس السلطان يعقوب في لبنان - عشر سنوات على الفشل - صحيفة يديعوت أحرنوت الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/٥/٣٠، ص٣٠.

**لقد تم التحقيق في هذه المعركة عدة مرات،** ولكن لم يتم أبداً نشر النص الرسمي، وشعر جنود الكتيبة طيلة هذه السنوات بوجود مؤامرة، كما شعروا بالألم لأن الحقيقة لم تخرج إلى النور، بل تم التكتم الكامل عن حقيقة ما جرى، وعندما تم استدعاء الجنود للخدمة الاحتياطية بعد الحرب تحدثوا عن عملية "الإسكات" وعن المستويات العليا التي تمت ترقيتها بالرتب والوظائف على الرغم من مسؤوليتها عن التقصير الذي حدث، وبعد ذلك ومع مرور السنين تبدل الجنود في الكتيبة وبقي القدماء فقط مع الذكريات.

**في الاجتماع الذي جرى في "بيت هشريون"** في نهاية الحرب كان هناك تبادل للعبارات اللاذعة بين الجنود وقائد الفرقة آنذاك العميد /غيورراليف/ (قائد الفرقة ٩٠)، واحتج الجنود حينذاك على محاولة "جعل المسؤولية" على أحد الضباط الصغار، وأعربوا عن احتجاجهم على "تقصير المستويات العليا" وإلقاء اللوم على قائد كتيبة الاحتياط وجنوده.

**ظُهْر يوم الخميس العاشر من حزيران استُدعى اللواء /أفيغدور بن غال/ (يانوش) قائد قوات جيش الدفاع** في القطاع الشرقي في لبنان إلى موقع القيادة العليا، وقبل خروجه أمر نائبه اللواء /إيهود باراك/ بنقل أحد الألوية من منطقة كفر مشكي إلى مثلث تفرع الطرق (بيادر العدس) وإلى الجنوب من السلطان يعقوب، وكانت النية هي دفع القوات باتجاه طريق: بيروت - دمشق الذي كان أحد الأهداف الرئيسة لحرب لبنان.

**هل كان إيعاز / يانوش/** مختلفاً عن إيعاز نائبه /باراك /؟ دار جدل كبير حول ذلك، وهناك من يقول: إن الأمر الذي أصدره /**يانوش**/ كان يقضي بالاستيلاء على السلاسل الجبلية المطلة على المفرق، في حين أمر /باراك/ بالنزول إلى الأسفل والاستيلاء على مثلث تفرع الطرق.

**تلقى قائد الفرقة /٩٠/ العميد /غيورا ليف/ الإيعاز من اللواء /باراك/** في حوالي الساعة السابعة مساءً، وبعد مرور حوالي نصف ساعة استُدعي قائد الكتيبة /**عيرا**/ لمقابلة قائد اللواء العقيد /ميكي/ - قائد قوة الالتفاف التي

كان هدفها جب جنين -، وتلقى الأمر بالتحرك على المحور المتعرج شمالاً باتجاه طريق: بيروت - دمشق، وكان الهدف الرئيس هو السيطرة على مثلث الطرق في جنوب قرية السلطان يعقوب بسرعة، وفي أثناء الليل و من خلال الفرضية الخاطئة التي تصورت أن القوات السورية في المنطقة قد انهارت.

**النقيب /نير/ كان حينذَاك قائد سرية من سرايا الكتيبة** يؤكد أقوال ضابط الاستخبارات وهي عدم وجود أية معلومات استخباراتية على الأرض: "قالوا لنا: إن السوريين في حالة هروب، وإذا رأيتموهم فلا تطلقوا النار من أجل عدم تعطيل دبابات الغنيمة الجيدة"، **ويقول /نير/** أيضاً: إن هذه الأقوال توافقت مع ما كان قبل ذلك، حيث حدثت حرب تم خلالها إطلاق نيران المدفعية في النهار والهجوم على مفرق المياه من دون مصابين من جانبنا.

**أصدر قائد الكتيبة /عيرا/** أمراً بالتحرك نحو الأمام ورغب في الخروج من مجال النيران ولم يخطر في باله أنه في داخل منطقة سورية، وأنه دخل إلى الفخ، وانفصلت السرايا عن قيادة الكتيبة ولم يكن لفصائل الدبابات أي اتصال مع قادة السرايا، وكان الارتباك واضحاً، وقال /آفي راط/: وجدنا أنفسنا في داخل جيب ناري مطوقين من كل جانب، وتلقينا عشرات الصواريخ من كل الاتجاهات، واحتجنا بعض الوقت حتى حددنا جهة إطلاق النار بالضبط، واستغرق الأمر عدة دقائق حتى انتظمنا[1].

**أَغْلَقَتْ الدباباتُ المُصابة محورَ حركة الكتيبة،** ولكن الدبابات الأخرى بدأت بتجاوز المحور، إلا أنها فقدت في الظلام بعضها بعضاً، واختلطت السرايا مع بعضها، ولم يعرف القادة أين جنودهم، وجرت محاولات حقيقية لجمع القوات ولكن من دون جدوى، وأصيب القادة الصغار ولم ينقلوا القيادة لأشخاص آخرين، كما قال قائد السرية /نير/: لقد كان ذلك سيئاً تماماً.

---

(١) العماد علي حبيب، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٣٦.

**ويقول: /أفياهو/** قائد فصيلة في إحدى السرايا:عندما قمنا باجتياز القرية (مزرعة عزّة) شاهدت أنوار كاشفة ودعوت الأشخاص للاجتماع عندي، تقدمنا بسرعة نحو الأمام وشاهدنا جنوداً سوريين بالقرب من الطريق فأطلقنا النار عليهم وواصلنا تقدمنا. بعد ذلك تم إرسالنا إلى الوراء لإنقاذ /نير/، وتقدمت بسرعة وعندها تلقيت قذيفة وتعطلت دبابتي، وقفز كل الطاقم إلى الخارج وجلسنا في الظلام بين الصخور، انتظرنا قواتنا وكان أمامنا تماماً طاقم من السوريين المزودين بصواريخ "م / د "، وعندما شاهدناهم زحفنا إلى مكان آخر.

**تحدث الجميع في جهاز الاتصال للكتيبة** عن الاصطدام مع القوات السورية، وكانت كل دبابة منشغلة بمحاولات الإنقاذ، وكانت الصورة بمجملها مشوشة.

**اتضحت الصورة بكاملها فجراً**، وتبين أن الوضع صعب جداً، وأدركت قيادة الكتيبة في النهاية أن الكتيبة أصبحت واقعة داخل حصار سوري، وأوعز قائد اللواء إلى كتيبة أخرى تابعة له بتخليص الكتيبة المحاصرة، وخصص قائد هذه الكتيبة سرية لهذه المهمة.

**تم التصدي للسرية المهاجمة بنيران سورية،** فتوقفت ولم تنفذ المهمة التي أوكلت لها، وبعد هذا الفشل انقطع الاتصال بين الكتيبة واللواء، وبدأت الكتيبة بتقديم وإبلاغ التقارير المباشرة إلى قيادة الفرقة.

**ويقول /عيرون/ ضابط استخبارات الكتيبة:** منذ اللحظة الأولى التي قلنا فيها للفرقة: إن هناك مشكلة فإنهم لم يصدقونا، وقالوا: إننا في نزهة، كما أنهم لم يصدقوا أننا أصبحنا تحت قرية السلطان يعقوب، ولم يستوعبوا الواقع، وكان لدينا شعورٌ بأن أحداً غير مهتم بنا.

**وعلى أساس الضائقة الخطيرة** التي مرت بها الكتيبة والتي بلغت ذروتها في الساعة الرابعة صباحاً ومع بزوغ الفجر برزت شخصية قائد الكتيبة/**عيرا/** صاحب الجسم الضخم، حيث قام من خلال صوته القوي الأجش بتهدئة الأشخاص.

**طلع الفجر وكانت ظروف الرؤية صعبة**، حيث إن أشعة الشمس اخترقت أبصار طواقم الدبابات،و القوات السورية التي كانت متمركزة بين السلاسل الصخرية بدأت بإطلاق الصواريخ ونيران المدفعية وقذائف الدبابات على الكتيبة التي كان جزؤها الأمامي تحت قرية السلطان يعقوب على مسافة حوالي كيلو متر إلى الشمال من مثلث الطرق **(بيادر العدس)**، وكان جزؤها الخلفي موزعاً في منطقة عزة القرية المدمرة الواقعة على المحور إلى الجنوب من مثلث الطرق، ويقول قائد السرية **/نير/**: نزلت في الليل من الدبابة وسرت على الأقدام، وتعثرت بالسوريين وعدت فوراً إلى الدبابة، وأدركت أنه إذا طلعت الشمس فلن يكون لنا أمل.

**طلبت المدفعية ودخلت إلى الخندق ولعبنا مع السوريين لعبة الاختفاء،** ولم يبقَ لدينا قذائف تقريباً، ارتفعت الشمس وأنزَلَ السوريون قوات حتى مسافة /٥٠م/، وأرسلوا سيارة جيب مع مجموعة من الجنود والصواريخ لإطلاق النار علينا، ورأيت كل الاستعدادات وكان ذلك مخيفاً، وبالاتصال مع **/عيرا/** قائد الكتيبة عرفت أنه لن يأتي أحد لمساعدتنا.

**جرت مشاورات في مجموعة قيادة الكتيبة**، وقال ضابط الاستخبارات: سألت لماذا لا نخلص أنفسنا إلى الوراء؟ وقال لي قائد الكتيبة: إن ذلك سيكون انتحاراً، ولكن عندما أدركنا أن التعزيزات لن تصل إلينا، وأن الذخيرة بدأت تنفد، بدأ يتبلور قرار بأنه يجب مع ذلك الانسحاب إلى الوراء.

**يضيف ضابط الاستخبارات**: إن التحول حدث عندما قال ضابط العمليات في الكتيبة لقائد الفرقة: إن الإمكانيات التي بقيت هي الاستسلام أو الانتحار أو التملص بالانسحاب إلى الوراء، ومن هذه اللحظة تغيرت نظرة قائد الفرقة إلينا، وبدؤوا يدركون أن الوضع صَعْبٌ. لقد دفع ضابط العمليات ثمناً باهظاً على هذا التصريح، وبعد الحرب أبعدوه من الكتيبة، ويقول ضابط الاستخبارات: لقد ظلموه كثيراً.

**في تلك الأثناء كانت القوات السورية على مسافة /٢٠/متراً عن الطريق،** وأطلق جنودها النار على كل من كان يمر، وكل دبابة سارت وحدَها، وكان ذلك في حوالي الساعة التاسعة صباحاً، وكان قائد الكتيبة في مقدمة الرتل المنسحب بسرعة نحو الخارج، وقد أصيبت عدة آليات خلال الفرار، ويضيف ضابط الاستخبارات /عيرون/ قائلاً: لم تكن تلك معركة، حيث كان همنا ينحصر في الخروج من هذا الجحيم على قيد الحياة.

**أما قائد السرية /نير/ فيقول:** رأينا فجأة أمامنا أرتالاً من الدبابات الإسرائيلية ووقفت فرقة كاملة بانتظام وكأنها في عرض عسكري، واستغربنا لماذا لم يأت كل هذا الجيش الكبير لمساعدتنا، فالكتيبة التي خرجت للهجوم خلّفت وراءها في المنطقة ثماني دبابات جاهزة وعدداً من العربات المدرعة والقتلى والجرحى، واعتبر قائد الفصيلة **/أفياهو/** مفقوداً في البداية، وما هو معروف عنه ينحصر في أنه ترك الدبابة هو وأعضاء طاقمه في أثناء الليل واختبؤوا بالقرب من القوات السورية، **ويقول /لوستر/:** عند بزوغ الفجر وصلت دبابة **/زوهر ليفيشيتس/** إلى دبابتنا وخرج سائقه ونظر إلى داخل دبابتنا ورأى أنها مهجورة، وبدأ بالركض ووصل إلى المكان الذي اختبأنا فيه، وقال لي: إن الجميع ماتوا في داخل دبابته، وإن رامي المدفع **/يهودا كاتس/** مات بين يديه، ولم أذهب للتأكد من أقواله، هذا الأمر أيضاً يضايقني حتى اليوم، حيث إن **/يهودا كاتس/** عُدَّ مفقوداً.

**وفي الصباح بدأ /لوستر/ ورجال طاقمه بالتسلق إلى أعلى الهضبة** والسير باتجاه الجنوب وشاهدوا بقايا الكتيبة الهاربة من ساحة المعركة. "انتظرنا حتى يحل الصمت، وفي ساعات الظهيرة تم الاقتراب من قوات الجيش الإسرائيلي واقتربنا منها ونحن نلوح ونصرخ ونستنجدُ كيلا يطلقوا النار علينا".

**معركة السلطان يعقوب في قلب الكمين السوري**[1]

تحت هذا العنوان **كتب /رايلي/** مقالاً مشهوراً نشره في صحيفة معاريف، ومما جاء فيه:

**كانت معركة السلطان يعقوب** إحدى أكبر التقصيرات من جانب الجيش الإسرائيلي في حرب لبنان.

**وقعت المعركة في الحادي عشر من حزيران** ليل (١٠ - ٦/١١ عام ١٩٨٢/م/) قبل بدء سريان مفعول وقف إطلاق النار، حيث أخطأ قائد كتيبة المدرعات في التوجيه والدخول تحت جنح الظلام في المنطقة التي فيها الدبابات السورية وقوات من الوحدات الخارجية على مسافة غير بعيدة من قرية السلطان يعقوب في البقاع اللبناني، وعندما شاهد السوريون الدبابات الإسرائيلية تسير في قلب منطقتهم فتحوا النيران عليها، مما أدى إلى وقوع إصابات كبيرة في الدبابات الإسرائيلية.

**وهنا وفي اللحظة نفسها هرب الجنود من جحيم الدبابات المستعرة** بالنيران بمساعدة الدعم المدفعي الكثيف، ولكن مع هدوء المعارك تبين بأن القوة الإسرائيلية منيت بخسائر جسيمة، وبأن هناك ثلاثة من جنودها (يهودا كاتس وزخريا باومل وتسفي فلدمان) فقدوا، بينما وقع جنديان آخران **/أرييل ليبرمان/** و**/حزاي شاي/** في الأسر السوري، وأعيدا إلى "إسرائيل" بعد عدة سنوات في صفقة تبادل للأسرى.

**وفي نهاية عملية الإنقاذ** أعلن عن وقف إطلاق النار، وفي أعقابه تمّ

---

(١) صحيفة معاريف الإسرائيلية تاريخ ٢/١٦/ ٢٠٠٤م. وهناك دراسات أخرى متعددة تحدثت عن الموضوع ذاته، ومنها دراسة بعنوان: السلطان يعقوب: ٢١ سنة - ٢٠ قتيلاً وثلاثة مفقودين للكاتب /يوآف شتيرن/، صحيفة هآرتس الصادرة بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٩م. "كابوس السلطان يعقوب في لبنان".

إرسال قوة للبحث عن المفقودين والوسائط التي بقيت في المنطقة، ولكن لم يتم العثور على باقي المفقودين، وقد تمكنت هذه القوة من سحب بعض الدبابات المصابة و جرها إلى المنطقة التي سيطر عليها الجيش الإسرائيلي، **لكن السوريين أيضاً نجحوا في سحب عدد من الدبابات الإسرائيلية** التي فرَّ طواقمها منها في المعركة.

## حرب الظلال

**كتاب من تأليف /زائيف شيف/ و/إيهود يعاري/**، وقد نقله إلى العربية /وهيب أبو واصل/، وفيه يتحدث المؤلفان عن مجريات الحرب بتفاصيلها الدقيقة، ومن أهم الأفكار التي تضمنها الكتاب:

**حرب بُنيت على أوهام**، و رُتِّب أسلوب نشوبها بمقالب المكر والخبث، ونهاية غير مقنعة واستياء تام....

**حرب دفعت "إسرائيل" من أجلها ثمناً باهظاً** لم تتحدد حتى الآن نهايته... حرب عزلت الحجج الدفاعية في وجه المطامع البعيدة المدى لسياسة عمياء البصيرة، و انجرفت فيها "إسرائيل" إلى مغامرة تبذيرية رسخت شرخاً عميقاً في مناعتها الداخلية.

**من خطَّطَ للحرب وسعى لتنفيذها كان يرى في ذلك هدفاً إستراتيجياً** يتمثل في تشكيل حكم حليف في لبنان المتغير بزعامة **/بشير الجميل/**، كما كان يتصور أن ازدياد التعاون مع الولايات المتحدة على حساب إبعاد السوفييت سيدفع "إسرائيل" إلى آفاق زاهرة.

**ظن /شارون/ أنه سيحصل على غلة تاريخية نتيجة ذلك**، وكانت الحرب بالنسبة له ممراً لتغيير وجه الشرق الأوسط، وكان من المتوقع أن النصر سيؤمن "لإسرائيل" السيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة تحت

حماية عصر من الترفع من دون أي اعتراض عليه، ولكي يستعمل المستقبل كنقطة انطلاق لمبادرات إضافية تفرض فيها هيمنة "إسرائيل" على جاراتها، وتحقق النتائج السياسية المخطط لها بهدف معلن هو إبعاد التهديد المدفعي للمنظمات عن مستوطنات الجليل.

هذا الهدف المعلن كان مجرَّدَ غطاء وحيلة لتحقيق الأهداف الأخرى، "فإسرائيل" كانت تريد الخروج للحرب، ولذلك أوجدت الغطاء المطلوب للسعي إلى الحصول على باقي الأهداف التي لم يعلن عنها منذ البداية.

**لقد بذل الجيش الإسرائيلي في البقاع - حيث جرت معركة السلطان يعقوب - جهوداً ثلاثة:**

آ - **الجهد الرئيسي** كان وجهاً لوجه في مركز البقاع على طول الطريق الرئيسة وإلى جانبه باتجاه مرج الزهور والبقاع الأوسط (البقاع الغربي - البقاع الأوسط).

ب - **الجهد الثاني** في الشرق في منحدرات جبل الشيخ، ومهمته حماية مجنبة القوات الإسرائيلية من جهة الحدود السورية، حيث كان مقرراً للفرقة التي عملت هناك التقدم من حاصبيا إلى راشيا الوادي ثم كفرقوق و ينطا شمالاً.

ج - **الجهد الثالث** فهو المحافظة على قوات الخط الساحلي بالتقدم على منحدرات جبال الشوف وأسفل جبل الباروك والمرور بعين التينة ومن جانبي بحيرة القرعون إلى كفريا وعانا.

**كانت عملية البقاع تحدياً مباشراً وعنيفاً جداً للفرقة الإسرائيلية** التي أخذت على عاتقها تنفيذها، ووجدت ذاتها وجهاً لوجه مع القوات السورية، وبسبب وعورة الطرق الجبلية التي صَعّبت عمليات الاجتياز وعرقلت سير الصفوف الطويلة خففت من ضغطها في الهجوم، ورغم دخول المئات من المدرعات إلى لبنان لم تتمكن من تشغيل مدافعها إطلاقاً، وكان القتال غالباً مقتصراً على القوات البرية الموجودة في المقدّمة.

**اكتسبت هذه المعركة أهمية خاصة؛** لأنها بداية هجوم واسع في البقاع، حيث إن خط الهجوم الإسرائيلي يصل بين راشيا الوادي شرقاً وبحيرة القرعون غرباً.

**كانت ليلة الخميس والجمعة /١١/ حزيران**، من الليالي الصعبة جداً في المحور الشرقي، ففي هذه الليلة تم ردع التقدم الإسرائيلي في غالبية قطاعات الجبهة إلا في مكان واحد فقط من المحور الغربي الذي عُدَّ محوراً ثانويًا، ونجحت فيه قوات /يوسي بيلد/ بالتقدم حتى تلة الصعلوك.

**عند تحرك فرقة /يوسي بيلد/** في الجناح الجبلي للقوات السورية (سفوح جبال الباروك)[١] كانت تشكيلة القوات السورية قليلة الكثافة مقارنةً مع القوات التي بقيت وتمركزت في داخل البقاع. وقبل حلول الظلام سيطرت فرقة /يوسي بيلد/ على عدة قرى: كـــ/عانا/ و/زنوب الجديدة/.

**ليلاً وصلت المقدمة حتى مسافة /٥/ كم من الطريق الرئيسة طريق دمشق - بيروت الدولية**، وعند منتصف الليل توجه قائد الجبهة الجنرال

---

(١) سلسلة جبال لبنان الغربية تنقسم جغرافياً إلى قسمين: شمالي وجنوبي. يفصل بعضها عن بعضها الآخر ضهر البيدر، فالشمالي يبدأ من جبل الكنيسة جنوباً وحتى مرتفعات جبال عكار في الشمال الغربي، أما القسم الجنوبي من السلسلة الغربية والمعروف بمرتفعات الباروك فتنقسم جغرافياً إلى **ثلاثة أقسام:**

* القسم الشمالي: جبل الباروك، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى قرية الباروك التي تغفو على السفح الغربي منه، ويبدأ من ضهر البيدر شمالاً وحتى الطريق الفاصلة بين معاصر الشوف غرباً وكفريّا شرقاً.
* والقسم الأوسط: ومعروف باسم جبل معاصر نسبة إلى بلدة معاصر الشوف التي تتربع على السفح الغربي منه.
* والقسم الثالث (الجنوبي): ومعروف باسم جبل نيحا نسبة إلى بلدة نيحا الشامخة على الطرف الغربي منه، كما شهدت(تومات نيحا) فيما بعد معارك كثيرة وضارية بين رجال المقاومة اللبنانية من جهة والقوات الإسرائيلية والقوات اللحدية من جهة ثانية.

/دروري/ إلى **/يانوش/**، وأوضح /دروري/ أن عملية سلامة الجليل سوف تنتهي قريباً، ووقف إطلاق النار سيدخل حيز التنفيذ غداً الساعة الثانية عشرة ظهراً.

**كانت هنالك دلالات توضح بأن السوريين بدؤوا بإدخال تعزيزات**، وفي الصباح يُتوقع أن يقوموا بهجوم مضاد، ولذا أُصدرت الأوامر لقوات المقدمة التابعة /ليوسي بيليد/ الموجودة على مسافة بضعة كيلومترات من الطريق الدولية في منطقة جبل الباروك وكفريا وتلة الصعلوك بالاقتحام حتى طريق دمشق - بيروت ومنطقة مطار الرياق، وفي محاور أخرى من الجبهة كان الوضع مختلفاً فقد تباطأ التقدم وتوقف، ولم يتم استغلال نجاح معارك ذلك اليوم.

**حدثت عراقيل منطقية من الأساس**، حيث وصلت الأوامر للفرقة المتحركة على المحور الشرقي المعروف بخط عرفات بالوصول إلى راشيا الوادي - كفرقوق وينطا في الشمال، ومع الغسق سقطت راشيا الوادي وتقدمت مقدمة القوات حتى عبرت جسر الدلافي المدمّر.

**في الوقت نفسه الذي انتظرت فيه القوات رجال الهندسة العسكرية** لشق طريق آخر، تم إرجاء التقدم إلى يوم الغد، وفي مقر القيادة نادى /باراك/ نائب **/يانوش/** قائد الفرقة بعدم الانتظار حتى ينتهي من تزويد الآليات بالوقود: "من أنهى التزويد فليسرع إلى الأمام".

**تجدَّد التقدم مع ضوء النهار في المحور الشرقي**، ولولا البلبلة التي حدثت على طول هذه الخطوط لكان الأمل كبيراً بالوصول إلى الشمال إلى منطقة الطريق حتى جديدة يابوس وتنفيذ جزء من المهمة إلى أن تصل القوات إلى أقرب من ينطا.

**حدث الخلل في الخط المركزي في معركة صعبة** ومن ثم توقف بعدها التقدم، وكانت معركة السلطان يعقوب التي جرت على تلة تطل من جوانبها

الشمالي والغربي والشرقي على **تلال عالية** تمر الطريق بينها، وتكمن أهمية هذه الطريق في أنه يوجد عند مدخلها مثلث تتفرع منه عدة طرق إضافة إلى طريق عريضة تصل حتى **كامد اللوز و جب جنين.**

**قبل أن ترسل الوحدة إلى هناك جرى نقاش في مقر قيادة /يانوش/:** هل يستمر التقدم نحو طريق بيروت - دمشق بكل الطرق التي استخدمتها الوحدات مع التركيز الآني على النجاح في الجناح الغربي، حيث تقدمت قوات **/بيلد/** بسهولة.

**كانت القوات في الخط المركزي تتقدم** إلى مثلث تفرع الطرق **(بيادر العدس)** قبل السلطان يعقوب، ومن هناك كانت ستتجه إلى الغرب كي تستمر بعد ذلك من كامد اللوز إلى الشمال باتجاه الطريق المركزي دمشق - بيروت، وكان التقدم سيتم غربها، لكن**/يانوش/** لم يوافق على هذا الاقتراح، وبدلاً منه تقرر أن تتقدم القوات في الخط المركزي باتجاه المثلث المذكور، وتنصب ليلاً بعض الكمائن تحضيراً لمعركة الغد يوم الجمعة.

**كانت التقديرات الإسرائيلية خاطئة**، ومع حلول الظلام أعطيت الأوامر بالتحرك نحو مثلث الطرق المذكور **(بيادر العدس)**، حيث كان من المفترض التقدم/٧ كم/ والسيطرة على هذه المنطقة.

**قرر قائد اللواء أن تكون كتيبة مميزة، ولها سمعة كبيرة في القتال لتعمل في الطليعة**، وقد أُبلغ قائدها **(عيرا)** في الليلة نفسها أن ينصب ثلاثة كمائن وأن يتذكر أن بمحاذاة خط تحركه قوات إسرائيلية من لواء آخر، ولذلك عليه عدم إطلاق النار من دون معرفة المُطْلَق عليه وأن العدو (القوات السورية) في وضع انسحاب وأنه يمكن أن يصطدم مع مجموعات منسحبة، ثم طلب **/عيرا/** تأجيل المهمة لنصف ساعة حتى يتعرف على خط التحرك، وأصر على هذا الطلب قبل أن يوافق عليه.

**في الساعة الثامنة وعشرين دقيقة** بدأ التحرك شمالاً. لم يعلم أحد من

رجال هذه القوة **(عيرا)** ما هو مستوى انتشار القوات السورية أمامه، والحالة نفسها كانت في قيادة اللواء[1].

**وقد تبين فيما بعد أن السوريين قد انتشروا وتمركزوا على التلال المشرفة على السلطان يعقوب**، حيث انتشر اللواء /٥٨/ ميكا من الفرقة الأولى المدرعة، واتضح أن هذه المعلومات عرفت من خلال التصوير الجوي ومصادر أخرى، ورغم ذلك كله لم يصل هذا إلى قوات اللواء الميدانية. جرى جدل حول الوقت الذي تم فيه جمع ومعرفة المعلومات، ومن الذي أخبرهم بالأنباء الدقيقة عن انتشار القوات السورية في السلطان يعقوب وضواحيها، وبقي السؤال من دون جواب حتى ما بعد الحرب. أصر رجال المخابرات على أن هذه المعلومات وصلت إلى مقر قيادة **/يانوش/**. وقد قال ضابط المخابرات في القيادة أنه قد تم تذكيره بالأمر قبل أن تبدأ كتيبة الطليعة المعروفة بكفاءتها القتالية بالتحرك إلى مهمتها، ولما كان مثلث تفرع الطرق **(بيادر العدس)** منخفضاً وذا أهمية استراتيجية، فقد فضّل نصب الحاجز في مكان مرتفع قليلاً إلى الشمال، وادّعى **/يانوش/** أنه لم يقصد التقدم إلى نقطة أعمق في التشكيل السوري حتى تلة السلطان يعقوب.

**في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل** مقابل قرية الرفيد، **فقدت الكتيبة خمسة من مقاتليها في معركة ليلية**، وفتحت النار فجأة من الجناح الأيسر من كمين نصبته وحدات اللواء /٥٨/ ميكا، وفوجئ الجميع به، وأصيبت الدبابة الثانية التي اشتعلت النار فيها وانفجرت و لم ينجُ أحد من طاقمها. وقف التقدم برهة، وفي الجهاز سمع مرة بعد أخرى النداء: لا تتوقفوا!! استمروا إلى الأمام !! وكانت التعليمات هي ترك علاج المصابين للطاقم الطبي وعدم إعاقة تحرك الكتيبة. وبالقرب من مثلث تفرع الطرق

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٤٨-١٤٩.

وقف أوائل الكتيبة وراقبوا إلى الأمام، لم تظهر لهم حركة غير طبيعية. استمروا إلى الأمام، وعندما مرت أوائل الدبابات أمام البيوت شمال قرية الرفيد فتحت عليها نيران كثيفة شملت صواريخ **/ساغر/**، وأطلقت معظم الصواريخ من مسافة قصيرة جداً. كانت التعليمات هي التوجه بحركة إلى الأمام، وفي المقدمة كانت سرية تابعة للكتيبة نفسها لضابط اسمه /نير/.

**في الدبابة الثالثة من هذه السرية كان قائد الكتيبة /عيرا/**، و إلى الوراء قليلاً كان نائب قائد الكتيبة/ميخا/ مع سرية أخرى، أما السرية الثالثة للكتيبة فقد بقيت بعيداً بعد التقاطع ورُشقت بنيران غزيرة من جانبيها، واضطرت للتوقف بشكل فوري.

**في الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل انقسمت الكتيبة إلى ثلاثة أقسام**، كانت جميعها منشغلة بشكل أو بآخر بالمعركة، وفهم قائد الكتيبة **/عيرا/** أنه لا يسيطر على جميع قواته، لذلك أمر نائبه بالانسحاب إلى الوراء وتنظيم القوى، لم يبتعد نائبه قليلاً حتى ارتطم بنيران قوية من جانبيه واضطر للرجوع إلى **/عيرا/** وإخباره أنه لا يمكن العبور. أجرى **/عيرا/** حواراً مع قائد القوة الخلفية، وتوصل إلى قناعة أنه لا يستطيع الوصول إليه من الأمام، فأمره بالانسحاب جنوباً، لكن هذه المحاولة فشلت أيضاً، لأنه عندما بدأ الحركة ضربته صواريخ عديدة وأصيبت إحدى دباباته وتوقفت السرية، وهنا توجه **/عيرا/** بطلب المساعدة من قائد اللواء الذي اتخذ قراراً هاماً بعد التساؤل: هل يرسل إلى**/عيرا/** الكتيبتين المتبقيتين معه ؟ لكنه قرر عدم فعل ذلك خوفاً من تحول كامل السهل إلى مصيدة.

وبدلاً من إرسال الكتيبتين إلى الأمام، أرسلت كتيبة واحدة فقط بقيادة المقدم **/إبال/**، وقد أمل أن يساعد هؤلاء في إنقاذ قوة **/عيرا/** الخلفية لكنه لم ينجح بذلك بل خاض أعمالاً قتالية غير ناجحة.

فجأة.. اشتعلت النار في العتاد المدمر من كلا الطرفين، إلى الوراء بعد

القرية كان من الممكن رؤية النار المشتعلة في الدبابتين الإسرائيليتين، **واستمرار القوات الأمامية بالاشتباك مع المدرعات السورية.**

**خلال مدة قصيرة جداً بدأت كتيبة /عيرا/** التي وقعت في فخ النيران تتبعثر، وانتشرت دبابات ومصفحات بين البيوت بمحاذاة تلال صغيرة، وفي المؤخرة أصيبت إحدى الدبابات بقيادة /إيلي لوستر/ عند دخولها إلى المرج، و بعد ذلك نزل /لوستر/ وأعضاء طاقم الدبابة واختبؤوا في أحد البيوت القريبة.

**فهم /عيرا/** أن كتيبته لا تستطيع حل المأزق الذي وقعت فيه، وازداد قلقه عندما تبين له من المحادثات الطويلة مع قائد اللواء أنه لا أمل بأن ينقذه اللواء، طالت المحادثات وعاد/**عيرا**/ واستنتج أن لا خطة هناك لإنقاذ كتيبته أو الوصول إليه في وقت معقول. ومع الضوء الأول فهم القادة الميدانيون أن قوة/**عيرا**/ الأمامية موجودة شمالاً أكثر مما توقعوا في البداية. هذه الحقيقة تقررت بعد إجراء رمي استكشاف دقيق بواسطة قنابل فوسفورية، عندها فقط عُرِف أن القوات موجودة أسفل السلطان يعقوب في منطقة تشرف على البقاع من الشمال الغربي وبالقرب من **تل حمارة** الذي يسيطر من الشمال على الخط المركزي الذي يمر في البقاع.

**مرة تلو الأخرى عملت ناقلات مدرعة /ب م ب/ سورية حاملة مدافع وصواريخ**، وتسلقت على تلة التراب من الغرب، واشتركت في الرماية، وكان تفوق السوريين في الميدان بارزاً، فيما يتعلق بالموقع المشرف الذي هم فيه أم بالاتجاهات الكثيرة التي عملوا منها.

**كثرت الإصابات في دبابات الكتيبة المهاجمة**، واقتربت مجموعات من مشاة الجيش السوري تحمل القواذف م/د لمسافة مئات الأمتار من الدبابات الإسرائيلية، وتحرك الجنود السوريون خفية في داخل البساتين، ومن هناك أرادوا ضرب الدبابات والمصفحات الإسرائيلية بقذائفهم الصاروخية التي أنزلت إصابات كبيرة في المدرعات

الإسرائيلية، وعلى الرغم من تخلص الطواقم من الدبابات المشتعلة، لكن أفراد الطواقم جميعاً كانوا مصابين.

**نادى /عيرا/** المرة تلو الأخرى قائد اللواء، وطلب منه معرفة ماذا يقول قائد المحور، قبل كل شيء سئل: كم من الزمن يستطيع الصمود؟، تذكر **/عيرا/** كم أغاظه هذا السؤال، عندها سأل **/عيرا/**: متى ستحل المشكلة؟ أجابه قائد المحور: إنه خلال نصف ساعة أو ساعة على الأكثر. اعتبر هذا الجواب مبالغة في التفاؤل، وعندما نفدت الذخيرة العادية من الدبابات اضطروا إلى إطلاق قذائف مضادة للدبابات على المجموعة التي اختبأت في البيوت، وقد ساهمت تلك المناوشات في نفاد الذخيرة تدريجياً،حيث أخبر /هوفمان//**عيرا**/ من مصفحة الهاون قائلاً:(بقي معي عشر قذائف فقط)، والمحادثة التالية التي كانت بين/**عيرا**/ وقائد المحور كانت صعبة أكثر، فقد كانت تقديرات القائد أنه ستمضي أربع ساعات حتى تستطيع القوات الجديدة التي أتت من الجنوب إنهاء المعركة التي تخوضها قبل الوصول إلى السلطان يعقوب.

**صرخ /عيرا/ قائلاً: أريد حلاً واقعياً**، ليس لدي المزيد من الوقت، قد لا تجدوننا حين تصلون إلينا. كان صوته متعباً، وكانت ذخيرته على وشك النفاد، مع العلم أنه ليس في داخل الدبابات المتروكة الكثير من القذائف، لكن لا يمكن الاقتراب منها بسبب اشتعالها، ولو أن هذه الدبابات من طراز ميركافا، لكان من الممكن إخراج ذخيرتها من الباب الخلفي، وهنا أقفل قائد المحور سير تفكيره وقال **/لعيرا/**: إذا كان الأمر هكذا أقفلوا الفتحات واخرجوا، اخترقوا الخطوط إلى الوراء !!.

سرى صمت لبعض الوقت، وبعدها قال **/عيرا/**: هذا يعني الانتحار، لأن قائد السرية من الوراء قال لي: إنه من الجناح تنتظرنا حوالي /٣٠/ مصفحة سورية طراز /ب م ب/ وعند خروجنا سنحتك بها.

**هناك من يدعي أن هذا النبأ تحدث به هذا الضابط** بعد منتصف الليل عندما كانت الكتيبة قد تقدمت إلى داخل المواقع السورية، وقد أوضح ضابط المخابرات أن قادته فضلوا المعلومات التي وصلت من الميدان من نقاط المراقبة الموجودة في اللواء الغربي (المتقدم على مرتفعات جبل عربي و وادي السكي..)، حيث أُعلم هؤلاء القادة قبل المساء أن مثلث الطرق وما خلفه مُرَاقَب، ولم تتم مشاهدة أي عدو، وبالتالي المنطقة خالية، وأكثر ما يمكن معرفته أن هناك مجموعات منسحبة، وفي المرج يوجد بعض الآليات المتروكة في المواقع بعد المعركة(١).

**تبين لاحقاً أن نقاط المراقبة لم تراقب كما يجب** المنطقة التي تورطت فيها كتيبة **/عيرا/**. وبناء على هذا الخبر الوارد من نقاط المراقبة تقدمت القوات شمالاً من دون أن تعرف أنها تتحرك إلى داخل التشكيل الأمامي للواء /٥٨/ ميكا من الفرقة الأولى المدرعة.

**كان تحرك القوات الإسرائيلية بطيئاً جداً**، وكان عليهم الوقوف بعد أن صعدت المدرعات على الصخور واحتاجت إلى صيانة.

**والجدير بالذكر أن /عيرا/** عُدَّ قائداً ناجحاً وذا خبرة عسكرية وهو من رجال المدرعات وكان راضياً عن مرؤوسيه الذين كانوا بأغلبيتهم من المدارس الدينية، وقد لاحظ رجال المشاة الميكا الذين انضموا للكتيبة قبل **وصولهم إلى الرفيد** تحشد قوات العدو السوري الذي كان يضم دبابات ومدرعات، وتمت مشاهدة ذلك عبر نظارات الرؤية الليلية.

**تساءل /يانوش/**: لماذا تبقى القوة في الطريق عدة ساعات ؟ وقال فجأة: كان عليكم الوصول إلى هناك قبل خمس ساعات.

أمر **/عيرا/** بتسريع السير، وفي هذه المرحلة أمر بتغيير المهمة، فبدلاً من ثلاثة كمائن تنصب من مستوى سرية، كان عليه أن يصل إلى الهدف

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٥٤.

وأن ينصب حاجزاً من مستوى كتيبة، وقال: إنه يجب عليه الوصول شمالاً إلى مسافة كيلو متر ونصف ونصب الكمين هناك على نحو يلائم الوضع في ساحة المعركة.

**نزل /عيرا/ من دبابته ومر بين الدبابات والمصفحات ليرفع من معنويات مرؤوسيه**، وأراد أن يعرف مخزون الذخيرة لديه، وفي هذه المرحلة عندما غادر دبابته لدقائق معدودة أمسك أحد ضباطه بالجهاز، كان الضابط الشاب خائفاً وسمع صوتاً هستيرياً يقول: «**لا نستطيع الصمود**». سمع هذا النداء اليائس كل من أنصت إلى شبكات الجهاز بمن في ذلك جنود الكتيبة وضباط الوحدات في خارج السهل، «لماذا تتركوننا؟ يجب إنقاذنا بعملية جوية، الذخيرة تنفد، هل تريدوننا أن نستسلم أو يُجْهِزُوا علينا ؟!» دهش قائد المحور لبرهة ولم يعرف من المتكلم، وهل يتحمّل ذلك على مسؤوليته الشخصية. ارتبك قليلاً وبعدها قال:

«**هناك احتمال أن تقاتلوا... !**» بعد فترة وجيزة أخبر **/عيرا/** عن المحادثة المخيفة التي دارت بين قائد المحور وأحد ضباطه، وعاد قائد المحور وسأل عن الوضع، وهنا فقد **/عيرا/** صبره. لم يعرف من الذي يتكلم معه.

سمع **/عيرا/ صوتاً متشائماً**: «**الوقت ينفد، أرى أن النهاية من ثلاث جهات...**»، وسمع أيضاً صوت (م) قائد إحدى السرايا في الجهاز. مرت دقائق معدودة، قبل ذلك قتل بجانبه جندي احتياطي قادم جديد من روسيا،وهو تائب ومتدين، متعصب لدينه، كان يصلي صلاة الفجر وعندما أنهى صلاته أخذ رشاشاً وانضم إلى مصفحة (م) وأصيب برأسه، كانت جثته مازالت ملقاة بالقرب من (م) عندما سمع المحادثة في الجهاز مع قائد المحور. ضم (م) صوته للرأي القائل بالانسحاب إلى الوراء؛ لأنه سيمضي زمن طويل حتى تنهي القوة احتلال التلال الشرقية والاتصال مع **/عيرا/**.

**كان المطلوب في هذه المرحلة عندما تنكشف الدبابات وتبدأ بالحركة** إلى الوراء دعماً كثيفاً بالنار ومجموعات من الرمايات بالقذائف والصواريخ لكي لا يستطيع السوريون فتح النار على القوات المنسحبة.

**كان /عيرا/ وجنوده يحتاجون في ذلك الوقت لدعم سلاح الجو**، لكنهم لم يجدوا طائرات تعينهم.

**في تلك المرحلة تجمعت عدة كتائب مدفعية** لتبدأ بإطلاق النار الكثيف في اللحظة التي تبدأ فيها الكتيبة بالتحرك، وكان الهدف هو حماية نارية حول الرتل المتحرك إلى الوراء، وذلك بهدف منع الهجوم على الكتيبة، ولكنها لم تمنع تطاير الصواريخ باتجاهها. انتهت الكتيبة من ترتيباتها الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة، وأمل **/عيرا/** أن لا يشعر العدو بالتحضيرات، وتم جمع الطواقم من الدبابات المصابة داخل المصفحات.

**كانت الكتيبة جاهزة للانسحاب،** وبدأت المدفعية التابعة للجيش الإسرائيلي بالرمي المركز، لكن دبابة إضافية أصيبت فجأة، **أعطيت الأوامر بتفجير الدبابة** ونقل الطاقم إلى المصفحة. لم ينجح التفجير وبقيت الدبابة كما هي في ساحة المعركة، بدأ الانسحاب إلى الوراء الساعة /٨,٤٥/،كانت المدة التي يحتاجها لضمان النجاة /١٦/ دقيقة من النار القوية المطلوبة لحماية الكتيبة لتصل إلى هدفها وتنجو!

**ضغط السائقون على الآليات للحصول على أقصى سرعة ممكنة،** وتسلقوا قليلاً في السفح، وضربت المدفعية من جانبي الطريق، سقطت القذائف على بعد بضع عشرات الأمتار، أفرغ جنود المشاة رشاشاتهم ولم يكن حظ الجميع جيداً؛ لأن عشرات الآليات أصيبت، قسم منها كانت إصاباته طفيفة وآخر إصاباته شديدة، فقط عشر آليات تم تخليصها سالمة، وفي هذه الاشتباكات قتل أربعة وأصيب ستة آخرون بجروح.

**تلقت مصفحة أخرى ضربة مباشرة وقتل ثلاثة من طاقمها،** أما القتيل

الرابع فكان في دبابة قائد سرية (ح) التي تسلقت الحاجز الشمالي الأخير. بالإضافة لذلك فُقدت إحدى الدبابات في الانسحاب إلى الوراء، وهي دبابة **/شاي حيزي/** عندما بدأت بالانسحاب إلى الوراء، حيث أشار للدبابة التي خلفه بتجاوزه، ومنذ تلك اللحظة لم تشاهد الدبابة، وأعلن السوريون أن رامي المدفع من طاقم الدبابة أسير لديهم وهو **/أرييل ليبرمان /**. وهناك مفقودان آخران كانا في الدبابة التي ضربت في الصباح، بالإضافة إلى جرح /٢٩/ جندياً،خمسة منهم إصاباتهم خطيرة.

أعلن **/عيرا/** في تمام الساعة التاسعة وست دقائق: «**أنا في الخارج!**»، بعدها وصلت عدة طائرات مروحية الواحدة تلو الأخرى لنقل المصابين والقتلى، واستمر التفتيش عن المفقودين ساعة إضافية، طاقم /لوستر/ الذي اختبأ وصل بعد ساعات إلى خطوط الجيش الإسرائيلي.

**تبين أن هدف الحرب التي شنتها "إسرائيل"** هو الوصول إلى طريق الخط المركزي طريق دمشق - بيروت وتطوير الهجوم شمالاً باتجاه رياق - زحلة وإنهاء الأعمال القتالية بأسرع وقت ممكن نظراً لضيق الوقت وضرورة تنفيذ وقف إطلاق النار الذي أصبح وشيكاً.

**اختار الجيش الإسرائيلي لواءً مميزاً** من ألوية الدبابات في تسليحه وكفاءة قادته بمن فيهم طواقم الدبابات، وكلف هذا اللواء المميز بمهاجمة القوات السورية في منطقة السلطان يعقوب في القطاع الشرقي، وقد اختار قائد اللواء الإسرائيلي كتيبة دبابات متميزة قائدها **/عيرا/** وهو الناجح والمتمرس ولديه خبرة حرب سابقة، فقد اشترك في حرب تشرين عام /١٩٧٣م/، وأسندت له مهمة التحرك من منطقة الرفيد باتجاه السلطان يعقوب شمالاً ليكون طليعة للوائه، وليؤمن زج قوى كبيرة استعداداً لمعركة صباح الجمعة: (١١ / ٦ / ١٩٨٢م)، وتحقيق هدف الحرب وهدف الإسرائيليين.

**كان قائد القطاع الشرقي /يانوش/** حين عودته من قيادة الجبهة يرى

أن قواته قد تأخرت في الوصول على الأقل خمس ساعات، ولقد كانت التعليمات التي أعطيت لكتيبة **/عيرا/** حين وقع في كمائن الرفيد ومنطقة السلطان يعقوب تتضمن محاولة التملص والاستمرار بالتقدم إلى الأمام.

**لم يتمكن قائد اللواء الإسرائيلي من إنقاذ كتيبة/عيرا/** خشية وقوع كامل اللواء في الفخ الناري. طلب **/عيرا/** الطيران لإنقاذ كتيبته، لكن الطيران الإسرائيلي ضرب قوات المؤخرة العائدة للواء /٨١. د/ في وادي الحرير شرق منطقة المصنع اللبنانية، و لم تضرب قوات اللواء /٥٨/ ميكا الذي كان يشدد الضغط على كتيبة/**عيرا**/.

**يضيف الكاتبان** إلى فشل العدو الصهيوني في معركة السلطان يعقوب، ووقوف القادة الصهاينة في حيرة في مواجهة مقاتلي اللواء /٥٨/ ميكا تساؤلاً لم يجد إجابة عليه، **ومضمونه**:

**لماذا سمح للسوريين بجر الدبابات المعطلة، وسحب الدبابات الجاهزة؟ ولماذا لم يتم تفجيرها ؟**

**دار النقاش حامياً** حول مسألة من كان يعرف ؟ وعن مدى نقل المعلومات الجديدة حول الانتشار السوري في السلطان يعقوب؟ ولم تأتِ الإجابة حتى بعد انتهاء الحرب، وقال الكاتبان **/شيف/ و/يعارى/**: إن عناصر الاستطلاع في قيادة الجبهة يصرون على أن المعلومات رفعت إلى قيادة /بن غال/، وضابط الاستطلاع في هذه القيادة مقتنع بأنه ذكر هذا الأمر حتى قبل أن تتحرك كتيبة **/عيرا/** لمهمتها، وفي مقابل ذلك هناك من يقول: إنَّ هذه المعلومات ذكرها ضابط الاستطلاع بعد منتصف الليل عندما كانت الكتيبة قد دخلت في الفخ.

سواء كان هذا أو ذاك فإن **معركة السلطان يعقوب ستسجل في السجلات الحربية للجيش الإسرائيلي كفشل ذريع وخيبة أمل كبيرة.**

ويشير الكاتبان إلى أنَّ تفوق القوات السورية في معركة السلطان يعقوب كان بارزاً سواء في تمركزها في المواقع التي كانت فيها أم في الاتجاهات الكثيرة التي انطلقت منها، ولم يتمكن الإسرائيليون من استغلال الليل رغم التكنولوجيا المتطورة التي يمتلكونها في تسليحهم، وقد حدث في الليل الكثير من العراقيل التي أثرت في مجرى المعارك على صعيد كل الجبهات[١].

**كما يؤكد الكاتبان أن عشر آليات سالمة فقط** تمكنت من التملص من الجيب الناري، وهذا يعني أن عدد الدبابات و المزنجرات الإسرائيلية المدمرة والتي تركت جاهزة في منطقة الجيب الناري للواء /٥٨/ ميكا هو/٦١/، ويضيف الكاتبان: إن اللواء /٥٨/ ميكا أوقف الجيش الإسرائيلي في وسط الطريق و منعه من الوصول شمالاً إلى زحلة كما كان مخططاً، كما ساهم بتحقيق المساعدة اللازمة للقوات المنتشرة في ضهر البيدر بالصمود ومنع العدو من الوصول إلى هناك.

**كتاب (حرب الظلال)** يصف شارون بأنه رجل عسكري قد أقنع نفسه وأقنع الآخرين أن فيه صفات استراتيجية نادرة، وأنه قادر على إنزال ضربة قاضية بالجيش السوري، وأن الحكم الانعزالي الذي أمل **/شارون/** أن يقيمه في لبنان قادر على تنفيذ ما يوكل إليه من مهام، لكن ذلك كله أخفق، فالحكم الانعزالي لم ينجح بالوقوف على رجليه، والمراهنة على /بشير الجميل/ حُكم عليها منذ البداية بالفشل؛ لأنه لم يكن بمقدوره أن يزود /شارون/ بمتطلباته.

**واجه رئيس الحكومة /مناحيم بيغن/** بعد الحصيلة التي أسفرت عنها معركة السلطان يعقوب وضعاً بائساً في نهاية صيف /١٩٨٢م/، حيث إن تقديراته وتوقعاته من أجل أن يحسن صنعاً مع شعبه ويثبته على أرض مضمونة في حدود أرض "إسرائيل" التاريخية بحسب زعم الصهاينة لم

---

(١) العماد علي حبيب، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٦٠.

تتجسد، وثبت أن الحلف مع أزلامه في لبنان هو عكاز خيزران محطم، ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تُصَفَّ، ولم ينحسر موضوع إقامة دولة فلسطينية، وعلاوة على كل ذلك فإن انقسام الشعب والثغرات التي حدثت فيه نتيجة للضحايا الكثيرة التي تطلبتها حرب لبنان والتخوف من احتمال نشوب حرب أخرى، وفظاعة الحروب بالنسبة إلى **/بيغن/**، كل هذا حفّز الرجل الذي كانت دوافعه ((**خلقية بحسب زعمه**)) على النهوض ومواجهة حقيقة ضعفه. وفي /١٥/أيلول/١٩٨٣م/ قدم **/مناحيم بيغن/** كتاب استقالته من رئاسة الحكومة في "إسرائيل" إلى رئيس الدولة /حاييم هيرتسوغ/، وهو يتذكر قول كبار أحبار اليهود في أحلامهم التوراتية: "لكن إن ارتدوا عن قلعة السلطان ارتدوا عن مجدٍ طمحوا إليه"، والمقصود هنا بقلعة السلطان (قلعة السلطان يعقوب).

**على النقيض من ذلك استطاعت سورية تقوية مواقفها كعاملٍ رئيسٍ في لبنان**، وأكثر من هذا نجحت بمنع الجيش الإسرائيلي من تحقيق خطته، وأوقفته قبل أن يسيطر على منطقة ضهر البيدر وقبل الوصول إلى زحلة، ويفتخر السوريون بهذه النتيجة، فبالنسبة لهم استطاع الجيش السوري أن يصمد في مهمة التصدي (**وخلق ظروف مواتية لصالحه**...). واستخلص السوريون نتيجة تتضمن: أنه إذا استطاعوا في أية مواجهة إيجاد الدواء الملائم لتجنب التفوق الذي يتميز به سلاح الجو الإسرائيلي فإنهم يستطيعون عندها الولوج في حرب برية أمام الجيش الإسرائيلي، ويجب عدم نسيان أن الجيش الإسرائيلي اضطر لتقديم الكثير من "الضحايا"، لذلك حصل إغراء للرجوع إلى الفكرة العربية بشأن حرب متناسقة زمنياً في جبهتين أو ثلاث جبهات والتي يضطر فيها الجيش الإسرائيلي لتركيز الجهد للاقتحام في جبهة واحدة فقط.

من هنا فإن ثمن الرغبة في تجديد الثقة بقوة الردع كان خاسراً، وقد كلف الانتصار الباهر للجيش الإسرائيلي على بطاريات صواريخ الأرض - جو، بكشف

أسرار عديدة كانت قد حُفِظَت لحرب ضرورية ولحِفْظِ وجود الكيان في عملية محدودة، وإن ضرب الصواريخ دفع بتلك الدولة العظمى (الاتحاد السوفياتي) **لتطوير سلاح مضاد للطائرات.**

**لقد بينت تجربة الحرب وجود نواقص كثيرة ومقلقلة في الجيش الإسرائيلي نفسه،** وهذا بالطبع يستدعي البحث بجدية أكثر عن مشكلات السيطرة وقضايا التنسيق، وميل قسم من القادة إلى الاعتماد على سياسة إطلاق النار مباشرة وإعاقة الاقتحام والاستعداد بالتخلي عن القتال ساعة الظلام، صعوبات عديدة بخصوص إعطاء أجوبة ملائمة للسلاح المضاد للدبابات الحديثة الذي يعرقل تحرك المدرعات. اكتشافات معينة عن انخفاض مستوى القيادة والمبادرة الشخصية عند بعض الضباط والقادة الكبار إزاء امتياز القادة المتوسطين والصغار، مظاهر عدم الطاعة والرفض والتملص من المهام بشكل لم يسبق له مثيل.

**مع مرور سنة على الحرب بدأت "إسرائيل" بصراع للتخلص من المستنقع اللبناني الذي غاصت في داخله** مع الحفاظ على مكاسب ضئيلة جداً، وعملية التخلص هذه يمكن أن تكون مستمرة ومؤلمة و نهايتها غير واضحة، ولا يمكن التقدير الصحيح لقضية الحرب كلها.

**بعدها بدأت "إسرائيل" بالانسحاب على مراحل من لبنان، ولم يعد بمقدور** الحكومة الإسرائيلية منع تحويل هذا الانسحاب الاضطراري إلى فشل تام سيضعفها في النزاعات القادمة و إقامة علاقات ودية مستقبلية مع لبنان تمنع لقاءه مع سورية، حتى إن حرباً كهذه أفقدت "إسرائيل" طريقها، فتضعضع إيمانها بصدقها، وتزعزع أمنها كما **يقول مؤلف الكتاب**...

## تاسعاً - تضاريس مسرح العمليات:

**إن أحد أهم العوامل في الحرب كانت التضاريس،** فالأرض مليئة بالتلال، والمسافة الفاصلة بين مناطق الاشتباك قصيرة جداً، وغالباً ما كانت

تجري الاشتباكات على مسمع ومرأى الطرفين،**وطبيعة لبنان الجغرافية** تضم مناطق تضاريسية هامة:

**الأولى: تشكل السهل الساحلي الممتد من الحدود الفلسطينية وعلى طول ساحل البحر المتوسط وحتى ما بعد طرابلس شمالاً مروراً ببيروت**، وهناك طريق واحدة فقط يمكن أن يستخدمها أي جيش مهاجم من الجنوب - باتجاه الشمال، وهي طريق باتجاهين لكنها صعبة ونادراً ما تتسع لأكثر من دبابة، وتتعذر حركة السير باتجاهين للآليات العسكرية.

**تعج هذه الطريق ببيارات الليمون (البساتين) الكثيفة**، وهذا ما جعل مسرح الأعمال القتالية مثالياً لكمائن الـــ م/د، وكثيراً ما تتعذر مناورة المزنجرات بعيداً عن الطريق، ونظراً لكثرة المناطق التي توجد فيها الجروف الصخرية شديدة الانحدار على يمين الطريق فإن محور التحرك ينحصر بين الجروف والبحر **وهي أرض مثالية للكمائن..**

**أما منطقة الأعمال القتالية في القطاع الشرقي**، وبلدة السلطان يعقوب جزء منها، فهي تمتد جانبياً من فلسطين المحتلة إلى الشمال، وتقع بين سلسلة جبال الباروك غرباً (جبل الباروك - جبل معاصر - جبل نيحا) وسلسلة جبال لبنان الشرقية، ووادي البقاع، وهذا الوادي سهل منبسط عريض تسهل فيه حركة المناورة.

**تمتد سلسلة جبال لبنان** الشرقية - وهي سلسلة أخرى من الجبال - إلى الجانب الشرقي **لوادي البقاع قرب جبل الشيخ**، وتشكل حدوداً طبيعية تفصل بين لبنان وسورية، وهي حاجز فعال، ويستحيل القيام بأي حركة عسكرية من سورية وإليها عبرها ما لم يتم الالتفاف حول نهاية التلال الشرقية قرب ينطا وكفر قوق اللبنانية، حيث تندر الطرق في هذه المنطقة المكتظة بالوديان والمسيلات التي تجعل الحركة فيها صعبة للغاية، **وفي وادي شبعا** اضطر الإسرائيليون للقيام بشق طريق طوله /١٢كم/ لكي يقوموا بالالتفاف حول المواقع السورية.

**إن مسرح الأعمال القتالية على الاتجاه اللبناني يتمتع بالخصائص التالية:**

- **تضاريس وعرة.**
- **هضاب ومرتفعات.**
- **المحاور محدودة و معظم الممرات إجبارية.**
- **منطقة آهلة بالسكان.**
- **منطقة حراجية، وكثيراً ما تنتشر فيها بساتين اللوزيات "الكرز" والكروم بطريقة العرائش.**

**وهذا ما يؤثر - بشكل كبير - في عمل الصواريخ الموجهة كالمالوتكا.**

**لقد زودت الدبابات الإسرائيلية المعدلة** والتي عرفت فيما بعد بالدبابة باتون /إم ٤٨ آ - ٥/ بطلقات خاصة أطلق عليها الإسرائيليون القذيفة /حيتس/، **وعرفت بالقذيفة السهمية** التي تشبه بشكلها العام الطلقة الأساسية **(سابو)** في الدبابات الشرقية، لكن يبدو أنها تحتوي في تركيبها على مادة اليورانيوم المنضب **(المستنفد)**، وهذا ما أشار إليه الكاتب الإسرائيلي **/يرح تال/**، ونشرته صحيفة **/هاآرتس/** بتاريخ (١٩٩١/٨/١٥م).

**إن التدريع الفعال** حيّدَ القاذف /آر.بي.جي/، وبات على الدبابة الإسرائيلية اجتياز المناطق السهلية بسرعة **للأسباب التالية:**

**أ - يحتاج الرامي بعض الزمن** لكشف الدبابة وكذلك اختيار الهدف وتحديد المعطيات اللازمة والرمي عليها، وهذا يتيح للدبابة المعادية اجتياز المسافة (الصعبة للصاروخ مالوتكا) /٥٠٠م/ للاقتراب من واسطة التأثير، وإن كان ذلك يجعلها في خطر مدفع الناقلة /ب م ب١/.

**ب - إن دخول الدبابة المهاجمة واختباءَها بين الهيئات الأرضية والكروم** يعيق عمل الصاروخ مالوتكا، وفي ضوء هذا يمكن فهم لماذا تمّ

تأخير تنفيذ الحرب لمدة عام كامل، حيث كانت مقررة في العام /١٩٨١م/، وقد أعطي الوقت الكافي لوضع سيناريو خاص للأعمال القتالية وعلى الاتجاهات كافة، مما منح العدو الإسرائيلي الفرصة الكافية باستخدام العتاد المناسب - وبخاصة العتاد المُدَرَّع - وإجراء التعديلات اللازمة عليه(١).

**جـ - كان الاتجاه في التطوير والتحديث بالذخيرة** أولاً، فظهرت القذيفة الصاروخية إلى حدٍ كبير، وجرى تطويرها من حيث السرعة الابتدائية، كون هذا النوع من الذخيرة يعتمد على موجة الصدمة وقدرة الخرق فيحتاج لسرعة ابتدائية عالية للقذيفة، ثم إن ما تحويه هذه القذيفة من مادة تجعله أكثر فاعلية في قدرة الخرق والتدمير، كما تم تعديل أجهزة الاتصال وأجهزة الرؤية الليلية لتواكب أحدث دبابة يومئذٍ، فضلاً عن التصفيح الإضافي (التدريع الفعال)، مما يؤمن الوقاية الكبيرة لطاقمها، كما يؤمن حماية شبه تامة من خطر القاذف /أر بي جي/ الذي يعدُّ سلاحاً رئيساً وفعالاً يومئذٍ لجندي المشاة، و بخاصة في تلك المنطقة من منطقة الأعمال القتالية التي هي مثالية لنصب الكمائن كما ذكرنا سابقاً

**كما أن الإسرائيليين صنعوا دبابتهم الخاصة (ميركافا)** والتي عرفت بدبابة الميدان الحديثة، حيث استخدم الجيل الأول (إم ك١) من هذه الدبابات في غزو لبنان /١٩٨٢م/، وقد تم تصميمها لتعمل كدبابة وكناقلة جند وناقلة ذخيرة، وكعربة إخلاء طبي وبمواصفات فنية وتعبوية مميزة (عالية)، لكنها في هذه الحرب خضعت لاختبار وتجربة، وتبين وجود نقاط ضعف تكمن في جهاز سيرها وبخاصة دولاب الشد، كما يمكن استهدافها باختيار الأماكن الأقل تصفيحاً للتسديد واختيار الرمي عليها من نقاط ضعفها، وقد تبين ذلك في أثناء عبورها المخاضَات المائية (**أقنية الري**) في الطرف الغربي من **البقاع الأوسط** - جنوب **وادي الرياشي** كما تحدث الإسرائيليون

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٦٩.

**أما الدبابة /سنتريون/** التي تصدرت ولفترة طويلة سلاح المدرعات في الجيش الإسرائيلي فقد كان استخدامها أقل من دبابة /الميركافا/، ولم تظهر في القطاع الشرقي إلا بعد وقف إطلاق النار (بعد عملية تبديل القوات).

## عاشراً - خصائص معركة السلطان يعقوب والدروس المستفادة منها:

**اتسمت معركة السلطان يعقوب بخصائص عديدة كان أبرزها:**

١- **اعتماد العدو الإسرائيلي في هجومه المبدأ الرباعي** (دبابة - طائرة - جرافة - م/د (الـــ م/د الجوي والأرضي).

٢- **التلغيم عن بعد ولأول مرة** مع استخدام المدفعية والحوامات والطيران القتالي واستخدام القذائف العنقودية على نطاق واسع والذخائر المحرمة دولياً.

٣- **الحشد الكثيف للمدرعات الإسرائيلية** وبخاصة الدبابات؛ بغية زيادة وتيرة الهجوم، وتحقيق المهمة في الوقت المحدد - كما هو مخطط - ليتمكن العدو الإسرائيلي من تحقيق هدف الحرب بالوصول إلى منطقة المصنع اللبناني قبل موعد وقف إطلاق النار.

٤- **تنوع السلاح والعتاد القتالي** والاستخدام الكثيف لأحدث التقنيات وآلات الحرب الأمريكية والإسرائيلية.

٥- **استخدام العدو الإسرائيلي المكثَّف لسلاح الجو**، وبخاصة الحوامات القتالية التي تم استخدامها في عمليات التسرب، واعتماد أسلوب التمويه والخداع والتضليل لقصف أهداف أرضية يصعب على الطيران القتالي تنفيذها.

٦- **استخدام الإنزالات الجوية** بشكل كبير قياساً بهذه البقعة الضيقة، نظراً لأهمية منطقة السلطان يعقوب من مسرح الإعمال القتالية.

٧- **تفوق العدو الإسرائيلي الواضح في الحرب الإلكترونية** واعتماد أنظمة

تشويش وتضليل، وتعمية إلكترونية ورادارية وحرارية باستخدام متكامل لوسائل التوجيه والحاسبات الإلكترونية للتحكم بمنظومات وسائط التأثير الناري.

٨- **رباطة الجأش وحسن القيادة والكفاءة وثبات الجندي السوري وصموده** وشدة القتال الذي اتسم به وضرواته، وهذا ما أعلنه **/روفائيل إيتان/** رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق لصحيفة هاآرتس الإسرائيلية معترفاً بكفاءة المقاتل السوري وعناده[١].

٩- **زيادة الصبائب النارية من قبل العدو الإسرائيلي** وإطالة مدتها عن المألوف، وقد التقطت مكالمة إحدى قادة تشكيلات العدو، وهو يقول لقائده: لن أتقدم متراً واحداً من دون تنفيذ ساعة إضافية تمهيداً نارياً، وعليك أن تعلم أنني سأخوض معركة مع الفرقة الأولى.

١٠- **ظهور الكمائن المسلحة والدوريات** خلف خطوط العدو، وزرع الألغام وحماية الممرات الإجبارية (ممر المرتفع ١٠٦٥) بنيران مختلف أنواع الأسلحة فرض على العدو الإسرائيلي أعباء عسكرية كبيرة بالعتاد والقوى البشرية.

١١- **تميزت معركة السلطان يعقوب بكثافة النيران العالية براً وجواً وبضخامة القوى** التي دفعت بها "إسرائيل" إلى ساحة القتال من أجل تكثيف الضغط على المواقع السورية، والحد من حرية عمل القوات السورية ومنعها من زج قوات جديدة في المعركة.

١٢- **استخدام طائرات الرصد والإنذار المبكر** من نوع (هوك آي) واستثمار السطع الآني المتطور في ميدان المعركة، مثل رادارات المراقبة الميدانية والطائرات المسيرة من دون طيار.

---

(١) العماد مصطفى طلاس،الغزو الإسرائيلي للبنان، مرجع سابق، ص٢٢٧.

١٣- **استهلاك العدو الإسرائيلي الكبير للوسائط** المادية والأسلحة والمعدات والذخائر نتيجة تسارع وتيرة الأعمال القتالية التي فرضها ضيق الوقت وجغرافية مسرح الأعمال القتالية، ومحاولة تخفيف الخسائر ما أمكن، وبخاصة في القوى البشرية.

١٤- **كان واضحاً استخدام الجيل الجديد من الصاروخ /زائيف/** المطور عن الصاروخ /**شرايك**/ للعمل ضد محطات الرادارات امتداداً لتطوير هذا النوع من السلاح منذ حرب تشرين التحريرية /١٩٧٣م/.

## الدروس المستفادة من معركة السلطان يعقوب

يمكن تلخيص أهم الدروس المستفادة من معركة السلطان يعقوب وإجمالها بما يلي:

١- الطريقة المثلى لتحييد التفوق الجوي المعادي هي **الالتحام مع العدو على الأرض.**

٢- **تجهيز مسرح الأعمال القتالية** بما يتناسب وطبيعة المعركة المحتملة يسهم في تحقيق النصر، فعلى الرغم من أن ما تم تجهيزه في معركة السلطان يعقوب هو مجرد خط رمي من الثبات بغية إكمال جيب ناري علماً أن تنفيذ ذلك قد تمّ في غضون عدة ساعات فقط ومع هذا فقد **أعطى القوات السورية تميزاً وقدرة على صد القوة** المهاجمة المتفوقة عتاداً وعدةً.

٣- **عدم دقة معلومات السطع** تؤدي إلى نتائج مؤلمة في ميدان المعركة، كما أن إيهام العدو وحرمان استطلاعه من الحصول على المعلومات اللازمة يساهم في هزيمة هذا العدو بغض النظر عن القوى والوسائط التي يهاجم بها.

٤- **التدريب الجيد في السلم والتميز في تنفيذ المشاريع التكتيكية يكسب**

**المقاتلين مهارة وخبرة**، ويساعدهم على الثبات والصمود وتحقيق النصر في أي مواجهة مع العدو.

٥- **وجود القادة مع المقاتلين ومعرفتهم بإمكانات كل منهم** يساعد في اتخاذ القرار الصائب وتوزيع المهام بما يتناسب وإمكانيات المقاتلين وقدرتهم على المساهمة في صنع النصر، كما أن متابعة المرؤوسين والمعاملة الأبوية والمرونة والعدالة والقدوة الحسنة صفات أساسية يجب توافرها في القائد الناجح.

٦- **التقدير الصحيح لنوايا العدو** ومعرفة أسلوب قتاله وطريقة تفكيره يمكّن القادة من اتخاذ الإجراءات المناسبة لمنع أي هجوم معادٍ من تحقيق أهدافه.

٧- **المحافظة على الاتصال الدائم مع المرؤوسين** (هذا العصب الحيوي الهام) يحتل الصدارة في أثناء إدارة الأعمال القتالية وضرورة أن يكون قادة السرايا - وخاصة الميكا والدبابات - على تردد واحد مع قائد اللواء.

٨- **من الضروري أن يتمتع القائد الميداني (بمستوى قا.س. - قا.ك.) بلياقة بدنية عالية تواكب وظيفته**، إضافةً لامتلاكه نوعية من المعلومات تتناسب ووظيفتَه.

٩- **تواصل قادة التشكيلات والقطعات في ميدان المعركة مع المقاتلين يرفع كثيراً من الروح المعنوية لديهم**، وكلما كان القائد على تواصل مباشر مع مرؤوسيه تمكن من قيادة المعركة بنجاح.

١٠- **ثقة المرؤوسين بالقائد تلعب دوراً بارزاً في صمودهم** وإصرارهم على صنع النصر.

١١- **الجندي الإسرائيلي جبان يخاف الموت ولا يتردد في ترك عتاده إذا واجه مقاومة حقيقية وأخطاراً تهدد حياته.**

١٢- **أهمية عامل المفاجأة** للعدو ودوره المميز في سرعة حسم المعركة.

١٣- **استثمار الخصائص الوقائية** والتمويهية للأرض والعوامل الجغرافية لمسرح الأعمال القتالية بشكل جيد يقلل من الإصابات بغض النظر عن التقنية العالية للأسلحة المعادية.

١٤- **الصمود في المعركة** عامل حاسم في إحراز النصر، وهذا ما يرعب العدو الإسرائيلي.

١٥- **جميع تشكيلات قواتنا المسلحة قادرةٌ على تسطير بطولات رائعة لا تقل عن التصدي البطولي** الذي نفذه مقاتلو اللواء /٥٨/ ميكا في معركة السلطان يعقوب.

١٦- يجب أنْ لا ننسى أن القادة الصهاينة كعادتهم يستغلون وقف إطلاق النار، ويفتشون عن كل هضبة ومرتفع وتلة تراب غير محتلة ليستفيدوا منها، ويُحسِّنوا دفاعهم عليها، ويضمُّوها إلى الأرض التي أصبحت تحت سيطرتهم لتصبح مكسباً لهم من دون قتال.

١٧- **ضرورة تعزيز دور الــ م/د للتصدي لمدرعات العدو** باستخدام الصواريخ الحديثة المضادة للدبابات الحديثة والمحدثة واعتماد وحدات الــ م/د في مختلف التشكيلات (قوات خاصة - مشاة - ميكا - دبابات).

١٨- **ضرورة التفكير في الوقت المناسب** والعمل بحلول إبداعية لوقاية أجهزة الاتصالات والمناورة بها، والاستطلاع لتأمين الأعمال القتالية، وهنا يظهر دور القائد المبدع.

١٩- **حققت معركة السلطان يعقوب نتيجة كبرى**، حيث أبقت القوات العربية السورية في لبنان، كما أن هذه المعركة التكتيكية حققت هدفاً استراتيجياً، إذ منعت تقسيم لبنان وتحويلَه إلى دويلات طائفية صغيرة[(١)]..

---

(١) العماد علي حبيب ، معركة السلطان يعقوب، مصدر سابق، ص١٧٩-١٨٠.

## حادي عشر: خـاتمـة

**إنَّ معركة السلطان يعقوب ليست استثناءً في تاريخ قواتنا المسلحة،** بل هي إحدى وقفات العزة والشموخ المعبرة عن إرادة المقاتل العربي واستعداده للتضحية في سبيل عزة الوطن وكرامة الأمة، والجندي الإسرائيلي لم يعد ذلك /السوبر مان/ الذي يتم تسويقه عبر أبواق الدعاية الصهيونية والإمبراطورية الإعلامية المسيّرة بما يخدم المخططات الهادفة لإحكام الهيمنة وبسط السيطرة والنفوذ، ومن يقرأ تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي بدقة يدرك أن الجندي الإسرائيلي جبان يخشى المواجهة المباشرة في ساحة المعركة، ويسعى للتعويض عن ذلك عبر التحصن في داخل الدبابات والمزنجرات، معتمداً على أن التصفيح المميز يحافظ على حياته، لكن كل ذلك أصبح جزءاً من الماضي، وبخاصة بعد الانتصار الاستراتيجي الذي سطّره رجال المقاومة اللبنانية على العدوان الأمريكي - الإسرائيلي في تموز - آب ٢٠٠٦م.

**إننا إذ نستذكر معركة السلطان يعقوب بعد مضي أكثر من تسعة وعشرين عاماً** فإن استذكارها يدفع جميع المقاتلين لاستلهام الدروس المستفادة، وإضافة صفحات جديدة مشرقة إلى السجل الذهبي لقواتنا المسلحة، وهو سجل حافل بصور البطولة والرجولة والتضحية والفداء.

**إن الرجال الذين سطّروا أروع صور الصمود** والدفاع المشرف في تشرين التحرير وفي السلطان يعقوب هم اليوم أكثر تصميماً على استعادة كل قطرة ماء وكل ذرة تراب، واضعين نصب أعينهم هدف إرساء أسس السلام العادل والشامل المبني على قرارات الشرعية الدولية وعلى مرجعية مؤتمر مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام، فالجولان المحتل كان وسيبقى عربياً سورية، وسيعود طال الزمن أم قصر إلى حضن الوطن الأم سورية قلب العروبة النابض.

## ثاني عشر - مشاهدات في أرض المعركة:

في يوم ١٩٨٢/٦/١١م، استدعاني **اللواء حسن توركماني، مدير الإدارة السياسية آنذاك**، وطلب مني انتظاره في قيادة قوات الردع العربية بلباس الميدان ، مصطحباً معي سائقاً وسيارة لاندروفر، مع السلاح ، **وهناك اجتمع كل من**:

**١ - العماد أول مصطفى طلاس نائب القائد العام - وزير الدفاع**

**٢ - اللواء سعيد بيرقدار قائد (قوات الردع العربية).**

**٣ - اللواء: حسن توركماني مدير الإدارة السياسية.**

**٤ - العميد الركن إبراهيم الصافي: قائد الفرقة الأولى المدرعة.**

**٥ - العميد الركن شفيق فياض: قائد الفرقة الثالثة المدرعة.**

**٧ - الرائد إبراهيم المحمود: ضابط ارتباط الإدارة السياسية.**

وعند تقديم **اللواء سعيد بيرقدار** قائد قوات الردع العربية الموقف لنائب القائد العام، كان مما عرضه:

١ - **فقدان الاتصال مع الكتيبة** ٦٢٢ بعد جرح المقدم عيسى نادر قائد الكتيبة واستشهاد رئيس أركان الكتيبة الرائد معين عرقسوسي، وغموض الموقف على محور بحمدون عالية. بيروت، **بسبب تطويق بيروت، وتداخل القوات.**

**٢ - وقوع خسائر كبيرة ولا سيما في سلاح الدفاع الجوي.**

**٣ - تمكن القوات السورية من إنزال خسائر جسيمة بالعدو بالأفراد والعتاد.**

**٤ - التبدل السريع للمواقف على المحاور ما بين جنوب لبنان وطريق بيروت - دمشق.**

**قرر العماد طلاس** إرسال ضابط للقيام بالاستطلاع الميداني للحد الأمامي على محاور القتال كافة وتم إرسال ضابط فعاد وأعلم أن طريق دمشق - شتورا مقطوع بسبب تراكم الآليات المدمرة. وتخريب الطريق بالقصف الجوي.

**عندها طلب اللواء حسن توركماني من العماد وزير الدفاع**: أن ينفذ هذه المهمة الرائد إبراهيم المحمود من الإدارة السياسية.

**وبعد الموافقة انطلقتُ عبر طريق التفافي** وعند اقترابي من مجدل عنجر كانت في المنطقة أشلاء من الشهداء السوريين واللبنانيين وقد اختلطت الأشلاء وامتزجت الدماء.

**فتابعتُ حتى بحمدون،** وهناك التقيت بالمقدم عبد الحميد سلطان قائد الفوج (٣٦) قوات خاصة، فطلبت منه معلومات عن الموقف على محور بحمدون - عالية - بيروت فسأل صاحبة المنزل /أم بطرس/ التي قدمت من بيروت باليوم نفسه، فأفادت أن هناك قوات في عالية لكنها غير متأكدة من هويتها نظراً للقصف في المنطقة، فسألته عن موقف تشكيله.

**بعدها اتصل هاتفياً بالرائد إبراهيم الحميدي** قائد كتيبة في بيروت الذي أفاد هاتفياً **أنه مسيطر على منطقته** وأن معنويات كتيبته عالية. وأنه قادر على الصمود وعلى الخروج من التطويق. **ثم أجريت اتصالين مع الرائد إبراهيم الحميدي ورئيس أركانه النقيب تركي الدرويش،** فكانا يؤكدان قدرتهما على فك الطوق إن تمت موافقة القيادة على ذلك.

**انطلقت بعد الغروب من بحمدون** باتجاه عالية وبالقرب من مدخل عالية شرقاً، أوقفت العربة وتقدمت باتجاه عدد من الجنود، وكان تقديري أنه إذا كانوا يتحدثون العبرية، أو العربية ولكن بلهجة واحدة فهم الإسرائيليون وإذا كان الحديث باللهجات السورية المتنوعة فهم سوريون ولما تأكدت من أنهم

سوريون ذهبت معهم إلى قائدهم وعرفته على نفسي وقدمت له ساعة كانت بيدي باسم القيادة العامة **فعرض لي موقف كتيبته كما يلي:**

**المقدم عيسى نادر قائد الكتيبة ٦٢٢ جريح.**

**الرائد معين عرقسوسي رئيس أركان الكتيبة شهيد.**

**خسائر الكتيبة زهاء ٢%.**

**والكتيبة أخذت موقعاً دفاعياً وهي مسيطرة على قطيع دفاعها.**

**بعد أن تفقدنا سرايا الكتيبة**، أخذت شفافاً عن خريطته **وطلبت منه الانسحاب إلى شتورا بناءً على ما لدي من أوامر فكان جوابه:**

***لا أنسحب إلا بعد أن تعلم القيادة أنني مسيطر على مواقعي.***

**وفي العودة استطلعت عدداً من المحاور:**

**كان أهمها محور المصنع - الصويري - حمارة - السلطان يعقوب.**

**وفجأة وجدت نفسي بين دبابات إسرائيلية جاهزة**، مشعلة الأنوار فتركت السيارة وقفزت شرقاً خشية الوقوع بالأسر وكذلك فعل السائق فلم يطلق النار علينا أحد. فاقتربت زحفاً باتجاه الدبابات فتأكد لي أن الدبابات إسرائيلية فعلاً لكن من حولها سوريون من لهجاتهم.

**فاقتربت وعلمت أن اللواء ٥٨ من الفرقة الأولى** هو الذي سيطر على هذه الدبابات الثماني من نوع باتون إم ٤٨ آ ٥ في منطقة بيدر العدس في السلطان يعقوب بعد أن لاذت أطقمها بالفرار **وأن قائد اللواء ٥٨/ ميكا العميد الركن (علي محمد حبيب محمود)**، على المحور نفسه فتقدمت في الظلام الدامس، الذي تشقه أحياناً بعض القنابل المضيئة والطلقات الخطاطة، ودوي الانفجارات. وعند اقترابي، سألت عن مقره، فسمع صوتي، وعرفني به، على الرغم من أننا لم نلتقِ منذ سنين، إلا مرة واحدة ومع معرفتي أنه قد

خاض معارك طاحنة، وأنه لم يذق النوم إلاّ لماماً، سألته سيدي في الكلية الحربية: كنت تسألنا عن المطرة هل هي مليئة بالماء، فقدّم مطرته المليئة بالماء، وقال تفضل اشرب، ثم سألته عن الإبرة والخيط، فقدمهما لي،**(وسبب ذلك أنه كان قائداً لدورتنا في الكلية الحربية)**، ثم أعلمته مهمتي فشرحها لي. عندها أعلمته أن الدبابات الإسرائيلية التي استولى عليها يقوم عناصر من «سرايا الدفاع والصاعقة آنذاك، وغيرهم بسحبها إلى دمشق. أجابني العميد الركن (علي محمد حبيب محمود):

**المهم أن نستولي على دبابات العدو أو ندمرها**، أما من يسحبها إلى دمشق، فهم العاملون في المؤخرات.

**عدت إلى دمشق وقدمت إلى اللواء (حسن توركماني) مدير الإدارة السياسية آنذاك تقريراً مفصلاً** عما جرى، عندها حدثت جلبة وهي مرور بعض الدبابات الإسرائيلية المأسورة في شوارع دمشق قرب الإدارة السياسية، وعندها رنَّ جرس الهاتف، فقدّرت أنَّ المتصل إما نائب القائد العام أو رئيس الأركان يستفسران عن الدبابات وعن الكتيبة ٦٢٢.

**فأجاب اللواء (حسن توركماني): هذه دبابات إسرائيلية استولى عليها اللواء ٥٨ والرائد إبراهيم المحمود أمامي وسنوافيكم بتقريره فوراً.**

**وأردف قائلاً**: كذلك أعلمني **النقيب علي إسماعيل**. أن قائد لواء **(٦٢ مش)** قد قال له: **(نحن بحاجة إلى إمدادات طبية وتعيينات)**. أقترح أن نؤمن عدد من السيارات تعود إلى قائد اللواء محملة بالإمدادات المطلوبة.

**حفاظاً على القدرة القتالية ورفعاً للروح المعنوية.**

وعبر ساعتين انطلقت السيارات من الإدارة السياسية إلى قائد اللواء، بقيادة النقيب علي إسماعيل نفسه أيضاً.

**كما قام النقيب رياض حداد** ، الذي يعمل في فرع التوجيه السياسي في الفرقة الأولى المدرعة ، بصياغة بيانات تطلق بالمكبرات على الجنود الإسرائيليين.

وذلك رداً على الدعاية الصهيونية التي كان الإسرائيليون يبثونها في مبكرات الصوت على الحد الأمامي للقوات السورية في لبنان آنذاك.

**حيث قام النقيب رياض حداد** بصياغة هذه البيانات باللغة العربية ثم اتصل بالدكتورة (وصال سمير) رئيسة قسم اللغة العبرية في جامعة دمشق؛ وفي إذاعة دمشق حيث قامت بصياغتها باللغة العبرية، **وجرت تلاوتها من قبل النقيب رياض نفسه، وهذا المبين في الملاحق.**

**وقد بثت إسرائل عدداً من الأغاني منها** (أغنية ما أقصر العمر حتى نضيعه في النضال لمحمد عبد الوهاب، وأغنية ردني إلى بلادي للمطربة فيروز) وذلك لأكثر من عشرين مرة في يوم واحد.

ومن الجدير بالذكر استشهاد عدد من الطيارين السوريين الأبطال فوق الأراضي اللبنانية ومنهم **هاني المحمود** الذي أسقط طائرة (إف١٦) إسرائيلية لأول مرة يسقط فيها هذا النوع من الطائرات.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# البَابُ السَّابِعُ

## السياسة والحرب في بلاد الشام

## في العقد الأول من القرن /٢١/ م


الهيئة العامة
السورية للكتاب

# الفَصلُ الأَوّلُ

## بيئة استراتيجية جديدة في المنطقة

**ظهرت البيئة الاستراتيجية التي سادت قبل الحرب على لبنان فيما يلي:**

- **كانت الحرب على الإرهاب موضوعاً فرض شرطه السياسي** وإيقاعه على الواقع الموجود.
- **الإخفاق الاستراتيجي عربياً ودولياً في منع احتلال العراق،** وهو ما أحدث فوضى بالوجود العسكري الأمريكي و تدمير الدولة العراقية.
- **دخول الانتفاضة الفلسطينية وحكومة حماس** في مأزق طويل مع أشكال الحصار عليها.
- **كان التحرك السياسي يتخذ مساراً حرجاً** قبل الحرب على لبنان، متيحاً فرض صورة سياسية تصنف العالم في محورين.

**عند الحديث عن البيئة الاستراتيجية الجديدة نلمس مايلي:**

- **عدم قدرة الترسانات الضخمة من السلاح المتطور** والجيوش الكبيرة بشكل منفرد على تبديل عوامل الصراع القائمة، أو حتى تحقيق معادلة جديدة إقليمياً.

- **اتساع مفهوم ميدان المعركة ليشمل الجغرافية الاجتماعية**، فعندما استطاعت المقاومة تهيئة ميدان المعركة فإنها عملت بشكل كلاسيكي من خلال تأمين متطلبات المعركة عسكرياً.

في التقرير الأول فإن حرب الـــ ٣٣ يوماً، كانت الحرب السادسة في الصراع العربي الإسرائيلي على الرغم من أنها انحصرت داخل الجغرافيا اللبنانية.

جاءت الحرب في ذروة التفاوت الاستراتيجي، **حيث تنتشر في المنطقة قوات ضخمة برية وبحرية وجوية، أميركية وإسرائيلية ومن دول حلف شمال الأطلسي تتمثل في:**

**١ - القوات الإسرائيلية:**

**القوات الإسرائيلية المتخمة بأحدث الأسلحة والأعتدة المتطورة** ولاسيما سلاح الطيران الإسرائيلي الذي يعد من أقوى أسلحة الطيران بعد الولايات المتحدة، مع مخزون كبير من أسلحة الدقة العالية (الصاروخية المتنوعة بشكل أساسي) فضلاً عن امتلاك القدرات النووية (مايزيد عن ٢٠٠ قنبلة نووية).

تعاني هذه القوات حالياً من تداعيات إخفاقها في الحرب العدوانية ضد لبنان وحزب الله.

**٢ - القوات الأميركية:**

**تحتفظ الولايات المتحدة بقوات جوية وبحرية وبرية ضخمة** في إطار استراتيجيتها الحالية للحفاظ على مصالحها في المنطقة، وتتوزع قواتها وفق التالي:

**القوى البحرية:**

* ينتشر في البحر المتوسط الأسطول السادس الأميركي.

- **القوى الجوية:**

**تنتشر القواعد الجوية الأميركية** على أراضي العديد من الدول العربية وتركيا وأفغانستان وبعض الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي وتضم أعداد كبيرة من الطائرات.

- **القوات البرية:**

**تنتشر بشكل أساسي في أفغانستان** /٣٥٠٠٠/ رجل والعراق /١٤٥٠٠٠/ رجل وجزئياً على أراضي بعض الدول العربية.

٣ - **قوات الدول الأخرى:**

**وهي قوات دول متحالفة مع الولايات المتحدة**، وتشكل القوات البريطانية عمادها الأساسي.

**التوازن العسكري والمقاومة:**

**وعلى الرغم من أن الطرف المقاوم لا يملك العتاد العسكري والتقنيات والقوات** التي تحقق التوازن على الأقل مع حجم الانتشار الكثيف للقوات الأجنبية في الشرق الأوسط، إضافة لحجم القوات الإسرائيلية، إلا أن لديه أوراقاً مهمة في هذا المجال تتجلى في:

- **امتلاك وسائل قتالية مهمة** على الرغم من عدم تساويها أو اقترابها من وسائل الأعداء إلا أنها تشكل ردعاً جيداً إذا أخذنا بالاعتبار نتائج حرب حزب الله وإسرائيل كنموذج.

- **توفر إرادة سياسية تستند أساساً** إلى فهم عمق الصراع بدلاً من التعامل مع إجراءات سريعة لمعالجة الأزمات المتكررة، فالإرادة السياسية ليست عنواناً سياسياً بقدر كونها فهماً للمصالح التي تحكم شعوب المنطقة.

عملياً، إن كسر التفوق الاستراتيجي بين طرفي المعادلة في الشرق الأوسط ظهر في الحرب الأخيرة من خلال اختراق السياسة الأميركية - الإسرائيلية في احتكار العملية السياسية في العالم العربي، وطرح إمكانية عودة المبادرة إلى أبناء المنطقة.

## المشهد السياسي بعد الحرب

**لكننا نستطيع تلمس واقع جديد طرأ على المنطقة بعد الحرب، جاء نتيجة عاملين:**

١ - **كانت هذه الحرب هي الأولى التي حملت تفاهمات دولية،** بينما لم يكن يقف إلى جانب المقاومة أية قوة فاعلة على المستوى العالمي، وردود الفعل تجاهها بدأت تأخذ الطابع الإنساني بعد الأسبوع الأول.

على الرغم من أن الإدارة الأميركية، وعدداً من مراكز الأبحاث، أعطت الوضع العسكري في لبنان بعداً مذهبياً، لكن هذه الصورة كانت تحاول خلق خلاف بديل عن الخلاف الاستراتيجي داخل النظام العربي تجاه الاستراتيجية الأميركية قبل احتلال العراق وبعده.

وبات واضحاً أن جملة من النتائج السياسية ستظهر بشكل سريع على المستوى الإقليمي، حيث حملت الحرب الآثار التالية:

١ - **إخفاق التعامل مع الشرق الأوسط** وفق المشاريع المعدة سلفاً، أو وفق نظرية (الفوضى البناءة):

٢ - **عدم قدرة إسرائيل على إدارة الصراع** بنجاح على الرغم من التفوق العسكري والغطاء السياسي الدولي.

**كان واضحاً منذ بداية المعارك** أن إسرائيل لم تحدد بوضوح الأهداف السياسية للحرب، فهي تريد تقديم مبررات وأهداف داخلية، وفي الوقت نفسه تسعى لتنفيذ أهداف إقليمية من خلال قلب المعادلة السياسية في لبنان.

وظهر إرباك سياسي وعسكري في القيادة الإسرائيلية على مستوى إدارة الصراع.

٣ - **ظهور خيارات استراتيجية جديدة:**

أعطى نجاح المقاومة مجالاً لصياغة خيارات استراتيجية إقليمية

وعربية جديدة، فلم تعد مسألة المقاومة عنواناً لمراحل سابقة في تاريخ المنطقة، فمسألة التفوق العسكري الإسرائيلي دخلت ضمن حسابات جديدة، حيث تم كسر عامل الخوف من المجابهة، وتجديد مشروع (المقاومة على مستوى المنطقة)، وفي الوقت نفسه أعطت المقاومة لمسألة السلام بعداً جديداً بعد أن أصبح إرادة دولية فقط.

٤ - **التأسيس لإعادة الحياة** للقرارات الدولية المتعلقة بحل الصراع العربي - الإسرائيلي:

كانت أهم نتائج هذه الحرب أن المجتمع الدولي تنبه إلى أساس مشكلتي السلام والإرهاب وجذورهما، إذ بدأ البحث بشكل جدي في الحلول الجذرية لمشاكل المنطقة، وآليات تطبيق قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالصراع العربي - الإسرائيلي.

٥ - **طبيعة الجبهة الداخلية الإسرائيلية وتآكل قدرة الردع:**

أظهرت نتائج الحرب تأثيرات ضرب الجبهة الداخلية الإسرائيلية على الحرب والسياسية.

وعلى مستوى الردع اعتمدت إسرائيل في مواجهة الدول العربية وحتى الإسلامية على:

- **قدرات إسرائيل النووية والتي تقدر** حسب المصادر المختلفة بما يزيد على /٢٠٠/ رأس نووي.

- **قدرات إسرائيل العسكرية التي تشمل** ترسانة ضخمة من منظومات التسليح الحديثة المؤطرة في قوات مسلحة ضاربة بقواها الثلاث البرية والبحرية والجوية.

- **الاستقواء بالدعم الأميركي السياسي والعسكري غير المحدود.**

وفي هذا السياق، يمكن التوقف عند معطى جديد يتعلق بتغيير النظرية

العسكرية الإسرائيلية لتأخذ بنظر الاعتبار حالة المواجهة أو الحرب بين قوات تقليدية وقوات غير تقليدية.

**٦ - تصاعد الانتقاد للسياسة الأميركية:**

أوضحت حرب تموز أن الصورة الأميركية لايمكن أن يعاد رسمها داخل أذهان مواطني المنطقة بسهولة، فالانتقادات للسياسة الأميركية قد تصاعدت منذ احتلال العراق.

**٧ - انخفاض عدد المهاجرين إلى إسرائيل، وازدياد الهجرة المعاكسة:**

أدت الحرب إلى انخفاض أعداد المهاجرين إلى إسرائيل من دول العالم، وكان لتهديد الجبهة الداخلية وشعور الإسرائيليين بتزايد الخطر على حياتهم أثره في الإحجام عن الهجرة إليها، كما أن الأنباء التي أشارت إلى الأعداد الكبيرة من الإسرائيليين الذين تزاحموا على مكاتب السفارات الأجنبية للحصول على تأشيرات خروج تعتبر مؤشراً على القلق.

# الفصل الثاني

## النتائج والعبر على الصعيد العسكري

كانت تجربة حرب تموز ٢٠٠٦ غنية بالدروس والعبر، فقد أكدت نتائج هذه الحرب أهمية تطبيق مبادىء الحرب المعروفة.

**وفيما يلي سوف نعرض لأهم هذه الدروس والعبر:**

**١ - مبدأ المفاجأة في الحرب:**

**في هذه الحرب أخفقت** إسرائيل في تحقيق المفاجأة في توقيت شن العدوان، وكان ذلك عاملاً أساسياً في إخفاق العدوان. فيما نجح حزب الله في تجنب المفاجأة، وحقق عدداً من المفاجآت في إخفاء حجم قدراته الحقيقية، وطبيعة تكتيكاته، ومستوى معرفته بالعدو.

**وتبقى العبرة في أن تحقيق المفاجأة** الاستراتيجية والتكتيكية، والمفاجأة بنوعية الأسلحة وأساليب القتال سيبقى مبدأ أزلي يجب العمل على تحقيقه بمختلف الوسائل.

**٢ - مبدأ الحشد:**

**على الرغم من أن الظروف العصرية لا تسمح لكل الجيوش بتحقيق حشد مخفي عن أنظار العدو،** بسبب التطور المذهل لمنظومات الاستطلاع الفضائية والجوية والأرضية، إلاّ أنه في الحرب العدوانية الإسرائيلية ضد لبنان،لم تراع القيادة الإسرائيلية هذا المبدأ، ودفعت بقواتها البرية بشكل مجزأ وخجول إلى معارك جزئية كانت نتيجتها العامة فاشلة.

وبناء على ما تقدم يمكن القول إنه لابد من إجراء الحشد وتركيز القوى على محاور أو اتجاهات محددة لتحقيق الاختراق الجدي، ولاسيما في المستوى التكتيكي، مع مراعاة وجود الغطاء الجوي أو فقدانه.

**٣ - مبدأ المناورة:**

**لقد طبق حزب الله** هذا المبدأ على نحو رائع في معاركه ضد القوات الإسرائيلية، فقد تمكن من تدريب قواته على إدارة معركة متحركة أساسها المناورة بالمجموعات الصغرى للقيام بالهجمات على نقاط العدو الحدودية، والإغارة على مجنبات القوات المهاجمة ومؤخراتها، ونصب الكمائن السريعة على طرق التقرب، فضلاً عن المناورة بالأسلحة والنيران.

وبالتالي فإن الحرب أكدت على أهمية تطبيق مبدأ المناورة في جميع المستويات وبمختلف الطرائق.

**٤ - الاستخبارات والسرية:**

**لقد فهم صن تزو منذ حوالي ٢٥٠٠/عاماً** أهمية المعلومات عن العدو لأنها تُعَدُّ نصف الطريق إلى النجاح في الحرب، وفي حرب تموز /٢٠٠٦م/ ظهرت بوضوح أهمية المعلومات عن العدو. فكما يبدو من الوقائع أن حزب الله درس الجيش الإسرائيلي جيداً وتوصل إلى تنبؤات صحيحة حول نقاط القوة والضعف لديه وإلى الأساليب المتبعة في القتال. وبنى على ذلك خططاً وتدابير مناسبة للمواجهة ونجح في إحباط خطط العدوان، وفي الوقت ذاته تمكن حزب الله من المحافظة على السرية حول إمكانياته وطبيعة انتشار قواته وأساليب عملها وأخفاها عن عيون وجواسيس العدو الإسرائيلي. وقد حقق الحزب بذلك إنجازاً مهماً شكل المقدمة لهزيمة الغدو في الميدان وتحقيق النصر.

بينما ظهر على الجانب الإسرائيلي عجز استخباراتي واضح في اختراق منظومة الأمن لدى حزب الله، وفي معرفة حقيقة قوة وتسليح وتدريب وانتشار قوات حزب الله في الجنوب والمناطق الأخرى.

**٥ - مواجهة الحرب اللاتماسية:**

كان من الطبيعي أن تطبق إسرائيل مبادىء الحرب اللاتماسية بسبب سياستها العدوانية، إذ اعتمد الإسرائيليون في السعي لتركيع حزب الله وتدميره على أعمال سلاح الجو في الأيام القليلة الأولى للحرب بما يحسم نتيجة الحرب منذ البداية.

لكن حزب الله واجه الحرب اللاتماسية بطريقة ذكية معاكسة، عن طريق تطبيق أسلوب متطور لحرب العصابات، وتجهيز متقن ومبتكر لمسرح العمليات من الناحية الهندسية.

**وبناء على ما تقدم يمكننا القول:** إن الحرب اللاتماسية ليس قدراً لا يمكن مجابهته، على الرغم من كل ماتحويه من عناصر قوة كبيرة. كما يمكن القول (إن مجابهة الحرب اللاتماسية ممكنة باستخدام أساليب وتدابير مشابهة لما طبق من قبل حزب الله، حيث تتجه الآراء اليوم إلى نظرية الحرب اللامتناظرة في مواجهة الحرب اللاتماسية النظرية التي تعتمد وسائط القتال البسيطة وغير المعقدة وغير التقليدية في آن، مع الإنسان المؤمن والمدرب،الذي يعتمد أسلوباً متطوراً من حرب العصابات. وهذه القضية مطروحة أمام كل القوى والجيوش المعرضة لمواجهات عسكرية مع قوات الدول القوية مثل إسرائيل والولايات المتحدة بشكل خاص. وكعبرة جلية، ستظل القضية مطروحة للمزيد من الدراسة والتطوير لبلورة عقيدة جديدة في مواجهة الحرب اللاتماسية.

**٦ - مدة الحرب:**

**لطالما سعت إسرائيل في حروبها** إلى تطبيق أسلوب الحرب الخاطفة الذي يؤدي إلى هزيمة العدو خلال فترة وجيزة.

**في المقابل يسعى خصوم إسرائيل**، أو يفترض أن يسعوا، لإطالة مدة الحرب والوصول إلى حرب استنزاف طويلة، لإحداث أكبر الخسائر في صفوف القوات.

**في حرب تموز ٢٠٠٦م** بدت الصورة مختلفة نوعاً ما. فقد أعد حزب الله عدته لصراع طويل مع الجيش الإسرائيلي. فيما كانت إسرائيل تدبر لإدارة حرب صاعقة قصيرة الأمد. لكن إخفاق المرحلة الأولى من الحرب والنجاحات التكتيكية التي حققها حزب الله أفسد المخطط وباتت إسرائيل بحاجة لوقت أطول، وهنا لجأت إلى أميركا لمنع المجتمع الدولي من فرض وقف إطلاق النار.

تبقى التوصية الأساسية المترتبة على نتائج الحرب الأخيرة،هي الإعداد والتحضير لخوض حرب طويلة الأمد،والسعي لتحقيق ذلك في مجرى الأعمال القتالية.

٧ - **الحصار**:

**فرضت إسرائيل منذ الأيام الأولى للحرب حصاراً جوياً وبحرياً وبرياً محكماً على لبنان.** بالإضافة إلى تقطيع أوصال القطر اللبناني. والهدف من ذلك معروف ويتلخص في منع أية إمدادات عسكرية وإنسانية لحزب الله بالأفضلية الأولى وللشعب اللبناني ثانياً، ولا يخفى على أحد أن مثل هذا التدبير سوف يستخدم من قبل أي معتد يمتلك القدرة على تنفيذه، مما يحرم البلد المستهدف من أية إمدادات خاصة بالمجهود الحربي أو بإدامة عمل الاقتصاد وتأمين معيشة المواطنين على المدى المنظور أو البعيد.

٨ - **استخدام أنواع القوات المسلحة وصنوفها**:

**أ - استخدام الطيران**:

**يعد سلاح الطيران في الظروف المعاصرة الوساطة الأكثر أهمية** في الجيوش الحديثة، وهو القوة الضاربة الأساسية التي يعول عليها في حل المهام الرئيسية للقوات المسلحة في الحرب اللاتماسية التي أضحت موضة العصر.

وتملك إسرائيل سلاحاً جوياً ضخماً ومتطوراً متخماً بأحدث الطائرات الأميركية.

وكما في بقية الدول الكبرى،اعتمدت، وتعتمد إسرائيل على سلاح الطيران في حروبها اعتماداً كلياً.

**لكن الرهان المبالغ فيه على دور سلاح الطيران لم يكن في محله.** ففي تموز ٢٠٠٦م أسندت لسلاح الطيران مهمة إنجاز تدمير قدرة حزب الله القتالية بنسبة عالية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن سلاح الطيران الإسرائيلي قد حقق السيطرة الجوية فوق الأراضي والسواحل اللبنانية منذ بداية الحرب،وذلك لأن لبنان لا يمتلك وسائط دفاع جوي جدية. ونفذت الطائرات حوالي /١٥٥٠٠ / طلعة جوية في حوالي /٧٠٠٠/ هدف في لبنان ليلاً نهاراً دون عائق. واستطاع بذلك تدمير كل الأهداف المعروفة والمستطلعة سابقاً.

لكنه لم يستطع إنجاز المهمة الرئيسية وهي تدمير القدرة القتالية لقوات حزب الله بنسبة كافية لحسم مصير الحرب. وربما يعزى ذلك إلى عجز الاستخبارات الإسرائيلية عن تحديد المواقع الحقيقية لقيادات حزب الله ومرابض صواريخه ووسائطه النارية عموماً، إضافة إلى مواقع القوات المدافعة في الجنوب اللبناني. كما أن معظم الإنزالات الجوية الإسرائيلية باءت بالفشل.

لكن هذا لا يعني الاستهانة بالطيران المتفوق، بل سيبقى للطيران الدور الأساسي في الحروب القادمة، وسيزداد اهتمام الدول في دعمه وتقويته. لكن العبرة هي أن هذه الحرب أثبتت إمكانية مجابهة أعمال الطيران وتحييد تأثيره باتخاذ التدابير المناسبة من تأمين دفاع جوي فعال، وتجهيز تحصيني قوي، وإجراءات تمويه وتضليل لوسائط الاستطلاع المعادية.

**ب - استخدام الصواريخ:**

**تبين مجريات الصراع أن الصواريخ** تكرست كوساطة قتالية رئيسية في الميدان منذ حرب تشرين التحريرية، حيث فاجأت الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات على الجبهة السورية والمصرية الثنائي الإسرائيلي طائرة - دبابة، وأوقعت فيها خسائر كبيرة.

**وأكدت الحرب السادسة على حقيقة أن الصاروخ أصبح الوسيلة الأساسية** في التأثير حتى على البنى التحتية. فقد فاجأت صواريخ حزب الله العدو الإسرائيلي على البر وفي البحر والجو.

**لقد شكلت الصواريخ الخاصة بحزب الله مشكلة مزمنة لإسرائيل،** لأنها كانت تسعى دوماً للقضاء عليها أو إبعاد تهديدها، فيما كانت الصواريخ هي مفتاح النجاح لحزب الله.

تشير الاحصائيات إلى إن حزب الله أطلق نحو /٤٠٠٠/ صاروخ من العيارات المختلفة إبان حرب (الوعد الصادق).

**لقد أكدت الحرب على أهمية الصواريخ في التأثير الناري على الأهداف.** وينتظر أن تزداد أهميتها، في الوقت الذي يستمر فيه تطوير جميع أنواع الصواريخ باتجاه زيادة قدرتها التدميرية، وباتجاه زيادة المدى ودقة الإصابة. وسيسعى كل طرف إلى زيادة مخزوناته من هذه الوساطة النوعية الفريدة.

**ج - أسلحة الدقة العالية:**

أيدت مجريات الحرب النزعة المتزايدة لدى الجيوش المتقدمة في امتلاك أسلحة (مقذوفات) الدقة العالية واستخدامها في الحروب. فقد بلغت نسبة المقذوفات ذات الدقة العالية المستخدمة من قبل الطيران الإسرائيلي مستوىً عالياً يزيد على (٧٥%) من إجمالي القذائف المستخدمة. كذلك زادت المقذوفات الذكية في سلاح المدفعية. وبسبب فعالية هذه المقذوفات وتأثيرها التدميري على مختلف الأهداف نتيجة إصابتها بدقة بمقذوف واحد، فإن النزعة في امتلاك المزيد من هذه المقذوفات سوف تستمر. ولاسيما أن التطوير والتحديث لهذه الوسائط ستمر بوتائر عالية. والعبرة هنا في اتخاذ الإجراءات المناسبة لتحييدها والوقاية منها بمختلف الوسائل والأساليب.

**د - استخدام القوى البحرية:**

لم يكن لدى حزب الله أو الجيش اللبناني قوى بحرية،وبالتالي كانت مهمة القوى البحرية الإسرائيلية سهلة،وتمثلت المهام **المسندة إلى القوى البحرية الإسرائيلية في:**

- **فرض حصار بحري** على الشواطئ اللبنانية لمنع الإمداد بالسلاح والتموين لحزب الله.

- **ضرب الموانئ اللبنانية.**

- **الأهداف المتاخمة للشاطئ.**

- **الإسهام عند الضرورة في تأمين الإنزال الساحلي.**

**وقد نفذت هذه المهام بنجاح عن طريق السفن الصاروخية من طراز ساعر /٤,٥/ وساعر /٥/** الحديثة المزودة بالوسائط الإلكترونية للدفاع الجوي وضد الصواريخ.

**إلا أن هذه القوى أصيبت بصدمة**،إذ فوجئت بامتلاك حزب الله لصواريخ أرض بحر متطورة. واستطاع حزب الله تدمير وإصابة سفينتين صاروخيتين من طراز ساعر /٥ر٤/ وساعر /٥/ إضافة إلى زورق دورية سوبر دفورا، مما أربك سلاح البحرية وجعله ينفذ مهامه من مسافات أبعد عن الشاطئ اللبناني تصل إلى /٤٠/كم.

**هـــ - استخدام القوات البرية:**

**تم استخدام قوات فرقة الجليل (الفرقة /٩١) المنتشرة على الحدود اللبنانية للبدء بأعمال قتالية محدودة**، وربما للقيام باستطلاع قتالي على بضعة محاور، فيما كان الطيران ينفذ المهمة الأساسية. واعتمدت الأركان الإسرائيلية في الوقت ذاته على تعزيز الجبهة، عن طريق استدعاء وتجميع قوات النخبة العاملة التي تضم وحدات من: لواء جولاني، فرقة المظلات،

لواء جفعاتي، لواء الناحال /٩٣٣/، وحدات مدفعية + وحدات دبابات من اللواء السابع العاملة في الجولان. وذلك تمهيداً لزجها في المعركة. كما تم استدعاء وحدات مدفعية ودبابات من الفرقة /١٦٢/.

**وكما أسلفنا بدأت المعارك البرية باستطلاعات قتالية غير ناجحة.** ثم بدأ زج مجموعات قتالية مختلطة القوام بحسب حالة وطبيعة الأهداف، تضم وحدات المشاة، المظليين،القوات الخاصة، الدبابات، المهندسين. وكان الزج يتم بالتتابع على عدد من المحاور. كما لم تحزم القيادة أمرها لتأمر بشن هجوم واسع بقوى كبيرة، مما يعبر عن الارتباك والخوف من الخسائر والخشية من النتائج القاسية.

واتخذت الأركان الإسرائيلية قرار توسيع العدوان البري قبيل نهاية الحرب، وكان ذلك قراراً متأخراً.

وعلى هذا النحو استطاع حزب الله توجيه ضربة مؤلمة لمعظم خطط وهجمات القوات البرية.

**ويمكن توصيف استخدام القوات البرية بأنه كان مجزءاً ومرتبكاً**، لم تزج فيه قوى كبيرة على اتجاه (اتجاهات) رئيسي لحسم المعركة، وإنجاز احتلال قطاعات هامة تصل إلى نهر الليطاني وتدمر قوى حزب الله المدافعة، ويعتبر ذلك مخالفة لمبدأ حشد القوى وتركيز الجهود الرئيسية على اتجاهات محددة.

**وـ استخدام سلاح الهندسة:**

**برزت في هذه الحرب أهمية سلاح الهندسة** سواء في مرحلة الإعداد للحرب أم في مجرى الأعمال القتالية. وقد سبق أن أشرنا إلى الأهمية الكبيرة لتجهيز مسرح الأعمال القتالية من الناحية الهندسية وتحويله إلى شبكة من النقاط المحصنة والملاجئ والأنفاق مع تدابير الإخفاء والتمويه والتضليل استعداداً للمواجهة القادمة.

**أما في مجرى الأعمال القتالية** فقد برز دور الملاغم القوية التي جهزها حزب الله، سواء منها الثابتة أم الآنية التي استخدمت لتدمير الدبابات والمعدات الهندسية والآليات وكذلك للتأثير على الأشخاص.

**ز ــ استخدام قوات الاحتياط:**

**من المعروف أن الجيش الإسرائيلي يعتمد في حروبه على تعبئة قوات الاحتياط وزجها في الحرب.** إذ يحتفظ في الأوقات العادية بنسبة (٣٠%) من قوامه على شكل قوات نظامية وخصوصاً في القوات البرية.

**وجرت دعوة الاحتياط بشكل متسلسل ومجزأ** وبعد تأخير ونقاش طويل. حيث جرى الإعلان عن تعبئة ودعوة ثلاث كتائب احتياطية بعد بدء الحرب، وبعد نقاش طويل في الكنيست حول احتمال قيام سورية بمبادرة عسكرية باتجاه منطقة الجولان.

**ونعتقد أن هذه الصورة ستتغيرمستقبلاً.** إذ تقوم الأركان الإسرائيلية بدراسة زيادة أيام تدريب الاحتياطيين والوحدات الاحتياطية لرفع مستواها، مع الإشارة إلى أنه اتخذ قرار في إسرائيل بزيادة مدة التدريب السنوية للاحتياطيين لتكون (من ٢٨ - ٣٢ يوماً).

**ح - استخدام الإنزالات الجوية:**

وكما هو متوقع فقد نفذت القوات الإسرائيلية في مجرى الحرب ما يفوق عشرة إنزالات جوية معظمها نفذ ليلاً. حيث نفذ إنزالان بمستوى الكتيبة و/٣ - ٥/ إنزالات بمستوى حتى السرية، وباقي الإنزالات بمستوى فصيلة أو مجموعة مهام خاصة. لكن غالبية هذه **الإنزالات عجزت عن تحقيق أهدافها بفعل عوامل عدة وهي:**

**عدم دقة وصحة المعلومات التي استند إليها للقيام بالإنزال.**

**اكتشاف هدف الإنزال من قبل حزب الله، والتصدي السريع والبطولي لقوات الإنزال وإجبارها على الانكفاء بعد إيقاع الخسائر بها.**

**نشر المقاومة لقوى ومجموعات مقاومة الإنزال في المناطق المحتملة للإنزالات الجوية.**

وفي رأينا، كعبرة مما جرى، إن تنفيذ الإنزالات الجوية في أية حرب قادمة سيكون عنصراً أساسياً في الأعمال القتالية، ولا بد من الانتباه إلى تحضير كل الإجراءات والتدابير لمواجهتها وإفشالها والقضاء عليها.

**٩ــ التجهيز الهندسي لمسرح العمليات، وإعداد أراضي الدولة للدفاع:**

لم يعد سراً أن حزب الله حول الجنوب اللبناني بشكل خاص إلى شبكة من المواقع الدفاعية الحصينة المجهزة بالمنشآت التحصينية القوية والأنفاق والمخابئ التي تؤمن إخفاء وحماية الوسائط النارية والأفراد عن أنظار العدو وقذائفه المتنوعة، كما تؤمن المناورة واستخدام مختلف أنواع الأسلحة والصواريخ بشكل فعال ضد تقدم القوات البرية. وتأمين الصمود لفترة طويلة.

**١٠ــ تكريس أهمية المشاة وتراجع أهمية الدبابات:**

أصبحت الجيوش تمتلك مقذوفات صاروخية موجهة بالغة الدقة والفعالية. وأصبحت هذه المقذوفات تطلق من عربات القتال أو من قبل الأفراد أو من الطائرات والحوامات القتالية، وحتى من الطائرات دون طيار، وإذا أضفنا إلى ذلك الحشوات المتفجرة الموجهة المزروعة في باطن الأرض أو فوقها (الألغام المتنوعة المضادة للدبابات) وعلى جوانب الطرقات، فإن الدبابة في الميدان أصبحت في خطر داهم. وصار من السهل اصطيادها وتدميرها من قبل أعدائها الكثر.

جاءت الحرب السادسة لتؤكد على هذه المقولة، إذ استطاع حزب الله تدمير الدبابات مركافا - ٤ وغيرها على نطاق واسع بوساطة الصواريخ المضادة للدبابات والعبوات.

كذلك أكدت مجريات حرب تموز على أهمية المشاة في الحرب، لاسيما في التصدي للعدوان وللقوات المدرعة المهاجمة بشكل خاص. كما أن

إسرائيل اعتمدت على المشاة والقوات الخاصة والمظليين في معظم عملياتها.

في رأينا، إن أهمية المشاة سوف تتزايد، مع مزيد من تطوير بنيتها التنظيمية وتسليحها بالوسائط النارية وأجهزة الرؤية الليلية، وتأمين وسائط نقلها إلى الميدان.

**١١ـــ استراتيجية وتكتيك قوات المقاومة:**

اعتمدت المقاومة استراتيجية وتكتيكات فريدة في القتال، مبنية على المقومات التالية:

**أ - التنبؤ الصحيح بطبيعة الحرب القادمة، وطرائق القتال عند العدو، وامتلاك معلومات ضخمة عن أوضاعه الداخلية.**

**ب - التجهيز الهندسي المتقن لمسرح العمليات الذي يمكن من الاختفاء والحماية والمناورة.**

**ج - تحييد استطلاع (مخابرات) العدو، والمحافظة على سرية أعمال ونوايا الحزب.**

**د - حسن انتقاء السلاح المناسب لتدمير الهدف في الميدان.**

**هـــ - مفاجأة العدو بنوعية الأسلحة، وأساليب القتال.**

**و - مستوى إعداد رفيع للمقاتلين (معنوي ومهني).**

**ز - اعتماد مبدأ القتال المرن والمتحرك، مع مبدأ الاكتفاء الذاتي لكل نقطة من الجوانب كافة.**

**ح - اعتماد مبدأ الحركة النشطة الدائمة وعدم إخلاء ميدان المعركة مما يؤمن عدم استقرار العدو واستمرار القتال مع العدو المخترق، وفرض مفهوم إنشاء مناطق اشتباك متواصل بدلاً من مفهوم الأرض المحتلة.**

**ط - استخدام أنماط عمل تكتيكية فعالة ومتنوعة مثل:**

**- السد الواقف، والضرب على المؤخرة.**

**- الوعاء الحاضن ثم المدمر.**

**- الكمائن بأنواعها، البسيطة، والمعقدة والمتتالية.**

**- الاستدراج إلى مناطق قتل.**

**- الإغارات البسيطة والمركبة.**

**- الأفخاخ والملاغم ذات القدرة التدميرية العالية.**

**- تأمين خطوط التزويد والإخلاء وعوامل القدرة على الصمود.**

**ي - استخدام ناجح للصواريخ متوسطة المدى للتأثير على الجبهة الداخلية الإسرائيلية.**

**ك - منظومة قيادة واتصال مدهشة للقوات، أمنت استمرار القيادة دون اختراق أو انقطاع طيلة فترة الحرب.**

**ل - قيادة عليا حكيمة وواعية وصادقة تمثل القدوة في الشجاعة والصدق في المستويات كافة.**

**م - مستوى عال من الانضباط الطوعي، وعلاقة وثيقة وتلاحم مصيري مع السكان.**

**ن - إعلام واقعي صادق، مع حرب نفسية مضادة.**

العبرة من نجاح الأساليب المطبقة في حرب تموز على الرغم من أنها حرب محدودة ولها ظروفها الخاصة، هو أن هذه الأساليب أثبتت نجاعتها في المواجهة ويمكن الإفادة منها في المواجهة مع إسرائيل.

## التنبؤ بطبيعة الحرب القادمة:

وتتجلى العبرة في تكريس أهمية التنبؤ بطبيعة الحرب القادمة، ونقول التنبؤ الصحيح وليس العشوائي أو الخاطئ. إن مجرد الاعتماد على تحديد طبيعة الحرب الأخيرة والاطمئنان إلى الإجراءات المتخذة على أساس ذلك،

يعتبر خطأً فادحاً. لأن المعتدي سوف يدرس ويحلل التجربة، وبالتالي سوف يطور أساليبه وخططه متلافياً الثغرات والسلبيات التي ظهرت في استخدام القوات المسلحة في الحرب، وكذلك الإيجابيات التي حققها حزب الله. وبالتالي فإننا سنواجه على الأغلب في المواجهة المحتملة القادمة طبيعة جديدة مطورة للحرب وأساليب القتال. مما يؤكد مقولة (صن تزو) المنظر العسكري الصيني «عقب كل حرب نحن لا نكرر التكتيكات ذاتها، إننا نبدلها باستمرار لتلائم الظروف المتبدلة ».

**والمطلوب هو متابعة جمع المعلومات عن التطورات في معسكر الأعداء وتحليلها للتوصل إلى التنبؤ الصحيح حول طبيعة الحرب القادمة وأساليب استخدام القوات المسلحة فيها، ومن ثم إيجاد الظروف الموضوعية واتخاذ التدابير الكفيلة بمواجهتها بنجاح.**

أما المشاريع الأمريكية القديمة والجديدة فكانت تتركز حول مسائل أساسية متصلة بأطماع الإدارات الأمريكية المتعاقبة ومصالحها التي تتمحور حول المحاور التالية:

- بسط النفوذ والهيمنة على المنطقة.

- السيطرة على النفط وتأمين استمرار تدفقه إلى الدول الغربية خاصةً، والتحكم بأسعاره لخدمة السياسات الاقتصادية الأمريكية.

- تأمين الدعم المطلق لإسرائيل وتفوقها على جيرانها العرب بما يحافظ على أمنها.

أما المشروع الأمريكي الآن فهو يغوص في المستنقع العراقي ويتعثر في جبال أفغانستان، ويتلقى ضربة مشتركة مع إسرائيل في لبنان ويواجه ممانعه في الأراضي الفلسطينية. ويمكن للمراقب أن يشخص واقع المنطقة والتدخلات العسكرية والسياسية فيها والتي أنتجت قوساً من بؤر التوتر والنزاع تتورط فيها أميركا مباشرة أو بالوساطة، يبدأ من أفغانستان مروراً

بإيران والعراق وسورية ولبنان وفلسطين والسودان وانتهاءً بالصومال. وهي في كل هذه الدول تسعى إلى:

**- تقسيم الدول إلى دويلات مثل العراق والدول الأخرى المرشحة لذلك حسب القائمة الأمريكية.**

**- الدفع باتجاه إشعال الفتن المذهبية والعرقية.**

**- القضاء على نهج المقاومة أينما وجد.**

واللافت أن المستهدف في قوس الأزمات هذا دول إسلامية فقط، وأن آليات تنفيذ السياسة الأمريكية هي الضغط والحصار والعقوبات وشن الحرب عند الضرورة عبر مجلس الأمن"الأميركي" أو حتى بدونه.

فهل يمكن أن تتطور السياسة الأميركية على نحو منطقي..؟

**- إنّ الإدارة الأميركية أمام ثلاثة خيارات هي:**

**الخيار الأول:** الاستمرار في السياسة القائمة.

**الخيار الثاني:** الأخذ بالحسبان لنتائج السياسة القائمة والحقائق والتخلي عن الأوهام والعمل على تعديل السياسات باتجاه واقعي يفرضه المنطق، وتبني مقترحات لجنة "بيكر - هاملتون".

**الخيار الثالث:** محاولة التمسك بالسياسات القائمة مع تعديلات طفيفة تؤخذ من مقترحات لجنة " بيكر - هاملتون".

**ماذا عن السياسة الإسرائيلية؟؟**

تعاني إسرائيل كمؤسسة سياسية عسكرية من تداعيات الهزيمة التي منيت بها في الحرب. فقد طاول التصدع وفقدان الثقة والنقد أداء كل من الحكومة والمؤسسة العسكرية لجهة الإدارة غير الناجعة للحرب.

**باختصار، فإن المؤسسة العسكرية والسياسية في حالة إرباك وتأزم ولا تتمتع بثقة المجتمع الإسرائيلي،** وتبحث في أساليب الخروج من هذا

الوضع بالسعي لاستعادة قدرة الردع المتصدعة، لو ناقشنا احتمالات المواجهة العسكرية لوجدنا أن أية حرب ضد حزب الله أو سورية ستوكل إلى إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة، والموعد المتوقع حسب المراقبين والمحللين هو صيف عام /٢٠٠٧/. إن حرباً ضد سورية أو حزب الله أو كليهما ليست بالأمر السهل، كما أنها معرضة للتوسع، واحتمال انخراط إيران فيها مفتوح، وبالتالي فإن حرباً كهذه قد تتحول إلى حرب إقليمية واسعة النطاق تطال الجميع أما الحرب ضد إيران فستتولاها أميركا ومن ورائها إسرائيل على الرغم من أن نتائجها العسكرية غير مضمونة. إذ لا يمكن في النتيجة احتلال إيران عسكرياً، ونعتقد أنه من غير المرجح منطقياً شن حرب كبيرة في المنطقة خلال عام /٢٠٠٧م/. ويبقى احتمال توجيه ضربات جوية ضد بعض الأهداف سواء في لبنان أم في سورية أم في إيران وارداً، لكنه يحتاج أيضاً إلى حسابات دقيقة وظروف محددة حول طبيعة رد الدول التي تتعرض للضربات والذي قد يصل بنتيجة الضربات المتبادلة إلى درجة تتطور معها الأحداث باتجاه نزاع مسلح كبير تنزلق فيه الأطراف إلى حرب. لا نريد هنا الاسترسال في بحث مواقف الدول العربية والإسلامية والأجنبية، فمعظمها سيتأثر بسياسة الولايات المتحدة سواء بمسايرتها أم بالاعتراض الخجول على سياستها، ناهيك عن التوافق معها من قبل الدول السائرة في فلك أميركا. ولا بد من الإشارة إلى احتمال تطور الموقف الأوروبي نحو بعض التميز عن أميركا بعد رحيل طوني بلير وجاك شيراك في ربيع العام /٢٠٠٧م/.

**لقد تميزت الحرب السادسة بما يلي:**

١ - وصول القوة العسكرية الإسرائيلية لذروة التفوق.

٢ - أن واقع الصراع كما ظهر خلال المعارك يعود بالدرجة الأولى لطبيعة التوازن الجديد الذي أوجدته المقاومة.

٣ - بالطبع سيبقى الجيش الكلاسيكي موجوداً داخل معادلة الصراع مع

إسرائيل، لكن العامل الإضافي هنا متعلق بمقاييس التفوق العسكري، التي تبقى قدرتها على فرض الإرادة السياسية خاضعة للقراءة والتأمل.

٤ - كانت المقاومة مجردة من أي غطاء سياسي، فباستثناء سورية وإيران بقيت الحرب في أيامها الأولى تشهد في أحسن الأحوال صمتاً دولياً وعربياً.

٥ - في الحرب السادسة استخدمت إسرائيل في الأيام الأولى الأسلوب العسكري السائد في عدم التماس، أو الحرب اللاتماسية، على نمط الحرب ضد يوغسلافيا أو أفغانستان،، مستخدمة الضربات الجوية والصاروخية والحصار على لبنان وتجاهلت عاملين أساسيين هما:

**الأول: أن الهدف من هذه الحرب ليس إسقاط نظام سياسي أو تدمير بنية جيش أو دولة، بل إسقاط مجتمع، فكانت النتيجة معاكسة تماماً لما أرادته.**

**الثاني: أنه باعتبارها دولة متاخمة للبنان، فهي قد لا تستطيع حماية أراضيها من الضربات الصاروخية. وهذا الأمر يضع حدوداً لنوعية الحروب القادرة على تحقيق أهداف سياسية في المنطقة.**

# الفصل الثالث

## ماهية إسرائيل ومعناها

**يعتقد عددٌ من المفكرين والسياسيين والمثقفين في الوطن العربي وفي خارجه أن إسرائيل والحركة الصهيونية تتحكمان بسياسة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية.**

ويحشدون للتدليل على ذلك إحصاءات ووقائع تدلل على قوة اللوبي الصهيوني وفاعليته في حمل دول الغرب وأمريكا على السلوك وفق مشيئة المصالح الإسرائيلية، واتخاذ القرارات الداعمة لإسرائيل في حربها مع العرب. ولأن الوقائع تساعدهم على تأكيد فرضيتهم من حيث حضور الدعم المطلق لإسرائيل اقتصادياً وعسكرياً ومعنوياً وسياسياً فإنهم يخالفون أي رأي آخر لا ينظر إلى المسألة من زاوية رؤيتهم هذه.

**المشكلة في اعتقاد كهذا، أنه يعطي لإسرائيل ووجودها معنى لا يتفق مع معناها الحقيقي كما نرى ونعتقد.**

والحق أن العودة إلى معنى « إسرائيل » في هذا الظرف بالذات حيث آلة التدمير الصهيونية تمارس أحط أشكال الممارسات الهمجية ضد البشر ليس أمراً من قبيل التحليل الأكاديمي. بل هو ضرورة لتحديد نوعية السلوك السياسي والعسكري المقاوم تجاه إسرائيل وأمريكا معاً.

لنعد إلى السؤال: ما معنى « إسرائيل » ؟ نقصد بمعنى إسرائيل حقيقة وجودها ومبرره ووظيفته.

تقوم فرضيتنا على خلاف الفرضية الآنفة الذكر والتي تقول بتحكم إسرائيل بالسياسة الغربية والأمريكية، إذ إن إسرائيل وجود بغيره وأداة من أدوات الفعل الأوروبي الأمريكي في المنطقة، وجميع قرارات إسرائيل الكبرى في الحرب والسلم خضعت لمنطق تبعية إسرائيل للغرب وأمريكا وخدمتهما ومازالت تخضع لذلك، **لندلل على هذه الفرضية بما يلي:**

**أولاً: إن وجود إسرائيل هو ثمرة عداء الغرب لليهود والعرب معاً واستغلالهم في خدمة مشاريعهم الاستعمارية.**

أي إن إسرائيل هي ثمرة العماء الأيديولوجي الصهيوني وغبائه والخبث الأمريكي الأوروبي ولا إنسانيته.

فمن المعروف أن الحركة الصهيونية ظاهرة أوروبية صرفة نشأت مع نشوء الإمبريالية وتوجهها نحو استعمار الشعوب الآسيوية والأفريقية.

ولقد التقطت الدول الإمبريالية وبخاصة بريطانيا وفرنسا الأيديولوجيا الصهيونية وأهدافها في فلسطين وأهميتها في السيطرة على المشرق العربي.

**فبريطانيا تعرف معرفة اليقين أمرين اثنين:**

آ – **إن قيام دولة يهودية غريبة** في قلب العرب سيؤدي حتماً إلى صراع دائم بين السكان الأصليين، أي بين العرب وهذا الكيان، وسيدفع الطرفان ثمناً باهظاً في هذا الصراع لأن القبول بجسم غريب لا ينتمي إلى المنطقة أمر مستحيل.

**ب – إن بريطانيا تعلم جيداً أن وجود إسرائيل سيكون رهناً بحماية الدول الغربية.** ولا يمكن لقوى إسرائيل الذاتية مهما عظمت أن تستمر في مواجهة العرب وحدها. ولهذا فإن إسرائيل المدينة في وجودها للغرب ستظل حاضرة لتنفيذ ما يطلب منها، وهذا هو الهدف الرئيس لوجودها بريطانياً.

**هذه حقيقة يجب أن لا تغرب عن البال** ونحن نذكر بمعنى وجود إسرائيل وهي الحقيقة المستمرة حتى الآن.

**ثانياً: أنجزت إسرائيل بعد قيامها مهمتين:**

**الأولى:** مع فرنسا وبريطانيا باشتراكها في العدوان على مصر مع بريطانيا وفرنسا العام ١٩٥٦م.

**الثانية:** لصالح أمريكا في شن حرب ١٩٦٧م على كل من مصر وسورية والأردن والتي كانت تهدف لفرض نمط جديد من الواقع العربي الضعيف في المشرق والذي كان يتميز بالحيوية في ظل وجود عبد الناصر بوصفه قائداً عربياً قومياً على مستوى العرب.

**لا شك في أن لإسرائيل فيما ذهبت إليه سواء في اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر أم في شنها حرب حزيران ١٩٦٧م.** أهدافاً خاصة أيضاً. لكن الأهداف الخاصة كانت جزءاً لا يتجزأ من أهداف غربية عام ١٩٥٦م وأمريكية عام ١٩٦٧م. فالأهداف الفرنسية والبريطانية في عدوان ١٩٥٦م جاءت بعد تأميم عبد الناصر قناة السويس وضرورة وضع حد لهذا النمط من القادة الوطنيين غير المعتادين عليه والذين ينالون من مصالح استعمارية عمرها أكثر من قرن من الزمان.

**وحرب ١٩٦٧م هي حرب إسرائيلية بالوكالة أيضاً.** لكن إسرائيل أرادت أن تجني في اشتراكها عام ١٩٥٦م ثمار توسعها وقهر مصر. وفي ١٩٦٧م أرادت وأد حركة المقاومة في مهدها وإضعاف خطرين مجاورين لها واحتلال ما تبقى من فلسطين.

**وهكذا فإن إسرائيل قد أُخرجت من غزة وسيناء عام ١٩٥٦م لأن وجودها قد تناقض مع مصالح قوتين عظميين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، والسبب الأساس هو مقاومة الشعب المصري وجيشه، وكذلك أخرجت إسرائيل من سيناء والجولان المحتلتين عام**

**١٩٦٧م بفعل حرب تشرين، كذلك فقد طردت المقاومة الوطنية اللبنانية إسرائيل من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م، وهكذا يُطرد العدو وتتحرر الأرض عندما نمتلك قوة الحق وحق القوة.**

**وهذا يعني**: أن هناك مصالح وأهدافاً أوروبية وأمريكية في المنطقة تتكلف إسرائيل بإنجازها بوصفها دولة وظيفية، وهذا يتطلب دعم إسرائيل إلى الحد الذي تتفوق به عسكرياً على جميع دول العرب.

**كما أن هناك مصالح إسرائيلية** خاصة لا تنجز إلا إذا جرت الموافقة الأمريكية على تحقيقها، وبما لا يضر المصالح الأمريكية.

**كما أن هناك مصالح مشتركة أمريكية إسرائيلية معاً**، وتعمل أمريكا وإسرائيل معاً لإنجازها عبر القوى العسكرية الإسرائيلية والحماية السياسية الدولية الأمريكية.

وفي إطار هذا الوعي الأخير بالمصالح المشتركة الأمريكية الإسرائيلية نضع حرب إسرائيل ضد لبنان الآن.

السؤال الأمريكي الأساسي الآن:

كيف له أن يستكمل أمركة الشرق العربي بعد احتلاله للعراق، ونقصد بالأمركة تحويل المنطقة كلها إلى منطقة نفوذ مستقرة، ومنطقة النفوذ المستقرة تعني فيه أمريكا ما هو آت:

**أولاً**: السيطرة على النفط من دون وجود أية عدائية واستمرار تدفقه وبأسعار تحددها مصالح الولايات المتحدة والغرب عموماً.

**ثانياً**: ضمان أمن إسرائيل وقوتها ورخائها.

**ثالثاً: تقوية علاقة صداقة مع الدول العربية، ولكلمة صداقة هنا معنى أمريكي تعني بقاموسنا التبعية، ونموذجها العلاقة بين أمريكا ومصر والسعودية والمغرب والأردن.**

**رابعاً: الوقوف ضد أية حركات راديكالية قومية عربية أو إسلامية في المنطقة.**

ما علاقة تلك المصالح الأمريكية بالحرب الإسرائيلية على لبنان ؟

**إن لبنان من حيث المبدأ ليس له قيمة إستراتيجية بالنسبة إلى أمريكا.** كما أنه لضعفه ومحدودية إمكانياته المادية والبشرية ليس له دور كبير يقوم به لصالح الولايات المتحدة. فضلاً على ذلك فإن نظامه السياسي الطائفي نظام أمثل لأمريكا والغرب حيث تسعى الطوائف في وضعها السياسي لسند خارجي دائماً. لكن هذا النظام يضعف إلى حد كبير سلطة « الدولة ». وضعف لبنان هذا يجعله دائماً منطقة نفوذ خارجي غربي أمريكي ومنطقة نفوذ عربي سوري سعودي بشكل خاص.(*)

**إن الذي أعطى لبنان قيمة هو تحويله إلى مكان للصراع مع إسرائيل.**

فبسبب ضعف سلطة الدولة في لبنان وجدت المقاومة الفلسطينية فيه بعد مجازر أيلول أرضاً لفعلها السياسي والعسكري ضد إسرائيل مؤيدة من قوى وطنية لبنانية.

ولم تستطيع الحرب الأهلية التي امتدت لعقد ونيف أن تنهي الوجود الفلسطيني المسلح من لبنان.

**إن أمريكا الحريصة على أمن إسرائيل ورخائها وجدت نفسها في الموقف الإسرائيلي نفسه الحريص هو الآخر** بالضرورة على « أمنه » فكانت حرب ١٩٨٢م التي شنتها إسرائيل بمباركة أمريكية وتأييد كبير، فضلاً على تلاقي المصالح الأمريكية الإسرائيلية مع المارونية السياسية آنذاك والتي وصفت بالقوى الانعزالية: القوات والكتائب الأحرار.

---

(*) مازن يوسف الصباغ، العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦م، دمشق، دار مي، عام ٢٠٠٦م، ص٥٤٢

وإذ نجحت الحرب الإسرائيلية ضد لبنان في طرد المقاومة الفلسطينية العام ١٩٨٢م فإن ما لا يحسب حسابه هو ظهور قوى لبنانية مقاومة ذات تأييد لبناني كبير، قوي عبرت عنها في البداية المقاومة الوطنية شيوعيون، سوريون قوميون، بعثيون، ناصريون... إلخ.

**إن هذه المقاومة اللبنانية** إذ استطاعت أن تهزم إسرائيل وتحملها على الانسحاب من جنوب لبنان من دون مباحثات ومن دون تنازلات لبنانية، فإنها فرضت نفسها على الواقع اللبناني كقوة أساسية وحيدة التسلح، حيث ليس باستطاعة أية قوة سياسية لبنانية أن تتجاهل قوة هذه المقاومة وهذه الحرب وفاعليتهما.

**لكن القوى المقاومة** وحزب الله حليف الشام يُفشل استكمال الهيمنه الأمريكية على لبنان وسلاحه الذي طرح لأول مرة على طاولة الحوار ليس هناك من قوة لبنانية قادرة على نزعة أو قوة عربية أو قوة أمريكية مباشرة **إذاً لا بد من تكليف الدولة الوظيفية (إسرائيل) وهكذا كان، وبالمقابل فإن إسرائيل وجدت نفسها في وضع لا مثيل له من حيث الوضع العالمي والعربي واللبناني للتخلص من مقاومة حزب الله.**

**فأمريكا والغرب، فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص، وإسرائيل وبعض العرب وبعض اللبنانيين يريدون نزع سلاح حزب الله. فكان الاعتقاد أن القوة الوحيدة القادرة على فعل ذلك هي إسرائيل.**

**وهكذا شنت إسرائيل الحرب على لبنان** (بالأصالة عن نفسها وبالوكالة عن غيرها)، بالوكالة عن كل القوى ذات المصلحة بنزع سلاح المقاومة. ولكن بأمر وتكليف أمريكيين وأمريكا وحدها القادرة على أمر إسرائيل وتكليفها بإنجاز المهمات الأمريكية بل وذات الطابع الأمريكي الصرف.

# مصادر الموسوعة

١ - القرآن الكريم.

## المصادر العربية

## (المخطوطات)


٢ - ابن الجيعان، شرف الدين يحيى: القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، مخطوط موجود في المعهد الفرنسي في القاهرة ص ١٠ من المخطوط.

٣ - ابن دقماق، إبراهيم بن محمد الأميري: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢.

٤ - ابن سيد الناس: (محمد بن أبي بكر اليعمري)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم /١٧٥/+ مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٧م.

٥ - ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ الدول والملوك، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، مخطوط مصوّر من خزانة فيينا ١٣٤٣هـ.

٦ - ابن محزمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، مخطوط مصوّر بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧.

٧ - ابن منكلي: الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل فروسية تيمورية، دورية ٢٣.

٨ - أبو إسحق الصاي: (رسائل أبي إسحق).

٩ - البخاري: بداية الرامي إلى الأغراض والمرامي، مخطوط مصوّر في الجامعة العربية نقلاً عن خط المؤلف، ١٩٥٦.

١٠ - الحسن العباس: (الحسن بن عبد الله بن محمد)، آثار الأول في تدبير الدول، المتحف العسكري في القاهرة، مخطوط رقم /٣٨٣/+ مطبوع على هامش تاريخ السيوطي، مصر ١٨٨٧م.

١١ - الحنبلي، إبراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، مخطوط مصور عن مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٤٢.

١٢ - الذهبي، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٦.

١٣ - السرخسي، أبو محمد بن أبي سهل: شرح السير الكبير، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ١٥ فقه حنفي.

١٤ - السنجاري: هداية الرامي على الأغراض والمرامي، مخطوط مصور في الجامعة العربية / فلم ١٠٥٦/.

١٥ - الطرابلسي: تحفة المجاهدين في العمل والميادين، حلب، مكتبة الأحمدية رقم ١١٧.

١٦ - العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، القاهرة، دار الكتب المصرية، فصل التاريخ، مخطوط مصوّر، رقم ١٥٨٤.

١٧ - النويري، محمد بن قاسم بن محمد المالكي الإسكندري: الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الإسكندرية، الواقع بها سنة ٧٦٧هـ، مخطوط في دار الكتب المصرية رقم ١٤٤٩- تاريخ ١٠.

١٨ - الهرثمي: مختصر في سياسة الحروب، مصور في الجامعة العربية / فلم ٨٤٤ /

١٩ - اليمني، بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تاريخ مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٧٤.

٢٠ - مجهول المؤلف: التدابير السلطانية في الصناعة الحربية، القاهرة مكتبة جامعة القاهرة صورة المخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني دورية ٢٣٣٧.

٢١ - مجهول المؤلف: فهرست الكتب التي نرغب أن نبتاعها، والمسائل التي توضح جنس الكتب التي نرغب الحصول عليها، إنما نجهل أسماءها، مكتبة جامعة القاهرة، رقم ب ٧٧٠، عن لندن سنة ١٨٤٠.

# المصادر العربيـة


٢٢ - ابن الأبَّار: الحلة السيراء، ط١، القاهرة ١٩٦٣.

٢٣ - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشبياني: الكامل في التاريخ، طبعة ليدن + طبعة أويسالا، السويد، تحقيق كارل يوهان تورنير في ١٤ مجلد + الطبعة المصرية الأزهرية ١٢ جزءاً، ١٣٠١هـ + طبعة بيروت، دار صادر ١٩٧٩، في ١٢ ملجداً.

٢٤ - ابن إسحاق: (محمد بن إسحاق بن ياسر)، سيرة النبي، خمسة مجلدات، لبنان، بيروت، دار صادر، عام ١٩٧٩م.

٢٥ - ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة مصرية بجزء ٧٧.

٢٦ - ابن تغرى بردى: (يوسف بن تغرى بردى الأتابكي الملقب أبو المحاسن)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م.

٢٧ - ابن جبير: رحلة ابن جبير، القاهرة، السعادة ١٣٢٦هـ.

٢٨ - ابن الجوزي: (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان). د.ن، د.ت.

٢٩ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مصر، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

٣٠ - ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين علي العسقلاني)، فتح الباري بشرح البخاري ١٣ مجلداً، المطبعة الأميرية الكبرى في مصر، ١٨٨٣م.

٣١ - ابن حزم الأندلسي: جوامع السيرة، القاهرة، مطبعة دار المعارف في مصر ١٣٢٤هـ.

٣٢ - ابن حزم الأندلسي: (جمهرة أنساب العرب).

٣٣ - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٩٣٦م.+ ط دار الكتب المصرية عام ١٩٣٦م. + طبعة بولاق ١٩٦٣م، مصر.

٣٤ - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : المقدمة، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٩٣٠م. + مطبعة مصطفى محمد / مصر + إصدار دار الشروق العربي، لبنان ٢٠٠٤م.

٣٥ - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٦ - ابن الخيام: الفروسية، القاهرة، ١٩٤١م.

٣٧ - ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي: المخصص، مصر، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣١٦هـ.

٣٨ - ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد. طبعة شركة المطبوعات العربية. عام ١٩٧٨م.

٣٩ - ابن شداد، القاضي بهاء الدين: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، القاهرة، نشر جمال الدين الشيّال، سنة ١٩٦٤م + القاهرة، المؤيد ١٣١٧هـ.

٤٠ - ابن عبد ربه: (العقد الفريد). ٧ أجزاء، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٩٢٨م.

٤١ - ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، دمشق، ١٩٥١.

٤٢ - ابن عساكر: تهذيب ابن عساكر، روضة الشام، ١٣٢٩هـ.

٤٣ - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: عيون الأخبار، مصر، القاهرة، دار الكتب، ١٩٢٥م. عشرة مجلدات.

٤٤ - ابن القلانسي: تاريخ دمشق، القاهرة، ط النيل ط١ عام ١٩٥٦م.

٤٥ - ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن تميم الجوزية: الفروسية، دار الكتب المصرية، ١٩٤١م.

٤٦ - ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، القاهرة، المطبعة السلفية والسعادة والخانجي، ط١، ١٩٣٢م.

٤٧ - ابن منظور: لسان العرب - بيروت، دار لسان العرب، د.ت. + طبعة القاهرة، حجازي، ١٩٣٧م.

٤٨ - ابن هشام: السيرة النبوية، مصر، القاهرة، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٣٠م.

٤٩ - ابن واصل، القاضي جمال الدين: مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيّال، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م.

٥٠ - أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي الأصطخري: المسالك والممالك، تحقيق: د. محمد جابر بن عبد العال الخبي، بيروت، دار القلم، ١٩٦١م.

٥١ - أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصلاحية، القاهرة، وادي النيل، ١٣٨٧هـ.

٥٢ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، مطبعة الساسي المغربي، د.ت.

٥٣ - إبراهيم محمد أبو الفضل: أيام العرب في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ط١ ١٩٥٠.

٥٤ - أبو الفضل، ولي الدين البصير: النهاية وهو شرح على متن الغاية والتقريب.

٥٥ - أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينية، ط١، ١٣٢٥هـ.

٥٦ - أبو المظفر مؤيد الدين بن منقذ الشيرازي: كتاب الاعتبار، نشر الدكتور حتي، ١٩٣٠م.

٥٧ - الإدريسي: التراتيب الإدارية، طبعة فاس، ١٢٤٦هـ.

٥٨ - أسامة بن منقذ: الاعتبار، نشر الدكتور حتي عام دمشق ١٩٦١م.

٥٩ - الأصفهاني: تاريخ الدولة السلجوقية، بيروت، الإيمان ١٩٦٦م.

٦٠ - البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري، شرح القسطلاني، مصر، القاهرة، بولاق، ١٣٠٦هـ.

٦١ - البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجهاد والسير، القاهرة، بولاق، ١٨٨٤م.

٦٢ - البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر، القاهرة، طبع المجلة الجديدة، عام ١٩٥٨م.

٦٣ - بكتوت الرماح: (زيل تاريخ دمشق).

٦٤ - البلاذري: فتوح البلدان، نشر دار النشر للجامعيين، ط ١٩٥٧م + نشر د. صلاح الدين المنجد.

٦٥ - الحسن العباس: آثار الأول في تدبير الدول، مطبوع على هامش الخلفاء للسيوطي، مصر ١٣٠٤هـ+ طبعة بولاق، مصر، القاهرة ١٣٩٥هـ.

٦٦ - حسن عبد الله بن محمد بن عمر: آثار الأول في تدبير الدول، القاهرة، بولاق ١٢٩٥هـ.

٦٧ - الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: أليفي، بروفنسال، القاهرة طبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٧م.

٦٨ - الديار بكري: (حسين بن محمد بن الحسن) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، القاهرة ١٩٢٧م.

٦٩ - الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مصر، القاهرة، مطبعة الاستقامة ١٩٣٩م.

٧٠ - علي برهان الدين الحلبي الشافعي: السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، مصر، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ط٢، ١٣٢٩هـ.

٧١ - العماد الأصفهاني: الفتح والبرق، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٧م.

٧٢ - العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تقديم وشرح محمد محمود صبح، مصر، القاهرة، دار القومية للنشر والطباعة والتوزيع، مطبعة الموسوعات ١٩٦٥.

٧٣ - العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله: التعريف بالمصطلح الشريف، مصر، القاهرة، مطبعة العاصمة، مصر، ١٣١٢هـ.

٧٤ - الكندي: (القضاة والولاة). د.ن، د.ت.

٧٥ - ـ المالكي: (رياض الإيمان). د.ن، د.ت.

٧٦ - الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٢٩٨هـ.

٧٧ - محمد بن عبد الله الأزدي: فتوح الشام، نشر مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٠م.

٧٨ - محي الدين بن شرف الدين النووي الشافعي: رياض الصالحين، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٩٤٧م.

٧٩ - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، ط٢، السعادة، القاهرة عام ١٩٤٨. م.

٨٠ - المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار مصر، القاهرة، مطبعة النيل، ١٣٢٤هـ. + طبعة ١٩٢٨م.

٨١ - موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر، القاهرة، مطبعة المجلة الجديدة ١٩٥٨م.

٨٢ - الهرثمي: المختصر السياسي للحروب، القاهرة ١٢٢٣هـ.

٨٣ - الهروي: التذكرة الهروية في الحيل الحربية، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٧٢.

٨٤ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، القاهرة، دار السعادة، ١٣٢٣هـ.

## المصادر الاستدلالية الموسوعية

## (العربية والأجنبية)


٨٥ - الأعلام، خير الدين الزركلي، مطبعة كوستانسوماس وشركاه، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.

٨٦ - تاريخ العرب، الدكتور فيليب حتي + الدكتور إدوارد جرجي + الدكتور جبرائيل جبور: (بيروت، دار الغندور، ط٨ عام ١٩٩٠م).

٨٧ - دائرة المعارف الإسلامية.

٨٨ - القاموس المحيط، الفيروز أبادي، بيروت، ١٩٣٣م.

٨٩ - قصة الحضارات، ول، ديورانت: بيروت دار الفكر العربي، ١٩٨٠ + طبعة مصرية ترجمة محمد بدران، (القاهرة، إصدار جامعة الدول العربية، ط٥، ١٩٧٥م).

٩٠ - المعجم العسكري: إنكليزي، عربي، الإدارة السياسية، دمشق ١٩٧٦م.

٩١ - المعجم المختصر للتعابير والمصطلحات العسكرية: دمشق هيئة التدريب ١٩٦٣م.

٩٢ - موسوعة أحداث القرن العشرين، العميد بهيج بحليس: ١٢ مجلد، بيروت، دار نوبليس، ط١ ٢٠٠٤م.

٩٣ - موسوعة أسرار من التاريخ، الدكتور صالح زهر الدين: (بيروت، إصدار الرحاب، ط١، ١٩٩٤م).

٩٤ - موسوعة تاريخ الحضارات العام: مؤلفيها: موريس كروزييه، جانيت أوبواييه، أندريه إيمار وغيرهم، دار عويدات، بيروت، سبعة مجلدات. و ط عام ١٩٦٤م.

٩٥ - الموسوعة السوفيتية الكبرى ٣٦ مجلد، موسكو، ط ١٩٧٧م.

٩٦ - الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية: (دمشق، الطبعة الأولى من عام ١٩٩٨ م صدر المجلد الثامن ط١، عام ٢٠٠٣، ثم تمت الموسوعة).

٩٧ - الموسوعة العربية الميسرة، شفيق غربال: وآخرون، بيروت، دار العلم للملايين مع مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٥ + طبعة بيروت، دار الجيل، ط٢ ٢٠٠١م

٩٨ - الموسوعة العسكرية: بيروت، مركز الدراسات ١٩٧٧م.

٩٩ - الموسوعة العسكرية السوفيتية ٨ مجلدات، موسكو، دار النشر العسكرية عام ١٩٧٨م.

١٠٠ - وسوعة المعرفة السويسرية ٢٦ مجلد بيروت ١٩٧٠م.

١٠١ - موسوعة المعلومات العامة، سمير عطا الله: (بيروت منشورات دار عطا الله، ط١، ١٩٨٣م، بيروت).

١٠٢ - موسوعة التاريخ العالمي، في ١٠ مجلدات، رئيس هيئة التحرير، ي.م جوكوف، موسكو، دار المنشورات السياسية الحكومية ١٩٥٧م.

# المراجع العربية


١٠٣ - إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة، نشر المطبعة الأنجلو مصرية، ط٢، ١٩٥٢م.

١٠٤ - العماد إبراهيم صافي: سورية جيش مدافع، وتاريخ نضالي مشرف، دمشق - الإدارة السياسية، ط٢٠٠٧م.

١٠٥ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: مسائل الصراع العربي – الصهيوني (دمشق، مؤسسة الكرمل الطبعة الأولى عام ١٩٨٠م).

١٠٦ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الإستراتيجية الصاروخية الحديثة، الطبعة الرابعة، دار العلم، دمشق عام ١٩٨٥م.

١٠٧ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الحرب العربية الأولى (دمشق، مؤسسة تشرين، الطبعة الأولى عام ١٩٨٧م).

١٠٨ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: فن الحرب عند العرب في القرن الثاني عشر (موسكو – جامعة العلوم الإنسانية – ١٩٩٤م – رسالة.

١٠٩ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: في الحرب عند العرب، دمشق، وزارة الثقافة السورية، ط١ عام ١٩٧٥م.

١١٠ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الصهيونية والأديان ومستقبل الأمم، دمشق، دار العلم، ط١، عام ٢٠٠٣م.

١١١ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: الحروب الصليبية، دمشق، الإدارة السياسية، ط١ عام ٢٠٠٧م.

١١٢ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: العروبة والإسلام وصراعات القوى العظمى، دمشق، مؤسسة النوري، ط٢، ٢٠٠٨م.

١١٣ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: موسوعة السياسة والحرب عند العرب، دمشق، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٨م، مؤسسة النوري.

١١٤ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: مستقبل الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، دمشق، عام ٢٠١٠.

١١٥ - اللواء الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود: موسوعة المرأة في التراث العربي والإسلامي، الطبعة الأولى، دمشق، عام ٢٠١٠م.

١١٦ - أحمد بيلي: حياة صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ط٢ ١٩٢٦م.

١١٧ - أمين الريحاني، ملوك العرب، بيروت ١٩٥١م.

١١٨ - أنيس صايغ، تطور المفهوم القومي عند العرب، بيروت، ١٩٦١م.

١١٩ - أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، بيروت، ١٩٥٢م.

١٢٠ - أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق عام ١٩٥٦م

١٢١ - أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن، بيروت، دار النفائس، ١٩٧٢م.

١٢٢ - أحمد عباس صالح: اليمين واليسار في الإسلام، د.ت.

١٢٣ - أحمد علي إسماعيل: (تاريخ السلاجقة). دار الفكر، بيروت، عام ١٩٨٢.

١٢٤ - الدكتور أدمون رباط: التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري، محاولة لفهم تركيب بيروت، عام ١٩٧٣م.

١٢٥ - أسعد داغر: مذكراتي على هامش القضية العربية، القاهرة ١٩٥٩م.

١٢٦ - الدكتور آصف شوكت: الثورات السورية ١٩١٨م – ١٩٢١م – (دمشق الأوس للنشر – الطبعة الأولى عام ٢٠٠٢م).

١٢٧ - الدكتور إلياس شوفاني: إسرائيل في خمسين عاماً – (دمشق، دار جعفر – الطبعة الأولى. د.ت).

١٢٨ - أمين سعيد: حروب الإسلام والإمبراطورية الرومية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٥م.

١٢٩ - أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٣٣م - ١٩٣٥م.

١٣٠ - أنور الرفاعي: قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير، دمشق، دار الفكر ١٩٧٣م.

١٣١ - بدر الدين السباعي: الحرب والشعوب، دار ابن الوليد، حمص ١٩٥٧م.

١٣٢ - الجامعة العربية، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين (١٩١٥ - ١٩٤٦م)، القاهرة ١٩٧٧م.

١٣٣ - تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، بغداد ١٩٣٦م.

١٣٤ - توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨م - ١٩١٤م.. القاهرة ١٩٦٠.

١٣٥ - جعفر شرف الدين: حرب الغفران، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٩م.

١٣٦ - مذكرات جمال باشا، تعريب علي أحمد شكري، القاهرة ١٩٢٣م.

١٣٧ - جمال الدين عيّاد: نظم الحرب في الإسلام، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٠م.

١٣٨ - جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، بيروت، ١٩٠٢م.

١٣٩ - د. حسن إبراهيم وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٣٩م.

١٤٠ - حسن البدري: بالاشتراك مع طه المجذوب وزهدي ضياء الدين، حرب رمضان الجولة الإسرائيلية الرابعة، أكتوبر ١٩٧٣م، القاهرة، نشر الهيئة المصرية الكتاب، ١٩٧٤م.

١٤١ - اللواء حسن البدري: حرب رمضان – (القاهرة – إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ – ١٩٧٤م.

١٤٢ - حسن حبيشي: نور الدين والصليبيون، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٨م.

١٤٣ - الحملات الحربية في فلسطين: إصدار وزارة الحربية المصرية، عام ١٩٤٢م.

١٤٤ - العماد حسن توركماني: المذاهب العسكرية - (دمشق - دار طلاس الطبعة الأولى - ١٩٩٥م).

١٤٥ - العماد حسن توركماني: الدهاء في الحرب - (بيروت - دار الفكر الطبعة الأولى ٢٠٠٠م).

١٤٦ - العماد حسن توركماني: الحرب السادسة، دمشق، إصدار دار الأُولى للنشر والتوزيع، ط١ عام ٢٠٠٧م.

١٤٧ - العماد حسن توركماني: نظريات بناء القوات المسلحة، دمشق، الإدارة السياسية ط١، عام ٢٠٠٤م.

١٤٨ - العماد حسن توركماني: الأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، دمشق، دار الأُولى، ط١، عام ٢٠٠٤م.

١٤٩ - العماد حسن توركماني: الحرب وفن الحرب، دمشق، دار الأُولى، ط١،عام ٢٠٠٦م.

١٥٠ - حماد وظبيان: فيصل بن الحسين من المهد إلى اللحد، دمشق عام ١٩٣٣م.

١٥١ - د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام – (القاهرة – نشر الزهراء للإعلام العربي – ط١ – ١٩٨٧م).

١٥٢ - حقي العظم، حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وسورية وفلسطين، القاهرة ١٩١٢م.

١٥٣ - الدكتورة خيرية قاسمية: الحكومة العربية في دمشق بين [١٩١٨م-١٩٢٠م] القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م. دراسة.

١٥٤ - خيرية قاسمية، الحكومات العربية في دمشق، بين ١٩١٨ - ١٩٢٠، القاهرة دار المعارف ١٩٧١.

١٥٥ - د. رزق إلياس: (تقييم عملية الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م).

١٥٦ - د. رزق إلياس: مسيرة تحرير الجولان، دمشق، دار المساعدة السورية، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٧م.

١٥٧ - رضا استنبولي: السوقية عند العرب وكتاب معارك عربية إصدار التوجيه المعنوي السوري، سلسلة الثقافة العسكرية رقم ١٦، دمشق ١٩٧٠م.

١٥٨ - زكي النقاش: العلاقات بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، بيروت، مطبعة الكتاب اللبناني، ١٩٥٨م.

١٥٩ - زين نور الدين الزين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، وولادة سورية ولبنان، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧١م.

١٦٠ - زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، بيروت ١٩٦٨م، دراسة في العلاقات العربية التركية.

١٦١ - الأمير زيد: مذكرات، عمان، ط١، ١٩٧٦م.

١٦٢ - سعيد أحمد برجاوي: الحروب الصليبية في المشرق، (بيروت – دار الآفاق الجديدة –ط١ عام ١٩٨٤م.

١٦٣ - سليمان موسى، الحركة العربية، بيروت، ١٩٧٠م.

١٦٤ - سليمان موسى، المراسلات التاريخية، ثلاثة أجزاء ١٩١٦ - ١٩٢١، عمان ١٩٧٥ - ١٩٧٧.

١٦٥ - سليمان موسى، مذكرات الأمير زيد، عمان ١٩٧٦م.

١٦٦ - سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، القاهرة ١٩١٨م.

١٦٧ - ساطع الحصري: يوم ميسلون، بيروت، دار الاتحاد طبعة جديدة عام ١٩٦٤م.

١٦٨ - ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ١٩٢١ - ١٩٤١، بيروت ١٩٦٧م.

١٦٩ - ساطع الحصري، سورية والعهد الفيصلي، بيروت ١٩٦٦م.

١٧٠ - د. سعيد محمد الحفار: (أضواء على مفاهيم السياسة الاستراتيجية، التخطيط) طبعة أولى، دمشق عام ٢٠٠١م.

١٧١ - السيد فرج: قادة الحرب العرب، دار الفكر العربي،الطبعة الأولى، شباط ١٩٥٨م.

١٧٢ - صلاح الدين فرحات صبحي: تطور القوات المقاتلة، وزارة الحربية المصرية، ١٩٤٩م.

١٧٣ - اللواء صلاح الدين النعيمي + العميد يحيى بسما + اللواء نور الدين محمود + اللواء الدكتور محمد سفر الخطيب: ملف دراسات العام ٢٠٠٦م، إصدار مركز الدراسات الاستراتيجية، دمشق عام ٢٠٠٧م.

١٧٤ - طه الهاشمي: الجغرافيا العسكرية، بغداد، ط٣، ١٩٣٨م.

١٧٥ - العماد علي حبيب: معركة السلطان يعقوب عام ١٩٨٢م، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩م. إصدار الإدارة السياسية في الجيش العربي السوري.

١٧٦ - عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، ١٩٧١م.

١٧٧ - عبد الفتاح أبو النصر اليافي، مذكرات قائد عربي، جريدة لسان الحال، بيروت.

١٧٨ - عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، بغداد ١٩٦٧م.

١٧٩ - عبد الله فهد النفيسي: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بيروت، دار النهار للنشر، عام ١٩٧٣م.

١٨٠ - عباس محمود العقاد: عبقرية خالد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٦٩م.

١٨١ - د. عبد الجبار الجومرد: يزيد بن مزيد الشيباني، دار الطليعة، بيروت.

١٨٢ - عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، مصر، دار المعارف، ١٩٦١م.

١٨٣ - المقدم الركن عبد الرحيم عجاج: عقيدة القتال، القاهرة، مطابع الصباح.

١٨٤ - عبد العزيز سيد الأهل: أيام صلاح الدين، نشر المكتب التجاري، بيروت آب ١٩٦١م.

١٨٥ - عبد العزيز علي جميع: قانون الحرب، القاهرة، المطبعة الأنجلو مصرية، ١٩٥٢م.

١٨٦ - عبد اللطيف حمزة: أدب الحروب الصليبية، دار الفكر العربي ط١ ١٩٤٨م.

١٨٧ - عبد الواحد داموك:الحرب العالمية الأولى والثانية، (دمشق دون دار نشر على حساب المؤلف، ط١، ١٩٩٩م).

١٨٨ - علي وناجي الطنطاوي: أخبار عمر وعبد الله بن عمر، دار الفكر، ط١ دمشق ١٩٥٩م.

١٨٩ - علي جودت: سيرة وذكريات، بغداد عام ١٩٧٣م.

١٩٠ - الدكتور غازي حسين: الصهيونية زرع واقتلاع، إصدار اتحاد الكتاب العرب، دمشق عام ١٩٩٥م.

١٩١ - فايز الخصيف، مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق ١٩٥٦م.

١٩٢ - فائز موسى المقدسي: أسرار العلم والحرب بين الجوهر والقنبلة الذرية، مطبعة الوقت حلب.

١٩٣ - فايز قنديل: رياح تشرين، دمشق، مؤسسة تشرين، ١٩٧٦م.

١٩٤ - الدكتور فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، (بيروت، دار الكشاف، الطبعة الثانية ١٩٥٣م).

١٩٥ - فيليب خوري: سورية والانتداب الفرنسي، (بيروت، ترجمة وإصدار مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ – عام ١٩٩٧م).

١٩٦ - مازن يوسف الصباغ: العدوان الإسرائيلي على لبنان، دمشق، دار مي، ٢٠٠٦م.

١٩٧ - العقيد الركن محمد إبراهيم الشاعر: جغرافية فلسطين العسكرية، سلسلة الثقافة العسكرية رقم (٢٠) إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ١٩٧١م.

١٩٨ - العميد محمد الشاعر: حرب تشرين التحريرية، دمشق، الإدارة السياسية ١٩٧٥م.

١٩٩ - محمد جميل بيهم، لعهد المخضرم في سورية ولبنان ١٩١٨م - ١٩٢٢م، بيروت ١٩٦٨م.

٢٠٠ - محمد حسنين هيكل: عند مفترق الطرق، (بيروت – شركة المطبوعات، ط١١، ٢٠٠٢م).

٢٠١ - محمد حسنين هيكل: حرب الثلاثين سنة، سنوات الغليان.إصدار دار الشروق، طبعة أولى عام ٢٠٠٤.

٢٠٢ - محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، القاهرة، مطبعة مصر، ١٣٦٤هـ.

٢٠٣ - محمد علي الغتيث: الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، الدار القومية، د.ت.

٢٠٤ - محمد عماره: معارك العرب ضد الغزاة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت.

٢٠٥ - محمد فريد أبو حديد: (حياة صلاح الدين وعصره).

٢٠٦ - محمد كرد علي: خطط الشام، ١٩٦٩م.

٢٠٧ - محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مصر، القاهرة، دار الكتب، ١٩٣٦م.

٢٠٨ - محمد كرد علي، المذكرات، ج١، دمشق ١٩٤٨م.

٢٠٩ - محمد لبيب البوهي: (قاهر التتار).

٢١٠ - الرئيس محمد معراوي: شريعة الحرب في الإسلام، القاهرة، عام ١٩٥٨م.

٢١١ - محمود شكري الألوسي: (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب).

٢١٢ - اللواء محمود شيت خطاب: الوحدة العسكرية العربية، (بيروت – دار الإرشاد) ١٩٧١م.

٢١٣ - العماد أول مصطفى طلاس: الرسول العربي وفن الحرب، إصدار الإدارة السياسية السورية، ١٩٧٢م.

٢١٤ - العماد أول مصطفى طلاس: حرب العصابات، (بيروت، دار الطليعة ط١، أيلول ١٩٦٩م).

٢١٥ - العماد أول مصطفى طلاس: الثورة العربية الكبرى، ط٢، دمشق، مطابع الأكاديمية العسكرية العليا، عام ١٩٧٩م.

٢١٦ - العماد أول مصطفى طلاس: (الغزو الإسرائيلي للبنان، ١٩٨٢م).

٢١٧ - العقيد مفلح علي: التاريخ الحربي للأمة العربية، دمشق، منشورات الفرع الثقافي العسكري، ٣٠ /١٩٥٩/٥م.

٢١٨ - العقيد مفلح علي: مقال بعنوان (التفوق الاستراتيجي والعملياتي في المعركة)، السنة الثالثة عام ١٩٧٥م.

٢١٩ - منير شفيق: علم الحرب، بيروت، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٢٠ - ناصر قنديل: حروب كبيرة في شرق أوسط صغيرة، دار الهلال، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٦م.

٢٢١ - د. نبيه عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، ١٩٧٠م.

٢٢٢ - نبيه أمين فارس، الثورة العربية الكبرى في الميزان، عمان ١٩٦٧م.

٢٢٣ - د. نظير السعداوي: التاريخ الحربي المصري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.

٢٢٤ - نعمان ثابت: الجندية في الدولة العباسية، بغداد، ١٩٣٩م.

٢٢٥ - نوري السعيد، محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربية في الحجاز وسورية وبغداد ١٩٤٧م.

٢٢٦ - هيثم الكيلاني: المذهب العسكري الإسرائيلي، دمشق، إصدار دار التوجيه المعنوي ١٩٦٨م.

٢٢٧ - هيثم الكيلاني: إستراتيجية إسرائيل في حروبها. إصدار جامعة الدول العربية، تونس عام ١٩٨٦م.

٢٢٨ - يوسف الحكيم، سورية والعهد الفيصلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦م.

٢٢٩ - يوسف أسعد داغر، الأصول العربية للدراسات اللبنانية، بيروت ١٩٧٢م.

# المراجع الأجنبية

٢٣٠ - آ.آ. ستروكوف: تاريخ فن الحرب في ثلاثة أجزاء. موسكو. دار المنشوارت السياسية ١٩٥٥ – ١٩٥٧، ١٩٦٥م.

٢٣١ - إدوار بروه + موريس كروزييه + جانيت أوبابيه + رولان مونيه: تاريخ الحضارات العام، عويدات، بيروت عام ١٩٥٦م.

٢٣٢ - إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة سميرة الخوري، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط عام١٩٩٣م.

٢٣٣ - إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية ط عام ١٩٨١م.

٢٣٤ - آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، (تعريب يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام ط ١٩٥٧).

٢٣٥ - إريك موريز: مدخل إلى التاريخ العسكري، ت: ديري وأيوبي، دار الإرشاد، ١٩٧٠م.

٢٣٦ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ترجمة الدكتور خلف الجراد، إصدار الكويت، سسلة عالم المعرفة، ط١، تشرين الثاني عام ١٩٩٦م.

٢٣٧ - أمنون كابيليوك: إسرائيل نهاية أساطير ت: سليم الصويصي.

٢٣٨ - أندريه إيمار: تاريخ الحضارات العام، ج٣.

٢٣٩ - أندريه بوفر: مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، ت: أكرك ديري والهيثم الأيوبي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٤م.

٢٤٠ - أوسبينسكي ف.ي. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، في ثلاثة مجلدات، موسكو، أكاديمية العلوم السوفييتية، عام ١٩٨٤م.

٢٤١ - إيفانوف غ.م. كورشونوف + تبروف، المسائل المنهجية في المعرفة التاريخية، موسكو، المدرسة العليا عام ١٩٨١م.

٢٤٢ - أنطوان همري جوميني: (رسالة في فن الحرب) ١٨٣٦.

٢٤٣ - بكدانوفيتش: تاريخ فن الحرب والحملات الرائعة، تاريخ العصور الوسطى عام ١٨٥٣م.

٢٤٤ - آندرييف. ن، الحروب المقدسة (الحملات الصليبية) س.ب.ب عام ١٩٠٨م.

٢٤٥ - أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ت مصطفى طه بدر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٣.

٢٤٦ - ج.ف.س فوللر: إدارة الحرب، ت: ديري وأيوبي، دمشق، دار اليقظة ١٩٧١.

٢٤٧ - ج.ف.س فوللر: التكنولوجيا والحرب الحديثة، بيروت، إصدار دار القلم، ١٩٧٠م.

٢٤٨ - ج.ف.س فوللر: الحرب الميكانيكية، ت: ديري وأيوبي، بيروت، إصدار دار الطليعة، ١٩٦٩م.

٢٤٩ - ج.ف.س فوللر: المعارك الحاسمة في العالم العربي، بيروت، دار القلم، ١٩٧١م.

٢٥٠ - ج.هـ. رونشيلد: أسلحة الغد، ت الرائد نافع أيوب، دمشق - التوجيه المعنوي، سلسلة الثقافة العسكرية رقم ١٤، عام ١٩٦٨م.

٢٥١ - جان بيريه: الذكاء والقيم المعنوية، ت: ديري وأيوبي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢م.

٢٥٢ - جوارهر لال نهرو: نظرة على التاريخ العالمي، ترجمة عن الإنكليزية إلى الروسية، موسكو /بروغريس/ عام ١٩٨٩م.

٢٥٣ - جورج أنطونيوس: يقظة العرب – ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس – (بيروت –دار العلم للملايين –ط٢ ١٩٦٦م).

٢٥٤ - جورج بوش /الجد/، محمد مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس امبراطورية المسلمين، (الرياض، إصدار دار المريخ للنشر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

٢٥٥ - جورج كاستلان: تاريخ الجيوش، ت: كمال دسوقي، نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م.

٢٥٦ - جوزيف شاخت + س. بوزورث: تراث الاسلام، ترجمة الدكتور محمد زهير السموري + الدكتور حسين مؤنس، (الكويت، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عام ١٩٨٨م).

٢٥٧ - جون باجوت كلوب: الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة خيري حماد،(بغداد، إصدار مكتبة المثنى، ١٩٦٣م).

٢٥٨ - جيهان الطاهري + أهرون بريغمان: العرب والكيان الصهيوني حرب الخمسين عاماً، ترجمة هشام حداد، إصدار دمشق مركز الدراسات العسكرية، ط١ عام ٢٠٠٠م.

٢٥٩ - الحافظ شمس الدين: دول الإسلام، دار المعارف بالهند، ١٣٢٧هـ.

٢٦٠ - حيدر بامات: مجالي الإسلام، ت: عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء دار الكتب العربية، ١٩٥٦م.

٢٦١ - الميجر جنرال د.ك.باليت: أصول المعرفة العسكرية، ت مصطفى الجمل، إصدار الهيئة المصرية العامة للنشر. د.ت.

٢٦٢ - دوليبروك: (تاريخ الفن العسكري) ثلاثة مجلدات إصدار دار المنشورات العسكرية، موسكو ١٩٣٨م.

٢٦٣ - رازين ي.ن. تاريخ فن الحرب، ثلاثة مجلدات، موسكو، دار المنشورات السياسية، عام ١٩٥٧م.

٢٦٤ - ر.سي.سميل: فن الحرب عند الصليبيين، (دمشق، إصدار مركز الدراسات العسكرية، ط١ ١٩٨٥م).

٢٦٥ - ر.ك. كارانجيا: خنجر إسرائيل، (دمشق، إصدار دار دمشق ط١، عام ١٩٦٧م).

٢٦٦ - روم لاندو: الإسلام والعرب، بيروت ١٩٦٢م.

٢٦٧ - ريتشارد الدنجتون: لورنس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزت موسى، مراجعة الدكتور محمد أنيس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ط١ عام ١٩٦٦م، القاهرة.

٢٦٨ - ريزنيتشنكو: التكتيك، ت العميد عبد الرزاق الدردري، دمشق، وزارة الدفاع، ١٩٦٧م.

٢٦٩ - ريموند غارتوف: العقيدة العسكرية السوفييتية، ت: المقدم أحمد عبد الكريم، دمشق، نشر الشعبة الثالثة فرع التدريب، ١٩٥٧م.

٢٧٠ - رينيه كروسيه: تاريخ الحروب الصليبية. د.ت.

٢٧١ - زئيف شيف: زلزال أكتوبر، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٩م.

٢٧٢ - زابوروف م.آ. الصليبيون في الشرق. موسكو ١٩٨٠م.

٢٧٣ - زابوروف م.آ. البابوية والحملات الصليبية، موسكو، دار نشر أكاديمية العلوم السوفييتية عام ١٩٥٦م.

٢٧٤ - زابوروف م.آ. تاريخ الحملات الصليبية بالوثائق والمواد، موسكو، المدرسة العليا عام ١٩٧٧م.

٢٧٥ - زابوروف م.آ. علم تدوين تاريخ الحملات الصليبية، (مراجع القرون ١٥-١٨)، موسكو، دار العلم عام ١٩٧١م.

٢٧٦ - زابوروف م.آ. الحملات الصليبية، موسكو، دار نشر أكاديمية العلوم السوفييتية، عام١٩٥٦م

٢٧٧ - زيغريد هونكه: شمس العرب تستطع على الغرب، ت: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، منشورات المكتب التجاري. ١٩٧٠م.

٢٧٨ - ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ت: حسن إبراهيم وآخرون، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥١م.

٢٧٩ - ستروكوف، تاريخ فن الحرب، ت: العميد صباح الأتاسي، دمشق، نشر إدارة الشؤون العامة السوررية ١٩٦٨م.

٢٨٠ - ستيفين رينسمان: الحضارة البيزنطية، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨م.

٢٨١ - ستيفين رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، ت: د: الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩م.

٢٨٢ - ستيفن غرين: بالسيف أمريكا وإسرائيل في الشرق الأوسط ١٩٦٨م - ١٩٨٦م، لبنان، بيروت، عام١٩٨٨م.

٢٨٣ - ستيوارت ديزموند: تاريخ الشرق الأوسط الحديث، ترجمة زهدي جار الله، بيروت ١٩٧٤م.

٢٨٤ - سوكولوفسكي.ف.د: الاستراتيجية العسكرية. موسكو. دار المنشورات العسكرية. ١٩٦٨ + مارشال ف.د سوكولوفسكي: الإستراتيجية

العسكرية، ترجمة اللواء الركن عبد الرزاق الدردري، العميد الركن صباح الدين الأتاسي العميد الركن عبد العزيز جركس، (دمشق، هيئة التدريب، د.ت، ولهذا الكتاب تراجم أُخرى إحداها لخيري حماد، إصدار بيروت، والثانية لعبد الحليم أبو غزالة، إصدار مصر).

٢٨٥ - سيديو: تاريخ العرب، ت: عادل زعيتر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٨م.

٢٨٦ - سيد أمير علي: (مختصر تاريخ العرب)، ترجمة عفيف بعلبكي، طبعة أولى، دار الطليعة، بيروت.

٢٨٧ - شيمون شيفر: كرة الثلج، بيروت، د.ن، عام ١٩٩٤م.

٢٨٨ - شاخت وبوزورث: تُراث الإسلام، ترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري ورفاقه، إصدار الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية أيار ١٩٨٨م.

٢٨٩ - غوستاف لوبون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر، بيروت د.ت.

٢٩٠ - غيسمان ب.آ. المنهج المختصر في تاريخ فن الحرب في العصور الوسطى والحديثة من القرن الحادي عشر حتى القرن الثامن عشر، ط٢ (المعدلة والمختصرة) عام ١٩٠٧م.

٢٩١ - غراموفسكي م.ب الحملة الصليبية ١١٤٧ ضد السلافيين ونتائجها، موسكو عام ١٩٤٦م.

٢٩٢ - ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ت: حمزة طاهر، تقديم الدكتور عبد الوهاب عزام، مصر، دار المعارف، مصر، ط٢ ت ١٩٥٣م.

٢٩٣ - فاسيلييف: تاريخ العربية السعودية، (موسكو، إصدار دار التقدم عام ١٩٨٦م).

٢٩٤ - فريدريك بيك: تاريخ شرق الأردن وقبائلها، تعريب بهاء الدين طوقان، القدس ١٩٣٥م.

٢٩٥ - ك.ف. كلاوزفيتز – عن الحرب. مجلدين – موسكو – دار النشر العسكرية ١٩٤١ + الطبعة العربية ت: ديري وأيوبي.

٢٩٦ - ليدل هارت: الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي، (، بيروت، إصدار دار الطليعة، ١٩٧٠م).

٢٩٧ - ماوتسي تونغ، كتابات عسكرية مترجمة عن الطبعة الصينية بالفرنسية، بيروت، دار ابن سينا للترجمة والنشر، ١٩٦٧م.

٢٩٨ - محمد أركون، الفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، ط عام ١٩٩٢م.

٢٩٩ - مكسيم رودنسون: جاذبية الإسلام، ترجمة إلياس مرقص، بيروت، دار التنوير، عام ١٩٩٨.

٣٠٠ - مناحيم بيغن :(خطاب في الكنيست الإسرائيلي) ١٩٨١/٥/١١.

٣٠١ - اللورد مونستر: رسالة في فن الحرب عند العرب، ت: هيثم الكيلاني، دمشق - التوجيه المعنوي ١٩٦٤م.

٣٠٢ - ميكافيللي ن. فن الحرب، حروب العصور الوسطى، ترجمة النقيب م.م.بكدانوفيتش س.ب.ب.عام ١٩٣٩.

٣٠٣ - نورمان بينز: الامبراطورية البيزنطية، ت: د. حسين مؤنس + محمد يوسف زايد، القاهرة ١٩٥٠م.

٣٠٤ - هــ. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ت محمد مصطفى زيادة والباز العريني، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.

٣٠٥ - هنري كلود: إلى أين يسير الاستعمار الأمريكي، دمشق، دار اليقظة ١٩٧٠م.

٣٠٦ - الجنرال هيرتسوغ: حرب الغفران، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٦م.

٣٠٧ - وكوف ي.م، نبذات في منهجية التاريخ، الإصدار الثالث، طبعة منقحة، موسكو دار العلم، عام ١٩٨٧م.

٣٠٨ - وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور حسن حبيشي، القاهرة، (إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ج١،عام ١٩٩١م).

٣٠٩ - المارشال ويفل: حطين، ترجمة محمد عطية، المجلة العسكرية السورية، العدد الثالث، السنة السادسة، تشرين الأول عام ١٩٥٥م.

٣١٠ - يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ت: د.محمد عبد الهادي أبو زيد، القاهرة ١٩٥٨م.

٣١١ - يفغيني بريماكوف: الشرق الأوسط المعلوم والمخفي، ترجمة علي العرب + عبد الستار شهباز، دمشق، دار إسكندرون، ط١ ٢٠٠٦م.

٣١٢ - مجموعة من الباحثين الإسرائيليين، التقصير، المحدال، دمشق، إصدار خاص، ١٩٧٥م.

٣١٣ - مجموعة:(من المؤلفين الروس) (الحروب العربية الإسرائيلية): ترجمة العميد صبحي الجابي /دمشق ١٩٧٥/.

٣١٤ - مجهول المؤلف: ت: العميد الركن صبحي الجابي، الحروب العربية الإسرائيلية دمشق ١٩٧٥م.

# الدوريات


٣١٥ - الهلال - القاهرة، ١٨٩٢م وما بعده.

٣١٦ - المقتطف - القاهرة، ١٨٨٠ وما بعده.

٣١٧ - الأهرام - القاهرة، ١٨٧٨م وما بعده.

٣١٨ - المنار - القاهرة، ١٨٩٩ وما بعده.

٣١٩ - لسان الحال - بيروت ١٩٠٥م وما بعده.

٣٢٠ - القبلة - مكة المكرمة ١٩١٦م وما بعده.

٣٢١ - الدفاع - دمشق ١٩١٩ - ١٩٢٠م.

٣٢٢ - العاصمة - دمشق ١٩١٩ - ١٩٢٠م.

٣٢٣ - الكنانة - دمشق ١٩٢٠م.

٣٢٤ - الأقلام: مجلة شهرية عراقية، عدد خاص في الأدب الصهيوني، السنة الرابعة عشرة، حزيران عام١٩٧٩م.

٣٢٥ - تقرير: لجنة كاهان عن مجازر صبرا وشاتيلا.

٣٢٦ - الدستور: ندوة فكرية لكبار الجيش الأردني.

٣٢٧ - الصحف العربية السورية: البعث، تشرين، الثورة.

٣٢٨ - الطليعة المصرية، ملف عن حرب تشرين التحريرية.

٣٢٩ - لجنة تحقيق أغراناد، ملف، دمشق، إصدار خاص ١٩٨٥

٣٣٠ - مجلة (كيفونين): أوينون (مقالة الاتجاهات) المنشورة في ١٩٨٢.


الهيئة العامة
السورية للكتاب



# الملاحـــق



## ملحق رقم ١

## جدول تأريخي للأعمال القتالية

## فـــــي

## فترة الحملات الصليبية في المنطقة العربية

## خلال القرن الثاني عشر

| الأعـــــوام | الأعمـــــال القتالية | المعارك الرئيسية |
|---|---|---|
| ١١٠٠ــ١١٠١ | الحملة الصليبية المتخلفة (المؤخرة).<br>احتلال الصليبيين في آسيا الصغرى. | |
| ١١٠١ | معركة الرملة في فلسطين بين الصليبيين والسلجوقيين تحت أمرة بلدوين والسلجوقيين | |
| ١١٠٤ | | موقعة حران هزيمة الصليبيين على يد السلاجقة |
| ١١٠٤<br>١١٠٥ | احتلال الصليبيين لعكا<br>معركة أرتاه من أجل قلعة أوكاليالبو في سورية بين الصليبيين تحت قيادة تنكريد والسلجوقيين تحت قيادة رضوان وأمير حلب | |
| ١١٠٩ | احتلال الصليبيين لطرابلس | |
| ١١١٠ | احتلال الصليبيين لصيدا وبيروت | |
| ١١١٣ | معركة سامبار بالقرب من بحيرة طبريا في فلسطين بين السلاجقة والصليبيين. | |
| ١١١٥ | انتفاضة الفلاحين المسلمين قرب نابلس.<br>معركة سرمين في سورية بين الصليبيين تحت قيادة روجر والسلاجقة تحت قيادة برسوك. | |
| ١١١٩(حزيران) | معركة عفرين في سورية تحت قيادة روجر والسلجوقيين تحت قيادي ايلغازي. | |
| ١١١٩(آب) | معركة قلعة حلب في سورية بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين والسلاجقة تحت قيادة ايلغازي. | |

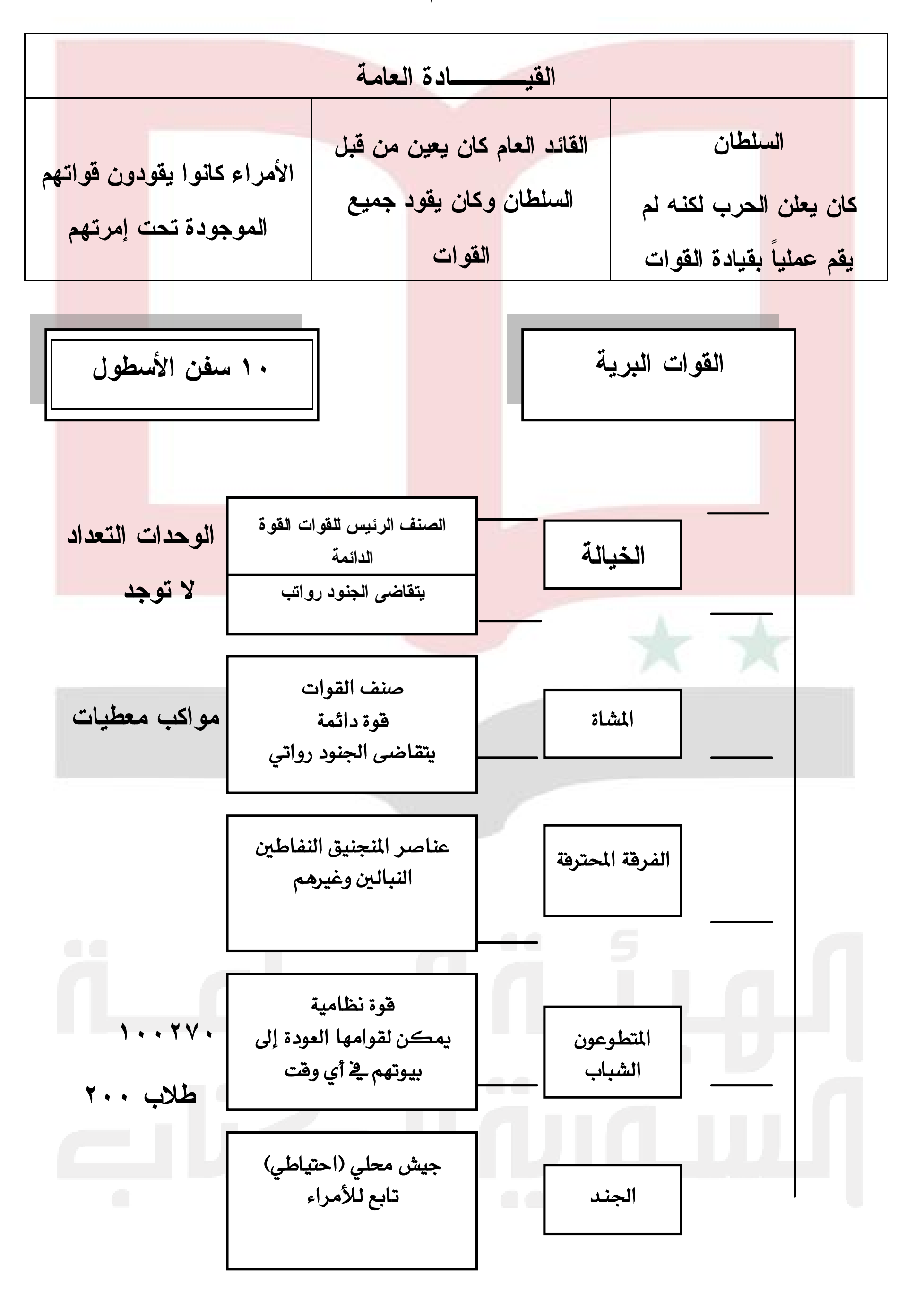
| | | |
|---|---|---|
| ١١٢٣ | معركة بينة في فلسطين بين الصليبيين والسلجوقيين. | |
| ١١٢٤ | احتلال الصليبيين لصور | |
| ١١٢٥(حزيران) | معركة إعزاز في سورية بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين والسلجوقيين. | |
| ١١٢٥ | ثورة الفلاحين بالقرب من بيروت وصيدا. | |
| ١١٢٦(كانون الثاني) | معركة مرج السفر بين الصليبيين والسلجوقيين. | |
| ١١٣١ | ثورة الفلاحين في طرابلس | |
| ١١٣٧ | احتلال الإمبراطور البيزنطي لإنطاكيا. | |
| ١١٤٤ | | احتلال السلاجقة لأبيسيا وتدميرها. |
| ١١٤٧ | الحملة الصليبية الثانية | |
| ١١٤٧(تشرين الأول) | هزيمة الصليبيين الألمان في موقعة قرب دوربيل في تركيا على أيدي فصائل من خيالة سلطان أنتوهيا. | |
| ١١٤٨ (تموز) | | حصار الصليبيين الفاشل لدمشق. |
| ١١٤٩ | معركة عين المراد بين الصليبيين تحت قيادة رايموند والسلجوقيين تحت قيادة الأمير كونراد. | |
| ١١٥٣ | احتلال الصليبيين لعسقلان. | |
| ١١٦٤ | معركة حارم في سورية بين الصليبيين والسلجوقيين تحت قيادة الأمير كونراد. | |
| ١١٦٧ (آذار) | معركة البابين في مصر بين لصليبيين تحت قيادة أما لريك. | |
| ١١٧٠ | غزوة صلاح الدين لغزة. | |
| ١١٧١ـــ١١٧٣ | توحيد صلاح الدين الأيوبي لمصر وجزء من سورية وبلاد الرافدين. هجوم العرب على دويلات الصليبيين. | الحرب الصليبية الفاشلة لاحتلال دمشق وحمص وحماة وغيرها من المدن. |

| ١١٧٧(تشرين الثاني) | معركة تل الجزار في فلسطين بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين والأيوبيين تحت قيادة صلاح الدين. | |
|---|---|---|
| ١١٧٩ | معركة مرج عيون في لبنان بين الصليبيين تحت قيادة بلدوين الرابع والأيوبيين تحت قيادة صلاح الدين. | |
| ١١٧٩ | | معركة بيلفورت بين قوات صلاح الدين وقوات ملك القدس بلدوين الرابع. |
| ١١٨٢ | | هجوم الصليبيين على حلب. |
| ١١٨٧ | معركة حطين في فلسطين بين الصليبيين والأيوبيين. | |
| ١١٨٧(آذار) | تحرير صلاح الدين الأيوبي لمناطق القلاع الكرك والكرك في مونريال وإخلاؤها من الصليبيين. | |
| ١١٨٧ | معركة عين الجوزة في فلسطين بين الصليبيين والأيوبيين. | |
| ١١٨٧(أيار) | بداية حرب العرب المقدسة ضد الفرنجة، حشد قوات المسلمين الموحدة من دمشق وحلب والموصل ومناطق بلاد الرافدين في منطقة رأس الماء وبداية الأعمال القتالية. | المعركة مع فصائل الأوروبيين في الجزء العلوي من نهر كريسان شمال شرق نهاريا وإحراز النصر على الصليبيين. |
| ١١٨٧(تموز وآب) | تحرير القوات العربية للمدن الساحلية الواقعة جنوبي طرابلس أكرا، بيروت، صيدا، يافا، عسقلان. | موقعة حطين سحق صلاح الدين الأيوبي لملك القدس لوزينايان واحتلال طبريا. |
| ١١٨٧ (تشرين الأول) | تحرير جيش صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس احتلال قلعة الكرك. | |
| ١١٨٧ (كانون الأول) | عدم نجاح محاولة صلاح الدين في تحرير صور. | |
| ١١٨٩ (نيسان - أيار) | تحرير العرب لقلعة الكرك دي مونريال. | |
| ١١٨٩ــ١١٩٢ | الحملة الصليبية الثالثة. | |
| ١١٩٠ (الخريف) | حصار الفرسان الألمان لعكا. | |

| ١١٩١نيسان - أيار | وصول الصليبيين الإنكليز إلى عكا | |
|---|---|---|
| ١١٩١ (تموز) | | الاقتحام العام للصليبيين لعكا وسقوط المدينة |
| ١١٩١النصف الثاني | محاولات الصليبيين لاقتراب من مدينة القدس واحتلال يافا وعسقلان. | |
| ١١٩٢النصف الأول ١١٩٢ (آب) | معركة قرب يافا في فلسطين بين الصليبيين والأيوبيين. | |
| ١١٩٢ (٢ أيلول) | توقيع معاهدة السلام بين ريتشارد الأول وصلاح الدين الأيوبي | |
| ١١٩٧ | معركة أنطاكية ضد الصليبيين. | |

# ملحق رقم (٢)

| القيـــــــــادة العامة | | |
|---|---|---|
| السلطان كان يعلن الحرب لكنه لم يقم عملياً بقيادة القوات | القائد العام كان يعين من قبل السلطان وكان يقود جميع القوات | الأمراء كانوا يقودون قواتهم الموجودة تحت إمرتهم |



# الملحق رقم (٣)

## السلطان (القائد العام)

## القيادة العامة

| الديوان مسؤول عن مسائل التعبئة والإمداد | كاتب الجيش يقوم بتوزيع الأموال والأراضي | قائد الجيش كان يفتش جاهزية المقاتلين وحالة السلاح والمعدات والخيول | كبار القادة المجلس العسكري | نائب القائد العام |
|---|---|---|---|---|

| القوات البرية | | | الأسطول |
|---|---|---|---|
| | الوحدات | تعداد القوام | |
| الخيالة | الكتيبة | حتى ١٠٠٠ رجل | لا توجد معطيات دقيقة |
| المشاة | الطلب | ١٧٠ - ٢٠٠ رجل | |
| الفرق المحترفة | السرية | ٤٠ــ٧٠ رجل | |
| الشباب المتطوعون | الفصيلة | ٤٠ رجل | |
| الرحل | المواكب | لا توجد معطيات | |

## الملحق رقم(٤)

## منشور رقم (١) الذي استخدمته القوات السورية

## في حرب عام ١٩٨٢

**أيها الجندي الإسرائيلي** : ماذا تنتظر هنا على الأرض العربية في الوقت الذي والدتك تنتظرك في ... روشبينا، وأورشليم.

تنتظرك فيه أختك، تعد الثواني لعودتك في تل أبيب وكريات شمونة .

زوجتك التي تُمني أطفالك بعودتك في كل مكان .

إنني القلبُ الذي ينتظرك حيثما كنتْ

إنني الثكلى التي فقدتْ ابنها الوحيدُ في صيدا

إنني المجروحة التي فقدت زوجَها في الدامور وترك لها أربعةَ أطفال ...

إنني أنا التي خرجتُ وتظاهرتُ في تل أبيب وحيفا ويافا أطالبُ الإرهابيين بيغن وشارون وشامير وإيتان

أنْ عودوا بأولادنا، بفلذاتِ أكبادنا إلى أي أتون من النار ترمونَهم، في سبيل مَنْ تمزق القنابلُ أجسادهم ؟!، وتأكل الطيورُ جُثثهم ؟، أيةُ قضيةٍ هذه المرة تَحرمُنا منهم، ومن نعيمِ القُرب منهم ؟!

**ملاحظة** : المنشور صادر باسم امرأة إسرائيلية من اللواتي تظاهرن أمام الكنيست الإسرائيلي (حركة السلام الآن)، آنذاك .

**ن. رياض حداد**

## الملحق رقم(٥)

## منشور رقم (٢) الذي استخدمته القوات السورية

## في حرب عام ١٩٨٢

**أيها الجندي الإسرائيلي** إن القضية الوحيدة التي يزجّك بها قادتك هي قضيةُ أنانيتِهم الشخصية ومجدِهم الملطخ بالدماء .

ضع باعتبارِك، ولا يغربنَّ عن بالِكَ أبداً أن الجندي السوري ملتصقٌ بالأرض هذه المرة، فإما أن ينتصرْ ويجعلَ مكانكَ مقبرة لك، وإما أن يَجْبُلَ دمَه بترابِ الأرض الطاهر، إذا كان قادتُك يغشون شعبك .

فلا تترك الحيلة تنطلي عليك، أنت الذي تدفع الثمن أنت وحدك، وأهلُك الذين يندبون عليكْ، ويذرفون الدموعْ، والدكَ وإخوتُك، وأخواتُك وأولادُك .

كلهم بانتظارك .

هذه المرة / إن حاولت أن تتقدم شبراً / إما الجنديُ السوري أو أنت .

ولن يكتفي بذلك، بل سيدحرك إلى حيث أتيت .

أنت من يجب أن يقف ثم يفكر أنت وحدَك .

ولنا معك جولةٌ قادمة .

**ن. رياض حداد**

## ومن جميل ما كُتب أثناء الحرب

# عانق الموت... ونام

ليس مهماً أن تعرفوا اسمه. هو نفسه لم يكن يهمه ذلك.

ليس مهماً أن تبكوا موته. في حياته كان يغني للفرح والأمنيات.

ليس مهماً أن تجعلوا منه بطلاً. الأبطال لا يفكرون عادة بالبطولة بل يفكرون بالشهادة.

عندما اندلعت الحرب.. كان متفائلاً.. قاتل بتفائله. أصبح إيمانه وتصميمه سلاحاً جديداً يشهره في وجه الأعداء.

وعندما واجه الموت وجهاً لوجه.. كان الموت هو الذي خفض ناظريه. كان يحمل إرادة جيل طهرته عذابات حزيران..جيل لا يحتاج من الآخرين شهادة براءة.

كان الموت يهرب وهو يندفع إليه.. يطارده.. يحاصره، كانت الشظايا والقنابل والصواريخ تنفجر من حوله، لكنه اختار دبابته مأوى ومثوى، فاندفع يقاتل بها بضراوة.

قبل الحرب كان قد أودع جيب صديق بضع رسائل إلى والده. وسافرت الحمائم البيضاء إلى الأب... بينما كانت أغاني الفرح والنضال تتردد داخل الدبابة هي ترمي أهداف العدو.

**«بلادي بلادي فداك دمي   بذلت حياتي فدى فاسلمي»**

وصلت الرسائل.. بينما الحلم يطوف على جدران الذاكرة. الدبابة. قرأ الأب مشاعر ولده عن الأمل بالتحرير.. عن معنى النضال عن ولادة الإنسان الجديد..

قرأ الأب في الكلمات البسطة صورة ولده طفلاً يحبو في حديقة الدار.. قرأ الأب في الرسالة ذكرى طفل يرمي دبابة فرنسية بحجر. وذكرى رجل تطوع في

جيش الإنقاذ.. وتذكر أن الرجل هو نفسه.. قرأ الأب عبر الأسطر.. حكاية قلب أحب.. واختار أن يحمي حبه. لكن آخر ما قرأه الأب في الرسالة كان توقيه ولده...." الملازم الشهيد فلان...."

عندئذ تمنى عديداً من الأولاد. كان الحلم أنشودة للنصر.. وتكسرت صورة الحلم فجأة... اهتز كل شيء.. غامت الصور.. لم تبق إلا صورة واحدة : سبع دبابات للعدو تركها مدمرة على أرض المعركة وهوى الجسد.. لكن الوجه عندما حملوا الجسد كانت تعلوه ابتسامة.. والعينان مغمضتان كأنه نائم..

كان الموت عشقاً... لاحقه حتى عانقه.

ولم يذرف الأب دمعة. كان فخوراً. ماذا تعني الحياة سوى أن يحقق الإنسان ما يهدف إليه ؟ كان ابنه يعرف.. كان يرغب.. كان يحب أن يصبح شهيداً من أجل الوطن. وهكذا فعل. لاحق الموت حتى استسلم الموت لارادته ففرش له سريراً أبيض وثيراً.. وهناك نام.

**رياض عصمت**

# فهرس الجزء الثاني

الصفحة

## الباب الرابع
## السياسة والحرب في بلاد الشام
## من النكبة إلى الاستنزاف
### الفصل الأول
### حرب عام (١٩٤٨)م


**أولاً - المرحلة الأولى** ٩

أ ـ الوضع السياسي الذي أدى إلى الحرب ٩

ب ـ توضع القوات العربية والقوات الصهيونية وأهدافها ١٨

ج ـ المرحلة الأولى١٥/٥ - ١٩٤٨/٦/١١ ٢٢

د ـ الهدنة الأولى (١١/٦ - ٩/٧/ ١٩٤٨) ٣١

**ثانياً - المرحلة الثانية** (٩/٧ - ١٩٤٨/٧/١٨) ٣٦

أ ـ الجبهة المصرية ٣٦

ب ـ الجبهة الأردنية ٣٨

ج ـ الهدنة الثانية (١٩٤٨/٧/١٨ حتى توقف العمليات الحربية على الجبهة المصرية في ١٩٤٩/١/٧) ٣٩

**ثالثاً – العمليات الإسرائيلية بعد الهدنة الثانية** ٤٠

أ – عملية الضربات العشر ٤٠

ب ــ عملية عين ٤٢
جـ ــ عملية احتلال الجليل أو عملية حيرام ٤٣
**الفصل الثاني**
**عدوان حزيران حرب عام (١٩٦٧)م** ٤٧
**أولاً ــ العوامل غير المباشرة للحرب** ٤٨
**ثانياً ــ الأحداث السابقة للحرب** ٥١
**ثالثاً ــ ميزان القوى العسكرية عشية بدء الحرب** ٥٤
**استنتاجات وعبر** ٥٧
**رابعاً ــ الحرب على الجبهة المصرية** ٥٧
آ ــ توزيع القوات المصرية قبل ١٤ أيار عام ١٩٦٧م ٥٧
ب ــ إجراءات الخداع الإسرائيلية ٦٢
جـ ــ العمليات الجوية على الجبهة المصرية ٦٣
د ــ خطة الهجوم البري الإسرائيلي في الجبهة المصرية ٦٨
هـ ــ توزيع القوات الإسرائيلية على الجبهة المصرية ومهامها ٧٠
و ــ سير العمليات الحربية ٧٤
**خامساً ــ الحرب على الجبهة الشرقية** ٩٠
آ ــ توزيع القوات الأردنية المسلحة ٩٠
ب ــ خطة الهجوم الإسرائيلي على الضفة الغربية ٩٢
ج ــ معارك الجبهة الشرقية ٩٥
**سادساً ــ الحرب على الجبهة السورية** ١٠٥
آ ــ توزيع القوات السورية المسلحة ١٠٥
ب ــ الخطة الإسرائيلية للهجوم ١٠٦
ج ــ عمليات القطاع الشمالي ١٠٨

سابعاً ــ النتائج العامة للحرب ١١٧

## الفصل الثالث

## السياسة والحرب في بلاد الشام

## في أعوام ١٩٦٨م-١٩٧٢م

أولاً - معركة الكرامة ١٢١
ثانياً - الإغارة على تل شعاف السنديان في ٢٤ حزيران ١٩٧٠م ١٣١
ثالثاً - مأثرة الرقّاد ١٤٠
خسائر الطرفين على طول الجبهة في ذلك اليوم المشهود ١٤٤
أصداء معارك الأيام الثلاثة ١٤٦

# الباب الخامس

# حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣م

## الفصل الأول

## مراحل حرب تشرين الرئيسة ويومياتها

تمهيد ١٥١
أولاً - مرحلة الاقتحام ١٦٣
العمليات يوم ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣م ١٦٣
آ ــ القطاع الشمالي ١٦٥
ب ــ القطاع الأوسط ١٦٨
جـ ــ القطاع الجنوبي ١٦٩
د ــ معركة تل السقي وناب ١٧٠
الاقتِحَام الرّأسي لجَبَل الشَيخ ١٧٣
الموقف في نهاية اليوم الأول من الحرب ١٨٠
عمليات يوم ٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م ١٨٠

معركة كفر نَفَاخ ١٨٨
معركة الخِشنيّة ١٩١
معركة الدبُّورَة ١٩٤
معركة المشِتى ــ اليَعربيَّة ١٩٥
مَعرَكة تلّ الفَرَس ١٩٧
الموقف في نهاية يوم القتال ١٩٩
**عَمَليّات ٨ ــ ١٠ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٧٣م** ٢٠٠
**سير الأعمال القتالية الجوية في مرحلة الاقتحام** ٢٠٨
**العمليات البحرية في مرحلة الاقتحام** ٢١٥
**أولاً - المعركة البحرية الأولى** ٢١٥
**ثانياً - مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس** ٢١٨
معركة دير العَدَس ٢٢٥
معارك القطاع الشمالي من الجبهة ٢٣١
معركة مزرعة بيت جن وقرية بيت جن ٢٣٧
سير الأعمال القتالية الجوية في مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس ٢٤٨
العمليات القتالية البحرية في مرحلة الهجوم الإسرائيلي المعاكس ٢٥٢
المعركة البحرية الثانية ٢٥٢
المعركة البحرية الثالثة ٢٥٥
**ثالثاً ــ مرحلة التوازن الاستراتيجي للجبهتين** ٢٥٧
العمليات القتالية البرية ٢٥٧
العمليات القتالية الجوية في مرحلة التوازن ٢٦٠
العمليات القتالية البحرية في مرحلة التوازن ٢٦٣
**رابعاً ــ الاستعدادات للهجوم المعاكس السوري العام** ٢٦٥

معارك جبل الشيخ الدفاعية ٢٧١

## الفصل الثاني

## نظرة تحليلية للعمليات البرية في قطاعات الجبهة السورية

أولاً - خطة الهجوم السوري ٢٧٩

ثانياً - أوضاع القوات الإسرائيلية في الجولان ٢٨١

ثالثاً - الهجوم السوري في الجولان ٢٨٥

رابعاً - القتال في القطاع الجنوبي من الجولان ٢٨٧

خامساً - القتال في القطاع الشمالي من الجولان ٢٩٤

سادساً - القتال في جيب «سعسع» ٢٩٧

سابعاً - الهجمات المعاكسة العراقية والأردنية ٢٩٩

## الفصل الثالث

## نظرة تحليلية للعمليات الجوية والبحرية والإلكترونية في حرب عام ١٩٧٣م

أولاً - العمليات الجوية في حرب ١٩٧٣م ٣٠٥

ثانياً - العمليات البحرية في حرب ١٩٧٣م ٣١٠

ثالثاً - الجانب الإلكتروني من الحرب ٣١٦

## الفصل الرابع

## الإبداع في السياسة والحرب في حرب تشرين عام ١٩٧٣م

أ - دروس حزيران ١٩٦٧م ٣٢٤

ب - أسس الاستراتيجية العربية التي خلقت تشرين ٣٢٥

ج - أسباب قـرار الحرب ٣٢٦

د - الإبداع بخطة الخداع السياسي ٣٢٧

هـ - الإبداع في الزمان ٣٣٠

الصفحة


و - الإبداع في المكان ٣٣٢
ز - الإبداع باستخدام وسائط جديدة للصراع ٣٣٣
ح -الإبداع في طرائق القتال ٣٣٦
ط - نتائج حرب تشرين عربياً وإسرائيلياً ودولياً ٣٤٥
١ ــ على الصعيد العربي ٣٤٥
٢ ــ على الصعيد الإسرائيلي ٣٤٧
٣ ــ على الصعيد العالمي ٣٤٨
ي ــ الصراع على قمة جبل الشيخ في حرب الاستنزاف ٣٥١
١ - الأهمية العسكرية لجبل الشيخ على الاتجاه العملياتي دمشق - القنيطرة) ٣٥٢
٢ - الموقف العسكري السياسي قبل حرب الاستنزاف ٣٥٣
٣ - الإغارة على قمة جبل الشيخ ٣٥٤

الباب السادس
السياسة والحرب في بلاد الشام في الثمانينيات
الفصل الأول
حرب عام ١٩٨٢م في الاستراتيجيات الدولية والإقليمية

أولاً - تمهيد ٣٦٥
ثانياً - الوضع الدولي والإقليمي قبيل الحرب [ ١٩٨٢م] ٣٧٣
أ - الإطار الإستراتيجي ٣٧٣
ب - التحالف الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل ٣٧٦
ج - الوضع العربي ٣٨٠
ثالثاً - الأهداف ٣٨١
١ - المياه ٣٨١

٢- العمق ٣٨٢

٣- نفي الوجود الفلسطيني ٣٨٢

**رابعاً – السبب المباشر للحرب** ٣٨٣

**خامساً – ميزان القوى وانتشار القوات** ٣٨٤

**سادساً – مراحل العملية** ٣٨٧

**الفصل الثاني**

**حرب عام ١٩٨٢م**

**أولاً - سيناريوهات الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية** ٣٩٣

**ثانياً - خطط الحرب** ٣٩٨

آ – الخطة في القطاع الغربي ٤٠٠

ب – الخطة في القطاع الأوسط ٤٠١

ج – الخطة في القطاع الشرقي ٤٠٣

**ثالثاً - القوام القتالي للقوات الإسرائيلية في القطاع الشرقي** ٤٠٤

**رابعاً – أيام الحرب** ٤٠٨

**خامساً – الخداع الإسرائيلي في حرب عام ١٩٨٢م** ٤١٩

**سادساً – الاستنتاجات والدروس المستفادة** ٤٢٢

**الفصل الثالث**

**معــركة الســلطان يعقــوب**

أولاً – خصوصية المعركة ٤٢٧

ثانياً - التدريب والحرب ٤٣١

ثالثاً - مهام متعددة لمقاتلين نوعيين ٣٤٥

رابعاً- إدارة معركة السلطان يعقوب ٤٣٩

خامساً – سير الأعمال القتالية ٤٤٠

سادساً - خرق وقف إطلاق النار ٤٥٨

سابعاً - معركة السلطان يعقوب في الصحافة الأجنبية ٤٦١

ثامناً - معركة السلطان يعقوب في الصحافة الإسرائيلية ٤٦٤

تاسعاً - تضاريس مسرح العمليات ٤٨٩

عاشراً - خصائص معركة السلطان يعقوب والدروس المستفادة منها ٤٩٣

**- الدروس المستفادة من معركة السلطان يعقوب** ٤٩٥

حادي عشر - خاتمـــة ٤٩٨

ثاني عشر ــ مشاهدات في أرض المعركة ٤٩٩

**الباب السابع**

**السياسة والحرب في بلاد الشام**

**في العقد الأول من القرن /٢١/ م**

**الفصل الأول**

**بيئة استراتيجية جديدة في المنطقة**

١ - القوات الإسرائيلية ٥٠٨

٢ - القوات الأميركية ٥٠٨

٣ - قوات الدول الأخرى ٥٠٩

المشهد السياسي بعد الحرب ٥١٠

**الفصل الثاني**

**النتائج والعبر على الصعيد العسكري**

١ - مبدأ المفاجأة في الحرب ٥١٣

٢ - مبدأ الحشد ٥١٣

٣ - مبدأ المناورة ٥١٤

٤ - الاستخبارات والسرية ٥١٤

٥ - مواجهة الحرب اللاتماسية ٥١٥

٦ - مدة الحرب ٥١٥
٧ - الحصار ٥١٦
٨ - استخدام أنواع القوات المسلحة وصنوفها ٥١٦
أ - استخدام الطيران ٥١٦
ب - استخدام الصواريخ ٥١٧
ج - أسلحة الدقة العالية ٥١٨
د - استخدام القوى البحرية ٥١٩
هـ - استخدام القوات البرية ٥١٩
و - استخدام سلاح الهندسة ٥٢٠
ز - استخدام قوات الاحتياط ٥٢١
ح - استخدام الإنزالات الجوية ٥٢١
٩ - التجهيز الهندسي لمسرح العمليات، وإعداد أراضي الدولة للدفاع ٥٢٢
١٠ - تكريس أهمية المشاة وتراجع أهمية الدبابات ٥٢٢
١١ - استراتيجية وتكتيك قوات المقاومة ٥٢٣
التنبؤ بطبيعة الحرب القادمة ٥٢٤

## الفصل الثالث

## ماهية إسرائيل ومعناها

أولاً - وجود إسرائيل ثمرة عداء الغرب لليهود ٥٣٠
ثانياً - أنجزت إسرائيل بعد قيامها مهمتين ٥٣١
ثالثاً - تقوية علاقة إسرائيل بالدول المسماة معتدلة ٥٣٢
رابعاً - الوقوف ضد أية حركات قومية أو إسلامية ٥٣٣

مصادر الموسوعة ٥٣٥

## الملاحــق

ملحق رقم (١) جدول تأريخي للأعمال القتالية في فترة الحملات الصليبية في المنطقة العربية خلال القرن الثاني عشر ٥٦٩

ملحق رقم (٢) القيادة العامة ٥٧٣

الملحق رقم (٣) السلطان (القائد العام) القيادة العامة ٥٧٤

الملحق رقم (٤) منشور رقم (١) الذي استخدمته القوات السورية في حرب عام ١٩٨٢ ٥٧٥

الملحق رقم (٥) منشور رقم (٢) الذي استخدمته القوات السورية في حرب عام ١٩٨٢ ٥٧٦

## اللواء الركن المجاز

## الدكتور إبراهيم مصطفى المحمود

- **ولد المؤلف في سورية** - حمص، الرستن ، عام ١٩٤٨م.
- **عمل مديراً لمدرسة** ، ( أبو منديل ) ، منبج ، محافظة حلب.
- **انتسب إلى الكلية الحربية** في ١٩٦٨/١٢/٢٨م.
- **عضو اتحاد الكتاب العرب**، منذ عام ١٩٧٢م.
- **عضو جمعية البحوث والدراسات السورية**، منذ عام ١٩٧٢م.
- **رئيس تحرير المجلة العسكرية السورية**، أعوام ١٩٧٢-١٩٧٤م.
- **رئيس قسم التأليف والترجمة والنشر**، أعوام ١٩٨٤ – ١٩٨٥م.
- **اتبع دورة قيادة وأركان حرب**، أعوام ١٩٨٥م – ١٩٨٧م.
- **رئيس تحرير مجلة جيش الشعب** ، أعوام ١٩٨٨م - ١٩٨٩م.
- **نال شهادة الدكتوراة في الفلسفة** . بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف. أعوام ١٩٩١م – ١٩٩٤م.
- **حصل على شهادة ركن مجاز (دفاع وطني)** ، أعوام ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣م.
- **رُقيّ إلى رتبة لواء** ، ٢٠٠٢/١/١م.
- **خاض حروب** عام ١٩٧٣م ، والاستنزاف عام ١٩٧٤م ، وعام ١٩٨٢م ، وكتب عنها.
- وللمؤلف زهاء أربعين كتاباً وموسوعة منشورة.
- **شغل وظائف عسكرية أخرى.**
- **شارك في عدد كبير من المؤتمرات** العلمية والثقافية والمناظرات والمقابلات التلفزيونية


الهيئة العامة
السورية للكتاب


الطبعة الأولى / ٢٠١١م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



إن تاريخ الشعوب مرآة تعكس مناهج الأسلاف، لتعليل الأحداث الماضية، وإبراز أسبابها، وبيان الطرائق والوسائط التي استخدمها الأجداد لتحقيق إرادتهم في امتلاك أسباب الوجود والتطور.

فتاريخ الشعوب سر وجودها، وأحداثه منبع آلامها وآمالها، أما فهمه ودراسة تجاربه واستنباط قوانينها وأحكامها، فهو الذي يحدد نجاحها مستقبلاً أو إخفاقها.

وتأسيساً على ما سبق ينبلج النبراس، وتخلق القدوة لمن يريد أن يعتبر من الأجيال الصاعدة.




www.syrbook.gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

سعر النسخة ٤٠٠ ل.س أو ما يعادلها